

كَلِمَاتُ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ

مِنْ كِتَابِ

الْأَسْرِ النَّفَاسِ

لِلْجَزَائِرِيِّ

مَجْمُوعٌ وَتَرْتِيبٌ

أَبِي ذَرِّ الْقَامُونِي

«وَيَقُومُونَ لَا أَشْرَكَ عَلَيْهِ مَا لَّا

إِنْ أُجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ»

هود: ٢٩

كتاب البرج

القائمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَلِمَاتُ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ

مِنْ كِتَابِ  
السِّرِّ النَّفَّاسِ  
لِلْجَزَائِرِيِّ

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

رقم الإيداع: ٢٣٣١٦/٢٠٠٩

جمهورية مصر العربية  
٢٢ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر  
القاهرة

تليفون: ٠٠٢٠٢٥١٤٣١٤١

تليفاكس: ٠٠٢٠٢٥١١١٧٥٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دار البحوث  
للطباعة والنشر والتوزيع  
القاهرة



قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾

[القمر: ١٧] (١).

(١) قال ابن كثير رحمته الله: وقوله: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ أي: فهل من متذكر بهذا القرآن الذي قد يسر الله حفظه ومعناه؟ وقال القرطبي: فهل من منزجر عن المعاصي؟ وروى ابن أبي حاتم عن مطر الوراق في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ هل من طالب علم فيعان عليه؟

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانتك: ﴿رَبَّنَا لَقَبَلْنَا مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١٧٧)، ﴿رَبَّنَا ءَايَاتِكَ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٢١)، ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٢٥)، ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (٢٨٥)، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٢٦٤)، ﴿رَبَّنَا لَا تُفْرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (٨)، ﴿رَبَّنَا إِنَّا ءَامَنَّا بِمَا قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ وَآمَنَّا بِمَا نُزِّلَ عَلَيْنَا مِنْ رَبِّنَا أَوْفَىٰ وَوَقَّيْنَا أَنْفُسَنَا بِمَا بَدَّلْنَا غَيْرَ لِحُبِّكَ رَبَّنَا لَتَنَّاهُ وَرَبَّنَا ارْحَمْهُنَّ إِنَّهُنَّ لَمُؤْمِنَاتٌ مَخْفَوٰتٌ﴾ (١٠١)، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (١١٧)، ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحُكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١٣١)، ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (١١٢)، ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مِنَ الْآبْرَارِ﴾ (١١٣)، ﴿رَبَّنَا ءَايَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (١١٤)، ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا كُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (١١٥)، ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (١٢٣)، ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (١٢٧)، ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ (١٢٨)، ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (١٣٦)، ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (١٤٥) وَبِحَسْبِ رَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٦)، ﴿رَبَّنَا غَفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (١٤٦)، ﴿رَبَّنَا ءَايَاتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةٌ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا

رَشَدًا ﴿١٠﴾ ، ﴿رَبَّنَا آمِنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ ، ﴿رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ  
إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾ ، ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيِبْ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ  
إِمَامًا ﴿٧٦﴾﴾ ، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ  
﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ  
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ  
﴿٩﴾﴾ ، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ  
رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ ، ﴿رَبَّنَا عَلَّمَكُنَا مَا كُنَّا نَلْمُكَ وَإِنَّكَ عَلَّمَنَا مَا كُنَّا نَعْتَدُكَ كُفْرًا وَأَغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا  
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾ ، ﴿رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورًا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ .

يا رب: أدعوك وأنا العبد الذليل، وأنت الرب العزيز، يا رب: أسألك من فضلك ورحمتك لي ولكل المسلمين، فإنه لا يملكها إلا أنت. اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينا ما علمت الحياة خيرا لنا، وتوفنا ما علمت الوفاة خيرا لنا، اللهم ونسألك خشيتك في الغيب والشهادة، ونسألك كلمة الإخلاص في الرضا والغضب، ونسألك القصد في الفقر والغنى، ونسألك نعيما لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، ونسألك الرضا بالقضاء، ونسألك برد العيش بعد الموت، ونسألك النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك من غير ضراء مضره ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين. اللهم اغفر لنا وارحمنا وعافنا وارزقنا. اللهم إنا عبيدك بنو عبيدك، بنو إمامك، نواصينا بيدك، ماضٍ فينا حكمك، عدل فينا قضاؤك، نسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور أبصارنا، وجلاء أحراننا، وذهاب همومنا وغمومنا، اللهم اجعلنا من أهل القرآن أهلك وخاصتك. اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى، اللهم إنا نسألك الخير كله عاجله وآجله، ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه عبدك ونيبك محمد ﷺ، ونعوذ بك من شر ما استعاذ بك منه عبدك ونيبك محمد ﷺ، اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، ونسألك أن تجعل كل قضاء قضيتنا خيرا. آمين، وصلِّ اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

## رجاء

أرجو الله الالتزام بنهج كتبي كلها، والدقة عند طباعتها، فقد أضاف البعض إلى عنوان كتاب «ففرؤا إلى الله». وهو «ففرؤا إلى الله» أضاف ﴿إِنِّي لَكُرْمَةٌ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ، وأضاف البعض الآخر إلى قوله تعالى: ﴿إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ أضاف جملة أخرى ليست من كتاب الله ولا من سنة رسوله ﷺ ، ونقل البعض الهدف من الكتاب ووضعها في أول صفحة، وأدخل عبارة (من أراد أن يطبعه فليطبعه دون إذن وليتق الله فيه) أدخلها داخل الكتاب في الهامش، وكتب البعض على الكتاب (حقوق الطبع محفوظة) والكتاب مكتوب عليه العبارة السابقة (من أراد أن يطبعه...) وقام البعض بجمعه مرة أخرى -جزاه الله خيرا- ولكن مع وقوع أخطاء كثيرة، وجزى الله خيرا كل تاجر يسر على الناس وصول الكتب الشرعية إليهم ورفق بهم.





## خير فاتحة في التفسير

## مقدمة تفسير ابن كثير

قال الشيخ الحافظ (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير) رحمه الله تعالى ورضي عنه:

الحمد لله الذي افتتح كتابه بالحمد فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١). وافتتح خلقه بالحمد فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ واختتمه بالحمد فقال بعد ذكر مآل الجنة وأهل النار: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٧٥). فله الحمد في الأولى والآخرة، أي: في جميع ما خلق وما هو خالق، هو المحمود في ذلك كله، ولهذا يلهم أهل الجنة تسيحه وتحميده كما يلهمون النفس ﴿دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَنَحْيَهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَعَاجِرُ دَعْوَتُهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٠). والحمد لله الذي أرسل رسله ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ وختمهم بالنبي الأمي، العربي المكي، الهادي لأوضح السبل، أرسله لجميع خلقه من الإنس والجن، من لدن بعثته إلى قيام الساعة كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولٌ اللَّهُ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ وقال تعالى: ﴿لَا نَذْرُكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ وقال رسول الله ﷺ: «بعثت إلى الأحمر والأسود» فهو صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلى جميع الثقلين: الإنس والجن، مبلغًا عن الله ﷻ ما أوحاه إليه من الكتاب العزيز الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (٤٢).

فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله، وتفسير ذلك، وطلبه من مظانه، وتعلم ذلك وتعليمه كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا قَلِيلًا فَمَا يَشْتَرُونَ﴾ (١٧٧). فذم الله أهل الكتاب بإعراضهم عن كتاب الله، وإقبالهم على الدنيا وجمعها.

فعلينا أن ننتهي عما ذمهم الله تعالى به، وأن نأتمر بما أمرنا به، من تعلم كتاب الله المنزل إلينا وتعليمه، وتفهمه وتفهمه قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ؟﴾ الآية.

ففي ذكره تعالى لهذه الآية تنبيه على أنه تعالى كما يحيي الأرض بعد موتها كذلك يحيي القلوب بالإيمان، ويلينها بعد قسوتها من الذنوب والمعاصي، والله المؤمل المستول أن يفعل بنا هذا، إنه جواد كريم.

فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟

فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر.

فإن أعيانك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٦٤).

ولهذا قال رسول الله ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»<sup>(١)</sup>. يعني: السنة المطهرة.

والغرض أنك تطلب تفسير القرآن من القرآن، فإن لم تجده فمن السنة، وإذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رج منا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لاسيما علماؤهم وكبرائهم كالخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدين المهديين، وعبد الله بن مسعود، فقد قال ابن مسعود: «والذي لا إله غيره، ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، وأين نزلت، ولو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأنته»<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئونا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ، وكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً.

ومنهم عبد الله بن عباس الحبرُ البحرُ، ابن عم رسول الله ﷺ وترجمان القرآن ببركة دعاء رسول الله ﷺ له حيث قال: «اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل».

وقد قال عبد الله بن مسعود: «نعم ترجمان القرآن ابن عباس».

وقد مات ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في سنة اثنتين وثلاثين على الصحيح، وعُمِّرَ بعده ابن عباس ستاً وثلاثين سنة، فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود؟

ولهذا غالب ما يرويه السُّدِّيُّ الكبير في تفسيره عن هذين الرجلين: ابن مسعود، وابن عباس. ولكن في بعض الأحيان ينقل عنهم ما يحكونه من أقاويل أهل الكتاب، التي أباحها رسول الله ﷺ حيث قال: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»<sup>(٣)</sup>.

ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد، وهي على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه فذاك مردود.

(١) هذا جزء من حديث أخرجه أبو داود عن المقدم بن معديكرب.

(٢) رواه ابن جرير الطبري عن مسروق عن عبد الله بن مسعود.

(٣) رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل، ولا من هذا القبيل، فلا تؤمن به ولا تكذبه، وتجاوز حكايته لما تقدم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني.

## فصل

إذا لم تجد التفسير في القرآن، ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة إلى أقوال التابعين ك (مجاهد بن جبير) فإنه كان آية في التفسير فقد قال: «عرضتُ المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها»، ولهذا قال سفيان الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به. وك (سعيد بن جبير) و (عكرمة مولى ابن عباس) و (عطاء بن أبي رباح) و (الحسن البصري) و (مسروق بن الأجدع) و (سعيد بن المسيب) و (قتادة) و (الضحاك) وغيرهم من التابعين ومن بعدهم، فتذكر أقوالهم في الآية فيقع في عبارتهم تباين في الألفاظ، حسبها من لا علم عنده اختلافًا فيحكيها أقوالًا، وليس كذلك فليفتن الليب لذلك، والله الهادي.

فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام لما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال في القرآن برأيه، أو بما لا يعلم، فليتبوأ مقعده من النار»<sup>(١)</sup>. ولقوله ﷺ: «من قال في كتاب الله برأيه فأصاب فقد أخطأ»<sup>(٢)</sup>. أي لأنه قد تكلف ما لا علم له به، وسلك غير ما أمر به، لأنه لم يأت الأمر من بابه، كمن حكم بين الناس على جهل فهو في النار، ولهذا تخرج جماعة من السلف عن تفسير ما لا علم لهم به، فقد روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: «أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني، إذا أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم».

وروى أنس عن عمر بن الخطاب أنه قرأ على المنبر ﴿وَفِيكُمُ آبَا﴾ فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر.

وروى ابن جرير بسنده عن عبيد الله بن عمر قال: لقد أدركت فقهاء المدينة وإنهم ليعظمون القول في التفسير، وعن هشام بن عروة قال: ما سمعتُ أبي يؤول آية من كتاب الله قط، وسأل محمد بن سيرين (عبيدة السلماني) عن آية من القرآن فقال: ذهب الذين كانوا يعلمون فيم أنزل القرآن، فاتق الله وعليك بالسداد.

فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تخرجهم عن الكلام في

(١) رواه ابن جرير بسنده عن ابن عباس، وأخرجه الترمذي والنسائي [ضعيف - انظر ضعيف الجامع].

(٢) رواه أبو داود والترمذي والنسائي [ضعيف - انظر ضعيف الجامع].

التفسير بما لا علم لهم فيه، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه، ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير، ولا منافاة لأنهم تكلموا فيما علموه، وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب على كل أحد، فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه لقوله تعالى: ﴿لَتَبَيَّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ ولما جاء في الحديث الشريف: «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار»<sup>(١)</sup>.



(١) أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي هريرة [صحيح - انظر صحيح الجامع].

## مقدمة مفيدة

## تذكر في أول التفسير قبل سورة الفاتحة

قال أبو بكر بن الأنباري: نزل في المدينة من القرآن (البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، وبراءة، والرعد، والنحل، والحج، والنور، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحجرات، والرحمن، والحديد، والمجادلة، والحشر، والملتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، وعشر من التحريم، وإذا زلزلت، وإذا جاء نصر الله) هؤلاء السور نزلت في المدينة وسائر السور بمكة. انتهى من تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى.

طريقة بحث كتاب «أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير» والذي قد استمد منه كتاب «كلمات القرآن الكريم»، كما جاء على لسان الشيخ الجليل / أبي بكر جابر الجزائري.

هذا وإن مميزات هذا التفسير التي بها رجوت أن يكون تفسير كل مسلم ومسلمة لا يخلو منه بيت من بيوت المسلمين فهي:

- ١- الوسطية بين الاختصار المخل، والتطويل الممل.
- ٢- اتباع منهج السلف في العقائد والأسماء والصفات.
- ٣- الالتزام بعدم الخروج عن المذاهب الأربعة في الأحكام الفقهية<sup>(١)</sup>.

- (١) الأئمة الأربعة على جلاله قدرهم رحمهم الله جميعاً يرون وجوب الأخذ بالحديث وترك تقليد آرائهم المخالفة له.
- ١- الإمام أبو حنيفة: «إذا صح الحديث فهو مذهبي» ابن عابدين في الحاشية، «لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه» ابن عبد البر في «الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء».
  - ٢- الإمام مالك بن أنس: «ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ» ابن عبد البر في «الجامع» وأورده تقي الدين السبكي في «الفتاوى» من قول ابن عباس متعجباً من حسنه ثم قال: «وأخذ هذه الكلمة من ابن عباس مجاهد، وأخذها منهما مالك ﷺ واشتهرت عنه»، قال أحد العلماء المحققين: ثم أخذها عنهم الإمام أحمد فقد قال أبو داود في مسائل الإمام أحمد: سمعت أحمد يقول: «ليس أحد...».
  - ٣- الإمام الشافعي: «إذا صح الحديث فهو مذهبي». النووي في «المجموع» وابن القيم في «إعلام الموقعين». «كل مسألة صح فيها الخبر عن رسول الله ﷺ عند أهل النقل بخلاف ما قلت، فأنا راجع عنها في حياتي وبعد مماتي» الهروي ١/٤٧ وابن القيم في «إعلام الموقعين» ٢/٣٦٣.
  - ٤- الإمام أحمد: «لا تقلدوني ولا تقلدوا مالكا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري، وخذوا من حيث أخذوا» الفلاني، وابن القيم في «إعلام الموقعين».

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي ﷺ كما في تعليقه على «إيقاظ الهمم» ما يلي: فالواجب على كل من بلغه أمر رسول الله ﷺ وعرفه أن يبينه للناس وينصح لهم ويأمرهم باتباع أمره، وإن خالف ذلك رأي عظيم من الأمة، فإن أمر رسول الله ﷺ أحق أن يعظم ويقتدى به من رأي أي معظم قد خالف أمره في بعض الأشياء خطأ، ومن هنا رد الصحابة ومن بعدهم على كل مخالف سنة صحيحة، وربما أغلظوا في الرد لا بغضاً له، بل هو محبوب عندهم معظم في نفوسهم، لكن رسول الله ﷺ أحب إليهم، وأمره فوق أمر كل مخلوق، فإذا تعارض أمر الرسول وأمر

- ٤- إخلاؤه من الإسرائيليات صحيحها وسقيمها. إلا ما لا بد منه لفهم الآية الكريمة وكان مما تجوز روايته لحديث: «وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج».
- ٥- إغفال الخلافات التفسيرية.
- ٦- الالتزام بما رجحه ابن جرير الطبري في تفسيره عند اختلاف المفسرين في معنى الآية، وقد لا أخذ برأيه في بعض التوجيهات للآية.
- ٧- إخلاء الكتاب من المسائل النحوية والبلاغية والشواهد العربية.
- ٨- عدم التعرض للقراءات إلا نادرًا جدًا للضرورة حيث يتوقف معنى الآية على ذلك وبالنسبة للأحاديث فقد اقتصر على الصحيح والحسن منها دون غيرهما، ولذا لم أعزها إلى مصادرها إلا نادرًا.
- ٩- خلو هذا التفسير من ذكر الأقوال وإن كثرت والالتزام بالمعنى الراجح والذي عليه جمهور المفسرين من السلف الصالح. حتى إن القارئ لا يفهم أن هناك معنى غير الذي فهم من كلام ربه تعالى، وهذه ميزة جليلة وذلك لحاجة جمع المسلمين على فكر إسلامي موحد صائب سليم.
- ١٠- التزمت في هذا التفسير بالخطة التي مثلتها هذه المميزات رجاء أن يسهل على المسلمين تناول كتاب الله دراسة وتطبيقًا وعملاً لا هم لهم إلا مرضاة الله بفهم كلامه والعمل به، والحياة عليه عقيدة وعبادة وخلقًا وأدبًا وقضاء وحكمًا، فلذا أخليت من كل ما من شأنه أن يشتت الذهن، أو يصرف عن العمل إلى القول والجدل<sup>(١)</sup>.

غيره، فأمر الرسول أولى أن يقدم ويتبع، ولا يمنع ذلك تعظيم من خالف أمره وإن كان مغفورًا له، بل ذلك المخالف المغفور له لا يكره أن يخالف أمره إذا ظهر أمر رسول الله ﷺ بخلافه.

قلت: أنا أبو ذر القلموني أعوذ بالله من هذه الكلمة مادحًا، ما حملني على كتابة هذا التعليق إلا حبي للأئمة الأربعة رضوان الله عليهم ولأهل الحديث أثابهم الله تعالى، فلا ينبغي أن ينكر جهد هؤلاء وفضل أولئك، وإن مثل أهل الحديث بعد الأئمة الأربعة، والأئمة الأربعة -ولا نزكي على الله أحدًا- كمثل الهدهد عندما قال لسليمان عليه السلام: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾، ومع ذلك فإن الهدهد هو الهدهد وسليمان هو سليمان، غير أن المسلم ينبغي له أن يتعصب للحق بغض النظر عن من هو قائله لأن في هذا سلامة القلب. قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ كما في «زاد المعاد» (ج ٢/ ٤٧١) فصل في ألفاظ كان ﷺ يكره أن تقال: (ومنها: الدعاء بدعوى الجاهلية، والتعزي بعزائهم، كالدعاء إلى القبائل والعصبة لها وللأنساب، ومثله التعصب للمذاهب، والطرائق والمشايخ، وتفضيل بعضها على بعض بالهوى والعصبة، وكونه منتسبًا إليه، فيدعو إلى ذلك، ويوالي عليه، ويعادي عليه، ويزن الناس به، كل هذا من دعوى الجاهلية).

لم أرجع إلى مصادر هذه الأقوال مباشرة وإنما أخذت هذه المقتطفات من أقوال الأئمة الأربعة، وقول ابن رجب الحنبلي من كتاب لأحد علماء الحديث أثابه الله تعالى.

(١) قال الشيخ الجزائري في هامش ص ٨ ج ١: تنبيه: مراجع هذا التفسير أربعة وهي: جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري، تفسير الجلالين المحلي والسيوطي، تفسير المراغي، تفسير الكريم الرحمن لعبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمهم الله أجمعين. وقد كنت سأضع أسماء هذه المصادر على الغلاف لكنني قد التزمت بطريقة الأصل.

## طريقة بحث كتاب «كلمات القرآن الكريم من كتاب أيسر التفاسير»:

أسأل الله تعالى أن يجعل أعمالنا كلها صالحة ولوجهه خالصة ولا يجعل لأحد فيها شيئاً. يرجع الفضل في جمع هذا الكتاب لله وحده، ثم لمحبتني في الله الشيخ أبا بكر الجزائري، فلقد رأيته في الرؤيا يصعد سلمًا أمام قبر النبي ﷺ معتمًا -أثابه الله- بعمامة بيضاء تصل ذؤابتها قريبًا من نصف ظهره وقد علاه الوقار، ثم ذهبت إلى الروضة بمسجد النبي ﷺ إلى آخر الرؤيا. ومن المعلوم عند علماء تأويل الأحلام أن الارتفاع في الرؤيا عن الأرض رفعة عند الله تعالى فازداد حبي لهذا الرجل، كما ازداد عند قراءتي من قبل لكتابه القيم «منهاج المسلم». فما أن ظهر كتاب «أيسر التفاسير» له أثابه الله تعالى إلا وقرأته بفضل الله تعالى في فترة يسيرة للغاية (يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك) ولكنني رأيت أن الكتاب مازال حجمه كبيرًا يحتوي على أربعة مجلدات<sup>(١)</sup>، كل مجلد منها يحتوي على سبعمئة صفحة أو يزيد، فرأيت أن الكتاب بهذه الصورة يعد يسيرًا بالنسبة لأهل العلم ولكنه غير ذلك بالنسبة لعامة المسلمين، وكانت طريقته -أثابه الله تعالى- في تأليف الكتاب: أنه يأتي ببيان معاني الكلمات أولًا، ثم يأتي بعد ذلك ببيان معنى الآيات، ثم يتكلم في النهاية عن هداية الآيات، فقمت باستخارة الله تعالى، واكتفيت بأخذ معاني الكلمات والتي يسميها أثابه الله: شرح الكلمات، وأضفت إليها القرآن كاملاً، وكنت في البداية سأكتفي بذكر معاني الكلمات مجردة ولكنني رأيت أن ذلك سيكون يسيرًا على حملة القرآن شاقًا على غيرهم فتم ما اختاره الله تعالى، وهي طريقة جديدة تعين على فهم كتاب الله تعالى في أقل وقت ممكن خاصة وأن من علامات الساعة نزع البركة من الوقت. وكنت أحيانًا أضيف بعض المعاني والهوامش من معنى الآيات<sup>(٢)</sup> عند الضرورة وذلك في إطار ضيق.

وأحيانًا كنت أقوم بإيراد بعض التعليقات من تفسير ابن كثير إتمامًا للفائدة وإن كان تفسير ابن كثير يكاد يكون قريبًا من تفسير ابن جرير رحمهما الله تعالى.

هذا وإني لم أرسل إلى الشيخ الجزائري -أثابه الله تعالى- لاستئذانه في عملي هذا؛ لأنني قد أخذت الإذن من قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَآ إِنِ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ ففي كل كتبي التي قد سبقت هذا الكتاب كتبت عليها تلك الآية السابقة، وأيضًا قد كتبت عليها (هذا الكتاب من أراد أن يطبعه فليطبعه دون إذن وليتق الله فيه) وإني على يقين -إن شاء الله تعالى- أنه سيسر بهذا العمل بمجرد قراءة فضيلته له وإن قلوبنا ستلتقي كما التقت أرواحنا، فما خرج من القلب وصل

(١) بعد صدور الكتاب ظهرت الطبعة الجديدة ذات المجلدات الخمس، وقد روعيت في هذه الطبعة المنقحة بفضل الله.

(٢) أي من كتاب «أيسر التفاسير» أيضًا.

إلى القلب وما خرج من اللسان لم يجاوز الأذان<sup>(١)</sup>.

وقد قمت بتقسيم الكتاب إلى سبعة أبواب كل باب منها يمثل حزبا من أحزاب القرآن السبعة مثلما فعلت في كتابنا «عون الرحمن في حفظ القرآن»، إحياء لسنة قد هجرت - إلا ما رحم الله - قد أشار إليها الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في مقدمة تفسير سورة «ق» بقوله: «هذه السورة هي أول المفصل على الصحيح، وقيل من الحجرات، والدليل على ذلك ما رواه أبو داود في سننه باب تحزيب القرآن ثم قال: قال أوس: سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف يحزبون القرآن؟ فقالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل وحده (بيانه: ثلاث: البقرة وآل عمران والنساء، وخمس: المائدة والأنعام والأعراف والأنفال وبراءة، وسبع...)» انتهى.

الهدف من وراء هذا الكتاب:

أن يتقبله الله تعالى صدقة جارية لكل مسلم في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، وأن يجنبنا الله تعالى هجر القرآن خاصة هجر التفسير، فهناك هجر التلاوة وهجر التفسير وهجر العمل... قال تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ سائلا به الله ﷻ أن يجعلنا من عباد الرحمن الذين قال في شأنهم سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِتَأْيِيدِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾.

وفي النهاية أقول: إن الكمال لله وحده، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، وإنه لو كانت الذنوب تعمي البصر ما استطعت أن تنظر في كلامي. وإني لا أطمع إلا في رحمته سبحانه، التي لا يملكها إلا هو. وإني أطلب منك الدعاء بظهر الغيب، خصوصا أن يجعلني الله وإياك وسائر المسلمين من عتقائه من النار، ويا حظ من زحزح عن النار وأدخل الجنة: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمْتَعٌ الْفَرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



(١) ومن فضل الله تعالى أنه أثناء قيامي بمراجعة الكتاب رأيت الشيخ الجزائري في الرؤيا وهو يعطي درسا بأحد المساجد، وفي أثناء الدرس توقف فضيلته وطلب مني أن أكمل الدرس مكانه، فوقع في ذهني أن أتكلم عن محبة الله تعالى، أخبرني الأخ حامل الكتاب - بعد صدوره - إلى الشيخ الجزائري أنه سر عند رؤية الكتاب. تنبيه: لم أقحم المخترعات العلمية ضمن هذا الكتاب.



## بداية الكلام من كتاب أيسر التفاسير

التفسير لغة: الشرح والبيان.

وإرشاده، ويعتبر بقصصه، ويتعظ بمواعظه.

السورة: السورة<sup>(١)</sup> قطعة من كتاب الله تشتمل على ثلاث آيات فأكثر. وسور القرآن الكريم مائة وأربع عشرة سورة أطولها البقرة وأقصرها «الكوثر».

الفاتحة: فاتحة كل شيء بدايته، وفاتحة القرآن الكريم الحمد لله رب العالمين.

ولذا سميت الفاتحة. ولها أسماء كثيرة منها أم القرآن. والسبع المثاني<sup>(٢)</sup>. وأم الكتاب<sup>(٣)</sup>، والصلاة<sup>(٤)</sup>.

مكية: المكي من السور: ما نزل بمكة، والمدني منه ما نزل بالمدينة، والسور المكية غالبها يدور على بيان العقيدة وتقريرها والاحتجاج بها وضرب المثل لبيانها وتثبيتها، وأعظم أركان العقيدة: توحيد الله تعالى في عبادته، وإثبات نبوة رسول الله ﷺ، وتقرير مبدأ المعاد والدار الآخرة، والسور المدنية يكثر فيها التشريع وبيان الأحكام من حلال وحرام.

الآيات: جمع آية وهي لغة: العلامة. وفي القرآن: جملة من كلام الله تعالى تحمل الهدى للناس بدلالاتها على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه، وعلى نبوة محمد ﷺ ورسالته، وآيات القرآن الكريم ستة آلاف ومائتا آية وزيادة<sup>(٥)</sup>. وآيات الفاتحة سبع<sup>(٦)</sup> بدون البسملة.



(١) لفظ السورة مشتق إما من سورة البلد لارتفاعها وعلو شأنها، أو من سور الشراب وهي البقية إذ هي بقية من كتاب الله تعالى أي قطعة منه، وكونها مشتقة من الرفعة وعلو الشأن أولى.

ويشهد لذلك قول الشاعر:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

(٢) سميت بالسبع المثاني لأنها تثنى أي تكرر في كل ركعة من الصلاة.

(٣) سميت بأم الكتاب لاشتمالها على أصول ما جاء في القرآن من العقائد والعبادات والشرائع والقصص.

(٤) لقول النبي ﷺ عن ربه: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي قسمين ولعبدي ما سأل فإذا قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله: حمدني عبدي... الحديث رواه النسائي وغيره.

(٥) الزيادة تتراوح ما بين أربع آيات إلى أربعين آية على خلاف بين القراء.

(٦) وقيل البسملة هي الآية السابعة، وإليه ذهب الشافعي فأوجب قراءتها في الصلاة وعلى القول الراجح بأن البسملة ليست آية، فالآية السابعة هي: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الْكَاذِبِينَ﴾ ويكون ﴿مِرْطَ الَّذِينَ أُنْمِتَتْ عَلَيْهِمْ﴾ الآية السادسة.

## الإستعاذة (١)

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

الاستعاذة: قول العبد: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .

أَعُوذُ: أستجير وأتحصن .

بِاللَّهِ: برب كل شيء والقادر على كل شيء والعليم بكل شيء وإله الأولين والآخرين .

مِنَ الشَّيْطَانِ: إبليس لعنه الله .

الرَّجِيمِ: المرجوم المبعد المطرود من كل رحمة وخير .



## البسمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

البسمة: قول العبد: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ .

بِسْمِ: الاسم: لفظ جُعل علامة على مسمى يعرف به ويتميز عن غيره .

اللَّهِ: اسم علم على ذات الرب تبارك وتعالى يُعرف به .

الرَّحْمَنِ: اسم من أسماء الله تعالى مشتق من الرحمة دال على كثرة الرحمة .

الرَّحِيمِ: اسم وصفة لله تعالى مشتق من الرحمة دال على كثرة الرحمة وإفاضتها على الخلائق (٢) .



(١) العياذ بالله تعالى يكون للاستجارة بالله من المكروه، واللياذ بالله تعالى يكون لطلب المحبوب .  
يشهد لهذا قول الشاعر:

يا من ألوذ به فيما أومله      ومن أعوذ به ممن أحاذره  
لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسره      ولا يهيضون عظمًا أنت جابره

(٢) معنى البسمة:

أبتدى قراءتي متبركًا بسم الله الرحمن الرحيم مستعينًا به بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

ويقدر متعلق الجار والمجرور بحسب المقام فالقارئ يقول: أبتدى قراءتي، والكاتب يقول: أبتدى كتابتي،  
والأكل يقول: أبتدى أكلي وهكذا .

## ١ - سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ: الوصف بالجميل، والثناء به على المحمود ذي الفضائل والفضائل<sup>(١)</sup>. كالمدح والشكر<sup>(٢)</sup>.

بِئْسَ: اللام حرف جر ومعناه الاستحقاق أي: أن الله مستحق لجميع المحامد، والله علم على ذات الرب تبارك وتعالى.

رَبِّ: الرب: السيد المالك المصلح المعبود بحق ﷻ.

الرَّحْمَنِ: جمع عالم وهو كل ما سوى الله تعالى، كعالم الملائكة وعالم الجن وعالم الإنس وعالم الحيوان.

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

مَلِكٍ: المالك: صاحب الملك المتصرف كيف شاء.

مَلِكٍ<sup>(٣)</sup>: الملك ذو السلطان الأمر الناهي المعطي المانع بلا ممانع ولا منازع.

يَوْمِ الدِّينِ: يوم الجزاء وهو يوم القيامة حيث يجزي الله كل نفس بما كسبت.

إِيَّاكَ: ضمير نصب يخاطب به الواحد.

تَعَبُّدٌ<sup>(٤)</sup>: نطيع مع غاية الذل لك والتعظيم والحب ﴿وَإِيَّاكَ﴾.

نَسْتَعِينُ: نطلب عونك لنا على طاعتك، وعلى كل ما يهم العبد من أمور دينه ودنياه.

أَهْدِنَا: أرشدنا وأدم هدايتنا.

الصِّرَاطَ: الطريق الموصل إلى رضاك وجنتك وهو الإسلام لك.

المُسْتَقِيمَ: الذي لا ميل فيه عن الحق ولا زيغ عن الهدى.

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ: هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، وكل من أنعم الله عليهم

بالإيمان به تعالى ومعرفته، ومعرفة محابه، ومساخطه، والتوفيق لفعل المحاب وترك المكاره.

غَيْرٍ: لفظ يستثنى به كإلا.

(١) الفواضل: النعم.

(٢) الشكر: الثناء باللسان على المنعم بما أولى من النعم فهو أخص من الحمد مورداً وأعم متعلقاً.

(٣) قرأ حفص ﴿مَلِكٍ﴾ باسم الفاعل وقرأ نافع (ملك) بدون ألف وهما قراءتان سبعيتان.

(٤) العدول عن نعبتك ونستعينك إلى ﴿إِيَّاكَ تَعَبُّدٌ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لإفادة الاختصاص والحصر.

الْمَعْضُوبِ عَلَيْهِمْ: من غضب الله تعالى عليهم لكفرهم وإفسادهم في الأرض كاليهود.  
وَلَا الضَّالِّينَ<sup>(١)</sup>: من أخطئوا طريق الحق فعبدوا الله بما لم يشرعه كالنصارى.

تنبيه أول: كلمة آمين ليست من الفاتحة ويستحب أن يقولها الإمام إذا قرأ الفاتحة يمد بها صوته ويقولها المأموم والمنفرد كذلك؛ لقول الرسول ﷺ: «إذا أمن الإمام فأمنوا»<sup>(٢)</sup> أي: قولوا آمين بمعنى اللهم استجب دعاءنا.

تنبيه ثان: قراءة الفاتحة واجبة في كل ركعة من الصلاة، أما المنفرد والإمام فلا خلاف في ذلك، وأما المأموم فإن الجمهور من الفقهاء على أنه يسن له قراءتها في السرية دون الجهرية لحديث: «من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة»<sup>(٣)</sup>، ويكون مخصصاً لعموم حديث: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»<sup>(٤)</sup>.



(١) الضلال هو الانحراف والبعد عن الهدى المطلوب وهو في الشرع نوعان: ضلال في الاعتقاد، وضلال في العمل فالضلال في الاعتقاد: هو كل اعتقاد مخالف كلاً أو بعضاً للمعتقد الإسلامي الذي بينه الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله محمد ﷺ، والضلال في العمل: هو عبادة الله تعالى بغير ما شرع والتقرب إليه عز وجل بما لم يشرعه قربةً، ولا ينجو من هذا الضلال إلا من تمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

(٢) رواه البخاري.

(٣) حسن (م-هـ) عن جابر (انظر صحيح الجامع) (قل).

(٤) متفق عليه (انظر صحيح الجامع) (قل).



**الباب الأول**  
**سورة البقرة**



## ٢ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ

«مَدَنِيَّة»

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَمْ: هذه هي الحروف المقطعة تكتب ﴿الَمْ﴾. وتقرأ هكذا: ألف لام ميم. والسور المفتحة بالحروف المقطعة تسع وعشرون سورة أولها «البقرة» هذه وآخرها «القلم» (ن)، ومنها الأحاديث مثل ﴿ص﴾، و﴿ق﴾، و﴿ن﴾ ومنها الثنائية مثل ﴿طه﴾، و﴿يس﴾، و﴿حم﴾، ومنها الثلاثية والرباعية والخماسية. ولم يثبت في تفسيرها عن النبي ﷺ شيء. وكونها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه أقرب إلى الصواب، ولذا يقال فيها: ﴿الَمْ﴾ الله أعلم بمراده بذلك. وقد استخراج منها بعض أهل العلم فائدتين: الأولى: أنه لما كان المشركون يمنعون سماع<sup>(١)</sup> القرآن مخافة أن يؤثر في نفوس السامعين كان النطق بهذه الحروف (حم، طس، ق، كهيعص) وهو منطوق غريب عنهم يستميلهم إلى سماع القرآن فيسمعون فيتأثرون وينجذبون فيؤمنون ويسمعون وكفى بهذه الفائدة من فائدة. والثانية: لما أنكر المشركون كون القرآن كلام الله أوحاه إلى رسوله محمد ﷺ كانت هذه الحروف بمثابة المتحدي لهم كأنها تقول لهم: إن هذا القرآن مؤلف من مثل هذه الحروف فألفوا أنتم مثله. ويشهد بهذه الفائدة ذكر لفظ القرآن بعدها غالباً نحو: ﴿الَمْ﴾ (١) ذَلِكَ أَنْ كَتَبَ ﴿الَمْ﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ﴿طس﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ ﴿﴾، كأنها تقول: إنه من مثل هذه الحروف تألف القرآن فألفوا أنتم نظيره فإن عجزتم فسلموا أنه كلام الله ووحيه وآمنوا به تفلحوا. ذَلِكَ: هذا وإنما عدل عن لفظ هذا إلى ذلك. لما تفيد الإشارة بلام البعد من علو المنزلة وارتفاع القدر والشأن.

الْكِتَابِ: القرآن الكريم الذي يقرؤه رسول الله ﷺ على الناس.

لَا رَيْبَ فِيهِ: لا شك في أنه وحى الله وكلامه أوحاه إلى رسوله.

فِيهِ هُدًى: دلالة على الطريق الموصل إلى السعادة والكمال في الدارين.

لِلْمُتَّقِينَ: المتقين عذاب الله بطاعته بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ: يصدقون تصديقاً جازماً بكل ما هو غيب لا يدرك بالحواس كالرب تبارك

وتعالى ذاتاً وصفاتٍ والملائكة والبعث، والجنة ونعيمها والنار وعذابها.

وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ: يديمون أداء الصلوات الخمس في أوقاتها مع مراعاة شرائطها وأركانها وسننها

ونوافلها الراتبه وغيرها.

(١) دليله قوله تعالى من سورة فصلت: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا سَمْعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالنَّوَافِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٦٦).

وَمَا رَزَقْنَهُمْ يُفِقُونَ: من بعض ما آتاهم من مال ينفقون وذلك بإخراجهم لزكاة أموالهم  
وبإنفاقهم على أنفسهم وأزواجهم وأولادهم ووالديهم وتصدقهم على الفقراء والمساكين.  
وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ: يصدقون بالوحي الذي أنزل إليك أيها الرسول وهو الكتاب والسنة.  
وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ: ويصدقون بما أنزل الله تعالى من كتب على الرسل قبلك كالتوراة والإنجيل  
والزبور.

وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ: وبالحياة في الدار الآخرة وما فيها من حساب وثواب وعقاب هم عالمون  
متيقنون لا يشكون في شيء من ذلك ولا يرتابون لكامل إيمانهم وعظم اتقائهم.  
أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ: الإشارة إلى أصحاب الصفات الخمس السابقة والإخبار عنهم بأنهم  
بما هداهم الله تعالى من الإيمان وصالح الأعمال هم متمكنون من الاستقامة على منهج الله  
المفضي إلى الفلاح.

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ: الإشارة إلى أصحاب الهداية الكاملة والإخبار عنهم بأنهم هم  
المفلحون الجديرون بالفوز الذي هو دخول الجنة بعد النجاة من النار.  
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا: الكفر لغة: التغطية والجحود، وشرعاً: التكذيب بالله وبما جاءت به رسوله  
عنه كلاً أو بعضاً.

سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ: بمعنى مستوٍ إنذارهم وعدمه، إذ لا فائدة منه لحكم الله بعدم هدايتهم.  
ءَأَنْذَرْتَهُمْ: الإنذار: التخويف بعاقبة الكفر والظلم والفساد. ﴿أَمْ لَمْ نُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١)  
خَتَمَ اللَّهُ: طبع إذ الختم والطبع واحد وهو وضع الخاتم أو الطابع على الظرف. حتى لا يعلم  
ما فيه ولا يتوصل إليه فيبدل أو يغير. ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ حتى لا تفقه ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾: على آذانهم  
حتى لا تسمع.

وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ: حتى لا تبصر. الغطاء يغشى به ما يراد منع وصول شيء إليه.  
وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ: العذاب، الألم يزيل عذوبة الحياة ولذاتها.  
وَمِنَ النَّاسِ: من بعض الناس، وهم المنافقون.

مَنْ يَقُولُ ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ: صدقنا بالله رباً وإلهاً لا إله غيره ولا رب سواه.

وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ: صدقنا بالبعث والجزاء يوم القيامة. ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٢)  
يُخَدِّعُونَ اللَّهَ: بإظهارهم الإيمان وإخفائهم الكفر. ﴿وَالَّذِينَ ءَأَمَّنُوا﴾

وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ: إذ عاقبة خداعهم تعود عليهم لا على الله ولا على رسوله ولا على

(١) فهو بمعنى مستوٍ أي: استوى إنذارهم وعدمه في أنهم لا يؤمنون، وهذا من العام الخاص، إذ ما كل الكافرين لا  
يؤمنون وإنما من كتبت عليهم الشقوة أزالا كآبي لهب وآبي جهل وعقبة والمعاصي والنصر وغيرهم.  
(٢) يدعون الإيمان بألستهم، ويغترون الكفر في قلوبهم وهم المنافقون.



المؤمنين.

وَمَا يَشْعُرُونَ : لا يعلمون أن عاقبة خداعهم عائدة عليهم.  
 فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ : في قلوبهم شك ونفاق وألم الخوف من افتضاح أمرهم والضرب على أيديهم.

فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا : شكًا ونفاقًا وألمًا وخوفًا حسب سنة الله في أن السيئة لا تعقب إلا سيئة.  
 وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : موجع شديد الوقع على النفس. ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ ﴿١١﴾ .  
 وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا (١) : الفساد: الكفر وارتكاب المعاصي فيها.  
 فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (٢) : الإصلاح في الأرض يكون بالإيمان الصحيح والعمل الصالح وترك الشرك والمعاصي.

أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ : لا يدرون ولا يعلمون.  
 وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ : جمع سفيه خفيف العقل لا يحسن التصرف والتدبير ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٢﴾ .  
 وَإِذَا لَقُوا : اللقاء والملاقة: المواجهة وجهًا لوجه.  
 الَّذِينَ ءَامَنُوا : الإيمان الشرعي: التصديق بالله وبكل ما جاء به رسول الله عن الله، وأهله هم المؤمنون حقًا. ﴿قَالُوا ءَامَنَّا﴾ .

وَإِذَا حَلَقُوا : الخلو بالشيء، الانفراد به.  
 إِلَى شَيْطَانِهِمْ : الشيطان كل بعيد عن الخير قريب من الشر يفسد ولا يصلح من إنسان أو جان والمراد بهم هنا رؤساؤهم في الشر والفساد.  
 قَالُوا إِنَّمَا نَعْمَكُمُ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ (٣) : الاستهزاء: الاستخفاف والاستسخار بالمرء.  
 اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ : الطغيان مجاوزة الحد في الأمر والإسراف فيه.  
 يَعْمَهُونَ : العمه للقلب كالعمى للبصر: عدم الرؤية وما ينتج عنه من الحيرة والضلال.  
 أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى : استبدلوا بالهدى الضلالة أي تركوا الإيمان وأخذوا الكفر.

فَمَا رِيحَتْ يَحْتَرْتُهُمْ : التجارة دفع رأس مال لشراء ما يربح إذا باعه، والمنافقون هنا دفعوا رأس مالهم وهو الإيمان لشراء الكفر آملين أن يربحوا عزًا وغنى في الدنيا فخسروا ولم يربحوا إذ ذلوا وعذبوا، وافتقروا بكفرهم.

(١) أصل الإفساد: جعل منفعة الشيء مضرًا كإفساد الطعام ونحوه بما يُلقى فيه.

(٢) قولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ لا ذم فيه وإنما جاء الذم من كونهم مفسدين وادعوا أنهم مصلحون.

(٣) أي: يستهزئون ويسخرون من محمد وأصحابه.

وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ : المهتدي: السالك سبيلاً قاصدة تصل به إلى ما يريد في أقرب وقت وبلا عناء، والضال خلاف المهتدي وهو السالك سبيلاً غير قاصدة فلا تصل به إلى مراده حتى يهلك قبل الوصول.

مَثَلُهُمْ : صفتهم وحالهم.

كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا <sup>(١)</sup> : أوقد نازراً. ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ .

صُمُّ بِيكُمُ عُمَى : لا يسمعون ولا ينطقون ولا يبصرون. ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ <sup>(١٨)</sup> أي: لا يرجعون عن الكفر إلى الإيمان.

أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ : الصيب المطر.

فِي ظُلُمَاتٍ : ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة المطر.

وَرَعْدٌ : الصوت القاصف يسمع حال تراكم السحاب ونزول المطر.

وَبَرْقٌ : ما يلمع من نور حال تراكم السحاب ونزول المطر. ﴿يَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ حتى

لا يسمعون صوت الصواعق حذراً أن تنخلع قلوبهم فيموتوا.

مِنَ الصَّوَاعِقِ : جمع صاعقة: نار هائلة تنزل أثناء قصف الرعد ولمعان البرق يصيب الله تعالى بها

من يشاء.

حَذَرَ الْمَوْتِ : توقياً للموت.

وَاللَّهُ مُحِيطٌ : المحيط المكتنف للشيء من جميع جهاته. ﴿بِالْكَافِرِينَ﴾ <sup>(١٩)</sup> .

يَكَادُ الْبَرْقُ : يغرب.

يَحْتَفُ : يأخذه بسرعة.

أَبْصَرَهُمْ : جمع بصر وهو العين المبصرة. ﴿كَمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ

اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ <sup>(٢٠)</sup> .

يَأْتِيهَا : يا: حرف نداء للبعيد وينادى بها القريب تعظيماً له، نحو يا الله يا رب، وهو تعالى

أقرب من جبل الوريد.

أي: صلة للتوصل بها لنداء ما فيه (أل) نحو أيها الناس.

ها: حرف تنبيه أقحمت بين (أي) والمنادى.

النَّاسُ : لفظ جمع لا مفرد له من لفظه، واحده إنسان.

أَعْبُدُوا : أطيعوا بالإيمان والامتثال للأمر والنهي مع غاية الحب والتعظيم.

(١) عدل عن لفظ: ذهب الله بنارهم. إلى قوله: نورهم إشارة إلى أن الإسلام نور يهدي لا نار تحرق.

رَبِّكُمْ : خالقكم ومالك أمركم وإلهكم الحق .  
 الَّذِي خَلَقَكُمْ : أوجدكم من العدم بتقدير عظيم . ﴿ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ .  
 لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ : تتخذون وقاية تحفظكم من عذاب الله وذلك بالإيمان والعمل الصالح بعد  
 ترك الشرك والمعاصي . ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ﴾ .  
 فِرَاشًا : وطاء للجلوس عليها والنوم فوقها .  
 وَالسَّمَاءَ بِنَاءً : مبنية كقبة فوقكم .  
 وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الشَّجَرَاتِ : جمع ثمرة وهو ما تخرجه الأرض من حبوب وخضر  
 وتخرجه الأشجار من فواكه .  
 رِزْقًا لَكُمْ : قوتًا لكم تقتاتون به فتحفظ حياتكم إلى أجلها .  
 فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا : جمع ند: النظير والمثيل تعبدونه دون الله أو مع الله تضادون به الرب  
 تبارك وتعالى : ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٢) أنها لا تخلق ولا ترزق (١) .  
 ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ ﴾ : الريب: الشك مع اضطراب النفس وقلقها .  
 مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا : محمد ﷺ .  
 فَأَتُوا بِشُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ : مثل القرآن ومثل محمد في أميته .  
 وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ : أنصاركم وأهتكم التي تدعون أنها تشهد لكم عند الله وتشفع .  
 إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ : ما تنقد به  
 وتشتعل وهو الكفار والأصنام المعبودة مع الله ﷻ .  
 أُعِدَّتْ : هيئت وأحضرت .  
 لِلْكَافِرِينَ : الجاحدين لحق الله تعالى في العبادة له وحده المكذبين برسوله وشرعه .  
 وَبَشِيرٍ : التبشير: الإخبار السار وذلك يكون بالمحبوب للنفس . الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
 الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ : تجري الأنهار من خلال أشجارها وقصورها ،  
 والأنهار هي أنهار الماء وأنهار اللبن وأنهار الخمر وأنهار العسل . ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا  
 قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ .  
 وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا : أعطوا الثمار وقدم لهم يشبه بعضه بعضًا في اللون مختلف في الطعم .  
 وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ : من دم الحيض والنفاس (٢) وسائر المعائب والنقائص .  
 وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ : باقون فيها لا يخرجون منها أبدًا .

(١) صفوة التفاسير .

(٢) وكذا البول والغائط .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ۖ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ۚ لَا يَمْنَعُهُ الْحَيَاءُ ﴾<sup>(١)</sup> من ضرب الأمثال وإن صغرت كالبعوض أو أصغر منها كجناحها كالذرة.

أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا : أن يجعل شيئًا مثلًا لآخر يكشف عن صفته وحاله في القبح أو الحسن.  
مَا بَعُوضَةٌ فَمَا قَوْفَهَا<sup>(٢)</sup> : (ما) نكرة بمعنى شيء أي شيء كان يجعله مثلًا، أو زائدة، وبعوضة المفعول الثاني. والبعوضة واحدة البعوض وهو صغار البق.  
﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾

الْحَقُّ : الواجب الثبوت الذي يحيل العقل عدم وجوده. ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۖ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> : الفسق: الخروج عن الطاعة، والفاسقون: هم التاركون لأمر الله تعالى بالإيمان والعمل الصالح وبترك الشرك والمعاصي.

الَّذِينَ يَنْقُضُونَ : النقض الحل بعد الإبرام.

عَهْدَ اللَّهِ : ما عهد به إلى الناس من الإيمان والطاعة له ولرسوله.

مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ : من بعد إبرامه وتوثيقه بالحلف أو الإشهاد عليه.

وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ۖ أَنْ يُوصَلَ : من إدامة الإيمان والتوحيد والطاعة وصلة الأرحام.

وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ : الإفساد في الأرض يكون بالكفر وارتكاب المعاصي.

أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ : الكاملون في الخسران بحيث يخسرون أنفسهم وأهلهم يوم القيامة.

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ : الاستفهام هنا للتعجب مع التقرير والتوبيخ لعدم وجود مقتضى

للكفر.

وَكَنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ : هذا برهان على بطلان كفرهم، إذ كيف يكفر العبد ربه وهو

الذي خلقه بعد أن لم يك شيئًا.

ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ : إن إماتة الحي وإحياء الميت كلاهما دال على وجود الرب تعالى

وقدرته.

ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ : يريد بعد الحياة الثانية وهو البعث الآخر.

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا : أي أوجد ما أوجده من خيرات الأرض كل ذلك

لأجلكم كي تنتفعوا به في حياتكم.

ثُمَّ أَسْتَوِي إِلَى السَّمَاءِ : علا وارتفع قهرًا لها فكونها سبع سموات.

(١) الحياء: تغير وانكسار يعتري الإنسان عند الخوف مما يعاب أو يذم، والله يوصف بالحياء على الوجه اللائق به؛

فصفة الحياء عنده تعالى لا تشبه صفات المحدثين كسائر صفاته سبحانه تعالى.

(٢) كالفراشة والجرادة.

فَسَوَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ : أتم خلقهن سبع سموات تامات .  
وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ : إخبار بإحاطة علمه تعالى بكل شيء ، وتدليل على قدرته وعلمه ووجوب عبادته .

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ : جمع ملاك ويخفف فيقال ملك وهم خلق من عالم الغيب أخبر النبي ﷺ أن الله تعالى خلقهم من نور<sup>(١)</sup> .

إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً : الخليفة: من يخلف غيره والمراد به هنا آدم ﷺ .

قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا : الإفساد في الأرض يكون بالكفر وارتكاب المعاصي<sup>(٢)</sup> .  
وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ : يسيل الدماء بالقتل والجراح .

وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ : نقول سبحان الله وبحمده ، والتسبيح: التنزيه عما لا يليق بالله تعالى .

وَنُقَدِّسُ لَكَ : فننزهك عما لا يليق بك . والتقديس: التطهير والبعد عما لا ينبغي . واللام في

(لَكَ) زائدة لتقوية المعنى إذ فعل قدس يتعدى بنفسه فيقال: قدسه . ﴿ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا

تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٣٠﴾ .

وَعَلَّمَ آدَمَ : نبي الله أبو البشر ﷺ .

الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا : أسماء الأجناس كلها كالماء والنبات والحيوان والإنسان .

ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ : عرض المسميات أمامهم ، ولما كان بينهم العقلاء غلب جانبهم ،

وإلا لقال عرضها .

فَقَالَ أَنبِيُّنِي : أخبروني .

بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ : المعروفين عليهم من سائر المخلوقات . ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿٣١﴾ .

قَالُوا سُبْحَانَكَ : تنزيهاً لك وتقديساً . ﴿ لَا أَعْلَمُ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ ﴾ .

الْحَكِيمُ : الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه ولا يفعل ولا يترك إلا لحكمة . ﴿ قَالَ يَتَقَدَّمُ

أَنبِيُّهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ ﴾ .

إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ : ما غاب عن الأنظار في السموات والأرض .

وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ : تظهرون من قولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ الآية .

وَمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ : تبطنون وتخفون يريد ما أضمره إبليس من مخالفة أمر الله تعالى وعدم

طاعته . ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ﴾ .

أَسْجُدُوا لِآدَمَ : السجود: هو وضع الجبهة على الأرض ، وقد يكون بانحناء الرأس دون

(١) خلق الملائكة من النور صح عن النبي ﷺ في صحيح مسلم .

(٢) إذ هو سؤال استعمال واستكشاف في الحكمة في ذلك وليس هو من باب الاعتراض على الله أبداً .

وضعه على الأرض لكن مع تذلل وخضوع<sup>(١)</sup>.

فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ : قيل كان اسمه الحارث ولما تكبر عن طاعة الله أبلسه الله أي: أيأسه من كل خير ومسخه شيطاناً.

أَبَى : امتنع ورفض السجود لآدم.

وَأَسْتَكْبَرَ : تعاضم في نفسه فمنعه الاستكبار والحسد من الطاعة بالسجود لآدم.

وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ : جمع كافر من كذب بالله تعالى أو كذب بشيء من آياته أو بواحد من رسله أو أنكر طاعته. ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا ﴾.

رَعْدًا : العيش الهني الواسع يقال له الرغد. حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا.

هَذِهِ الشَّجَرَةُ : شجرة من أشجار الجنة وجائز أن تكون كرمًا أو تينًا أو غيرها وما دام الله تعالى

لم يعين نوعها فلا ينبغي السؤال عنها.

فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ : لأنفسهما بارتكاب ما نهى الله تعالى عنه.

فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا<sup>(٢)</sup> : أوقعهما في الزلل، وهو مخالفتها لنهي الله تعالى لهما عن الأكل من الشجرة. ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾.

مُسْتَقَرٌّ : المستقر: مكان الاستقرار والإقامة.

وَمَتَّعُ إِلَى حِينٍ : الحين الوقت مطلقاً قد يقصر أو يطول والمراد به نهاية الحياة.

فَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ : أخذ آدم ما ألقى الله تعالى إليه من كلمات التوبة.

كَلِمَاتٍ : هي قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّنَا تَغْفِرٌ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>

[الأعراف: ٢٣].

فَنَابَ عَلَيْهِ : وفقه للتوبة فتاب وقبل توبته، لأنه تعالى تواب رحيم. ﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾<sup>(٤)</sup>.

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا : انزلوا من الجنة إلى الأرض لتعيشوا فيها متعادين<sup>(٥)</sup>.

(١) وهو هنا سجود تحية وإكرام وقد ذكر القرطبي في تفسيره: أن السجود الذي أمرت به الملائكة هو أن يسجدوا لله تعالى مُستقبلين وجه آدم وعليه فهو كصلاتنا خلف المقام، الصلاة لله والاستقبال للمقام. وقد أجمع أهل الإسلام قاطبة أن السجود لا يكون إلا لله تعالى.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله: وقوله تعالى: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾ يصح أن يكون الضمير في قوله ﴿ عَنْهَا ﴾ عائداً إلى الجنة، فيكون معنى الكلام فأزلهما أي فنحاهما، ويصح أن يكون عائداً على أقرب المذكورين وهو الشجرة فيكون معنى الكلام ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ﴾ أي: من قبل الزلل، فعلى هذا يكون تقدير الكلام ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾ أي بسببها، كما قال تعالى: ﴿ يُؤْتِكُ عَنْهُ مَنْ آفَكَ ﴾ أي يصرف بسببه من هو مأفوك، ولهذا قال تعالى: ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ أي من اللباس والمنزل الرحب والرزق الهنيء. الراحة. اهـ (قل).

(٣) أي: إبليس وذريته، وآدم وذريته، وكان هذا قبل أن يوجد لكن منهما ذرية ثم أوجدت كما أخبر تعالى وكانت

فَأَمَّا يَا تَبِيتَنُّكُمْ مَنِي هُدَى : إن يجتكم من ربكم هدى: شرع ضمنه كتاب وبينه رسول.  
 فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ : أخذ بشري فلم يخالفه ولم يحد عنه.  
 فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ : جواب شرط فمن تبع هداي، ومعناه اتباع الهدى يفضي بالعبد  
 إلى أن لا يخاف ولا يحزن لا في الدنيا ولا في الآخرة.  
 وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا : كفروا: جحدوا شرع الله، وكذبوا رسوله.  
 أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ : أهلها الذين لا يفارقونها بحيث لا يخرجون منها.  
 يَسْبِقِي إِسْرَائِيلَ : إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام. وبنوه هم اليهود لأنهم  
 يعودون في أصولهم إلى أولاد يعقوب الاثني عشر<sup>(١)</sup>.  
 أَذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ : النعمة هنا اسم جنس بمعنى النعم، ونعم الله تعالى على بني  
 إسرائيل كثيرة ستمر أفرادها في الآيات القرآنية الآتية<sup>(٢)</sup>.  
 وَأَوْفُوا بِعَهْدِي : الوفاء بالعهد إتمامه وعهد الله عليهم أن يبينوا أمر محمد عليه السلام ويؤمنوا به.  
 أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ : أتم لكم عهدكم بإدخالكم الجنة بعد إكرامكم في الدنيا وعزكم فيها.  
 وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ : اخشوني ولا تخشوا غيري.  
 وَعَآمِنُوا يَمَّا أَنْزَلْتُ : القرآن الكريم. مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَ كَافِرِينَ<sup>(٣)</sup>.  
 وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي : لا تعترضوا عن بيان الحق في أمر محمد عليه السلام.  
 ثَمَنًا قَلِيلًا : متاع الحياة الدنيا.  
 وَإِنِّي فَأَنْقُوتُونَ : واتقون وحدي في كتمانكم الحق وجحدكم نبوة نبيي محمد أن أنزل بكم نغمتي.  
 وَلَا تَلْسُوا الْحَقَّ بِالْبَطْلِ : أي لا تخلطوا الحق بالباطل حتى يعلم فيعمل به، وذلك قولهم:  
 محمد نبي ولكن مبعوث إلى العرب لا إلى بني إسرائيل. ﴿وَتَكُونُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعَامُونَ﴾ (٤) وَأَقِيمُوا  
 الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ ﴿﴾.  
 الرُّكُوعِينَ : الركوع الشرعي: انحناء الظهر في امتداد واعتدال مع وضع الكفين على الركبتين  
 والمراد هنا: الخضوع لله والإسلام له عليه السلام<sup>(٤)</sup>.

العداوة على أشدها.

(١) هم يوسف عليه السلام وإخوته يهوذا، وبنيامين وغيرهما.

(٢) منها إنجاؤهم من فرعون، وتحررهم من سلطانه، ومنها إهلاك عدوهم، وإنزال المن والسلوى عليهم.

(٣) لا تكونوا أول من يكفر به منكم يا بني إسرائيل، إذ العرب سبق أن كفروا بالقرآن قبلهم، فأول كافر به؛ أي:

منهم، وهو اليهود.

(٤) وجائز أن يُراد به الصلاة مع المصلين وهم الرسول وأصحابه؛ إذ الخطاب لليهود المدينة بصورة خاصة، ولا

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ ﴾ : البر لفظ جامع لكل خير. والمراد هنا الإيمان بمحمد ﷺ والدخول في الإسلام.

وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ : النسيان: مقابل الذكر، وهو هنا الترك.  
وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ : قراءته، والكتاب هنا التوراة التي بأيدي اليهود.  
أَفَلَا تَعْقِلُونَ : العقل: قوة باطنية يميز بها المرء بين النافع والضار، والصالح والفاسد.  
وَأَسْتَعِينُوا : الاستعانة: طلب العون للقدرة على القول والعمل. ﴿بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ .  
بِالصَّبْرِ : حبس النفس على ما تكره. ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى﴾ .  
الْحَاشِعِينَ : الخشوع: حضور القلب وسكون الجوارح، والمراد هنا الخشوع لله والطاعة لأمره ونهيه<sup>(١)</sup>.

الَّذِينَ يُظُنُّونَ : يوقنون (يطلق الظن ويراد به اليقين، لا الظن المقابل للشك أفاده ابن جرير في تفسيره).

أَنْتُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ : بالموت.

وَأَنْتُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ : أي يوم القيامة. ﴿يَتَّبِعِي إِسْرَاءَ بِلْ أَدْرُكُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ .  
وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ<sup>(٢)</sup> : آتاهم من النعم الدينية والدينية ما لم يؤت غيرهم من الناس وذلك في عهد موسى ﷺ وفي أزمنة صلاحهم واستقامتهم.  
وَأَنْتُمْ يَوْمًا : المراد باليوم يوم القيامة بدليل ما وصف به، واتقاؤه هو اتقاء ما يقع فيه من الأهوال والعذاب، وذلك بالإيمان والعمل الصالح<sup>(٣)</sup>.

لَا تَجْزِي نَفْسٌ : لا تغني نفس عن نفس أخرى أي غنى. ما دامت كافرة. ﴿عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ .  
وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ : هذه النفس الكافرة إذ هي التي لا ينفعها شفاعة الشافعين<sup>(٤)</sup>.  
وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ : على فرض أنها تقدمت بعدل وهو الفداء فإنه لا يؤخذ منها.

مُنَافَاةً بين ما شرحت به الآية، وبين ما ذكر هنا تعليقا، إذ الإسلام لله يستلزم الصلاة. وفي اللغة دليل تأكيد صلاة الجماعة.

(١) الجمهور على تفسير الضمير في ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ بالصلاة وخالفهم في ذلك لوجود من قال: إنها ما أمروا به ونهوا عنه وهو أعم من الصلاة. اهـ. والحق ما ذهب إليه الجمهور (قل).

(٢) المراد بالعالمين: عالمو زمانهم.

(٣) وترك الشرك، والمعاصي.

(٤) الشفاعة: ضم جاه إلى جاه ليحصل النفع للمشفوع.

ولا تقبل شفاعة أحد يوم القيامة إلا بشرطين اثنين: الأول: أن يخون الشافع قد أذن الله تعالى له في الشفاعة، والثاني: أن يكون المشفوع له ممن رضي الله قوله وعمله وهو مؤمن الموحد.



وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ : بدفع العذاب عنهم.

وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ : إذ ظرفية ويقدر لها العامل وهو اذكروا إذ نجيناكم، اذكروا إذ فرقنا بكم البحر... إلخ الخلاص من الهلكة، كالاخلاص من الغرق. والاخلاص من العذاب.  
مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ : أتباع فرعون<sup>(١)</sup>. وفرعون ملك مصر على عهد موسى ﷺ.  
يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ : ييغونكم سوء العذاب وهو أشده وأفظعه ويذيقونكم إياه. ﴿يَذِبحُونَ  
أَبْنَاءَكُمْ﴾.

وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ : يتركون ذبح البنات ليكبرن للخدمة، ويذبحون الأولاد خوفاً منهم إذا  
كبروا.

وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ : ابتلاء وامتحان شديد لا يطاق.

وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ : صيرناه فرقتين، وما بينهما ييس لا ماء فيه لتسلكوه فتنجوا والبحر هو  
بحر القلزم (الأحمر). ﴿فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ  
لَيْلَةً ﴿

ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ : عجل من ذهب صاغه لهم السامري ودعاهم إلى  
عبادته فعبده أكثرهم، وذلك في غيبة موسى عنهم. ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ﴾  
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ : الشكر: إظهار النعمة بالاعتراف بها وحمد الله تعالى عليها و صرفها في  
مرضاته. ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ﴾.

الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ : الكتاب: التوراة، والفرقان: المعجزات التي فرق الله تعالى بها بين الحق  
والباطل<sup>(٢)</sup>.

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ : إلى معرفة الحق في كل شئونكم من أمور الدين والدنيا. ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ  
يَتَقَوُّوا إِلَهُكُمْ﴾.

ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ : ظلم النفس: تدسيته بسئته الجريمة.

بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ : بجعلكم العجل الذي صاغه السامري من حلي نساكم إليها عبدتموه.

فَتَوَبُّوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ : البارئ: الخالق ﷻ.

فَأَقْبَلُوا أَنْفُسَكُمْ : أمرهم أن يقتل من لم يعبد العجل من عبده منهم وجعل ذلك توبتهم ففعلوا  
ذلك؛ فتاب عليهم بقبول توبتهم. ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾  
﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾.

(١) ممن هم على دين الباطل، من الأقباط المصريين وسواء كانوا أقارب له أم أباعد.

(٢) الفرقان: لفظ عام يُطلق على كل ما يفرق به بين الحق والباطل كالمعجزات والآيات والعلوم الصحيحة.

حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً : نراه عيانًا.

فَأَخَذَتْكُمْ الصَّاعِقَةُ : نار محرقة كالتي تكون مع السحب والأمطار والرعود. ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (٥٥).

ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ : أحييناكم. ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٥٦).

وَوَضَعْنَا عَيْنَيْكُمْ : سحاب رقيق أبيض.

وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ : المن: مادة لزجة حلوة كالعسل، والسلوى: طائر يقال له السمانى.

كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ : الطيبات: الحلال. ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٥٧).

وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ : مدينة القدس. ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾.

رَغَدًا : عيشًا واسعًا هنيئًا. وَادْخُلُوا الْبَابَ .

سُجَّدًا : ركعًا متطامنين لله خاضعين شكرًا لله على نجاتهم من التيه.

وَقُولُوا حِطَّةٌ : حطة كفعله مثل ردة، وحدة من رددت وحددت، أمرهم أن يقولوا حطة بمعنى احطط

عنا خطايانا، ورفع (حِطَّة) على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره: دخولنا الباب سجدًا حطةً لذنوبنا.

نَعْفِرْ لَكُمْ : نمح ونستر.

خَطَايَاكُمْ : الخطايا جمع خطيئة: الذنب يقترفه العبد. ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٨).

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ : غيروا القول الذي قيل لهم قولوه وهو حطة

فقالوا: حبة في شعيرة.

فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ : وباء الطاعون. ﴿يَمَا كَانُوا﴾.

يَفْسُقُونَ : يخرجون عن طاعة الله ورسله إليهم.

﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ : طلب لهم من الله تعالى السقيا أي الماء للشرب وغيره. ﴿فَقُلْنَا

أَضْرِبْ﴾.

بِعَصَاكَ الْحَجَرَ : عصا موسى التي كانت معه منذ خرج من بلاد مدين. والحجر هو حجر

مربع الشكل من نوع الكذان، رخو كالمدر. وهل هو الذي فر بثوب موسى في حادثة معروفة<sup>(١)</sup>

كذا قيل أو هو حجر من سائر الأحجار<sup>(٢)</sup>؟ الله أعلم.

فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا : الانفجار: الانشقاق. فانفجرت: انشقت من العصا العيون.

فَدَعَلِمَ كُلُّ أَنَاثٍ .

مَشْرِبُهُمْ : موضع شربهم. ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾.

مِنْ رِزْقِ اللَّهِ : ما رزق الله به العباد من سائر الأغذية.

(١) انظر تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ﴾، من سورة الأحزاب الآية ٦٩ (قل).

(٢) كون (أل) في ﴿الْحَجَرَ﴾ لبيان الجنس وأن أي حجر يضربه موسى يتفجر منه الماء أظهر في المعجزة وأدل على قدرة الله تعالى.

وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ: العثى والعثي: أكبر الفساد وفعله عثى كرضي عثى كيرضى وعثا يعثو كعدا يعدو.

الإفساد: العمل بغير طاعة الله ورسوله في كل مجالات الحياة. ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُصِبرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِنْ الْأَرْضِ مِنْ﴾.

بَقْلِهَآ: البقل: وجمعه البقول سائر أنواع الخضر كالجزر والخردل والبطاطس ونحوها. وَقِثَآيَهَآ: القثاء: الخيار والقثّة ونحوهما.

وَقُومَهَآ: القوم: الحنطة وقيل الثوم لذكر البصل بعده. ﴿وَعَدَيْهَا وَبَصَلِهَآ﴾.

قَالَ أَتَنَتَّبِدُ لَوْكَ: الاستبدال: ترك شيء وأخذ آخر بدلاً عنه.

الَّذِي هُوَ أَذْفٌ: أقل صلاحًا وخيرية ومنافع كاستبدال المن والسلوى بالقوم والبقل. ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾.

أَهِيطُوا مِصْرًا: مدينة من المدن قيل لهم هذا وهم في التيه كالتعجيز لهم والتحدي؛ لأنهم نكلوا عن قتال الجبارين فأصيبوا بالتيه وحرموا خيرات مدينة القدس وفلسطين. ﴿فَإِنَّ لَكُمْ مَأْسَأَلَتَهُ﴾.

وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ<sup>(١)</sup>: أحاطت بهم ولازمتهم الذلة وهي الصغار والاحتقار.

وَالْمَسْكَنَةُ: والمسكنة هي الفقر والمهانة.

وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ: رجعوا من طول عملهم وكثرة كسبهم بغضب الله وسخطه عليهم وبئس ما رجعوا به.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ: ذلك إشارة إلى ما أصابهم<sup>(٢)</sup>. من الذلة والمسكنة والغضب وبأنهم أي بسبب

كفرهم وقتلهم الأنبياء وعصيانهم، فالباء سببية. ﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَغَيِّرُ الْحَقَّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

الاعتداء: مجاوزة الحق إلى الباطل، والمعروف إلى المنكر والعدل إلى الظلم.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا: هم المسلمون آمنوا بالله ووجدوه وآمنوا برسوله واتبعوه.

وَالَّذِينَ هَادُوا: هم اليهود سموا يهودًا لقولهم: إنا هدنا إليك أي تبنا ورجعنا.

وَالنَّصَارَى: الصليبيون سموا نصاريًا إما لأنهم يتناصرون أو لتزول مريم بولدها عيسى قرية

الناصرة، والواحد نصران أو نصراني وهو الشائع على الألسنة.

وَالصَّٰبِغِينَ: أمة كانت بالموصل يقولون لا إله إلا الله<sup>(٣)</sup>. ويقرءون الزبور. ليسوا يهودًا ولا

(١) إحاطة الذل والمسكنة بهم ذكر في آية آل عمران مُقَيَّدًا بما لم يكن لهم حبل من الله وهو الدخول في الإسلام، وحبل من الناس وهو حماية دولة قوية لهم.

(٢) هذا عام في اليهود المعاصرين للدعوة الإسلامية، ومن قبلهم، ومن يأتي بعدهم، لأن التعليل كان بكفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء، والكل موافق راضي بهذه الجرائم، وعصيانهم واعتداؤهم مُلَازِم لهم ما فارقتهم إلى اليوم.

(٣) ﴿وَالصَّابِغِينَ﴾: قرئ بالتخفيف (الصابين) وهي قراءة ورش عن نافع.

نصارى واحدهم صابى، ولذا كانت قريش تقول لمن قال لا إله إلا الله صابى أي: مائل عن دين آبائه إلى دين جديد وحد فيه الله تعالى<sup>(١)</sup>. ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٣٦﴾.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ: الميثاق: العهد المؤكد باليمين. ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ﴾.

الطُّور: أي جبل أو هو الجبل الذي ناجى الله تعالى عليه موسى ﷺ. ﴿حُدُوا مَاءَ آتَيْنَكُمْ﴾.

بِقُوَّةٍ: بجهد وحزم وعزم. ﴿وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿٣٧﴾.

ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ: رجعتم عما التزمتم القيام به من العمل بما في التوراة. ﴿مِمَّا بَعَدَ ذَلِكَ فَلََوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٣٨﴾<sup>(٢)</sup>.

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ آَعَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ: تجاوزوا الحد فيه حيث حرم عليهم الصيد فيه فصادوا. ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ﴾.

كُونُوا قِرَدَةً: القردة جمع قرد حيوان معروف مسخ الله تعالى المعتدين في السبت على نحوه.

خَاسِرِينَ: مبعدين عن الخير ذليلين مهانين.

فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا: عقوبة شديدة تمنع من رآها أو علمها من فعل ما كانت سبباً فيه.

لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا: لما بين يدي العقوبة من الناس، ولمن يأتي بعدهم.

وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ: يتعظون بها فلا يقدمون على معاصي الله ﷻ. ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ

أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً: قطع الودجين والمارن.

البقرة: واحدة البقر والذكر ثور والأنثى بقرة.

قَالُوا أَلَنَتَّخِذُنَا هُرُورًا: الهزؤ: السخرية واللعب. ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ﴾

مِنَ الْجَاهِلِينَ: الجاهل الذي يقول أو يفعل ما لا ينبغي قوله أو فعله<sup>(٣)</sup>. ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ

يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ﴾

لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانُ بَيْتِكَ ذَلِكَ: الفارض: المسنة، والبكر الصغيرة التي لم تلد بعد.

(١) قال ابن كثير ﷺ: وأما الصابئون فقد اختلف فيهم... إلى أن قال: وأظهر الأقوال والله أعلم. قول مجاهد ومتابعيه ووهب بن منبه: أنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين، وإنما هم قوم باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه، ولهذا كان المشركون يبتدون من أسلم بالصابى، أي أنه قد خرج عن سائر أديان أهل الأرض إذ ذاك، وقال بعض العلماء: الصابئون الذين لم تبلغهم دعوة نبي والله أعلم (قل).

(٢) من فضل الله تعالى عليهم أنه لم يعاجلهم بالعقوبة جزاء توليهم عن الطاعة، وإعراضهم عنها بعد أخذ الميثاق عليهم، ومن رحمته أنه أرسل فيهم الرسل فلم تنقطع سلسلتهم إلى عيسى ابن مريم عليه السلام.

(٣) الجاهل الذي جهل الأمر فقال أو عمل فيه بدون علم فأفسد وأساء.

والعوان: النصف وسط بين المسنة والصغيرة. ﴿فَأَفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ (٧٨) قَالُوا أَدْعُ لِنَارِكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا لَوْ نَهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ ﴿﴾.

صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا: يقال أصفر فاقع شديد الصفرة كأحمر قاني وأبيض ناصع. ﴿تَسْرُ النَّظِيرِينَ﴾ (٧٩) قَالُوا أَدْعُ لِنَارِكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٩﴾.

قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لِأَدْلَوْلُ: الذلول: الرخصة التي زالت صعوبتها فأصبحت سهلة منقادة. يُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقَى الْحَرْثَ: تقلبها بالمحراث فيثور غبارها. بمعنى أنها لم تستعمل في الحرث ولا في سقاية الزرع أي لم يُسن عليها، وذلك لصغرها.

مُسَلَّمَةٌ: سليمة من العيوب كالعور والعرج.

لَا شَيْءَ فِيهَا: الشية العلامة. أي لا يوجد فيها لون غير لونها من سواد أو بياض. ﴿قَالُوا أَلَكُنَّ جِثَّتْ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٧٦) ﴿﴾.

وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا: نفس الرجل الذي قتله وارثه استعجالاً للارث.

فَأَذَرْتُمْ فِيهَا: تدافعتم أمر قتلها كل قبيل يقول: قتلها القبيل الآخر. ﴿وَاللَّهُ يُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ ﴿﴾.

تَكْتُمُونَ: من أمر القاتل سترًا عليه دفعًا للعقوبة والفضيحة. ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ ﴿﴾.

بِبَعْضِهَا: ببعض أجزاء البقرة كلسانها أو رجلها مثلاً. ﴿كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٧٣) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ

وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴿﴾.

﴿أَفَنظَمُونَ: الهمزة للإنكار الاستبعادي، والطمع تعلق النفس بالشيء رغبة فيه.

أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ: يتابعوكم على دينكم الإسلام. وَقَدْ كَانَ قَرِيْقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ.

كَلِمَ اللَّهِ: في كتبه كالتوراة والإنجيل والقرآن (١).

ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ: التحريف الميل بالكلام على وجه لا يدل على معناه كما قالوا في نعت الرسول

ﷺ في التوراة: أكحل العينين ربعة جعد الشعر حسن الوجه قالوا: طويل أزرق العينين سبط

الشعر. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥) ﴿﴾.

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيَ مَنَافِقُو الْيَهُودِ الْمُؤْمِنِينَ.

قَالُوا ءَامَنُوا بِنَبِيِّكُمْ وَدِينِكُمْ. ﴿وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا ﴿﴾.

أَتَحَدِّثُونَهُمْ: الهمزة للاستفهام الإنكاري، وتحديثهم إخبار المؤمنين بنعوت النبي في التوراة.

بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ: إذا خلا منافقو اليهود برؤسائهم أنكروا عليهم إخبارهم المؤمنين بنعوت

(١) ويدخل في الجملة: الذين سمعوا كلام الله مع موسى عليه السلام في جبل الطور وهم السبعون الذين اختارهم موسى وخرج بهم إلى الطور طلبًا لتوبتهم.

النبي ﷺ في التوراة، وهو مما فتح الله به عليهم ولم يعلمه غيرهم.

لِيَحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ : يقولون لهم لا تخبروا المؤمنين بما خصكم الله به من العلم حتى لا يحتجوا عليكم به فيغلبوكم وتقوم الحجة عليكم فيعذبكم الله. ﴿أَفَلَا نَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾ .

وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ : الأمي: المنسوب إلى أمه كأنه ما زال في حجر أمه لم يفارقه فلذا هو لم يتعلم الكتابة والقراءة. ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا﴾ .

أَمَانِي : الأمانى جمع أمنية وهي إما ما يتمناه المرء في نفسه من شيء يريد الحصول عليه، وإما القراءة من تمنى الكتاب إذا قرأه. ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾ .

فَوَيْلٌ : الويل كلمة تقال لمن وقع في هلكة أو عذاب.

لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ : ما يكتبه علماء اليهود من أباطيل وينسبونه إلى الله تعالى ليتوصلوا به إلى أغراض دنية من متاع الدنيا القليل. ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا﴾ .

مِنْ عِنْدِ اللَّهِ : ينسبون ما كتبه بأيديهم إلى التوراة بوصفها كتاب الله ووحيه إلى موسى ﷺ. ﴿لَيْسَتْ رُأْيُهُمْ تَمَنَّاءَ قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ .

وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْتُمُونَ : الكسب يكون في الخير، وهو هنا في الشر فيكون من باب التهكم بهم. وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيُّامًا مَعْدُودَةً : أربعين يومًا وهذا من كذبهم وتضليلهم للعوام منهم ليصرفوهم عن الإسلام.

قُلْ أَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ : الهمزة للاستفهام الإنكاري، والعهد: الوعد المؤكد. ﴿أَمْ نَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ .

بِكُلِّ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً : هذه سيئة الكفر، والكذب على الله تعالى.

وَأَخْطَأْتُ بِهِ خَطِيئَتَهُ : الإحاطة بالشيء، الالتفاف به والدوران عليه.

الخطيئة: واحدة الخطايا وهي الذنوب عامة. ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا﴾ .

خَالِدُونَ : الخلود البقاء الدائم الذي لا تحول معه ولا ارتحال. ﴿وَإِذَا خَذْنَا

مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ : الميثاق: العهد المؤكد باليمين. ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا

وَذِي (١) الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا﴾ .

لِلنَّاسِ حُسْنًا : حسن القول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمخاطبة باللين والكلم

الطيب الخالي من البذاءة والفحش. ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ .

(١) ذي: بمعنى صاحب.

ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ : رجعتم عما التزمت به مصممين على أن لا تتوبوا. ﴿أَلَا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ .

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ <sup>(١)</sup> لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ : سفك الدماء: إراقتها وصبها بالقتل والجراحات. ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ ثُمَّ أَقَرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ <sup>(٢)</sup> ثُمَّ أَنْتُمْ <sup>(٣)</sup> هُنَّ الَّذِينَ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِينِهِمْ <sup>(٣)</sup> .

تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ : قرئ تظاهرون، وتظاهرون بقاء واحدة ومعناه تتعاونون.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ظَلَمُوا : الإثم: الضار الموجب للعقوبة، والعدوان الظلم.

وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أَسْرَى : جمع أسير. من أخذ في الحرب.

تَفَادَوْهُمْ : إن أتاهم يهودي أسيرًا فدوه بالغالي والرخيص. ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ <sup>(٤)</sup> أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَحْفَظُهُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ يَصْرُوفٌ <sup>(٥)</sup> .

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ : موسى بن عمران نبي مرسل إلى بني إسرائيل.

الْكِتَابَ : التوراة.

وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ : أرسلناهم يقفوا بعضهم بعضًا أي واحد بعد واحد.

بِالرُّسُلِ : جمع رسول: ذكر من بني آدم أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه. ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ : معرب يسوع أو يشوع لأن عيسى أخف منهما.

الْبَيِّنَاتِ : المعجزات وآيات الله في الإنجيل.

وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ : جبريل <sup>(٦)</sup> . ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ <sup>(٧)</sup> .

وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ : عليها غلاف يمنعها من الفهم لما تدعونا إليه، أو هي أوعية للعلم فلا

نحتاج معها إلى أن نتعلم عنك. ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ <sup>(٨)</sup> وَلَمَّا جَاءَهُمْ .

كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ : القرآن الكريم. ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ﴾ .

يَسْتَفْتِحُونَ : يطلبون الفتح أي النصر. ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ .

(١) هذا الميثاق تضمنه الوصايا العشر المنزلة على موسى عليه السلام أو على الأقل بعضه والبعض الآخر تضمنه ما أخذ عليهم عند رفع الطور عليهم لما رفضوا الالتزام بما في التوراة.

(٢) أي: ثم أنتم يا هؤلاء تقتلون. وفيه معنى التعجب من حالهم والإنكار عليهم.

(٣) قوله تعالى: ﴿تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ وقوله: ﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ ليس معناه أن أحدهم يقتل نفسه ويسفك أي يسيل دمه، وإنما لا يسفك بعضهم دم بعض، ولا يقتل بعضهم بعضًا لأنكم أمة واحدة.

فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ (١)

بَشْكَمَا : بشس كلمة ذم، ضدها نعم فإنها للمدح، ﴿أَشْرَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ .

بَغِيًّا : حسداً وظلماً. ﴿أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ .

فَبَاءُ وَبِعْضَبٍ عَلَى غَضَبٍ : رجعوا. والغضب ضد الرضا، ومن غضب الله عليه أبعده ومن رضي عنه قرب به وأدناه. ﴿وَاللَّكْفِيرِينَ﴾ .

عَذَابٌ مُهِيتٌ : عذاب فيه إهانة وصغار وذل للمعذب به. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا﴾ .

بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ : من القرآن. ﴿قَالُوا نُوْمِنُ﴾ .

بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا : التوراة. ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ (٢)

وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ : القرآن الكريم مقرر لأصول الأديان الإلهية كالتوحيد والنبوات والبعث والجزاء في الدار الآخرة. ﴿قُلْ فَلِمَ يُقْتَلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٩١)

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ : المعجزات.

ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ : يريد إلها عبدتموه في غيبة موسى ﷺ. ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ (٩٢)

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ (٣)

وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ : أي حب العجل الذي عبده بدعوة السامري لهم بذلك. ﴿قُلْ بِشْكَمَا يَا مُرْكُم بِهِ إِيْمَانِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٩٣) ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ

الدَّارُ الْآخِرَةُ : المراد منها نعيمها وما أعد الله تعالى فيها لأولياته.

عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ : خاصة لا يدخلها أحد سواكم.

فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ : تمنوه في نفوسكم واطلبوه بألستكم فإن من كانت له الدار الآخرة لا خير له

في بقائه في الدنيا.

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ : أي في دعوى أن نعيم الآخرة خاص بكم لا يشارككم فيه غيركم. ﴿وَلَنْ

يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٩٤)

(١) لم يقل الله تعالى: فلعنة الله عليهم، وإنما قال: ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٨٩) إشارة إلى سبب اللعنة وهو

الكفر لا الجنس أو العرق وليعم كل كافر أيضاً.

(٢) أي: بما سواه وهو القرآن الكريم دل عليه السياق.

(٣) قوله: ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ ليس المراد السماع بالحاسة، وإنما المراد الطاعة والامتثال كقول المرء: فلان لا يسمع

كلامي، فإن معناه لا يمثل أمري ولا يُطيعني. كما أن قوله: ﴿وَعَصَيْنَا﴾ ليس معناه النطق بلفظ معين وإنما

معناه أنهم لم يمثلوا الأمر الصادر إليهم.





وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُّوا الشَّيَاطِينُ : الذي تتبعه وتقول به الشياطين من كلمات السحر <sup>(١)</sup> .  
 عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَانَ : على عهد ملك سليمان ووقت حكمه. ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾  
 وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا : جمع شيطان وهو من خُبث وتمرد ولم يبق فيه قابلية للخير.  
 ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ﴾ .

السِّحْرُ : هو كل ما لطف مأخذه وخفي سببه مما له تأثير في أعين الناس أو نفوسهم أو أبدانهم.  
 ﴿وَمَا أَنزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِ هَرُوتَ وَمَرْوَتَ﴾ ملكان <sup>(٢)</sup> وجدا للفتنة. ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ .

فَلَا تَكْفُرْ : لا تتعلم منا السحر لتضربه فتكفر بذلك. ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ﴾ .  
 بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ : بين الرجل وامرأته. ﴿وَمَا هُمْ بِضَاكِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ .

وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ : اشترى السحر بتعلمه والعمل به.  
 مَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ : الخلاق. النصيب والحظ.  
 وَلَيْسَ مَا شَكَرُوا بِهِ أَنفُسَهُمْ : ما باعوا به أنفسهم. ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ <sup>(٣)</sup> وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ .

وَأَتَقُوا لِمَثُوبَةٍ : ثواب وجزاء. ﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ <sup>(٤)</sup> يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا : أمهلنا وانظرنا حتى نعي ما تقول ونحفظ. ﴿وَقُولُوا﴾ .  
 أَنْظِرْنَا <sup>(٥)</sup> : أمهلنا حتى نفهم ما تقول ونحفظ. ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ .

وَاللَّكَافِرِينَ : الجاحدين المكذبين لله ورسوله.  
 عَذَابٌ أَلِيمٌ : كثير الألم شديد الإيذاء. ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ .  
 مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ : اليهود والنصارى والوثنيون من العرب وغيرهم. ﴿أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ .

مِنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ : من الوحي الإلهي المشتمل على التشريع المتضمن لكل أنواع الهداية

(١) يخبر تعالى أن اليهود لما نبذوا التوراة لتقريرها بنبوته محمد ﷺ وتأكيدها لصحة دينه اتبعوا الأباطيل والترهات التي جمعها شياطين الإنس والجن في صورة رُقى وعزائم وكانوا يُحدثون بها، ويدعون أنها من عهد سليمان بن داود عليهما السلام وأنها هي التي كان سليمان يحكم بها الإنس والجن، ولازم هذا أن سليمان لم يكن رسولاً ولا نبياً وإنما كان ساحراً كافراً فلذا نفى الله تعالى عنه ذلك بقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ وأثبته للشياطين فقال: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ .

(٢) لم يكن إنزالاً بمعنى الوحي الإلهي، ولكن كان إلهاماً لهما فبرعا فيه وتفوقا على غيرهما.

(٣) معنى ﴿أَنْظِرْنَا﴾ : هو معنى ﴿رَاعِنَا﴾ ولكن لما استعمالها اليهود وصاروا ينوون بها سب النبي ﷺ لأنها عندهم من الرعونة لذلك أرشد الله المسلمين إلى كلمة انظر.

وطرق الإسعاد والإكمال في الدين. ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾.  
 وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ : الفضل : ما كان من الخير غير محتاج إليه صاحبه، والله عَزَّ وَجَلَّ هو  
 صاحب الفضل إذ كل ما يمن به ويعطيه عباده من الخير هو في غنى عنه ولا حاجة به إليه أبداً.  
 ﴿مَا نَسَخَ : نبدل أو نغير.

مِنْ آيَةٍ : من آيات القرآن: جملة كلمات تحمل معنى صحيحاً كالتحريم أو التحليل أو الإباحة.  
 أَوْ تُنْسِيهَا : نمحها من قلب النبي ﷺ. ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾.  
 أَلَمْ تَعْلَمَ : الاستفهام للتقرير. ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٦) ﴿أَلَمْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ : حافظ يحفظكم بتولي أموركم.  
 وَلَا نَصِيرٍ : ناصر يدفع عنكم المكروه.

أَمْ تُرِيدُونَ : بل أتريدون، إذ (أم) هنا للإضراب الانتقالي فهي بمعنى بل والهمزة، وما  
 سُئِلَهُ مُوسَىٰ هُوَ قَوْلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَهُ: (أرنا الله جهرة). ﴿أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ  
 وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ﴾.

سَوَاءَ السَّبِيلِ : وسط الطريق الآمن من الخروج عن الطريق.  
 وَدَّ : أحب.

كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ : اليهود والنصارى. ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ﴾.  
 كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ : الحسد تمنى زوال النعمة على من هي به. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا﴾.  
 بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقَّ : عرفوا أن محمداً رسول الله وأن دينه هو الدين الحق.  
 فَأَعْفُوا وَاصْفَحُوا : لا تؤاخذوهم ولا تلموهم، إذ العفو ترك العقاب، والصفح الإعراض عن  
 المذنب.

حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ : أي الإذن بقتالهم والمراد بهم يهود المدينة وهم بنو قينقاع وبنو النضير  
 وبنو قريظة. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٦).

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ : إقامة الصلاة أداؤها في أوقاتها مستوفاة الشروط والأركان والسنن.  
 وَآتُوا الزَّكَاةَ : أعطوا زكاة أموالكم وافعلوا كل ما من شأنه يزكي أنفسكم من الطاعات.  
 ﴿وَمَا نَقَدُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَّحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١٦).  
 وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ : دار النعيم وتسمى دار السلام وهي فوق السماء السابعة.  
 إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا : يهوداً.  
 أَوْ نَصْرَانًى : صليبيين مسيحيين.

تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ<sup>(١)</sup> : جمع أمنية. ما يتمناه المرء بدون ما<sup>(١)</sup> يعمل للفوز به فيكون غرورًا.

قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ : البرهان: الحجة الواضحة. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١١١) .

بَلَى : حرف إجابة يأتي بعد نفي مقرون باستفهام غالبًا نحو قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ (٨) . بلى أي هو أحكم الحاكمين، ولما ادعى اليهود والنصارى أن الجنة لا يدخلها إلا من كان يهوديًا أو نصرانيًا قال تعالى: بلى: أي ليس الأمر كما تزعمون فلا يدخل الجنة يهودي ولا نصراني ولكن يدخلها.

مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ : أي عبد آمن فصدق وعمل صالحًا فأحسن. ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١١٢) وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى .

عَلَى شَيْءٍ : أي من الدين الحق. ﴿وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ .

وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ : أي التوراة والإنجيل. ﴿كَذَلِكَ قَالَ﴾ .

الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ : هذا اللفظ صادق على مشركي العرب، وعلى غيرهم من أمم جاهلة سبقت. ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ قَالَهُ يُحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١١٣) .

وَمَنْ أَظْلَمُ : الاستفهام للإنكار والنفي، والظلم وضع الشيء في غير محله مطلقًا. ﴿وَمَنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ .

وَسَعَى فِي خَرَابِهَا : عمل في هدمها وتخريبها حقيقة أو بمنع الصلاة فيها وصرف الناس عن التبعيد فيها إذ هذا من خرابها أيضًا. ﴿أُولَئِكَ مَا كَانُوا لَكُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ .  
خِزْيٌ : الخزي. الذل والهوان. ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١١٤) وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا .

فَسَمَّ وَجْهَ اللَّهِ : هناك الله تعالى إذ الله ﷻ محيط بخلقه، فحيثما اتجه العبد شرقًا أو غربًا شمالًا أو جنوبًا وجد الله تعالى، إذ الكائنات كلها بين يديه، وكيف لا يكون ذلك وقد أخبر عن نفسه أن الأرض قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه، فليس هناك جهة تخلو من علم الله تعالى وإحاطته بها وقدرته عليها ويقرر هذا قوله:

إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ : إنه واسع الذات والعلم والفضل والجود والكرم عليم بكل شيء؛ لأنه محيط بكل شيء. ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ .

سُبْحٰنَهُ : تنزهه وتقدس عن كل نقص ومنه أن يكون له ولد. ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ﴾ .

(١) ما تمناه اليهود وأشير إليه هنا بقوله: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ هو أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وأن يردوهم كفارًا، وأن يدخلوا الجنة وخدمهم دون غيرهم.

قَلْبُهُمْ : خاضعون مطيعون تجري عليهم أقداره وتنفذ فيهم أحكامه .  
 بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : مبدعها أي: موجودها على غير مثال سابق .  
 وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا : حكم بإيجاده . ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (١١٧) وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ ﴿١﴾

أَوْ تَأْتِينَا آيَةً : كآيات موسى وعيسى في العصا وإحياء الموتى . ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (١١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴿٢﴾

وَلَا تُسْئَلُ : قرئ بالتاء للمجهول، ولا نافية والفعل مرفوع، وقرئ بالبناء للمعلوم ولا ناهية والفعل مجزوم . ﴿عَنْ أَصْحَابِ﴾

الْحَجِيرِ : دركة من دركات النار وهي أشدها عذابًا . ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ﴾ .  
 مِلَّتَهُمْ : دينهم الذي هم عليه من يهودية ونصرانية .

قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ . اللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ .  
 الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ مِنْ بَدْعَةِ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ . ﴿وَلَمَّا تَبِعْتَهُمْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ .

مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَّلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ : الولي من يتولاك ويكفيك أمرك، والنصير من ينصرك ويدفع عنك الأذى . ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ .

يَتْلُوهُ، حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴿٢﴾ : لا يحرفون كلمة عن مواضعه ولا يكتمون الحق الذي جاء فيه من نعت الرسول محمد ﷺ وغيره . ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ . وَمَن يَكْفُرْ بِهِ﴾ .

فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ : المشار إليهم كفار أهل الكتاب والخسران خسران الدنيا والآخرة .

يَبْنِي إِسْرَائِيلَ : إسرائيل: لقب يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ﷺ . وبنو إسرائيل هم اليهود .  
 ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِي فَضَّلْتُكُمْ﴾ .

عَلَى الْعَالَمِينَ : البشر الذين كانوا في زمانهم مطلقًا . ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾ .

لَا تَجْزِي نَفْسٌ : لا تقضي ولا تغني . ﴿عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا﴾ .

عَدْلٌ : العدل: الفداء . ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا﴾ .

شَفَعَةٌ : وساطة أحد . ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (١١٧) .

﴿وَإِذْ أَبْتَلَىٰ : اختبر بتكليفه بأمور شاقة عليه . ﴿إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ﴾ .

بِكَلِمَتٍ : متضمنة أوامر ونواهي .

(١) لولا: بمعنى لعل التحضيضية .

(٢) هم أصحاب رسول الله ﷺ ، وتابعوهم بإحسان كان أحدهم إذا مر بآية رحمة سألها الله تعالى وإذا مر بآية عذاب تعوذ بالله من العذاب .

فَأَتَمَّهُنَّ : قام بهن وأداهن على أكمل الوجوه وأتمها. ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ : قدوة صالحة يقتدى بها في الخير والكمال. ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ : الكافرين والمشركين والفاسقين المعتدين على الناس. ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ : الكعبة التي هي البيت الحرام بمكة المكرمة. مَثَابَةً لِّلنَّاسِ : مرجعًا يثوب إليه العمار والحجاج. وَأَمْنًا : مكانًا آمنًا يأمن فيه كل من دخله. وَأَخْبَدُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ : الحجر الذي كان قد قام عليه إبراهيم أيام كان بيني البيت وذلك أنه لما ارتفع البناء احتاج إبراهيم إلى حجر عالٍ يرقى عليه ليواصل بناء الجدران فجاء بهذا الحجر فقام عليه فسمي مقام إبراهيم. مُصَلًّى : مكانًا يصلى فيه أو عنده أو إليه. وَعَهْدِنَا : وصينا وأمرنا. إِنَّكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي : تطهير البيت: تنزيهه من الأقدار الحسية كالدماء والأبوال والمعنوية كالشرك والبدع والمفاسد. ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (١٢٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى الْجَنَّةِ مَكْرَهُمَا إِلَى الْعَذَابِ. ﴿إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَيَسَّرَ الْمَصِيرَ﴾ (١٢٦). وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ : إذ: ظرف لما مضى من الزمان ويعلق بمحذوف تقديره اذكر وقت كذا وكذا. الْقَوَاعِدَ : جمع قاعدة ما بينى على الجدار من أساس ونحوه. مِنَ الْبَيْتِ : الكعبة حماها الله وطهرها. ﴿وَإِسْمَاعِيلَ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ : إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ : هذه الجملة وسيلة توسل بها إبراهيم وولده لقبول دعائهما. ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ : منقادين لك خاضعين لأمرك ونبيك راضيين بحكمك عابدين لك. ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لِّكَ﴾. وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا : علمنا كيف نحج بيتك، تنسكًا وتعبدًا لك. وَسُبِّحْ عَلَيْنَا : وفقنا للتوبة إذا زلنا واقبلها منا. ﴿إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١٢٨). رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ : هذا الدعاء استجابته الله، ومحمد ﷺ هو ما طلبناه. ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ : القرآن. وَالْحِكْمَةَ : السنة وأسرار الشرع والإصابة في الأمور كلها. وَيُزَكِّيهِمْ : يطهر أرواحهم ويكمل عقولهم، ويهذب أخلاقهم بما يعلمهم من الكتاب

والحكمة، وما بينه لهم من ضروب الطاعات.

إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ: العزيز الغالب الذي لا يغلب. الحكيم في صنعه وتدييره بوضع كل

شيء في موضعه.

وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ: الرغبة عن الشيء عدم حبه وترك طلبه، وملة إبراهيم هي عبادة

الله وحده بما شرع لعباده.

إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ: لا يرغب عن ملة إبراهيم التي هي دين الإسلام إلا عبد جهل قدر نفسه

فأذلها وأهانها بترك سبيل عزها وكمالها وإسعادها وهي الإسلام.

وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا: اخترناه لرسالتنا والبلاغ عنا، ومن ثم رفعنا شأنه وأعلينا مقامه.

﴿وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٣٢) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ ﴿

أَسْلِمَ: انقذ لأمرنا ونهينا فاعبدنا وحدنا ولا تلتفت إلى غيرنا. ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٣١)

وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ بَنِيَّ﴾.

إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ: اختار لكم الدين الإسلامي ورضيه لكم. ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ

مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٣) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ ﴿

إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ: يعقوب: هو إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم وبنوه هم يوسف

وإخوته. ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ

وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٤) ﴿

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ: جماعة أمرها واحد. خلت: مضت إلى الدار الآخرة.

لَهَا مَا كَسَبَتْ: أجر ما كسبته من الخير.

وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ: من خير أو غيره. ﴿وَلَا تُشْتَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٣٥) وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ

نَصَارَى ﴿

تَهْتَدُوا: تصيبوا طريق الحق.

قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: دين إبراهيم الذي كان عليه.

حَنِيفًا: مستقيمًا على دين الله تعالى موحدًا فيه لا يشرك بالله شيئًا. ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٣٥)

فُولُوا أُمَّتًا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ ﴿ (١)

مُوسَى: التوراة.

وَعِيسَى: أوتي الإنجيل. ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ

(١) ﴿وَالْأَسْبَاطِ﴾: أولاد يعقوب عليه السلام وهم اثنا عشر ولدًا، يوسف وبنيامين وهودا ولكل واحد منهم أمة من

الناس. الواحد سبط والجمع أسباط والسبط في بني إسرائيل بمنزلة القبيلة في ولد إسماعيل عليه السلام وسموا

الأسباط من السبط وهو التابع لأنهم متتابعون.

مُسْلِمُونَ<sup>(١)</sup> ﴿١٣٦﴾ فَإِنِ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ، فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ: خلاف وفراق وعداء لك وحرب عليك. ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿١٣٧﴾<sup>(٢)</sup>

صَبَغَةَ اللَّهِ: دينه الذي طهرنا به ظاهراً وباطناً فظهرت آثاره علينا كما يظهر أثر الصبغ على الثوب المصبوغ. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صَبَغَةً وَنَحْنُ لَهُ عٰبِدُونَ﴾ ﴿١٣٨﴾

قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ: أتجادلوننا في دينه والإيمان به ورسوله، والاستفهام للإنكار. ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ: مخلصون العبادة له، لا نشرك غيره فيها، وأنتم مشركون. ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرٰهِيْمَ وَإِسْمٰعِيْلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ﴾

شَهَدَةٌ عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ: المراد بهذه الشهادة ما أخذ عليهم في كتابهم من الإيمان بالنبي محمد ﷺ عند ظهوره.

وَمَا اللَّهُ بِغَفِيْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ: الغافل: من لا يتفطن للأمور لعدم مبالاته بها. ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنْسَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٤١﴾

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ: السفهاء: جمع سفيه وهو من به ضعف عقلي لتقليده، وإعراضه عن النظر نجم عنه فساد خلق وسوء سلوك.

مَا وَلَّيْتُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا: ما صرفهم عن استقبال بيت المقدس إلى استقبال الكعبة بمكة. القبلة: الجهة التي يستقبلها المرء وتكون قبالته في صلاته.

قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا: وسط كل شيء خياره، والمراد منه أن أمة محمد ﷺ خير الأمم وأعدلها. ﴿لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ: يرجع إلى الكفر بعد الإيمان.

وَإِن كَانَتْ لَكَبِيْرَةً: شاقة على النفس صعبة لا تطاق إلا بجهد كبير وهي التحويلة من قبله

مألوفة إلى قبله حديثة. ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ﴾

إِيْمَانَكُمْ: صلاتكم التي صليتموها إلى بيت المقدس قبل التحول إلى الكعبة. ﴿إِنَّ اللَّهَ

بِالنَّاسِ﴾

(١) أي: لا تؤمن ببعض ونكفر ببعض كصنيع اليهود والنصارى.

(٢) الآية: ﴿فَإِنِ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ...﴾ وكان ابن عباس يقرؤها: (فإن آمنوا بالذي آمنتم به) وهو تفسير لا قراءة، وعليه فمثل: زائدة، نظيرها: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾؛ أي: ليس كهو شيء.



لَرُءُوفٌ رَّحِيمٌ: يدفع عنكم الضرر ويفيض عليكم الإحسان.  
 قَدْ رَزَى نَقْلُكَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ: ترده بالنظر إليها مرة بعد أخرى انتظاراً لنزول الوحي.  
 فَلَنُؤَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا: لنحولنك إلى القبلة التي تحبها وهي الكعبة.  
 قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ: حول وجهك جهة المسجد الحرام بمكة.  
 الحرام: بمعنى المحرم لا يسفك فيه دم ولا يقتل فيه أحد. ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾  
 شَطْرَهُ: الشطر: هنا الجهة، واستقبال الجهة يحصل به استقبال بعض البيت في المسجد  
 الحرام، لأن الشطر لغة: النصف أو الجزء مطلقاً. ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ﴾  
 أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ: أي تحول القبلة جاء منصوباً عليه في الكتب السابقة. ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا  
 يَعْمَلُونَ﴾ (١٤٤) وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴿  
 بِكُلِّ آيَةٍ: حجة وبرهان. ﴿مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ  
 وَلَيْنَ آتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٤٥) الَّذِينَ آتَيْتَهُمْ  
 الْكِتَابَ ﴿

يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ: يعرفونه: الضمير: عائد إلى رسول الله ﷺ أي: يعلمون أنه نبي الله  
 ورسوله لما في كتبهم من صفاته الواضحة القطعية. ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٤٦)  
 الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ﴿

مِنَ الْمُنْتَرِبِينَ﴾ (١٤٧): الشاكين، والامتراء الشك وعدم التصديق.

وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيُهَا: التنوين في (كل) دال على محذوف، هو لكل أهل ملة في الإسلام  
 واليهودية والنصرانية قبله يولون وجوههم لها في صلاتهم.

فَأَسْبِقُوا الْأَخْيَرَاتِ: البر والطاعة لله ورسوله. ﴿أَيُّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ  
 شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٤٨) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا  
 تَعْمَلُونَ﴾ (١٤٩) وَمِنْ حَيْثُ فَرَجْتَ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا  
 يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ ﴿(١)

حُجَّةٌ: الحجة: الدليل القوي الذي يظهر به صاحبه على من يخاصمه. ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ  
 فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾

وَلَا تَمَنَّيَنَّ عَلَيْنَا: نعم الله كثيرة وأعظمها نعمة الإسلام وإتمامها بمواصلة التشريع والعمل  
 به إلى نهاية الكمال، وكان ذلك في حجة الوداع بعرفات حيث نزلت آية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ

(١) قال ابن كثير والقرطبي قبله: استدل مالك بقول الله تعالى: ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أن المصلي ينظر  
 أمامه لا إلى موضع سجوده كما هو مذهب الجمهور، أبي حنيفة والشافعي وأحمد والذي أراه يحق المطلوب  
 من الآية هو أن ينظر المصلي أولاً أمامه امتثالاً لأمر الله تعالى ثم بعد ذلك ينظر إلى موضع سجوده.

وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿١٥٠﴾ ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥١﴾﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ: هو محمد ﷺ والتكثير به للتعظيم. ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾. ﴿وَزَكَّيْنَاكُمْ﴾: يطهركم من الذنوب والأخلاق السيئة والملكات الرديئة. ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ﴾.

وَالْحِكْمَةَ: السنة وهي كل قول صالح لا يتهي صلاحه ونفعه بمرور الزمن. ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾.

فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي: الشكر إظهار النعمة بصرفها فيما من أجله وهبها الله تعالى لعباده.

وَلَا تَكْفُرُونَ: الكفر: جحد النعمة وإخفاؤها وصرفها في غير ما يحب الله تعالى. يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ: الاستعانة: طلب المعونة والقدرة على القول أو العمل. الصبر: حمل النفس على المكروه وتوطينها على احتمال المكاره. ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ ﴿١٥٣﴾.

بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ: الشعور: الإحساس بالشيء المفضي إلى العلم به. وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ: الابتلاء: الاختبار والامتحان لإظهار ما عليه الممتحن من قوة أو ضعف. ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾.

وَنَقِصَ مِنَ الْأَمْوَالِ: جمع مال وقد يكون ناطقًا وهي المواشي ويكون صامتًا وهو النقدان. ﴿وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمْرِتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٤﴾﴾. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٥﴾ أُولَئِكَ﴾.

عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ: جمع صلاة وهي من الله تعالى هنا المغفرة لعطف الرحمة عليها. وَرَحْمَةٌ: الرحمة الإنعام وهو جلب ما يسر ودفع ما يضر، وأعظم ذلك دخول الجنة بعد النجاة من النار.

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ: إلى طريق السعادة والكمال بإيمانهم وابتلاء الله تعالى لهم وصبرهم على ذلك.

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ: الصفا: جبل مقابل البيت في الجهة الشرقية الجنوبية، والمروة جبل آخر مقابل الصفا من الجهة الشمالية والمسافة بينهما قرابة ٧٦٠ ذراعًا. مِّن سَعَائِرِ اللَّهِ: أعلام دينه جمع شعيرة وهي العلامة على عبادة الله تعالى، فالسعي بين الصفا والمروة شعيرة لأنه؛ دال على طاعة الله تعالى.

فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ: الحج: زيارة بيت الله تعالى لأداء عبادات معينة تسمى نسكًا.

أَوْ أَعْتَمَرَ: العمرة: زيارة بيت الله تعالى للطواف به والسعي بين الصفا والمروة والتحلل بحلق شعر الرأس أو تقصيره.

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ: الجناح: الإثم وما يترتب على المخالفة بترك الواجب أو بفعل المنهي عنه. أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا: يسعى بينهما ذاهبًا جاثيًا. ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ﴾. خَيْرًا: الخير اسم لكل ما يجلب المسرة ويدفع المضرة، والمراد به هنا العمل الصالح. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (١٥٨).

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ: يخفون ويغطون حتى لا يظهر الشيء المكتوم ولا يعرف فيؤخذ به. مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ: جمع بينة وهي ما يثبت به النبي المراد إثباته، والمراد به هنا ما يثبت نبوة محمد ﷺ من نعوت وصفات جاءت من كتاب أهل الكتاب.

وَأَهْدَى: ما يدل على المطلوب الصحيح ويساعد على الوصول إليه، والمراد به هنا ما جاء به رسول الله من الدين الصحيح المفضي بالأخذ به إلى الكمال والسعادة في الدنيا والآخرة. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾: التوراة والإنجيل. ﴿أُولَئِكَ﴾. يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ: اللعنة: الطرد والبعد من كل خير ورحمة.

وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنَةُ: من يصدر عنهم اللعن كالملائكة والمؤمنين. ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ (١١). وَأَصْلَحُوا: ما أفسدوه من عقائد الناس وأمور دينهم بإظهار ما كتموه والإيمان بما كذبوا به وأنكروه. ﴿وَبَيَّنَّا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١١٦). إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ﴾. عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ: أي بأن يمهلوا ليعتذروا، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ (١١٧).

وَالنَّهْكَزُ: الإله: المعبود بحق أو بباطل، والله ﷻ هو الإله الحق المعبود بحق. إِلَهُ وَاحِدٌ: في ذاته وصفاته وفي ربوبيته فلا خالق ولا رازق ولا مدبر للكون والحياة إلا هو، وفي الوهيته أي: في عبادته فلا معبود بحق سواه.

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١١٧﴾: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ: بوجود أحدهما وغياب الثاني لمنافع العباد بحيث لا يكون النهار دائمًا ولا الليل دائمًا. ﴿وَأَلْفُكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾. وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ: وفرق في الأرض ونشر فيها من سائر أنواع الدواب.

(١) ﴿تَابُوا﴾: أي رجعوا إلى الإيمان والدخول في الإسلام، ﴿وَأَصْلَحُوا﴾: أي ما أفسدوه من عقائد الناس وأخلاقهم وأرواحهم، ﴿وَبَيَّنَّا﴾: أي ما كتموه من العلم الواجب بيانه والمحرم كتمانته.

وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ : باختلاف مهايها مرة صبا، ومرة دبوراً، ومرة شمالية، ومرة غربية أو مرة ملقحة ومرة عقيماً. ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ ۞

أنداداً : جمع ند وهو المثل والنظير والمراد بالأنداد هنا الشركاء يعبدونها بحبها والتقرب إليها بأنواع العبادات كالدعاء لها والنذر والحلف بها. ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يُرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٦﴾ .

إذ تَبَرَّأَ : التبرؤ: التنصل من الشيء والتباعد عنه بكرهه.

الَّذِينَ اتَّبَعُوا : المعبودون والرؤساء المضلون.

مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا : المشركون والمقلدون لرؤسائهم في الضلال. ﴿وَرَأُوا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمْ ۞

الْأَسْبَابُ : جمع سبب وهي لفة الحبل ثم استعمل في كل ما يربط بين شيئين وفي كل ما يتوصل به إلى مقصد وغرض خاص. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا ۞

كِرَّةً : رجعة وعودة إلى الحياة الدنيا. ﴿فَنَتَّبِعَ آمِنَهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۞

حَسَرَتٍ عَلَيْهِمْ : جمع حسرة وهي الندم الشديد الذي يكاد يخسر صاحبه فيقعده به عن الحركة والعمل. ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِن مَّا فِي الْأَرْضِ ۞

حَلَلًا : ما انحلت عقدة الحظر عنه وهو ما أذن الله تعالى فيه.

طَيِّبًا : ما كان طاهرًا غير نجس ولا مستقدر تعافه النفوس. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا ۞

حُطُوتِ الشَّيْطَانِ : الخطوات جمع خطوة وهي المسافة بين قدمي الماشي، والمراد بها هنا

مسالك الشيطان وطرقه المفضية بالعبد إلى تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم.

إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ : عداوته بينة وكيف وهو الذي أخرج أبونا آدم وحواء من الجنة، وأكثر

الشرور والمفاسد في الدنيا إنما هي بوسواسه وإغوائه.

إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ : كل ما يسوء النفس ويصيبها بالحزن والغم ويدخل فيها سائر المعاصي.

وَالْفَحْشَاءِ : كل خصلة قبيحة كالزنا واللواط والبخل وسائر المعاصي ذات القبح

الشديد. ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿١٦٨﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا ۞

أَلْفِينَا : وجدنا. ﴿عَلَيْهِ ءَابَاءُنَا أَوْ لَوْ كُنَّا ءَابَاءَهُمْ لَآيَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٦٩﴾ .

وَمَثَلٌ : المثل الصفة والحال. ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي ۞

يَنعِقُ : يصيح. والاسم النعيق وهو الصياح ورفع الصوت. ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا ۞

(١) النعيق: دعاء الراعي، وتصويته بالغنم، فشبه الكفار بالشيء من الغنم يسوقها راعيها حيث شاء، فإذا نعق بها داعياً

دُعَاءٌ : طلب القريب كدعاء المؤمن ربه يا رب. يا رب.

وَنِدَاءٌ : طلب البعيد كأذان الصلاة.

صُمٌّ : جمع أصم فاقد حاسة السمع فهو لا يسمع.

بُكْمٌ : جمع أبكم فاقد حاسة النطق فهو لا ينطق. ﴿عُنَى﴾ .

فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ : لا يدركون معنى الكلام ولا يميزون بين الأشياء لتعطل آلة الإدراك عندهم

وهي العقل.

يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كَلُوا مِن طَيِّبَاتٍ : جمع طيب وهو الحلال. ﴿مَارَزَقْنَاكُمْ﴾ .

وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ : اعترفوا بنعم الله عليكم واحمدوه عليها واصرفوها في مرضاته.

إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ : إن كنتم مطيعين لله منقادين لأمره ونهيه.

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ : حظر ومنع.

الْمَيْتَةَ : ما مات من الحيوان حتف أنفه بدون ذكاة.

وَالدَّمَّ : المسفوح السائل، لا المختلط باللحم.

وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ : حيوان خبيث معروف بأكل العذرة ولا يغار على أنثاه.

وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ : الإهلال: رفع الصوت باسم من تُذبح له من الآلهة<sup>(١)</sup>

فَمَنِ اضْطُرَّ : ألجئ وأكره بحكم الضرر الذي لحقه من الجوع أو الضرب.

غَيْرِ بَاغٍ وَلَا عَادٍ : الباغي الظالم الطالب لما لا يحل له، والعادي المعتدي المجاوز لما له إلى

ما ليس له.

فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ : الإثم: أثر المعصية في النفس بالظلمة والتدسية. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٧٢) .

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ : يجحدون ويخفون.

مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ : الكتاب التوراة وما أنزل الله فيه من صفة النبي ﷺ والأمر بالإيمان

به. ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ مِمَّا قَلِيلًا أَوْلِيكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ .

وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : لسخطه عليهم ولعنه لهم.

وَلَا يُزَكِّيهِمْ : لا يطهرهم من ذنوبهم لعدم رضاه عنهم. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٧٤) أَوْلِيكَ

لها أجابته ولو كان دعاؤه إياها لذبحها، وكذا إذا ناداها بأن كانت بعيدة أجابته وهي لا تدري لم نوديت؟ إذ هي

لا تسمع ولا تفهم إلا مجرد الصوت الذي ألفته بالتقليد الطويل والاتباع بدون دليل.

وهناك معنى آخر للآية قاله الطبري وهو أن المراد مثل الكافرين في دعائهم آلهتهم كمثل الذي ينطق بشيء بعيد فهو

لا يسمع من أجل البعد فليس للناعق من ذلك إلا النداء الذي يُتبعه وينصبه. وما فسرناه به أصح وأمثل.

(١) هذه أصول المحرمات الأربعة، وأما المنخقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع وما ذبح على

النصب فهي متفرعة عن تلك الأصول وهي مذكورة في أول المائة.

الَّذِينَ أَشْرَوْا الصَّلَاةَ: العماية المانعة من الهداية إلى المطلوب. ﴿بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ﴾  
فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ يَأْتِي أَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴿١﴾

وَإِنَّ الَّذِينَ اختلفوا في الْكِتَابِ (١) لَبئس شقاق: التنازع والعداء حتى يكون صاحبه في شق ومنازعه في آخر.

بَعِيدٍ: يصعب إنهاؤه والوفاق بعده.

﴿لَيْسَ الْبِرُّ بِمَا تَبَدَّلْتُم بِهِ﴾ اسم جامع لكل خير وطاعة لله ورسوله محمد ﷺ. ﴿أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾

وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ: البر الحق بر من آمن بالله.

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ: إلى آخر الصفات.

وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ: أعطى المال حين تعين إعطاؤه مع شدة حبه له فأثر ما يحب الله على ما يحب.

ذَوِي الْقُرْبَى: أصحاب القرابات، الأقرب فالأقرب.

وَالْيَتَامَى: جمع يتيم وهو من مات والده وهو لم يبلغ الحنث.

وَالْمَسْكِينِ: جمع مسكين، فقير معدم أسكته الحاجة فلم يقدر على التصرف.

وَأَبْنِ السَّبِيلِ: المسافر البعيد الدار المنقطع عن أهله وماله.

وَالسَّائِلِينَ: جمع سائل الفقير المحتاج الذي أذن له في السؤال لدفع غائلة الحاجة عن

نفسه (٣).

وَفِي الرِّقَابِ: الرقاب جمع رقبة والإنفاق منها معناه في عتقها. ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾

وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ: البأساء: شدة البؤس من الفقر، والصرأء: شدة الضر أو المرض.

وَحِينَ الْبَأْسِ: عند القتال واشتداده في سبيل الله تعالى.

أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا: أي في دعواهم الإيمان والبر والبرور. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (١٧٧) يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿١﴾

(١) اليهود والنصارى ويدخل في هذا مشركو العرب فقد اختلفوا في القرآن فقالوا: شعر، وقالوا: سحر، وقالوا: أساطير.

(٢) قرأ حفص: ﴿الْبِرُّ﴾ بالنصب على أنه خبر ليس مقدماً والاسم أن وما دخلت عليه والتقدير: تولية وجوهكم، وقرأ غيره ﴿البرُّ﴾ مرفوعاً على أنه الاسم، والخبر: أن وما دخلت عليه.

(٣) قال رسول الله ﷺ: «من سأل شيئاً وعنده ما يغنيه، فإنما يستكثر من جمر جهنم، قالوا: وما يغنيه؟ قال: قدر ما يغديه ويعشيه».

(صحيح): مم، د، حب، ك، عن سهل بن الحنفية - انظر صحيح الجامع (قل).

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ : كتب: فرض والقصاص<sup>(١)</sup> ، إذا لم يرض ولي الدم بالدية ولم يعف.  
 فِي الْقَتْلِ : الفاء سببية أي: بسبب القتل والقتلى جمع قتيل وهو الذي أزهقت روحه فمات  
 بأي آلة.

الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ : الحر خلاف العبد، والعبد هو الرقيق المملوك. وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى<sup>(٢)</sup>  
 فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ : فمن تنازل له ولي الدم عن القود إلى الدية أو العفو.  
 فَأَنْبِأَهُ بِالْمَعْرُوفِ : فالواجب أن تكون مطالبة الدية بالمعروف والرفق واللين.  
 وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ : وأن يكون أداء الدية بإحسان خاليًا من المماطلة والنقص.  
 ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ : أي ذلك الحكم العادل الرحيم وهو جواز أخذ الدية بدلًا من  
 القصاص تخفيف عنكم من ربكم إذ كان في شرع من قبلكم القصاص فقط أو الدية فقط، وأنتم  
 مخيرون بين العفو والدية والقصاص.

فَمَنْ أَعْتَدَكَ بَعْدَ ذَلِكَ : يريد من أخذ الدية ثم قتل فإنه يتعين قتله لا غير. ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

﴿١٧٨﴾

وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ : المساواة في القتل والجراحات وفي آلة القتل أيضًا.  
 حَيَوةٌ : إبقاء شامل عميم، إذ من يريد أن يقتل يذكر أنه سيقتل فيترك القتل فيحيا، ويحيا من  
 أراد قتله، ويحيا بحياتهما خلق كثير وعدد كبير.

يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ : أصحاب العقول الراجعة، واحد الأبواب: لب وهو في الإنسان العقل.  
 لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ : ليعدكم بهذا التشريع الحكيم لاتقاء ما يضر ولا يسر في الدنيا والآخرة.  
 كُتِبَ : فرض وأثبت. ﴿عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ﴾  
 حَيْرًا : مالا نقدًا أو عرضًا أو عقارًا.

الْوَصِيَّةُ : الوصية ما يوصى به من مال وغيره. ﴿لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾  
 بِالْمَعْرُوفِ : ما تعارف عليه الناس كثيرًا أو قليلًا بحيث لا يزيد على الثلث<sup>(٣)</sup>. ﴿حَقًّا عَلَى  
 الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٨٠﴾

فَمَنْ بَدَّلَهُ : التبديل: التغيير للشيء بأخر. ﴿بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَأَنبَأَ إِيَّاهُ عَلَى الَّذِينَ بَدَّلُونَهُ إِذِ انَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

(١) القصاص: مأخوذ من قص الأثر إذا تبعه ومنه القاص لأنه يتبع الأخبار والآثار والقاتل كأنه سلك طريقًا فقص  
 أثره فيها ومشى على سبيله في ذلك.

(٢) ذهب أبو حنيفة إلى أن الحر يقتل بالعبد مخالفًا للجمهور لعموم آية المائدة: ﴿النَّفْسُ بِالنَّفْسِ﴾.

(٣) نسخ الله هذا الحكم بآية الموارث وهي ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلرِّجَالِ نَسَبٌ مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ وَلِلنِّسَاءِ نَسَبٌ مِّمَّا رَزَقْنَاهُنَّ لِمَا رَزَقْنَاهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. لا وصية  
 لوارث، رواه أصحاب السنن وغيرهم وهو صحيح الإسناد، ونسخ الوجوب، وبقي الاستحباب ولكن لغير  
 الوالدين والأقربين الوارثين [حسب شروط الوصية].

﴿فَمَنْ خَافَ﴾ (١٨١)

مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا: الجنف: الميل عن الحق خطأ، والإثم: (١) تعمد الخروج عن الحق والعدل. ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٨٢) ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ: فرض وأثبت.

الصِّيَامُ: لغة الإمساك، والمراد به هنا الامتناع عن الأكل والشرب وغشيان النساء من طلوع الفجر إلى غروب الشمس (٢). ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٨٣) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ: تسعة وعشرون أو ثلاثون يومًا بحسب شهر رمضان، ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾.

فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ: فعلى من أفطر لعذر المرض أو السفر فعليه صيام أيام آخر بعدد الأيام التي أفطر فيها.

وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ: أي يتحملونه بمشقة لكبر سن أو مرض لا يرجى برؤه. فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ: قالوا وجب على من أفطر لعذر مما ذكر أن يطعم على كل يوم مسكينًا، ولا قضاء عليه.

فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا: أي زاد على المدين أو أطعم أكثر من المساكين. ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾. وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ: الصيام على من يطيقه ولو بمشقة خير من الإفطار مع الطعام. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١٨٤)

شَهْرُ رَمَضَانَ: هو الشهر التاسع من شهور السنة القمرية، ولفظ الشهر مأخوذ من الشهرة، ورمضان مأخوذ من رمض الصائم؛ إذ حر جوفه من العطش.

الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنَ: هذه آية فضله على غيره من سائر الشهور حيث أنزل فيه القرآن وذلك في ليلة القدر منه لآية: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ﴾، وآية: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (١). أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في سماء الدنيا ثم نزل نجمًا بعد نجم، وابتدى نزوله على رسول الله ﷺ في رمضان أيضًا.

هُدًى لِلنَّاسِ: هاديًا للناس إلى ما فيه كمالهم وسعادتهم في الدارين.

وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ: البيّنات جمع بينة، والهدى الإرشاد، والمراد أن القرآن نزل هاديًا للناس ومبينًا لهم سبيل الهدى، موضحًا طريق الفوز والنجاة فارقًا لهم بين الحق والباطل في كل شئون الحياة.

(١) من أوصى بما لا يجوز الانتفاع به أو تناوله واستعماله كمن أوصى بخمر أو بناء قبة على ميت أو إحياء بدعة مولد ونحوه فإنه يجوز تبديله بما هو جائز ولا يصح إمضاؤه.

(٢) أي بنية امتثال أمر الله تعالى به أو بنية التقرب إليه ﷻ.



فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ : حضر الإعلان عن رؤيته. ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ .  
فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ : فعليه القضاء بعدد الأيام التي أفطرها مريضًا أو مسافرًا. ﴿يُرِيدُ اللَّهُ

بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ .  
وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ : وجب القضاء من أجل إكمال عدة الشهر ثلاثين أو تسعة وعشرين يومًا.  
وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ : وذلك عند إتمام صيام رمضان من رؤية الهلال إلى العودة  
من صلاة العيد، والتكبير مشروع وفيه أجر كبير، وصفته المشهورة: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله،  
الله أكبر الله أكبر والله الحمد.

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ : فرض عليكم الصوم وندبكم إلى التكبير لتكونوا بذلك من الشاكرين  
لله تعالى على نعمه لأن الشكر هو الطاعة. ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ﴾ .  
الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ : السائل ربه حاجته.

فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي : أي يجيبوا ندائي إذا دعوتهم لطاعتي وطاعة رسولي بفعل المأمور وترك  
المنهي والتقرب إلي بفعل القرب وترك ما يوجب السخط. ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ .  
لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ : بكمال القوتين: العلمية والعملية إذ الرشد هو العلم بمحاب الله  
ومساخطه، وفعل المحاب وترك المساخط، ومن لا علم له ولا عمل فهو السفیه الغاوي والضال  
الهالك.

أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ : الليلة التي يصبح العبد بعدها صائمًا.

الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ : الجماع.

هُنَّ لِيَّاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَّاسٌ لَهُنَّ : كناية عن الاختلاط ببعضكم ببعض كاختلاط الثوب بالبدن.  
عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ : بتعريضها للعقاب، ونقصان حظها من الثواب  
بالجماع ليلة الصيام قبل أن يحل الله لكم ذلك. ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ .

فَالْتَنَبَّشُوا مِنْ جَامِعِهِمْ : جامعهم، أباح لهم ذلك ليلاً.

وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ : اطلبوا بالجماع الولد إن كان قد كتب لكم<sup>(١)</sup>، ولا يكن الجماع  
لمجرد الشهوة. ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ﴾ .

الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ : الفجر الكاذب وهو بياض يلوح في الأفق كذنب السرحان.

مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ : سواد يأتي بعد البياض الأول فينسخه تمامًا.

مِنَ الْفَجْرِ : انتشار الضوء أفقيًا ينسخ سواد الخيط الأسود ويعم الضياء الأفق كله. ﴿ثُمَّ أَتَمُّوا

الصِّيَامَ إِلَى الْيَلِّ وَلَا تَبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ﴾ .

(١) ويحتمل اللفظ معاني أخرى مثل: ما أبيح لكم، وليلة القدر، والرخصة، والتوسعة.

عَنْكُفُونَ فِي الْمَسْجِدِ: منقطعون إلى العبادة في المسجد تقرباً إلى الله تعالى.  
تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا: جمع حد وهو ما شرع الله تعالى من الطاعات فعلاً أو تركاً.  
كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ: أي كما بين أحكام الصيام بين أحكام سائر العبادات من أفعال  
وتروك ليهيئهم للتقوى التي هي السبب المورث للجنة. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (١٧٧) وَلَا تَأْكُلُوا  
أَمْوَالَكُمْ ﴿

بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ: الباطل: خلاف الحق.

وَتَدُلُّوهُمُ إِلَى الْحُكْمِ: الإدلاء بالشيء إلقاءه، والمراد هنا إعطاء القضاة والحكام الرشوة  
ليحكموا لهم بالباطل حتى يتوصلوا إلى أموال غيرهم.  
لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا: أي طائفة وقطعة من المال. ﴿مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ﴾.

بِالْإِثْمِ: المراد هنا بالرشوة وشهادة الزور، واليمين الفاجرة أي: الحلف بالكذب ليقضي  
القاضي لكم بالباطل في صورة حق. ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١٧٨).

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾: جمع هلال وهو القمر في بداية ظهوره في الثلاثة الأيام الأولى من  
الشهر لأن الناس إذا رأوه رفعوا أصواتهم الهلال الهلال. ﴿قَدْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ  
بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾.

وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى: البر الموصل إلى رضوان الله بر عبد اتقى الله تعالى بفعل أو امره  
واجتناب نواهيه، فليس البر دخول البيوت من ظهورها. ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾.

وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ: الفلاح الفوز وهو النجاة من النار ودخول الجنة.  
وَقَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ: الطريق الموصل إلى رضوانه وهو الإسلام والمراد إعلاء كلمة  
الإسلام.

الَّذِينَ يَقْتُلُونَكَ: المشركون الذين يبدءونكم بالقتال.

وَلَا تَعْتَدُوا: لا تجاوزوا الحد فقتلوا النساء والأطفال ومن اعتزل القتال. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَا  
يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (١٧٩).

وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَفِفْتُهُمْ: تمكنتم من قتالهم. ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمْ﴾.  
وَالْفَنَاءُ: الشرك. أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ.

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ: المراد به مكة والحرم ومن حولها. ﴿حَتَّى يَقْتُلُوَكُمْ فِيهِ إِنْ قَتَلْتُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ  
جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ (١٨٠) فَإِنْ أَنْهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿

وَقَتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِئَةً: حتى لا يكون شرك.

(١) يدخل في هذا النهي كل محرّم كالهيئة وتحريق الأشجار وقتل الحيوان.

وَيَكُونُ الَّذِينَ لِلَّهِ : بأن لم يبق من يعبد غير الله تعالى.

فَإِنْ أَنْتَهُوَ أَفْلَاغُ دُونَ : أي لا اعتداء بالقتل والمحاربة.

إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ : أما من أسلم فلا يقاتل.

الشَّهْرُ الْحَرَامُ : الأشهر الحرام فيها القتال والأشهر الحرم أربعة، ثلاثة سرد وواحد فرد، فالثلاثة

هي: القعدة والحجة ومحرم، والرابع الفرد: رجب. ﴿بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ .

وَالْحُرْمَتُ قِصَاصٌ : جمع حرمة كالشهر الحرام، والبلد الحرام، والإحرام. ﴿فَمَنْ أَعَدَّيْ عَلَيْكُمْ

فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعَدَّيْ عَلَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا﴾ (١)

أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ : المتقون هم المؤمنون الذين يتقون معاصي الله تعالى ومخالفة سننه في

الحياة، وكونه تعالى معهم: يسددهم ويعينهم وينصرهم. ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ .

إِلَى التَّهْلُكَةِ : الهلكة والهلاك مثلها.

وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ : الإحسان: إتقان الطاعة وتخليصها من شوائب الشرك وفعل

الخير أيضاً (٢)

وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ : فإتمامهما أن يحرم بهما من الميقات وأن يأتي بأركانها وواجباتها على

الوجه المطلوب من الشارع، وأن يخلص فيهما لله تعالى.

فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ : الحصر والإحصار أن يعجز الحاج أو المعتمر عن إتمام حجه أو عمرته إما بعدو

يصدده عن دخول مكة، أو مرض شديد لا يقدر معه على مواصلة السير إلى مكة (٣).

فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ : أي فالواجب على من أحصر ما تيسر له من الهدى شاة أو بقرة أو بعير.

وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ : لا يتحلل المحصر من إحرامه حتى يذبح ما تيسر له من

(١) لهذه الآية نظيرها وهو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ وقوله: ﴿وَحَرِّزُوا سَنَتَكُمْ بِرِئَابِكُمْ﴾ وهي بالنسبة إلى الأمة قد نسخت بآيات الجهاد، أما بالنسبة للأفراد فالجمهور على أن الفرد لا يعاقب

بنفسه ولكن بواسطة الحاكم، ولكن يرى بعضهم كالإمام الشافعي، أن الفرد إذا لم يتوصل إلى أخذ حقه إلا

بالمعاقبة فلينظر إذا كان يمكنه أن يأخذ بقدر ما أخذ منه مساواة بلا زيادة فلا بأس أن يأخذ بشرط أن يأمن من

نسبته إلى السرقة حتى لا يتعرض إلى إقامة الحد عليه.

(٢) روي أن أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: هذه الآية نزلت فينا معاشر الأنصار، وذلك أنه لما نصر الله رسوله

وأظهر دينه قلنا: هلّم نقيم في أموالنا ونصلحها فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية والإلقاء باليد في

التهلكة أن نقيم في أموالنا. [رواه أبو داود والترمذي والنسائي واللفظ لأبي داود].

(٣) قال الألباني في مناسك الحج والعمرة ١٣، ١٤: (وإن أحب قرن مع تلبيته الاشتراط على ربه تعالى خوفاً من

العارض من مرض أو خوف، فيقول: «اللهم محلي حيث حبستني» متفق عليه. فإنه إن فعل ذلك فحبس أو

مرض جاز له التحلل من حجته وعمرته، وليس عليه دم وحج من قابل إلا إذا كانت حجة الإسلام فلا بد من

قضائها) (قل).

الهدى فإن ذبح تحلل بخلق رأسه. ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ﴾ ﴿١٩٥﴾  
 فَعِدْيَةٌ: فالواجب هو فدية. ﴿مِن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾  
 فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ: فمن أحرم بعمره في أشهر الحج وتحلل وبقي في مكة ينتظر الحج وحج  
 فعلاً فالواجب. ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾  
 فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ: فمن تمتع بالعمرة ولم يجد هدياً لعجزه عنه فالواجب صيام عشرة  
 أيام: ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجع.  
 في الْحَجِّ: في مكة.

وَسَبْعًا إِذَا رَجَعْتُمْ: في بلده. ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾  
 ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ: حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ: أي ما وجب من الهدى أو الصيام عند العجز وهو  
 لغير أهل الحرم، أما سكان مكة والحرم حولها وهو أهل الحرم فلا يجب عليهم شيء إن  
 تمتعوا<sup>(١)</sup>. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿١٩٦﴾  
 الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ: هي شوال والقعدة وعشر ليالٍ من الحجة هذه هي الأشهر التي يحرم  
 فيها بالحج.

فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ: نوى الحج وأحرم به.  
 فَلَارَفَثًا: الرفث الجماع ومقدماته.  
 وَلَا فُسُوقًا: الفسق والفسوق الخروج من طاعة الله بترك واجب أو فعل حرام.  
 وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ: الجدل: المخاصمة والمنازعة. ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾  
 وَتَكَرَّرُوا فِيهَا خَيْرَ الزَّادِ النَّفْوَى: وَتَقُونَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴿العجاج: الإثم.

أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ: تطلبوا ربحاً في التجارة من الحج.  
 فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ: الإفاضة من عرفات تكون بعد الوقوف بعرفة يوم الحج وذلك  
 بعد غروب الشمس من يوم التاسع من شهر الحجة. فَأَذْكُرُوا اللَّهَ.  
 عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ: مزدلفة وذكر الله تعالى عندها صلاة المغرب والعشاء جمعاً بها  
 وصلاة الصبح. ﴿وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الصَّالِينَ﴾ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا  
 مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾  
 فَإِذَا أَقْضَيْتُمْ: أديتم وفرغتم منها.  
 مِّنْ سِكِّكُمْ: جمع منسك وهي عبادات الحج المختلفة. ﴿فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ﴾

(١) بل عليهما أن يُحملا على نعش ويوقف بهما بعرفة ويطاف بهما وهما على النعش.

ءَابَاءَكُمْ<sup>(١)</sup> أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّكَاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا ءِئِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿٢١﴾

خَلَقِي: الخلاق: الحظ والنصيب. ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا ءِئِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ: حسنة الدنيا كل ما يسر ولا يضر من زوجة صالحة وولد صالح ورزق حلال، وحسنة الآخرة النجاة من النار ودخول الجنان.

وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ: احفظنا ونجنا من عذاب النار. أَوْلَيْكَ لَهُمْ نَصِيبٌ: حظ وقسط من أعمالهم الصالحة ودعائهم الصالح. ﴿ مِمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٢﴾

﴿ وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ: أيام التشريق الثلاثة بعد يوم العيد

فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ: رمى يوم الأول والثاني وسافر. ﴿ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴿

وَمَنْ تَأَخَّرَ: رمى الأيام الثلاثة كلها.

فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ: أي لا ذنب في التعجل ولا في التأخر.

لِمَنْ اتَّقَى: للذي اتقى ربه بعدم ترك واجب أو جبه أو فعل حرام حرمه. ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا

أَنَّكُمْ إِلَيْهِ ﴿

تُحْشَرُونَ: تجمعون للحساب والجزاء يوم القيامة.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ: يروق لك وتستحسنه.

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا: إذا تحدث في أمور الدنيا. ﴿ وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ﴿

وَهُوَ الَّذِي الْخَصَامُ: قوي الخصومة شديدها للذلاقة لسانه.

وَإِذَا تَوَلَّى: رجع وانصرف، أو كانت له ولاية. ﴿ سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ﴿

الْحَرَّتْ وَالنَّسْلُ: الحرث: الزرع، والنسل: الحيوان. ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ

اللَّهَ ﴿

أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ: أخذته الحمية والأنف بذنوبه فهو لا يتقي الله. ﴿ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ

الْمِهَادُ ﴿٢٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ ﴿

مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ: يبيع نفسه لله تعالى بالجهاد في سبيله بنفسه وماله. ﴿ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ

وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٧﴾

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ: الإسلام.

(١) على النحو الذي كانوا في الجاهلية يذكرون فيه مفاخر آبائهم وأحساب أجدادهم.

(٢) كروي أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الأيام المعدودات: أيام التشريق، والأيام المعلومات: أيام العشر من أول الحجة.

كَافَّةً : جميعاً لا يتخلف عن الدخول في الإسلام أحد، ولا يُترك من شرائعه ولا من أحكامه شيء حتى لا يبقى مشروع ما يعمل به أو لا يبقى فرد لا يدخل فيه.  
وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ : مسالكه في الدعوة إلى الباطل وتزيين الشر والقيح. ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (٢٨).

فَإِنْ زَلَلْتُمْ : وقعتُم في الزلل وهو الفسق والمعاصي.  
مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ : الحجج والبراهين. ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٩).  
هَلْ يَنْظُرُونَ : ما ينظرون: الاستفهام للنفي. ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ : جمع ظلة ما يظلل من سحب أو شجر ونحوهما.  
مِنَ السَّمَاءِ : السحاب الرقيق الأبيض. ﴿وَالْمَلَكِ الْبَاطِنِ الَّذِي أَمَرَ بِاللَّيْلِ أَنْ يَأْتِيَ السَّحَابَ بِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ وَالنَّجْمِ أَنَّ لَهُمْ أَسْمَاءٌ مِثْلَ النُّجُومِ وَلَكُمُ الْكَوَكَبُ وَاللَّهُ يَخْتَصِمُ بِالَّذِينَ يَعْتَصِمُونَ﴾ (٣٠).  
سَلَّ : أسأل: سقطت منه الهمزتان للتخفيف.

بَنِي إِسْرَائِيلَ : ذرية يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وإسرائيل لقب يعقوب. ﴿كَمْ آتَيْنَاهُمُ مِنْ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٣١).  
خَارِقَةٌ : خارقة للعادة كعصا موسى تدل على أن من أعطاه الله تلك الآيات هو رسول الله حقاً، وآيات بني إسرائيل التي آتاهم الله تعالى منها فلق البحر لهم، وإنزال المن والسلوى في التيه عليهم. ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ﴾ (٣٢).

نِعْمَةَ اللَّهِ (١) : ما يهبه لعبده من خير يجلب له المسرة ويدفع عنه المضرة ونعم الله كثيرة. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٣٣).  
وَيَسْخَرُونَ : يحتقرون ويستهنئون. ﴿مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣٤).

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً : كانوا قبل وجود الشرك فيهم أمة واحدة على الإسلام والتوحيد وذلك قبل قوم نوح.

فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ : جمع نبي والمراد بهم الرسل إذ كل نبي رسول بدليل رسالتهم القائمة على البشارة والندارة والمستمدة من كتب الله تعالى المنزلة عليهم.  
وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ : اسم جنس يدخل فيه كل الكتب الإلهية. ﴿بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ (٣٥).

وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ : أعطوه. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ﴾ (٣٦).  
الْبَيِّنَاتُ : الحجج والبراهين تحملها الرسل إليهم وتورثها فيهم شرائع وأحكاماً وهدايات

(١) فسرت نعمة الله هنا: بالإسلام وهو كذلك فإن الإسلام أكبر نعمة لما يجلبه من السعادة والكمال وما يدفعه من العذاب والعقاب في الدارين.

عامة.

بَغِيًّا بَيْنَهُمْ : البغي الظلم والحسد. ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا<sup>(١)</sup> لِمَا اٰخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِاِذْنِهِ﴾ .  
وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ اِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ : الإسلام المفضي بصاحبه إلى السعادة والكمال في  
الحياتين.

أَمْ حَسِبْتُمْ : أظنتم، (أم) هي المنقطعة فتفسر ب(بل) والهمزة، والاستفهام إنكاري ينكر  
عليهم ظنهم هذا لأنه غير واقع موقعه. ﴿أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ .  
وَلَمَّا : بمعنى (لم) النافية.

يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ : صفة وحال الذين من قبلكم.  
مَسْتَهْمُ الْبِئْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَرَزِلُوكُمْ : البأساء: الشدة من الحاجة وغيرها، والضراء: المرض  
والجراحات والقتل. ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ .

مَتَى نَصَرَ اللَّهُ : الاستفهام للاستبطاء. ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (١٤) يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ﴿  
قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ : من مال إذ المال يطلق عليه لفظ الخير.  
فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ : كالإخوة والأخوات وأولادهم، والأعمام والعمات وأولادهم والأخوال  
والخالات وأولادهم. ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ .

وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ : ما: شرطية ومن: بيانية والخير هنا لسائر أنواع البر والإحسان<sup>(٢)</sup>

فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ : الجملة علة لجواب الشرط المحذوف والمقدر يشبكم عليه.

كُتِبَ عَلَيْكُمْ : فرض فرضاً مؤكداً حتى لكأنه مكتوب كتابة.

الْقِتَالُ : قتال الكافرين بجهادهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية.

وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ : مكروه في نفوسكم طبعاً.

وَعَسَى : هذا الفعل معناه الترجي والتوقع أعني: أن ما دخلت عليه مرجو الحصول متوقع لا

على سبيل الجزم، إلا أنها إن كانت من الله تفيد اليقين. ﴿أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ

تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١١) يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ ﴿

الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ : أي المحرم. قتال بدل اشتغال من الحرام، إذ السؤال عن القتال في الشهر

الحرام (رجب).

قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ : أي ذنب عظيم.

(١) أي من أمة محمد ﷺ وهم المسلمون هداهم للإيمان بكل الكتب وسائر الرسل ونجاهم مما اختلف فيه من قبلهم، والحمد لله.

(٢) الآية في نفقة التطوع وقوله: ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ إشارة إلى أن ما ينفق يجب أن يكون طيباً لا خبيثاً إذ لفظ الخير يدل على ذلك ويرمز له: ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ .

وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ : وصرف عن دين الله.

وَكُفْرًا بِهِ : كفر بالله تعالى.

وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ : مكة والمسجد الحرام فيها.

وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ : النبي ﷺ والمهاجرون.

أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ : أعظم وزرا.

وَالْفِتْنَةُ : الشرك واضطهاد المؤمنين ليكفروا. ﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ

عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْطَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ دِينَكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ .

فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ : بطل أجرها. فلا يثابون<sup>(١)</sup> عليها لردتهم. ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ .

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا : تركوا ديارهم خوف الفتنة والاضطهاد في ذات الله.

﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ﴾ : كل ما خامر العقل وغطاه فأصبح شاربه لا يميز ولا يعقل، ويطلق

لفظ الخمر على عصير العنب أو التمر أو الشعير وغيرها.

وَالْمَيْسِرِ : القمار؛ وسمي ميسرًا لأن صاحبه ينال المال في يسر وسهولة.

قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ : الإثم كل ضار فاسد يضر بالنفس أو العقل أو البدن أو المال أو

العرض.

وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ<sup>(٢)</sup> : جمع منفعة وهي ما يسر ولا يضر من سائر الأقوال والأفعال والمواد.

﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ .

وَسَأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوُ : العفو هنا: ما فضل وزاد عن حاجة الإنسان من المال.

﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ﴾ .

تَتَفَكَّرُونَ : فتعرفون ما ينفع في كل منهما فتعملون لديناكم ما يصلحها وتعملون لآخرتكم ما

يسعدكم فيها، وينجيكم من عذابها. ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي قُلْ إِصْلَاحٌ لِمَنْ خَيْرٌ﴾ .

(١) على هذا مالك وأبو حنيفة خلافاً للشافعي إذ يرى ﷺ أن من ارتد ثم تاب يعود إليه كل عمل صالح عمله قبل

الردة فلا يعيد الحج إذا حج، والراجع ما قرناه في التفسير إذ أقل ما يقال: عليه إعادة الحج طمعاً في مغفرة

ذنوبه وعدم مؤاخذته. أما من مات كافراً فالإجماع على خلوده في النار، ودليل الجمهور قوله تعالى: ﴿لَيْسَ

أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ﴾ الآية وحمله الشافعي على أنه مطلق مقيد بآية الموت على الكفر فما دام لم يميت كافراً

فإن أعماله قبل الردة لا تبطل، والله أعلم.

(٢) والنفع الذي هو الربح إذ كانوا يشترونها من الشام بالرخص وبـ حرثها بالغلاء في ديارهم كان في الجاهلية أما

بعدها حرّمها الله تعالى وحرّم بيعها فلم يبق فيها نفع البتة.



وَأَنْ تَخْلُطُوهُمْ : تخلطون مالهم مع مالكم ليكون سواء. ﴿فَأَخَوَانُكُمْ﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُنْفِسِدَ مِنَ الْمُضْلِحِّ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ ﴿.

لَأَعْنَتَكُمْ : العنت المشقة الشديدة يقال: أعتته إذا كلفه مشقة شديدة (١). ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

﴿١٢٢﴾

وَلَا تَنْكِحُوا : لا تزوجوا. ﴿الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ﴾ .

وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ : الأمة خلاف الحرة. ﴿خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ﴾ .

وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ : أي أعجبكم حسنها وجمالها. ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ﴾

خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴿.

أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ : بحالهم ومقالهم وأفعالهم. ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾

وَبَيِّنٌ ﴿.

ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ : أحكام دينه ومسائل شرعه. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٢٣﴾ .

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ : مكان الحيض وزمنه، والحيض دم يخرج من رحم المرأة إذا خلا

من الجنين (٢)

قُلْ هُوَ أَذَى : ضرر يضر المجامع في أيامه.

فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ : اتركوا جماعهن أيام الحيض.

وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ : أي لا تجامعوهن حتى ينقطع دم حيضهن (٣)

فَإِذَا تَطَهَّرْنَ : أي إذا انقطع دم حيضهن واغتسلن منه.

فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ : أي جامعوهن في قبلهن، وهن طاهرات متطهرات. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ﴿١٢٤﴾ .

فَسَأَلَكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ : يريد مكان إنجاب الأولاد فشبّه النساء بالحرث لأن الأرض إذا حرثت

أُنبتت الزرع، والمرأة إذا وطئت أُنبتت الولد بإذن الله تعالى.

(١) مفعول المشيئة محذوف كما هو الغالب فيه والتقدير: ولو شاء الله عنتكم لأعتكم؛ أي: كلفكم ما فيه العنت والمشقة ولكنه لم يفعل ذلك رحمة بكم ولطفًا بحالكم.

(٢) يطلق على الحيض أيضًا لأنه مصدر حاضت المرأة حيضًا ومحاضًا ومحيضًا فهي حائض وقد يقال حائضة وعليه قول الشاعر:

كحائضة يزني بها غير طاهر

والحيضة المرة الواحدة والحيضة بكسر الحاء الاسم والحيضة أيضًا الخرقه تستنفر بها الحائض قالت عائشة: يا ليتني كنت حيضة ملقاة، واشتقاق الكلمة من السيلان ومنه الحوض؛ لأن الماء يسيل إليه.

(٣) إذا قيل: لا تقرب بفتح الراء فمعناه لا تتلبس بالشيء، وإن قيل: لا تقرب بضم الراء فمعناه: لا تدن ولذا جاز للزوج أن يقرب من زوجته الحائض أو النفساء ويباشرها في غير الفرج.

فَأَتُوا حَرَثَكُمْ أَنِّي سِئْتُمْ : إذن جماع المرأة مقبلة أو مدبرة إذا كان ذلك في القبل الذي هو منبت الزرع، وهي طاهرة من الحيض والنفاس.

وَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ : يريد الأعمال الصالحة، ومنها إرادة تحصين النفس والزوجة بالجماع وإرادة إنجاب الأولاد الصالحين الذين يوحدون الله ويدعون لوالديهم طوال حياتهم. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا عَرْضَكُمْ لِأَيْمَانِكُمْ : العرضة: ما يوضع مانعاً من شيء، واليمين يحلفها المؤمن أن لا يفعل خيراً، والأيمان: جمع يمين نحو والله لا أفعل كذا أو والله لأفعلن كذا.

أَنْ تَبْرُوا : البرور: الطاعة وفعل البر. ﴿وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٢٤﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ : اللغو: الباطل، ما لا خير فيه. ولغو اليمين أن يحلف العبد على الشيء يظنه كذا فيتبين خلافه، أو ما يجري على لسانه من أيمان من غير إرادة الحلف. وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ : ما تعمد القلب وقصد اليمين لأجله لفعله حتماً أو منعه. ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ ﴿١٢٥﴾

لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ : الإيلاء: الحلف على عدم وطء الزوجة.

تَرْبِصُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ : التربص: الانتظار والتمهل.

فَإِنْ فَآءُوا : رجعوا إلى وطء نسائهم بعد الامتناع عنه باليمين. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ : فك رابطة الزوجية وحلها بقوله هي طالق أو مطلقة أو طلقتك. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٢٧﴾

وَالْمُطَلَّقَاتُ : جمع مطلقة وهي المرأة تسوء عشرتها فيطلقها زوجها أو القاضي. يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ : ينتظرن.

ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ : القرء إما مدة الطهر، أو مدة الحيض. ﴿وَلَا يَحِلُّ لهنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ﴾

مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ : من الأجنة فلا يحل للمطلقة أن تكتم ذلك. ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ﴾

وَيُؤْلِنَهُنَّ : أزواجهن واحد البعولة: بعل كفحل ونخل.

أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ : أي في مدة التربص والانتظار. ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾

وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ : يريد على الزوجة حقوق لزوجها، ولها حقوق على زوجها. ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾

وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ : هي درجة القوامه أن الرجل شرعاً هو القيم على المرأة. ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ﴾ ﴿١٢٨﴾

الطَّلُقُ<sup>(١)</sup>: الاسم من طلق وهو أن يقول الرجل لزوجته: أنت طالق أو طلقتك.

مَرَّتَانٍ: يطلقها، ثم يردّها، ثم يطلقها ثم يردّها، أي: يملك الزوج الإرجاع في طلقتين، أما إن طلق الثالثة فلا يملك ذلك ولا ترجع حتى تنكح زوجاً غيره. ﴿فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾.

فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ: حسن العشرة فإن خافت المرأة أو خاف الزوج أن لا يؤدي حقوق الزوجية جاز الفداء وهو دفع مال للزوج ليخلي سبيل المرأة تذهب حيث شاءت، ويسمى هذا خلعا. ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾.

تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ: ما يجب أن ينتهي إليه العبد من طاعة الله فلا يتجاوزه. ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾. وَمَنْ يَعْتَدْ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ: الظالم المتجاوز لما حد الله تعالى، والظلم وضع الشيء في غير موضعه.

فَإِنْ طَلَّقَهَا: الطلقة الثالثة.

فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ: إلا بعد أن تنكح زوجاً غيره<sup>(٣)</sup>.

فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا: أي لا إثم ولا حرج عليهما في الزواج من جديد.

أَنْ يَرْجِعَا إِنْ طَلَّأ أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ: أن يرجع كل منهما لصاحبه بعقد جديد وبشرط أن يظنا إقامة حدود الله فيهما، وإلا فلا يجوز نكاحهما. ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَنْ أَجَلُهُنَّ: أجل المطلقة مقارنة انتهاء أيام عدتها.

فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ: تسريح المطلقة تركها بلا مراجعة لها حتى تنقضي عدتها وتبين من زوجها.

وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا: مضارة لها وإضراراً بها.

لِيَعْتَدُوا: لتتجاوزوا حد الإحسان إلى الإساءة. ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾.

وَلَا تَنْخُذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُرُؤًا<sup>(٤)</sup>: لعباً بها بعدم التزامكم بتطبيق أحكامها.

وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ: نعمة الله هنا هي الإسلام.

وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ: السنة النبوية.

(١) الطلاق شرعاً: هو حل العصمة المنعقدة بين الزوجين بألفاظ مخصوصة منها: أنت طالق، والطلاق مباح لرفع الضرر عن أحد الزوجين أو عن كليهما.

(٢) الخطاب هنا للأزواج وفي قوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ للحكام وولاية الأمور.

(٣) ويكون النكاح صحيحاً وبيني بها الزوج الثاني لحديث «حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك» [متفق عليه].

(٤) لا خلاف بين أهل العلم أن من طلق هازلاً أن الطلاق يلزمه لحديث أبي داود أن النبي ﷺ قال: «ثلاث جدهن جد وهزلهن جد: النكاح والطلاق والرجعة» [حسن - انظر صحيح الجامع].

يَعْظُرْ بِهِ: بالذي أنزله من أحكام الحلال والحرام، لشكروه تعالى بطاعته. ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ  
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا فَتَرَ جِلْهُنَّ: أي انتهت عدتهن.

فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ: أي لا تمنعهن من التزوج مرة أخرى بالعودة إلى الرجل

الذي طلقها ولم يراجعها حتى انقضت عدتها.

إِذَا تَرَاصُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ: إذا رضي الزوج المطلق أن يردها إليه ورضيت هي بذلك.

ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ: مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ: أي النهي عن العضل يكلف به أهل الإيمان

إذ هم القادرون على الطاعة.

ذَلِكَ أَرْكَبُكُمْ لَكُمْ وَأَطْهَرُ: أي ترك العضل خير لكم من العضل وأطهر لقلوبكم، إذ العضل قد

يسبب ارتكاب الفاحشة. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ: عامين. ﴿كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾.

وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ: أي على الأب. ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾.

بِالْمَعْرُوفِ: بحسب حاله يساراً وإعساراً.

لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا: طاقتها وما تقدر عليه.

لَا تُضَارُّ وَالِدَهُ بَوْلِدِهَا: أي لا يحل أن تؤذي أم الولد بمنعها من إرضاع<sup>(١)</sup> ولدها، أو بمنعها

الأجرة على إرضاعه، هذا في حال طلاقها أو موت زوجها.

وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ، بَوْلِدِهِ: أي ولا يضار الوالد كذلك بأن يجبر على إرضاع الولد من أمه المطلقة

أو يطالب بأجرة لا يطيقها.

وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ: الوارث هو الرضيع نفسه إن كان له مال، وإلا فعلى من يكفله من

عصبته.

فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا: فطاماً للولد قبل نهاية العامين. ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ

تَسْرِضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَالْتَقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ: يوفيهم الله تعالى ما كتب لهم من العمر فيموتون.

(١) في الآية دليل على أن الأم أحق بالحضانة إذا طلقت أو مات الوالد ولا خلاف في ذلك ما لم تتزوج فإن حضانتها

تسقط بذلك؛ لقول الرسول ﷺ «لمن شكت إليه: «أنت أحق به ما لم تنكحي» [أخرجه أحمد وأبو داود والبيهقي والحاكم وصححه].

واختلف في مدة الحضانة، فمالك يرى أنها إلى بلوغ الغلام وتزوج الجارية، ورأى الشافعي أنها إلى ثمان سنوات ثم يخير الولد بين أبيه وأمه فأيهما اختار فله ذلك والبنات كذلك فقد صح أن النبي ﷺ خير الولد بين أبيه وأمه.

وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا: يتركون زوجات لهم.  
يَرَبِّصَنَّ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا: ينتظرن حتى انقضاء عدتهن وهي أربعة أشهر<sup>(١)</sup> وعشر  
ليال.

فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ: بلغن انتهاء العدة.  
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ: لا حرج عليكم أيها الأولياء فيما فعلن في  
أنفسهن من مس الطيب والتجمل والتعرض للخطاب. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١٣١).  
وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ: لا إثم عليكم في التعريض دون التصريح  
بالخطبة.

أَوْ أَكَنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ: كما لا إثم في إضمار الرغبة في النفس.. ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ  
وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾<sup>(٢)</sup> وَلَا تَعْرِضُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ ﴿.  
حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ: أي حتى تنتهي العدة. ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ  
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ حَلِيمٌ﴾ (١٣٥).

لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ: الإثم المترتب على المعصية.  
مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ: ما لم تجمعهن.

أَوْ تَفَرَّضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً: تقدروا لهن مهرا.

وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ: ذو الوسع في المال وقدره: ما يقدر عليه ويستطيعه.

وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدَرَهُ: الضيق والعيش. ﴿مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣٦) وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ

تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوا أَوْ يَعْفُوا

الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ: وهو الزوج.

وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ: أي المودة والإحسان. ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ﴾ (١٣٧).

حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ: بأدائها في أوقاتها في جماعة مع استيفاء شروطها وأركانها وسننها.

(١) قال ابن كثير: ولا يخرج من ذلك إلا المتوفى عنها زوجها وهي حامل، فإن عدتها بوضع الحمل، ولو لم تمكث  
بعده سوى لحظة لعموم قوله: ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾، وكذلك يستثنى من ذلك الزوجة إذا  
كانت أمة، فإن عدتها على النصف من عدة الحرة على قول الجمهور، لأنها لما كانت على النصف من الحرة في  
الحد فكذلك في العدة، ومن العلماء من يسوي بين الزوجات الحرائر والإماء في هذا المقام لعموم الآية، ولأن  
العدة من باب الأمور الجبلية، التي تستوي فيها الخليقة. اهـ باختصار (قل).

(٢) سراً: هذا اللفظ هو الدال على تحريم خطبة المعتدة من وفاة أو من طلاق بائن [لكن يجوز التعريض مثل إني  
راغب في الزواج دون التصريح] أما الطلاق الرجعي فلا يصح الخطبة فيه تعريضاً ولا تصريحاً لأنها في حكم  
الزوجة.

وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى : صلاة العصر، أو الصبح فتجب المحافظة على كل الصلوات وخاصة العصر والصبح لقول الرسول ﷺ : « من صلى البردين - العصر والصبح - دخل الجنة ». صحيح .  
وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَنِينِينَ : خاشعين ساكنين .

فَإِنْ خِفْتُمْ فِرْجًا لًا أَوْ رُكْبَانًا : مشاة على أرجلكم أو ركبانًا على الدواب وغيرها مما يركب .  
﴿ فَإِذَا أُمِنْتُمْ فَأذِكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (١٢٨) وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَّتَعًا ﴿

إِلَى الْحَوْلِ : الحول: العام. ﴿ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ (١).

فَإِنْ خَرَجَنْ : من بيت الزوج المتوفى قبل نهاية السنة. ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٢٩) .

وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتْعٌ بِالْمَعْرُوفِ : أي متعة لا مبالغة فيها ولا تقصير .

حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ : متعينا على المطلقين الأتقياء. ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١٣٠) .

﴿ أَلَمْ تَرَ : ألم يتته إلى علمك . فالرؤية قلبية والاستفهام للتعجب .

إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ : جمع ألف وهي صيغة كثرة فهم إذا عشرات الألوف .  
﴿ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿ (١٣١) .

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ : الطريق الموصل إلى مرضاته وهو طاعته بامثال أمره واجتناب نهيه، ومن ذلك جهاد الكفار والظالمين حتى لا تكون فتنة. ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٣٢) .

مَنْ ذَا الَّذِي يُقرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا : يقتطع شيئًا من ماله وينفقه في الجهاد لشراء السلاح وتسيير المجاهدين. ﴿ فَيَضَعْفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ .

وَاللَّهُ يَقِضُ وَيَبْضِطُ : يضيق ويسط ويوسع، يقبض ابتلاءً، ويسط امتحانًا. ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (١٣٣) .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ : أشراف الناس من أهل الحل والعقد بينهم، إذا نظر المرء إليهم ملثوا عينه

(١) اختلف في توجيه هذه الآية فمن قائل بنسخها وأن الناسخ لها الآية التي قبلها ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَرَوْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةً أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ ومن قائل بنسخها آية الموارث، والمتوفى عنها زوجها إن لم يكن للزوج ولد فلها الربع من التركة، ومن قائل - وهو مجاهد ورجحه ابن جرير الطبري - : بعدم النسخ وأنه رحمة بالمؤمنة المتوفى عنها زوجها إذا أتمت عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرًا يسمح لها بالبقاء في بيت زوجها الهالك إلى نهاية السنة وهذا حسب اختيارها ورغبتها فكانت هذه الوصية وصية رحمة مندوبًا إليها وهذا الذي رجحته في تفسير الآية فليتأمل .

رواء وقلبه هيبه. ﴿مَنْ بَنَىٰ إِسْرَاءَ يَلْ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالَ لِلَّهِ نَبِيِّ لَهُمْ أبعثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ﴾

عَسَيْتُمْ : عسى: كلمة توقع وترج. ﴿إِنْ كَتَبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا﴾  
فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ : فرض ولزم. ﴿تَوَلَّوْا أَلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾

إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا : يسوسهم في السلم والحرب.  
قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا : الاستفهام للإنكار بمعنى كيف يكون له الملك. ﴿وَوَحْنٌ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةَ مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ﴾  
أَصْطَفَيْنَاهُ عَلَيْكُمْ : فضله عليكم واختاره لكم.  
وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ : أي طولًا زائدًا يعلو به من عداه. ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾  
وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ : شمویل.

إِنَّ آيَةَ مَلِكِهِ : علامة أن الله تعالى ملكه عليكم.  
أَنْ يَأْتِيَكُمْ التَّابُوتُ : صندوق خشبي فيه بقية من آثار آل موسى وآل هارون.  
فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ : طمأنينة القلب وهدوء نفسي.  
وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ : بقية الشيء ما تبقى منه بعد ذهاب أكثره وهي هنا رضاض من الألواح التي تكسرت، وعصا موسى وشيء من آثار أنبيائهم.

تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ : من أرض العمالقة فتضعه بين يدي بني إسرائيل في مخيماتهم.  
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ : أي في إتيان التابوت الذي أخذه العدو بالقوة منكم في رده إليكم علامة قوية على اختيار الله تعالى لطلالوت ملكًا عليكم. ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٦٨﴾﴾

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ : انفصل من الديار وخرج يريد العدو.  
بِالْجُنُودِ : العسكر وتعداده كما قيل: سبعون ألف مقاتل.  
قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ : مختبركم بنهر جار لعله هو نهر الأردن الآن. ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾

وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ : لم يشرب منه. ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي﴾<sup>(١)</sup>  
إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ : الغرفة بالفتح المرة وبالضم الاسم من الاغتراف. ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا

(١) أي: ليس من أصحابي في هذه الحرب ولم يرد الخروج من الإيمان.

قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ ﴿١﴾ .

هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ : هم الذين لم يشربوا من النهر<sup>(١)</sup> . ﴿قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ .

قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ<sup>(٢)</sup> أَي : يوم القيامة فهم يؤمنون بالبعث الآخر .  
كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ : كم للتكثير والفئة : الجماعة يفىء بعضها إلى بعض . ﴿غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ .

وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ : يسددهم ويعينهم وينصرهم .

وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ : ظهوروا في ميدان المعركة ، وجالوت قائد قوات العمالقة .  
قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا : اصعب الصبر في قلوبنا صبراً حتى تمتلئ فلم يبق للخوف والجزع موضع .

وَكَيْتَ أَقْدَامَنَا : في أرض المعركة حتى لا نهزم وذلك بتقوية قلوبنا والشد من عزائمنا .  
﴿وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ .

فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ : داود هو نبي الله ورسوله داود وكان يومئذ غير نبي ولا رسول في جيش طالوت .

وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ : كان ذلك بعد موت شمويل النبي وموت طالوت الملك<sup>(٣)</sup> .

وَعَلَّمَهُ مَكَايَشَاءَ : فعلمه صنعة الدروع ، وفهم منطق الطير هو وولده سليمان ؑ .

وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمُ بَعْضًا : بالجهاد والقتال .

لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ : وذلك بغلبة أهل الشرك على أهل التوحيد ، وأهل الكفر على أهل الإيمان . ﴿وَلَئِكَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ . ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ .

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ : أولئك الرسل الذين قص الله تعالى على رسوله بعضاً منهم وأخبره أنه منهم في قوله : ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ في الآية قبل هذه .

مِنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ : كموسى ؑ .

وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ : وهو محمد ﷺ حيث فضله تفضيلاً على سائر الرسل .

(١) أو شرب الواحد منهم المأذون به وهو عُرْفَةٌ واحدة .

(٢) الظن هنا بمعنى اليقين أو يكون الظن على بابه وليس هو في لقاء الله تعالى وإنما هو في الموت في هذه الحرب هل يقتلون فيلقوا الله أو لم يقتلوا؟

(٣) فسر ابن كثير الحكمة بالنبوة لقرينة الملك ، إذ جعله الله تعالى ملكاً نبياً كولد سليمان عليهما السلام .



وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَتِ: المعجزات الدالة على صدق عيسى في نبوته ورسالته.  
وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ: جبريل عليه السلام كان يقف دائماً إلى جانب عيسى يسدده ويقويه إلى أن  
رفعه الله تعالى إليه. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ  
أَخْتَلَفُوا فِيهِمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾.

مَا أَقْتَلْتُمْ: قتل بعضهم بعضاً. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (٢٥٢)  
يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ: النفقة الواجبة وهي الزكاة، ونفقة التطوع المستحبة.  
﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾.

لَا يَبِيعُ فِيهِ: لا يشتري أحد نفسه بمال يدفعه فداءً لنفسه من العذاب.

وَلَا خُلَّةٌ: أي صداقة تنفع صاحبها.

وَلَا شَنْعَةٌ: تقبل إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى.

وَالْكَافِرُونَ: يمنع الزكاة والحقوق الواجبة لله تعالى ولعباده. ﴿هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢٥٣)

اللَّهُ: علم على ذات الرب تبارك وتعالى.

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ: الإله المعبود، ولا معبود بحق إلا الله، إذ هو الخالق الرزاق المدبر بيده كل

شيء وإليه مصير كل شيء، وما عداه من الآلهة فعبادتها بدون حق فهي باطلة.

الْحَيُّ: ذو الحياة العظيمة التي لا تكون لغيره تعالى، وهي مستلزمة للقدره والإرادة والعلم

والسمع والبصر والكلام.

الْقِيَوْمُ: القائم بتدبير الملكوت كله علويه وسفليه، القائم على كل نفس بما كسبت.

لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ: السنة: النعاس يسبق النوم. ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي

يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾.

وَسِعَ كُرْسِيُّهُ: الكرسي: موضع القدمين، ولا يعلم كنهه إلا الله تعالى.

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا يُتَوَدُّهُ: يثقله ويشق عليه. ﴿حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (٢٥٤)

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ: لا يكره العبد على الدخول في الدين، وإنما يعتنقه بإرادته واختياره.

قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ: الهدى الموصول إلى الإسهاد والإكمال.

مِنَ الْغَيِّ: الضلال المفضي بالعبد إلى الشقاء والخسران.

فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ: كل ما صرف عن عبادة الله تعالى من إنسان أو شيطان أو غيرهما.

وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى (١): لا إله إلا الله محمد رسول الله.

(١) قال ابن كثير رحمه الله: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾، أي فقد ثبت في أمره واستقام على الطريقة المثلى والصراف

المستقيم.

وقوله تعالى: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾، أي فقد استمسك من الدين بأقوى سبب، وشبه ذلك

لَا أَنْفِصَامَ لَهَا : لا تنفك ولا تنحل بحال من الأحوال. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٥٦).

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا : متوليهم بحفظه ونصره وتوفيقه.

يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ : ظلمات الجهل والكفر.

إِلَى النُّورِ : نور الإيمان والعلم.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ أَهْمُ الظَّالِمُونَ : المتولون لهم الشياطين الذين زينوا لهم عبادة الأوثان.

يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ : فأخرجوهم من الإيمان إلى الكفر ومن العلم إلى الجهل.

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٥٧).

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي : ألم يتته إلى علمك يا رسولنا، والاستفهام يفيد التعجب من الطاغية المحاج

لإبراهيم.

حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ : جادل ومارى وخاصم إبراهيم.

فِي رَبِّهِ : في شأن ربه من وجوده تعالى وربوبيته وألوهيته للخلق كلهم.

أَن آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ : أعطاه الحكم والسيادة على أهل بلاده وديار قومه.

إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : إبراهيم: هو أبو الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام، وكان هذا الحجاج قبل هجرة

إبراهيم إلى أرض الشام. ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي

بِالسَّمْعِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾.

فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ : انقطع عن الحججة متحيراً مدهوشاً ذاك الطاغية الكافر وهو نمرود البابلي.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٥٨).

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ : مدينة لم يذكر الله تعالى اسمها فلا يبحث عنها لعدم جدوى معرفتها.

وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا : فارغة من سكانها ساقطة عروشها على مبانيها وجدرانها.

قَالَ أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ : كيف يحيي الله.

بَعْدَ مَوْتِهَا : بعد خوائها وسقوطها على عروشها. ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾.

قَالَ كَمْ لَبِثْتُ : مكثت وأقمت. ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى

طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ﴾.

لَمْ يَتَسَنَّه : لم يتغير بمر السنين عليه. ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾.

بالعروة القوية التي لا تنفصم هي في نفسها محكمة مبرمة قوية، وربطها قوي شديد، ولهذا قال: ﴿فَقَدِ اسْتَثْمَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا أَنْفِصَامَ لَهَا﴾ الآية، قال مجاهد: العروة الوثقى يعني الإيمان، وقال السدي: هو الإسلام، وقال سعيد بن جبیر والضحاك: يعني ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾. وعن أنس بن مالك: العروة الوثقى القرآن، وعن سالم ابن أبي الجعد قال: هو الحب في الله والبغض في الله، وكل هذه الأقوال صحيحة ولا تنافي بينها. اهـ باختصار (قل).

وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ ۗ : علامة على قدرة الله على بعث الناس أحياء يوم القيامة.  
وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا : في قراءة ورش (ننشرها) بمعنى نحياها بعد موتها.  
وننشرها نرفعها ونجمعها لتكون حمازًا كما كانت. ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ  
أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ۞ .

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : هو خليل الرحمن أبو الأنبياء ﷺ. ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِكَ  
تُؤْمِنُونَ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبُكَ ۗ : يسكن ويهدأ من التطلع والتشوق إلى الكيفية.  
قَالَ فَخَذَ مِنْهُم مِّنَ الظَّيْرِ فَصَرَّهُنَّ لِإِبْرَاهِيمَ : أملهن واضممهن إليك وقطعهن أجزاء. ﴿ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَيَّ  
كُلَّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ۗ ۞ .

ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا : مشيًا سريعًا وطيرانًا.  
وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ : غالب لا يمتنع عنه ولا منه شيء أرادته بحال من الأحوال.  
حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ : لا يخلق عبثًا ولا يوجد لغير حكمة، ولا يضع شيئًا في غير موضعه اللائق به.  
مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ : صفتهم المستحسنة العجيبة.

أَمْوَالُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ : كل ما يوصل إلى مرضاة الله تعالى من الإيمان وصالح الأعمال.  
﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ ۗ ۞ .  
مِائَةٌ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ : يزيد ويكثر حتى يكون الشيء أضعاف ما كان. ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ  
عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا ۗ ۞ .

مَنًّا : المن: ذكر الصدقة وتعدادها على من تصدق بها عليه على وجه التفضل عليه.  
وَلَا أَدَىٰ : الأذى: التناول على المتصدق عليه وإذلاله بالكلمة النابية أو التي تمس كرامته  
وتحط من شرفه. ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ .

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ : كلام طيب يقال للسائل المحتاج نحو: الله يرزقنا وإياكم، الله كريم، الله يفتح

علينا وعليك.

وَمَغْفِرَةٌ : ستر على الفقير بعدم إظهار فقره، والعفو عن سوء خلقه إن كان كذلك. ﴿خَيْرٌ مِّنْ  
صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَىٰ ۗ ۞ .

وَاللَّهُ غَنِيٌّ : غنى ذاتي لا يفتقر معه إلى شيء أبدًا.

حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ : لا يعاجل بالعقوبة بل يعفو ويصفح.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ : إبطال الصدقة: الحرمان من ثوابها.

(١) هذا السؤال والله ما كان عن شك من إبراهيم أبدًا وكيف وقد قال رسول الله ﷺ: «نحن أحق بالشك من إبراهيم» [كما في الصحيحين] أي: لو شك إبراهيم لكننا نحن أحرى بذلك لضعفنا ولكن ما شك إبراهيم، وكل ما طلبه زيادة اليقين برؤية كيفية الإحياء كيف تتم، فسلام على إبراهيم الخليل وعلى محمد في العالمين.

يَالْمِنِّ وَالْأَذَى : تقدم معناهما.

كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ : مراعاة لهم ليكسب محمديهم، أو يدفع مذمتهم. ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ .

فَعَسَلَهُ : كمثل صَفْوَانٍ : حجر أملس. ﴿عَلَيْهِ تَرَابٌ﴾ .

فَأَصَابَهُ، وَابِلٌ : مطر شديد.

فَتَرَكَهُ، صَلْدًا : أملس ليس عليه شيء من التراب.

لَا يَقْدِرُونَ : يعجزون عن الانتفاع بشيء من صدقاتهم الباطلة. ﴿عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ .

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ : المثل : الصفة.

أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ : طلباً لرضاء الله تعالى.

وَتَثْبِيثًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ : تحقيقاً وتيقناً بمشيئة الله تعالى لهم على إنفاقهم في سبيله.

كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ : بستان كثير الأشجار بمكان مرتفع. ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ .

فَقَاتَتْ أَكْطَافَهَا ضِعْفَيْنِ : مضاعفاً مرتين، أو ضعفي ما يثمر غيرها.

فَإِنْ لَمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ : الواابل : المطر الغزير الشديد.

فَطَلٌّ : الطل : المطر الخفيف. ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٧٦) أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ

تَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضِعْفَانِ فَأَصَابَهَا﴾ .

إِعْصَارٌ : ريح عاصف فيه سموم. ﴿فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ .

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ : من جيد أموالكم وأصلحها.

وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ : من الحبوب، وأنواع الثمار.

وَلَا تَيْمَمُوا الْخَيْثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ : لا تقصدوا الرديء تنفقون منه.

وَلَسْتُمْ بِأَخْذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ : إلا أن تغضوا أبصاركم عن النظر<sup>(١)</sup> في رداءته فتأخذوه

بتساهل منكم وتسامح.

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَنِّي حَمِيدٌ (٧٧) : محمود في الأرض والسماء، في الأولى والأخرى لما أفاض

ويفيض من النعم على خلقه.

(١) يقال أغمض الرجل في أمر كذا إذا تساهل فيه ورضي ببعض حقه وتجاوز، وما في التفسير فهو مأخوذ من تغميض العين لعدم رؤية العيب والرداءة، وقراءة الجمهور تشهد للمعنيين: التجاوز، وتغميض العين.

الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ : يخوفكم من الفقر ليمنعكم من الإنفاق في سبيل الله.  
وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ<sup>١</sup> : يدعوكم إلى ارتكاب الفواحش ومنها البخل والشح<sup>(١)</sup> ﴿وَاللَّهُ  
يَعِدُّكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٦٨).

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ : الحكمة: فهم أسرار الشرع، وحفظ الكتاب والسنة. ﴿وَمَنْ يُؤْتَ  
الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا﴾.

أُولُو الْأَلْبَابِ (٦٩) : أصحاب العقول الراجحة المفكرة فيما ينفع أصحابها.

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ : يريد قليلة أو كثيرة من الجيد أو الرديء.

أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ : النذر التزام المؤمن بما لم يلزمه به الشارع، كأن يقول: لله علي أن  
أتصدق بألف، أو أصوم شهرًا أو أصلي كذا ركعة، أو يقول: إن حصل لي كذا من الخير أفعل كذا  
من الطاعات<sup>(٢)</sup>. ﴿فَاتَّكَ اللَّهُ يَعلَمُهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٧٧).

إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ : أي تظهروها.

فَينَعَمًا هِيَ : فنعمة تلك الصدقة التي أظهرتموها ليقنتى بكم فيها. ﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا  
الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾.

وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ : يكفر بمعنى يسترها ولا يطالب بها، و(من) للتبويض إذ  
حقوق العباد لا تكفرها الصدقة. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٧٨).

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ : هدايتهم إلى الإيمان وصالح الأعمال. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ  
يَشَاءُ﴾.

وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ : من مال.

فَلَا تُنْفِسْكُمْ : ثوابه العاجل بالبركة وحسن الذكر، والآجل يوم القيامة عائد على أنفسكم.  
﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾.

وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤْتِ إِلَيْكُمْ : يرد أجره كاملاً لا ينقص منه شيء. ﴿وَأَنْتُمْ لَا تظلمُونَ

﴾ (٧٩).

لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ : حبسوا ومنعوا من التصرف؛ لأنهم هاجروا من  
بلادهم.

لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ : أي سيرًا فيها لطلب الرزق بالتجارة وغيرها لحصار  
العدو لهم. ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ﴾.

(١) لفظ الفحشاء لم يطلق في القرآن إلا على فاحشة الزنى واللواط اللهم إلا في آية واحدة وهي ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ

الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ فإن الفاحشة هنا بمعنى البخل بمنع الزكاة.

(٢) هذا النوع الثاني من النذر مكروه؛ لأنه نذر معلق لكن عليه الوفاء به (قل).

مِنَ التَّعَفُّفِ : ترك سؤال الناس، والكف عنه.

تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ : علامات حاجاتهم من رثاء الثياب وصفرة الوجه.

لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا : إلحاحًا وهو ملازمة السائل من يسأله حتى يعطيه. ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (٧٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالتَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٧٤﴾

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا : يأخذونه ويتصرفون فيه بالأكل في بطونهم، وبغير الأكل، والربا هنا ربا النسئثة: وحققتها أن يكون لك على المرء دين فإذا حل أجله ولم يقدر على تسديده تقول له: أخر وزد؛ فتؤخره أجلًا وتزيد في رأس المال قدرًا معينًا، هذا هو ربا الجاهلية، والعمل به اليوم في البنوك الربوية، فيسلفون المرء مبلغًا إلى أجل ويزيدون قدرًا آخر نحو العشر أو أقل، والربا حرام بالكتاب والسنة والإجماع وسواء كان ربا فضل<sup>(١)</sup> أو ربا نسئثة.

لَا يَقُومُونَ : من قبورهم يوم القيامة.

إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ : يضربه الشيطان ضربًا غير منتظم.

مِنَ الْمَيْسِ : المس الجنون، يقال: بفلان مس من جنون. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾

فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ : أمر أو نهي بترك الربا.

فَأَنْهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ : ليس عليه أن يرد الأموال التي سبقت توبته. ﴿وَأْمُرُهُ﴾

إِلَى اللَّهِ : إن شاء ثبتته على التوبة فنجاه، وإن شاء خذله لسوء عمله وفساد نيته فأهلكه. ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٧٥)

يَمَحِقُ اللَّهُ الرِّبَا : أي يذهبه شيئًا فشيئًا حتى لا يبقى منه شيء كمحاق القمر آخر الشهر.

وَيُرِي الصَّدَقَاتِ : يبارك في المال الذي أخرجت منه، ويزيد فيه، ويضاعف أجرها أضعافًا

كثيرة.

وَاللَّهُ لَا يُجِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٧٦﴾ : الكفار: شديد الكفر، يكفر بكل حق وعدل وخير. أثيم: منغمس

في الذنوب لا يترك كبيرة ولا صغيرة إلا ارتكبها.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٧٧﴾

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ : خافوا عقابه بطاعته بأن تجعلوا طاعته وقاية تقيكم غضبه

وعقابه.

(١) راجع تفسير الآية (١٣٠) من سورة آل عمران ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا...﴾

وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا : اتركوا ما بقي عندكم من المعاملات الربوية. ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٧٨).  
 فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ : اعملوا بحرب من الله ورسوله واحملوا سلاحكم ولا  
 ينفعكم سلاح فإنكم المنهزمون الهالكون.  
 وَإِنْ تَابْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ : بعد التوبة ما لكم إلا رأس المال الذي عند المدين لكم  
 فخذوه واتركوا زيادة الربا. ﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ (١٧٩).  
 وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ : العسرة: الشدة والضائقة المالية.  
 فَانظُرْهُ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ : أي انتظر للمدين إلى أن يسر الله عليه فيعطيك رأس مالكم الذي أخذه  
 منكم.

وَأَنْ تَصَدَّقُوا : وأن تصدقوا على المعسر بترك ما لكم عليه فذلك.  
 خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ  
 وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ : داین بعضكم بعضًا في شراء أو بيع أو سلم أو قرض.  
 إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى : وقت محدد بالأيام أو الشهور أو الأعوام.  
 فَاصْتَبُوهُ وَليَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبًا بِالْعَدْلِ : بلا زيادة ولا نقصان ولا غش أو احتيال بل  
 بالحق والإنصاف.  
 وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ : لا يمتنع الذي يحسن الكتابة أن يكتب. ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ  
 فَلْيَكْتُبْ﴾.

وَلِيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ : لأن إملأه اعتراف منه وإقرار بالذي عليه منه الحق. ﴿وَلِيَسْتَقِ اللَّهَ  
 رَبَّهُ﴾.

وَلَا يَبْخَسُ مِنْهُ شَيْئًا : لا ينقص من الدين الذي عليه شيء ولو قل كفلس وليذكره كله.  
 فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا : السفیه: الذي لا يحسن التصرفات المالية، والضعيف  
 العاجز عن الإملاء كالأخرس أو الشيخ الهرم. ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾.  
 فَلْيُمْلِلْ لِئَلَّا يَكُنَّ مِنَ الْكَاذِبِينَ : من يلي أمره ويتولى شؤونه لعجزه وقصوره.  
 وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ : أي المسلمين الأحرار دون العبيد والكفار. ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا  
 رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾.

مَنْ رَضِيَ مِنَ الشَّهَادَةِ أَنْ تَصِلَ إِحْدَهُمَا : تنسى أو تخطئ لقصر إدراكها. ﴿فَتَذَكَّرْ أَحَدَهُمَا  
 الْآخَرَ وَلَا يَأْبَ الشَّهَادَةَ إِذَا مَدُعُوا﴾.

وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُوبَهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ : لا تضجروا أو تملوا من الكتابة، ولو كان  
 الدين صغيرًا مبلغه.

ذَلِكَمُ أَفْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ: أعدل في حكم الله وشرعه.

وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ: أثبت لها وأكثر تقديراً؛ لأن الكتابة لا تنسى والشهادة تنسى أو يموت الشاهد

أو يغيب.

وَأَذَى الْأَتْرَابِ: أقرب أن لا تشكوا بخلاف الشهادة بدون كتابة.

إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجْرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ: أي تتعاطونها، البائع يعطي البضاعة والمشتري

يعطي النقود.

فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ إِلَّا أَنْ تَكْتُبُوهَا: فلا حاجة إلى كتابتها ولا حرج أو إثم يترتب عليها.

وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ: إذا باع أحداً داراً أو بستاناً أو حيواناً يشهد على ذلك البيع.

وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ: بأن يكلف ما لا يقدر عليه بأن يدعى ليشهد في مكان بعيد يشق عليه

أو يطلب إليه أن يكتب زوراً أو يشهد به.

وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ: أي خروج عن طاعة ربكم لاحق بكم إثمه وعليكم تبعته يوم

القيامة.

وَاتَّقُوا اللَّهَ: في أوامره فافعلوها، وفي نواهيه فاتركوها.

وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ: وكما علمكم هذا يعلمكم كل ما تحتاجون فاحمدوه بالاستتكم واشكروه

بأعمالكم وسيجزىكم بها. ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢٨٢).

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ: السفر: الخروج من الدار والبلد ظاهراً بعيداً بمسافة أربعة برد فأكثر﴾ (١).

وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا: من يكتب لكم، أو لم تجدوا أدوات الكتابة من دواة وقلم.

فَرَهَنْ مَقْبُوضَةً: فاعتاضوا عن الكتابة الرهن فليضع المدين رهناً لدى الدائن.

فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ: فلا حاجة إلى الرهن.

فَلْيُؤَدِّ الَّذِي آوْتِمَنَ آمَنَتَهُ: أي فليعط الدين الذي آوتمن عليه حيث تعذرت الكتابة ولم يأخذ

دائنه منه رهناً على دينه. ﴿وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ رَيْبٌ، وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾.

وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءَاثِمٌ قَلْبُهُ: لأن الكتمان من عمل القلب فنسب الإثم إلى القلب. ﴿وَاللَّهُ

بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٢٨٣) ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ

اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٨٤).

ءَامِنٌ: صدق جازماً بصحة الخبر ولم يتردد أو يشك فيه قط.

الرَّسُولُ: نبينا محمد ﷺ. ﴿بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.

(١) قال ابن القيم رحمه الله في «زاد المعاد» ج ١/ ٤٨١: (ولم يحذ الله ﷻ لأمته مسافة محدودة للقصر والفطر، بل أطلق لهم ذلك في مطلق السفر والضرب في الأرض، كما أطلق لهم التيمم في كل سفر، وأما ما يروى عنه من التحديد باليوم، أو اليومين، أو الثلاثة، فلم يصح عنه منها شيء البتة، والله أعلم). أي يقصد بذلك ﷻ السفر العرفي (قل).



كُلُّ: كل من الرسول والمؤمنين. ﴿ءَامِنَ بِاللَّهِ وَمَلَّاتِ بِهِ وَكُتِبَ عَلَيْهِ وَرُسُلُهُ﴾. لا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ: تؤمن بهم جميعاً ولا تكون كاليهود والنصارى تؤمن ببعض ونكفر ببعض.

وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا: سَمَاعٌ فهِمٌ واستجابة وطاعة.

عُفْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥): المرجع أي: رجوعنا إليك يا ربنا فاغفر لنا.

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا: التكليف الإلزام مما فيه كلفة ومشقة تحتمل.

إِلَّا وَسْعَهَا: إلا ما تتسع لها طاقتها ويكون في قدرتها (١).

لَهَا مَا كَسَبَتْ: من الخير.

وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ: من الشر.

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا: لا تعاقبنا.

إِنْ نَسِينَا: فتركنا ما أمرتنا به أو فعلنا ما نهيتنا عنه نسياناً منا غير عمد.

أَوْ أَخْطَأْنَا: فعلنا غير ما أمرتنا خطأ منا بدون إرادة فعل منا له ولا عزيمة.

رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا: تكليفاً شاقاً يثقل علينا ويأسرنا فيحبسنا عن العمل. ﴿كَمَا

حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِطَآئِفَةٍ لَّنَا بِهِ وَأَعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا﴾.

أَنْتَ مَوْلَانَا: مالكننا وسيدنا ومتولي أمرنا لا مولى لنا سواك. ﴿فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

الْكَافِرِينَ﴾ (٢٨٦) (٢).




(١) قال القرطبي: نص الله تعالى على أنه لا يكلف العباد من وقت نزول الآية عبادة من أعمال القلب أو الجوارح إلا وهي في وسع المكلف وفي مقتضى إدراكه وبنيته (ج ٣ ص ٤٢٩).

ومقتضى كلام القرطبي ﷻ أن الله لم يأمرك ولم ينهك إلا وهذا الأمر وهذا النهي داخلان في طاقتك، فلا يتخلف رجل عن صلاة الصبح جماعة في المسجد بدون عذر. ثم يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ لأن هذه الصلاة داخلية في طاقته أصلاً (قل).

(٢) قال ابن كثير ﷻ: (قال ابن جرير عن أبي إسحاق: إن معاذاً رضي الله عنه كان إذا فرغ من هذه السورة ﴿فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٢٨٦) قال: آمين (قل).





**الباب الثاني**  
**من سورة «آل عمران»**  
**إلى سورة «التوبة»**



## ٣ - سُورَةُ الْعَمْرَانِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

آلَمَ ① : تقدم الكلام على مثله من سورة «البقرة» فليرجع إليه هناك.  
 اللَّهُ : المعبود بحق.

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ : لا معبود بحق سواه.

الْحَيُّ : ذو الحياة المستلزمة للإرادة والعلم والسمع والبصر والقدرة.

الْقَيُّومُ ② : القيم على كل مخلوقاته بالتربية والرعاية والحفظ.

نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ : القرآن.

بِالْحَقِّ : متلبساً به إذ كل ما فيه حق وصدق لا باطل فيه بأي وجه من الوجوه.

مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ : من الكتب السابقة لا يخالفها ولا يبطلها لأن مصدر الجميع واحد هو الله تعالى.

وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ : كتاب موسى ﷺ ومعناه بالعبرية الشريعة<sup>(١)</sup>.

وَالْإِنْجِيلَ ③ : كتاب عيسى ﷺ ومعناه باليونانية: التعليم الجديد<sup>(٢)</sup>.

مِنْ قَبْلِ هُدَى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ : ما فرق الله به بين الحق والباطل من الحجج القرآنية

والمعجزات الإلهية والعقول النيرة البشرية التي لم يغلب عليها التقليد والجمود والهوى<sup>(٣)</sup> ﴿إِنَّ

الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ④﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي

السَّمَاءِ ⑤﴾ .

هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ<sup>(٤)</sup> التصوير: أي إيجاد الصورة للشيء لم تكن له من

قبل والأرحام، جمع رحم: مستودع الجنين. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ⑥﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ

الْكِتَابَ مِنْهُ ﴿

(١) وهي عند اليهود خمسة أسفار: سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاويين، وسفر العدد، وسفر تثنية الاشتراع.

(٢) ويطلق الإنجيل على أربعة كتب: إنجيل يوحنا ومرقس ولوقا وبرنابا.

(٣) وفسر الفرقان بالقرآن وهو حق لقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾؛ وسمى فرقاناً لأنه فرق بين الحق والباطل.

(٤) أي من حسن وقبح وسواد وبياض وطول وقصر، وعامة وسلامة وسعادة وشقاء.

ءَايَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ : الظاهرة الدلالة البينة المعنى التي لا تحتل إلا معنى<sup>(١)</sup> واحداً، وذلك كآيات الأحكام من حلال وحرام وحدود، وعبادات، وعبر وعظات.

هِنَّ أُمَّ الْكِتَابِ : وهذه معظم آي الكتاب وهي أمه وأصله.

وَأَخْرَجْتُمُوهُنَّ : غير ظاهرة الدلالة محتملة لمعانٍ يصعب على غير الراسخين في العلم القول فيها وهي كفواتح السور، وكأمور الغيب، ومثل قول الله تعالى في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ وَكَلَّمْتُهُ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ : الزيغ: الميل عن الحق بسبب شبهة أو شهوة أو فتنة. فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ : أي طلباً لفتنة المؤمنين في دينهم ومعتقداتهم. وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ : طلباً لتأويله ليوافق معتقداتهم الفاسدة. وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ : وما يعلم ما يؤول إليه أمر المتشابه إلا الله منزله. وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ : هم أهل العلم اليقين في نفوسهم الذين رسخت أقدامهم في معرفة الحق فلا يزلون ولا يشتطون في شبهة أو باطل.

يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ - كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا : أي المحكم والمتشابه فنؤمن به جميعاً.

وَمَا يَذْكُرُوا إِلَّا أُولَئِ الْأَلْبَابِ (٧) : أصحاب العقول الراجحة والفهوم السليمة.

رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا : أي لا تمل قلوبنا عن الحق بعدما هديتنا إليه وعرفتنا به فعرفناه.

وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً : أعطنا من عندك رحمة. ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ (٩) .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا : هم وفد نجران ويهود المدينة والمشركون والمنافقون.

لَنْ نُعْطِكَ عَنْهُمْ : لن تجزي عنهم ولن تقيهم عذاب الله إذا حل بهم. ﴿ أَمْ أَوْلَاهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً .

وَأُولَئِكَ هُمُ وَقُودُ النَّارِ (١٠) : الوقود ما توقد به النار من حطب أو فحم حجري أو غاز.

كَذَابٍ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ : كعاداتهم وستهم في كفرهم وتكذيبهم وما حل بهم من عذاب في الدنيا والآخرة. ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١١) .

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا : هم يهود المدينة بنو قينقاع. ﴿ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٢) .

فَدَكَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتِي الثَّقَاتِ : علامة واضحة، والفتتان: المسلمون وقريش الثقتا في بدر.

(١) قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: المحكمات أي في القرآن ما عرف تأويله وفهم معناه وتفسيره، والمتشابه ما لم.

(٢) هذه الجملة ليست من كلام الراسخين؛ ولكنها من كلام الله تعالى فهي تذييل للكلام السابق سيقت للثناء عليهم.

﴿فَمَنْ تَقَتَّلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾.

يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ <sup>(١)</sup> رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَصِيرَةَ: يُقْوِي. ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾.

إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾: العبرة العظة وما يعبر به ذو البصيرة مواضع

الخطر فينجو.

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ: جعل حبها مستحسنًا في نفوسهم لا يرون فيه قبحًا ولا دمامة.

والشهوات: جمع شهوة بمعنى المشتبه طبعًا وغريزة كالتعام والشراب اللذيذ.

مِنْ الْيَسَاءِ وَالْبَيْنِ وَالْقَنْطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ: القنطار ألف ومائة أوقية فضة، والمنقطرة الكثيرة

بعضها فوق بعض. ﴿مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾.

وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ: ذات السمات الحسان والمعدة للركوب عليها للغزو والجهاد.

وَالْأَنْعَامِ: الإبل والبقر والغنم وهي الماشية.

وَالْحَرْثِ: الزروع والحقول وسائر النباتات النافعة.

ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا: أي ذلك المذكور من النساء والبنين إلخ متاع الحياة الدنيا يريد

يستمتع به فيها ويموت صاحبها ويتركها. ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَقَابِ﴾ <sup>(٢)</sup>

﴿قُلْ أَوْفَيْتُكُمْ: أخبركم بنبا عظيم لأن النبا لا يكون إلا بالأمر العظيم.

بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ: أي المذكور في الآية السابقة من النساء والبنين إلخ.

لِلَّذِينَ اتَّقَوْا: خافوا ربهم فتركوا الشرك به ومعصيته ومعصية رسوله.

عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ: من خلال قصورها وأشجارها أنهار الماء، وأنهار اللبن

وأنهار العسل وأنهار الخمر.

حَلِيدِينَ فِيهَا: مقيمين فيها إقامة لا يرحلون بعدها أبدًا.

وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ: زوجات هي الحور العين نقيات من دم الحيض والبول وكل أذى وقدر.

﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ <sup>(٣)</sup> الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا

وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾.

الْقَصِيرِينَ: على الطاعات لا يفارقونها، وعلى المكروه لا يتسخطون، وعن المعاصي لا

يقاربونها.

(١) الضمير عائد على المسلمين على أسلوب الالتفات، والأصل ترونيهم مثليكم، ويحتمل أن يكون الضمير عائداً

على المشركين، ولكن الصواب أنه عائد على المؤمنين، لأن الله تعالى قتل المشركين في أعين المؤمنين

ليقدموا على قتالهم، إذ كان عدد المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وكان عدد المشركين رايياً على

التسعمائة مقاتل.

(٢) المآب: المرجع والمراد المآب: ما أعده الله تعالى لأولياته من النعيم المقيم في دار السلام.

وَالصَّادِقِينَ : في إيمانهم وأقوالهم وأعمالهم.  
 وَالْقَانِئِينَ : العابدين المحسنين الداعين الضارعين.  
 وَالْمُنْفِقِينَ : المؤدين الزكاة والمتصدقون بفضول أموالهم.  
 وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ : السائلين ربهم المغفرة في آخر الليل وقت السحور.  
 شَهِدَ اللَّهُ : أخبر عن علم بحضوره الأمر المشهود به.  
 أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ : لا معبود بحق في الأرض ولا في السماء إلا الله تبارك وتعالى.  
 وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ : أصحاب العلم الصحيح المطابق للواقع وهم الأنبياء والعلماء.  
 قَائِمًا بِالْقِسْطِ : العدل في الحكم والقول والعمل.  
 لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ : الغالب ذو العزة التي لا تغلب، الحكيم في كل خلقه وفعله  
 وسائر تصرفاته.

إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ : ما يدان الله تعالى به أي : يطاع فيه ويخضع له به من الشرائع والعبادات.  
 أَلِاسْلَمُ : الانقياد لله بالطاعة والخلوص من الشرك والمراد به هنا ملة الإسلام. ﴿وَمَا اخْتَلَفَ  
 الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾

إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ : ظلماً وحسداً.  
 وَمَنْ يَكْفُرْ بِتَايَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ .  
 فَإِنْ حَاجُّوكَ : جادلوك وخاصموك بحجج باطلة واهية.  
 فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ : أخلصت كل أعمالني القلبية والبدنية لله وحده لا شريك له.  
 وَمَنْ اتَّبَعَنِي : كذلك أخلصوا لله كل أعمالهم له وحده لا شريك له.  
 وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ : اليهود والنصارى.  
 وَالْأُمِّيِّينَ : العرب المشركون سُمُّوا بالأميين لقلّة من يقرأ ويكتب فيهم.  
 ءَأَسْلَمْتُمْ : الهمزة الأولى للاستفهام والمراد به الأمر أي : أسلموا خيراً لكم لظهور الحق  
 وانبلاج نوره بينكم بواسطة كتاب الله ورسوله ﷺ.

فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَكَدُوا : فإن أجابوك وأسلموا فقد اهتدوا إلى سبيل النجاة.  
 وَإِنْ تَوَلَّوْا : أدبروا عن الحق بعد رؤيته وأعرضوا عنه بعد معرفته فلا يضرك أمرهم.  
 فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ : إذ ما عليك إلا البلاغ وقد بلغت. ﴿وَاللَّهُ بِصِيرَتِكُمْ بِالْعِبَادِ﴾ ﴿٢٠﴾ .  
 إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ : يجحدون ويكذبون. بِتَايَاتِ اللَّهِ .  
 وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ : جمع نبي وهو ذكر من بني آدم أوحى إليه الله تعالى.  
 وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ : العدل والحق والخير والمعروف. ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ .  
 فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ : أخبرهم إخباراً يظهر أثره على بشرته وجوههم ألماً وحسرة.



أُولَئِكَ الَّذِينَ حَاطَتِ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ : بَطَلَتْ وَذَهَبَتْ لَمْ يَجْنُوا مِنْهَا شَيْئًا  
ينفعهم ويهلكون بذلك ويعدمون الناصر لهم؛ لأن الله خذلهم وأراد إهلاكهم وعذابهم في جهنم.  
﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾ (٢٢)

أَلْوَتَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا<sup>(١)</sup> مِنَ الْكِتَابِ : أعطوا حظًا وقسطًا من التوراة.  
يُنْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ : يُطَلَّبُ إِلَيْهِمْ أَنْ يَتَحَاكَمُوا فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ إِلَى كِتَابِهِمُ  
الذي يؤمنون به وهو التوراة فيأبون ويعرضون.  
ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ : يرجع وهو مصمم على عدم العودة إلى الحق. ﴿وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (٢٣) ذَلِكَ  
بِأَنَّهُمْ قَالُوا ﴿

لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ : هذا قول اليهود ويعنون بالأيام الأربعين يومًا تلك التي  
عبدوا فيها العجل بعد غياب موسى ﷺ عنهم.  
وَعَرَّضْهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ : يكذبون.  
فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَنَّهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ : هو يوم القيامة.  
وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ : ما عملت من خير أو شر.  
وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ : بأن يعذبوا بدون مقتضى لعذابهم من الشرك والكفر والمعاصي.  
قُلِ اللَّهُمَّ : يا الله حذف حرف النداء «يا» وعوّض عنه الميم المشددة وهو خاص بنداء الله  
تعالى.

مَلِكٌ : المالك: الحاكم المتصرف يفعل في الملك ما يشاء ويحكم ما يريد لعظم سلطانه وقوة  
إرادته.

الْمَلِكِ : المملوك: والمقصود به ما سوى المالك ﷺ، من سائر الكائنات.  
تَوَلَّى الْمَلِكُ : السلطان والتصرف في بعض الملكوت. ﴿مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعَرِّضُ  
مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٦) ﴿  
تَوَلَّى اللَّيْلِ فِي النَّهَارِ : تدخل الليل في النهار فلا يبقى ليل.  
وَتَوَلَّى النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ : فلا يبقى نهار.  
وَتُخْرِجُ الْعَيَّ مِنَ الْعَيِّ وَتُخْرِجُ الْعَمِيَّتَ مِنَ الْعَمِيَّةِ : أي تخرج جسمًا حيًا من جسم ميت في  
المحسوسات كالدجاجة من البيضة، والبيضة من الدجاجة، ومن المعنويات يخرج المؤمن من  
الكافر والكافر من المؤمن.

﴿وَتَرزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٢٧) : بغير عدد ولا حد لواسع فضله وغناه عما سواه.

(١) التنكير للتقليل وليس للتعظيم؛ لأن السياق في ذمهم وتقبيح سلوكهم.

لَا يَتَّخِذِ : لا يجعل . ﴿الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ﴾ .

أُولِيَاءَ : جمع ولي يتولونهم بالنصر والمحبة والتأييد . مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ .

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ<sup>(١)</sup> : أي برئ الله تعالى منه، ومن برئ الله منه فقد هلك

إِلَّا أَنْ تَكْفُوا مِنْهُمْ تَقَنُّةً : وقاية باللسان وهي الكلمة المليئة للجانب، المبعدة للبغضاء.

﴿وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (٢٨) قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْشِرُوا بِمَا عَلَّمَ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي

السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ .

مِنْ حَيْرٍ مُخْتَصِرًا : حاضرًا يوم القيامة، ﴿وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ﴾ .

أَمَدًا بَعِيدًا : مدى وغاية بعيدة.

﴿وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ : أي يخوفكم عقابه إن عصيتموه . ﴿وَاللَّهُ رُءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٣٠) .

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ : لكمال ذاته وإنعامه عليكم .

فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ : لطاعتكم إياه، وطهارة أرواحكم بتقواه .

وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ : يسترها عليكم ولا يؤاخذكم بها . ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ

وَالرَّسُولَ .

فَإِنْ تَوَلَّوْا : أعرضوا عن الإيمان والطاعة . ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (٣٢) .

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ : اختار . وآدم هو أبو البشر﴾ (٣٣) . ﴿وَنُوحًا﴾ .

وَأَلَّ إِبْرَاهِيمَ : آل الرجل أهله وأتباعه على دينه الحق .

وَأَلَّ عِمْرَانَ : رجل صالح من صلحاء بني إسرائيل في عهدهم الأخير هو زوج حنة وأبو مريم ؑ .

﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٣٤) : هم الناس المعاصرون لهم . ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣٥) .

إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ : حنة .

رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي : ألزمت نفسها أن تجعله لله يعبده ويخدم بيته الذي هو بيت

المقدس .

مُحَرَّرًا : خالصًا لا شركة فيه لأحد غير الله بحيث لا تنتفع به أبدًا . ﴿فَتَقَبَّلَ مِنْي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ﴾ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ .

وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ : في باب الخدمة في بيت المقدس فلذا هي آسفة جدًا<sup>(٢)</sup> .

وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ : خادمة الرب تعالى .

وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلَكَ وَذُرِّيَّتَهَا : أحصنها واحفظها بجناحك وذريتها . ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (٣٦)

(١) هذا نحو: ﴿وَسَلَّى الْقَرْيَةَ﴾ أي أهل القرية على حذف مضاف كذلك: ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ أي ليس في ولاية الله وحزبه في شيء .

(٢) قال ابن كثير رحمته الله: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾: أي في القوة والعبادة، وخدمة المسجد الأقصى (قل) .

فَنَقَبَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنِ وَأُنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴿٢٧﴾ .

وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا : زكريا أبو يحيى عليه السلام وكانت امرأته أختا لحنه (١) .

كَلَّمَادَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ : مقصورة ملاصقة للمسجد. وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا .

قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّى لَكَ هَذَا : من أين لك هذا، أي: من أين جاءك؟ ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ

يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ .

هُنَالِكَ : ثُمَّ عِنْدَمَا رَأَى كِرَامَةَ اللَّهِ لِمَرْيَمَ عليها السلام .

دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ : زكريا: أحد أنبياء بني إسرائيل ورسلمهم .

قَالَ رَبِّ هَبْ لِي : أعطني .

مِنْ لَدُنْكَ : من عندك .

ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً : أولادا أطهارا صالحين . ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٢٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَأِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي

الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى ﴿٢٧﴾ .

مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ : هي عيسى عليه السلام ، لأنه كان بكلمة الله تعالى «كُنْ» .

وَسَيِّدًا وَحُصُورًا : شريفا ذا علم وحلم، ولا رغبة له في النساء لقله مائه .

وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٨﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ .

لِي عَلَّمٌ : ولد ذكر .

وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَأَمْرًا نِي عَاقِرٌ : عقيم لا تلد لعقمها، وعقرها . ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ

﴿٢٩﴾ .

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً : علامة أستدل بها على بداية الحمل لأشكر نعمتك . ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا

تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا ﴿٣٠﴾ : إلا إشارة بالرأس أو باليد يفهم منها ما يفهم من الكلام .

وَأَذْكُرُ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحُ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٣١﴾ : أول النهار، والعشي آخره .

وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ : اذكر لو قد نصارئ نجران ما قالت الملائكة فإن ذلك دليل على صحة

نبوتك وصدقك في أمر التوحيد وعدم ألوهية عيسى .

يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ : اختارك لعبادته وحسن طاعته .

وَطَهَّرَكِ : من الذنوب وسائر النقائص المخلة بالولاية لله تعالى .

وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ : أي فضلك على نساء العالمين بما أهلك له من كرامة

ولادة عيسى من غير أب .

(١) قال ابن كثير رحمته الله: (وقوله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ بتشديد الفاء ونصب زكريا على المفعولية، أي: جعله كافلاً لها) (قل) .

يَمْرِيْمُ أَقْتَبِي لِرَبِّكَ : أطيعي ربك واقنتي له واخشعي. ﴿وَأَسْجُدِي﴾.  
 وَأَرْكَبِي مَعَ الرَّاكِعِيْنَ ﴿٤٣﴾ : اشهدي صلاة الجماعة في بيت المقدس (١)  
 ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ : أي ما ذكرت من قصة مريم وزكريا من أخبار الغيب. نُوحِيهِ إِلَيْكَ .  
 وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ : عندهم وبينهم.  
 إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ : جمع قلم وهو ما يكتب به وإلقاؤها لأجل الاقتراع بها على كفالة مريم.  
 أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ .

وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ : في شأن كفالة مريم.  
 إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ : يخبرك بخبر سار مفرح لك.  
 بِكَلِمَةٍ مِنْهُ : هو المسيح ﷺ وسمي كلمة لأنه كان بكلمة الله تعالى «كُنْ» .  
 أَسْمُهُ الْمَسِيْحُ : (٢) لقب عيسى ﷺ ومن معانيه الصدق. ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ .  
 وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ : الوجهية: ذو الجاه والقدر والشرف بين الناس. ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ .  
 وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ (٣) : المههد مضجع الصبي وهو رضيع.  
 وَكَهْلًا : الكهل سن ما بين الشباب والشيخوخة (٤) ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ  
 لِي وَلَدٌ .

وَلَمْ يَمَسَّ نِيَّ بَشَرٌ : تريد لم يقربها ذكر لا للوقاع ولا لغيره. وذلك لعقمها وبُعدها عن الرجال  
 الأجانِب. ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ .  
 إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا : أَرَادَهُ وَحَكَمَ بِوَجُودِهِ. ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٤٧﴾ .  
 وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ : الخط والكتابة.  
 وَالْحِكْمَةَ : العلم الصحيح والإصابة في الأمور وفهم أسرار التشريع الإلهي. ﴿وَالنُّورَةَ  
 وَالْإِنجِيلَ﴾ ﴿٤٨﴾ .

وَرَسُولًا : أي وأبعثه رسولاً.  
 إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ : علامة دالة على رسالته وصدق نبوته. ﴿مِنَ رَبِّكُمْ﴾ .

- (١) قدم السجود على الركوع في الذكر وإن كان مؤخرًا في الفعل؛ لأنه ألصق بالشكر، والمقام مقام شكر.  
 (٢) اختلف في سبب تليق عيسى بالمسيح، والمشهور أنه لقب تشريف كالفاروق مثلاً أو الملك أو الصديق، وأما  
 عيسى فهو معرب أيشوع ومعناه السيد، وهل المسيح مشتق من المسح؟ وهل هو بمعنى الماسح أو الممسوح  
 خلاف.  
 (٣) لقد تكلم في المههد غير واحد، منهم شاهد يوسف، وصاحب جريج. وكلام عيسى في المههد هو قوله: ﴿إِنِّي عَبْدٌ  
 اللَّهُ أَنبَأْتُنِي الْكِتَابَ﴾ الآية في سورة مريم.  
 (٤) ذكر الكهولة هنا تظمين لأمه أنه لا يموت صغيراً وتكليمه في الكهولة يكون بعد نزوله من السماء لأنه عليه  
 السلام رفع مع نهاية سن الشباب وهو ثلاث وثلاثون سنة لا غير.

أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ : أي أصور لكم، لا الخلق الذي هو الإنشاء والاختراع إذ ذاك لله تعالى.  
مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ : كصورة الطير. ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.  
وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ : الذي ولد أعمى.

وَالذَّبْرَصُ : ذو البرص وهو مرض عيَاء عجز عنه الطب القديم والحديث. والبرص بياض  
يصيب الجلد البشري. ﴿وَأَخِي الْمَوْئِي بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

وَأَنْتِشُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ : تحبسونه وتخفونه عن أطفالكم من الطعام  
وغيره. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٤٩)

وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ : من قبلي. ﴿مِنَ التَّورَةِ وَلِأَحَدٍ لَّكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ (٥١)  
وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (٥٢) (٥٣)

إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ : إلهي وإلهكم. ﴿فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٥١)  
﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ : علم منهم الكفر به وبما جاء به وهمهم بأذيته.﴾ قَالَ مَنْ  
أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴿.

قَالَ الْحَوَارِيُّونَ : جمع حواري، والمراد بهم أصفياؤه وأصحابه. نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ.  
ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٤) : منقادون لأمر الله ورسوله مطيعون. ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا  
بِمَا أُنزِلَتْ وَأَتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ : أي عيسى ﷺ.

فَأَكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٥) : الذين يشهدون أن لا إله إلا الله، ويعبدونه بما يجب أن يعبد به.  
وَمَكْرُوا : دبروا القتل للمسيح ﷺ.

وَمَكَّرَ اللَّهُ : دبر تعالى لإنجائه وخببهم فيما عزموا عليه.

وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينَ (٥٦) : أحسن المدبرين لإنقاذ أوليائه وإهلاك أعدائه.

إِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسِي إِيَّيْ مُتَوَفِّيكَ : متم لك ما كتبت لك من أيام بقائك مع قومك (٥٧).

(١) هو ما حرمه الله عليهم على عهد موسى من أكل الشحوم ونحوها، أما ما كان محرماً أصلاً لضرورة فلا يحله لهم وذلك كالسرقة والقتل والزنى والربا فإنه لا يحله لهم أبداً.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وحّد آية وهي آيات لأنها جنس كنعمة بمعنى جنس النعم والمراد من الآية ما تقدم في قوله: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ﴾ إلخ.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله: (اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ فقال قتادة: هذا من المقدم والمؤخر تقديره إني رافعك إليّ ومتوفيك، يعني بعد ذلك، وقال ابن عباس: إني متوفيك أي: مميتك، وقال وهب بن منبه: توفاه الله ثلاث ساعات من أول النهار حين رفعه إليه، قال مطر الوراق: إني متوفيك من الدنيا وليست بوفاة موت، وكذا قال ابن جرير: توفيه هو رفعه، وقال الأكثرون: المراد بالوفاة هاهنا النوم كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُتَوَفَّيْكُمْ بِالَّيْلِ﴾، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يُتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ الآية، وكان رسول ﷺ يقول إذا قام من النوم: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا» الحديث. وعن الحسن أنه

وَرَأْفَعُكَ إِلَيَّ : إلى جوارى في الملكوت الأعلى.

وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ .

ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ : ذلك المذكور من أمر عيسى نقرؤه عليك من جملة آيات القرآن الحكيم.

إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ : المثل: الصفة المستغربة البديعة. ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (٥٩) ﴿١﴾

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ أَي مَا قَصَصْنَاهُ عَلَيْكَ فِي شَأْنِ عِيسَىٰ هُوَ الْحَقُّ الثَّابِتُ مِنْ رَبِّكَ ﴿٢﴾

فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦﴾ : الشاكين، إذ الامتراء: الشك.

فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ : جادلِكَ بالحجج. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءَ كُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَ كُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ .

ثُمَّ نَبْتَهِلْ : نلتعن.

فَنَجْعَلَ لِمَنْتَ اللَّهُ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ : أي نلعن الكاذب منا.

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ : ما قصه الله تعالى هو القصص الحق الثابت الذي لا شك فيه. ﴿وَمَا

مِنَ إِلَهِ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٦٢) ﴿٣﴾ .

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ : الذين يعملون بمعاصي الله تعالى في الأرض من الشرك

وكبائر الذنوب.

قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ لَأَن يَهُودَ عِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ وَالنَّصَارَىٰ عِنْدَهُمُ الْإِنْجِيلُ .

﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ .

أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا : الكلمة السواء هي العادلة وهي أن نعبد الله وحده لا شريك له.

قال في قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَقِّئُكَ﴾ يعني وفاة المنام رفعه الله في منامه. وقوله تعالى: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: برفعي إياك إلى السماء. (اهـ(قل)).

(١) المماثلة الحاصلة بين آدم وعيسى عليهما السلام في شيء واحد وهو: أن كلاً منهما خلق من غير أب وخلق بكلمة التكوين وهي كن.

(٢) وهو أن الله أرسل تعالى جبريل ﷺ فنفخ في كم درع مريم فسرت النفخة فيها فحملت بعيسى وولدت في ساعة من نهار وتكلم بعد وضعها له وطمأن والدته وأرشدتها إلى ما نقوله لمن يتصدى لها يعيها. وحاصله أنه كان بكلمة التكوين وهي كن كما كان آدم بها فلا أب له ولا أم.

وَلَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ : الأرباب جمع رب وهو المألوه المطاع بغير طاعة الله تعالى.

فَإِنْ تَوَلَّوْا : أعرضوا عن التوحيد.

فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ : اعلّموا علم رؤية ومشاهدة بأننا مسلمون.

يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ : تجادلون بحجج باطلة. ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَتَأْتُمْ هَتُوءًا حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ .

مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا : لم يكن إبراهيم على ملة اليهود، ولا على ملة النصارى. وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مُسْلِمًا : مائلا عن الملل الباطلة إلى ملة الحق وهي الإسلام. ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ .

إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ : أحق بالنسبة إلى إبراهيم وموالاته للذين اتبعوه على التوحيد. ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ .

وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ : متولي أمرهم وناصرهم.

وَدَدَّتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ : أحببت فرقة وهم الأخبار والرؤساء فيهم.

لَوْ يُضِلُّوكُمْ : أي تمنوا إيقاعكم في الضلال لتشقوا وتهلكوا مثلهم.

وَمَا يُضِلُّوكُمْ <sup>(١)</sup> إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ : أي وما يدرون ولا يعلمون بأنهم بمحاولة إضلال المؤمنين إنما هم يضلون أنفسهم حيث يتوغلون في الشر فيضاعف لهم العذاب. ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ .

يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسُوكَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ : لبس الحق بالباطل: خلطه به فكأنما كسا الباطل ثوب الحق وكسا الحق ثوب الباطل حتى لا يُعرف فيؤخذ به، ويهتدى عليه. وَقَالَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهُ النَّهَارِ : أوله وهو الصباح. وَأَكْفُرُوا ءَاخِرَهُ : وهو المساء. لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ : أي إلى استقبال الصخرة بدلًا عن الكعبة، والغرض هو بلبلة أفكار المسلمين وإدخال الشك عليهم <sup>(٢)</sup>.

(١) الإضلال يكون بمعنى الهلاك كما هو هنا تقدم أنهم من يهود المدينة وأن العبرة بعموم اللفظ؛ لذا فإن هذا النوع ما زال إلى اليوم يود إضلال المسلمين.

(٢) وهذا لا يمنع أن يكون قولهم: ﴿ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهُ النَّهَارِ﴾ إظهارًا منهم للدخول في الإسلام، والاعتراف به في أول النهار مكرًا وخديعة، فإذا ولّى النهار أظهروا رجوعهم عنه ليظن من رآهم أنهم يريدون الحق ولذلك أسلموا فلما تبين لهم بطلان الإسلام وعدم صحته رجعوا عنه.

وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ : أي لا تصدقوا إلا من كان على ملتكم<sup>(١)</sup> .  
قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ : البيان الحق والتوفيق الكامل بيان الله وهداه لا ما يخلط اليهود ويلبسون تضليلاً للناس .

أَنْ يُؤْتِيَ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ : أن يعطى أحد نبوة ودينًا وفضلًا .

أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ : يخاصموكم يوم القيامة عند ربكم .

قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ : قل إن التوفيق للإيمان والهداية للإسلام بيد الله لا بيد غيره .

يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ : ذو سعة بفضله، عليم بمن يستحق فضله فيمن عليه .

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ .

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ : ائتمنه على كذا وضعه عنده أمانة وأمنه عليه فلم يخفه .

يَقْتَنِرُ : وزن معروف والمراد هنا أنه من ذهب بدليل الدينار . ﴿يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ

بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ﴾ .

إِلَّا مَا دَمَتْ عَلَيْهِ قَائِمًا : أي ملازمًا له تطالبه به ليل نهار . ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا

فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ : العرب المشركين .

سَبِيلٌ : أي لا يؤاخذنا الله إن نحن أكلنا أموالهم لأنهم مشركون . ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ

وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ .

بَلَىٰ : أي ليس الأمر كما يقول يهود من أنه ليس عليهم حرج ولا إثم في أكل أموال العرب

المشركين بل عليهم الإثم والمواخذة . ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَأَتَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ إِنَّ الَّذِينَ

يَشْرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴿٧٧﴾ : أي لا حظ ولا نصيب لهم في

خيرات الآخرة ونعيم الجنان . ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ .

يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُرَكِّبُهُمْ : لا يظهرهم من ذنوبهم ولا يكفرها عنهم . ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

﴿٧٧﴾﴾ .

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا : طائفة من اليهود المعاصرين للنبي ﷺ بالمدينة النبوية .

يَلُونِ السِّتْرَ بِالسِّتْرِ : يحرفون ألسنتهم بالكلام كأنهم يقرءون الكتاب .

لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ : وليس هو من الكتاب . ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ

اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ .

وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ : أي يكذبون على الله لأغراض مادية .

وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ : أنه كذب على الله .

(١) هذا نهي من يهود خيبر إلى إخوانهم من يهود المدينة .



مَا كَانَ لِبَشَرٍ : لم يكن من شأن الإنسان الذي يؤتیه الله الكتاب والحكم والنبوة<sup>(١)</sup> .  
 أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ : الكتاب: وحي الله المكتوب، والحكم: بمعنى  
 الحكمة وهي الفقه في أسرار الشرع. والنبوة: ما يشرف الله تعالى عبده من إنبائه بالغيب وتكليمه  
 بالوحي. ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا﴾ .

رَبِّبْنِيْنَ : جمع رباني: من ينسب إلى الرب لكثرة عبادته وغزارة علمه، أو إلى الربان وهو  
 الذي يرب الناس فيصلح أمورهم ويقوم عليها. ﴿بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ  
 (٧٩) وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ﴾ .

أَرْبَابًا : جمع رب بمعنى السيد المعبود.  
 أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ : الاستفهام للإنكار، والكفر هنا الردة عن الإسلام. ﴿بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (٨٠) وَإِذْ  
 أَخَذَ اللَّهُ﴾ .

مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ : الميثاق: العهد المؤكد باليمين.  
 لَمَّا آتَيْتُكُمْ : مهما آتيتكم. ﴿مَنْ كَتَبَ وَحِكْمَةً ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾ .  
 لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ : لتصدقن برسالته<sup>(٢)</sup> ﴿وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ .  
 قَالَ أَقْرَرْتُمْ : الهمزة الأولى للاستفهام التقريري وأقررتم بمعنى اعترفتم.  
 وَأَخَذْتُمْ عَلَيَّ ذَلِكَمْ إِصْرِي : عهدي وميثاقي. ﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ  
 (٨١)﴾ .

فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ : رجع عما اعترف به وأقر.  
 فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٨٢) : الخارجون عن طاعة الله ورسوله.  
 أَفَعَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَجْعُونَ : الاستفهام للإنكار، ويغيثون بمعنى يطلبون.  
 وَلَهُ أَسْلَمَ : انقاد وخضع لمجاري أقدار الله وأحكامه عليه. ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣) قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ  
 وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ .  
 وَالْأَسْبَاطُ : جمع سبط والسبط الحفيد، والمراد بالأسباط هنا أولاد يعقوب الاثنا عشر

(١) لفظ البشر: يطلق على الواحد والجمع لأنه كالمصدر والمراد به هنا عيسى عليه السلام. أي: لا يجتمع لنبي إتيان  
 النبوة مع قوله: ﴿كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ، وإنما الذي يجتمع له مع إتيان النبوة هو قوله: ﴿كُونُوا رَبِّبَيْنِ﴾  
 إلخ.

(٢) روى ابن كثير عن علي وابن عباس رضي الله عنهما أنهما قالوا: ما بعث الله نبيًا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله  
 محمدًا وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به  
 ولينصرنه، وهذا غير مناف لما قال قتادة وغيره: إن الله أخذ من النبيين ميثاقهم إن يصدق بعضهم بعضًا.

والأسباط في اليهود كالقبائل في العرب. ﴿وَمَا أَوْتَىٰ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٨٤).

وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا : يطلب ويريد دينًا غير الدين الإسلامي. ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ .  
وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ (٨٥) : الهالكين بالخلد في نار جهنم والذين خسروا كل شيء حتى أنفسهم.

كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا (١) الاستفهام هنا للاستبعاد، والهداية الخروج من الضلال. ﴿كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا﴾ .

أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ (٢) : الحجج من معجزات الرسل وآيات القرآن المبينة للحق في المعتمد والعمل.

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٣) : المتجاوزين الحد في الظلم المسرفين فيه حتى أصبح الظلم وصفًا لازماً لهم. ﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيَتْهُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ .

وَالْمَلَائِكَةَ وَالنَّاسَ أَجْمَعِينَ (٤) : طرد الله لهم من كل خير، ولعنة الملائكة والناس دعاؤهم عليهم بذلك. ﴿خَلِدِينَ فِيهَا﴾ .

لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٥) : ولا هم يمهلون، من (أنظره) إذا أمهله ولم يعجل بعذابه.

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا : أصلحوا ما أفسدوه من أنفسهم ومن غيرهم. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٦).

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا : الكفر: الجحود لله تعالى والتكذيب لرسوله وما جاء به من الدين والشرع.

بَعْدَ إِيمَانِهِمْ : أي ارتدوا عن الإسلام إلى الكفر. ﴿ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ (٧).

وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (٨) : المخطئون طريق الهدى. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ﴾ .

(١) الاستفهام للنفي والاستبعاد إذ هو بمعنى لا يهدي الله قوماً... إلخ.

(٢) أورد هنا القرطبي سؤالاً وهو: أن ظاهر الآية ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ دال على أن من كفر بعد إسلامه لا يهديه الله وكثير من الظالمين تابوا من الظلم؟ وأجاب بقوله: إن معنى (لا يهديهم) ما داموا مقيمين على كفرهم وظلمهم ولا يقبلون على الإسلام، فأما إن أسلموا وتابوا فقد وفقهم الله لذلك والله أعلم. اهـ كلامه.

(٣) أورد القرطبي إشكالاً عن قوله تعالى: ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ مع العلم أن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر كما صح في الخبر وكيف وهو القائل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ وذكر ثلاثة أجوبة

الأول: أنه لا يقبل توبتهم عند الموت كما هو نص الآية ﴿حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ...﴾ .

الثاني: أنها لا تقبل توبتهم التي كانت قبل كفرهم إن الكفر محبط للعمل.

والثالث: أنها لا تقبل وهم مصرون على الكفر. قلت: وهذا أمثلها وهو ما ذكرته في تفسير الآية. والله أعلم.

مَلْءِ الْأَرْضِ ذَهَبًا: ما يملؤها من الذهب.  
 وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ: ولو قدمه فداء لنفسه من النار ما قبل منه. ﴿أَوْلَيْتِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ  
 تَصْرِيحٍ﴾ (١١).

لَنْ نَنَالُوا: لن نحصلوا عليه وتظفروا به.  
 الْبَرِّ: كلمة جامعة لكل خير، والمراد به هنا ثوابه وهو الجنة.  
 حَتَّى تُنْفِقُوا: تتصدقوا.  
 وَمَا تُحِبُّونَ: من المال الذي تحبونه لأنفسكم وهو أفضل أموالكم عندكم.  
 وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ: يريد قل أو كثير.  
 فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (١٢): لازمه أنه يجزيكم به حسب كثرته أو قلته.  
 ﴿كُلُّ الطَّعَامِ﴾: اسم لكل ما يطعم من أنواع المأكولات.  
 كَانَ حَلَالًا: الحل: الحلال، وسمي حلالاً لانحلال عقدة الحظر عنه.  
 لَيْسَ إِسْرَائِيلَ: أولاد يعقوب الملقب بإسرائيل المنحدرون من أبنائه الاثنى عشر إلى يومنا هذا.  
 إِلَّا مَا حَرَّمَ: حظر ومنع. ﴿إِسْرَائِيلَ عَلَى نَفْسِهِ﴾ (١) من قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ﴿﴾.  
 قُلْ فَأَتَوْا بِالتَّوْرَةِ: كتاب أنزل على موسى ﷺ وهو من ذرية إسرائيل.  
 فَأَتَوْهَا: اقرءوها على رءوس الملائكة لتبين صحة دعواكم من بطلانها. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٣).

قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: دينه وهي عبادة الله تعالى بما شرع، ونبذ الشرك والبدع.  
 حَنِيفًا: مائلًا عن الشرك إلى التوحيد. ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٤).  
 إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ: مكة. ﴿مُبَارَكًا﴾.  
 وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (١٥): للناس أجمعين.  
 فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ: يريد في المسجد الحرام دلائل واضحات.  
 مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ: آية من الآيات وهو الحجر الذي قام عليه أثناء بناء البيت فارتسمت قدماه وهو  
 صخر فكان هذا آية.

وَمَنْ دَخَلَهُ: الحرم الذي حول البيت بحدوده المعروفة.  
 كَانَ ءَامِنًا: لا يخاف على نفسه ولا مال ولا عرض (٢).  
 وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ: الحج: قصد البيت للطواف به وأداء بقية المناسك.

(١) من لحمان الإبل والبانها.

(٢) صورة اللفظ خبر ومعناه الإنشاء أي الأمر بمعنى: فمن دخله فأمناه. هكذا قال بعضهم. ولا منافاة بين القولين؛ فإن الحرم كان آمنًا في عهد الجاهلية قرونًا بما ألقى الله في قلوب العرب من حرمة الحرم.

مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا: طريقًا والمراد القدرة على السير إلى البيت والقيام بالمناسك.  
وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾: الكفر: الجحود. ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾

لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ: ما أنزل تعالى من الحجج والبيّنات في القرآن المقررة لنبوّة محمد ﷺ وما أنزله تعالى في التوراة والإنجيل في صفات النبي ﷺ ونعوته الموجبة للإيمان به واتباعه على دين الحق الذي جاء به وهو الإسلام.

وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾: عليم به مطلع عليه، وما يعملونه هو الكفر والشر والفساد. ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾

لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مِمَّنْ آمَنَ: تصرفون الناس ممن آمن منكم ومن العرب عن الإسلام الذي هو سبيل الله تعالى المفضي بأهله إلى سعادة الدارين.

تَبْعُونَهَا عِوَجًا: تطلبون لها العوج حتى تخرجوا بها عن الحق والهدى فيضل سالكها وذلك بالتحريف والتضليل.

وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ: بعلمكم بأن الإسلام حق، وأن ما تبغونه له من الإضلال لأهله والتضليل هو كفر باطل. ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾

يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا: طائفة من الحاقدين على الإسلام العاملين على الكيد له والمكر به وبأهله. ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾

يُرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾: يرجعوكم إلى الكفر بعد إيمانكم.

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ: الاستفهام للإنكار والتعجب من كفرهم بعد إيمانكم.

وَأَنْتُمْ تُثَلِّىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتِ اللَّهِ: آيات القرآن الكريم. ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾

وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ: يتمسك بشدة. ﴿فَقَدْ هَدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ: باستفراغ الوسع في امتثال أمره، واجتناب نهيّه، وتقاته هي

تقواه. ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا بِمَا نَسَلْتُمْ مِنْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُّسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا: كتابه القرآن ودينه الإسلام؛ لأن الكتاب والدين هما الصلة التي

تربط المسلم بربه، وكل ما يربط ويشد شيئًا بآخر هو سبب وحبل. ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾

قَالَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ: جمعها على أخوة الإيمان ووحدها بينها بعد الاختلاف والنفرة. ﴿فَأَصْبَحْتُمْ

بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾

وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ: شفا الحفرة: حافتها وطرفها بحيث لو غفل الواقف عليها وقع

فيها.

فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا: بهدائيتكم إلى الإسلام وبذلك أنجاكم من النار. ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٣﴾ ﴿١٣﴾

وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ: الأمة: أفراد من البشر أو غيرهم تربطهم رابطة جنس أو لغة أو دين ويكون أمرهم واحداً، والمراد بالأمة هنا: المجاهدون وهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ: الإسلام وكل ما ينفع الإنسان في حياته الأولى والآخرة من الإيمان والعمل الصالح.

وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ: المعروف كل ما عرفه الشرع فأمر به لنفعه وصلاحه للفرد أو الجماعة. وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ: ضد المعروف، وهو ما نهى عنه الشرع لضرر وإفساد للفرد أو الجماعة. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٤﴾

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا: هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٥﴾ (١)

يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ (٢): هذا يوم القيامة. فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أبيضَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴿١٧﴾

فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾: رحمة الله هنا: الجنة جعلنا الله تعالى من أهلها. آمين. تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ: هذه آياتنا نقرأها عليك متلبسة بالحق لا باطل فيها أبداً. وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٨﴾: فلا يعذب إلا بعد الإعدار والإنذار. ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾

وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٩﴾: إلى الله تصير الأمور فيقضي فيها بما يشاء، ويحكم بما يريد فضلاً وعدلاً.

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ: وجدتم أفضل وأبرك أمة، وجدت على الأرض. أَخْرَجْتَ لِلنَّاسِ: أظهرت وأبرزت لهداية الناس ونفعهم. ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَكُفَّوْا عَنْ أَسْوَاقِ الْبَاغِيَاتِ وَتَأْمُرُونَ بِالْحَقِّ وَالنَّهْيِ﴾ ﴿٢٠﴾ لَّهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢١﴾ ﴿٢١﴾ لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَدْحَى: الأذى: الضرر اليسير. وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكمُ الْأَذْبَارَ: ينهزمون فيفرون من المعركة مولينكم أدبارهم أي ظهورهم.

(١) نهاهم تعالى عن التفرق والاختلاف وقد وقع ما نهاهم عنه وثبت ما أخبر به رسول الله ﷺ فقد قال: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة» رواه الترمذي وقال: هذا حديث صحيح فعلاً فقد وجدت ست فرق وهي: الحرورية - والقدرية - والجهمية - والمرجئة - والرافضة - والجبرية. انقسمت كل فرقة من هذه إلى اثني عشرة فرقة فصارت اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا أهل السنة والجماعة.

(٢) تبيض وجوه المؤمنين المتقين، وتسود وجوه الكافرين والمبتدعين من أصحاب الأهواء.

ثُمَّ لَا يَتُصَّرُونَ ﴿١١١﴾: على المسلمين.

ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيَّ مَا تُقْفَوْنَ: أحاطت بهم المذلة ولصقت بهم حتى لا تفارقهم.  
إِلَّا يَجْبَلِ مِنَ اللَّهِ وَجِبَلٍ مِنَ النَّاسِ (١) (٢) وَيَأْخُذُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ: رجعوا من رحلتهم الطويلة في الكفر  
وعمل الشر بغضب الله.

وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ: ذلة الفقر والفاقة.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ: ذلك: إشارة إلى ما لصق بهم من الذلة والمسكنة وما عادوا به من غضب الله  
تعالى ما تبعه من عذاب. (فالباء) في ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ سببية أي: بسبب فعلهم كذا وكذا. ﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ  
بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ﴾.

ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾: الاعتداء مجاوزة الحد في الظلم والشر والفساد.  
﴿لَيْسُوا سَوَاءً: غير متساوين (٣)

مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ: جماعة قائمة ثابتة على الإيمان والعمل الصالح (٤)  
يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ: يقرءون القرآن.

ءَانَاءَ اللَّيْلِ: ساعات الليل جمع أنى.

وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾: يصلون. ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ  
عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.

وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ: يتسرعون بها خشية الفوات. ﴿وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٥).

وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ: فلن يجحدوه بل يعترف لهم به ويجزون به وافيًا. ﴿وَاللَّهُ  
عَلِيمٌ بِالْمُنْفِقِينَ﴾ (٦).

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا: كذبوا بالله ورسوله وشرعه ودينه.

لَنْ نُعْطِيَهُمْ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا: لن تجزي عنهم يوم القيامة أموالهم، ولا  
أولادهم من عذاب الله شيئًا، إذ لا مال يومئذ ينفق، ولا بنون. ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٧).

مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا: مثل: أي صفة وحال ما ينفقونه لإبطال دعوة الإسلام أو

(١) هذه الآية مخصصة لعموم آية الأعراف: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِبُّكَ لِبَيْعَتِنَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْتَمَةِ مِنْ سَوَاءِ الْعَدَابِ﴾  
إلا في حال إسلامهم أو ارتباطهم بمعاهدة دولة قوية.

(٢) الحبل مستعار هنا للعهد أي المعاهدة التي تربطهم بدولة قوية.

(٣) يرى بعضهم أن الكلام تم عند قوله: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ أي ليس المسلمون وأهل الكتاب سواء ثم استأنف فقال: ﴿مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ إلخ، وما ذكرته في التفسير أصح وأوضح.

(٤) المراد بهم: عبد الله بن سلام، وأخوه وعمته وسعية أو سمنة بن غريض، وثعلبة بن سعية وأسد القرظي، وغيرهم  
ممن أسلموا وحسن إسلامهم، في دنيا الإسلام والمسلمين إلى اليوم.

للتصديق به.

كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ : الصر: الريح الباردة الشديدة البرد التي تقتل الزرع وتفسده.

أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ : ما تحرث له الأرض وهو الزرع.

ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكْتَهُ : حيث دنسوها بالشرك والمعاصي فعرضوها للهلاك والخسار.

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (١١٧)

يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً : بطانة الرجل الذين يطلعهم على باطن أمره الذي يخفيه

على الناس للمصلحة.

مِن دُونِكُمْ : من غيركم أي من غير المسلمين كالكفار وأهل الكتاب.

لَا يَأْلُونَكُمْ : لا يقصرون في إفساد الأمور عليكم (١)

خَبَالًا : فسادًا في أمور دينكم ودنياكم.

وَدُّوْا مَا عَنِتُّمْ : أحبوا عنتكم أي مشقتكم.

قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ : ظهرت شدة بغضهم لكم. ﴿مِنَ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ

الآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١١٨) (٢)

هَآتَيْتُمْ أَزْوَاجًا : هؤلاء حذف من هاء التنبيه لوجودها في ها أنتم قبلها. ﴿تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ .

وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ : أي بالكتب الإلهية كلها. ﴿وَإِذَا لَقَوْتُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾ .

وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ : من شدة الغيظ عليكم، لأن المغتاط إذا اشتد به الغيظ يعض

أصبعه على عادة البشر، والغيظ شدة الغضب. ﴿قُلْ مَوْتُوْا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١١٩) .

إِن تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ : ما يحسن من أنواع الخير كالنصر والتأييد والقوة والخير. ﴿تَسْوَهُمْ﴾ .

وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ : ما يسوءكم كالهزيمة أو الموت أو المجاعة. ﴿يَفْرَحُوا بِهَا﴾ .

وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا : مكرهم بكم وتبويت الشر لكم.

إِنَّ اللَّهَ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (١٢٠) : علمًا به وقدرة عليه، إذ هم واقعون تحت قهره وعظيم سلطانه.

وَإِذْ غَدَوْتَ : أي واذكر إذ غدوت، والغدو: الذهاب أول النهار.

مِنَ أَهْلِكَ : أهل الرجل وزوجه وأولاده، و(من) لابتداء الغاية إذ خرج ﷺ صباح السبت من بيته

إلى أحد حيث نزل المشركون به يوم الأربعاء.

(١) قيل لعمر ﷺ: إن ها هنا رجلًا من نصارى الحيرة لا أحد أكتب منه ولا أخط بقلم أفلا يكتب عنك؟ فقال: لا

أخذ بطانة من دون المؤمنين. وجاء أبو موسى الأشعري بحساب نصارى لعمر فانتهره وقال: لا تدنهم، وقد

أقصاهم الله، ولا تكرمهم وقد أهانهم الله، ولا تأمنهم وقد خونهم الله.

(٢) استدل أهل العلم بهذه الآية على أن شهادة العدو لا تصح على عدوه وكيف به إذا كان كافرًا؟

تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ<sup>(١)</sup> : تنزل المجاهدين الأماكن التي رأيتها صالحة للنزول فيها من ساحة المعركة. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١١٦).

إِذْ هَمَّتْ : حدثت نفسها بالرجوع إلى المدينة وتوجهت إرادتها إلى ذلك.

طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ : هما بنو سلمة، وبنو حارثة من الأنصار.

أَنْ تَفْشَلَا : تضعفا وتعودا إلى ديارهما تاركين الرسول ومن معه يخوضون المعركة وحدهم.

وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا<sup>(٢)</sup> : متولي أمرهما وناصرهما ولذا عصمهما من ترك السير إلى المعركة. ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلَئِن كَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١١٧).

وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ : بدر اسم رجل وسمي المكان به؛ لأنه كان له فيه ماء وهو الآن قرية تبعد عن المدينة بنحو من مائة وخمسين ميلاً «كيلومتر»<sup>(١)</sup>

وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ : لقلّة عددكم وعُدَدِكُمْ وتفوق العدو عليكم. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١١٨).

إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ<sup>(٢)</sup> : الاستفهام إنكارى أي ينكر عدم الكفاية ومعنى يكفيكم يسد حاجتكم.

أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ : أي بالملائكة عوناً لكم على قتال أعدائكم المتفوقين عليكم بالعدد والعتاد.

بِثَلَاثَةِ آلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ<sup>(٣)</sup> : واحد منهم ملاك، وهم عباد الله مكبرون مخلوقون من نور لا

يعصون الله ما أمرهم.

بَلَى : حرف إجابة أي: يكفيكم. ﴿إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾.

وَيَأْتِيَكُمْ مِنْ قَوْرِهِمْ هَذَا : أي من وجههم في وقتهم هذا<sup>(٣)</sup> ﴿يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلْفٍ مِنَ

الْمَلَائِكَةِ﴾ (١١٩).

مُسَوِّمِينَ<sup>(٤)</sup> : معلمين بعلامات تعرفونهم بها.

وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ : البشرى: الخبر السار الذي يتهلل له الوجه بالبشر والطلاقة.

وَلِنُظْمِينَ قُلُوبِكُمْ بِهِ : اطمئنان القلوب سكونها وذهاب الخوف والقلق عنها. ﴿وَمَا أَلْتَصِرُ إِلَّا مِنَ

(١) كانت غزوة بدر في السابع عشر من رمضان يوم جمعة وكان جيش العدو بها ما بين التسعمائة إلى الألف، وجيش المسلمين ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً، وغزوة بدر أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ.

(٢) ذهب بعض إلى أن الاستفهام هنا تقريرى لأنه مجاب بـ ﴿بَلَى﴾، وجائز أن يكون للاستفهام معنيان في آن واحد لدلالة اللفظ عليهما معاً فتأمل!

(٣) أي المشركون من أصحاب كرز.

(٤) ذهب بعض المفسرين كمجاهد وعكرمة وغيرهما أن قوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الخ كان يوم أحد فهو وعد لهم بالمدد المذكور من الملائكة على شرط الصبر والتقوى فلما لم يصبروا ولم يتقوا كما هو معلوم لم يمددهم بالعدد المذكور من الملائكة، وما ذهبنا إليه في التفسير أقرب إلى الواقع، والله أعلم.



عند الله العزيز الحكيم ﴿١١٦﴾.

لَيَقْطَعَنَّ طَرْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا: الطرف: الطائفة، يريد ليهلك من جيش العدو طائفة.

أَوْ يَكْتَسِبُهُمْ: أي يخزيهم ويذلهم.

فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١١٧﴾: يرجعوا إلى ديارهم خائبين لم يحرزوا النصر الذي أملوه.

لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ: الشأن والمراد هنا توبة الله على الكافرين أو تعذيبهم.

شَيْءٌ: شيء نكرة متوغلة في الإبهام. وأصل الشيء: ما يعلم ويخبر به.

أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ: أو هنا بمعنى حتى أي فاصبر حتى يتوب عليهم أو يعذبهم. ﴿فَإِنَّهُمْ

ظَالِمُونَ﴾ ﴿١١٨﴾.

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ: أي ملكًا وخلقًا وعبيدًا يتصرف كيف يشاء ويحكم كما يريد.

﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١١٩﴾.

يَتَّيَبُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا: لا مفهوم للأكل بل كل تصرف بالربا حرام سواء كان

أكلًا أو شربًا أو لباسًا، والربا: لغة: الزيادة، وفي الشرع نوعان: ربا فضل وربا نسيئة، ربا الفضل:

يكون في الذهب، والفضة، والبر، والشعير، والتمر، والملح فإذا بيع الجنس بمثله يحرم الفضل،

أي الزيادة ويحرم التأخير، وربا النسيئة: هو أن يكون على المرء دين إلى أجل فيحل الأجل ولم

يجد سدادًا لدينه فيقول له: أخرفني وزد في الدين<sup>(١)</sup>.

أَضْعَفًا مُّضَاعَفَةً: لا مفهوم لهذا لأنه خرج مخرج الغالب، إذ الدرهم الواحد حرام كالألف،

وإنما كانوا في الجاهلية يؤخرون الدين ويزيدون مقابل التأخير حتى يتضاعف الدين فيصبح

أضعافًا كثيرة<sup>(٢)</sup>.

وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٢٠﴾: تنجون من العذاب، وتظفرون بالنعيم المقيم في الجنة.

وَأَتَقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٢١﴾: هيئت وأحضرت للمكذبين لله ورسوله ﷺ.

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٢٢﴾: لترحموا فلا تعذبوا بما صدر منكم من ذنب

المعصية.

(١) ربا البنوك اليوم شر من ربا الجاهلية هو أن يبيع الرجل أخاه شيئًا إلى أجل فإذا حل الأجل ولم يجد سدادًا قال له آخر وزد، أما ربا البنوك فإنه يبيعه نقدًا بتقد إلى أجل بزيادة فورية يسجلها عليه.

(٢) وعليه فآية تحريم الربا هي معترضة في سياق الحديث عن غزوة بدر وأحد، وفي هذا الاعتراض جماله وحسن

وقعه في النفوس، ومن فوائده دفع السامة عن السامع إذا استمر الكلام في موضوع واحد. اهـ.

قلت: بل الأرجح أن الربا من أكبر أسباب هلاك الأمة وبالتالي هزيمتها لذا حذر الله منه، خاصة إذا أضيف إليه

الزنى؛ لقول النبي ﷺ: «إذا ظهر الزنى والربا في قرية، فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله» [صحيح] (طب، ك) عن

ابن عباس انظر صحيح الجامع (قل).

﴿ وَسَارِعُوا: المسارعة إلى الشيء المبادرة إليه بدون توانٍ ولا تراخٍ. إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ: المغفرة: ستر الذنوب وعدم المؤاخذة بها، والمراد هنا: المسارعة إلى التوبة بترك الذنوب، وكثرة الاستغفار وفي الحديث: «ما من رجل يذنب ذنباً ثم يتوضأ ثم يصلي ويستغفر الله إلا غفر له» أخرجه الطبراني. وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ: الجنة دار النعيم فوق السموات والمساورة إليها تكون بالإكثار من الصالحات.

أُعِدَّتْ: هيئت وأحضرت فهي موجودة الآن مهياً.

لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾: المتقون هم الذين اتقوا الله تعالى فلم يعصوه بترك واجب ولا بفعل محرم، وإن حدث منهم ذنب تابوا منه فوراً.

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ: السراء الحال المسرة وهي اليسر والغنى، والضراء الحال المضرة وهي الفقر<sup>(١)</sup>

وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ: كظم الغيظ: حبسه، والغيظ ألم نفسي يحدث إذا أؤذي المرء في بدنه أو عرضه أو ماله، وحبس الغيظ: عدم إظهاره على الجوارح بسبب أو ضرب ونحوهما للتشفي والانتقام. وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ: العفو عدم المؤاخذة للمسيء مع القدرة على ذلك.

وَاللَّذِينَ يُحِبُّونَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾: المحسنون هم الذين يبرون ولا يسيئون في قول أو عمل.

وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً: الفاحشة: الفعلة القبيحة الشديدة القبح كالزنى وسائر الذنوب.

أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ: بترك واجب أو فعل محرم فدنسوها بذلك فكان هذا ظلماً لها. ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾.

وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا: أي يسارعوا إلى التوبة، لأن الإصرار هو الشد على الشيء والربط عليه مأخوذ من الصر، والصرة معروفة.

وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾: أي أنهم مخالفون للشرع بتركهم ما أوجب، أو بفعلهم ما حرم.

﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهم مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾.

وَيَنعَمُ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴿١٣٦﴾: الذي هو الجنة.

فَدَخَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ: دخلت: مضت.

سُنَّةٌ: جمع سُنَّة وهي السيرة والطريقة التي يكون عليها الفرد أو الجماعة، وسنن الله تعالى

في خلقه قانونه الماضي في الخلق.

(١) قيل في السراء والضراء: الرخاء والشدة، وقيل في السراء: العرس والولائم، والضراء: النوائب والمآثم وما فسرنا به الآية أعم وأحسن.

فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ : الأمر للإرشاد، للوقوف على ديار الهالكين الغابرين لتعتبروا.  
فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١٧٧﴾ : عاقبة أمرهم وهي ما حل بهم من الدمار والخسار

كعاد وشمود.

هَذَا بَيِّنٌ لِلنَّاسِ : أي ما ذكر في الآيات بيان للناس به يتبينون الهدى من الضلال، وما لازمهما

من الفلاح، والخسران.

وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٧٨﴾ : الموعظة الحال التي يتعظ بها المؤمن فيسلك سبيل النجاة.

وَلَا تَهِنُوا : لا تضعفوا. ﴿وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٣٦﴾ .

إِنْ يَمَسُّكُمْ كَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ كَرْحٌ مِّثْلُهُ : القرح: أثر السلاح في الجسم كالجراح، وتضم

القاف فيكون بمعنى الألم.

وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ : جمع يوم والليالي معها والمراد بها ما يجريه الله من تصريف

الحياة من خير وغيره وإعزاز وإذلال.

وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمُ شُهَدَاءَ\* : جمع شهيد وهو المقتول في سبيل الله، وشاهد

وهو من يشهد على غيره. ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٤٠﴾ .

وَلِيُخَيِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا : ليخلص المؤمنين من أدران المخالفات وأوصار الذنوب.

وَيَمْحَقَ الْكُفْرِيْنَ ﴿١٤١﴾ : يمحو ويذهب آثار الكفر والكافرين<sup>(١)</sup>

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ : بل أظننتم فلا ينبغي أن تظنوا هذا الظن والاستفهام إنكارى.

وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ : ولم يبتلكم بالجهاد حتى يعلم علم ظهور من يجاهد منكم

ممن لا يجاهد كما هو عالم به في باطن الأمر وخفيه. ﴿وَيَعْلَمُ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ

قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴿١٤٤﴾ .

قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ : أي مضت من قبله الرسل بلغوا رسالتهم وماتوا.

أَفَأَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ : ينكر تعالى على من قال عندما أشيع أن النبي قتل قال: (هيا بنا نرجع إلى

دين قومنا) فلا استفهام منصب على قوله: ﴿أَنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ ﴿١٤٥﴾ لا على ﴿أَفَأَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾

وإن دخل عليها.

أَنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ : رجعتم عن الإسلام إلى الكفر. ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا

وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿١٤٤﴾ .

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَنَبَأٌ مُّوَجَّلًا\* : كتب تعالى آجال الناس مؤقته بمواقيتها فلا

(١) قال ابن كثير في ﴿وَيَمْحَقَ الْكُفْرِيْنَ﴾ : أي: فإنهم إذا ظفروا بغوا ويطروا، ويكون ذلك سبب دمارهم وهلاكهم،

ومحقهم وفنائهم.

تتقدم ولا تتأخر، وفي كتاب المقادير «اللوح المحفوظ».

وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا : الثواب: الجزاء على النية والعمل معاً. وثواب الدنيا

الرزق.

وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا : ثواب الآخرة الجنة.

وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ : الذين ثبتوا على إسلامهم فاعتبر ثباتهم شكراً لله، وما يجزيهم به هو

الجنة ذات النعيم المقيم، وذلك بعد موتهم.

وَكَايِن مِّن نَّجِي : كثير من الأنبياء. وتفسر كايين بـ (كم) وتكون حينئذٍ للتكثير.

قَتَل مَعْصِرِيَّوْنَ كَثِيرٌ : رذائون علماء وصلحاء وأتقياء عابدون.

فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ : ما ضعفوا عن القتال ولا انهزموا لأجل ما أصابهم من قتل

وجراحات.

وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا : ما خضعوا ولا ذلوا لعدوهم. ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الضَّعِيفِينَ﴾ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ

إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا آغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴿١﴾

وَإِسْرَاقًا فِي أَمْرِنَا : مجاوزة الحد في الأمور ذات الحدود التي ينبغي أن يوقف عندها. ﴿وَوَكَّيْتِ

أَقْدَامَنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٤٧﴾

فَقَاتَلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى ثَوَابِ الدُّنْيَا : أعطاهم الله تعالى ثواب الدنيا: النصر والغنيمة. وَحَسَنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ

وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ : الذين يحسنون نياتهم يخلصون أعمالهم لله. ويحسنون أعمالهم فيأتون

بها موافقة لما شرعت عليه في كفياتها وأعدادها وأوقاتها.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا : المراد من طاعة الكافرين قبول قولهم

(١)

والأخذ بإرشاداتهم

يُرَدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ : يرجعوكم إلى الكفر بعد الإيمان.

فَتَنَقَّلُوا خَسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ : فاقدين لكل خير في الدنيا، ولأنفسكم وأهلكم يوم القيامة.

بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ : بل أطيعوا الله ربكم ووليكم ومولاكم فإنه خير من يطاع وأحق من

يطاع. ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ ﴿١٥٠﴾

سَكُنْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ : شدة الخوف من توقع الهزيمة والمكروه. ﴿يَمَّا

أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴿١٥١﴾

وَمَا وَدَّعَهُمُ الشَّاكِرُ : مقر إيوائهم ونزولهم.

(١) لفظ الكافرين شامل لكل ما أولت الآية به من المشركين والمنافقين واليهود، وهذا أمر لا ينكر فإن طاعة الكافرين لا تفضي بمن أطاعهم إلا إلى الخيبة والخسران في الدارين.

وَيَسِّرْ مَتَوَى : المشوى مكان الثوي وهو الإقامة والاستقرار.  
الظالمين ﴿١٥١﴾ : المشركين الذين أطاعوا غير الله تعالى وعبدوا سواه.  
وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ : أنجزكم ما وعدكم على لسان رسوله بقوله للرماة: اثبتوا  
أماكنكم فإننا لا نزال غاليين ما ثبتم مكانكم.

إِذْ تَحُسُونَهُمْ : تقتلونهم إذ الحس القتل يقال حسه إذا قتله فأبطل حسه.

بِأَذْنِهِ : بإذنه لكم في قتالهم وبإعانتة لكم على ذلك.

حَتَّى إِذَا فِشَلْتُمْ : ضعفتم وجبتم عن القتال. ﴿وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا  
أُرْسِلْتُمْ تَأْتِيهِمْ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾<sup>(١)</sup> وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ  
لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾

﴿ إِذْ تَصْعَدُونَ : تذهبون في الأرض فارين من المعركة يقال: أصدع إذا ذهب في صعيد

الأرض.

وَلَا تَكُونُوا عَلَى أَحَدٍ : لا تلوون رءوسكم على أحد تلتفتون إليه.

وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ : أي يناديكم من خلفكم إلى عباد الله ارجعوا إلى عباد

الله ارجعوا.

فَأَتَّبَعَكُمْ عَمَّا يَعْمَرُ : جزاكم على معصيتكم وفراركم غمًا على غم. والغم ألم النفس  
وضيق الصدر، وسبب الغم الأول: فوات النصر والغنيمة، والثاني: القتل والجراحات وخاصة  
جراحات نبيهم، وإذاعة قتله.

لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ : من الغنائم.

وَلَا مَا أَصَابَكُمْ : من الموت والجراحات والآلام والأتعاب. ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ

﴿١٥٣﴾

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنًا نُعَاسًا : الأمنة: الأمن، والنعاس: استرخاء يصيب الجسم قبل

النوم.

يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ : يصيب المؤمنين ليستريحوا، ولا يصيب المنافقين.

وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ : أي لا يفكرون إلا في نجاة أنفسهم غير مكترئين بما أصاب

رسول الله ﷺ وأصحابه<sup>(٢)</sup>

(١) إرادة الدنيا وحدها غير معصية، ولكن ما ترتب عنها من ترك طاعة رسول الله ﷺ، فطالب الدنيا اليوم إذا طلبها  
من حلها ولم يُخَلَّ طلبه بواجب، ولم يحمله على فعل حرام، لا يَأْتُم ولا يلام.

(٢) حدثتهم أنفسهم بما يدخل الهم عليهم وهو تكذيبهم بالقدر، والحرص على نجاتهم وحزنهم على ما فاتهم من  
الغنيمة وهذه كلها موجبات الهم والغم.

يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ : هو اعتقادهم أن النبي ﷺ قتل أو أنه لا ينصر .  
يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ : أي ما لنا من الأمر من شيء ، ﴿قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ .

مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ : أي ما لا يظهرون لك .

يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ .

لَبَرَزَ الَّذِينَ : لخرجوا من المدينة ظاهرين ليلقوا مصارعهم هناك .

كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ : يريد كتب في كتاب المقادير .

إِلَى مَضَاجِعِهِمْ : جمع مضجع وهو مكان النوم والاضطجاع والمراد المكان الذي صرعوا فيه قتلى .

وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ : ليختبر .

وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ : التمهيص: التمييز وهو إظهار شيء من شيء كإظهار الإيمان من

النفاق، والحب من الكره. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾

إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ جمع المؤمنين وجمع الكافرين بأحد .

إِنَّمَا أَسْزَلَهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا : أوقعهم في الزلل، وهو الخطيئة والتي كانت الفرار

من الجهاد. ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾

يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا : صدقوا الله ورسوله فيما أخبر به من وعد ووعد<sup>(١)</sup> . ﴿لَا تَكُونُوا ﴿١٥٦﴾﴾

كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ : هذه أخوة العقيدة لا أخوة النسب وهي هنا أخوة النفاق .

إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ : ضربوا في الأرض بأقدامهم مسافرين للتجارة غالباً<sup>(٢)</sup> .

أَوْ كَانُوا غُرَزَى : جمع غاز وهو من يخرج لقتال ونحوه من شؤون الحرب. ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا

مَاتُوا وَمَاقْتُلُوا ﴿١٥٧﴾﴾

لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ : الحسرة: ألم يأخذ بخناق النفس بسبب فوات مرغوب أو فقد

محبوب<sup>(٣)</sup> . ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾ ولين قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ

اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ ولين مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لِأَنَّ اللَّهَ مُحْسِنُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

فِيمَا رَحِمْتُمْ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ : كنت رفيقاً بهم تعاملهم بالرفق واللطف .

(١) الصحيح أن تكون العبارة هكذا: صدقوا الله ورسوله فيما جاء به من وعد ووعد(قل)

(٢) وقد يكون السفر لمصالح المسلمين .

(٣) والحسرة: شدة الأسف؛ أي: الحزن .

وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا <sup>(١)</sup>: خشناً في معاملتك شرساً في أخلاقك وحاشاه ﷺ.

غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ: تفرقوا وذهبوا تاركيك وشأنك.

فَاعْفُ عَنْهُمْ: يريد إن زلوا أو أخطئوا. ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾.

وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ: اطلب مشورتهم في الأمر ذي الأهمية كمسائل الحرب والسلام. ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ

فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ <sup>(١٥٩)</sup>﴾ إِنَّ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُ لَكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ

مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ <sup>(١٦٠)</sup>﴾.

وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ: أي يأخذ من الغنيمة خفية، إذ الغلُّ والغلول بمعنى السرقة من الغنائم

قبل قسمتها. ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ <sup>(١٦١)</sup>﴾: تجزئ ما كسبته في الدنيا وافيًا تامًا يوم

القيامة.

أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانًا لِلَّهِ: المراد به ما يوجب رضواناً من الإيمان والصدق والجهاد.

كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ: غضبه الشديد على الفاسقين عن أمره المؤذنين لرسوله ﷺ. ﴿وَمَا أَوْلَاهُ

جَهَنَّمَ وَيَسَّرَ الْمَصِيرَ <sup>(١٦٢)</sup>﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرِهِمْ يَعْمَلُونَ <sup>(١٦٣)</sup>﴾.

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ: أنعم وتفضل. ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ﴾.

رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ: هو محمد ﷺ.

يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ: بما يرشدهم إليه من الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة

والآداب العالية.

وَيَعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ: كل قول صالح نافع أبداً ومنه السنة النبوية. ﴿وَإِنْ كَانُوا

مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ <sup>(١٦٤)</sup>﴾.

أَوْلَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً: المصيبة أحد المصائب: ما يصيب الإنسان من سوء وأسوأها

مصيبة الموت.

قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا: ضعفها إذ قتلوا في بدر سبعين من المشركين وأسروا سبعين <sup>(٢)</sup>.

قُلْتُمْ أَنِّي هَذَا: أي من أين أتانا هذا الذي أتانا من القتل والهزيمة. ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ <sup>(١٦٥)</sup>﴾.

وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَيَاذَنْ لِلَّهِ: أي بإرادته تعالى وتقديره بربط المسببات بأسبابها.

(١) قال ابن كثير رحمته الله: (ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ والفظ الغليظ: والمراد به هنا:

غليظ الكلام لقوله بعد ذلك: ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ أي: لو كنت سيئ الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك

وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك وألان جانبك لهم تأليفاً لقلوبهم). اهـ (قل).

(٢) اعتبر الأسير قتيلاً لأن الأسر له يملك قتله متى شاء، فلذا قال تعالى: ﴿قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا﴾.

﴿وَلْيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٦﴾﴾ علم انكشاف وظهور كما هو معلوم له في الغيب وباطن الأمور.

﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ : أظهروا من الإيمان ما لا يبطنون من الكفر.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا﴾ : أي ادفعوا العدو عن دياركم وأهلكم وأولادكم، إن

لم تريدوا ثواب الآخرة. ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَافِرِينَ يَوْمِئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ

يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١١٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِأَخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا﴾ .

﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قُلَّ فَأَدْرَهُوْا﴾ : أي ادفعوا.

﴿عَنْ أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١٨﴾﴾ : في دفع المكروه بالحدزر.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ : ولا تظنن.

﴿الَّذِينَ قَاتَلُوا﴾ : استشهدوا.

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١١٩﴾﴾ : يحسون ويتنعمون في نعيم الجنة بالطعام

والشراب.

﴿فَرِحِينَ﴾ : مسرورين. ﴿بِمَاءِ آتَيْنَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَكَسَبَتْشُرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ .

﴿الْأَخَافُ عَلَيْهِمْ﴾ : لما وجدوا من الأمن التام عند ربهم.

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ : على ما خلفوا وراءهم في الدنيا لما نالهم من كرامة في الجنة.

﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ : يفرحون. ﴿بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ .

﴿وَفَضْلٍ﴾ : وزيادة. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾﴾ .

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ : أجابوا الدعوة وقبلوا الأمر.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ : ألم الجراحات.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾ : أعمالهم، وأقوالهم أتوا بها وفق الشرع وأحسنوا إلى غيرهم.

﴿وَاتَّقُوا﴾ : ربهم فلم يشركوا به ولم يعصوه فيما أمرهم به أو نهاهم عنه. ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٢٢﴾﴾ .

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ فَآخَشَوْهُمْ﴾ : جمعوا الجيوش لقتالكم.

﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ : يكفيننا ما أرادونا به من الأذى.

﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٢٣﴾﴾ : نعم الوكيل الله نوكل إليه أمورنا ونفوضها إليه.

﴿فَانْقَلَبُوا﴾ : رجعوا من حمراء الأسد إلى المدينة.

﴿بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ : نعمة الإيمان والإسلام والنصر.

﴿وَفَضْلٍ﴾ : حيث أصابوا تجارة في طريق عودتهم. ﴿لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو

﴿فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٢٤﴾﴾ .



إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ. <sup>(١)</sup>: أهل طاعته والاستجابة إليه فيما يدعوهم إليه من الشر والفساد. ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٧٥).

وَلَا يَحْزَنُكَ: الحزن: غم يصيب النفس لرؤية أو سماع ما يسوءه ويكرهه.

الَّذِينَ يُسْكِرُونَ: يبادرون.

فِي الْكُفْرِ: الكفر تكذيب الله تعالى ورسوله فيما جاء به الرسول وأخبر به. ﴿إِنَّهُمْ لَن يَصْرُوا اللَّهَ شَيْئًا﴾.

يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا: نصيبًا. ﴿فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٧٦).

إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ: اعتاضوا الكفر عن الإيمان. ﴿لَن يَصْرُوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ﴾ (١٧٧).

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ: الإملاء: الإمهال والإرخاء بعدم البطش بهم وترك الضرب على أيديهم بكفرهم <sup>(٢)</sup>.

إِنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا: الإثم: كل ضار قبيح ورأسه: الكفر والشرك. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ

﴾ (١٧٨).

مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ: ليرك المؤمنين. ﴿عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾.

حَتَّىٰ يَمِيزَ: يميز ويبين.

الْحَيْثَ: من خبثت نفسه بالشرك.

مِنَ الطَّيِّبِ: من طهرت نفسه بالإيمان والعمل الصالح.

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ: ما غاب فلم يدرك بالحواس.

وَلَكِنَّ اللَّهَ يُجْتَبَىٰ: يختار ويصطفى. ﴿مِن رُّسُلِهِ. مَنْ يَشَأْ فَاقْتُلُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ. وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَسْتَفُوا فَلَكُمْ

أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١٧٩).

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ: يمتنعون ويضنون. ﴿بِمَاءِ أَنفُسِهِمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ. هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾.

سَيَطُوفُونَ مَا بِحُلُوبِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يجعل طوقاً في عنق أحدهم.

وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ <sup>(١٨٠)</sup> لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ

أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ.

بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ <sup>(١٨١)</sup>: هو عذاب النار المحرقة تحرق أجسادهم.

ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ: أي قلنا لهم: ذوقوا بسبب ما قدمته أيديكم من الجرائم. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ

(١) معنى: ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾؛ أنه يخوف المؤمنين بأوليائه وهم المشركون وذلك على لسان نعيم بن مسعود الذي

أجره أبو سفيان ليخوف المؤمنين بعزم أبي سفيان على الكرة عليهم لاستئصالهم وإبادتهم.

(٢) فسر الإملاء بطول العمر ورغد العيش، وهو كذلك مع إضافة عدم معاجلتهم بالعقوبة إنظاراً لهم لا إمهالاً.

لَيْسَ يَظْلَمُونَ لِعَيْدِهِ ﴿١٨٢﴾ .

الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا : أمرنا ووصانا في كتابنا التوراة .

أَلَا تُوْمِنُ لِرُسُولِي : أي لا نتابعه، على ما جاء به ولا نصدقه في نبوته .

حَتَّىٰ يَأْتَيْنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ : القربان: ما يتقرب به إلى الله تعالى من حيوان وغيره يوضع في

مكان فتنزل عليه نار بيضاء من السماء فتحرقه .

قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ : الآيات والمعجزات .

وَالَّذِي قُلْتُمْ : أي من القربان .

فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ : الاستفهام للتوبيخ، وممن قتلوا من الأنبياء زكريا

ويحيى عليهما السلام . ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ .

وَالزُّبُرِ : جمع زبور وهو الكتاب كصحف إبراهيم .

وَالكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ : الواضح البين كالنوراة والزبور والإنجيل .

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ : أي ذائقة موت جسدها أما هي فإنها لا تموت .

وَإِنَّمَا نُوفِّيكَ أَجْرَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : تعطون جزاء أعمالكم خيراً أو شراً وافية لا نقص

فيها .

فَمَنْ زُجِرَ عَنِ النَّارِ : نُجِّي وأبعد .

وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ : نجا من مرهوبه وهو النار، وظفر بمرغوبه وهو الجنة .

وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ : المتاع كل ما يستمتع به، والغرور: الخداع فشبهت

الدنيا بمتاع خادع غار صاحبه لا يلبث أن يضمحل ويذهب .

﴿لَتُجْلِبُوا فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ : لَتُخْتَبِرُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ بِأداء الحقوق الواجبة فيها،

أو بذهابها وأنفسكم بالتكاليف الشاقة كالجهاد، والحج، أو المرض والموت .

وَلَسْتُمْ مَعَكُمْ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ : اليهود والنصارى .

وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا : العرب . ﴿أَذْكَى كَثِيرًا﴾ .

وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ : يريد أن الصبر والتقوى من الأمور

الواجبة التي هي عزائم وليس فيها رخص ولا ترخيص بحال من الأحوال .

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ : الميثاق: العهد المؤكد باليمين، أوتوا الكتاب: اليهود

والنصارى .

لَتَبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ . الكتمان: إخفاء الشيء وجحوده حتى لا يرى ولا يعلم .

فَسَبَّوهُ وَرَأَوْا ظُهُورَهُمْ : ألقوه وطرحوه ولم يلتفتوا إليه وهو ما أخذ عليهم العهد والميثاق فيه

من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به عن الإسلام .

وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا : اعتاضوا عنه حطام الدنيا ومتاعها الزائل إذ كتموه، إبقاء على منافعهم الدنيوية، ﴿فَيْتَسَّ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (١٨٧).

لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا : أي يشنى عليهم ويذكروا بخير وهم لم يفعلوا ما يوجب لهم ذلك.

فَلَا تَحْسَبَنَّاهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨٨) : بمنجاة من العذاب في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب أليم. ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٨٩).

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ : أي في وجودهما من العدم.

وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ : تعاقبهما هذا يجيء وذاك يذهب، هذا مظلّم وذاك مضيء.

لَا يَنْتَبِ : دلائل واضحة على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته.

لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) : أصحاب العقول التي تدرك بها الأشياء وتفهم بها الأدلة. ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

رَبَّنَا : يقولون ربنا.

مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا : لا لشيء مقصود منه، وإنما هو من باب اللعب.

سُبْحَانَكَ : تنزيهاً لك من العبث واللعب، وعن الشريك والولد.

فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) : أجرنا واحفظنا من عذاب النار بتوفيقك لنا للأعمال الصالحة وتجنينا

الأعمال الفاسدة الموجبة لعذاب النار.

رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ : أذلته وأشقيته. ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصَارٍ﴾ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا :

مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ : والمنادي هو القرآن الكريم والرسول ﷺ. ﴿أَن ءَامَنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا

فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا : استر وامح عنا سيئاتنا.

وَتَوَقْنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) : جمع بر أو بار وهم المتمسكون بالشرعية.

رَبَّنَا وَإِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ : على السنة رسلك من النصر والتأييد.

وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ (١٩٤) : الوعد. ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ

مِنكُمْ مَن ذَكَرَ أَوْ أَنْتِي بَعْضُكُمْ مِّن بَعْضٍ﴾.

فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ : تركوا بلادهم وديارهم وأموالهم وأهليهم فراراً بدينهم.

وَأُودُوا فِي سَبِيلِي : آذاهم المشركون من أجل الإيمان بي ورسولي وطاعتنا. ﴿وَقَاتِلُوا وَقَاتِلُوا

لَا كُفْرَانَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا أَذْخَلْنَاهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾.

ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ : أي أجراً جزاء كائنًا من عند الله وهو الجنات بعد تكفير السيئات. ﴿وَاللَّهُ

عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (١٩٥).

لَا يَغُرَّنَّكَ : لا يكن منك اغترار، المخاطب رسول الله ﷺ والمراد أصحابه وأتباعه.

تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ ﴿١٩٦﴾ : تصرفهم فيها بالتجارة والزراعة والأموال والمآكل والمشارب.

مَتَعٌ قَلِيلٌ : تصرفهم ذلك هو متاع قليل يتمتعون به أعوامًا ويتتهي.  
ثُمَّ مَا وَهُمْ جَهَنَّمُ : ما لهم بعد التمتع القليل إلى جهنم يأوون إليها فيخلدون فيها أبدًا.  
﴿وَيَسَّسَ الْمَهَادِ﴾ (١٩٧) لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴿﴾  
نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ : النُّزُلُ: ما يعد للضيف من قرى: طعام وشراب وفراش.  
وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآبِرَارِ ﴿١٩٨﴾ : جمع بار وهو المطيع لله ولرسوله الصادق في طاعته. ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾

لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ : القرآن والسنة.

وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ : التوراة والإنجيل.

خَاشِعِينَ لِلَّهِ : مطيعين مخبتين له ﴿بِأَرْوَاحِهِمْ﴾

لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا : لا يجحدون أحكام الله وما أمر ببيانه للناس مقابل منافع

تحصل لهم. ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١٩٩) ﴿﴾

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا<sup>(١)</sup> : الصبر: حبس النفس على طاعة الله ورسوله،

والمصابرة: الثبات والصمود أمام العدو.

وَرَابِطُوا : المرابطة: لزوم الثغور منعًا للعدو من التسرب إلى ديار المسلمين.

وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ : تفوزون بالظفر المرغوب، والسلامة من المرهوب في الدنيا

والآخرة.



(١) المصابرة: هي الصبر في وجه العدو الصابر، ومن هنا كانت المصابرة أشد من الصبر لأنها صبر في وجه عدو صابر، فأيهما لم يثبت على صبره هلك، وأصبح النجاح لأطولهما صبرًا.

## ٤ - سُورَةُ النِّسَاءِ

«مجانبة»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا النَّاسُ : البشر، واحد الناس من غير لفظه وهو إنسان.

اتَّقُوا رَبَّكُمْ : خافوه أن يعذبكم فامثلوا أمره واجتنبوا نهييه.

الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ : هي آدم عليه السلام.وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا : خلق حواء من آدم من ضلعه <sup>(١)</sup>.

وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً : نشر وفرق في الأرض من آدم وزوجه رجالاً ونساءً كثيراً.

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ : كقول الرجل لأخيه أسألك بالله أن تفعل كذا.

وَالْأَرْحَامَ : الأرحام: جمع رحم، والمراد من اتقاء الأرحام صلتها وعدم قطعها.

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا <sup>(٢)</sup> : الرقيب الحفيظ العليم.وَأَنْتُمْ أَلْيَنُكُمْ أَمْوَالُهُمْ : جمع يتيم ذكراً كان أو أنثى وهو من مات والده وهو غير بالغ الحلم <sup>(٣)</sup>.

وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَيْبَ بِالطَّيِّبِ : الخييب الحرام والطيب الحلال، والمراد بها هنا الرديء والجيد. ﴿وَلَا

تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾.

إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا <sup>(٤)</sup> : الحوب: الإثم الكبير العظيم.

وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا : أن لا تعدلوا. ﴿فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾.

مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعًا : أي اثنتين أو ثلاث أو أربع إذ لا يحل الزيادة على الأربع. ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُعَدِلُوا

فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾.

ذَلِكَ أَذْفَىٰ أَلَّا تَعْمَلُوا <sup>(٥)</sup> : أقرب أن لا تجوروا بترك العدل بين الزوجات.

وَأَنْتُمْ أَلْيَنُ النِّسَاءِ صَدَقْتِهِنَّ نِحْلَةً : جمع صدقة وهي الصداق والمهر، ونحلة بمعنى فريضة واجبة. ﴿فَإِنْ

طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ﴾.

هَيْبَتًا : الهنيء: ما يستلذ به عند أكله.

(١) الفصيح: هو لفظ زوج، ولذا لم يرد في القرآن بالتاء قط، وتساهل فيه الفقهاء لأجل التفرقة بين الرجل والمرأة

ولهذا يقولون: للزوج كذا وللزوجة كذا.

(٢) وإيتاء اليتامى أموالهم صورتان: الأولى: غذاؤهم وكساؤهم ما داموا تحت الولاية، والثانية: دفع أموالهم إليهم

وذلك عند البلوغ والرشد.

مَرِيئًا ﴿١﴾ : المريء: ما تحسن عاقبته بأن لا يعقب آثارًا سيئة.  
وَلَا تُؤْتُوا : لا تعطوا.

السُّفَهَاءُ أَمْوَالِكُمْ : جمع سفيه وهو من لا يحسن التصرف في المال.  
الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا : القيام: ما يقوم به الشيء فالأموال جعلها الله تعالى قيامًا أي: تقوم عليها معاش الناس ومصالحهم الدنيوية والدينية أيضًا. ﴿وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ .  
وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٥﴾ : أي قولًا تطيب به نفسه فلا يغضب ولا يحزن (١).  
وَأَنْبَلُوا لِلنَّعَى : أي اختبروهم كي تعرفوا هل أصبحوا يحسنون التصرف في المال.  
حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ : أي سن الزواج وهي البلوغ (٢).  
فَإِنِ اسْتَمْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا : أبصرتهم الرشيد في تصرفاتهم. ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ .  
وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا : الإسراف الإنفاق في غير الحاجة الضرورية والبدار: المبادرة والمسارة إلى الأكل منه قبل أن ينقل إلى اليتيم بعد رشده (٣).  
وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ : أي يعف بمعنى يكف عن الأكل من مال يتيمة.  
وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ : أي بقدر الحاجة الضرورية. ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ﴾ .

وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ : شاهدًا لقرينة فأشهدوا عليهم.  
لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ : الحظ المقدر في كتاب الله.  
مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ : الأب والأم.

وَالْأَقْرَبُونَ : جمع قريب وهو هنا الوارث بنسب أو مصاهرة أو ولادة. ﴿وَاللِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ ﴿٧﴾ .  
وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ ﴿٤﴾ : أصحاب القربات الذين لا يرثون لبعدهم عن عمودي النسب. ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ﴾ .  
فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ : أعطوهم شيئًا يرزقونه.

(١) كقوله لولد: مالي إليك صائر، وكان يدعو لهم: (بارك الله فيكم) أو يقول: هذا مالكم أحفظه لكم لتأخذوه يوم ترشدون.

(٢) يعرف البلوغ بالاحتلام وإنبات شعر العانة أو بلوغ ثمانية عشر سنة، هذا للغلام، أما الجارية فتزيد بعلامة أخرى هي الحيض والحمل.

(٣) دفع مال اليتيم إليه يتم بشرطين: الرشد والبلوغ فإن وجد أحدهما دون الآخر فلا يتم تسليم المال.

(٤) الجمهور على أن هذه الآية منسوخة بآية ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ الآية وقال ابن عباس: إنها محكمة، وعلى أنها غير منسوخة شرحناها في التفسير فليتأمل.

وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٨﴾ : لا إهانة فيه ولا عتاب، ولا تأفيف.  
وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ أَي بعد موتهم. ذُرِّيَّةً ضِعْفًا : الخشية: الخوف في موضع  
الأمْن. ﴿خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾.

فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ : عدلاً صائبًا. أي: فليخشوا هذه الحال على أولاد  
غيرهم ممن حضروا وفاته، كما يخشون على أولادهم؛ إذن فعليهم أن يتقوا الله في أولاد غيرهم؛  
وليقولوا لمن حضروا وفاته ووصيته قولاً سديداً.

إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا : بغير حق يخول لهم أكل مال اليتيم.  
إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ : سيدخلون سعيراً ناراً مستعرة يشوون  
فيها ويحرقون بها.

يُوصِيكُمُ اللَّهُ : يعهد إليكم.  
فِي أَوْلَادِكُمْ : في شأن أولادكم والولد يطلق على الذكر والأنثى.  
لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ : الحظ: الحصة أو النصيب.  
فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً : بنات كبيرات أو صغيرات. ﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ﴾.  
ثُلُثًا مِمَّا تَرَكَ : الثلث واحد من ثلاثة، والثلاثان من ثلاثة. ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾.  
وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ : السدس: واحد من ستة.  
إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ : ذكراً كان أو أنثى، أو كان له ولدٌ أيضاً ذكراً كان أو أنثى فالحكم واحد.  
﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ آبَاؤُهُ فَلَهُمِ الثُّلُثُ﴾.  
فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ : اثنان فأكثر. ﴿فَلَهُمِ السُّدُسُ﴾.  
مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ : أي يخرج الدين ثم الوصية ويقسم الباقي على الورثة ﴿يُوصِي بِهَا أَوْ دِينٌ﴾  
أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ ﴿١١﴾.

لَا تَدْرُونَ : لا تعلمون. ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ أي: في الدنيا والآخرة.  
فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ : فرض الله ذلك عليكم فريضة (٢).  
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٢﴾ : عليمًا بخلقه وما يصلح لهم، حكيمًا في تصرفه في شؤون خلقه  
وتدبيره لهم.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ : الأزواج هنا الزوجات.  
إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ : المراد هنا بالولد ابن الصلب ذكراً كان أو أنثى وولد الولد مثله.

(١) يرى الإمام الشافعي أن من مات وعليه زكاة أو حج الفرض أن يخرج ذلك من ماله قبل قسمة التركة، وقال  
مالك: إن أوصى به تغذ وصيته، وإن لم يوص فإلما للورثة وهو أمره إلى الله تعالى.

(٢) الفرائض ست وهي النصف، والرابع، والثلث، والثلثان، والثلث، والسدس.

فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ : واحد من أربعة. ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَتْ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾.

وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُوْرَثُ كَلَالَةً : الكلاله أن يهلك هالك ولا يترك ولداً ولا والداً ويرثه إخوته لأمه. ﴿أَوْ امْرَأَةً﴾.

وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ : أي من الأم. ﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ إِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾.

غَيْرِ مُضْكَارٍ : بهما - أي الوصية والدين - أحد من الورثة.

وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٣﴾ : لا يعاجل بالعقوبة على المعصية.

بِلِكَ حُدُودُ اللَّهِ : تلك اسم إشارة أشير به إلى سائر ما تقدم من أحكام النكاح وكفالة اليتامى وتحريم أكل مال اليتيم وقسمة التركات. وحدود الله وهي ما حده لنا وبينه من طاعته وحرماننا الخروج عنه والتعدي له <sup>(١)</sup>. وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ : وهو النجاة من النار ودخول الجنة

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾.

وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ : العذاب المهين: ما كان فيه إهانة للمعذب بالتقريع والتوبيخ

ونحو ذلك.

وَالَّتِي : جمع التي اسم موصول للمؤنث المفرد واللاقي للجمع المؤنث.

يَأْتِيكَ الْفَنَجَسَةَ : المراد بها هنا الزنا.

مِنْ نِسَائِكُمْ : المحصنات. ﴿فَأَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِّنْكُمْ إِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي

الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّهِنَّ الْمَوْتُ﴾.

أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا <sup>(٢)</sup> ﴿١٥﴾ : طريقاً للخروج من سجن البيوت.

(١) يرى بعضهم أن الإشارة لأقرب مذكور وهو قسمة الموارث، وما فسرنا به أولى لأنه أعم يشمل كل ما تقدم من أحكام الشريعة.

(٢) قال ابن كثير رحمته الله: كان الحكم في ابتداء الإسلام أن المرأة إذا ثبت زناها بالبينة العادلة حبست في بيت فلا تمكن من الخروج منه إلى أن تموت؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿وَالَّتِي يَأْتِيكَ الْفَنَجَسَةَ﴾ يعني: الزنى ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ...﴾ فالسبيل الذي جعله الله هو الناسخ؛ لذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان الحكم كذلك فأنزل الله سورة النور فتنسخها بالجلد أو الرجم، وكذا روي عن عكرمة و... أنها منسوخة وهو أمر متفق عليه وقد روى مسلم وغيره قول الرسول ﷺ: «خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والشيب بالثيب جلد مائة والرجم». اه بتصرف من ابن كثير (قل).



وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ : الضمير عائد إلى الفاحشة المتقدم ذكرها. ﴿فَتَأْذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرَضُوا عَنْهُمَا﴾ : اتركوا أذيتهما بعد أن ظهرت توبتهما. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ .  
 إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ : أصل التوبة الرجوع وحقيقتها الندم على فعل القبيح أي: إنما ثبتت لهم التوبة من الله.

لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ : كل ما أساء إلى النفس والمراد به هنا السيئات.  
 يَجْهَلُونَ : لا مع العمد والإصرار وعدم المبالاة. ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٧) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ آلَتَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كَفَارٌ .

أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ : أعدنا وهبنا.

عَذَابًا أَلِيمًا (٨) : موجعا شديدا الإيجاع. ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ .

أَنْ تَرْتُوثُوا لِلنِّسَاءِ كَرِهًا : بدون رضاهن.

وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ : العضل: المنع بشدة كأنه إمساك بالعضلات أو من العضلات.

لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَاءِ آتِيْتُمُوهُنَّ : أي من المهور.

إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ : الفاحشة: الخصلة القبيحة الشديدة القبح كالزنا، مبينة: ظاهرة

واضحة ليست مجرد تهمة أو مقالة سوء.

وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ : ما عرفه الشرع واجبا أو مندوبا أو مباحا. فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ

تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (٩) وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتَبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمُ

إِحْدَهُنَّ قِنطَارًا أَوْ ذَهَبًا أَوْ الفضة مَهْرًا وَصَدَاقًا. ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ .

أَتَأْخُذُونَهُ بِهَيْئَتِنَا وَإِنَّمَا مِثْلُنَا (١٠) : أي كذبا واقتراء، وإنما حراما لا شك في حرمة لأنه ظلم.

وَكَيفَ تَأْخُذُونَهُ، وَقَدْ أَقْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ : أي خلص الزوج إلى عورة الزوجة والزوجة

كذلك.

وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (١١) : هو العقد وقول الزوج: إمساك بمعروف أو تسريح

ياحسان.

وَلَا تُنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ : لا تتزوجوا امرأة الأب أو الجد.

إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ : إلا ما قد مضى قبل هذا التحريم.

إِنَّهُ كَانَ فَنَاحِشَةً : أي زواج نساء الآباء فاحشة شديدة القبح.

وَمَقْتًا : ممقوتا مبغوضا للشارع ولكل ذي فطرة سليمة.

وَسَاءَ سَبِيلًا (١٢) : أي قبيح نكاح أزواج الآباء طريقا يسلك.

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ : جمع أم فالأم محرمة ومثلها الجدة وإن علت. ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾

وَأَخَوَاتِكُمْ وَعَمَّنَّكُمْ وَخَالَاتِكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتِكُمُ الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتِكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ ﴿١٢٢﴾

وَرَبِّبَاتِكُمْ : الربائب جمع ربيبة وهي بنت الزوجة.

الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ : فإن نكح الرجل الزوجة وبنى بها فلا يحل له الزواج من ابنتها، أما إذا عقد فقط ولم يبن فإن البنت تحل له.

وَخَالَاتُ آبَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ : الخالات: جمع حليمة وهي امرأة الابن من الصلب. ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ (١) إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٣﴾ .

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ : جمع محصنة والمراد بها هنا المتزوجة.

إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ : المملوكة بالسبي والشراء ونحوهما.

كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ : أي ما حرم الله من المناكح قد كتبه على المسلمين كتابًا وفرضه فرضًا فلا يجوز إهماله.

وَأَجَلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ : أي ما عداه أي ما عدا ما حرم عليكم.

أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنَاتٍ : حسب شروط النكاح.

غَيْرُ مُسْفِحِينَ : المسافح: الزاني، لأن السفاح هو الزنا.

فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً : أي إذا أعطى الرجل المرأة المهر كاملاً فلا

حرج عليها أن تسقط من مهرها لزوجها أو تهبه له كله أو بعضه. ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (١٢٤) .

وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا : سعة وقدرة على المهر.

أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ : العفيفات المؤمنات. ﴿فَمَنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ

فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَيْمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ .

وَأَنْتُهُنَّ أُجُورُهُنَّ : مهورهن. ﴿بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ﴾ .

وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ : الخدين الخليل الذي يفجر بالمرأة سرًا تحت شعار الصداقة.

فَإِذَا أَحْصَيْنَ : أي الإمام بأن أسلمن أو تزوجن إذ الإحصان يكون بهما. ﴿فَإِنْ آتَيْتَ يَفْعِلَ شَيْئًا

فَعَلَيْتِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ .

ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ : العنت الضرر في الدين والبدن. أي خاف على نفسه الزنا.

وَأَنْ تَصِدُّوا : على العزوبة.

(١) وحرّم بالسنة المتواترة الجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها.



مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ: أي ما فضل الله به أحدا منكم فأعطاه علما أو مالا أو جاها أو سلطانا.

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا: أي حصة وحظ من الثواب والعقاب بحسب الطاعة والمعصية. ﴿وَاللِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾

وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي: الموالي من يلون التركة ويرثون الميت من أقارب. ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾

وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ: أي حالفتموهم وتآخيتم معهم مؤكدين ذلك بالمصافحة واليمين.

فَمَا تُوِّهُمُ نَصِيبُهُمْ: من الرفدة والوصية والنصرة لأنهم ليسوا ورثة. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ ﴿٣٣﴾

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ: جمع قوام: وهو من يقوم على الشيء رعاية وحماية وإصلاحا. بما فضلك الله بعضهم على بعض: بأن جعل الرجل أكمل في عقله ودينه وبدنه فصلح للقوامة. وبما أنفقوا من أموالهم: وهذا عامل آخر مما ثبتت به القوامة للرجال على النساء فإن الرجل بدفعه المهر وبقيامه بالنفقة على المرأة كان أحق بالقوامة التي هي الرئاسة. قَانِنَاتٌ: مطيعات لله ولأزواجهن.

حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ: حافظات لفروجهن وأموال أزواجهن.

بِمَا حَفِظَ اللَّهُ: بحفظ الله لها وإعانتها لها.

وَالَّذِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ: النشوز: الترفع عن الزوج وعدم طاعته.

فَعَظُّوهُنَّ: بالترغيب في الطاعة والتنفير من المعصية.

وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْفُرَاشِ.

وَأَضْرِبُوهُنَّ: ضربا غير مبرح لا يشين جارحة ولا يكسر عظما.

فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا: أي لا تطلبوا لهن طريقا تتوصلون به إلى ضربهن بعد

أن أطعنكم. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ ﴿٣٤﴾

وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا: الشقاق: المنازعة والخصومة حتى يصبح كل واحد في شق مقابل.

فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا: الحكم: الحاكم، والمحكم في القضايا للنظر

والحكم فيها. ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ ﴿٣٥﴾

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ: الخطاب للمؤمنين ومعنى اعبدوا: أطيعوه في أمره ونهيه مع غاية الذل

والحب والتعظيم له عَبَّادَةً.  
 وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا: أي لا تعبدوا معه غيره بأي نوع من أنواع العبادات التي تعبد الله تعالى  
 بها من دعاء وخشية وذبح ونذر وركوع وسجود وغيرها.  
 وَيَالِ الَّذِينَ أَحْسَنُوا لِدِينِهِمْ وَمَا حَرَّاهُمْ فِي أَعْيُنِنَا: أصحاب القربات. ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾.  
 وَالْحَارِثِينَ: أي القريب لنسب أو مصاهرة.  
 وَالْحَارِثِينَ: أي الأجنبي مؤمنًا كان أو كافرًا.  
 وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ: الزوجة، والصديق الملازم كالتلميذ والرفيق في السفر.  
 وَأَبْنِ السَّبِيلِ: المسافر استضاف أم لم يستضف.  
 وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ: من الأرقاء العبيد فتيان وفتيات. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ﴾.  
 مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾: الاختيال: الزهو في المشي، والفخر الافتخار بالحسب والنسب والمال  
 بتعداد ذلك وذكره.

الَّذِينَ يَبْخُلُونَ: يمنعون الواجب بذله من المعروف مطلقًا. ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ  
 بِالْبُخْلِ﴾ (١).

وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ: يجحدون ما أعطاهم الله من علم ومال تفضلاً منه  
 عليهم. ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (٣٧) وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِيقًا لِلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ  
 بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ ﴿٣٨﴾

قَرِينًا ﴿٣٨﴾: القرين: الملازم الذي لا يفارق صاحبه كأنه مشدود معه بقرن أي: حبل.  
 وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ: أي أي شيء يضرهم أو ينالهم  
 بمكروه إن هم آمنوا؟

وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾

إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ: الظلم: وضع الشيء في غير موضعه.  
 مِثْقَالَ ذَرَّةٍ: المِثْقَال: الوزن مأخوذ من الثقل فكل ما يوزن فيه ثقل، والذرة: أصغر حجم في  
 الكون حتى: قيل إنه الهباء أو رأس النملة.

وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً: الحسنة: الفعلة الجميلة من المعروف.

يُضْعِفُهَا: يزد فيها ضعفها.

وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ: من عنده.

أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾: جزاء كبيرًا وثوابًا عظيمًا.

(١) البخل المذموم شرعًا: هو الامتناع من أداء الحقوق الواجبة، والشح: بخل مع حرص وهو شر من مجرد البخل.

فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ<sup>(١)</sup>: الشاهد على الشيء لعلمه به. ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ ﴿٤١﴾.

يَوْمَئِذٍ يُودُّ: يحب. ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ﴾.

لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ: يكونوا ترابًا مثلها.

وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾: أي لا يخفون كلامًا.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ: لا تدنوا كناية عن الدخول فيها، أو لا تدنوا من مساجدها.

وَأَنْتُمْ سُكَرَى: جمع سكران وهو من شرب مسكرًا فستر عقله وغطاه.

حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ: لزوال السكر عنكم بعد شربه عن وقت الصلاة. وهذا كان قبل تحريم

الخمير وسائر المسكرات.

وَلَا جُنْبًا: العجب: من به جنابة وللجنابة سببان: جماع، أو احتلام<sup>(٢)</sup>.

إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ: مارين بالمسجد مرورًا بدون جلوس فيه. ﴿حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ ﴿٤٣﴾.

أَوْجَاءَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ: المكان المنخفض للتغوط: أي التبرز فيه.

أَوْلَمَسْتُمُ النِّسَاءَ: جامعتموهن. ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً﴾.

فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا: اقصدوا ترابًا طاهرًا. ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾.

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾: عفوًا: لا يؤاخذ على كل ذنب، غفورًا: كثير المغفرة لذنوب عباده التائبين إليه.

أَلَمْ تَرَ: ألم تبصر أي بقلبك أي تعلم.

إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ: حظًا وقسطًا.

يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ: أي الكفر بالإيمان. ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ ﴿٤٥﴾.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ: الأعداء: جمع عدو وهو من يقف عنك بعيدًا يود ضرك ويكره نفعك.

﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ ﴿٤٦﴾.

مِنَ الَّذِينَ هَادُوا: أي اليهود قيل لهم ذلك لقولهم: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاكَ إِلَيْنَا﴾ أي: تبنا ورجعنا.

يُحَرِّفُونَ: التحريف: الميل بالكلام عن معناه إلى معنى باطل للتضليل.

(١) هو رسولها الذي أرسل إليها.

(٢) من موجبات الغسل كما قال العلماء: خروج المنى بشهوة في النوم واليقظة من الذكر أو الأنثى وهذا التعريف - والله أعلم - أعم حيث يندرج تحته غير هذين السببين. (قل).

الْكَلِمَ : الكلام وهو كلام الله تعالى في التوراة. ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: إنهم كانوا يقولون: سمعنا قولك، وعصينا أمرك. وَأَسْمَعَ غَيْرُ مُسْمَعٍ : أي اسمع ما تقول لا أسمعك الله. وهذا كفر منهم صريح. وَرَاعِنَا : وهي كلمة ظاهرها أنها من المراعاة وباطنها الطعن في رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ اليهود يعدونها من الرعونة يقولونها لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبًا وشتمًا له، قبحهم الله ولعنهم وقطع دابرهم. لِيَأْ بِالسِّنِّيهِمْ : أي يلوون ألسنتهم بالكلمة التي يسبون بها حتى لا تظهر عليهم، ويطعنون بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وَطَعَنَّا فِي الدِّينِ : سبهم للرسول صلى الله عليه وسلم هو الطعن الأعظم في الدين. وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا : وأمهلنا حتى نسمع فنفهم. لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ : أعدل وأصوب. وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ : طردهم من رحمته وأبعدهم من هداه بسبب كفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم. ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٤٦).

يَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ : اليهود والنصارى والمراد بهم هنا اليهود لا غير. ءَامَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ : القرآن. مِّن قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا : نذهب آثارها بطمس الأعين وإذهاب أحداقها. فَتَرُدُّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا : نجعل الوجه قفا، والقفا وجهًا. أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ : لعنهم مسخهم قرده، خزيًا لهم وعذابًا مهينًا. وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٤٧) : أمر الله: مأموره كائن لا محالة لأنه تعالى لا يعجزه شيء. إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ : لا يمحو ولا يترك المؤاخذه. أَنْ يُشْرَكَ بِهِ : أي يعبد معه غيره تأليها له بحبه وتعظيمه وتقديم القرابين له، وصرف العبادات له كدعائه والاستعانة به والذبح والنذر له. وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ : أي ما دون الشرك والكفر من سائر الذنوب والمعاصي التي ليست شركًا ولا كفرًا.

لِمَنْ يَشَاءُ : أي لمن يشاء المغفرة له من سائر المذنبين بغير الشرك والكفر. وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨) : افتري: اختلق وكذب كذبًا بنسبته العبادة إلى غير الرب تعالى، والإثم: الذنب العظيم الكبير. أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنفُسَهُمْ : تزكية النفس: تبرئتها من الذنوب والآثام. بَلِ اللَّهُ يُرَكِّي مَن يَشَاءُ : يطهر من الذنوب من يشاء من عباده بتوفيقه للعمل بما يزكي النفس، وإعانتة عليه.

وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿١٤٩﴾ : الفتيل: الخيط الأبيض يكون في وسط النواة، أو ما يفتله المرء بأصبعه من الوسخ في كفه أو جسمه وهو أقل الأشياء وأتفهها.

أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ : الكذب: عدم مطابقة الخبر للواقع. ﴿وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكُتُبِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴿٥١﴾ : الجبت: اسم كل ما عبد من دون الله<sup>(١)</sup> وكذا الطاغوت سواء كانا صنمين أو رجلين. ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٥٢﴾ هَتُولَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥٣﴾ : أكثر هداية في حياتهم وسلوكهم. ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن نَّجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٤﴾﴾ .

أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٥﴾ : النقيير: ثغرة في ظهر النواة يضرب بها المثل في صغرها.

أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴿٥٦﴾ : الحسد: تمنى زوال النعمة عن الغير والحرص على ذلك.

فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ : السداد في القول والعمل مع الفقه في أسرار التشريع الإلهي. ﴿وَعَآئِنَهُمْ مُّلكًا عَظِيمًا ﴿٥٧﴾ فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا : ندخلهم نارًا يحترقون بها.

كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ : اشتوت فتهرت وتساقت. ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴿٥٩﴾﴾ .

لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ : ليستمر لهم العذاب مؤلماً.

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٦٠﴾ : غالبًا، يعذب من يستحق العذاب. ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ ﴿٦١﴾﴾ .

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ : تجري من خلال أشجارها وقصورها الأنهار.

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ : من الأذى والقذى مطلقًا.

وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٦٢﴾ : الظل الظليل: الوارف الدائم لا حرق فيه ولا برد به.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا : أداء الأمانة تسليمها إلى المؤمن، والأمانات جمع

أمانة وهي ما يؤتمن عليه المرء من قول أو عمل أو متاع<sup>(٢)</sup>.

وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ : العدل: ضد الجور والانحراف بنقص أو زيادة.

(١) وقيل الجبت: الساحر بلغة الحبشة، والطاغوت: الكاهن عن ابن عباس، وابن جبير وأبي العالية، وقال عمر

رضي الله عنه: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان، وقال مالك: الطاغوت: ما عبد من دون الله، وقيل: هما كل ما

عبد من دون الله أو مطاع في معصية الله وهذا حسن وهو ما ذكره في التفسير.

(٢) الإجماع على وجوب رد الأمانات لأصحابها كفارًا أو مؤمنين. جازًا أو أبرارًا.



إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا يَعْظُمُ بِهِ: نعم شيء يعظكم أي يأمركم به أداء الأمانات والحكم بالعدل. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٥٨) يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ: ﴿أولو الأمر: هم الأمراء والعلماء من المسلمين.

فَإِن لَّنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ: اختلفتم فيه كل فريق يريد أن ينتزع الشيء من يد الفريق الآخر.  
فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ: أي إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.  
ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩): أحسن عاقبة، لأن تأويل الشيء ما يؤول إليه في آخر الأمر.  
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ: يقولون كاذبين.  
أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ: القرآن.  
وَمَا أَنزَلَ مِنْ قَبْلِكَ: التوراة.

يُرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ: الطاغوت كل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة، والمراد به هنا كعب بن الأشرف اليهودي أو كاهن من كهان العرب. ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ: ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ: جمع منافق: وهو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان خوفًا من المسلمين.  
يُضِدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ (٦١): يعرضون عنك ويصرفون غيرهم كذلك.  
فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ: عقوبة بسبب كفرهم ونفاقهم. ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ وَمَا كَانُوا يَحْكُمُونَ بِاللَّهِ﴾.

إِن أَرَدْنَا: أي ما يريدون.  
إِلَّا أَحْسَنَّا: أي صلحًا بين المتخاصمين.  
وَتَوْفِيقًا (٦٢): جمعًا وتأييلاً بين المختلفين.  
أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ: أي اصفح عنهم فلا تؤاخذهم، أي لا تؤاخذهم فيما يبطنونه من الكفر ما داموا لم يظهره علناً.  
وَعِظُهُمْ: مرهم بما ينبغي لهم ويجب عليهم.  
وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (٦٣): كلامًا قويًا يبلغ شغاف قلوبهم لبلاغته وفصاحته.  
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ: إذن الله: إعلامه بالشيء وأمره به.  
وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا: بالتحاكم إلى الطاغوت وتركهم التحاكم إلى رسول الله ﷺ.  
أَنفُسَهُمْ جَاءَهُمْ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ: طلبوا منه أن يغفر لهم بلفظ اللهم اغفر لنا، أو استغفروا الله. ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ (٦٤).

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ: يجعلوك حكمًا بينهم ويفوضوا الأمر إليك.  
فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ: أي اختلفوا فيه لاختلاط وجه الحق والصواب فيه بالخطأ والباطل.

ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا: تضييقًا وتحرجًا.  
مَمَّا قَضَيْتَ: حكمت فيه.

وَيَسْلِمُوا سَلِيمًا ﴿٦٥﴾: أي يدعونا لقبول حكمك ويسلموا به تسليمًا تامًا.

وَلَوْ أَنَا كُنْبَنَا عَلَيْهِمْ: فرضنا عليهم وأوجبنا.

أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ: أي قتل أنفسهم.

أَوْ أَخْرَجُوا مِنْ دِينِكُمْ: مهاجرين في سبيل الله.

مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ: أي ما فعل القتل إلا القليل منهم.

وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ: أي ما يؤمرون به وينهون عنه.

لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيْهُنَّ ﴿٦٦﴾: أي للإيمان في قلوبهم. ﴿وَإِذَا لَا تَدِينَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا

﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْتَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ ﴿٦٩﴾

وَالصَّادِقِينَ: جمع صديق: وهو من غلب عليه الصدق في أقواله وأحواله لكثرة ما يصدق

ويتحرى الصدق.

وَالشَّهَدَاءَ: جمع شهيد: من مات في المعركة ومثله من شهد بصحة الإسلام بالحجة

والبرهان.

وَالصَّالِحِينَ: جمع صالح: من أدى حقوق الله تعالى وأدى حقوق العباد وصلحت نفسه

وصلح عمله وغلب صلاحه على فساده. ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٦﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ

وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُدُوعًا جِدْرَكُمُ: الجِدر والحذر: الاحتراس والاستعداد لدفع المكروه

بحسبه.

فَأَنْفِرُوا ثُبَاتٍ <sup>(١)</sup>: النفور: الخروج في اندفاع وانزعاج، والثبات: جمع ثبة وهي الجماعة. ﴿أَوْ

أَنْفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾﴾

وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لُّبِيْطٌ: أي يتباطأ في الخروج فلا يخرج.

فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُّصِيبَةٌ: قتل أو جراحات وهزيمة. ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ﴾

شَهِيدًا ﴿٧٢﴾: أي حاضرًا الغزوة معهم.

وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ: نصر وغنيمة.

(١) حمل مجاهد وقتادة وابن جريج الآية على المنافقين، وحملها بعضهم على ضعفة الإيمان، وحملها على الجميع أقرب إلى الصحة والصواب، والله أعلم.

لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ : صحبة ومعرفة مستلزمة للمودة<sup>(١)</sup> .  
يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ : نجاة من معرة التخلف عن الجهاد، والظفر  
بالسلامة والغنيمة.

﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ : الطريق الموصلة إلى إعلاء كلمة الله تعالى بأن يعبد وحده، ولا  
يضطهد مسلم في دينه، ولا من أجل دينه.

الَّذِينَ يَشْرُونَ : يبيعون، إذ يطلق الشراء على البيع أيضًا. ﴿ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ  
يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ .  
وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ : المستضعف: الذي قام به عجز فاستضعفه غيره  
فأذاه لضعفه. ﴿ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوَالِدِينَ ﴾ .

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ : القرية في عرف القرآن المدينة الكبيرة الجامعة، والمراد بها  
هنا مكة المكرمة. ﴿ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ  
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ .

وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ : أي في نصرة الشرك ومساندة الظلم والعدوان ونشر الفساد.  
﴿ فَفَعَلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ .  
الَّذِينَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ : أي عن القتال وذلك قبل أن يفرض. ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا  
الزَّكَاةَ ﴾ .

فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْفِتَالَ : فرض عليهم. ﴿ إِذَا قَرَّبْتَ مِنْهُمْ ﴾ .  
يَخْشَوْنَ النَّاسَ : يخافون. ﴿ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْفِتَالَ ﴾ .  
لَوْلَا أَخَّرْنَا : هلاً آخرتنا. ﴿ إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴿٢﴾ قُلْ مَنْعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى ﴾ .  
وَلَا تُظَلَمُونَ فَيِلًا ﴿٧٧﴾ : الفتيل خيط يكون في وسط النواة. ﴿ أَيِنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكِكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ  
فِي ﴾ .

بُرُوجٍ مُّسَيَّدَةٍ : حصون مشيدة بالشيد وهو الجص. ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ  
تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾

يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ : الحسنة ما سر، والسيئة ما ضر<sup>(٣)</sup> . ﴿ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ

(١) إن كان الصاحب من ضعفة الإيمان فهو كذلك، وإن كان منافقاً فإن المودة هنا بمعنى مجرد الصحبة لا غير، لأن  
المنافق لا يحب المؤمن إلا نادراً.

(٢) المراد من التأخير إلى أجل قريب هو أن يتم استعدادهم للقتال بتوفر المال والرجال، والعتاد لا إلى أجل الموت فإنه  
غير وارد في قولهم هذا ولا معنى له، وهل قولهم كان في أنفسهم أو صرحوا به؟ كلاهما وارد وجائز الوقوع.

(٣) انظر (ص ١١٨-١٢٥).

يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴿٨٠﴾

وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨١﴾: تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها. وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ: أي أمرنا طاعة لك.

فَإِذَا بَرَّرُوا مِنَ عِنْدِكَ: خرجوا.

بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ: بدل طائفة منهم غير الذي تقول واعتزموه دون الذي وافقوا عليه أمامك. ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ: تدبر القرآن قراءة الآية أو الآيات وإعادتها المرة بعد المرة ليفقه مراد الله تعالى منها.

وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾

وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ: أفضوه معلنيه للناس. وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ

الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ: يستخرجون معناه الصحيح. ﴿وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٨٣﴾

فَقَنِيلٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكْلَفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ: حثهم على الجهاد وحرصهم على القتال. عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِيَ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا: قوتهم الحربية.

وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا ﴿٨٤﴾: أقوى تنكيلاً والتنكيل: ضرب الظالم بقوة حتى يكون عبرة لمثله فينكل عن الظلم.

مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا: الشفاعة: الوساطة في الخير أو في الشر فإن كانت في الخير فهي الحسنة وإن كانت في الشر فهي السيئة. وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً

سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا: نصيب منها.

وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْبِلًا ﴿٨٥﴾: مقتدرًا عليه وشاهدًا عليه حافظًا له.

وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحِجَّةٍ: تحية الإسلام هي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مَّا أَتَى مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا: أي يقول وعليكم السلام (١).

(١) فمن قال: السلام عليكم فليقل الراد: وعليكم السلام ورحمة الله، ومن قال: السلام عليكم ورحمة الله فليرد عليه: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله تعليقًا على الآيتين ٧٨، ٧٩ ما مختصره: ( هذه الآية: ذكرها الله في سياق الأمر بالجهاد، ودم الناكثين عنه).

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا﴾ ﴿٧٦﴾ الآية. إلى أن ذكر صلاة الخوف،

وقد ذكر قبلها طاعة الله وطاعة الرسول، والتحاكم إلى الله وإلى الرسول. ورد ما تنازع فيه الناس إلى الله وإلى الرسول. وذم الذين يتحاكمون ويردون ما تنازعوا فيه إلى غير الله والرسول.

فكانت تلك الآيات: تبييناً للإيمان بالله وبالرسول: ولهذا قال فيها: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ٥٧﴾.

ثم قال: ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ٥٨﴾.

فالضمير في قوله: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ﴾ يعود إلى من ذكر. وهم (الذين يخشون الناس) أو يعود إلى معلوم، وإن لم يذكر. كما في مواضع كثيرة.

وقد قيل: إن هؤلاء كانوا كفاراً من اليهود. وقيل: كانوا منافقين. وقيل: بل كانوا من هؤلاء وهؤلاء. والمعنى يعم كل من كان كذلك. ولكن تناوله لمن أظهر الإسلام وأمر بالجهاد: أولى.

ثم إذا تناول الذم هؤلاء: فهو للكفار الذين لا يظهرهم الإسلام أولى وأحرى. والذي عليه عامة المفسرين: أن «الحسنة» و«السيئة» يراد بهما النعم والمصائب. ليس المراد: مجرد ما يفعله الإنسان باختياره، باعتباره من الحسنات أو السيئات.

ولفظ «الحسنات» و«السيئات» في كتاب الله: يتناول هذا وهذا؛ قال الله تعالى عن المنافقين: ﴿إِن تَمَسَّكُمُ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن نَصَبُوا وَتَقْتُلُوا لَا يَصْرُكُكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾.

وأما الأعمال المأمور بها، والمنهي عنها: ففي مثل قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا بِمِثْلِهَا﴾.

وهنا قال: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ ولم يقل: وما فعلت، وما كسبت. كما قال: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾.

فلهذا كان قوله: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾ و﴿مِنْ سَيِّئَةٍ﴾ متناولاً لما يصيب الإنسان، ويأتيه من النعم التي تسره، ومن المصائب التي تسوءه فالآية متناولة لهذا قطعاً وكذلك قال عامة المفسرين.

المعصية الثانية: قد تكون عقوبة الأولى. فتكون من سيئات الجزاء، مع أنها من سيئات العمل.

قال النبي ﷺ في الحديث المتفق على صحته عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب، ويتحرى الكذب، حتى يكتب عند الله كذاباً».

وقد ذكر في غير موضع من القرآن ما يبين أن الحسنة الثانية قد تكون من ثواب الأولى، وكذلك السيئة الثانية: قد تكون من عقوبة الأولى. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَبِيئًا ١٦١﴾ وَإِذَا لَاقَيْتَهُمْ مِنْ

لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ١٦٢﴾ وَلَهَدَيْتَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ١٦٣﴾، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ وإذا كانت السيئات التي يعملها الإنسان قد تكون من جزاء سيئات تقدمت - وهي مضرّة - جاز أن يقال: هي مما

أصابه من السيئات وهي بذنوب تقدمت.

وعلى كل تقدير: فالذنوب التي يعملها: هي من نفسه وإن كانت مقدرة عليه، فإنه إذا كان الجزاء الذي هو مسبب عنها من نفسه فعمله الذي هو ذلك الجزاء: من نفسه بطريق الأولى. وكان النبي ﷺ يقول في خطبته: «نعوذ بالله

من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا».

وقال له أبو بكر رضي الله عنه: علمني دعاء. فقال: «قل: اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه. أشهد أن لا إله إلا أنت. أعوذ بك من شر نفسي. وشر الشيطان وشركه، وأن أقترب على نفسي سوءاً. أو أجره إلى مسلم. قله إذا أصبحت، وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعك» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

فقد بين أن قوله: ﴿فِي نَفْسِكَ﴾ يتناول العقوبات على الأعمال ويتناول الأعمال، مع أن الكل بقدر الله وقد ظن طائفة: أن في الآية إشكالاً، أو تناقضاً في الظاهر حيث قال: ﴿كُلُّ مَن عِنْدَ اللَّهِ﴾ ثم فرق بين الحسنات والسيئات. فقال: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾

وهذا من قلة فهمهم، وعدم تدبرهم الآية. وليس في الآية تناقض لا في ظاهرها، ولا في باطنها، لا في لفظها ولا معناها. فإنه ذكر عن المنافقين. والذين في قلوبهم مرض، الناكسين عن الجهاد، ما ذكره بقوله: ﴿أَيِنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ هذا يقولونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي: بسبب ما أمرتنا به من دينك، والرجوع عما كنا عليه: أصابتنا هذه السيئات، لأنك أمرتنا بما أوجبهنا. فالسيئات: هي المصائب والأعمال التي ظنوا أنها سبب المصائب: هو أمرهم بها.

وقولهم: ﴿مِنَ عِنْدِكَ﴾ تتناول مصائب الجهاد التي توجب الهزيمة؛ لأنه أمرهم بالجهاد، وتتناول أيضاً مصائب الرزق على جهة التشاؤم، والتطير. أي: هذا عقوبة لنا بسبب دينك، كما كان قوم فرعون يتطيرون بموسى وبمن معه، وكما قال أهل القرية للمرسلين: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ وكما قال الكفار من ثمود لصالح، ولقومه: ﴿أَطَيَّرْنَا بِكَ وَيَمْنُ مَعَكَ﴾ فكانوا يقولون عما يصيبهم من الحرب، والزلازل والجراح والقتل، وغير ذلك مما يحصل من العدو: هو منك؛ لأنك أمرتنا بالأعمال الموجبة لذلك. ويقولون عن هذا، وعن المصائب السماوية: إنها منك، أي بسبب طاعتنا لك، واتباعنا لدينك: أصابتنا هذه المصائب، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.

فهذا يتناول كل من جعل طاعة الرسول، وفعل ما بعث به: مسبباً لشر أصابه: إما من السماء. وإما من آدمي. وهؤلاء كثيرون.

لم يقولوا: ﴿هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ بمعنى: أنك أنت الذي أحدثتها، فإنهم يعلمون أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يحدث شيئاً من ذلك، ولم يكن قولهم ﴿مِنَ عِنْدِكَ﴾ خطاباً من بعضهم لبعض. بل هو خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم. ومن فهم هذا تبين له أن قوله: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ لا يناقض قوله: ﴿كُلُّ مَن عِنْدَ اللَّهِ﴾ بل هو محقق له. لأنهم - هم ومن أشبههم إلى يوم القيامة - يجعلون ما جاء به الرسول، والعمل به: سبباً لما قد يصيبهم من مصائب. وكذلك من أطاعه إلى يوم القيامة.

وكانوا تارة يقدحون فيما جاء به ويقولون: ليس هذا مما أمر الله به، ولو كان مما أمر الله به: لما جرى على أهله هذا البلاء.

وتارة لا يقدحون في الأصل. لكن يقدحون في القضية المعينة. فيقولون: هذا بسوء تدبير الرسول، كما قال عبد الله بن أبي سلول يوم أحد - إذ كان رأيهم مع رأي النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يخرجوا من المدينة فسأله صلى الله عليه وسلم ناسٌ ممن كان لهم رغبة في الجهاد أن يخرج فوافقهم، ودخل بيته وليس لأمه. فلما لبس لأمه ندموا، وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أنت أعلم. فإن شئت أن لا نخرج، فلا نخرج. فقال: «ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمه أن ينزعها؛ حتى يحكم الله بيته وبين عدوه» يعني: أن الجهاد يلزم بالشروع، كما يلزم الحج. لا يجوز ترك ما شرع فيه منه إلا عند العجز بالإحصار في الحج.

## \* فصل:

والمفسرون ذكروا في قوله: ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ هذا وهذا. فعن ابن عباس، والسدي، وغيرهما: أنهم يقولون هذا، تشاؤماً بدينه. وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم. قال: بسوء تدبيرك - يعني كما قاله عبد الله بن أبي وغيره يوم أحد - وهم كالذين ﴿قَالُوا لِأَخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾.

فبكل حال: قولهم «من عندك» هو طعن فيما أمر الله به ورسوله: من الإيمان والجهاد. وجعل ذلك: هو الموجب للمصائب التي تصيب المؤمنين المطيعين، كما أصابتهم يوم أحد، وتارة تصيب عدوهم، فيقول الكافرون: هذا بشؤم هؤلاء، كما قال أصحاب القرية للمرسلين ﴿إِنَّا نَطِيرِنَا بِكُمْ﴾ وكما قال تعالى عن آل فرعون: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرْتَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وقال تعالى عن قوم صالح: ﴿قَالُوا أَطِيرِنَا بِكَ وَيَمُنُّ مَعَكَ قَالَ طَّيَّرَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾، ولما قال أهل القرية: ﴿إِنَّا نَطِيرِنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قَالُوا طَّيَّرَكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ دُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾.

قال الضحاك في قوله: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرْتَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾، يقول: الأمر من قبل الله. ما أصابكم من أمر فمن الله، بما كسبت أيديكم.

وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: معايكم.

وقال قتادة: عملكم عند الله.

وفي رواية غير علي: عملكم عند الله ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ أي: تبتلون بطاعة الله ومعصيته، رواهما ابن أبي حاتم وغيره.

وعن ابن إسحاق قال: قالت الرسل: ﴿قَالُوا طَّيَّرَكُمْ مَعَكُمْ﴾ أي أعمالكم.

فقد فسروا الطائر بالأعمال وجزائها، لأنهم كانوا يقولون: إن ما أصابنا من المصائب بذنوب الرسل وأتباعهم.

فبين الله سبحانه: أن طائرهم وهو الأعمال وجزاؤها هو عند الله وهو معهم، فهو معهم؛ لأن أعمالهم وما قدر من جزائها معهم كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ وهو من الله، لأن الله تعالى قدر تلك

المصائب بأعمالهم. فمن عنده تنزل عليهم المصائب، جزاء على أعمالهم؛ لا بسبب الرسل وأتباعهم.

وفي هذا يقال: إنهم إنما يجزون بأعمالهم، لا بأعمال غيرهم. ولذلك قال في هذه الآية - لما كان المنافقون والكفار

ومن في قلبه مرض يقول: هذا الذي أصابنا هو بسبب ما جاء به محمد، عقوبة دينية وصل إلينا - بين سبحانه:

أن ما أصابهم من المصائب إنما هو بذنوبهم.

ففي هذا رد على من أعرض عن طاعة الرسول ﷺ لثلاث تصيبه تلك المصائب. وعلى من انتسب إلى الإيمان

بالرسول، ونسبها إلى فعل ما جاء به الرسول، وعلى من أصابته مع كفره بالرسول ونسبها إلى ما جاء به

الرسول.

## \* فصل:

والمقصود: أن ما جاء به الرسول ﷺ ليس سبباً لشيء من المصائب. ولا تكون طاعة الله ورسوله قط سبباً لمصيبة،

بل طاعة الله ورسوله لا تقتضي إلا جزاء أصحابها بخيري الدنيا والآخرة. ولكن قد تصيب المؤمنين بالله

ورسوله مصائب، بسبب ذنوبهم. لا بما أطاعوا فيه الله والرسول، كما لحقهم يوم أحد بسبب ذنوبهم، لا بسبب

طاعتهم الله ورسوله ﷺ.

وكذلك ما ابتلوا به في السراء والضراء والزلازل: ليس هو بسبب إيمانهم وطاعتهم، لكن امتحنوا به ليتخلصوا

مما فيهم من الشر، وفتنوا به كما يفتن الذهب بالنار، ليميز طيبه من خبيثه، والنفوس فيها شر، والامتحان يمحص المؤمن من ذلك الشر، الذي في نفسه. قال تعالى: ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَحٌ مِثْلُهُ. وَتِلْكَ الْآيَاتُ نَدَاؤُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (١٤٧) ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ﴾ (١٤٨) قال تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ولهذا قال صالح عليه السلام لقومه: ﴿طَتَّرِكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَسْتَفْتِي قَوْمٌ نَفَقَتُونَ﴾ (١٤٧).

ولهذا كانت المصائب تكفر سيئات المؤمنين، وبالصبر عليها ترتفع درجاتهم، وما أصابهم في الجهاد من مصائب بأيدي العدو، فإنه يعظم أجرهم بالصبر عليها.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «ما من غازية يغزون في سبيل الله، فيسلمون ويغنمون إلا تعجلوا ثلثي أجرهم، وإن أصيبوا وأخفقوا تم لهم أجرهم».

وأما ما يلحقهم من الجوع والعطش والتعب: فذاك يكتب لهم به عمل صالح. كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَّئِفُ مَوْطِنًا يَغْرِبُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٤٧).

وشواهد هذا كثيرة.

\* فصل:

والمقصود: أن قوله: ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ فإنهم جعلوا ما يصيبهم من المصائب بسبب ما جاءهم به الرسول. وكانوا يقولون: النعمة التي تصيبنا هي من عند الله، والمصيبة من عند محمد. أي: بسبب دينه وما أمر به. فقال تعالى: قل هذا وهذا من عند الله. لا من عند محمد. محمد لا يأتي لا بنعمة ولا بمصيبة ولهذا قال بعد هذا: ﴿قُلْ هِيَ لَكُمْ لِقَاءُ الْوَعْدِ لِيَكَاذِبُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (٧٨) قال السدي وغيره: هو القرآن. فإن القرآن إذا هم فقهوا ما فيه؛ تبين لهم أنه إنما أمرهم بالخير، والعدل، والصدق والتوحيد، لم يأمرهم بما يكون سبباً للمصائب، فإنهم إذا فهموا ما في القرآن علموا أنه لا يكون سبباً للشر مطلقاً.

وهذا مما يبين أن ما أمر الله به: يعلم بالأمر به حسنة ونفعة، وأنه مصلحة للعباد، وليس كما يقول من يقول: قد يأمر الله العباد بما لا مصلحة لهم فيه إذا فعلوه، بل فيه مضرة لهم.

فإنه لو كان كذلك لكان قد يصدقه المتطهرون بالرسول وأتباعهم.

ومما يوضح ذلك: أنه لما قال: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ قال بعدها: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (٧٦) فإنه قد شهد له بالرسالة بما أظهره على يديه من الآيات والمعجزات. وإذا شهد الله له كفى به شهيداً. ولم يضره جحده هؤلاء لرسالته بما ذكره من الشبه التي هي عليهم لا لهم بما أرادوا أن يجعلوا سيئاتهم وعقوباتهم حجة على إبطال رسالته. والله تعالى قد شهد له أنه أرسله للناس رسولا. فكان ختم الكلام بهذا إبطالا لقولهم: إن المصائب من عند الرسول. ولهذا قال بعد هذا: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ (٨٠).

\* فصل:

فإن قيل: إذا كانت الطاعات والمعاصي مقدره، والنعم والمصائب مقدره فما الفرق بين الحسنات التي هي النعم، والسيئات التي هي المصائب؟ فجعل هذه من الله، وهذه من نفس الإنسان؟

قيل: لفرق بينهما:



الفرق الأول: أن نعم الله وإحسانه إلى عباده يقع ابتداء بلا سبب منهم أصلاً. فهو يتعم بالعافية والرزق والنصر، وغير ذلك على من لم يعمل خيراً قط. وينشئ للجنة خلقاً يسكنهم فضول الجنة، وقد خلقهم في الآخرة لم يعملوا خيراً. ويدخل أطفال المؤمنين ومجانينهم الجنة برحمته بلا عمل. وأما العقاب: فلا يعاقب أحداً إلا بعمله.

الفرق الثاني: أن الذي يعمل الحسنات إذا عملها، فنفس عمله الحسنات، هو من إحسان الله، وبفضله عليه بالهداية والإيمان كما قال أهل الجنة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾.

وفي الحديث الصحيح: «يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه».

فنفس خلق الله لهم أحياء، وجعله لهم السمع والأبصار والأفئدة: هو من نعمته، ونفس إرسال الرسول إليهم، وتبليغه البلاغ المبين الذي اهدوا به: هو من نعمته.

والهامهم الإيمان، وهدايتهم إليه، وتخصيصهم بمزيد نعمة حصل لهم بها الإيمان دون الكافرين: هو من نعمته. كما قال تعالى: ﴿وَلِكِنَّ اللَّهَ حَبَّ إِلَيْكُمْ فَأَلَيْمَنَّ وَرَزَنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْأَعْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاغِبُونَ﴾ (٧) فَضلاً مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً.

فجميع ما يتقلب فيه العالم من خيري الدنيا والآخرة: هو نعمة محضة منه بلا سبب سابق يوجب لهم حقاً. ولا حول ولا قوة لهم من أنفسهم إلا به. وهو خالق نفوسهم، وخالق أعمالها الصالحة، وخالق الجزاء.

فقوله: ﴿مَا أَصَابَكُم مِّنْ حَسَنَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ حق من كل وجه، ظاهراً وباطناً على مذهب أهل السنة، وأما السيئة فلا تكون إلا بذنوب العبد، وذنوبه من نفسه، وهو لم يقل: إني لم أقدر ذلك ولم أخلقه. بل ذكر للناس ما يتفهمهم.

\* فصل:

فإذا تدبر العبد علم أن ما هو فيه من الحسنات من فضل الله فشكر الله، فزاده الله من فضله عملاً صالحاً، ونعماً يفيضها عليه، وإذا علم أن الشر لا يحصل له إلا من نفسه بذنوبه: استغفر وتاب. فزال عنه سبب الشر؛ فيكون العبد دائماً شاكراً مستغفراً، فلا يزال الخير يتضاعف له، والشر يندفع عنه. كما كان النبي ﷺ يقول في خطبته: «الحمد لله» فيشكر الله، ثم يقول: «نستعينه ونستغفره» نستعينه على الطاعة، ونستغفره من المعصية. ثم يقول: «ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا» فيستعيذ به من الشر الذي في النفس، ومن عقوبة عمله، فليس الشر إلا من نفسه ومن عمل نفسه. فيستعيذ بالله من شر النفس: أن يعمل بسبب سيئاته الخطايا. ثم إذا عمل استعاذ بالله من سيئات عمله، ومن عقوبات عمله. فاستعان على الطاعة وأسبابها. واستعاذ به من المعصية وعقابها.

فعلم العبد أن ما أصابه من حسنة فمن الله، وما أصابه من سيئة فمن نفسه: يوجب له هذا وهذا؛ فهو سبحانه فرق بينهما هنا، بعد أن جمع بينهما في قوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾.

فبين أن الحسنات والسيئات: النعم والمصائب، والطاعات والمعاصي، على قول من أدخلها في: ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾.

ثم بين الفرق الذي يتفهمون به، وهو أن هذا الخير: من نعمة الله فاشكروه يزدكم، وهذا الشر من ذنوبكم فاستغفروه يدفعه عنكم.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ إِلَهُهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ إِلَهُهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (٣٣) وقال تعالى: ﴿الرَّ كُنْتُ أَحْكَمَ مِنْكَ، ثُمَّ فَضَلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ (١) أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُرِّمَةٌ نَّذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٢) وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُغْفِرْ لَكُمْ مَنَّا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾.

والمذنب إذا استغفر ربه من ذنبه فقد تأسى بالسعداء من الأنبياء والمؤمنين، كآدم وغيره. وإذا أصر، واحتج بالقدر:

فقد تأسى بالأشقياء، كإبليس ومن اتبعه من الغاوين.

فكان من ذكره: أن السيئة من نفس الإنسان بذنوبه، بعد أن ذكر: أن الجميع من عند الله، تنبيهاً على الاستغفار والتوبة، والاستعاذة بالله من شر نفسه وسيئات عمله، والدعاء بذلك في الصباح والمساء، وعند المنام، كما أمر رسول الله ﷺ بذلك أبا بكر الصديق، أفضل الأمة، حيث علمه أن يقول: «اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه. وأن أترف على نفسي سوءاً، أو أجره إلى مسلم».

فيستغفر مما مضى: ويستعيذ مما يهتدي به. فيكون من حزب السعداء.

وإذا علم أن الحسنة من الله - الـ زاء والعمل - سأله أن يعينه على فعل الحسنات. بقوله: ﴿إِنَّا نَسْتَعِينُكَ وَإِنَّكَ تُسْتَعِينُنَا﴾ وبقوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُخِزْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ ونحو ذلك.

وأما إذا أخبر أن الجميع من عند الله فقط، ولم يذكر الفرق فإنه يحصل من هذا التسوية، فأعرض العاصي والمدنّب عن ذم نفسه وعن التوبة من ذنوبها، والاستعاذة من شرها، بل وقام في نفسه: أن يحتج على الله بالقدر. وتلك حجة داحضة، لا تنفعه، بل تزيده عذاباً وشقاء كما زادت إبليس لما قال: ﴿قَالَ فِيمَا آغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وقال: ﴿رَبِّ يَا آغْوَيْتَنِي لأَزِيَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَآغْوَيْتَنِي أَجْمَعِينَ﴾.

وكالذين يقولون يوم القيامة: ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾. وكالذين قالوا: ﴿لَوْ سَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءَنَا وَلَا حَرَمًا مِنْ شَيْءٍ﴾.

فمن احتج بالقدر على ما فعله من ذنوبه، وأعرض عما أمر الله به من التوبة والاستغفار، والاستعانة بالله، والاستعاذة به، واستهدائه؛ كان من أخسر الناس في الدنيا والآخرة، فهذا من فوائد ذكر الفرق بين الجمع.

\* فصل:

الفرق الثالث: أن الحسنة يضاعفها الله وينميها، ويشيب على الهمة بها، والسيئة لا يضاعفها، ولا يؤاخذ على الهمة بها، فيعطي صاحب الحسنة: من الحسنات فوق ما عمل، وصاحب السيئة: لا يجزيه إلا بقدر عمله، قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

الفرق الرابع: أن الحسنة مضافة إليه، لأنه أحسن بها من كل وجه، كما تقدم، فما من وجه من وجوهها إلا وهو يقتضي الإضافة إليه.

وأما السيئة: فهو إنما يخلقها بحكمة، وهي باعتبار تلك الحكمة من إحسانه، فإن الرب لا يفعل سيئة قط. بل فعله كله حسن وحسان، وفعله كله خير.

ولهذا كان النبي ﷺ يقول في دعاء الاستفتاح: «والخير بيدك والشر ليس إليك» فإنه لا يخلق شرًا محضًا، بل كل ما يخلق، ففيه حكمة، هو باعتبارها خير. ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس، وهو شر جزئي إضافي، فأما شر كلي، أو شر مطلق: فالرب منزّه عنه. وهذا هو الشر الذي ليس إليه.

وأما الشر الجزئي الإضافي: فهو خير باعتبار حكمته. ولهذا لا يضاف الشر إليه مفردًا قط بل إما أن يدخل في عموم المخلوقات، كقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

وإما أن يضاف إلى السبب كقوله: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾.

وإما أن يحذف فاعله، كقول الجن: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرٌ أُرِيدُ مِنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أُرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَبَّنَا﴾.

\* فصل:

والمقصود هنا: الكلام على قوله: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾. وأن هذا يقتضي أن العبد لا

يزال شاكرًا مستغفرًا.

وقد ذكر: أن الشر لا يضاف إلى الله، إلا على أحد الوجوه الثلاثة، وقد تضمنت الفاتحة للأقسام الثلاثة: هو سبحانه: الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء. وفي الصحيحين عن النبي ﷺ: «أنه أرحم بعباده من الوالدة بولدها» وقد سبقت وغلبت رحمته غضبه، وهو الغفور الودود الحلیم الرحيم.

فإرادته: أصل كل خير ونعمة، وكل خير ونعمة فمنة: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾. وقد قال سبحانه: ﴿تَنَجَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤١) ثم قال: ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ (٤٢)، وقال تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣٨) فالمغفرة والرحمة من صفاته المذكورة بأسمائه فهي من موجب نفسه المقدسة، ومقتضاها ولوازمها.

أما العذاب: فمن مخلوقاته، الذي خلقه بحكمة، هو باعتبارها حكمة ورحمة، فالإنسان لا يأتيه الخير إلا من ربه وإحسانه وجوده، ولا يأتيه الشر إلا من نفسه، فما أصابه من حسنة فمن الله، وما أصابه من سيئة فمن نفسه. وقوله: ﴿مَا أَصَابَكَ﴾ إما أن تكون كاف الخطاب له ﷺ كما قال ابن عباس وغيره - وهو الأظهر: لقوله بعد ذلك: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾.

وإما أن تكون لكل واحد من آدميين، كقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَزَمَكِ بِرَبِّكَ الْكَبِيرِ﴾ (٦) لكن هذا ضعيف، فإنه لم يتقدم هنا ذكر الإنسان ولا مكانه، وإنما تقدم ذكر طائفة قالوا ما قالوه: فلو أريد ذكرهم: لقليل: ما أصابهم من حسنة فمن الله وما أصابهم من سيئة.

لكن خطب الرسول بهذا، لأنه سيد ولد آدم، وإذا كان هذا حكمه؛ كان هذا حكم غيره بطريق الأولى والأحرى، كما في مثل قوله: ﴿أَتَى اللَّهَ وَلَا تَطِيعُ الْكٰفِرِينَ وَالْمُشٰفِقِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿لَئِن شَرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخٰسِرِينَ﴾ (٣٥) وقوله: ﴿فَإِن كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَتَنَلِ الذِّبْنَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ ثم هذا الخطاب نوعان: نوع يختص لفظه به لكن يتناول غيره بطريق الأولى، كقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَيَّنَىٰ مَرَضَاتِ أَرْوٰجِكَ﴾ ثم قال: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾.

ونوع: قد يكون خطابه خطابًا به لجميع الناس، كما يقول كثير من المفسرين: الخطاب له والمراد غيره. وليس المعنى: أنه لم يخاطب بذلك، بل هو المقدم فالخطاب له خطاب لجميع الجنس البشري، وإن كان هو لا يقع منه ما نهي عنه، ولا يترك ما أمر به. بل هذا يقع من غيره، كما يقول ولي الأمر للأمر: سافر غذا إلى المكان الفلاني: أي أنت ومن معك من العسكر. وكما ينهى أعز من عنده عن شيء فيكون نهيًا لمن دونه. وهذا معروف من الخطاب.

فقوله: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ الخطاب له ﷺ، وجميع الخلق داخلون في هذا الخطاب بالعموم، وبطريق الأولى، بخلاف قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ فإن هذا له خاصة. ولكن من يبلغ عنه يدخل في معنى الخطاب كما قال ﷺ: «بلغوا عني ولو آية» وقال: «نضر الله امرأ سمع منا حديثًا فبلغه إلى من لم يسمعه» وقال: «ليبلغ الشاهد الغائب» وقال: «إن العلماء ورثة الأنبياء» وقد قال تعالى في القرآن: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْكَ هٰذَا الْقُرْءَانَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾.

والمقصود هنا: أن الحسنة مضافة إليه سبحانه من كل وجه، والسيئة مضافة إليه لأنه خلقها. كما خلق الحسنة فلهذا قال: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾. ثم إنه إنما خلقها لحكمة. ولا تضاف إليه من جهة أنها سيئة، بل تضاف إلى النفس التي تفعل الشر بها لا لحكمة، فتستحق أن يضاف الشر والسيئة إليها فإنها لا تقصد بما تفعله من الذنوب خيرًا، يكون فعله لأجله أرجح. بل ما كان هكذا فهو من باب الحسنات. ولهذا كان فعل الله حسنًا، لا يفعل قبيحًا ولا سيئًا قط. انتهى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ. أبو ذر القلموني.

راجع هذه المسألة بالتفصيل في مجموع الفتاوى ج ١٤ من ص ٢٢٩: ص ٤٢٥.

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ : محاسبًا على العمل مجازيًا به خيرًا كان أو شرًا<sup>(١)</sup>.  
 اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ : لا معبود بحق إلا هو. ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ ﴿٨٧﴾ .

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ﴾ : جماعتين الواحدة فئة أي جماعة.  
 وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا : الارتكاس: التحول من حال حسنة إلى حال سيئة كالكفر بعد الإيمان أو الغدر بعد الأمان وهو المراد هنا. ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾  
 وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ : أي طريقًا إلى هدايتهم. ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾  
 وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وُليًا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ : الولي: من يلي أمرك، والنصير: من ينصرك على عدوك.  
 إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ : أي يتصلون بهم بموجب عقد معاهدة بينهم.  
 بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ : عهد.

أَوْ جَاءَهُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ : ضاقت. ﴿أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُقْتَلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾

فَإِنْ أَعْرَضْتُمْ فَلَمْ يُقْتَلُوا وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ : الاستسلام والانقياد. ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾  
 ﴿سَتَجِدُونَ ءآخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوا بِكُمْ وَيَأْمِنُوا قَوْمَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>  
 كُلُّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ : الشرك. ﴿أَرْكَسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَرِ لَكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكْفُوا﴾  
 أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ نَفَقْتُمُوهُمْ : وجدتموهم متمكنين منهم.  
 وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾ : حجة بينة على جواز قتالهم.  
 وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً : أي إلا قتلاً خطأ وهو أن لا يتعمد قتله كأن يرمي صيداً فيصيب إنساناً.

وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ : أي مملوك عبداً كان أو أمة.  
 وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ : مؤداة وافية.

إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا : أي يتصدقوا بها على القاتل فلا يطالبوا بها ولا يأخذوها منه. ﴿فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوِّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾

وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ : عهد مؤكد بالإيمان. ﴿فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ

(١) حسيب هنا؛ بمعنيك محاسب وحفيظ فلا يضيع حسنات العبد.

(٢) ﴿سَتَجِدُونَ﴾ الوجدان هنا بمعنى الاطلاع والعثور أي: ستطلعون على قوم آخرين وصفهم كذا أو كذا.

(٣) فمن لم يجد: فمن لم يجد الرقبة صام شهرين متتابعين.

اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٦﴾ .

وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا : مريدًا قتله وهو ظالم له. ﴿فَجَزَاءُوهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٦﴾ .

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ : خرجتم تضربون الأرض بأرجلكم غزاة ومساافرين. فَتَبَيَّنُوا : فتبينوا حتى لا تقتلوا مسلمًا تحسبونه كافرًا.

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ : الاستسلام والانقياد. ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴿٩٧﴾ .

تَبْتَغُونَ : تطلبون. ﴿عَرَضَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ ﴿٩٧﴾ .

كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ أَتَى اللَّهَ عَلَىٰكُمْ : بالهداية فاهتديتم وأصبحتم مسلمين.

فَتَبَيَّنُوا : أي مستقبلاً ولا تقتلوا أحداً حتى تتأكدوا من كفره. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ

خَبِيرًا ﴿٩٨﴾ .

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ : هم العميان والعرج والمرضى. ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ

اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴿٩٨﴾ .

فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً : منزلة عالية في الجنة.

وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى : الجنة. ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٩﴾ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً

وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٩﴾ .

إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ : تقبض أرواحهم عند نهاية آجالهم.

ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ : بتركهم الهجرة وقد وجبت عليهم.

قَالُوا فِيمْ كُنْتُمْ : في أي شيء كنتم من دينكم؟ ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ

وَأَسِعَةً فَنُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٠٠﴾ : مأوى ومسكنًا. ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ

الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ ﴿١٠٠﴾ وهي الزمانة، وتكون بالعرج والعمى والشلل ونحوها.

لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿١٠١﴾ : قدرة على التحول. ﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ

اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا ﴿١٠١﴾ .

﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاضًا كَثِيرًا : مكانًا ودارًا لهجرته يرغم به من كان يؤذيه في

داره.

وَسَعَةً : في رزقه. ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا ﴿١٠٢﴾ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ ﴿١٠٢﴾ .

(١) الهجرة: هي الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام وهي فريضة من فرائض الإسلام، وهي هجر متعددة منها الهجرة من بلاد البدعة، قال مالك: لا يحل لمؤمن أن يقيم بأرض يسب فيها السلف الصالح. ومنها الخروج من أرض غلب عليها الحرام، إذ طلب الحلال فريضة، ومنها أن يؤذى المسلم في دينه أو عرضه أو ماله، ومنها الخوف من المرض ما لم يكن طاعونًا، فإنه يحرم الفرار منه، ومنها أن لا يكون في بلدة من يعرف أحكام الشريعة فيها جر لطلب ذلك.

فَقَدَّوَقَعَ أَجْرَهُ عَلَى اللَّهِ: وجب أجره في هجرته على الله تعالى. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١٠٣) ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ: أي مسافرين مسافة قصر وهي أربعة برد أي ثمانية وأربعون ميلاً (١). فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ: بأن تصلوا الظهرين ركعتين ركعتين والعشاء ركعتين لطولها.

إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفِيئَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا: هذا خرج مخرج الغالب، فليس الخوف بشرط في القصر وإنما الشرط السفر.

إِنَّ الْكُفْرِينَ كَانُوا لَكُرْهُدًا مُمِينًا ﴿١١﴾ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتَقِمَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا

حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ: الحِيطة والأهبة لما عسى أن يحدث من العدو. وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ (٢): جمع سلاح ما يقاتل به من أنواع الأسلحة. ﴿فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾.

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ: أي لا تضيق عليكم ولا حرج في وضع الأسلحة للضرورة. ﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (١٢).

فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ: أديتموها وفرغتم منها. ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾. ﴿فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ: أي ذهب الخوف فحصلت الطمأنينة بالأمن. ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾. إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴿١٣﴾: فرضاً ذات وقت معين تؤدي فيه لا تتقدمه ولا تتأخر عنه.

وَلَا تَهِنُوا: أي لا تضعفوا.

فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ: في طلب العدو لإنزال الهزيمة بهم.

إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ: تتألمون. ﴿فَإِنَّهُمْ بِأَلْمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾.

وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ: النصر. ﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٤﴾.

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ: أي بما علمكه بواسطة الوحي.

(١) راجع تفسير الآية ٢٨٣ من سورة البقرة (الهامش) وقول ابن القيم رحمه الله: ولم يحد ﷺ لأمته مسافة محددة للقصر والفطر... (قل).

(٢) الأمتعة: جمع متاع كالأثاث، والعروض وما له علاقة بالسلاح في حالة الحرب.

وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ﴿١٥﴾ : أي مخاصمًا بالغًا في الخصومة مبلغًا عظيمًا. وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾ وَلَا تُجَادِلْ ﴿١٧﴾ .

عَنِ الَّذِينَ يَخْتَابُونَ أَنفُسَهُمْ : يحاولون خيانة أنفسهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ ﴿١٧﴾ .

يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ : يطلبون إخفاء أنفسهم عن الناس.

وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ : يعلمه تعالى وقدرته.

إِذْ يُبَيِّنُونَ : يدبرون الأمر في خفاء ومكر وخديعة (١). ﴿مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٨﴾ هَتَأْتُمْ هَتُوءًا جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٩﴾ : الوكيل من ينوب عن آخر في تحقيق غرض من الأغراض.

وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا : السوء: ما يسيء إلى النفس أو إلى الغير.

أَوْ يَظْلِمَ نَفْسَهُ : ظلم النفس: بغشيان الذنوب وارتكاب الخطايا. ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿٢٠﴾ .

وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا : الإثم: ما كان ضارًا بالنفس فاسدًا. ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا

حَكِيمًا ﴿٢١﴾ .

وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا تَرْمِهِ بِهِ بَرِيئًا : البريء: من لم يجن جناية قد اتهم بها.

فَقَدْ أَحْتَمَلَ بُهْتَانًا : تحمل بهتانًا: وهو الكذب المجبر لمن رمي به. ﴿وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾ ﴿٢٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّوكَ مِنْ شَيْءٍ ﴿٢٣﴾ .

وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ : الكتاب: القرآن، والحكمة: السنة. ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿٢٤﴾ .

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ : النجوى: المسارة بالكلام، ونجواهم: أحاديثهم: التي

يسرها بعضهم إلى بعض.

إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ : المعروف: ما عرفه الشرع فأباحه أو استحبه أو أوجبه. ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴿٢٥﴾ : أي طلبًا لمرضاة الله أي للحصول على رضا الله ﴿بِعَزْمٍ﴾ .

فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٦﴾ : نعطيه. والأجر العظيم: الجنة وما فيها من نعيم مقيم.

(١) وهو ما قام به طعمة من سرقة الدرع ووضعها لدى اليهودي ثم اتهمهم اليهودي، وحلفهم على براءة أخيهم وكان الله بما يعملون محيطًا؛ إذ كل ذلك جرى تحت علمه تعالى فسبحانه من إله عليم عظيم.

وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ : يحاده ويقاطعه ويعاده. كمن يقف في شق والآخر في شق. ﴿مَنْ بَعْدَ مَا نَبَّيْنَاهُ لَهُ الْهُدَىٰ﴾

وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ : أي يخرج عن إجماع المسلمين<sup>(١)</sup>.

تَوَلَّوْهُ مَا تَوَلَّى : نخذله فتركه وما تولاه من الباطل والشر والضلال حتى يهلك به.

وَنُصِّلَهُ جَهَنَّمَ : أي ندخله النار ونحرقه فيها. ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (١١٥)

إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ : أن يعبد معه غيره من مخلوقاته بأي عبادة كانت. ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ

ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (١١٦)

إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ : أي ما يدعون.

إِلَّا إِنَّمَا : جمع أنثى لأن الآلهة مؤنثة، أو أمواتاً لأن الميت يطلق عليه لفظ أنثى بجامع عدم

النفع.

وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا الشَّيْطَانَ مَرِيدًا (١١٧) : بمعنى مارد على الشر والإغواء للفساد.

لَعْنَةُ اللَّهِ وَقَالَكَ لَا تَخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (١١٨) : حظاً معيناً. أو حصة معلومة.

وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مَيَّنَّتْهُمْ وَلَا مَرَّتْهُمْ فَلَيْبَتِكُنَّ : ليقطعن. ﴿ءَأَذَانُ الْأَنْعَامِ﴾

وَلَا مَرَّتْهُمْ فَلْيُغَيِّرْ خَلْقَ اللَّهِ : مخلوق الله أي: ما خلقه الله تعالى.

وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا (١١٩) : الشيطان:

الخبيث الماكر الداعي إلى الشر سواء كان جنياً أو إنسياً.

يَعِدُّهُمْ وَيُمَيِّنُهُمْ : يجعلهم يتمنون كذا وكذا ليلهم عن العمل الصالح. ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ

الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١٢٠)

﴿أُولَئِكَ مَاؤُنْهَمُ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ (١٢١) : معدلاً أو مهرباً.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا : صدقوا بالله ورسوله.

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ : الطاعات إذ كل طاعة لله ورسوله هي عمل صالح. ﴿سَكُنْ دِخْلُهُمْ

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا﴾

وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (١٢٢) : أي قولاً.

لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ : جمع أمنية: وهي ما يقدره المرء في نفسه ويشتهي مما يتعذر غالباً تحقيقه.

وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ : اليهود والنصارى.

مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا : كل ما يسيء من الذنوب، والخطايا. ﴿يُحْزَنُ بِهِ﴾

(١) هذه الآية هي دليل حرمة الخروج على جماعة المسلمين، روي أن الشافعي طلب دليلاً على صحة الإجماع فقرأ القرآن مرات حتى عثر على هذه الآية وقرر أنها دليل الإجماع. وهو كذلك.



وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا: يتولى أمره فيدفع عنه المكروه. ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ (١٣٣) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ (١٣٤): النقيير: نقرة في ظهر النواة. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾

وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا: عبادة الله وحده لا شريك له بما شرعه الله تعالى.  
وَأَتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٣٥﴾: الخليل: المحب الذي تخلل حبه مسالك النفس فهو أكبر من الحبيب (١).

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٣٦﴾: علمًا وقدرة؛ إذ الكون كله تحت قهره ومدار بقدرته وعلمه.

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ: يطلبون منك الفتيا في شأن النساء وميراثهم.  
قُلِ اللَّهُ يُنْفِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ: يقرأ عليكم في القرآن. ﴿فِي يَتَمَنَّى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ﴾

مَا كُتِبَ لَهُنَّ: ما فرض لهن من المهور والميراث. ﴿وَرَغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوُلْدَانِ﴾

وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ: بالعدل. ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ (١٣٧).  
وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ (٢) مِنْ بَعْلِهَا شُورًا: ترفعا وعدم طاعة. ﴿أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾

وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ: جبلت النفوس على الشح فلا يفارقها أبدا. ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (١٣٨) وَلَنْ نَسْتَطِيعُوا أَنْ نَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ:

فَتَذَرُوهُمَا كَالْمُعَلَّقَةِ: فتركوها كالمعلقة ما هي بالمزوجة، ولا المطلقة. ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١٣٩) وَإِنْ يَنْفَرَقَا:

يُعْنِ اللَّهُ كُلَّامِنْ سَعَتِهِ: في رزقه الواسع.

وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٤٠﴾: واسع الفضل حكيما يعطي فضله حسب علمه وحكمته.

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ: أي خلقًا وملكًا وتصرفًا وتدبيرًا.

وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ: عهدنا إليهم بذلك أي بالتقوى والذين أوتوا

(١) وقد شرف بالخلة محمد ﷺ ففي الصحيحين أنه ﷺ خطبهم آخر خطبة فقال: «أما بعد أيها الناس فلو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلًا لاتخذت أبا بكر ابن أبي قحافة خليلًا ولكن صاحبكم خليل الله.»

(٢) خافت: أي توقعت وليس بمعنى تيقنت.

الكتاب: اليهود والنصارى. ﴿وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١١٦﴾﴾.

وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١١٦﴾: الوكيل: من يفوض إليه الأمر كله ويقوم بتدبيره على أحسن الوجوه. ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١١٧﴾.

مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا: جزاء العمل لها.

فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: جزاء العمل لها وهو الجنة.

وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١١٤﴾: سميعًا: لأقوال العباد، بصيرًا: بأعمالهم وسيجزئهم بها خيرًا أو

شرًا.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفُوا قَوْمِينَ: جمع قوام: وهو كثير القيام بالعدل.

بِالْقِسْطِ: بالعدل وهو الاستقامة والتسوية بين الخصوم.

شُهَدَاءَ لِلَّهِ: جمع شهيد: بمعنى شاهد. ﴿وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ

فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾.

فَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَىٰ: ميل النفس إلى الشيء ورغبتها فيه. أَنْ تَعْدِلُوا<sup>(١)</sup>.

وَإِنْ تَلَوُّوا: أي أَلَسْتُمْ بِاللَّفْظِ تَحْرِيفًا لَهُ حَتَّى لَا تَتِمَّ الشَّهَادَةُ عَلَىٰ وَجْهٍهَا.

أَوْ تَعْرِضُوا: تَرَكُوا الشَّهَادَةَ أَوْ بَعْضَ كَلِمَاتِهَا لِيَبْطُلَ الْحُكْمُ. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١٥﴾﴾

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ

وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِنْ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ

كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١١٧﴾﴾.

بَشِيرِ الْمُتَّقِينَ: البشارة: الخبر الذي تتأثر به بشرة من يلقي خبرًا خيرًا كان أو شرًا، والمنافق:

من يبطن الكفر ويظهر الإيمان تقيّة ليحفظ دمه وماله. ﴿بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١١٨﴾﴾.

الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ: يوالونهم محبة ونصرة لهم على المؤمنين.

أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ: الغلبة والمنعة. ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١١٩﴾﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا

سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا﴾.

وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا: يذكرونها استخفافًا بها وإنكارًا وجحودًا لها.

فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ: يتكلموا في موضوع آخر من موضوعات الكلام.

﴿إِذْ كُرِ إِذَا مَثَلُهُمْ﴾: أي في الكفر والإثم. ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُتَّقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٢٠﴾﴾.

(١) فلا يحملنكم غنى الغني ولا فقر الفقير على تحريف الشهادة أو كتمانها.

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمْ: ينتظرون متى يحصل لكم انهزام أو انكسار: فيعلنون عن كفرهم. ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ﴾

وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ: أي من النصر وعبر عنه بالنصيب القليل؛ لأن انتصارهم على المؤمنين نادر.

قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ: أي نستول عليكم.

وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ: إن قتلوكم. ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤٤﴾: أي طريقاً إلى إذلالهم واستعبادهم والتسلط عليهم.

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ: بإظهارهم ما يحب وهو الإيمان والطاعات وإخفائهم الكفر والمعاصي.

وَهُوَ خَدِيعُهُمْ: بالتستر عليهم وعدم فضيحتهم، وبعدم إنزال العقوبة بهم.

وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ: أي يظهرن الطاعات للمؤمنين كأنهم مؤمنون

وما هم بمؤمنين. ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٤٥﴾

مُذَبِّحِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ: أي يترددون بين المؤمنين والكافرين فأبي جانب

عز كانوا معه. ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ ﴿١٤٦﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٧﴾

أُرِيدُونَ أَنْ يُجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٤﴾: حجة واضحة لتعذيبكم.

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ: الدرك: كالتابع، والدركة كالدرجة (١) ﴿وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ ﴿١٤٥﴾

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا: ما كانوا قد أفسدوه من العقائد والأعمال.

وَأَعْتَصَمُوا بِاللَّهِ: تمسكوا بدينه وتوكلوا عليه.

وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ: تخلوا عن النفاق والشرك. ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ

أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوِّءِ﴾ (٢) مِنَ الْقَوْلِ: ما يسوء إلى من قيل فيه أو فعل به. ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾

وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾: سميعاً للأقوال عليمًا بالأعمال.

(١) إلا أن المتفق عليه أن الجنة بالدرجات والنار بالدركات، وإن كان يجوز إطلاق لفظ الدرجات على كلتا الدارين

لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [الأحقاف: ١٩]. (قل).

راجع كتابنا: وصف الدور الثلاثة من تفسير ابن كثير. الدنيا دار الغرور، النار دار الشبور. الجنة: دار السرور.

(٢) كالسب والشتم والغيبة والنميمة والدعاء بالشر وألفاظ البذاء وكلمات الفحش.

إِنْ بُدُّوا خَيْرًا : تظهروا ولا تخفوا. ﴿أَوْ تُخَفُّوهُ﴾ .

أَوْ تَعَفُّوا عَنْ سُوءٍ : أي لا تؤاخذوا به. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوقًا قَدِيرًا﴾ (١٤٩) .

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ : الرسل جمع رسول وهم جم غفير قيل، عددهم ثلاثمائة وأربعة عشر رسولاً. ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (١٥٠) : أي طريقاً بين الكفر والإيمان، وليس ثم إلا طريق واحد وهو الإيمان أو الكفر، فمن آمن بكل الرسل فهو المؤمن، ومن آمن ببعض وكفر بالبعض فهو الكافر كمن لم يؤمن بأحد منهم. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (١٥١) وَالَّذِينَ آمَنُوا .

بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ. وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ : كما فرق اليهود فأمنوا بموسى وكفروا بـعيسى ومحمد ﷺ وكما فرق النصارى آمنوا بموسى وعيسى وكفروا بمحمد ﷺ فهم لذلك كفار.

أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ : أجر إيمانهم برسول الله وعملهم الصالح وهو الجنة دار النعيم. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١٥٢) يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ .

فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً : عياناً نشاهده ونراه بأبصارنا.

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ : صوت حاد ورجفة عنيفة صعقوا بها.

بِظُلْمِهِمْ : بسبب ظلمهم بطلبهم ما لا ينبغي (١).

ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ : أي إليها فعبدوه. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾ .

وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا (١٥٣) : حجة واضحة وقدرة كاملة قهر بها أعداءه.

وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ : أي جبل الطور بسيناء. بِمِثْقَلِهِمْ .

وَقَلْنَا لَهُمْ أَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا : أي راكعين متواضعين خاشعين لله شكرًا لنعمه عليهم.

وَقَلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ : لا تعتدوا أي: لا تتجاوزوا ما حد لكم فيه من ترك العمل إلى

العمل فيه.

وَأَخَذْنَا مِنْهُمُ مِيثَاقًا غَلِيظًا (١٥٤) : عهدًا مؤكدًا بالإيمان.

فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ : الباء سببية أي: فبسبب نقضهم ميثاقهم، والنقض: الحل بعد الإبرام.

وَكَفَرِهِمْ بِثَابِتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْيًا حَقًّا : أي بدون موجب لقتلهم، ولا موجب لقتل الأنبياء قط.

وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ : جمع أغلف وهو ما عليه غلاف يمنع من وصول المعرفة (٢) والعلم

(١) ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ الباء سببية أي: سبب ظلمهم، وليس المراد من ظلمهم طلب رؤية الله تعالى؛ إذ هذا طلبه موسى أيضًا، ولكن ظلمهم: كونهم اشتروا الإيمان بموسى حتى يريهم الله جهرة.

(٢) ﴿غُلْفٌ﴾ قد يكون جمع غلاف ومعناه حيتل؛ أن قلوبهم أوعية للعلم فلا حاجة بهم إلى علم سوى ما عندهم،

إليه ﴿بَلْ طَبِعَ اللَّهُ عَلَيْهَا يَكْفُرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٥٥﴾ .  
 وَيَكْفُرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرِيحٍ مُّبْتَنَّا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ : البهتان الكذب الذي يجرح من قيل فيه، والمراد هنا رميهم لها بالزنا.  
 وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ : أي لم يصلبوه والصلب الشد على خشبة وقتله عليها. ﴿وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ <sup>(١)</sup> وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً ﴿١٥٨﴾ .  
 وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ : أي وما من أحد من أهل الكتاب.  
 إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ : عند حضور الموت أن عيسى عبد الله ورسوله فما هو ابن زنى ولا ساحر كما يقول اليهود، ولا هو الله ولا ابن الله كما يقول النصارى.  
 وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَيُظَاهِرُ : الباء سببية أي فبسبب ظلمهم.  
 مِنَ الَّذِينَ هَادُوا : اليهود إذ قالوا: إنا هدنا إليك.  
 حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ : هي كل ذي ظفر وشحوم البقر والغنم.  
 وَبَصَدْتَهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ : وذلك بجحودهم الحق وتحريفهم كلام الله.  
 وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدُّهُوا عَنَّهُ : قبوله والتعامل به وأكله. ﴿وَأَكَلْتَهُمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿١٦١﴾ .  
 لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ : أصحاب القدم الثابتة في معرفة الله وشرائعه ممن علومهم راسخة في نفوسهم ليست ظنيات بل هي يقينيات. ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿١٦٢﴾ .  
 ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ : الوحي : الإعلام السريع الخفي، ووحى الله تعالى إلى أنبيائه إعلامهم بما يريد أن يعلمهم به من أمور الدين وغيره. ﴿كَمَا أَوْحَيْنَا﴾ <sup>(٢)</sup> إِلَى نُوحٍ وَالذِّكْرِ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ .

ولا منافاة بين المعنيين في «النهر، وأيسر التفاسير».

(١) هذا إخبار من الله تعالى بحقيقة أخرى وهي أن الذين طوقوا منزل المسيح وهجموا عليه ليلقوا عليه القبض من أجل أن يقتلوه هؤلاء اختلفوا في هل الرجل الذي ألقى عليه شبه عيسى هو عيسى أو غيره؟ إنهم لم يجزموا أبداً بأن من ألقوا عليه القبض وأخرجوه فصلبوه وقتلوه هو المسيح ﷺ .

وذكر القرطبي للاختلاف عدة وجوه كلها سائغة وما ذكرناه في التفسير أولى. ومن بين الوجوه قولهم: إن كان هذا صاحبنا فأين عيسى، وإن كان هذا عيسى فأين صاحبنا؟

(٢) قَدَّمَ نوح في الذكر باعتباره أول رسول حارب الشرك، إذ لم يظهر الشرك على عهد من سبقه كإدريس وشيث من قبله، فلما ظهر الشرك أرسل الله تعالى نوحاً ﷺ، وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ.

وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ: أولاد يعقوب عليه السلام. ﴿وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ﴾  
 وَسَلِيمَانَ وَعِيسَىٰ دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾: الزبور أحد الكتب الإلهية أنزله على نبيه داود عليه السلام.  
 وَرُسُلًا قَدْ فَصَّصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ: ورد منهم في سورة «الأنعام» ثمانية عشر رسولاً وسبعة  
 ذكروا. في سور أخرى وهم محمد صلى الله عليه وسلم وهود وشعيب وصالح وذو الكفل وإدريس وآدم.  
 ﴿وَرُسُلًا لَمْ نَقْضُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ  
 لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ عيب.

حُجَّةٌ: عذر يعتذرون به إلى ربهم صلى الله عليه وسلم. ﴿بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ﴿١٦٥﴾ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا  
 أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكِ الْمَكِينِ يُشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾.  
 إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا: جحدوا بنبوته محمد صلى الله عليه وسلم.

وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ: صرفوا الناس عن الإيمان به صلى الله عليه وسلم. ﴿قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿١٦٧﴾  
 إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا: جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وظلموا ببقائهم على جحودهم بغيا منهم  
 وحسدا للعرب أن يكون فيهم رسول يخرجهم من الظلمات إلى النور. ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا  
 لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾.  
 يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ كُفْرًا: هو محمد صلى الله عليه وسلم الكامل في رسالته الصادق في دعوته.  
 بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَتَأْمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ: أي يكون إيمانكم خيرا لكم. ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ﴿١٧٠﴾.

يَتَأَهَّلُ الْكِتَابِ: المراد بهم النصارى <sup>(٢)</sup>.

لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ: الغلو <sup>(٣)</sup>: تجاوز الحد للشيء فعيسى عليه السلام عبد الله ورسوله فغلوا فيه  
 فقالوا هو الله. ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾.

إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ: المسيح: هو عيسى عليه السلام ولقب بالمسيح؛ لأنه  
 ممسوح من الذنوب أي لا ذنب له قط.  
 وَكَلِمَتُهُ: أي قول الله تعالى له كن فكان.

(١) صدوا عن سبيل الله بقولهم: إنا لا نجد صفة محمد في كتابنا، وإنما النبوة في ولد هارون، وداود، وإن في التوراة  
 أن شرع موسى لا ينسخ.

(٢) النصارى غلوا في عيسى فتجاوزوا حد الإفراط حيث ألوهه أي جعلوه إلها وعبدوه، واليهود غلوا في التفريط في  
 عيسى إذ قالوا: ساحر، وابن زنى والعياذ بالله.

(٣) الغلو: مشتق من غلوة السهم وهي منتهى اندفاعه، ويطلق الغلو في الشرع على الزيادة على المطلوب في الاعتقاد  
 والقول والعمل.

أَلْقَهَا إِلَى مَرِيَمَ : أوصلها لها وأبلغها إياها وهي قول الملائكة لها: إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم.  
وَرُوحٌ مِّنْهُ : أي عيسى كان بنفخة جبريل روح الله في كم درعها. ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ۚ أَنْتَهُم خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدَهُ﴾ (١) سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ ۙ

وَكَيْلًا ﴿١٧١﴾ : حفيظًا وشاهدًا عليماً.

لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ : لا يرفض عبوديته لله تعالى أنفة وكبراً. ﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ ۙ

وَيَسْتَكْبِرْ : يرى نفسه كبيرة فوق ما طلب منه أن يقوله أو يفعله إعجاباً وغروراً.  
﴿فَسَيَحْشُرُهُمُ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ (١٧٢) فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۙ

وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (١٧٣) : أي لا يجدون يوم القيامة ولياً يتولى الدفاع عنهم ولا نصيراً ينصرهم حتى لا يدخلوا النار ويعذبوا فيها.

يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ كُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ : البرهان: الحجة والمراد به هنا محمد ﷺ .

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ : هو القرآن الكريم.

فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ : أي تمسكوا بالقرآن، وبما يحمله من الشرائع.  
فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةِ مِنِّهِ : الجنة.

وَفَضَّلِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ : طريقاً يفضي بهم إلى جوار ربهم في دار الكرامة.  
يَسْتَفْتُونَكَ : يطلبون فتياك في كذا.

قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ : يبين لكم ما أشكل عليكم من أمر الكلاله.

فِي الْكَلَالَةِ : أن يهلك الرجل ولا يترك ولداً ولا ولد وإنما يترك أخاً أو أختاً. ﴿إِنْ أَمْرُؤُا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا أُخْتَيْنِ فَلَهُمَا النُّصَبَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رَجَاً لَا وِثَاءَ فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ : الحظ: النصيب.

يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا : كيلا تضلوا أي تخطئوا في قسمة التركة. ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

﴿١٧٦﴾



(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما : المراد من التثليث: الله تعالى وصاحبه وابنه، والأقانيم عند بعضهم هي الأب، والابن، وروح القدس، وعند بعضهم هي الوجود، والحياة، والعلم.

## ٥- سُورَةُ الْمَائِدَةِ

«مذبذبة»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ : العقود: هي العهود التي بين العبد والرب تعالى وبين العبد وأخيه، والوفاء بها: عدم نكثها والإخلال بمقتضاها.  
 أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ: هي الإبل والبقر والغنم.  
 إِلَّا مَا يَتَلَبَّسُ عَلَيْكُمْ غَيْرُ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ: أي محرمون بحج أو عمرة. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ (١).  
 يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُحِلُّوا شَعْبِيرَ اللَّهِ: جمع شعيرة وهي هنا مناسك الحج والعمرة، وسائر

أعلام دين الله تعالى.  
 وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ: رجب وهو شهر مضر الذي كانت تعظمه.  
 وَلَا الْهَدْيَ: ما يهدى للبيت والحرم من بهيمة الأنعام.  
 وَلَا الْقَلْبَيْدَ: جمع قلادة، ما يقلد الهدى، وما يتقلده الرجل من لحاء شجر الحرم ليأمن.  
 ﴿وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا﴾.

مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا: قاصدين البيت الحرام يطلبون ربح تجارة أو رضوان الله تعالى.  
 وَإِذَا حَلَلْتُمْ: أي من إحرامكم. ﴿فَأَصْطَادُوا﴾ (٢).  
 وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقَوْمٍ: أي لا يحملنكم بغضاء قوم أن تعتدوا عليهم.  
 أَنْ صَدَّوْكُمْ: أي لأجل أن صدوكم. ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾.  
 وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى: البر: كل طاعة لله ورسوله، والتقوى: فعل ما أمر الله به ورسوله، وترك ما نهى عنه الله ورسوله.

وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ (٣): الإثم: سائر الذنوب، والعدوان: الظلم وتجاوز الحدود.  
 وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤): أي عقابه شديد لا يطاق ولا يحتمل.  
 حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ: ما مات من بهيمة الأنعام حتف أنفه أي بدون تذكية (٤). ﴿وَالدَّمُ وَالحَمُّ

(١) إلا ما يتلبي عليكم: وهي الآتية في آية: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَأَصْطَادُوا﴾ الإجماع على أن الأمر هنا للإباحة وليس للوجوب، وهذه قاعدة أصولية: كل أمر بعد حظر فهو للإباحة.

(٣) فالزنى إثم، والزوجة الخامسة مع وجود الأربع تحت عصمة الرجل عدوان.

(٤) ومن غيرها من مأكول اللحم كالظباء والأرانب، وأنواع الصيد باستثناء ما ذكر عليه اسم الله حال صيده فإن ما



الخنزير ﴿١﴾.

وَمَا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ : أي ما ذكر عليه اسم غير اسم الله تعالى مثل المسيح، أو الولي، أو صنم.  
وَالْمُنْحَنَفَةُ : أي بحبل ونحوه فماتت.

وَالْمَوْفُودَةُ : أي المضروبة بعصا أو حجر فماتت به.

وَالْمَرْدِيَّةُ : الساقطة من عالٍ إلى أسفل مثل السطح والجدار والجبل فماتت.

وَالنَّطِيحَةُ : ما ماتت بسبب نطح أختها لها بقرونها أو رأسها.

وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ : أي ما أكلها الذئب وغيره من الحيوانات المفترسة.

إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ : أي أدركتم فيه الروح مستقرة فذكيتموه بذبحه أو نحره.

وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ : أي ما ذبح على الأصنام المنصوبة التي تمثل إلهاً أو زعيماً أو عظيماً،

ومثلها ما ذبح على أضرحة الأولياء وقبورهم وعلى الجان.

وَأَنْ تَسْلَقِسُوا بِالْأَزْلَمِ : أي وحرّم عليكم ما تحصلون عليه بالاستقسام بالأزلام ومثله ما

يأخذه صاحب الكهانة والشوافة وقرعة الأنبياء، والحروز الباطلة التي فيها طلاسّم وأسماء الجن

والعفاريت.

وما حرم بالسنة وهو كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطيور؛ لثبوت ذلك في

الصحاح.

ذَلِكُمْ فَسَوْ : أي ما ذكر من أكل الميتة إلى الاستقسام<sup>(١)</sup> بالأزلام خروج عن طاعة الله تعالى

ومعصية له ﷺ. ﴿الْيَوْمَ يَبَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا يَخْشَوهُمْ وَأَخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ

وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(٢)</sup>.

فَمَنْ أَضْطَرَّ : أي من ألجأته ضرورة الجوع فخاف على نفسه الموت فلا بأس أن يأكل مما

ذكر.

في تَخْصَصَةٍ : المخصصة: شدة الجوع حتى يضمّر البطن لقلّة الغذاء به.

غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ : غير مائل لإثم يريد غير راغب في المعصية بأكل ما أكل من الميتة، وذلك

بأن يأكل أكثر مما يسد به رمقه ويدفع به غائلة الجوع المهلك. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

مات منه يؤكل ولو لم يذك ولا يقال فيه: ميتة.

(١) هي ثلاثة أزلام كتب على أحدها: أمرني ربي، وعلى الثاني: نهاني ربي، والثالث: مهمل لم يكتب عليه شيء

ويجعلها في خريطة فإذا خرج أمرني مضى في عمله، وإذا خرج نهاني ترك ما أراد فعله، وإذا خرج المهمل أعاد

الضرب في الخريطة، وهناك نوعان من الاستقسام غير ما ذكرنا.

(٢) ووجه إكمال الدين أنه كان قبل الهجرة مقصوراً على الشهادتين، والصلاة، ولما هاجر ﷺ إلى المدينة أخذ

التشريع ينزل يوماً بعد يوم حتى كمل وأعلن عنه الرب تعالى في حجة الوداع بقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الخ.

يَسْتَأْذِنُكَ مَاذَا أُجِلَّ لَهُمْ قُلْ أُجِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ : ما أذن الله تعالى في أكله وأباحه لعباده المؤمنين.

وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ : جمع جارحة بمعنى كاسبة تجرح بمعنى تكسب.

مُكَلِّبِينَ : أي مرسلين الجارحة على الصيد سواء كانت الجارحة كلبًا أو طيرًا<sup>(١)</sup>. ﴿تَعَلَّمُوهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ<sup>(٢)</sup> وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَقْبُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾ الْيَوْمَ أُجِّلَ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ ﴿٥﴾

وَطَعَامُ الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ : ذبائح اليهود والنصارى. حِلُّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ .

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ : جمع محصنة وهي العفيفة الحرة من النساء. ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أوتُوا

الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴿٥﴾

إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ : مهورهن وصداقهن.

مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ : غير مجاهرين بالزنا.

وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ : جمع خدن وهو الخليل والصاحب السري.

وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ : أي يرتد عن الإيمان، فالباء بمعنى عن إذ يقال ارتد عن كذا.

فَقَدْ حِطَّ عَمَلُهُ : بطل كل ما قدمه من الصالحات فلا يثاب عليه. ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥﴾﴾

﴿٥﴾

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ : أي إذا أردتم القيام إلى الصلاة وأنتم محدثون أي

على غير وضوء.

فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ : أي بعد غسل الكفين ثلاثًا والمضمضة والاستنشاق والاستنثار ثلاثًا ثلاثًا

ليبان رسول ﷺ ذلك. ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ ﴿٦﴾

وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ : أي واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين إلا أن يكون عليها خف ساتر

فإنه يجوز المسح عليه دون حاجة إلى نزع وغسل الرجلين، وذلك إن لبسه بعد وضوء ولم يمض

على لبسه أكثر من يوم وليلة إن كان مقيمًا، أو ثلاثة أيام إن كان مسافرًا بهذا جاءت السنة<sup>(٣)</sup>.

(١) المكلب: هو معلم الكلاب، ومدرّبها على الصيد، ويقال للصائد مكلب، وعليه فقوله: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ يكون بمعنى: صائدين.

(٢) ﴿مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ على هنا بمعنى اللام، أي مما أمسكن لكم ولأجلكم كقولهم: سجن على كذا، وضرب الصبي على قوله كذا.

(٣) قال العلامة محمد جمال الدين القاسمي ﷺ في رسالة المسح على الجوربين تقديم العلامة أحمد محمد شاكر ﷺ وتحقيق الألباني ص ٢١، ٢٢: (إذا علمت ذلك فمسألتنا هذه (مسألة المسح على الجوربين أصلها في الكتاب الكريم إما من عموم المسح في آية الوضوء، وإما من عمومات آخر. فأما العموم الأول، فسنده قراءة الجر في قوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ فإن ظاهرها أن الفرض في الرجلين هو المسح كما روى ذلك عن ابن عباس وأنس وعكرمة والشعبي وقتادة وجعفر الصادق وعلماء سلالة رضي الله عنهم

وَأِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا : الجنب من قامت به جنابة وهي شيثان: غياب رأس الذكر في الفرج، وخروج  
المني بلذة في نوم أو يقظة.  
فَأَطْهَرُوا : يعني فاغتسلوا، والغسل هو غسل سائر الجسد بالماء. ﴿وَأِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ  
أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ﴾ .

مِنَ الْغَائِطِ : كناية عن الخارج من أحد السبيلين من عذرة أو فساء أو ضراط، أو بول أو  
مذي<sup>(١)</sup> .

أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ : ملامسة النساء كناية عن الجماع، كما أن من لامس امرأة ليتلذذ بها أو  
لامسها لغير قصد اللذة ووجد اللذة فقد انتقض وضوءه ومن هذا مس الفرج باليد؛ لأنه مظنة اللذة  
لذا قال الرسول ﷺ : «من أفضى منكم بيده إلى فرجه فليتوضأ»<sup>(٢)</sup> .  
فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا : اقصدوا ترابًا أو حجرًا أو رملاً أو سبخة مما صعد على  
وجه الأرض.

فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ .

مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ : الحرج: المشقة والعسر والضيق. ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ  
لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> .

وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ : أي ميثاق الله تعالى وهو عهده الموكل  
والمراد به هنا: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، إذ بها وجب الالتزام بسائر التكاليف  
الشرعية. ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمْ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾<sup>(٤)</sup> .  
يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ : جمع قوام وهو كثير القيام لله تعالى بحقوقه، وما وجب  
له تعالى، وبحقوق الغير أيضًا لا يفرط في شيء من ذلك.

أجمعين. فعلى مذهب هؤلاء الأئمة يكون مفاد الآية وجوب المسح على الرجلين مباشرة أو بما عليها من  
خف أو جورب أو تساخين فيظهر أن الآية مأخذًا للسنة على هذه القراءة (أقل) .  
(١) أصل الغائط أنه المكان المنخفض، ولما كان من يريد قضاء حاجته يأتي المكان المنخفض ليستتر عن أعين  
الناس، أطلق لفظ الغائط على ما يحل فيه من بول وعذرة.  
(٢) المقصود بمس الفرج باليد أي: من غير ساتر، فإن كان ساتر فلا يتنقض وضوءه، وأيضًا إن كان بغير ساتر وبغير  
عمد، سئل الإمام ابن تيمية رحمته الله ج ٢١، ص ٢٣١: (عن رجل وقعت يده بباطن كفه وأصابه على ذكره: فهل  
يتنقض وضوءه أم لا؟ فأجاب: إذا لم يتعمد ذلك لم يتنقض، وضوءه) وسئل رحمته الله عن مس النساء: هل يتنقض  
الوضوء أم لا؟ فأجاب: فيه ثلاثة أقوال للفقهاء: والصحيح في المسألة أحد قولين: أما الأول وهو عدم النقض  
مطلقًا. وأما القول الثاني: وهو النقض إذا كان بشهوة، وأما وجوب الوضوء من مجرد مس المرأة لغير شهوة  
فهو أضعف الأقوال ولا يعرف هذا القول عن أحد من الصحابة. ج ٢١، ص ٢٣٥، ٢٣٦. اهـ (قل) .

شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ : جمع شهيد بمعنى شاهد، والقسط العدل.

وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ : أي لا يحملنكم.

شَتَانُ قَوْمٍ : بغض وعداوة قوم.

عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا : العدل: خلاف الجور، وهو المساواة بلا حيف ولا جور.

أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ : أي العدل أقرب للتقوى من الجور. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا

تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ

كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ ﴿١١﴾

عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ : أرادوا وعزموا على إنفاذ آرائهم. والقوم هم يهود بني النضير.

أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ : أي ليقتلوا نبيكم ﷺ

فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ : لم يمكنهم مما أرادوه من قتل النبي ﷺ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ : الميثاق: العهد المؤكد بالإيمان.

بَنِي إِسْرَائِيلَ : اليهود.

وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا : نقيب القوم: من ينقب عنهم ويبحث عن شؤونهم ويتولى

أمورهم. ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي ﴿١٣﴾

وَعَزَّزْتُ مَوَاهِمَهُمْ : أي نصرتموهم ودافعتم عنهم معظمين لهم.

وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا : أي أنفقتم في سبيله ترجون جزاء منه تعالى على نفقاتكم في

سبيله.

لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ : أسترها ولم آخذكم بها. ﴿وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ ﴿١٤﴾﴾

فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٥﴾ : أخطأ طريق الهدى الذي يفلح سالكه بالفوز بالمحبوب والنجاة

من المرهوب.

فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ : نقض الميثاق: حله بعدم الالتزام بما تضمنه من أمر ونهي.

لَعَنَهُمْ : طردناهم من موجبات الرحمة ومقتضيات العز والكمال.

وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَنَسِيَّةً يَجْرِفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ : يبدلون الكلام ويؤولون معانيه

لأغراض فاسدة، والكلم من الكلام.

وَتَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ : تركوا قسطًا كبيرًا مما ذكرهم الله تعالى به، أي: أمرهم به في

كتابهم.

وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ : خيانة أو طائفة خائنة منهم.

إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ : أي لا تؤاخذهم واصرف وجهك عنهم محسنًا إليهم بذلك.  
 ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣)  
 وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَىٰ : أي ابتدعوا بدعة النصرانية فقالوا: إنا نصارى. ﴿أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾.

فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ : الإغراء: التحريش<sup>(١)</sup> والمراد أوجدنا لهم أسباب الفرقة والخلاف إلى يوم القيامة بتدبيرنا الخاص فهم أعداء لبعضهم البعض أبدًا.  
 ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (١٤)

يَأْهَلُ الْكِتَابِ : هنا هم اليهود والنصارى معًا.

قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا : محمد ﷺ.

يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ : الكتاب: التوراة والإنجيل، وما يخفونه صفات النبي ﷺ وبعض الأحكام عن المخالفين يجحدونها خوف المعرفة كالرجم مثلاً.

وَيَعْقُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ<sup>(٢)</sup> وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) : النور محمد ﷺ والكتاب القرآن الكريم. ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾.

يُذْنِبُهُ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٦) : الإسلام وهو الدين الحق الذي لا نجاة إلا به. والمستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ : لأنهم جحدوا الحق وقالوا كذبًا:

الله هو المسيح ابن مريم.

المسيح: لقب لعيسى بن مريم عبد الله ورسوله ﷺ.

مريم: بنت عمران من صلحا بني إسرائيل والدة عيسى ﷺ.

قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ : يميت ويبيد. ﴿الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ. وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾.

(١) من الجائر أن يقال: أغرينا بينهم العداوة والبغضاء هو عائد على اليهود والنصارى؛ لأن العداوة بينهم ثابتة إلا أن السياق هو في النصارى فطوائفهم متعددة ومتعادية متباغضة كما أخبر تعالى. والفرق بين العداوة والبغضاء: أن العداوة من العدوان فقد ينتج عنها أذى بالضرب أو القتل. وأما البغضاء فهي من البغض القلبي فلا يتوقع من أصحابها أذى.

(٢) واللفظ صالح لأن يكون المراد بالنور الإسلام، فالنبي ﷺ نور والإسلام نور إذ كل منهما يهدي إلى دار السلام في الآخرة وإلى الطهر والصفاء والسعادة والكمال في دار الدنيا.

يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧﴾ : قادر على إيجاد وإعدام كل شيء أراد إيجاداه أو إعدامه. ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ﴾ .

أَبْتَلُوا اللَّهَ وَاجْتَبَوْهُ : الأحياء: واحده حبيب كما أن الأبناء واحده ابن. ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ .

يَتَأَهَّلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُلِ : الفترة زمن انقطاع الوحي لعدم إرسال الله تعالى رسولا.

أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ : البشير<sup>(١)</sup> : المبشر بالخير، والنذير: المنذر من الشر. وهو رسول الله ﷺ، يبشر المؤمنين وينذر الكافرين. ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ .

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ : منها نجاتهم من فرعون وملائته. إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ : منهم موسى وهارون ﷺ .

وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا : أي مالكين أمر أنفسكم بعد الاستعباد الفرعوني لكم<sup>(٢)</sup> .

وَأَنْتُمْ مَّا لَمْ تُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ : المعاصرين لهم والسابقين لهم.

يَنْقُورِ أَذْخَلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ : المطهرة التي فرض الله عليكم دخولها، والسكن فيها بعد طرد الكفار منها وهي هنا أرض فلسطين.

وَلَا تَزِدُوا عَلَىٰ آذَانِكُمْ : أي ترجعوا منهزمين إلى الوراء. ﴿فَنَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١١﴾ .

قَالُوا يَمْوَسِيٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ : عظام الأجسام أقوياء الأبدان يجبرون على طاعتهم من شاءوا. ﴿وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنَّا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿١٢﴾ .

قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخْفَوْنَ : مخالفة أمر الله تعالى ومعصية رسوله.

أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا : أي بنعمة العصمة حيث لم يفشوا سر ما شاهدوه لما دخلوا أرض الجبارين لكشف أحوال العدو بها، وهما يوشع وكالب من النقباء الاثني عشر. ﴿أَدْخَلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَغَلِبُوا وَعَلَىٰ اللَّهُ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ .

قَالُوا يَمْوَسِيٰ إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا : أي المدينة التي أمروا بمهاجمة أهلها والدخول عليهم فيها. ﴿فَإِذْ هَبَّتْ وَرَبُّكَ فَفَتَلَا إِنَّا هُنَا فَتَعُدُّونَ ﴿١٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ .

(١) ﴿مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ ﴿مِنْ﴾ زائدة، وزيادتها لغرض المبالغة في نفي المعجزة، وتنكير بشير ونذير للتقليل أي: ما جاءنا أقل بشير وأقل نذير.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان الرجل مر بني إسرائيل إذا كان له الزوجة والخادم والدار سمي ملكًا) (قل).

فَأَفْرَقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾: أي عن أمر الله ورسوله بتركهم الجهاد جنباً وخوفاً.  
 قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ: أي تحريماً كونياً قضائياً لا شرعياً تعبدياً.  
 أَرْبَعِينَ سَنَةً يَبِيهُوتُ فِي الْأَرْضِ: أي في أرض سيناء متحيرين فيها لا يدرون أين يذهبون مدة أربعين سنة.

فَلَا تَأْسَ: أي لا تحزن ولا تأسف. ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٢٦﴾.  
 ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ﴾: وقرأ على اليهود الذين هموا بقتلك وقتل أصحابك.  
 نَبَأَ ابْنَى آدَمَ يَا لِحَقِّ: خبر ابني آدم هابيل وقابيل.  
 إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا: القربان ما يتقرب به إلى الله تعالى كالصلاة والصدقات (١).  
 فَتُقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُنْقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ (٢).  
 لِيَنْبَسُطَ إِلَيْكَ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي: مددت إلي يدك. ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾: إني أخاف الله ربَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾.

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ: ترجع إلى الله يوم القيامة بإثم قتلك إياي، وإثمك في معاصيك.  
 ﴿فَتَكُونُ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٢٩﴾.  
 فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ: شجعتة على القتل وزينته له حتى فعله. ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٣٠﴾.

فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ: طائرًا أسود معروفًا يضرب به المثل في السواد.  
 لِيُرِيَهُ، كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ: يستر بالتراب جسد أخيه، وقيل: فيه سوءة، لأن النظر إلى الميت تكرهه النفوس، والسوءة: ما يكره النظر إليها. ﴿قَالَ يَتُولَتِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ ﴿٣١﴾.

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ: أي بسبب ذلك القتل.  
 كَتَبْنَا: أوحينا. ﴿عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ﴾  
 نَفْسًا بغير نَفْسٍ: أي فوراً وقصاصاً.  
 أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ: بحربه لله ورسوله والمؤمنين. ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾.

(١) قيل: كان قربان قابيل حزمة من سنبل؛ لأنه صاحب زرع واختارها من أردأ زرعه حيث إنه وجد فيها سنبله طيبة ففركها وأكلها، وأما قربان هابيل فكان كبشاً لأنه صاحب غنم واختاره من أجود غنمه.

(٢) إن قيل: كيف عرف القبول من عدمه؟ فالجواب: إن سنة الله تعالى فيمن سبق أن من قرب لله تعالى قرباناً فقبله أرسل عليه ناراً من السماء فأحرقته ومن لم يتقبله لم يفعل به ذلك، ويشهد له حديث الصحيح في غنائم بني إسرائيل إذ كانت محرمة عليهم ولم تحل إلا لأمة الإسلام، إذ أخبر النبي ﷺ أن ناراً تنزل من السماء على الغنائم فتحرقها.

وَمَنْ أَحْيَاهَا : قدر على قتلها وهي مستوجبة له فتركها. ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ .  
وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ : الآيات الواضحات حاملة للشرائع والدلائل. ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا  
مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ﴾ .

لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٣﴾ : مكثرون من المعاصي والذنوب.  
إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ : بالخروج عن طاعتها وحمل السلاح<sup>(١)</sup> على المؤمنين  
وقتلهم وسلب أموالهم والاعتداء على حرمتهم.  
وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا : بإخافة الناس وقطع طرقهم وسلب أموالهم والاعتداء على  
أعراضهم.

أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا : يشدوا على أعواد الخشب ويقتلوا، أو بعد أن يقتلوا.  
أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ : بأن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى والعكس.  
أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ : أي من أرض الإسلام.  
ذَلِكَ لَهُمْ جزى في الدنيا : ذل ومهانة.  
وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٤﴾ : عذاب جهنم. ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ .  
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقَدِّرُوا عَلَيْهِمْ : أي تتمكنوا منهم بأن فروا بعيدًا ثم جاءوا مسلمين. ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ  
اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٥﴾ يتأبها الذين ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ : خانوا عذابه فامثلوا أمره وأمر رسوله  
واجتنبوا نهيها<sup>(٢)</sup>.

وَابْتَغُوا إِلَيْهِ : اطلبوا.  
الْوَسِيلَةَ : تقربوا إليه بفعل محابه وترك مساخطه تظفروا بالقرب منه.  
وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ : أنفسكم بحملها على أن تتعلم وتعمل وتعلم، وأعداؤه بدعوتهم إلى  
الإسلام وقتالهم على ذلك.

لَمَلَكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ : تنجون من النار وتدخلون الجنة. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ  
مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

(١) الجمهور على أن اللص كالمحارب يناشد بالله تعالى أن يكف وينصرف وإن أبى يقاتل ويقتل ومن قتله اللص  
فهو في الجنة وإن قتل اللص فهو في النار لحديث الصحيح عن أبي هريرة قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ  
قال: أرأيت يا رسول الله إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: فلا تعطه مالك قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: قاتله.  
قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: فأنت شهيد. قال: فإن قتلته؟ قال: هو في النار».

(٢) روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث عدي بن حاتم أن رجلاً خطب عند النبي ﷺ فقال: من يطع الله  
ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى فقال رسول الله ﷺ: «س الخطيب أنت قل: ومن يعص الله ورسوله»  
(قل).



رِيدُونَ أَنْ يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٢٧﴾: دائم لا يبرح ولا يزول.  
 وَالسَّارِقُ: الذي أخذ مالا من حرز خفية يقدر بربع دينار فأكثر.  
 وَالسَّارِقَةُ: التي أخذت مالا من حرز خفية يقدر بربع دينار فأكثر.  
 فَأَقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا: أي اقطعوا من سرق منهما يده من الكوع.  
 جَزَاءُ بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ: عقوبة من الله تجعل غيره ينكل أن يسرق.  
 وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾: عزيز: غالب لا يحال بينه وبين مراده، حكيم: في تدبيره وقضائه.  
 فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ: بعد ظلمه لنفسه بمعصية الله تعالى بأخذ أموال الناس. ﴿وَأَصْلَحَ﴾.  
 فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ: أي يقبل توبته، ويغفر له ويرحمه إن شاء. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٢٩﴾.  
 أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ: خلقا ملكا وتدبيرًا.  
 يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ: أي تعذيبه لأنه مات عاصيا لأمره كافرا بحقه.  
 وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ: ممن تاب من ذنبه وأناب إليه ﴿بِإِذْنِهِ﴾. ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٣٠﴾.  
 ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنُكَ: الحزن ألم النفس يسببه خوف فوات محبوب.  
 الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ: بمعنى يسرعون فيه إذ ما خرجوا منه كلما سنحت فرصة للكفر أظهوره.  
 مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ <sup>(١)</sup>: هؤلاء هم المنافقون. ﴿وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾.  
 وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا: أي اليهود.  
 سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ: أي كثيرو الاستماع للكذب.  
 سَمِعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ: ليهود آخرين لم يأتوك وهم يهود خيبر.  
 يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ: يبدلون الكلام ويغيرونه ليوافق أهواءهم.  
 يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ: أي أعطيتم. أي إن أفتاكم في الزانين المحصنين بالجلد  
 والتحميم بالفحم فاقبلوا ذلك.  
 وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا: وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا قبول ذلك.  
 وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ: أي ضلاله لما سبق له من موجبات الضلال. ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾  
 شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ ﴿٣١﴾.

لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ: من الكفر والنفاق.

لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ: ذل. ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٣١﴾.

سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثَرُونَ لِلسُّخْتِ: كثيرو الأكل للحرام كالرشوة والربا <sup>(٢)</sup>.

(١) من: بيانية أي: بينت أن المسارعين في الكفر هم من المنافقين واليهود.

(٢) يرى مالك والشافعي أن اليهود إذا رفعوا للإمام قضية دم أو مال أو عرض حكم بينهم بما أنزل الله، وإن كان ما رفعوه لا يتعلق بالمال أو الدم أو العرض تركهم معرضا عنهم، وأبو حنيفة يرى الحكم بينهم مطلقا.

فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ : أي لا تحكم بينهم. ﴿وَإِنْ تَعْرِضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا﴾ .

وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ : أي بالعدل. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (١٤٢) وَكَيْفَ يُحْكِمُوكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴿ وَمَا أَوْلَيْتِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٤٣) : أي صدقًا وحقًا وإن ادعوه نطقًا. إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ : كتاب موسى ﷺ .

فِيهَا هُدًى وَنُورٌ : الهدى: ما يوصل إلى المقصود، والنور: ما يهدي السائر إلى غرضه. ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ .  
لِلَّذِينَ هَادُوا : اليهود (١).

وَالرَّبَّانِيُّونَ : جمع رباني: العالم المرابي الحكيم.

وَالْأَخْبَارُ : جمع خبر: العالم من أهل الكتاب. ﴿بِمَا أَسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (١٤٤) .

وَكُنِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا : فرضنا عليهم وأوجبنا في التوراة. ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَاللِّسْنَ بِاللِّسَنِ﴾ .  
وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ : مساواة.

فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ : أي تصدق على الجاني بالعفو عنه. ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (١٤٥) .

وَقَفِينَا عَلَىٰ عَاتِرِهِمْ : أتبعناهم. ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (١٤٦) وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ .

فَأُولَئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ (١٤٧) : الخارجون عن طاعة الله ورسوله.

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ : القرآن الكريم.

مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ : اسم جنس بمعنى الكتب السابقة قبله كالتوراة والإنجيل.

وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ : حاكمًا عليه أي: محققًا للحق الذي فيه، مبطلًا للباطل الذي التصق به. ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ .

لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا : شريعة تعلمون به وسبيلًا تسلكونه لسعادتكم، كما لكم من

(١) قد تكون (اللام) هنا بمعنى (على) أي: على الذين هادوا، وقد تكون على بابها ويكون لفظ عليهم محذوفًا أي: يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا وعليهم فحذف (عليهم).

سنن الهدى.

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً: لا اختلاف بينكم في عقيدة ولا في عبادة ولا في قضاء. ﴿وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾

فَأَسْتَفِئُوا الْخَيْرَاتِ: أي بادروا فعل الخيرات ليفوز السابقون. ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (١٨) ﴿وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ (١٩) ﴿وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ: يضلوك عن الحق.

فَإِنْ تَوَلَّوْا: أعرضوا عن قبول الحق الذي دعوتهم إليه وأردت حكمهم به.

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُضَيِّبَهُمْ (٢٠) بَعْضُ دُئُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٢١).

أَفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةِ بَعُونَ (٢٢): هو ما عليه أهل الجاهلية من الأحكام القبلية التي لا تقوم على وحي الله تعالى وإنما على الآراء والأهواء. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (٢٣) ﴿٤﴾

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا: صدقوا الله ورسوله ووعده. ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَى﴾

أَوْلِيَاءَ: لكم توالتهم بالنصرة والمحبة.

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ: أي اليهود ولي أخيه اليهودي، والنصراني ولي أخيه النصراني. ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١): الذين يوالون أعداء الله ورسوله ويتركون موالاته الله ورسوله

والمؤمنين.

فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ: نفاق وشك وشرك.

يُسْرِعُونَ فِيهِمْ: أي في البقاء على موالاتهم أي: موالاته اليهود والنصارى.

يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا آتَاءٌ: أي تدور علينا من جذب أو انتهاء أمر الإسلام.

فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِي بِالْفَتْحِ: نصر المؤمنين على الكافرين، والقضاء لهم بذلك كفتح مكة. ﴿أَوْ أَمْرٍ

مِنْ عِنْدِهِ، فَيُصِيبُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْمِيمًا (٥٢) وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (٥٣)

أَهْوَلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ: أقصاها وأبلغها. ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾

(١) هل هذه الآية ناسخة للتخيير السابق؟ أو لا نسخ ويقدر بعدها جملة - إن شئت - لتقدم ذكر التخيير، وما تقدم من توجيه في آية ﴿فَأَحْكَمَ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾ يحدد معنى هذه الآية.

(٢) وقد أصابهم فأجلوا من الحجاز وقتل بنو قريظة وضربت عليهم الجزية في ديار الإسلام.

(٣) ﴿أَفْحَكُمُ﴾ منصوب ييغون أي: أيغون حكم الجاهلية، إذ أهل الجاهلية من العرب يجعلون حكم الشريف خلاف حكم الوضع، واليهود يقيمون الحدود على الضعفاء والفقراء دون الأقوياء والأغنياء.

(٤) الاستفهام إنكاري أي: ينكر أن يكون هناك حكم أحسن من حكم الله تعالى.

(٥) فسر الحسن قوله تعالى: ﴿أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ بأنه إظهار أمر المنافقين والإخبار بأسمائهم والأمر بقتلهم، وهو تفسير عظيم عليه نور.

حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ : بطلت وفسدت فلم ينتفعوا منها بشيء؛ لأنها ما كانت لله تعالى. ﴿فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ .

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَرِّدٍ مِنْكُمْ عَنْ رَبِّهِمْ : أي يرجع إلى الكفر بعد إيمانه. ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ .

أَذَلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ : أرقاء عليهم رحماء بهم.

أَعَزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ : أشداء غلاظ عليهم.

يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ : عدل عاذل. ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ

﴿٥٨﴾ إِنَّهَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ .

فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ : أنصار الله تعالى. ﴿هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ .

لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا : الهزاء : ما يهزأ به ويسخر منه واللعب ما يلعب به.

مِنَ الَّذِينَ ءَاتَوْا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ : هم اليهود في هذا السياق.

وَالْكَفَّارَ : المشركون.

أَوْلِيَاءَ : أنصارًا وأحباءً وأحلافًا. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّكُمْ مَوْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ .

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ : أذنتم لها. ﴿اتَّخِذُواهَا هُزُوعًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ .

قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ هَلْ تَقْتُمُونَ مِنَّا : أي ما تتقمون منا، ومعنى: تتقمون هنا تنكرون منا وتعيون

علينا. ﴿إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾ .

وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾ : خارجون عن طاعة الله تعالى. بالكفر والمعاصي.

قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً : جزاء. ﴿عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ .

وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ : جمع قرد جبان معروف مجبول على التقليد والمحاكاة.

وَالْخَنَازِيرَ : جمع خنزير حيوان خبيث معروف محرم الأكل.

وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْعِدَّةَ : أي وجعل منهم عبد الطاغوت وهو الشيطان.

أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا : أي منزلة يوم القيامة في نار جهنم. ﴿وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَاءَ وَكُمْ قَالُوا

ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ : أي يضمرون في نفوسهم ويخفونه فيها <sup>(١)</sup>.

وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ : الإثم كل ضار وفساد وهو ما حرمه الله تعالى من اعتقاد

(١) أي أنهم ما آمنوا قط ولم يخالطوا الإيمان قلوبهم طرفة عين فهم دخلوا كافرين وخرجوا كافرين.

أو قول أو عمل، والعدوان: الظلم<sup>(١)</sup>.

وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ: المال الحرام كالرشوة والربا، وما يأخذونه من مال مقابل تحريف الكلم وتأويله. ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

لَوْلَا يَنْهَاهُمْ: لم لا ينهاهم.

الرَّبَّيْنِوَتِ وَالْأَحْبَارِ: الربانيون هنا العباد المرربون كمشايع التصوف عندنا<sup>(٢)</sup>. والأخبار: العلماء. ﴿عَنْ قَوْلِهِمُ الْآثِمِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ: يريدون أنه تعالى ضيق عليهم الرزق ولم يوسع عليهم.

عَلَّتْ أَيْدِيهِمْ: دعاء عليهم بأن يحرموا الإنفاق في الخير وفيما ينفعهم.

وَلَعْنُوا يَمَا قَالُوا: طردوا من رحمة الله بسبب وصفهم الرب تعالى بالبخل.

بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ: لا كما قالوا لعنهم الله: يد الله مغلولة أي: ممسكة من الإنفاق. ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ

يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ﴾.

إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا: طغيانًا: تجاوزًا لحد الاعتدال في قولهم الكاذب وعملهم الفاسد.

وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمْ: أي بين اليهود والنصارى<sup>(٣)</sup> ﴿الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

كَلِمًا أَوْ قَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ: أي نار الفتنة والتحريش والإغراء والعداوات للحرب. ﴿أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ: اليهود والنصارى. ﴿ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ

جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾<sup>(٥)</sup> وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ ﴿.

لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ: كناية عن بسط الرزق عليهم.

مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ: معتدلة لا غالية مفرطة، ولا جافية مفرطة<sup>(٤)</sup>. ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءٌ﴾.

مَا يَعْمَلُونَ<sup>(٦)</sup>: أي ساء ما يعملون من أعمال الكفر والشرك والشر والفساد.

﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ﴾: ذكر من بني آدم أوحى إليه شرع وأمر بتبليغه وهو هنا محمد ﷺ.

يَلْبِغُ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ: من التوحيد والشرائع والأحكام. ﴿وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾.

(١) الرؤية هنا بصرية والخطاب عام لكل من يسمع ويرى والمعنى: أن حالهم لا تخفى على أحد ذي بصر.

(٢) مع توافر شرطي الصواب والإخلاص إلا أنهم بالنسبة لشرط الصواب يدعون إلى الله تعالى دون معرفة الدليل في الغالب (قل).

(٣) الكلام صالح لأن يكون ﴿بَيْنَهُمْ﴾ المراد بهم اليهود أنفسهم كقوله تعالى: ﴿تَحَسَّبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَقِيَّةٌ﴾ وأن يكون المراد بين اليهود والنصارى لتقدم ذكرهم معًا في قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّبِعُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ والواقع شاهد.

(٤) لم تغل ولم تجف فلم تغل في عيسى: إنه ابن الله ولا ابن زنى؛ ولكن قالت: عبد الله ورسوله.

وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ\* : يحفظك حفظاً لا يصل إليك معه أحد بسوء. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٦٧) قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ\* وَلِيُزِيدَكُمْ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا\*.

فَلَا تَأْسَ : لا تأسف ولا تحزن. ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٦٨) ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾. وَالَّذِينَ هَادُوا : اليهود.

وَالصَّابِغُونَ<sup>(١)</sup> : جمع صابئ وهم فرقة من أهل الكتاب. ﴿وَالنَّصَارَى مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٩) ﴿٢﴾

لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ : الميثاق : العهد المؤكد باليمين. ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ رُسُلًا كَلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾.

بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ : بما لا يحبونه ولا تميل إليه أنفسهم المريضة.

فَرِيقًا كَذَّبُوا : أي كذبوا طائفة من الرسل.

وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ : وقتلوا طائفة أخرى.

وَحَسِبُوا أَنَّ أَتَاكُوكَ فَتَنَةٌ : أي أن لا يبتلوا بذنوبهم بالشدائد والمحن.

فَعَمُوا وَصَمُوا : عموا عن العبر وصموا عن سماع المواعظ. ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (٧١) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ\*.

إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ : أي يشرك بالله تعالى غيره من سائر الكائنات فيعبده مع الله بأي نوع من أنواع العبادات.

فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ : حكم بمنعه من دخولها أبداً إلا أن يتوب من الشرك. ﴿وَمَا أَوْلَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٧٢).

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ : الثلاثة هي الأب والابن وروح القدس : وكلها إله واحد. ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾.

(١) في ذكر المؤمنين وهم المسلمون مع اليهود والصابئين والنصارى إشارة أبلغ من عبارة وهي أن العبرة ليست بالأنساب ولا الانتساب ولا بزمان أو مكان، وإنما النجاة من النار ودخول الجنة متوقفان على الإيمان الصحيح بالله واليوم الآخر، والعمل الصالح الذي جاء به كتاب الله ورسوله محمد ﷺ.

(٢) اختلف في إعراب: ﴿وَالصَّابِغُونَ﴾ على أقوال نكتفي بقول منها وهو أن تكون مبتدأ وخبرها محذوف تقديره: والصابئون كذلك وتقدير الكلام إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون كذلك.

مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ : مضت قبله رسل كثيرين .  
وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ : أي مريم كانت صديقة كثيرة الصدق في قولها وعملها . ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ  
الطَّعَامَ أَنْظَرَ كَيْفَ نَبِّئْتِ لَهُمُ الْآيَاتِ ﴾ .

ثُمَّ أَنْظَرَ أَنِّي يُؤْفِكُوكَ ﴿ ٧٥ ﴾ : أي كيف يصرفون عن الحق وقد ظهر واضحاً .  
قُلْ أَنْعَبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿ ٧٦ ﴾ .  
قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ : الغلو : الإفراط في الشيء ومجاوزه الحد  
فيه فمثلاً : أمرنا بغسل اليدين في الوضوء إلى المرفقين فغسلهما إلى الكتفين غلو ، أمرنا بتعظيم  
الرسول ﷺ فدعاؤه غلو في الدين .

وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ : جمع هوى ، وصاحب الهوى هو الذي يعتقد  
ويقول بما يهواه لا بما قامت به الحجة وأقره الدليل من دين الله تعالى .  
وَأَضَلُّوا كَثِيرًا : أي أضلوا عدداً كثيراً من الناس بأهوائهم وأباطيلهم .  
وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿ ٧٧ ﴾ : سواء السبيل <sup>(١)</sup> : وسط الطريق العدل الذي لا ميل فيه إلى يمين  
ولا إلى يسار .

لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ : دعي عليهم باللعنة التي هي الإبعاد من الخير  
والرحمة وموجباتها . ﴿ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ .  
ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿ ٧٨ ﴾ : أي بسبب عصيانهم لرسولهم ، واعتدائهم في دينهم .  
كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ : أي لا ينهئ بعضهم بعضاً عن ترك المنكر .  
لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿ ٧٩ ﴾ <sup>(٢)</sup> : قبح عملهم من عمل وهو تركهم الأمر بالمعروف  
والنهي عن المنكر <sup>(٣)</sup> .

كَرِهِي كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا : يوادونهم ويتعاونون معهم دون المؤمنين .  
﴿ لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ ﴿ ٨٠ ﴾ .  
وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ : أي لو كانوا صادقين في إيمانهم بالله والنبي محمد ﷺ .  
وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِ .

مَا أَخَذُوا مِنْهُمُ أُورِثَةً : ما اتخذوا المشركين في مكة والمدينة من المنافقين أولياء . ﴿ وَلَكِنْ

(١) سواء السبيل هنا المراد به : الإسلام ، لأنهم ضلوا في دينهم قبل مجيء الإسلام ، ثم ضلوا عن الإسلام بعد مجيئه .

(٢) اللام : لام القسم جيء بها لتدل عليه وتؤكد الذم بصورة فظيعة .

(٣) نقل القرطبي عن ابن عطية رحمهما الله تعالى ، أن الاجماع منعقد على أن النهي عن المنكر فرض لمن أطاقه

وأمن الضرر على نفسه وعلى غيره من المسلمين ، فإن خاف فينكر بقلبه ويهجر صاحب المنكر ولا يخالطه .

كثيراً منهم فاسقون ﴿٨١﴾ (١).

﴿ لتجدنَّ أشدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا: العداوة: بغض نفسي تجعل صاحبها بعيداً ممن يعاديه فلا يصله بخير، ولا يقربه بمودة، وقد تحمله على إرادة الشر بالعدو. ﴿الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾.

﴿ ولتجدنَّ أقربهم مودةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا: المودة: حب نفسي يجعل صاحبه يتقرب إلى من يوده بالخير ودفع الشر. ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي﴾.

ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَتِيلِينَ: جمع قسيس: وهو الرئيس الديني لعلمه عند النصارى. وَرُهْبَانًا: الرهبان: جمع راهب: مشتق من الرهبة وهو الرجل في النصارى يتبتل وينقطع للعبادة في دير أو صومعة. ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٨٢).

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ: الرسول محمد ﷺ وما أنزل إليه آيات القرآن الكريم الدالة على تشریف عيسى ووالدته مريم عليهما السلام، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وأن مريم صديقة. رَأَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ (٢) وَمَا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَكُتِّبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾: جمع شاهد: من شهد الله بالوحدانية وللنبي محمد بالرسالة واستقام على ذلك. ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾.

وَنَطْمَعُ أَنْ يَدْخُلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾: جمع صالح: وهو من أدى حقوق الله تعالى كاملة من الإيمان به وشكره على نعمه بطاعته، وأدى حقوق الناس كاملة من الإحسان إليهم، وكف الأذى عنهم.

فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ بِمَا قَالُوا: جزاهم بما قالوا من الإيمان ووفقوا له من العمل. ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨٥) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرَمُوا: التحريم: المنع أي: لا تمنعوا. طَيِّبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ: أي ما أباحه لكم وأذن لكم فيه من نكاح وطعام وشراب. ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٨٧). وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا: مباحاً غير مستقذر ولا مستخبث. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (٨٨).

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ: لا يعاقبكم الله باللغو الذي هو ما كان بغير قصد اليمين.

(١) أي: كفرون إذ فسقوا عن دين الله وخرجوا عنه باليهودية الباطلة، وخرجوا عن الإسلام بالنفاق فهم كفرة منافقون يهود ملعونون.

(٢) تفيض أعينهم من الدمع أي بالدمع: وحروف الجر تتناوب.



وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمْ الْأَيْمَانَ : عزمتم عليها بقلوبكم بأن تفعلوا أو لا تفعلوا. ﴿فَكَفَّرْتُمُوهَا﴾  
إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ ﴿١﴾ .

مِنْ أَوْسَطٍ : أغلبه ولا هو من أعلاه ولا هو من أدناه.

مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ : من زوجة وولد. ﴿أَوْ كَسَوْتُمْهُمَّ﴾ .

أَوْ تَحْرِيرِ رَقَبَةٍ : عتقها من الرق القائم بها. ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾<sup>(١)</sup>

وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ<sup>(٢)</sup> : المتضمنة لأحكام دينه من واجب وحلال  
وحرام. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ : الخمر: كل مسكر كيفما كانت مادته وقلت أو كثرت،  
والميسر: القمار.

وَالْأَنْصَابُ : الأنصاب: جمع نصب. ما ينصب للتقرب به إلى الله أو التبرك به، أو لتعظيمه كتماثيل  
الرؤساء والزعماء في العهد الحديث.

وَالْأَزْلَمُ : جمع: زلم: وهي عيدان يستقسمون بها في الجاهلية لمعرفة الخير من الشر والريح من  
الخصارة، ومثلها قرعة الأنبياء، وخط الرمل والحساب بالمسبحة.

رَجَسٌ : الرجس: المستقذر حسًا كان أو معنًى، إذ المحرمات كلها خبيثة وإن لم تكن مستقذرة.

مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ : أي مما يزينه للناس ويحبيه إليهم ويرغبهم فيه ليضلهم.

فَاجْتَنِبُوهُ : اتركوه جانبًا فلا تقبلوا عليه بقلوبكم وابتعدوا عنه بأبدانكم.

لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ ﴿٤﴾ : تكملون وتسعدون في دنياكم وآخرتكم. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ  
الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾

وَيَصَّدِّكُمْ : أي يصرفكم. ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ .

فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ ﴿٥﴾ : أي انتهوا والاستفهام للأمر لا للاستخبار<sup>(٤)</sup> . ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ

(١) هذا إذا لم يستثن بأن يقول: إلا أن يشاء الله، أما من استثنى فلا كفارة عليه إذ لا إثم مع الاستثناء ولا بد للاستثناء من النطق بقول: إلا أن يشاء الله ولا يتم إلا بتحريك لسانه وشفثيه.

(٢) وفي الآية وجه آخر ذكره القرطبي وهو أن يبادر إلى إخراج الكفارة إذا حنت وهذا حفظها من النسيان ظاهرًا.

(٣) قال العلماء: الأيمان أربعة: يمينان يكفر فيهما إذا حنت ويمينان لا كفارة فيهما: فالأولان أن يقول: والله لأفعلن كذا ثم يحنت والثاني أن يقول: والله لا أفعل كذا ويحنت، واللذان لا كفارة فيهما: الأولي: لغو اليمين وهو أن يحلف على شيء يظنه كذا فيظهر خلافه، والثانية: أن يجري على لسانه الحلف وهو غير قاصد نحو: لا والله، بلى والله، والخامسة: اليمين الغموس، وهو أن يحلف متعمدًا بالكذب وكفارتها التوبة لا غير وإن كفر مع التوبة فحسن.

(٤) هذه الآية نزلت بعد وقعة أحد وكانت في السنة الثالثة من الهجرة أي في آخرها؛ ولكنها وقعت هنا في سورة المائدة بعد نزولها وهذه الآية هي الناسخة لإباحة الخمر.

وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلِّغُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾

لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا : أي إثم فيما شربوا من الخمر وأكلوا من الميسر قبل تحريم ذلك . ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَلْبُوكُمُ اللَّهُ : ليختبرنكم .

بَشَى مِنْ الصَّيْدِ : ما يصاد .

تَنَالَهُ أَيَدِيكُمْ : كبيض الطير وفراخه .

وَرِمَاحِكُمْ : جمع رمح ، ما ينال به هو الحيوان على اختلافه <sup>(١)</sup> .

لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ : ليظهر الله تعالى بذلك الاختبار من يخافه بالغيب <sup>(٢)</sup> فلا يصد (حين

حرم الله عليهم الصيد وهم حرم) .

فَمَنْ أَعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ : أي بعد التحريم بأن صاد بعدما بلغه التحريم . ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿١٦﴾

لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ : جمع حرام والحرام : المحرم لحج أو عمرة ويقال : رجل حرام وامرأة حرام . ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ ﴿١٦﴾﴾

مِنَ النَّعَمِ : النعم : الإبل والبقر والغنم .

يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ : أي صاحب عدالة من أهل العلم . ﴿هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةً طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ﴿١٦﴾﴾ : ثقل جزاء ذنبه حيث صاد والصيد حرام . ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿١٦﴾﴾

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ : المسافرين يتزودون به في سفرهم . وطعام البحر ما يقذف به إلى الساحل . ﴿وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ : الكعبة كل بناء مربع والمراد بها هنا بيت الله الحرام .

فِيمَا لِلنَّاسِ : يقوم به أمر دينهم بالحج إليه والاعتماد ، وديانهم بأمن داخله وجبي ثمرات كل شيء إليه .

وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ : أي المحرم والمراد به الأشهر الحرم الأربعة : رجب وذو القعدة والحجة ومحرم . وَأَهْدَى : ما يهدى إلى البيت من أنواع الهدايا .

(١) قوله : ﴿تَنَالَهُ أَيَدِيكُمْ﴾ يريد صغار الصيد، وفراخه وبيضه . ﴿وَرِمَاحِكُمْ﴾ هو كبار الصيد الذي لا يؤخذ باليد ولكن بألة الصيد .

(٢) أي ليظهر ذلك لهم إقامة للحجة عليهم أما هو ﷺ فعلمه بذلك أزلي سابق .

وَالْقَلِيدَ : جمع قلادة ما يقلده البعير أو البقرة المهدى إلى الحرم. ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٩٧) ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٩٨).

مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ : بلاغ ما أمره سبحانه بإبلاغه.  
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ : أي ما تظهرون وما تخفون.  
فَلَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ : الخبيث: مقابل الطيب وهو الحرام وهو عام في المحسوسات والمعقولات.

فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَّقُوا لِي الْآلِبَسِ : أصحاب العقول. ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ (١٠٠) ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُونَ عَنْ أَسْيَآءِ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ (١) : تظهر لكم تضركم. ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا﴾ (٢) ﴿حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدِّ لَكُمْ﴾ (٣).

عَفَا اللَّهُ عَنْهَا : سكت عنها فلم يذكرها أو لم يؤاخذكم بها. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (١٠١) .  
قَدَسَ أَلْهَآ قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ : طلبها غيركم من الأمم السابقة. ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ (١٠٢) .  
مَا جَعَلَ اللَّهُ : أي ما شرع.  
مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ : البحيرة (٣) : الناقة تبحر أذنها: أي تشق، والسائبة: الناقة تسبب.  
وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ : الوصيعة: الناقة يكون أول إنتاجها أنثى، والحام: الجمل يحمى ظهره للالهة. ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ وَأَكْثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٠٣) .  
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ : من الحق والخير. ﴿وَأِلَى الرَّسُولِ﴾ .  
قَالُوا حَسْبُنَا : يكفيننا.

مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا : من الباطل والضلال. ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (١٠٤) .  
يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا : صدقوا الله ورسوله واستجابوا لهما بفعل المأمور وترك المنهي.  
عَلَيْكُمْ أَنْفُسِكُمْ : ألزموا أنفسكم هدايتها وإصلاحها.  
لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ : إلى معرفة الحق ولزوم طريقه.  
إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا : ضللاً ولا مهتدين.

- (١) بعد انقطاع الوحي أمن الناس من نزول ما قد يسوء ومع هذا فإن سؤال التنطع والتعنت مكروه دائماً وفي الحديث الصحيح: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».
- (٢) إن قيل: ما وجه أنه تعالى نهاهم عن السؤال ثم أذن لهم بقوله: «وإن تسألوا عنها... إلخ؟ الجواب: إن تسألوا عن غيرها مما دعت الحاجة إليه، ففي الكلام حذف مضاف كما قدمناه فتأمل.
- (٣) وذلك إذا نتجت خمسة أبطن فإن كان الخامس ذكراً نحروه فأكله الرجال والنساء وإن كان أنثى بحروا أذنها أي شقوها وكانت حراماً على النساء لحمها ولبنها، والسائبة: بعير يسبب بنذر ينذره أحدهم للالهة إن حصل له كذا سبب كذا وترك فلا تمنع من رعي ولا ماء ولا يركبها أحد.

فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾: يخبركم بأعمالكم ويجازيكم بها.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ: الشهادة: قول صادر عن علم حاصل<sup>(١)</sup> بالبصر أو البصيرة، وبينكم: أي شهادة بعضكم على بعض. ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَشَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ﴾.

إِن أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ: أي بأن كنتم مسافرين. ﴿فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾. تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ: صلاة العصر.

فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ: شككتم في سلامة قولهما وعدالته. ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهْدَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَلِيمِينَ﴾ ﴿١٦﴾.

فَإِنْ عُرِيَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا: أي وقف على خيانة منهما فيما عهد به إليهما حفظه. ﴿فَأَخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ﴾ ﴿٢﴾ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدْنَا أَحَقَّ مِنْ شَهَدَتَيْهِمَا وَمَا أَعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٧﴾. ذَلِكَ أَذَقَ: أقرب.

أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهْدَةِ عَلَىٰ وَجْهَيَا: أي صحيحة كما هي لا نقص فيها ولا زيادة. ﴿أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُهُمْ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمَعُوا﴾.

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٨﴾: الذين لم يلتزموا بطاعة الله ورسوله في الأمر والنهي. ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ: أي اذكر يوم يجمع الله الرسل وذلك ليوم القيامة. ﴿فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ أي: لا علم لنا بباطن ما أجاب به أمننا. إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْعُيُوبِ ﴿١٩﴾: جمع غيب: وهو ما غاب عن العيون فلا يدرك بالحواس. ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقِبِي أَيْنَ مَرِّمٍ﴾

أَذْكَرَ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ: قويتك ونصرتك.

بِرُوحِ الْقُدُسِ: جبريل عليه السلام.

(١) قال ابن كثير رحمته الله: اشتملت هذه الآية على حكم عزيز، قيل: إنه منسوخ، وقال آخرون وهم الأكثرون. بل هو محكم، ومن ادعى نسخه فعليه البيان - قاله ابن جرير رحمته الله. اه (قل). وقال الجزائري أثابه الله:

هذا بناء على أن الآية غير منسوخة وهو قول الأقلية كأحمد بن حنبل رحمته الله وهو الراجح والآية دلالتها قوية عليه، وأما التخوف من قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ فلا داعي إليه مع وجود ضرورة السفر وانعدام وجود المسلم، كما لا محذور من تحليف الشاهد إذا حامت حوله ريبة أو شك في عدالته لا سيما في ظروف تقل فيها العدالة لفساد أحوال الناس؛ ولهذا ذهب في تفسير الآية على أنها محكمة والعمل بها جائز.

(٢) واحد الأوليان: الأولى بمعنى الأجدد والأحق، وعرفا باللام العهدية لأنه معهود للمخاطب ذهناً، والأوليان: الأحقان بالشهادة لقرابتهما من الميت، قال أهل العلم: إن هذه الآية في غاية الصعوبة إعراباً ونظماً وحكماً.

تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ : سرير الطفل الرضيع .  
 وَكَهَلًا : الكهل : من تجاوز سن الشباب أي ثلاثين سنة .  
 وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ : الخط والكتابة .  
 وَالْحِكْمَةَ : فهم أسرار الشرع، والإصابة في الأمور كلها . ﴿وَالتَّورَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ .  
 وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي : أي توجد وتقدر هيئة كصورة الطير . ﴿فَتَنْفُخُ فِيهَا  
 فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ .  
 وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي : الأكمة : من ولد أعمى، والأبرص : من به مرض البرص .  
 وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي : أي أحياء من قبورهم .  
 وَإِذْ كَفَفْتُ : أي منعت . ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِن هَذَا  
 إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (١١٠) .  
 وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ (١) : جمع حواري : وهر صادق الحب في السر والعلن . ﴿أَنْ ءَامِنُوا  
 بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (١١١) .  
 إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ (٢) : هل يطيع ويرضى .  
 أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ : المائدة الخوان وما يوضع عليه، أو الطعام . والمراد به هنا  
 الطعام . ﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١١٢) قَالُوا نُؤِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا .  
 وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا : أي تسكن بزيادة اليقين فيها . ﴿وَتَعْلَمُ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا﴾ .  
 وَتَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١٣) : أي نشهد أنها نزلت من السماء .  
 قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ .  
 تَكُونُ لَنَا عِيدًا : أي يومًا يعود علينا كل عام نذكر الله تعالى فيه ونشكره . ﴿لأَوْلَانَا وَءَاخِرِنَا﴾ .  
 وَءَايَةٌ مِنْكَ : علامة منك على قدرتك ورحمتك، ونبوة نبيك . ﴿وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾ (١١٤) .  
 قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ : فمن يكفر بعد نزول المائدة منكم أيها السائلون

(١) الوحي يكون بمعنى الإلهام لغير الرسول، أما الرسول فطرق الوحي إليهم جاءت في آخر سورة الشورى.

(٢) اضطربت نفوس المؤمنين في توجيه هذه العبارة: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ..﴾ كيف يقول هذا أنصار الله الحواريون وهو دال دلالة واضحة على جهل بالله تعالى وعدم معرفة الأدب مع نبيه عيسى عليه السلام، فمن قائل: أن يستطيع بمعنى: يطيع أي: هل يطيعك ربك في هذا؟، ومن قائل: إن قراءة ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ﴾ بالثناء، وربك معمول أي: هل تقدر على سؤال ربك أن ينزل إلخ، ومن قائل: إن هذا كان منهم في أول أمرهم قبل أن يتعلموا، ومن قائل: إن هذا صدر ممن كان مع الحواريين ولم يكن من الحواريين، وما ذكرته في التفسير أولى لانسجامه مع السياق إذ قول عيسى لهم: اتقوا الله، وقولهم: ونعلم أن قد صدقتنا دال على جهلهم بالله ومقام عيسى عليه السلام، وقد يكون أصحاب هذا القول ليسوا من فضلاء الحواريين، ولكن كالذين قالوا لرسول الله ﷺ اجعل لنا ذات أنواط، وكالذين قالوا لموسى عليه السلام: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، والله أعلم.

للمائدة: ﴿فَإِنِّي أَعَذَّبُهُ، عَذَابًا﴾ .

لَا أَعَذَّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ : أي من الناس أجمعين. ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ <sup>(١)</sup> يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ﴾ .

إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ : معبودين تعبدان من دوني.

قَالَ سُبْحٰنَكَ : تنزيهاً لك وتقديساً.

مَا يَكُونُ لِي : ما ينبغي لي ولا يتأتى لي ذلك. ﴿أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ، فَقَدْ عَلِمْتَهُ، تَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ .  
 أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا <sup>(٢)</sup> : رقيباً. ﴿مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ﴾ .  
 الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ : الحفيظ. ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ .

إِنْ تَعَذَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ : أي بنارك فإنهم عبادك تفعل بهم ما تشاء.

وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ : أي تستر عليهم وترحمهم بأن تدخلهم جنتك.

فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ : العزيز: الغالب الذي لا يحال بينه وبين مراده. الحكيم: الذي

يضع كل شيء في موضعه فيدخل المشرك النار، والموحد الجنة.

قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ : جمع صادق: وهو من صدق ربه في عبادته وحده. ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ : لأنه أثابهم بأعمالهم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ .

﴿١١٩﴾ .

لِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ : أي على فعل أي شيء تعلقته به إرادته

وأراد فعله فإنه يفعله ولا يعجزه بحال من الأحوال.



(١) هذا مثل ﴿أَنْ أَمُرُ اللَّهَ﴾ ، أتى بصيغة الماضي لتحقيق الوقوع وكذلك هناك ﴿وَإِذْ قَالَ﴾ فهو بمعنى: يقول، اذكر إذ يقول الله يا عيسى... إلخ.

(٢) شهيداً: أي رقيباً أراعي أحوالهم، وأدعوهم إلى العمل بطاعتك، وأنهاهم عن مخالفتك.

## ٦- سُورَةُ الْأَنْعَامِ

«مكية»

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ: الشاء باللسان على المحمود بصفات الجمال والجلال.  
 الَّذِي خَلَقَ: أنشأ وأوجد. ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ  
 يَعْدُلُونَ ﴿١﴾: يسوون به غيره فيعبودونه معه. ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾  
 وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ: الأجل: الوقت المحدد لعمل ما من الأعمال يتم فيه أو ينتهي فيه، والأجل  
 الأول أجل كل إنسان، والثاني أجل الدنيا.  
 ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾: تشكون في البعث الآخر والجزاء، كما تشكون في وجوب توحيد بعبادته  
 وحده دون غيره.

وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ: أي معبود في السموات وفي الأرض.  
 يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾: أي من خير وشر، وصلاح وفساد.  
 وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ: المراد بالآية هنا آيات القرآن الكريم الدالة على توحيد الله  
 تعالى والإيمان برسوله ولقائه يوم القيامة (١).  
 إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾: غير ملتفتين إليها ولا مفكرين فيها.  
 فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ: الحق هنا هو النبي ﷺ وما جاء به من الدين الحق.  
 فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ: أخبار ما كانوا به يستهزئون وهو عذاب الدنيا وعذاب الآخرة. ﴿مَا كَانُوا بِهِ  
 يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿٥﴾

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ: أي أهل قرن من الأمم السابقة، والقرن مائة سنة.  
 مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِنْ لَكُمْ: أعطيناهم من القوة المادية ما لم نعط هؤلاء المشركين.  
 وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا: مطرًا متواصلًا غزيرًا. ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾  
 فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ: أي بسبب ذنوبهم وهي معصية الله ورسوله.  
 وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾: خلقنا بعد إهلاك الأولين أهل قرن آخرين.  
 وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَابٍ: القِرطاس: ما يكتب عليه جلدًا أو كاغداً.  
 فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ: مسوه بأصابعهم ليتأكدوا منه. ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِسْحَارٌ مِمَّنْ﴾ ﴿٧﴾

(١) وجائز أن يراد بالآية أيضًا المعجزة كانشقاق القمر ونحوها.

وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ : الملك أحد الملائكة .

وَلَوْ أُنزِلْنَا مَلَكَ لَفُضِيَ الْأَمْرُ : أي أهلكوا وانتهت حياتهم .

ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ : لا يمهلون .

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ : ولو جعلنا الرسول إليهم ملكًا لإنكارهم البشر <sup>(١)</sup> لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا .

وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ : خلطنا عليهم . ﴿مَكِيلِسُونَ﴾ ﴿٩﴾ .

وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ : سخر وتهكم واستخف . ﴿رُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ .

فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ : حاق : نزل بهم العذاب وأحاط بهم

فأهلكوا . ﴿قُل سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ ﴿١٢﴾ .

كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ : أي أوجب على نفسه رحمة خلقه .

لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ : لا شك في مجيئه وحصوله في أجله المحدد له .

الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ : حيث لوثوها بأوضار الشرك والمعاصي فلم يتفنعوا بها . ﴿فَهُمْ لَا

يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٣﴾ .

﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ : أي ما استقر فيها من ساكن ومتحرك : أي له كل شيء . ﴿وَهُوَ

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿١٤﴾ .

قُلْ أَغْرَى اللَّهُ أَنفُسَهُمْ وَأَجَبَهُمْ وَأَنْصَرَهُمْ وَأَطْلَبَ نَصْرَهُ وَمَجَّبَهُمْ وَوَلَّيْتَهُ . ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ

يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٥﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ

عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿١٦﴾ .

مَنْ يُصِرْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ : أي من العذاب بمعنى يبعد عنه .

فَقَدَّرَ جَهَنَّمَ ، وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ : أي الواضح إذ النجاة من النار ودخول الجنة هو الفوز

العظيم .

وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ : يصبك .

يُضْرِبُ : الضرب : ما يؤلم الجسم أو النفس كالمرض والحزن .

فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسَّكَ بَخِيرٌ : الخير : كل ما يسعد الجسم أو الروح . ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ﴾ ﴿١٨﴾ .

وَهُوَ الْقَاهِرُ : الغالب المذل المعز . ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْغَنِيُّ﴾ ﴿١٩﴾ .

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً : الشهادة إخبار العالم بالشيء عنه بما لا يخالفه .

(١) أي لقالوا: كيف نفهم عن الملك ونحن بشر فيطالبون بأن يكون بشراً؟



قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۖ شَهِادَةُ اللَّهِ تَعَالَى لِي بِالنَّبِيِّ إِحَاوُهُ لِي بِهَذَا الْقُرْآنِ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ ۖ لَا أَخُوفُكُمْ بِمَا فِيهِ مِنْ وَعِيدِ اللَّهِ لِأَهْلِ عِدَاوَتِهِ .  
 وَمَنْ يَلُغْ ۖ وَأُنذِرْ كُلَّ مَنْ بَلَغَهُ وَسَمِعَ بِهِ . ﴿أَيْكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ ۖ﴾  
 قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَاحِدٌ ۖ مَعْبُودٌ وَاحِدٌ ، لِأَنَّهُ رَبُّ وَاحِدٍ إِذَا لَا يَعْبُدُ إِلَّا الرَّبَّ الْخَالِقَ الرَّازِقَ الْمُدَبِّرَ .  
 وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَشْرِكُونَ ﴿١٦﴾ أَي : مِنَ الشَّرِكِ وَالشَّرَكَاءِ مَعًا .  
 الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ : عُلَمَاءُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى .  
 يَعْرِفُونَهُ : يَعْرِفُونَ مُحَمَّدًا نَبِيًّا لِلَّهِ وَرَسُولًا لَهُ . ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَنبَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا : اخْتَلَقَ الْكُذْبَ وَزَوَّرَهُ فِي نَفْسِهِ وَقَالَ .  
 أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٨﴾ : لَا يَنْجُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾

ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاءُكُمْ : اسْتِفْهَامٌ تَوْبِيخِي لَهُمْ .  
 الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٩﴾ : تَدْعُونَ أَنَّهُمْ شُرَكَاءُ يَشْفَعُونَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ . ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ أَنْظَرَ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ : غَاب عَنْهُمْ وَلَمْ يَحْضُرْهُمْ مَا كَانُوا يَكْذِبُونَ بِهِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً : جَمَعَ كِنَانًا مَا يَكُنْ فِيهِ الشَّيْءُ كَالْغَطَاءِ .  
 أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا : ثِقْلًا وَصَمًّا فَهَمْ لَا يَسْمَعُونَ .  
 وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا ۖ آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ يُجَادِلُونَكَ : يَخَاصِمُونَكَ .  
 يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٢﴾ : جَمَعَ أُسْطُورَةً : مَا يَكْتُبُ وَيَحْكِي مِنْ أَخْبَارِ السَّابِقِينَ .

وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ : يَنْهَوْنَ النَّاسَ عَنِ الْإِيمَانِ بِالنَّبِيِّ ﷺ .  
 وَيَنْعَتُونَ عَنْهُ : أَي وَيَعِدُونَ عَنْهُ فَلَا إِيْمَانَ وَلَا مَتَابَعَةَ . ﴿وَإِنْ يَهْلِكُونَ﴾ (١) إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٣﴾  
 وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا بَلَيْتْنَا نَرُدُّ وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٤﴾ .  
 بَلْ بَدَأَهُمْ : بَلْ ظَهَرَ لَهُمْ . ﴿مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا هُمْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ .  
 وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا : مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا . وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٦﴾ : بَعْدَ الْمَوْتِ أَحْيَاءُ كَمَا كُنَّا قَبْلَ أَنْ نَمُوتَ .

وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ : جِيءَ بِهِمْ وَوَقَفُوا عَلَى قَضَائِهِ وَحُكْمِهِ تَعَالَىٰ فِيهِمْ .

(١) ﴿وَإِنْ يَهْلِكُونَ﴾ أَي : مَا يَهْلِكُونَ (إِنْ) بِمَعْنَى : مَا النَّافِيَةِ .

قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا: أي إنه للحق والله. ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾  
 قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ: أي خسروا أنفسهم في جهنم.

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً: ساعة: البعث ليوم القيامة وبغته: أي فجأة.

قَالُوا يَحْسَرُنَا: الحسرة: التندم والتحسر على ما فات، ينادون حسرتهم زيادة في التألم والتحزن. ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾.

وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ: أحمال ذنوبهم إذ الوزر الحمل الثقيل. ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِينُونَ

﴿٣١﴾﴾.

وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لُؤْلُؤٌ وَلَهْوٌ: اللعب: العمل الذي لا يجلب درهماً للمعاش ولا حسنة للمعاد. واللهو: ما يشغل الإنسان عما يعنيه مما يكسبه خيراً أو يدفع عنه ضيراً. ﴿وَلَلذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ: أي ليوقعك في الحزن الذي هو ألم النفس من جراء فقد ما تحب من هدايتهم أو من أجل ما تسمع منهم من كلم الباطل كتكذيبك<sup>(١)</sup>.

فَأَنتُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ: أي لا ينسبونك إلى الكذب في بواطنهم ومجالسهم السرية لعلمهم اليقين أنك صادق. ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ أَي كَذَّبَتْهُمُ أَقْوَامُهُمْ وَأُمَّمُهُمْ كَنُوحَ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ﷺ. ﴿فَصَبْرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنهَمْ نَصْرًا﴾ وَلَا مُبَدِّل لِكَلِمَاتِ اللَّهِ: التي تحمل وعده بنصر أوليائه وإهلاك أعدائه.

وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبِيِّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾: أي أخبارهم في دعواتهم مع أممهم. وَإِن كَانَ كَبْرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ  
 عن دعوتك وعدم إيمانهم بها.

فَإِن أَسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْنِعَ فِي الْأَرْضِ: تطلب سرّاً تحت الأرض.

أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ: أي مصعداً تصعد به إلى السماء.

فَتَأْتِيهِمْ بَيَّاتٍ: أي خارقة من خوارق العادات وهي المعجزات.

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾: أي فلا تقف موقف الجاهلين بتدبير

الله في خلقه<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ: أي لدعوة الحق التي دعا بها رسول الله ﷺ فيؤمن ويهتدي.

وَالْمُوقِنُ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ: أي يوم القيامة. ﴿ثُمَّ إِلَيْهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

(١) ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ﴾: كسرت إن في ﴿إِنَّهُ﴾ لدخول اللام في ﴿لَيَحْزَنُكَ﴾ ولولاها لفتحت نحو أنه يحزنك.

(٢) جازئ أن يكون المعنى: من الجهل الذي هو ضد العلم، والجهل الذي هو ضد الحلم ويناسب الأول قوله ﴿وَلَوْ

شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ والثاني قوله: ﴿وَإِن كَانَ كَبْرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ...﴾ الآية.

وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ۗ : هلا أداة تحضيض لا «لولا» الشرطية. آية: خارقة تكون علامة على صدقه.

﴿قُلْ إِنْ أَنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٧) : أي ما يترتب على إيمانها مع عدم الإيمان بعدها من هلاك ودمار.

وَمِمَّنْ دَابَّتْ فِي الْأَرْضِ (١) : الدابة كل ما يدب على الأرض من إنسان وحيوان. ﴿وَلَا تَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ﴾

مَا فَطَرْنَا فِي السَّمَاءِ مِنْ شَيْءٍ : كتاب المقادير أم الكتاب واللوح المحفوظ. ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (٢٨)

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُغُرُوا فِي الْأَرْضِ : صم: لا يسمعون، وبكم: لا ينطقون، في الظلمات لا يبصرون. مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ

وَمَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢٩) : هو الدين الإسلامي المفضي بالآخذ به إلى سعادة الدارين.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ : أخبروني.

﴿إِنْ أَنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣٠) : يوم القيامة.

﴿أَعْيُرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣١)

﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾ : يزيل ويبعد وينجي. ﴿وَتَنْسَوْنَ مَا تَشْرِكُونَ﴾ (٣٢) ولقد أرسلنا إلى أمير من قبلك ﴿ (٣)

فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفُ الْأُولَىٰ ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضَلُّونَ : البأساء: الشدائد من الحروب والأمراض والضراء: الضر.

لَعَلَّهُمْ يَنْصَرِعُونَ (٣٣) : يتدللون في الدعاء خاضعين. ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ ﴿

﴿إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً ۗ فِجَاءَةً وَعَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةً ۗ فَاذْهَبَتْهُمْ أَصْحَابُ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يُشْرِكُونَ﴾ (٣٥) : فإذ هم مبلسون (٣٥) : آيسون قانطون متحسرون حزنون.

فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا : آخرهم أي أهلكوا من أولهم إلى آخرهم.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٦) : الثناء بالجميل والشكر لله دون سواه.

(١) قال القرطبي: القول بحشر البهائم هو الصحيح، والبهائم وإن كان القلم لا يجري عليها في الأحكام ولكن فيها بينها تؤاخذ به.

(٢) قيل في ﴿يُحْشَرُونَ﴾: إن حشرها الموت، وقيل: حشرها: هو بعثها يوم القيامة حية وهذا أصح.

(٣) أي أرسلنا رسلاً: فرسلاً مضمر، وهناك إضمار آخر تقديره: فكذبوهم فأهلكناهم.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ : أخبروني وفي هذه الصيغة نوع من التعجب.

إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ : أي أصمكم وأعماكم. ﴿وَحَنَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ : جعلها لا تعي ولا

تفهم.

مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظِرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ : ننوع الأساليب لزيادة البيان والإيضاح. ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ : يعرضون (١).

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَعْتَهُ أَوْ جَهْرَةً : بغتة: بدون إعلام ولا علامة سابقة، والجهر: ما كان بإعلام وعلامة تدل عليه.

هَلْ يَهْلِكُ : أي ما يهلك. ﴿إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٤٨﴾ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٠﴾ .

قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ : جمع خزانة أو خزينة ما يخزن فيه الشيء ويحفظ (٣).

وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ : ما غاب عن العيون وكان محصلاً في الصدور وهو نوعان: غيب حقيقي، وغيب إضافي، فالحقيقي ما لا يعلمه إلا الله تعالى، والإضافي ما يعلمه أحد ويجعله آخر. ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنْ مَلَكَ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٥١﴾ . وَأَنْذِرْ بِهِ : خوف به : أي بالقرآن. ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيُّ وَلَا شَفِيعٌ لَهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ .

وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ : من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

وَالْعِشِيِّ : من صلاة العصر إلى غروب الشمس. ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ .

فَطَرَدَهُمْ : أي تبعدهم من مجلسك. ﴿فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ .

وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ : ابتلينا بعضهم ببعض الغني بالفقير والشريف بالوضيع.

(١) وفسر بغتة وجهره بـ(ليلاً ونهاراً) والكل صالح وصحيح.

(٢) ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ حالان مقدرتان من المرسلين أي ما نرسلهم إلا مقدرين تبشيرهم وإنذارهم، وفيهما معنى التعليل للإرسال، والتبشير: الأصل فيه الإخبار بالأمر السار، والإنذار: الإخبار بالخير الضار دينياً أو أخروياً، والمراد هنا بكل من البشارة والندارة نعيم الآخرة وعذابها.

(٣) هذا رد على المشركين في اقتراحاتهم المتعددة المتنوعة فأمر تعالى رسوله أن يرد عليهم بأنه لا يملك خزائن الله التي فيها الأرزاق حتى يعطيهم ما يطلبون ويقترحون، ولا هو يعلم الغيب حتى يخبرهم بموعد العذاب الذي يتظنهم، ولا هو ملك يقدر على ما لا يقدر عليه البشر، وإنما هو بشر يوحى إليه الخبر من ربه فيخبر به ويعمل به ليس غير.

لَيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَنُ بَيِّنَاتٌ : أي أعطاهم الفضل فهداهم إلى الإسلام دوننا.  
 أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ : المستوجبين لفضل الله ومثته بسبب إيمانهم وصالح أعمالهم.  
 وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا : دعاء بالسلام من كل مكروه، وهي تحية  
 المؤمنين في الدنيا وفي الآخرة في الجنة.  
 كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ : أي أوجب الرحمة على نفسه فلذا لا يعذب إلا بعد الإنذار،  
 ويقبل توبة من تاب.

أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا : أي ذنبًا أساء به إلى نفسه.  
 بِجَهْلَةٍ : الجهالة أنواع منها: عدم تقدير عاقبة الذنب، ونسيان عظمة الرب. ﴿ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ  
 وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾.

وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ أَلْبَسُوا : تتضح وتظهر.  
 قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ : أي نهاني ربي أي: زجرني عن عبادة أصنامكم.  
 الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ : تعبدون من دون الله. ﴿قُلْ لَا أُنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا وَمَا أَنَا  
 مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي : البينة: الحجة الواضحة العقلية الموجبة للحكم بالفعل أو الترك.  
 وَكَذَّبْتُمْ بِهِ : ما عندي ما تستعجلون به : أي من العذاب.  
 إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ : أي ما الحكم إلا لله.  
 يَقُضُ الْحَقُّ : أي يخبر بالحق.

وَهُوَ خَيْرُ الْفَصْلِينَ ﴿٥٧﴾ : الفصل في الشيء: القضاء والحكم فيه، والفاصل في القضية: الحاكم  
 فيها ومنهيا. ﴿قُلْ لَوْ أَنِّي عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَفُضِّي الْأَمْرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ  
 بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾<sup>(١)</sup> : المفاتيح: جمع مفتاح بفتح الميم أي المخزن.  
 لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ : البر ضد البحر، وهو اليابس من الأرض، والبحر ما  
 يغمره الماء منها.

وَمَا تَسْقُطُ مِن رَّوْقَةٍ : واحدة الورق والورق للشجر كالسعف للنخل.  
 إِلَّا لَا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ : واحدة الحب من ذرة أو بر أو شعير أو غيرها.  
 فِي ظُلُمَاتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ : الرطب ضد اليابس من كل شيء.  
 وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ : أي في اللوح المحفوظ كتاب المقادير.

(١) المفتاح والجمع مفاتيح، والمفتح عبارة عن كل ما يحل مغلقًا محسوسًا كالقفل للباب، أو معقولًا كالنظر.

وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ : أَي يُتِمِّمُكُمْ بِاسْتِئْثَارِ الْأَرْوَاحِ وَحِجْبِهَا عَنِ الْحَيَاةِ كَالْمَوْتِ .  
 وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ : أَي كَسَبْتُمْ بِجَوَارِحِكُمْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ .  
 بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى : أَي يُوقِظُكُمْ لِتُتَوَاصَلُوا الْعَمَلَ إِلَىٰ نَهَايَةِ الْأَجْلِ الْمَسْمُومِ لَكُمْ . ﴿٦٠﴾ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦١﴾ .  
 وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً : الْكِرَامَ الْكَاتِبِينَ .  
 حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا : مَلَكَ الْمَوْتِ وَأَعْوَانَهُ .  
 وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴿٦٢﴾ : أَي لَا يُضَيِّعُونَ وَلَا يَقْصِرُونَ . ﴿٦٣﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ لَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٤﴾ .

قُلْ مَنْ يُحْيِيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ : يَخْلُصُكُمْ مِمَّا تَخَافُونَ .  
 تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً : التَّضَرُّعُ : الدُّعَاءُ بِتَذَلُّلٍ ، وَخُفْيَةً بِدُونِ جَهْرِ الدُّعَاءِ .  
 لَيْنَ أَنْجِنَا مِنْ هَذِهِ : أَي الْهَلَكَةِ .  
 لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٥﴾ : الْمَعْتَرِفِينَ بِفَضْلِكَ الْحَامِدِينَ لَكَ عَلَىٰ فِعْلِكَ .  
 قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ : الْكَرْبُ : الشَّدَّةُ الْمَوْجِبَةُ لِلْحُزْنِ وَالْأَلَمِ الْجَسْمِ وَالنَّفْسِ .  
 ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْكِرُونَ ﴿٦٦﴾ : أَي بِهِ تَعَالَىٰ بِدُعَائِهِمْ أَصْنَامَهُمْ وَتَقَرُّبِهِمْ إِلَيْهَا بِالذَّبَائِحِ .  
 قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ : كَالْحِجَارَةِ وَالطُّوفَانَ وَالصَّوَاعِقَ .  
 أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ : كَالزَّلْزَالِ وَالْخَسْفِ وَنَحْوَهُمَا .  
 أَوْ يَلِيْسُكُمْ شَيْعًا : أَي يَخْلُطُ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ فَتَخْتَلِفُوا شَيْعًا وَأَحْزَابًا .  
 وَيَذِيقُ بَعْضُكُمْ بِأَسْبَاطِ بَعْضٍ : أَي يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَتَذِيقُ كُلِّ طَائِفَةٍ الْأُخْرَىٰ أَلْمَ الْحَرْبِ .  
 أَنْظِرْ كَيْفَ نَصَرَفَ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ ﴿٦٧﴾ : مَعَانِي مَا نَقُولُ لَهُمْ .  
 وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ : أَي قَرِيشٌ .  
 وَهُوَ الْحَقُّ : أَي الْقُرْآنُ .

قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦٨﴾ : الْوَكِيلُ : مَنْ يُوَكَّلُ إِلَيْهِ الشَّيْءُ أَوْ الْأَمْرُ يَدْبِرُهُ ، وَالْمَعْنَىٰ : لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ فَأَخَافُ مِنْ تَبِعَةِ عَدَمِ إِيْمَانِكُمْ وَتَوْحِيدِكُمْ .

لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ : الْمُسْتَقَرُّ : مَوْضِعُ الْإِسْتِقْرَارِ وَالنَّبَأُ : الْخَبْرُ الْعَظِيمُ . ﴿٦٩﴾ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ قَدْ أَنْبَأْتُكُمْ بِالْعَذَابِ ، وَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ يَوْمَ يَحِلُّ بِكُمْ ، وَقَدْ اسْتَقَرَّ نَبِيُّهُ يَوْمَ بَدْرٍ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ .  
 وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيَاتِنَا : يَتَكَلَّمُونَ فِي الْقُرْآنِ طَعْنًا فِيهِ وَنَقْدًا لَهُ وَلَمَّا جَاءَ فِيهِ .  
 فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ : قَمَّ مَحْتَجًّا عَلَىٰ صَنِيعِهِمُ الْبَاطِلِ ، غَيْرَ مُلْتَمِثٍ إِلَيْهِمْ . ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ .  
 وَإِنَّمَا يُنِيبُكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى : أَي بَعْدَ التَّذَكُّرِ . ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٧١﴾ .

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ: من تبعة ولا مسئولية<sup>(١)</sup>. وَلَعَنَ ذِكْرَى: أي موعظة لهم. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (٦٦).

وَذَرِ الَّذِينَ: أي اترك الكافرين.

اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَاطِلٍ وَلَهُوَ: كونه لعباً لأنه لا يجنون منه فائدة قط، وكونه لهواً لأنهم يتلهون به وشغلهم عن الدين الحق الذي يكملهم ويسعدهم.<sup>(٢)</sup>  
وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ: أي تسلم فتؤخذ فتحبس في جهنم. ﴿يَمَّا كَسَبْتُمْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾.

وَإِنْ تَعَدَّلَ كَلَّ عَدَلٍ: العدل هنا: الفداء. ﴿لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾.

أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا: حبسوا في جهنم بما كسبوا من الشرك والمعاصي.

لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ: الحميم الماء الشديد الحرارة الذي لا يطاق.

وَعَذَابٌ أَلِيمٌ: أي شديد الألم والإيذاء وهو عذاب النار. ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ (٧٠).

قُلْ أَدْعُوا: أي نعبد. ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾: أي ما لا يقدر على نفعنا ولا على

ضرننا لو أراد ذلك لنا.

وَنُرْدُ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ: أي نرجع كفاراً بعد أن كنا مؤمنين.

كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ: أي أضلته في الأرض فهو فيها تائه حيران لا يدري أين

يذهب.

﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتَيْنَا قُلُوبَهُمْ هُدًى اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِلنَّبِيِّ لِيَأْتِيَ الْبُرْجَانَ﴾ (٧١).

وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ: أي اتقوا الله بتوحيده في عبادته وترك معصيته. ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ

تُحْشَرُونَ﴾ (٧٢).

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ: أي في يوم القيامة.

﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾.

(١) ولكن إذا خاضوا في الباطل فقوموا ليكون ذلك ذكراً لهم فيكونون عن الخوض في آيات الله وهذا كان بمكة قبل قوة الإسلام، ونزل بالمدينة النهي عن الجلوس مع الكافرين والمنافقين إذا خاضوا في آيات الله (كما في الآية ١٤٠ من سورة النساء).

(٢) اختلف في الدين الذي اتخذه المشركون لهواً ولعباً، والظاهر أنه الإسلام الذي جاءهم الرسول ﷺ به إذ لا دين لله سواه وبعث الله تعالى إليهم رسوله به فهو دينهم ومع الأسف رفضوه واتخذوه لهواً ولعباً يسخرون ويستهزئون به.

(٣) قال القرطبي: ومعنى ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي بكلمة الحق يعنى قوله ﴿كُنْ﴾ وهو كما قال إلا أن القول أن بالحق بمعنى بحكمة أي لم يخلقها لهواً أو لعباً هذا أوضح وأهم.

وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ<sup>(١)</sup> : بوق كالقرن ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام.

عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْحَبِيرُ<sup>(٧٣)</sup> : في أفعاله الخبير بأحوال عباده.

❖ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : هو إبراهيم خليل الرحمن ابن آزر من أولاد سام بن نوح عليه السلام.

لِأَبِيهِ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : جمع صنم تمثال من حجر.

ءَالِهَةً : جمع إله بمعنى المعبود.

إِنِّي أُرِيدُكَ وَوَعْدَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ<sup>(٧٤)</sup> : عدول عن طريق الحق.

وَكَذَلِكَ نُرِي<sup>(٢)</sup> إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ : ملك. ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ<sup>(٧٥)</sup>﴾

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ : اظلم.

رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ : أي غاب. ﴿قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ<sup>(٧٦)</sup>﴾

فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا : طالعا والبزوغ الطلوع. ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي

لَأَكُونَنَّ

مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ<sup>(٧٧)</sup> : العادلين عن طريق الحق إلى طريق الباطل.

فَلَمَّا رَأَى السَّمَاسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقَوْمِرُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ<sup>(٧٨)</sup>

إِنِّي وَجْهْتُ وَجْهِيَ : أقبلت بقلبي على ربي وأعرضت عما سواه.

لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا : مائلا عن الضلال إلى الهدى. ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ

﴾<sup>(٧٩)</sup>

وَحَاجَّةٌ قَوْمُهُ : جادلوه وحاولوا غلبه بالحجة، والحجة: البينة والدليل القوي.

قَالَ آمَحْجُوتِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي : أتجادلونني في توحيد الله وقد هداني إليه، فكيف أتركه وأنا منه

على بينة.

وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي<sup>(٣)</sup> شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ<sup>(٨٠)</sup>

وَكَيفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ .

مَا لَمْ يُنَزَلْ بِهِ، عَلَيْكُمْ سُلْطَنًا : حجة وبرهاناً.

فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ : خلاف الخوف.

(١) الصور القرن والنافخ فيه إسرافيل عليه السلام والمراد بالنفخة هنا نفخة الفناء، والنفخة التالية لها نفخة البعث،

وهناك نفخة الصعقة وهم في ساحة القضاء، ونفخة رابعة وهي التي يقومون فيها لفصل القضاء.

(٢) نوري هو بمعنى أرينا الماضي.

(٣) قال هذا احتياطاً منه للتوحيد إذ من الجائز أن يعثر في حجر أو تشوكة أو يمرض بسبب وآخر فيقولون:

هذه آلهتنا قد أصابتك لأنك تسبها فهذا وجه الاستثناء هنا.



إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ : أَي لَمْ يَخْلَطُوا إِيمَانَهُمْ بِشُرْكَ. ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾.

وَوَهَبْنَا لَهُ: أَعْطَيْنَاهُ تَكَرُّمًا مِنَّا وَإِفْضَالًا.

إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ: إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، وَيَعْقُوبُ وَلَدُ إِسْحَاقَ وَيَلْقَبُ بِإِسْرَائِيلَ.

كُلًّا هَدَيْنَا: أَي كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا هَدَاهُ إِلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ.

وَنُوْحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ<sup>(١)</sup>: أَي ذُرِّيَّةَ إِبْرَاهِيمَ.

دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ: دَاوُدُ الْوَالِدُ وَسُلَيْمَانُ الْوَلَدُ وَكُلُّ مِنْهُمَا مَلِكٌ وَرَسُولٌ. ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى

وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾.

وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى: زَكَرِيَّا الْوَالِدُ وَيَحْيَى الْوَلَدُ وَكُلُّ مِنْهُمَا كَانَ نَبِيًّا رَسُولًا. ﴿وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ

الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَثُوطًا ﴿٨٦﴾.

وَكَوْنًا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾: أَي عَالَمِي زَمَانِهِمْ لَا عَلَى الْإِطْلَاقِ لِأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أَفْضَلُ

الأنبياء.

وَمِنَ ءَابَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ: أَي مِنْ بَعْضِ الْآبَاءِ وَالذَّرِيَّةِ وَالْإِخْوَةِ لَا الْجَمِيعِ.

وَأَجْنِبَيْنَاهُمْ: اخْتَرْنَا لَهُمُ لِلنَّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ.

وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾: إِلَى الْإِسْلَامِ.

ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ: الْهُدَى ضِدُّ الضَّلَالِ، وَهُدَى اللَّهِ مَا يَهْدِي إِلَيْهِ مَن أَحَبَّ

مِن عِبَادِهِ وَهُوَ الْإِيمَانُ وَالِاسْتِقَامَةُ.

وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾: أَي بَطَلَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَمْ يَثَابُوا عَلَيْهَا بِقَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ.

أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ<sup>(٢)</sup> وَالنَّبُوَّةَ: الْفَهْمُ لِلْكِتَابِ مَعَ الْإِصَابَةِ فِي الْأُمُورِ وَالسَّدَادَ فِيهَا.

فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هُنَّآءَ: يَجْحَدُ بِهَا أَي بِدَعْوَتِكَ الْإِسْلَامِيَّةِ هُنَّآءَ: أَي أَهْلَ مَكَّةَ.

فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾: هُمُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ.

أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَهُ: أَي اتَّبَعَ وَزِيدَتِ الْهَاءُ لِلسَّكْتِ.

قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا: أَي إِبْلَاجُ دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ ثَمَنًا مُقَابِلَ الْإِبْلَاجِ<sup>(٣)</sup>.

(١) يصح عود الضمير على نوح كما يصح عوده على إبراهيم قاله غير واحد من أهل التفسير؛ لأن ذكرهم قد مر معًا.

(٢) قال القرطبي: والحكم العلم والفقه وهو كذلك إلا أن ما في التفسير أوسع وأولى بالاعتماد عليه.

(٣) أي جمعًا على القرآن.

إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ : الذكرى: ما يذكر به الغافل والناسي فيتعظ.  
وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ: ما عظموه التعظيم اللائق به ولا عرفوه حق معرفته.

إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا بَشَرًا مِثِّي: أي إنسان من بني آدم.

قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى: التوراة. ﴿تُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾.

تَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا طَبِيسَ: جمع قرطاس: وهو ما يكتب عليه من ورق وغيره<sup>(١)</sup>.

تَبْدُونَهَا: تظهرونها.

وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعِلْمُهُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ: هذا جواب: من أنزل الكتاب؟

ثُمَّ ذَرَهُمْ: اتركهم. فِي حَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾: أي ما يخوضون فيه من الباطل.

وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ: أي مبارك فيه فخيره لا ينقطع، ويركته لا تزول.

مُصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ: أي مصدقًا لما بين يديه من الكتب كالتوراة والإنجيل أنزلناه ليؤمنوا به.

وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا: أم القرى مكة المكرمة.

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ<sup>(٢)</sup> يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾: يؤدونها بطهارة في أوقاتها

المحددة لها في جماعة المؤمنين.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا: اختلق على الله كذبًا، قال عليه ما لم يقل، أو نسب له ما هو منه

براء..

أَوْ قَالَ أَوْحَى إِلَيْنَا: الوحي: الإعلام السريع الخفي بواسطة الملك وبغيره. ﴿وَلَمْ يُوحِ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾.

وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ: شدائده عند نزع الروح.

وَأَمَلَتْكُمْ بِأَسْطُورِ أَيْدِيهِمْ: للضرب وإخراج الروح.

أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ: يقال لهم هذا توبيخًا لهم وتقريعًا أي خلصوها من هذا

العذاب إن أمكنكم.

عَذَابَ الْهُونِ: أي عذاب الذل والمهانة.

بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾.

وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَى: واحدًا واحدًا ليس مع أحدكم مال ولا رجال.

(١) جعلها اليهود قرطاس يبدون بعضها ويخفون، بعضها حسب أهوائهم وأطماعهم، هذا وقد فسرت الآية على قراءة يجعلونه بالياء وكذلك يبدون ويخفون أما على قراءة تجعلون بالياء فإن الخطاب يكون لليهود والسورة مكية فلذا رجح ابن جرير قراءة الياء.

(٢) يريد أتباع محمد ﷺ.

كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُمُ مَا حَوَّلْنَاكُمْ: ما أعطيناكم من مال ومتاع.  
وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ: أي في دار الدنيا. ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُمْ الَّذِينَ دَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾.

وَضَلَّ عَنْكُمْ: أي غاب.

مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾: تدعون كاذبين.

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾: شاق الحب كحب البر ليخرج منه الزرع، والنوى واحده نواة وشقها ليخرج منها الفسيلة (النخلة الصغيرة).

يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ: الدجاجة من البيضة.

وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ<sup>(١)</sup>: البيضة من الدجاجة.

ذَلِكُمْ اللَّهُ فَالِقُ الْوُجُوهِ ﴿٩٥﴾: كيف تصرفون عن توحيد الله الذي هذه قدرته إلى عبادة الجمادات.

فَالِقُ الْإِصْبَاحِ: الإصباح: بمعنى الصبح، وقلقه: شقه ليتفجر منه النور والضياء.

وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا: يسكن فيه الناس ويخلدون للراحة.

وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ حُسْبَانًا: أي حسابًا بهما تعرف الأوقات والليالي والشهور والسنون.

ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾: أي إيجاد وتنظيم العزيز الغالب على أمره العليم بأحوال وأفعال

عباده.

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النَّجْمَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ: أي ليهتدي بها المسافرون في معرفة

طرقهم في البر والبحر.

فَدَفَّضْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾.

وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ: هي آدم أبو البشر ﷺ.

فَمُسْتَقَرٌّ: أي في الأرحام<sup>(٢)</sup>.

وَمُسْتَوْدَعٌ: أي في أصلاب الرجال.

(١) ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ فيخرج الزرع الحي من الحب الميت ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ فيخرج الحب من الزرع الحي، والنخلة والشجرة من النواة الميتة أي يخرج النطفة الميتة من الحي وهو الإنسان ويخرج الإنسان الحي من النطفة الميتة.

(٢) قال عبد الله بن مسعود: لها مستقر في الرحم ومستودع في الأرض التي تموت فيها وهذا على قراءة مستقر، بفتح القاف بمعنى: لها مستقر، وأكثر المفسرين على ما جاء في التفسير أن المستقر ما كان في الرحم والمستودع ما كان في الصلب قال سعيد بن جبیر: قال لي ابن عباس: هل تزوجت؟ فقلت: لا. قال: فإن الله عز وجل يستخرج من ظهرك ما استودعه فيه. أما قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ فالمستقر هو القبر مودع. فيه الإنسان إلى يوم القيامة.

قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿١٨﴾ : أسرار الأشياء وعلل الأفعال فيهدون لما هو حق

وخير.

وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا : هو أول ما يخرج

من الزرع ويقال له: القصيل الأخضر.

تُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا : أي بعضه فوق بعض وهو ظاهر في السنبلة.

وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا : طلع النخل: زهرها.

قِنَوَانٌ : واحدة قنو وهو العذق وهو العرجون بلغة أهل المغرب.

دَانِيَةٌ ﴿١٩﴾ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ : من اللون وغير مشته في الطعم.

أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ : أي نضجه واستوائه.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾

وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴿٢١﴾ جمع شريك في عبادته تعالى.

الْجِنُّ : عالم كعالم الإنس إلا أنهم أجسام خفية لا ترى لنا إلا إذا تشكلت بما يرى.

وَخَلَقَهُمْ ﴿٢٢﴾ وَخَرَقُوا لَهُ : اختلقوا وافتاتوا.

بَيْنَ وَبَيْنَ يَغْفِرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٢٣﴾ : من صفات العجز بنسبة الولد

والشريك إليه.

بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : مبدع خلقهما حيث أوجدهما على غير مثال سابق.

أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ : أي كيف يكون له ولد؟ كما يقول المبطلون.

وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً : أي زوجة. ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٤﴾ ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ

إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٢٥﴾ .

لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ : لا تراه في الدنيا، ولا تحيط به في الآخرة.

وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ : أي محيط علمه بها.

(١) هذا قصار النخل إذ يجني ثمارها لمدة عشر سنوات والمرء يتناول منها بيديه وهو واقف عندها وبعد ذلك ترتفع وتطول فيرقى إليها.

(٢) صور اتخاذهم الجن شركاء ثلاث: الأولى: أنهم أطاعوا الجن فجعلوهم بطاعتهم لهم شركاء لله؛ إذ المطاع الحق هو الله تعالى، والثانية: قولهم: الملائكة بنات الله مع عبادتهم لهم فذلك معنى ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ﴾ لأن الملائكة لا يرون، كالجن قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَبَاً﴾ فسمى الملائكة جنًا لاجتنابهم واستتارهم عن عيون الناس، والثالثة: أن الزنادقة قالوا: الله خالق الماء والنور والدواب والأنعام وإبليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب.

(٣) قوله تعالى ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ يصح عود الضمير فيه على العادلين كما في التفسير، ويصح عوده على الجن الذين اتخذوهم شركاء لله يعبدونهم معه.

وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٣﴾ : اللطيف: الذي ينفذ علمه إلى بواطن الأمور وخفايا الأسرار فلا يحجبه شيء، وفسر اللطيف بالرفيق بعباده.

فَدَجَاءَكُمْ بِصَافِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ : البصائر جمع بصيرة: والمراد بها هنا الآيات المعرفة بالحق المثبتة له بطريق الحجج العقلية فهي في قوة العين المبصرة لصاحبها.

فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ. وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ ﴿١٤﴾ : وكيل مسئول.

وَكَذَلِكَ نَصْرُفُ الْآيَاتِ : نجرها في مجاز مختلفة تبيانا للحق وتوضيحا للهدى المطلوب.

وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ : أي تعلمت وقرأت لا وحيا أوحى إليك. ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٥﴾ أتبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴿١٦﴾ .

وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦﴾ (١) : أي لا تلتفت إليهم وامض في طريق دعوتك.

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا : أي لو شاء الله أن يحول بينهم وبين الشرك حتى لا يشركوا لفعل وما أشركوا. ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ ﴿١٧﴾ .

وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ : ولا تشتموا آلهة المشركين حتى لا يسبوا الله تعالى. عَدُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ : ظلما بغير علم.

كَذَلِكَ زَيْنَالِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ : حسنا لهم خيرا كان أو شرا حتى فعلوه.

ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ : أي غاية اجتهادهم في حلفهم بالله.

لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ : معجزة كإحياء الموتى ونحوها. ﴿لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلُوبٌ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ﴿١٩﴾ وَمَا يُشْعِرُكُمْ : وما يدريكم. ﴿أَنهَآ إِذْ جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَنذَرُ لَهُمْ : نتركهم في طغيانهم يعمهون ﴿٢١﴾ : حيارى يترددون.

﴿وَلَوْ أَنَّا زَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ : أجسام نورانية يعمرن السموات عباد مكرمون لا يعصون الله تعالى ويفعلون ما يؤمرون لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة. وَكَلَّمَهُمُ الْمُوتَى : جمع ميت: من فارقت الحياة أي: خرجت منه روحه. وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ : جمعنا. كُلُّ شَيْءٍ قَبْلًا : معاينة (٢). ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ﴿٢٢﴾ وَلَٰكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ : عظمة الله وقدرته وتدبيره وحكمته.

(١) هذا منسوخ بآية الجهاد.

(٢) أي شيئا سألوه وطلبوه.

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ: شياطين: جمع شيطان: وهو من خبث وتمرد من الجن والإنس.

يُوحَى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ: يعلم بطريق سريع خفي بعضهم بعضاً<sup>(١)</sup>.  
زُحِرْفَ الْقَوْلِ: الكذب المحسن والمزين.

غُرُورًا: للتغريب بالإنسان.

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾: يكذبون.

وَلِنَصِّغَنَّ إِلَيْهِ: تميل إليه.

أَفْعِدَّة الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرَوْهُ وَليَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾: وليرتكبوا الذنوب

والمعاصي.

أَفْعَبَرَ اللَّهُ أَبْتَعَى: أطلب، أغير منصوب بـ(أبتغي) أي أبتغي غير الله؟

حَكَمًا: الحكم: هو من يتحاكم إليه الناس.

وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ: أي أنزله لأجلكم لتتهدوا به فتكملوا عليه وتسعدوا.

مُفْضَلًا: مبينا لا خفاء فيه ولا غموض.

وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَلَيْسَ لَهُمْ عِلْمٌ: أي علماء اليهود والنصارى.

يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾: الشاكين، إذ الامتراء: الشك.

وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا: صدقًا في الأخبار فكل ما أخبر به القرآن هو صدق، وعدلًا في

الأحكام فليس في القرآن حكم جور وظلم أبدًا بل كل أحكامه عادلة.

لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ: أي لا مغير لها لا بالزيادة والنقصان، ولا بالتقديم والتأخير.

وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾: السميع لأقوال العباد العليم بأعمالهم ونياتهم وسيجزيهم بذلك.

وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ: الإسلام؛ إذ هو المفضي بالمسلم إلى

رضوان الله تعالى والكرامة في جواره.

إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾: يكذبون الناتج عن الحرز والتخمين.

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ: بمن يضل.

وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾: في سيرهم إلى رضوان الله باتباع الإسلام الذي هو سبيل الله.

فَكُلُّوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ: أي قیل عند ذبحه أو نحره: باسم الله والله أكبر. ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِنَا مُؤْمِنِينَ

﴿١١٨﴾

(١) يوحى بمعنى يلقي إليه الباطل المزين بطريق الوسواس فيهم ٢٠٠؛ إذ الإيهام بالإعلام السريع الخفي.

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا<sup>(١)</sup> مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ : أي بين لكم ما حرم عليكم مما أحل لكم وذلك في سورة «النحل» .  
إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ : أي ألجأتكم الضرورة وهي خوف الضرر من الجوع . ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾<sup>(٢)</sup> .

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ : المتجاوزين الحلال إلى الحرام، والحق إلى الباطل .  
وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ<sup>٥</sup> : اتركوا الإثم الظاهر والباطن وهو كل ضار فاسد قبيح .  
إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ : يكسبون الآثام والذنوب .  
وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ<sup>٦</sup> : أي الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه فسق عن طاعة الله تعالى .

وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِىَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجِدَ لَكُمْ : أي من الإنس ليخاصموكم في ترك الأكل من الميتة .  
وَإِنَّ أَطْعَمْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾<sup>(٣)</sup> : حيث أحلوا لكم ما حرم عليكم فاعتقدتم حله فكنتم بذلك عابديهم، وعبادة غير الله تعالى شرك .

أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا : الميت : فاقد الروح، والمراد : روح الإيمان .  
فَأَحْيَيْنَاهُ : جعلناه حيًا بروح الإيمان<sup>(٤)</sup> .  
وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا : صفته ونعته امرؤ في الظلمات ليس بخارج منها .

كَذَلِكَ زَيْنَ لِّلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ : مدينة كبيرة .  
أَكْبَرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمَّا كُرُوا فِيهَا : بفعل المنكرات والدعوة إلى ارتكابها بأسلوب الخديعة والاحتيال .

وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ : لأن عاقبة المكر تعود على الماكر نفسه لآية ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾<sup>٧</sup> .

وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ<sup>(٥)</sup> : أي من القرآن الكريم تدعوهم إلى الحق . ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ

(١) أي ما المانع لكم من أكل ما سميت عليه ربكم وإن قتلتموه بأيديكم؟

(٢) إذ قال المشركون للرسول والمؤمنين: ما ذبح الله بسكينه خير مما ذبحتم أنتم بسكاكينكم.

(٣) الآية دليل على أن من استحل شيئاً مما حرم الله تعالى صار به مشركاً وقد حرم الله سبحانه الميتة نصاً فإذا قبل تحليلها من غيره فقد أشرك . وقال ابن العربي: إنما يكون المؤمن بطاعة المشرك مشركاً - إذا أطاعه في الاعتقاد . أما إن أطاعه في الفعل وعقيدته سليمة مستمر على التوحيد والتصديق فهو عاصي غير كافر .

(٤) الآية عامة في كل كافر ومؤمن، والموت قد يطلق أيضاً على الجهل . فالجاهل ميت وحياته بالعلم .

(٥) هذه مقالة بعضهم قال الوليد بن المغيرة لرسول الله ﷺ: لو كانت النبوة حقاً لكنت أولئ بها منك لأنني أكبر سنّاً

حَتَّى تُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴿١١٤﴾: الصغار: الذل والهوان.

وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١١٤﴾ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ: شرح الصدر توسعته لقبول الحق وتحمل الوارد عليه من أنوار الإيمان، وعلامة ذلك: الإجابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزوله.

وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا: ضيقًا لا يتسع لقبول الحق، ولا لنور الإيمان. كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ: يصعب عليه قبول الإيمان حتى كأنه يتكلف الصعود إلى السماء. كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ: النجس وما لا خير فيه كالشيطان. عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١٥﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ: بينها وأوضحناها غاية البيان والتوضيح.

لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١١٦﴾: يذكرون فيتعظون.

﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: الجنة، والسلام اسم من أسماء الله تعالى فهي مضافة إلى الله تعالى. وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٧﴾: من الصالحات. وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْحِينَ قَدْ اسْتَكْرَثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ: أي من إضلال الإنس وإغوائهم. وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ: انتفع كل منا بصاحبه أي: تبادلنا المنافع بينما حتى الموت.

وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتِ لَنَا: أي الوقت الذي وقت لنا وهو أجل موتنا فمتنا.

قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَلِيلِينَ فِيهَا: مأواكم ومقر بقائكم وإقامتكم.

إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴿١١٨﴾ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١١٨﴾: حكيم في وضع كل شيء في موضعه فلا يخلد أهل الإيمان في النار، ولا يخرج أهل الكفر منها، وعليم بأهل الإيمان وأهل الكفران. وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا: أي نجعل بعضهم أولياء بعض بجامع كسبهم الشر والفساد. بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١١٩﴾: أي من الظلم والشر والفساد.

وأكثر منك مالا. وقال أبو جهل: والله لا نرضى به أبداً ولا نتبعه إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه.

(١) هو استثناء لبيان إرادة الله تعالى المطلقة التي لا يقيدتها شيء، إذ لو شاء أن يخرجهم من النار لأخرجهم أي ليس هو بعاجز عن ذلك، ومن الجائز أن يكون هذا الاستثناء المراد به من كان منهم من أهل التوحيد ودخل النار بالفسق والفجور وكبير الذنوب بإغواء الشياطين له فإنه يخرج من النار بإيمانه. اهـ. من أيسر التفاسير. وذكر الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره: (وقد روى ابن جرير وابن حاتم عن ابن عباس: ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَلِيلِينَ فِيهَا﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١١٨﴾ قال: إن هذه الآية آية ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه، ولا ينزلهم جنة ولا ناراً) (قل).



يَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ : أي من الظلم والشر والفساد.

يَمَعَّشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ : الاستفهام للتوبيخ، والرسل جمع رسول من أوحى الله تعالى إليه شرعه وأمره بإبلاغه للناس، هذا من الإنس أما من الجن فمنهم من يتلقون عن الرسل من الإنس ويبلغون ذلك لإخوانهم من الجن ويقال لهم (النذر).  
يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي : يخبرونكم بما فيها من الحجج متتبعين ذلك حتى لا يتركوا شيئاً إلا بلغوكم إياه وعرفوكم به.

وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا : أي يخوفونكم بما في يومكم هذا، وهو يوم القيامة من العذاب

والشقاء.

قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَعَرَّيْنَاهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ <sup>(١)</sup> وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ : لم تبلغهم دعوة تعرفهم برهم وطاعته وما لهم عليها من جزاء.

وَلِكُلِّ <sup>(٢)</sup> دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ : عن كل ما

سواه، فغناه تعالى ذاتي ليس بمكتسب كغنى غيره.

ذُو الرَّحْمَةِ : صاحب الرحمة العامة التي تشمل سائر مخلوقاته والخاصة بالمؤمنين من

عباده.

إِن يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ : أي ينشئ خلقاً آخر يخلفون الناس في الدنيا. ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ .

إِن مَّا تَوْعَدُونَ لَأْتِي : إن ما وعد الله تعالى به عباده من نعيم أو جحيم لآت لا محالة.

وَمَا أَنْشَأَكُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ : أي على ما أنتم متمكنون منه من

حال صالحة أو فاسدة.

إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ : أي الدار الدنيا هي سعادة الآخرة

القائمة <sup>(٣)</sup> على الإيمان والعمل الصالح.

إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾ : أي لا يفوز الظالمون بالنجاة من النار ودخول الجنان؛ لأن

ظلمهم يوبقهم في النار.

وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ : مما خلق.

(١) الباء في بظلم سببية أي بسبب ظلمهم، وجملة وأهلها غافلون حالية.

(٢) لكل عامل أي: من الإنس والجن.

(٣) العاقبة لغة آخر الأمر وأثر عمل العامل، فعاقبة كل شيء هي ما ينجلي عنه الشيء من نتيجة وأثر، وتأنيت العاقبة

بالنظر إلى تأويلها بالحالة والحالة مؤنثة.

مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ: الحرث كل ما يحرث له الأرض من الزروع، والأنعام: الإبل والبقر والغنم.

نَصِيبًا<sup>(١)</sup>: حظًا وقدرًا معينًا.

فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا: شركاؤهم أو ثانهم التي أشركوها في عبادة الخالق ﷻ. ﴿فَمَا كَانَتْ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup> شُرَكَائِهِمْ.

سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾: قبح حكمهم في ذلك إذ آثروا أو ثانهم على الله.

وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُرَدُّوهُمْ: اللام لام العاقبة ومعنى يردوهم: يهلكوهم. وَلَيْسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ<sup>(٣)</sup> لِيُخْلَطُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿١٣٧﴾

وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرَّتْ جِبْرٌ: أي ممنوعة على غير من لم يأذنوا له في أكلها.

لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءَ بِرِزْقِهِمْ وَأَنْعَمُ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا: أي لا يركبونها ولا يحملون عليها.

وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ: أي كذبًا على الله ﷻ. ﴿سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿١٣٨﴾

وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا.

وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا: أي إناثنا.

وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ: أي إن ولد ما في بطن الحيوان ميتًا فهم فيه شركاء

الذكور والإناث سواء.

سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ<sup>(٣)</sup> إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾.

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ: حمقًا وطيشًا وعدم رشد وذلك لجهلهم<sup>(٤)</sup>.

وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ: مما سبق ذكره.

(١) في الكلام إيجاز إذ حذف منه المقابل وهو وجعلوا لآلهتهم نصيبًا، وحذفه كان لدلالة ما بعده عليه.

(٢) فإن قيل: وهل كان لهم دين حق؟ الجواب! نعم كان لهم دين حق وهو ما جاءهم به إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام وبطول الزمان وفتنة الشيطان فسد عليهم.

(٣) أي كذبهم وقيل في الوصف كذب؛ لأنهم وصفوا بعض الأجنة بالحرمة وبعضًا آخر بالحلية وهو كقوله تعالى من سورة النحل: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾.

(٤) قال الجزائري أثابه الله تحت عنوان هداية الآيات ج ١، ص ٦٦٦ تعليقًا على هذه الآية: (حرمة قتل النفس لأي سبب، وتحديد النسل اليوم وإلزام الأمة به من بعض الحكام من عمل أهل الجاهلية الذين قتلوا أولادهم سفهًا بغير علم كقتل البنات خشية العار والأولاد خشية الفقر) ١. هـ. يقصد أثابه الله تعالى حرمة قتل النفس لأي سبب كان إلا بالحق لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس والزاني المحصن والتارك لدينه المفارق للجماعة» (قل).

أَقْبَرَاءَ عَلَى اللَّهِ: كذباً عليه. ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (١٤٠).  
 ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ﴾ : خلق جنات جمع جنة وهي البستان (١).  
 مَعْرُوشَاتٍ : ما يعمل له العريش من العنب.  
 وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ : ما لا يعرش له من سائر الأشجار (٢).  
 وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ: أي ثمره الذي يؤكل منه.  
 وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَاتَ مُتَشَابِهًا : في الورق.  
 وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ : في الحب والطعم.  
 كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ: ما وجب فيه من الزكاة.  
 يَوْمَ حَصَادِهِ: يوم حصاده إن كان حباً وجزاذه إن كان نخلاً (٣).  
 وَلَا تُسْرِفُوا: في إخراجها أي: بأن لا تبقوا لعيالكم منه شيئاً.  
 إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً: الحمولة ما يحمل عليها من الإبل.  
 وَفَرَشَاتٍ: الفرش: الصغار من الحيوان.  
 كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ: مسالكة في التحريم والتحليل للإضلال والغواية.  
 إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ: وهما الكبش والنعجة.  
 وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ: وهما التيس والعنزة.  
 قُلْ ءَالذَّكَرَيْنِ (٤) حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ: أنثى الضأن وأنثى الماعز ذكرًا كان أو أنثى.  
 نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ: خبروني بأيهما حرم بعلم صحيح لا بوسواس الشياطين. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٤٣) وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالذَّكَرَيْنِ (٥) حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ﴿٦﴾

- (١) الجنات: جمع جنة وهي البستان وسمى البستان جنة؛ لأنه لكثرة أشجاره يجن أي يستر الكائن فيه، وسمى الجنين في البطن جنيناً لاجتنانه واستتاره ببطن أمه.  
 (٢) وقيل: المعروشات ما يعنى به من الشجر على اختلافه، وغير المعروشات وهو شجر البوادي والجبال، وما في التفسير أولى لقوة دلالة اللفظ عليه.  
 (٣) كان قبل فريضة الزكاة يتعين على من حصده أو جد ثمره وأتاه المساكين أن يعطيهم شيئاً مما بين يديه قل أو كثر، ولما فرضت الزكاة وحددت مقاديرها خصص هذا بها حيث بين الحق الممجل هنا.  
 (٤) الاستفهام للإنكار أي ينكر عليهم أن يكون الله حرم ذلك.  
 (٥) إبطال لما حرموا من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي.  
 (٦) إبطال لقولهم: ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ﴾

أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْنَاكُمْ اللَّهُ بِهَذَا: أَي حاضرين وقت تحريمه تعالى ذلك عليكم إن كان قد حرمه كما تزعمون. ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٤٤) قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ ﴿محظورًا ممنوعًا على أكل يأكله.

إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا: الميتة: ما مات دون تذكية، والدم المسفوح: المصبوب صبًا لا المختلط باللحم والعظام.

أَوْ لَحْمَ خنزير فَإِنَّهُ رَجَسٌ: نجس وقدر قبيح محرم. أَوْ فَسَقًا أَهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ: الفسق الخروج عن طاعة الله، والمراد ما ذبح ولم يذكر اسم الله عليه وإنما ذكر عليه اسم الأصنام أو غيرها، والإهلال رفع الصوت باسم المذبح له.

فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَابٍ وَلَا عَادٍ اضطر: ألجأته الضرورة وهي خوف الهلاك، والباغي: الظالم والعادي: المجاوز للحد.

فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا: اليهود.

حَرَّمَ مَا كَلَّ ذِي ظُفْرِ: صاحب ظفر وهو الحيوان الذي لا يفرق أصابعه كالإبل والنعام (١) ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْعَنَزِ حَرَّمَ مَا عَلَيْهِمْ شُحُومُهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا﴾ أي الشحم العالق بالظهر، والحوايا: المباعر والمصارين والأمعاء (٢).

أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ: أي عفا لهم عن الشحم المختلط بالعظم كما عفا عن الحوايا والعالق بالظهر.

ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ يَغْيِبُونَ: أي بسبب ظلمهم. ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (١٤٦) فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ ﴿٣﴾

وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ: بطشه وعذابه.

وهما الناقة والجمال، ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾ وهما الثور والبقرة ﴿قُلْ أَلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَوْ الْإُنثَيَيْنِ أَمَا اشْتَمَلْتُمْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإُنثَيَيْنِ﴾، فهل حرم الذكرين أو الأنثيين. هذه الأزواج الأربعة فإن حرم الذكرين فسائر الذكور محرمة، وإن حرم الأنثيين فسائر الإناث محرمة، أم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين وحيثيذ يكون كل مولود منهما محرماً ذكرًا كان أو أنثى، وبهذا تبين أنكم كاذبون على الله مفترون؛ فالله تعالى لم يحرم من هذه الأزواج الثمانية شيئاً، وإنما حرم الميتة، وما لم يذكر اسم الله عليه.

(١) البط والأوز في ذي الظفر تفاسير أرجحها ما في التفسير وهو ما ليس بمنفرج الأصابع وقيل: الإبل خاصة، وقيل: كل ذي حافر من الدواب.

(٢) إلا ما حملت ظهورهما وأباح لهم من الشحوم ما حملته البقرة أو الشاة على ظهرها.

(٣) كليل: إن المراد بالمكذبين المشركون، وقيل: اليهود وكلاهما مكذب وكافر واللفظ يصدق عليهما معاً.



باتباع الإسلام والبعد عن غيره من الملل. ﴿فَنَفَرَقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَنَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٥٣).

ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ : التوراة.

تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ : تحتاج إليه أمة بني إسرائيل في عقائدها وعباداتها وفضائلها وأحكامها. ﴿وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ (١٥٤).

وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ : القرآن الكريم.

مُبَارَكٌ : خيريته ونفعه وبركته دائمة.

فَأْتِيَهُمْ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا : اليهود

والنصارى.

وَإِنْ كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَعَنَافِلِكَ ﴿١٥٦﴾ : أي قراءتهم لكتبهم؛ لأنها بلسانهم ونحن لا نفهم ذلك. ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَ كُفْرًا بَيْنَهُمْ مِّن رَّبِّكَمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ .

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا : أعرض عنها ولم يلتفت إليها.

سَجَزَى الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَن آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ : أي سعى العذاب وهو أشده. ﴿يَمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ

﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ .

أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ : أي علامات الساعة منها طلوع الشمس من مغربها. ﴿يَوْمَ

يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ .

أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا : من الطاعات والقربات.

قُلْ أَنْظِرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ : جعلوه طرائق ومذاهب تتعادي.

وَكَانُوا شِيْعًا : طوائف وأحزابًا.

لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ : أي أتى يوم

القيامة بالحسنة التي هي الإيمان بالله والإقرار بوحدانيته والعمل بطاعته وطاعة رسوله.

فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ : أي بالشرك بالله ومعاصيه.

فَلَا يُجْزَى إِلَّا أَمْثَلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا : أي مستقيمًا.

مِثْلَهُ إِبْرَاهِيمَ : أي دين إبراهيم عليه السلام وهو الإسلام.

حَنِيفًا : مائلًا عن الضلالة إلى الهدى.

وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي : ذبحي تقريبًا إلى الله تعالى (١).

(١) قيل: المراد من الصلاة هنا صلاة العيد لمناسبة النسك وهو الذبح تقريبًا وقيل: صلاة نافلة والعموم أولى. وكذا النسك يطلق على الذبح تقريبًا وهو مراد هنا ويطلق على سائر العبادات من الفرائض والنوافل لأن النسك هو التعبد.

وَمَحْيَايَ : حياتي. ﴿وَمَمَاتِي<sup>(١)</sup> لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أَمَرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ .  
 قَلَّ أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْنِي رَبًّا : أطلب ربًّا: إلها معبودًا أعبده.  
 وَهُورَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا : الخير والشر عليها.  
 وَلَا نُزِرُ وَإِزْرَةً : أي لا تحمل نفس وازرة أي: أئمة.  
 وَزَرَ أُخْرَى : أي إثم نفس أخرى. ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخَلِّفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ .  
 وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلْقَ الْأَرْضِ : أي يخلف بعضكم بعضًا جيل يموت وآخر يحيا إلى نهاية  
 الحياة.  
 وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَسْبُلُوكُمْ فِي مَاءٍ تَنَزَّلُ : أي ليختبركم فيما أعطاكم من الصحة  
 والمرض والمال والفقر والعلم والجهل. ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ .



(١) وقال القرطبي. في الآية: وما أوصي به بعد وفاتي وهو حسن ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَنَكَّسْتُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾ .

## ٧- سُورَةُ الْأَعْرَافِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَصِّ ①: هذه أحد الحروف المقطعة ويقرأ هكذا: ألف لام ميم صاد. والله أعلم بمراده بها. كِتَابٌ: أي هذا الكتاب.

أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ: ضيق.

لِنُنذِرَ بِهِ، وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ②: تذكرة بها يذكرون الله وما عنده وما لديه فيقبلون على طاعته.

اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ: رؤساؤهم في الشرك.

قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ③: أي تتعظون فترجعون إلى الحق.

وَكَم مِّن قَرْيَةٍ: أي كثيرا من القرى.

أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بِأَسْنَابِنَا: عذابنا ليلاً وهم نائمون.

أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ④: أي نائمون بالقيلولة<sup>(١)</sup> وهم مستريحون.

فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَانِ إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ⑤: أي ما كان دعاؤهم إلا قولهم إنا كنا

ظالمين.

فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ: هم الأمم والأقوام. ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ⑥﴾

فَلَنَقْضَنَّ عَلَيْهِمْ عِلْمَهُ: فلنخبرهم بأعمالهم متبعين لها فلا نترك منها شيئاً.

وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ⑦: أي عنهم أيام كانوا يعملون.

وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ: أي العدل.

فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ: أي بالحسنات.

فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُقْلِحُونَ ⑧: بدخول الجنة.

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ: بدخولهم النار والاصطلاء بها أبداً. ﴿بِمَا كَانُوا

يَعْبُدُونَ ⑨﴾

وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً: جمع معيشة بمعنى: العيش الذي يعيشه

الإنسان والمعنى جعلها قارة ممهدة لا تضطرب ولا تتحرك فيفسد ما عليها.

(١) من النوم إلى الظهيرة، وهي إما قبل الظهر أو بعده.



قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾: أي شكرًا قليلًا والشكر: ذكر النعمة للمنعم وحده والثناء بها عليه والطاعة بفعل محابه وترك مكارهه.

وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ: أي خلقنا<sup>(١)</sup> أباكم آدم أي: قدرناه من الطين، ثم صورناه على الصورة البشرية الكريمة التي ورثها بنوه من بعده إلى نهاية الوجود الإنساني. ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا: أي سجدوا تحية لآدم ﷺ.

إِلَّا إِبْلِيسَ: أبو الشياطين من الجن وكنيته أبو مرة، وهو الشيطان الرجيم. ﴿لَقَدْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾. قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا: أي من الجنة.

فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾: جمع صاغر: الذليل المهان. ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾.

قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي: أي فبسبب إضلالك لي. ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴿٢﴾.

قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا وَمَأْمُورًا: ممقوتًا مذمومًا مطرودًا. ﴿لَمَن يَبْعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١٨﴾.

وَيَتَّكِدُمُ اسْتَكْنُ أَنْتَ وَرَوْحُكَ: هي حواء التي خلقها الله تعالى من ضلع آدم الأيسر. الْجَنَّةُ: دار السلام التي دخلها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج. ﴿فَكَلَّا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾.

فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾: أي لأنفسهم. فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ: الوسوسة: الصوت الخفي، وسوسة الشيطان لابن آدم إلقاء معاني فاسدة ضارة في صدره مزينة؛ ليعتقدها أو يقول بها أو يعملها.

لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا: ليظهر لهما ما ستر عنهما. مِنْ سَوَاءٍ نَهْمًا: من عوراتهما. ﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةَ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ ﴿٢٠﴾.

وَقَاسَمَهُمَا: حلف لكل واحد منهما. ﴿إِنِّي لَكُمَا لَئِن تَصَيَّحْتُمَا﴾ ﴿٢١﴾.

(١) ويصح أن يقال: خلقناكم نطقًا ثم صورناكم، وما في التفسير أولى بالآية وأصح بدليل قوله: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾.

(٢) معناه: لأصدنهم عن الحق، وأرغبهم في الدنيا وأشككهم في الآخرة وهذا غاية الضلال، وقال بعضهم: المراد من قوله: ﴿بَيْنَ يَدَيْهِمْ﴾ من دنياهم ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ من آخرتهم، ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾ يعني حسناتهم، ﴿وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ يعني سيئاتهم.

فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ : أي أدناهما شيئاً فشيئاً بخداعه وتغريره حتى أكلتا من الشجرة. ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا﴾.

وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ : وجعلا يشدان عليهما من ورق الجنة ليسترا عوراتهما. وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾  
فَلَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا : أي بأكلهما من الشجرة.

وَإِنْ لَمْ تَعْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ : الذين خسروا دخول الجنة والعيش فيها. قَالَ أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ : مكان استقرار وإقامة.

وَمَتَّعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٢٤﴾ : تمت بالحياة إلى حين انقضاء آجالكم. ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ (١).

يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ بَدَنِكُمْ : يستر عوراتكم. وَرِيْشًا : لباس الزينة والحاجة.

وَلِبَاسُ الْقَوَى ذَلِكَ خَيْرٌ : خير في حفظ العورات والأجسام والعقول والأخلاق. ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ : دلائل قدرته. ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ ﴿٢٦﴾.

يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَقْنَنُكُمْ الشَّيْطَانُ : أي لا يصرفنكم عن طاعة الله الموجبة لرضاه ومجاورته في الملكوت الأعلى.

كَمَا أَخْرَجَ آدَمَ وَحَوَاءَ : ﴿مَنْ الْجَنَّةَ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ بَدَنِهِمَا﴾. ﴿إِنَّهُ يَرَبُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ : جنوده من الجن. ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَمَعْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٢٧﴾.

وَإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً : خصلة قبيحة شديدة القبح كالطواف بالبيت عراة. ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٨﴾.

قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ : العدل في القول والحكمة والعمل (٢).

وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ : أي اخلصوا العبادة لله واستقبلوا بيته.

وَأَدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ : كما بدأ خلقكم أول مرة يعيدكم بعد الموت أحياء. ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾.

إِنَّهُمْ أَخَذُوا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ : يوالونهم محبة ونصرة وطاعة من غير الله تعالى. ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿٣٠﴾.

(١) أي: للحساب والجزاء على الكسب في الدنيا من خير وشر.

(٢) القسط: العدل، وهو وسط بين الشرك والإلحاد. ولذا قال ابن عباس: القسط: لا إله إلا الله أي: بأن يعبد الله وحده.

﴿يَبْنِيءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ: أَي البسوا ثيابكم عند الدخول في الصلاة. وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا: فِي أَكْلِ وَلَا شَرَبٍ، وَالإِسْرَافُ مَجَاوِزَةُ الْحُدِّ الْمَطْلُوبِ فِي كُلِّ شَيْءٍ. إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٢١﴾﴾

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ: التَّحْرِيمُ: الْمَنْعُ، وَالزَّيْنَةُ: مَا يَتَزَيَّنُ بِهِ مِنْ ثِيَابٍ وَغَيْرِهَا <sup>(١)</sup>. وَالطَّيِّبَاتُ مِنَ الرِّزْقِ: جَمْعُ طَيْبٍ وَهُوَ الْحَلَالُ غَيْرُ الْمُسْتَحْبِثِ. قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَا يَشَارِكُهُم فِيهَا الْكُفَّارُ، لِأَنَّهُمْ فِي النَّارِ. ﴿كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ: جَمْعُ فَاحِشَةٍ وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا: الزُّنَى وَاللُّوَاطُ السَّرِي كَالْعَلْنِيِّ.

وَالْإِثْمُ: كُلُّ ضَارٍ قَبِيحٍ مِنَ الْخَمْرِ وَغَيْرِهَا مِنْ سَائِرِ الذُّنُوبِ. وَالْبَغْيُ بَغْيٌ أَلْحَقٌ: الظلم بغير قصاص ومعاقبة بالمثل. وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ: أَي الشُّرْكَ بِاللَّهِ وَهُوَ عِبَادَةٌ غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى. مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا: السُّلْطَانُ: الْحُجَّةُ الَّتِي تُثَبِّتُ بِهَا الْحَقُوقَ الْمَخْتَلَفَ فِيهَا أَوْ الْمْتَنَازِعَ عَلَيْهَا. ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾﴾

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ: وَقْتُ مَحْدَدٌ تَنْتَهِي إِلَيْهِ. ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٢٤﴾﴾

يَبْنِيءَ آدَمَ إِمَامًا يَأْتِيَنَّكُمْ: أَصْلُ إِمَامًا (إِنْ الشَّرْطِيَّةُ وَمَا زَائِدَةٌ) لِتَقْوِيَةِ الْكَلَامِ أَدْغَمْتَ فِيهَا إِنْ فَصَّارَتْ إِمَامًا. رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي: يَتْلُونَهَا عَلَيْكُمْ آيَةٌ بَعْدَ آيَةٍ مُبَيِّنِينَ لَكُمْ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنْ أَحْكَامِ اللَّهِ وَشَرَائِعِهِ، وَوَعَدِهِ وَعَيْدِهِ.

فَمَنْ أَتَقَى وَأَصْلَحَ: أَي الشُّرْكَ فَلَمْ يَشْرِكْ وَأَصْلَحَ نَفْسَهُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ. فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ: فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٥﴾: عَلَيَّ مَا تَرَكُوا وَرَاءَهُمْ أَوْ فَاتَهُمُ الْحُصُولُ عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا. ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ: الظلم وضع الشيء في غير موضعه، ولذا المشرك ظالم؛ لأنه وضع العبادة في غير موضعها حيث عبد بها من لا يستحقها. أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكَيْدِ: مَا قَدَّرَ لَهُمْ فِي كِتَابِ الْمَقَادِيرِ. حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوهُمْ: الْمُرَادُ بِهِمْ مَلِكُ الْمَوْتِ وَأَعْوَانُهُ. قَالُوا آيِنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا: غَابُوا عَنَّا فَلَمْ نَرَهُمْ وَلَمْ نَجِدْهُمْ. ﴿وَشَهِدُوا عَلَيَّ

(١) الزينة: هنا الملابس الحسن من غير ما حرم كالذهب والحريير على الرجال، ويطلق لفظ الزينة أيضًا على مطلق اللباس ولو لم يكن حسنًا.

أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ .

قَالَ أَدْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ : أي في جملة أُمَمٍ .  
كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آدَارُكُوا فِيهَا جَمِيعًا : أي تداركوا أو لحق بعضهم بعضًا حتى دخلوها كلهم .

قَالَتْ أَخْرَبْنَهُمْ لِأَوْلَادِهِمْ : الأتباع قالوا للرؤساء في الضلالة وهم المتبوعون : ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَفَاتِنَهُمْ عَدَابًا ضَعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أَوْلَادُهُمْ لِأَخْرَبْنَهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ ﴿٣٩﴾ .

فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ : من الظلم والشر والفساد . ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ﴿٤٠﴾ .

حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ : أي يدخل الجمل في ثقب الإبرة (١) .

وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ : الذين أجرموا على أنفسهم فأفسدوها بالشرك والمعاصي .  
لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ : فراش يمتهدونه من النار .

وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ : أغطية يتغطون بها من النار كذلك . ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤٢﴾ .  
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا : طاقتها وما تتحملة وتقدر عليه من

العمل .

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَزَعْنَا : أي أقلعنا وأخرجنا .

مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ : أي من حقد وعداوة .

نَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا : أي للعمل الصالح في الدنيا الذي هذا

جزاؤه وهو الجنة .

وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تَتَّكُمُ الْجَنَّةَ أَوْ رَسُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ

تَعْمَلُونَ ﴿٤٤﴾ : أي بسبب أعمالكم الصالحة من صلاة وصيام وصدقات وجهاد . ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبَّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ ﴿٤٥﴾ .

فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ : أي أعلن بأعلى صوته .

أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٦﴾ : أي أمره بطرد الظالمين من الرحمة إلى العذاب .

الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ : سبيل الله هي الإسلام والصد الصدق ، فهم صرفوا أنفسهم وصرفوا

غيرهم .

وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا : يطلبون الشريعة أن تميل مع ميولهم وشهواتهم فتخدم أغراضهم . ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ

(١) الخياط: أي المخيط .

كُفِرُونَ ﴿٤٥﴾ .

وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ : أي بين أهل الجنة وأهل النار حاجز فاصل وهو سور الأعراف.

وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ : سور بين الجنة والنار قال تعالى في سورة الحديد: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ سُورًا﴾ .  
يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِمَتِهِمْ : أي كل من أهل الجنة وأهل النار بعلاماتهم. ﴿وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ لَمَّا دَخَلُواهَا وَهُمْ يُطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ .

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ : أي نظروا إلى الجهة التي فيها أصحاب النار. ﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ .

وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا لَا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِمَتِهِمْ : السيماء العلامة الدالة على من هي فيه.

قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ : أي للمال وللرجال كالجيوش. ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ .  
أَهْتَوَلَاءَ : إشارة إلى ضعفاء المسلمين وهم في الجنة. ﴿الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾ ونَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ ﴿٥٠﴾ .

أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ : أي من الطعام بعد الشراب.

قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا : منعهما. ﴿عَلَى الْكٰفِرِينَ ﴿٥١﴾﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ كَمَا نَسَوْنَا يَوْمَ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥٢﴾﴾ .

وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ : أي أهل مكة أولاً ثم سائر الناس.

بِكِتَابٍ : القرآن العظيم.

فَصَلَّنَاهُ عَلَىٰ عَمِيرٍ : بيناه على علم منا فينا حلاله وحرامه ووعدته ووعدته وقصصه ومواعظه وأمثاله.  
﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٣﴾﴾ .

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ : تأويل ما جاء في الكتاب من وعد ووعد أي عاقبة ما أُنذروا به. ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ . يقول الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ مِنَّا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴿٥٤﴾ .

قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ : أي ذهب ولم يعثروا عليه.

مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٥٥﴾ : من أن آلهتهم وأولياءهم يشفعون لهم فينجونهم من النار ويدخلونهم الجنة. ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ﴾ .

(١) اختلف في القائل: والراجح أنه الله تعالى، وذلك بعد استقرار أهل الجنة فيها وأهل النار في النار ولم يبق إلا أصحاب الأعراف فيقول لهم الرب تبارك وتعالى: ﴿أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ﴾ .

فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ<sup>(١)</sup>: هي الأحد إلى الجمعة.

ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى الْيَلَّ النَّهَارَ: يغطي كل واحد منهما الآخر عند مجيئه.

يَطْلُبُهُ، حَيْثَا: سريعًا بلا انقطاع.

وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ: مذلات.

بِأَمْرٍ<sup>٢</sup> أَلَا: أداة استفتاح وتنبية.

لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ<sup>٣</sup>: أي له المخلوقات والتصرف فيها وحده لا شريك له<sup>(٤)</sup>.

تَبَارَكَ اللَّهُ: أي عظمت قدرته، وجلت عن الحصر خيراته وبركاته.

رَبُّ الْعَالَمِينَ<sup>(٥)</sup>: كل ما سوى الله تعالى فهو عالم أي علامة على خالقه وإلهه الحق.

أَدْعُوا رَبَّكُمْ: سلوه حوائجكم الدنيوية والأخروية فإنه ربكم فلا تستحيوا من سؤاله.

تَضَرَّعًا وَخُفْيَةً: أي حال كونكم ضارعين متذللين، مخفي الدعاء غير رافعين أصواتكم به.

إِنَّهُ لَا يَجُوبُ الْمُعْتََدِينَ<sup>(٦)</sup>: أي في الدعاء وغيره، والاعتداء في الدعاء أن يسأل ما لم تجر

سته بإعطائه أو إيجاده أو تغييره، ك(أن) يسأل أن يكون نبيًا أو أن يرد طفلًا أو صغيرًا، أو يرفع صوته بالدعاء.

وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ: أي بالشرك والمعاصي.

بَعْدَ إِصْلَاحِهَا: بالتوحيد والطاعات.

وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ<sup>(٧)</sup> مِنَ الْمُحْسِنِينَ<sup>(٨)</sup>: الذين يحسنون أعمالهم

ونياتهم بمراقبتهم الله تعالى في كل أحوالهم.

وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ: جمع ريح وهو الهواء المتحرك.

بُشْرًا: جمع بشير: أي مبشرات بقرب نزول المطر، قرئ نشرًا أي تنشر السحاب للأمطار.

بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ: أي رحمة الله تعالى وهي المطر.

حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا: أي حملت سحابًا ثقالًا مشبعًا ببخار الماء.

(١) أصل ستة: سدسة فأرادوا إدغام الدال في السين فالتقيا عند مخرج التاء فغلبت عليها فصارت ستة ولذا تصغر على سديسة وتجمع على أسداس، والجمع والتصغير يردان الأسماء إلى أصولها، ويقال: جاء فلان سادس ستة.

(٢) وقال ابن عيينة: فرق الله بين الخلق والأمر فمن جمع بينهما فقد كفر إذ قال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ فالخلق غير الأمر فمن قال: الأمر مخلوق فقد كفر.

(٣) عدم تأنيث قريب مع أنه خبر عن مؤنث، تكلم فيه كثيرًا وأحسن ما قيل في مثله أن لفظ قريب وبعيد إذا أطلق على النسب تعين التأنيث والتذكير بحسب المخبر عنه نحو: زيد قريب عمر، وعائشة قريبة بكر مثلاً، وما كان لغير النسب جاز تذكيره وتأنيثه قال تعالى: ﴿وَمَا يَذُرُّكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ وقال: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٍ﴾ فذكر في الموضعين مع أن الوصف عائد على مؤنث.

سُقْنَتُهُ لِبَلَدٍ مَّيْتٍ : لا نبات به ولا عشب ولا كلاً. ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ .  
كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى : أي كذلك نحیی الموتى ونخرجهم من قبورهم أحياء.  
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ : تذكرون فتؤمنون بالبعث والجزاء.

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ : أي الطيب التربة.  
يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ : أي خبثت تربته بأن كانت سبخة.  
لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا : أي إلا عسراً<sup>(١)</sup>.  
كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ : أي ننوعها ونخالف بين أساليبها ونذكر في بعضها ما لم نذكره في بعضها للهداية والتعليم.

لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ : لأنهم هم الذين ينتفعون بالنعم بشكرها بصرفها في محاب الله تعالى.  
لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ : هذا أول الرسل، هذا العبد الشكور هو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ أي: إدريس عليه السلام، أحد أولي العزم الخمسة من الرسل عاش داعياً وهادياً ومعلماً ألفاً ومائتين وأربعين سنة، ومدة الدعوة ألف سنة إلا خمسين عاماً، وما بعدها عاشها هادياً ومعلماً للمؤمنين. ﴿فَقَالَ يَتَوَمَّرُ عِبْدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ .

إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ : هو عذاب يوم القيامة.  
قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ : أشرف القوم ورؤساؤهم الذين يملئون العين والمجلس. ﴿إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَتَوَمَّرُ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ .  
أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ : أريد لكم الخير لا غير.  
وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْعَجِبْتُمْ : الاستفهام للإنكار، وعجبتهم الواو عاطفة والمعطوف عليه جملة هي كذبتهم أي أكذبتهم وعجبتهم.

أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ : أي العذاب المترتب على الكفر والمعاصي.  
وَلَنَنْفُتُوا وَلَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ : أي الله تعالى بالإيمان به وتوحيده وطاعته فترحمون فلا تعذبون.  
فَكَذَّبُوهُ فَأَجْجَنَهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ : هم المؤمنون من قومه والفلك: هي السفينة التي صنعها بأمر الله تعالى وعونه.

وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ : جمع عم وهو أعمى البصيرة أما أعمى العينين فيقال فيه: أعمى<sup>(٢)</sup>.

﴿وَالَّذِي عَادَ﴾ : أي ولقد أرسلنا إلى عاد، وعاد أبو القبيلة وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن

(١) النكد: العسر الممتنع من إعطاء الخير من الناس، وشبه به البلد الخبيث التربة كذات الحجارة أو السبخة.  
(٢) ﴿عَمِينَ﴾ : أي عن الحق وعن معرفة الله وقدرته ولطفه، وإحسانه يقال: رجل عم بكذا أي: جاهل به لا يعرفه.

نوح عليه السلام.

أَخَاهُمْ هُودًا: أخاهم في النسب لا في الدين. وهود هو هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح

عليه السلام.

قَالَ يَنْقُومِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَنْقُونَ ﴿٦٥﴾: أي أتصرون على الشرك فلا تتقون عذاب

الله بالإيمان به وتوحيده، والاستفهام إنكاري أي: ينكر عليهم عدم تقواهم لله عز وجل.

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنُكَ فِي سَفَاهَةٍ: السفاهة كالسفه وهو خفة العقل،

وقلة الإدراك والحلم. ﴿وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَنْقُومُ لَيْسَ بِ سَفَاهَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾.

أُتِلْفُكُمْ رَسُولَتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾: لا أخونكم ولا أغشكم ولا أكذبكم، كما أني

مأمون على رسالة لا أفرط في إبلاغها. ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾.

وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصَاطَةً: أي طولًا في الأجسام، إذ كانوا عمالق من عظم أجسادهم وطولها.

فَأَذْكُرُوا آيَةَ الْآءِ اللَّهُ: نعمه، واحدها إني والجمع آء.

لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ ﴿٦٩﴾: بالنجاة من النار في الآخرة، والهلاك في الدنيا.

قَالُوا أَجِئْنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَنَذَرَ: أي ترك.

مَا كَانَ يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا قَانِنًا يَمَّا تَعَدْنَا: أي من العذاب. ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ ﴿١﴾ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ ﴿٢﴾: سخط موجب للعذاب.

وَعَصَبٌ أَتَجِدُونَنِي: أي أتخاصمونني.

فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ ﴿٣﴾ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ: أي من حجة ولا برهان

يثبت أنها تستحق العبادة. ﴿فَأَنْظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧١﴾﴾.

فَأَجْبَيْتَهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا: دابر القوم: آخرهم؛ لأنه إذا

هلك آخر القوم هلك أولهم بلا ريب. ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

وَإِلَى ثَمُودَ: أي أرسلنا إلى ثمود، وثمود قبيلة سميت باسم جدها وهو ثمود بن عابر بن إرم

بن سام بن نوح.

أَخَاهُمْ صَالِحًا: أي في النسب وصالح هو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر

(١) ﴿قَدْ وَقَعَ﴾ بمعنى: وجب، يقال: وقع الحكم أو القول إذا وجب.

(٢) وفسر الرجس بالعذاب أو الرين على القلوب بزيادة الكفر.

(٣) ﴿أَتَجِدُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ﴾ أي: في الأصنام التي أطلقوا عليها أسماء كالكالات، والعزى ومناة عند قريش ومشركي العرب، فأطلق الاسم وأريد به المسمى.



ابن ثمود. ﴿قَالَ يَنْقَوْمٍ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ هَذِهِ نَاقَةٌ لِلَّهِ لَكُمْ آيَةٌ : علامة على صدقي في أني رسول الله إليكم (١) فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسَوْءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ الْيَمِّ ﴿٧٣﴾ هَذِهِ نَاقَةٌ لِلَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسَوْءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ الْيَمِّ ﴿٧٣﴾ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ: أنزلكم فيها منازل تحيون فيها.

تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا: تنجرون الحجارة في الجبال لتتخذوا

منازل لكم لتسكنوها.

فَأَذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ: نعم الله تعالى وهي كثيرة.

وَلَا تَعْتُوا: أي لا تفسدوا. ﴿فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ﴿٧٤﴾

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا: عتوا وطفغوا وتكبروا فلم يقبلوا الحق ولم يعترفوا به. ﴿مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنْتُمْ صَالِحًا مَرَّسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾

فَعَقَرُوا النَّاقَةَ: نحروها بعد أن عقروا قوائمها أي قطعوها، والناقة هي الآية.

وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ: تمردوا عن الأمر وعصوا فلم يطيعوا.

وَقَالُوا يَصْلِحُ أَمْرُنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ: المرة من رجف إذا

اضطرب، وذلك لما سمعوا الصيحة أخذتهم الرجفة.

فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِيمِينَ ﴿٧٨﴾: باركين على الركب كما يجثم الطير أي هلكى على ركبهم

أصل الجثوم للارانب وما شابهها.

فَتَوَلَّى عَنْهُمْ: بعد أن هلكوا نظر إليهم صالح وهم جاثمون وقال رائيًا لحالهم.

وَقَالَ يَنْقَوْمٍ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّكُمْ وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ ﴿٧٩﴾ ثم أعرض

عنهم وانصرف (٣).

وَلُوطًا: أي وأرسلنا لوطًا ولوط هو لوط بن هاران ابن أخي إبراهيم عليه السلام ولد في بابل

العراق (٤).

إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَجِشَةَ: هي الخصلة القبيحة وهي إتيان الرجال في أدبارهم.

(١) إضافة الناقة إلى الله تعالى للتشريف والتخصيص إذ كل ما في الكون هو لله عز وجل.

(٢) أي: ليس عليكم رزقها ومثوتها.

(٣) من الجائز أن يكون قد قال هذا وهم أحياء قبل موتهم كالأيس منهم وكونه قاله بعد موتهم أقرب كما في التفسير.

(٤) أرسله الله تعالى إلى أهل سدوم وعمورة قرب بحيرة لوط بالأردن، وهو المعروف بالبحر الميت، ويقال له:

بحيرة لوط.

مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾: أي من الناس. ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ  
النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ  
إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَنْطَهُرُونَ ﴿٨٢﴾

فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ. كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٢﴾: الباقيين في العذاب.

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا: أنزلنا عليهم حجارة من السماء كالمطر فأهلكتهم.

فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٣﴾: أي المفسدين للعقائد والأخلاق والأعراض.

وَالِئِنْ مَدِينُ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا: مدين أبو القبيلة وهو مدين بن إبراهيم الخليل وشعيب من أبناء

القبيلة فهو أخوهم في النسب حقيقة إذ هو شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين. ﴿قَالَ يَنْقُورُ  
أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ. قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ <sup>(١)</sup> مِنْ رَبِّكُمْ﴾

فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ: أي لا تنقصوا الناس قيم سلعتهم  
وبضائعهم، إذ كانوا يفعلون ذلك. ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ  
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾

وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ: طريق، وتوعدون تخيفون المارة وتأخذون عليهم  
المكوس أو تسلبونهم أمتعتهم <sup>(٢)</sup>.

وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ. وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا: أي تريدون سبيل الله - وهي  
شريعته - معوجة حتى توافق ميولكم. ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكُنْتُمْ كَثْرًا﴾

وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾: هم الذين يعملون بالمعاصي في البلاد. ﴿وَإِنْ  
كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ. وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾

فَأَصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا: يفصل بيننا فينجي المؤمنين ويهلك الكافرين. ﴿وَهُوَ خَيْرٌ  
الْحَكِيمِينَ ﴿٨٧﴾

﴿قَالَ الْمَلَأُ: أشرف القوم الذين يمثلون المجلس إذا جلسوا، والعين إذا نظر إليهم.

الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا: تكلفوا الكبر وهم حقيرون، حتى لا يقبلوا الحق.

مِنْ قَوْمِهِ. لَنُخْرِجَنَّكَ بِشُعَيْبٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا: مدينتنا.

(١) من الجائز أن يكون الله تعالى قد أعطى نبيه شعيباً آية ولم تذكر في القرآن، والراجح أنها حجة قوية قهرهم بها ولم  
يتمكنوا من ردها.

(٢) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: كانوا يقعدون على الطرقات المفضية إلى شعيب فيتوعدون من أراد المجيء  
إليه ويصدون عنه ويقولون: إنه كذاب فلا تذهب إليه، كما كانت قريش تفعله مع النبي ﷺ.  
ومثله الضرائب الفادحة التي تضرب على المسلمين في بلادهم والمكوس التي في الأسواق وغيرها مما اقتدى  
فيه المسلمون بالكافرين.

أَوْ لَتَعُوذُنَّ<sup>(١)</sup> فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَفَرِينَ ﴿٨٨﴾ قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ: في دينكم. ﴿بَعْدَ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهُ مِنْهَا مَنَاقِبًا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾<sup>(٢)</sup>. عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا: أي فوضنا أمرنا واعتمدنا في حمايتنا عليه.

رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا: أي يا ربنا احكم بيننا.

وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاضِلِينَ ﴿٨٩﴾: أي وأنت خير الحاكمين.

وَقَالَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ أَتَيْتُمْ شُعَيْبًا: أي على ما جاء به من الدين والهدى. ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِذًا

لَخَيْرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ: الحركة العنيفة كالزلزلة.

فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينًا ﴿٩١﴾: باركين على ركبهم ميتين.

الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا لَمْ يَغْتُوا فِيهَا: أي كان لم يعمرها وقيموا فيها زمناً طويلاً<sup>(٣)</sup>.

الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾: إذ هلكوا في الدنيا وأدخلوا النار في الآخرة.

فَنَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأْتُمْ: أي أحزن أو آسف

شديد الأسف. ﴿عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ: القرية: المدينة الجامعة لأعيان البلاد ورؤسائها وهي المدينة، وفي

الجملة إضمار تقديره: وما أرسلنا في قرية من نبي فكذب أهلها إلا أخذناهم.

إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ: بالشدة كالقحط والجوع والحروب.

وَالضَّرَّاءِ: الحالة المضرة كالأمراض والغلاء وشدة المؤونة.

لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿٩٤﴾: يدعون الله تعالى ويتضرعون إليه ليكشف عنهم السوء.

ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ: أي بدل الغلاء الرخاء، وبدل الخوف الأمن، وبدل المرض

الصححة.

حَتَّىٰ عَفَوْا: كثرت خيراتهم ونمت أموالهم، وأصبحت حالهم كلها حسنة.

وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً: أنزلنا بهم العقوبة فجأة.

(١) ﴿أَوْ لَتَعُوذُنَّ﴾: إما أن يراد به أتباع شعيب المؤمنون إذ كانوا قبل إيمانهم على دين قومهم، وإما أن يراد بكلمة ﴿أَوْ لَتَعُوذُنَّ﴾: لتصيرن إذ تكون عاد بمعنى: صار.

(٢) ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾: هذا الاستثناء كان من شعيب تأديباً مع الله تعالى بتفويض الأمر إلى مشيئته، وعودة غيره من أمته ممكنة ولكن عودته هو مستحيلة، وهذا الاستثناء منقطع بمعنى لكن أي: ما يقع منا العودة إلى الكفر لكن إن شاء الله ذلك كان، والله لا يشاء ذلك فهو إذا كقولك: لا أكلمك حتى يبيض الغراب أو ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾.

(٣) وفسر القرطبي الغنى: بالمقام يقال: غني القوم في دارهم أي: طال مقامهم.

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا : أي آمنوا بالله ورسوله ووعده الله ووعيده واتقوه تعالى بطاعته وعدم معصيته.

لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ : جمع بركة وهي دوام الخير وبقاؤه والعلم والإلهام. والمطر من بركات السماء، والنبات والخصب والرخاء والأمن والعافية من بركات الأرض.

وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾ : من الشرك والمعاصي.

أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا<sup>(١)</sup> بِيَتَاءُ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٧﴾ : أي ليلاً وهم نائمون. ﴿أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ﴾ ﴿١٨﴾ .

أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ<sup>٢</sup> : استدراجه تعالى لهم بإغداق النعم عليهم من صحة الأبدان ورخاء العيش حتى إذا آمنوا مكره تعالى بهم، أخذهم بغتة.

فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ أَوْلَىٰ يَهْدِ : أي أو لم يبين لهم بمعنى يتبين لهم.

لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّو نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ : أي بسبب ذنوبهم. ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ .

تِلْكَ الْقُرَىٰ : الإشارة إلى قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب.

نُقِصَّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا : أي من أخبارها.

وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ : بالحجج والبراهين الدالة على توحيد الله وصدق رسله.

فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ<sup>(٣)</sup> : أي من قبل خلقهم ووجودهم إذ علم الله تعالى

تكذيبهم فكتبه عليهم في كتاب المقادير. ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٢١﴾ .

وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ : أي لم نجد لأكثرهم وفاء بعهودهم<sup>(٣)</sup> التي أخذت عليهم يوم

أخذ الميثاق.

وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ : أي من بعد نوح وهود وصالح ولوط

وشعيب.

(١) الاستفهام للإنكار والتعجب معاً، ومكر الله تعالى: إمهالهم وإغداق الخير عليهم مع شركهم وكفرهم، إذ المكر: أن يظهر المرء الإحسان لمن يمكر به ليأخذه فجأة، والأمن من مكر الله تعالى زيادة على أنه كبيرة من كباثر الذنوب فإنه يؤدي بالأمن إلى هلاكه دنيا وأخرى.

(٢) اختلف في المضاف إليه المحذوف في قوله: ﴿بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ﴾ هل المراد: من قبل خروجهم للحياة الدنيا وهم في عالم الأرواح حيث أمروا بالإيمان فكذبوا فكتب الله عليهم ذلك فلن يكون إلا هو، أو لو أحييناهم بعد إهلاكهم بذنوبهم لما آمنوا بما كذبوا به فكان سبب هلاكهم، أو سألوا المعجزات ليؤمنوا فلما رأوها لم يؤمنوا بما كذبوا من قبل رؤيتهم المعجزات، والراجع من هذه المقولات ما هو في التفسير إذ هو قول ابن جرير إمام المفسرين.

(٣) وجائز أن يكون ما أخذ عليهم من قبل الأنبياء أن يعبدوا الله وحده ويطيعوه ولا يعصوه.

مُوسَى : هو موسى بن عمران من ذرية يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام.  
 بِتَائِبَاتٍ : هي تسع آيات: العصا، واليد، والسنون المجذبة، والدم، والطوفان، والجراد،  
 والقمل، والضفادع، والطمس على أموال فرعون.  
 إِلَى فِرْعَوْنَ : أي بعث موسى الرسول إلى فرعون وهو الوليد بن مصعب بن الريان، ملك مصر.  
 وَمَلَائِكَةٍ : أي أشرف قومه وأعيانهم من رؤساء وكبراء.  
 فَظَلَمُوا بِهَا : أي ظلموا أنفسهم بالآيات وما تحمله من هدى حيث كفروا بها. ﴿فَانظُرْ كَيْفَ  
 كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١٣) وَقَالَ مُوسَى يَنْفِرَعُونَ<sup>(١)</sup> إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾ حَقِيقٌ<sup>(٢)</sup> عَلَى أَنْ لَا  
 أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴿١٥﴾ .  
 قَدْ جِئْتُمْكُمْ بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ : حجة قاطعة وبرهان ساطع على أني رسول الله إليكم. ﴿فَأَرْسِلْ  
 مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (١٥) قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِتَائِبَاتٍ فَأَتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٦﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ  
 ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿١٧﴾ ﴿١٧﴾ .  
 وَنَزَعَ يَدَهُ : أخرجها بسرعة من جيبه. ﴿فَإِذَا هِيَ بِضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ﴾ (١٨) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ ﴿١٩﴾ .  
 إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠﴾ : أي ذو علم بالسحر خبير به ليس مجرد مدع.  
 يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ : أي من بلادكم ليستولي عليها ويحكمكم.  
 فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٢١﴾ : أي أشيروا بما ترون الصواب في حل هذا المشكل.  
 قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ : أي أمهله وأخاه ولا تعجل عليه قبل اتخاذ ما يلزم من الاحتياطات.  
 وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ : مدن المملكة الفرعونية.  
 حَشِيرِينَ ﴿٢٢﴾ : رجالاً يجمعون السحرة الخبراء في فن السحر للمناظرة. ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحْرِ  
 عَلِيمٍ﴾ (٢٣) ﴿٢٣﴾ .<sup>(٣)</sup>

(١) فرعون: علم جنس لمن يملك مصر في القديم ككسرى: لكل من يملك فارساً وقيصر: لكل من يملك الروم ونمرود: لمن ملك الكنعانيين، والنجاشي: للأحباش، وتبع: لحمير، ونداء موسى له بقول يا فرعون، فيه نوع احترام، إذ ناداه بعنوان الملك والسلطان.

(٢) قرأ نافع: (حقيق علي) بياء الضمير المشددة وهي بمعنى: واجب علي خبر ثانٍ لأن في قوله: ﴿إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وقرأ غيره (علي) حرف جر أي: محقوق بأن لا أقول على الله إلا الحق، فحقيق: فعيل بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول.

(٣) حيث كان الملوك وأشبهاهم يقربون السحرة منهم للسيطرة بهم على الناس، روى الإمام أحمد في حديث قصة أصحاب الأخدود أن رسول ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم ملك وكان له ساحر...» وقد ذكره ابن كثير رحمته الله بطوله في تفسيره لسورة البروج. ومن أعظم أنواع وسائل السحر في عصرنا هذا تلك الأجهزة المرئية (التليفزيون) والتي للأسف قد غزت كثيراً من بيوت المسلمين حتى بعض الملتزمين منهم (إنا لله وإنا إليه راجعون). (قل).

وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ : السحرة: جمع ساحر هو من يتقن فن السحر ويؤثر في أعين الناس

بسحره.

قَالُوا إِنْ لَنَا لَأَجْرٌ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ : أي ثوابًا من عندك أي: أجرًا تعطينه إن نحن غلبنا. ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَمُوسَى ﴿١١٥﴾

إِنَّمَا أَنْ تُلْقَى وَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ : لعصينا. ﴿ قَالَ الْقَوْمُ ﴿١١٦﴾

فَلَمَّا الْقَوْمُ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ : حيث صار النظارة في الميدان يشاهدون عصي السحر

وحبالهم يشاهدونها حيات وثمانين تملأ الساحة.

وَأَسْرَهُبُهُمْ : أي أدخلوا الرعب والرعب في قلوب الناس من قوة أثر السحر في عيونهم.

﴿ وَجَاءَهُ وَسِحْرٌ عَظِيمٌ ﴿١١٦﴾

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ : تأخذ بسرعة فائقة وحذق عجيب.

مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ : ما يلقبون بسحرهم وتمويههم.

فَوَقَعَ الْحَقُّ : ثبت وظهر. ﴿ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾

فَعَلِبُوا هُنَالِكَ وَأَنْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ : ذليلين.

وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿١٢٠﴾ : ساقطين على وجوههم سجدًا لربهم رب العالمين. ﴿ قَالُوا ءَأَمَّنَّا

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴿٢﴾

قَالَ فِرْعَوْنَ ءَأَمَنْتُمْ بِهِ : أي صدقتموه فيما جاء به ودعا إليه. ﴿ قَبْلَ أَنْ ءَأَذَنَ لَكَ ﴿٢﴾

إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُ : أي حيلة احتلتموها وتواطأتم مع موسى على ذلك. ﴿ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا

مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْمُونَ ﴿١٢٣﴾

لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ : بأن يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى أو العكس.

ثُمَّ لَأَصْلِبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ (٣) : التصليب: الشد على خشبة حتى الموت.

قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ : أي راجعون.

وَمَا لَنُفِمْ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَأَمَّنَّا بِإِنْتِ رَبَّنَا لَمَّا جَاءَ تَنَاءً : أي وما تكره منا وتنكر علينا إلا إيماننا بآيات

(١) قال القرطبي: تأدبوا مع موسى إذ استشاروه فيمن يبدأ بالإلقاء فنفعهم الله بأدبهم مع نبيه فأسلموا وسعدوا برضوان الله تعالى.

(٢) قالوا: أمنا برب العالمين حال هويهم للسجود إعلامًا منهم أنهم ما سجدوا لفرعون كما يفعل الأقباط، وإنما سجدوا لله رب العالمين رب موسى وهارون.

(٣) لم يرد في القرآن ما يدل على أن فرعون نفذ وعيده في السحرة أو لم ينفذه، وعدم ذكر القرآن له لأنه خال من الفائدة، وذكر القرطبي بصيغة التمريض فقال: قيل: إن فرعون أخذ السحرة وقطعهم على شاطئ النهر وأنه آمن بموسى عند إيمان السحرة ستمائة ألف، والله أعلم.

ربنا لما جاءتنا.

رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا: أي أفض علينا صبراً قوياً حتى نثبت على ما توعدنا فرعون من العذاب ولا نرتد بعد إيماننا. ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (١٤٦).

وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ: أي لفرعون.

أَتَذَرُ مُوسَى: أي أترك موسى.

وَقَوْمَهُ: أي بني إسرائيل.

لِيُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ: أي في البلاد بالدعوة إلى مخالفتك، وترك طاعتك.

وَيَذَرُكَ وَءَالِهَتَكَ: أصناماً صغاراً وضعها ليعبدها الناس وقال: أنا ربكم الأعلى وربها.

قَالَ سَنُقَدِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي (١) نِسَاءَهُمْ: نبقي على نسائهم لا ندبحهن كما تدبح الأطفال الذكور. ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ (١٤٧) قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ

يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٤٨﴾ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى (٢) رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ.

وَيَسْتَخْلِفُكُمْ فِي الْأَرْضِ: أي يجعلكم خلفاء فيها تخلفون الظالمين بعد هلاكهم.

﴿فَيَنْظُرْ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (١٤٩).

وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالْسِّنِينَ: أي عاقبناهم بسني الجذب والقحط.

وَنَقَصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ: بالجوائح تصيبها، وبعدم صلاحيتها. ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (١٥٠).

فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ: ما يحسن من خصب ورخاء وكثرة رزق وعافية.

قَالُوا لَنَا هَذِهِ: نحن مستحقوها وجدديرون بها.

وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ: ضد الحسنة وهي الجذب والغلاء والمرض.

يَطِيرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ: أي يتشاءمون بموسى وقومه. ﴿أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرْتُمْ عَنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ

أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٥١) وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتَانَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾.

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ: الطوفان: الفيضانات المغرقة، والجراد:

معروف بأكل الزرع والثمار، والقمل: جائز أن يكون القمل المعروف وجائز أن يكون سوساً في

الحبوب، والضفادع: جمع ضفدعة حيوان يوجد في المياه والمستنقعات.

وَالدَّمَ: والدم معروف قد يكون دم رعاف أو نزيف، أو تحول الماء ماء الشراب إلى دم عبيط

(١) أنس قومه بهذه الجملة من الكلام وأذهب عنهم روح الهزيمة، ولم يقل: سنقتل موسى؛ لعلمه أنه لا يقدر عليه ولما أصابه من الرعب منه حتى قيل: إنه كان إذا رآه يبول من شدة الخوف منه وهي آية موسى عليه السلام.

(٢) عسى من الله واجب أي ليست للرجاء فقط بل ما يذكر معها يقع لا بد ولا يتخلف، ولذا قد تحقق ما ذكر معها هنا كاملاً لا نقص فيه.

في أوانيتهم وأفواههم آية لموسى عليه السلام. ﴿آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾.

فَأَسْتَكْبِرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾: حيث لم يؤمنوا بهذه الآيات، أي: مفسدين حيث حكم

بإهلاكهم.

وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ: العذاب وهو الخمسة المذكورة في آية (١٣٣) الأنفة الذكر. ﴿قَالُوا يَمْوَسَىٰ آدُعُ لَنَا رَبِّكَ بِمَا عَهِدَ<sup>(١)</sup> عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ:

إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿١٣٥﴾: المراد من الأجل أنهم كانوا إذا سألوا موسى أن يدعو ربه ليرفع عنهم العذاب ويعدونه بالإيمان وإرسال بني إسرائيل معه فيرفع الله عنهم العذاب فيمكنون زماناً، ثم يطالبهم موسى بالإيمان وإرسال بني إسرائيل فيأبون عليه ذلك وينكثون عهدهم.

فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ: أي أنزلنا بهم نعمتنا.

فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ: الذي هو البحر. ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ ﴿١٣٦﴾.

وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ: هم بنو إسرائيل.

مَشْرُوفِ الْأَرْضِ وَمَعْرِبِهَا: هي أرض مصر والشام<sup>(٢)</sup>. ﴿الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾.

وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ: هي وعده تعالى لهم في قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى

الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿٥﴾ من سورة «القصص». ﴿بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ﴾.

وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾: أي يرفعون من مباني الدور، والقصور العالية.

وَجَوَوزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ بِالْبَحْرِ: أي قطعنا بهم فاجتازوه إلى ساحله. ﴿فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾.

يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ: يجلسون إلى تماثيل بقر منحوتة من حجر.

قَالُوا يَمْوَسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمُ آلِهَةٌ: أي معبودًا يريدون تماثلاً كالذي شاهدوا.

قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾: أي العبادة لا تكون إلا لله تعالى.

إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم فِيهِ: هالك خاسر لا يكسبهم خيراً ولا يدفع عنهم شراً. ﴿وَنَبِّئْهُمْ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٣٩﴾.

(١) ﴿بِمَا عَهِدْنَا عِنْدَكَ﴾ الباء لتعدية فعل الدعاء، وما موصولة مبهم أي: ادعه بما علمك ربك من وسائل إجابة دعائك عنده ليكشف عنا الرجز.

(٢) كما يصدق هذا على أرض الشام إذ لها مشارق ومغارب، ومن بينها الأرض المقدسة أرض فلسطين يصدق أيضاً على أرض مصر وغيرها إذ مملكة بني إسرائيل على عهد سليمان كانت قد انتظمت المعمورة كلها.



قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ <sup>(١)</sup> ﴿١٤٠﴾ : أي غير ربي **عَبَّادًا** أطلب لكم إلها تعبدونه دون الله ما لكم أين يذهب بعقولكم؟  
وَإِذْ أُنجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ : أي واذكروا نعم الله عليكم بإنجائه إياكم من آل فرعون.  
يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ : يوردونكم موارد الردى والهلاك بما يصيبونكم به من عذاب.  
﴿يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ .

وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ <sup>(٢)</sup> ﴿١٤١﴾ : أي اختبار وامتحان قاس شديد.  
﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ : أي لمناجاة الله تعالى له بجبل الطور. ﴿ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾ .  
فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً : الميقات: الوقت المعين.  
وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي : أي كن خليفتي فيهم.  
وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ <sup>(٣)</sup> ﴿١٤٢﴾ : الذين يعملون بالمعاصي. ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا  
وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ .  
فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ : ثبت ولم يتحول. ﴿فَسَوْفَ تَرِيهِ فَمَا تَعْلَىٰ <sup>(٤)</sup> رَبُّهُ، لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ .  
وَخَرَّ مُوسَىٰ صَوِقًا : سقط على الأرض.  
فَلَمَّا أَفَاقَ : ذهب عنه الإغماء وعاد إليه وعيه. ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ <sup>(٥)</sup> إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ  
الْمُؤْمِنِينَ <sup>(٦)</sup>﴾ .

قَالَ يَمْوَسَّىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ : اخترتك. ﴿عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخَذَ مَاءً أَتَيْتُكَ وَكُنَ مِنْ  
الشَّاكِرِينَ <sup>(٧)</sup>﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا يَفْوًوً وَأَمَرَ  
قَوْمَهُ بِأَخْذِهَا بِحَسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ <sup>(٨)</sup> ﴿١٤٣﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ <sup>(٩)</sup>﴾ .

(١) هذا التفضيل خاص بزمانهم الذي كانوا فيه مع أنبيائهم وهم صالحون.  
(٢) تجلّى معناه ظهر، واندكك الجبل على قوة بنيتة وعظيم جسمه كان لعجزه عن رؤية الرب تبارك وتعالى وهذا كقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خُدُوعًا تَتَّصِدًا عَاثِرِينَ خَشِيَةَ اللَّهِ﴾ .  
(٣) الإجماع على أن توبة موسى هذه لم تكن من ذنب وإنما هي بمعنى الإنابة إلى الله تعالى وعدم طلب مثل هذا الذي طلب.

(٤) دار الفاسقين: نار جهنم. اهـ.

قال ابن كثير رحمه الله: أي سترون عاقبة من خالف أمري وخرج عن طاعتي كيف يصير إلى الهلاك والدمار والتباب، قال ابن جرير: وإنما قال: ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ كما يقول القائل لمن يخاطبه: سأريك غداً إلى ما يصير إليه حال من خالف أمري على (وجه التهديد) والوعيد لمن عصاه وخالف أمره، وقيل: منازل قوم فرعون، والأول أولى لأن هذا كان بعد انفصال موسى وقومه عن بلاد مصر، وهو خطاب لبني إسرائيل قبل دخولهم التيه، والله أعلم (قل).

الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ : يعلون ويرتفعون فيمنعون الحقوق ويحتقرون الناس.  
﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلَاءً آتِيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ .

وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ : طريق الحق القائم على الإيمان والتقوى. ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ .  
وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعِجَى : طريق الضلال القائم على الشرك والمعاصي. ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ .

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ : لا يلتفتون إليها ولا ينظرون فيها ولا يتفكرون فيما تدل عليه وتهدي إليه. ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ .  
حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ : فسدت فلا يتفعون بها؛ لأنها أعمال مشرك والشرك محبط للعمل. ﴿هَلْ يَجْزُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٥٧﴾ .

وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ : جمع حلي وهو ما تتحلى به المرأة لزوجها من أساور ونحوها من ذهب (١) .

عَجَلًا جَسَدًا : العجل ولد البقرة والجسد أي ذاتا لا مجرد صورة على ورق أو جدار.  
لَهُ خَوَارٌ : الخوار (٢) صوت البقر كالرغاء صوت الإبل. ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ ﴿١٥٨﴾ .

وَمَا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ : أي ندموا على عبادته لأنها عبادة باطلة. ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿١٥٩﴾ (٣) .

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ : أي من جبل الطور بعد مرور أكثر من أربعين يوما.

غَضِبْنَا سِيفًا : أي حزينا شديدا الحزن والغضب. ﴿قَالَ يَنْسَا حَلَقَتُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ .

أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ : أي استعجلتم.

وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ : أي هارون شقيقه.

يَجْرُهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنُ أُمَّ : أصلها يا ابن أُمي؛ فقلبت الياء ألفا نحو يا غلاما، ثم حذفتم، وهارون

شقيق موسى وإنما ناداه بأمه لأنه أكثر عطفًا وحنانًا. ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ .

فَلَا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ : أي لا تجعل الأعداء يفرحون بإهانتك أو ضربك لي. ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي

(١) وقد جمعها السامري بحجة واهية، والسامري نسبة إلى قرية تسمى: سامرة، واسمه: موسى بن ظفر، ولد عام قتل الأبناء كموسى عليه السلام.

(٢) الخوار: صوت العجل، والجوار: مثله، وفعل الخوار خار يخور خوارًا، وفعل الجوار جار يجار جوارًا، وأما خور يخور خورًا فمعناه: جبن وضعف.

(٣) أي: عادوا إلى الحق فتضرعوا إلى الله تعالى ودعوه معترفين بخطيئهم مستغفرين ربهم؛ رجاء أن ينجيهم من الخسران.

مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾  
 إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ : أي إلها عبده. ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ .  
 وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ : الكاذبين على الله تعالى بالشرك به أي بجعل شريك له. ﴿وَالَّذِينَ  
 عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٥٣﴾ .  
 وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ : أزال غضبه وسكنت نفسه من القلق والاضطراب.  
 أَخَذَ الْأَلْوَابِحَ : أي من الأرض بعد أن طرحها فتكسرت.  
 وَفِي نُحُوتِهَا : أي وفيما نسخه منها بعد تكسرها نسخة فيها. ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ .  
 لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ : يخافون ربهم ويخشون عقابه فلا يعصونه.  
 وَأَخَذَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا : أي أخذ خيار قومه وهم سبعون رجلاً.  
 لِمِيقَاتِنَا : أي للوقت الذي حددناه له ليأتينا مع سبعين رجلاً.  
 فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ : الصاعقة التي رجفت لها القلوب. ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ  
 وَإِنِّي﴾ .

أَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا : جمع سفيه: وهو الذي لا رشد له في سائر تصرفاته، وهم من عبدوا  
 العجل كمن سألوا رؤية الله تعالى.  
 إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ : أي ما هي إلا فتنتك: أي اختبارك لأهل الطاعة من عبادك. ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ  
 وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ﴾ .

أَنْتَ وَلِيْنَا : أي المتولي أمرنا وليس لنا من ولي سواك. ﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ ﴿١٥٥﴾  
 ﴿وَكَتَبْنَا لَكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ﴾ .  
 إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ : أي رجعنا إليك وتبنا. ﴿قَالَ عِدَائِي أُصِيبُ بِهِ مِّنْ أَشَاءِ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ  
 ﴿١﴾ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِتَابِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٥٦﴾ .  
 الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ : الذي لا يقرأ ولا يكتب. ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ  
 فِي التَّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ﴾ .

عَنِ الْمُنْكَرِ : المعروف ما عرفه الشرع والمنكر: ما أنكره الشرع.  
 وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ : أي ياذن الله والخبائث: جمع خبيثة: كالميتة  
 مثلاً.

(١) أي لم تضق عن مخلوق من المخلوقات التي أراد الله رحمتها. يحكى أن إبليس عليه لعائن الله لما سمع هذه  
 الآية قال: أنا شيء. فقال الله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ فقالت اليهود والنصارى: نحن متقون. فقال  
 تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ فخرجوا وبقيت لهذه الأمة وحدها.

وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ<sup>(١)</sup> وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ: الإصر: العهد، والأغلال: الشدائد في

الدين.

فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ: أي دونه مع توقيره وتعظيمه ﴿وَنَصَرُوهُ﴾  
وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ: القرآن الكريم.

أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٧﴾: الفائزون أي: الناجون من النار الداخلون في الجنة. ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا  
النَّاسُ إِيَّيَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾  
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ: أي لا معبود بحق إلا الله. ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾

فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ: المنبئ عن الله والمنبأ من قبل الله تعالى، والأمي الذي لم يقرأ  
ولم يكتب نسبة إلى الأم كأنه ما زال لم يفارق أمه فلم يتعلم بعد.

الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ: الذي يؤمن بالله ربًا وإلهًا، وبكلماته التشريعية والكونية  
القدرية.

وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٨﴾: ترشدون إلى طريق كمالكم وسعادتكم في الحياتين.

وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ: أي جماعة يهدون أنفسهم وغيرهم بالدين الحق، بواسطة  
ما شرع لهم وهداهم به من الوحي الذي أنزل على رسله وأنزل به كتبه.

وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿٥٩﴾: في قضائهم وحكمهم على أنفسهم وعلى غيرهم إنصافًا وعدلًا لا جور ولا  
ظلم.

وَقَطَّعْنَهُمْ<sup>(٢)</sup> اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا: أسباطًا: جمع سبط وهو بمعنى القبيلة عند العرب  
﴿أُمَمًا﴾ بدل من ﴿أَسْبَاطًا﴾ وفائدته: الإخبار بأنهم باركهم الله تعالى فأصبح أهل كل سبط  
أمة كاملة والسبط أصله شجر يقال له السبط تعلقه الإبل.

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ: أي طلبوا منه الماء لعطشهم.

أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ: فانفجرت منه. ﴿إِثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ  
كُلُّ أَنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ﴾

وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى: المن: حلو كالعسل تنزل على أوراق الأشجار، والسلوى:

(١) تقدم لفظ الإصر وهو دال على جمع لأنه مصدر يقع على الواحد والجمع ولذا عطف عليه الأغلال، وجمع

الإصر: آصار، ومعناه الثقل الذي يصعب معه التحرك، والأغلال جمع غُل، وهو إطار من حديد يجعل في عنق

الأسير، والمراد من الآصار والأغلال التكاليف الشرعية الشاقة التي اشتملت عليها التوراة منها: ترك العمل

يوم السبت قيل: ومن أشدها عدم مشروعية التوبة من الذنوب، وعدم استتابة المجرم.

(٢) التقطيع: الشدة في القطع والمراد به التقسيم إلى اثنتي عشرة فرقة كل فرقة بمنزلة القبيلة العربية حيث تنتسب إلى

أبيها الأعلى أي الأول.

طائر لذيذ لحمه <sup>(١)</sup>.

كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ <sup>(١٦)</sup> <sup>(٢)</sup>  
وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ: هي حاضرة فلسطين. ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾  
اسم القرية: أريحا، وكلمة فلسطين عامة في القطر كله.

وَقُولُوا حِطَّةٌ: أي احطط عنا خطايانا بمعنى الإعلان عن توبتهم. ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا  
تَغْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ <sup>(١٧)</sup> فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي  
قِيلَ لَهُمْ﴾

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ: أي عذابًا من عند الله تعالى. ﴿بِمَا كَانُوا  
يَظْلِمُونَ <sup>(١٨)</sup>﴾

وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ: أي على شاطئه وهي مدينة من مدن أرض  
القدس <sup>(٣)</sup>.

إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ: أي يعتدون وذلك بالصيد المحرم عليهم فيه.  
إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيَتَانُهُمْ يَوْمَ سَكَنَتْهُمُ: أي يوم راحتهم من أعمال الدنيا وهو يوم السبت. والذي  
قد حرم الصيد فيه.

شُرْعًا: جمع شارع أي: ظاهرة بارزة تغريهم بنفسها.  
وَيَوْمَ لَا يَسْئُرُونَ: أي في باقي أيام الأسبوع. ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ إذا هم مبتلون.  
كَذَلِكَ نَبِّئُوهُمْ: أي نمتحنهم ونختبرهم بالتشديد عليهم فيما يشرع لهم.  
بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ <sup>(١٩)</sup>: أي بسبب ما أعلنوه من الفسوق وهو العصيان. ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ  
لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾

قَالُوا مَعذِرَةٌ إلی رَبِّكُمْ: أي ننهاهم فإن انتهوا فذاك؛ وإلا فنهينا يكون عذرًا لنا عند ربنا.  
وَلَعَلَّهُمْ يَنْفِقُونَ <sup>(٢٠)</sup> فيتوبوا ويتركوا هذا الاعتداء.  
فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ: أي أهملوه وتركوه فلم يمثلوا ما أمروا به ولا ما نهوا عنه، ومعنى  
نسوا تركوا ولم يلتفتوا إلى وعظ إخوانهم لهم بعدم الصيد يوم السبت.

(١) يقال له: السُماني، بضم السين وفتح النون على وزن حباري.

(٢) كما ظلمونا بتمردهم وعدم طاعتهم لربهم حتى نزل بهم ما نزل من البلاء ولكن ظلموا أنفسهم فعرضوها للبلاء،  
أما الله تعالى فمحال أن يبلغ العبد ظلمه أو ضره.

(٣) يقال لها «أيلة» والمسماة اليوم بالعقبة على ساحل البحر الأحمر.

(٤) قيل للحسين بن الفضل: هل تجد في كتاب الله تعالى أن الحلال لا يأتيك إلا قوتًا وإن الحرام يأتيك جزفًا جزفًا  
يعني: بكثرة كثرة، قال: نعم في قصة داود وأيلة ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيَتَانُهُمْ...﴾ الآية.

أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ : السوء هو كل ما يسيء إلى النفس من سائر الذنوب والآثام.  
 وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ : أي ذي بأس شديد. ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (١٦٥) ﴿١﴾ .  
 فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ : أي ترفعوا وطفغوا فلم يبالوا بالنهي.  
 فَلَمَّا لَهُمْ كُفْرًا قَرَدَةً خَسِيسَةً ﴿١٦٦﴾ : القرادة جمع قرد معروف، وخاسئين: ذليلين حقيرين أخساء  
 أي لم يلبثوا ممسوخين حتى هلكوا والعياذ بالله.  
 وَإِذْ تَأَذَّتْ رُكْبُكَ : أعلم وأعلن، وأذن وأذن بمعنى واحد.  
 لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَمَةِ : أي لیسلطن عليهم.  
 مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ : أي يذيقهم ويوليههم سوء العذاب، كالدلة والمسكنة. ﴿إِنَّ رَبَّكَ  
 لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٦٧) .  
 وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَمْمًا : أي فرقناهم جماعات جماعات. ﴿مِنْهُمْ الضَّالِّحُونَ وَمِنْهُمْ  
 دُونَ ذَلِكَ﴾ .  
 وَبَلَّوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ : اختبرناهم بالخير والشر أو النعم والنقم. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾  
 ﴿١٦٨﴾ .  
 فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ : الخلف بإسكان اللام: خلف سوء، وبالتحريك خلف خير (٢) .  
 وَرَثُوا الْكِتَابَ : أي التوراة.  
 يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى : أي حطام الدنيا الفاني وهو المال. ﴿وَيَقُولُونَ سَيُعْفِرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ  
 مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ  
 لِّلَّذِينَ يَنْقُوتُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٦٩) .  
 وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ : أي يتمسكون بما في التوراة فيحلون ما أحل الله فيها ويحرمون ما  
 حرم. ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (١٧٠) .  
 ﴿وَإِذْ نَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ : أي رفعناه من أصله فوق رؤوسهم (٣) .  
 كَانَهُ ظِلَّةً وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ : أي ساقط عليهم.  
 خُذُوا مَاءَ آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ : أي التزموا بالقيام بما عهد إليكم من أحكام التوراة بقوة.

(١) اختلف في هل الفرقة القائلة: لم تعظون قوماً.. إلخ نجت من العذاب أو لا؟ وقد روي أن ابن عباس كان يرى أنها لم تنج حتى أقنعه تلميذه عكرمة فقال بنجاتها مع الفرقة الناهية، لأن ترك النهي من الفرقة التي لم تنه كان ليأسهم من استجابة الظالمين.

(٢) الخلف بسكون اللام: الأولاد، الواحد والجمع فيه سواء، والخلة: بفتح اللام البدل ولدًا كان أو غيره، وقيل الخلف بالفتح: الصالح وبالجزم: الطالح.

(٣) أي: كأنه لا ارتفاعه سحابة تظل.

وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ : أي لا تنسوا ما التزمت به من النهوض بأحكام التوراة. وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ : أي أخذهم من ظهر آدم <sup>(١)</sup> ﷺ بأرض نعمان من عرفات، قال ابن عباس: بيطن نعمان وإد إلى جنب عرفة.

وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ : أي بأنه تعالى ربهم وإلههم ولا إله لهم سواه. ﴿قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ﴾ .

أَفَنُحِلُّكَ مَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ : العاملون بالشرك والمعاصي إذ كلها باطل لا حق فيه. وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ : نبينها ونوضحها بتنوع الأساليب وتكرار الحجج وضرب الأمثال وذكر القصص. ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾ .

وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ : اقرأ عليهم. تَبَا الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا .

فَأَنْسَلَخْنَا مِنْهَا : كفر بها وتركها وراء ظهره مبتعداً عنها.

فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ : لحقه وأدركه.

فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ : من الضالين غير المهتدين الهالكين غير الناجين. ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ .

وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ : مال إلى الدنيا وركن إليها وأصبح لا هم له إلا الدنيا. ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ .

إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ : اللهث: التنفس الشديد مع إخراج اللسان من التعب والإعياء. ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ . سَاءَ : قبح.

مَثَلًا : أي صفة. ﴿الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَن يُضِلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ .

وَلَقَدْ دَرَأْنَا لِيَجْهَنَّمَ : خلقنا لجهنم أي: للتعذيب بها والاستقرار فيها. ﴿كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾ .

لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا : كلام الله ولا كلام رسوله.

وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا : آيات الله في الكون.

وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا : الحق والمعروف.

(١) إن الله تعالى أخرج من صلب آدم ذريته فأنطقها بقدرته التي لا يعجزها شيء فنطقت وعقلت الخطاب واستشهدها فشهدت، وخاطبها ففهمت وأمرها فالتزمت، وهذا العهد العام الذي أخذ على بني آدم، وسوف يطالبون به يوم القيامة، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ...﴾ .

أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ : البهائم في عدم الانتفاع بقلوبهم وأبصارهم وأسماعهم. ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ (١).  
 أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ : أي عن آيات الله وما خلقوا، وما يراد لهم وبهم.  
 وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا : الأسماء جمع اسم والحسنى مؤنث الحسن، والأسماء الحسنى  
 لله خاصة دون غيره فلا يشاركه فيها أحد من مخلوقاته.  
 وَذَرُوا : اتركوا.

الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ : يميلون بها إلى الباطل. ﴿سَيَجْزُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٨٠).  
 وَمِمَّنْ خَلَقْنَا : أي من الناس. ﴿أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (١٨١).  
 وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا : أي بآيات القرآن الكريم.  
 سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ : أي نستميلهم وهم هابطون إلى هوة العذاب درجة بعد  
 درجة حتى ينتهوا إلى العذاب. وذلك بإدراج النعم عليهم مع تماديهم في التكذيب والعصيان حتى  
 يبلغوا الأجل المحدد لهم ثم يؤخذوا أخذة واحدة.  
 وَأَمْ لِي لَهُمْ ابْنٌ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ : أي أمهلهم فلا أعجل بعقوبتهم حتى ينتهوا إليها بأعمالهم  
 الباطلة، وهذا هو الكيد لهم وهو كيد متين شديد.

أَوَلَمْ يَنْفَكُوا مَا يَصَاحِبُهُمْ مِنْ جَنَّةٍ : صاحبهم هو محمد ﷺ، والجنة الجنون، والمتحدث  
 عنهم كفار قريش. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (١٨٤).  
 أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : أي ملك السمرات إلا أن لفظ الملكوت أعظم من  
 لفظة الملك. ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ﴾.  
 فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ، يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ : أي بعد القرآن العظيم.

مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَأَيِّ هَادِي لَهٗ، وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ : أي يتركهم في كفرهم وظلمهم.  
 يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ : حيارى يترددون لا يعرفون مخرجاً ولا سبيلاً للنجاة.  
 يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ : أي الساعة: بمعنى الوقت الذي تنتهي فيه الحياة الدنيا بالفناء التام.  
 أَيَّانَ مُرْسِنُهَا : أي متى وقت قيامها. ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ : أي لا يظهرها في  
 وقتها المحدد لها إلا هو ﷻ.

ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : أي ثقل أمر علمها عند أهل السموات والأرض.  
 لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً : أي فجأة بدون توقع أو انتظار.  
 يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا : أي ملحف مبالغ في السؤال عنها حتى أصبحت تعرف وقت مجيئها.  
 ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٨٧) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾.

(١) قال عطاء: الأنعام تعرف الله والكافر لا يعرفه، وقيل: الأنعام. بعة لله، والكافر غير مطيع.



وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمَ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتَ مِنَ الْخَيْرِ : الغيب ما غاب عن حواسنا وعن عقولنا فلم يدرك بحاسة، ولا بعقل. والمراد به هنا: ما سيحدث في المستقبل القريب أو البعيد. وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ : كل ما يسوء العبد في روحه أو بدنه. إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ : أي ما أنا إلا نذير وبشير فلست بآله يدبر الأمر ويعلم الغيب. ﴿لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١٨٨).

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ : هي نفس آدم ﷺ. وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا : أي خلق منها زوجها وهي حواء خلقها من ضلع آدم الأيسر. لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا : أي ليألفها ويأنس بها لكونها من جنسه. فَلَمَّا تَعَشَّاهَا : أي وطئها.

حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ : أي ذاهبة جائية تقضي حوائجها لخفة الحمل في الأشهر

الأولى.

فَلَمَّا أَثَقَّت : أي أصبح الحمل ثقيلاً في بطنها.

دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا : أي ولداً صالحاً ليس حيواناً بل إنساناً. ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ

﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا﴾ (١٨٩).

جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا : أي سمّوه عبد الحارث وهو عبد الله ﷺ، حيث سمته حواء عبد الحارث بتغيير<sup>(١)</sup> من إبليس، إذ اقترح عليهما هذه التسمية، وهي من الشرك الخفي المعفو عنه نحو لولا الطيب هلك فلان.

فَتَعَلَى اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ : أي أهل مكة حيث أشركوا في عبادة الله أصناماً. ﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ .

وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى : أي الأصنام. ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاهُ عَلَيْكُمْ أَدْعُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَمِيمُونَ﴾ (١٩٣) .

إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ : أي مملوكون مخلوقون أمثالكم لمالك واحد هو الله رب العالمين. ﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٩٤) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴿

قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ : أصنامكم التي تشركون بها.

ثُمَّ كِيدُونَ : بما استطعتم من أنواع الكيد.

فَلَا تُنظَرُونَ ﴿١٩٥﴾ : أي فلا تمهلون لأني لا أبالي لكم.

(١) رواه أحمد والترمذي والحاكم في المستدرک، قال ابن كثير: وهذا الحديث معلول وقد رجح رحمته الله كونه موقوفاً على الصحابي وبين أنه غير مرفوع، وضعف ما ورد من آثار كما قال ذلك محقق مختصر ابن كثير.

إِنَّ وَرَثَةَ اللَّهِ: أي المتولي أموري وحمائي ونصرتي الله. ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ تَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (١٦٦) وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصَرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَبْصُرُونَ ﴿١٦٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا ﴿١٦٨﴾.

وَرَثَتُهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ: أي وترى الأصنام المنحوتة على شكل رجال ينظرون إليك، إذا قابلتهم لأن أعينهم مفتوحة دائماً. ﴿وَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ﴾ (١٦٨)، وهل تبصر الصور والتماثيل؟ (١).

حُذِيَ الْعَفْوُ: ما كان سهلاً لا كلفة فيه وهو ما يأتي بدون تكلف.

وَأَمْرٌ بِالْعَرَفِ: أي المعروف في الشرع بالأمر به أو الندب إليه.

وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٦٩﴾: الجاهلون: هم الذين لم تستر قلوبهم بنور العلم والتقوى، والإعراض عنهم بعدم مؤاخذتهم على سوء قولهم أو فعلهم (٢).

وَإِنَّمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ: نزغ الشيطان: أي وسوسته بالشر.

فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧٠﴾: أي قل أعوذ بالله يدفعه عنك إنه أي: الله سميع عليم.

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا: أي الشرك والمعاصي.

إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ: أي ألم بهم شيء من وسوسته.

تَذَكَّرُوا: أمر الله ونبيه ووعده ووعيده. ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (١٧١).

وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ: أي إخوان الشياطين من أهل الشرك والمعاصي يمدونهم في

الغبي.

﴿ثُمَّ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (١٧٢): أي لا يكفون عن الغبي الذي هو الضلال والشر والفساد.

وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ: كما طلبوا.

قَالُوا لَوْلَا آجِبْتَنَاهَا: أي اخترعتها واختلفتها من نفسك وأتيتنا بها (٣). ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنشِئُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ

مِنْ رَبِّي﴾.

هَذَا بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ: أي هذا القرآن حجج وبراهين وأدلة على ما جئت به وأدعوكم إليه

فهو أقوى حجة من الآية التي تطالبون بها. ﴿وَهُدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١٧٣).

وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ، وَأَنْصِتُوا: أي اطلبوا سماعه وتكلفوا له وأنصتوا عند ذلك

(١) وجائز أن يكون المراد بـ ﴿وَرَثَتُهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ المشركون أنفسهم، وكونهم ﴿لَا يَبْصُرُونَ﴾ لأنهم لم يتفهموا بأبصارهم.

(٢) الإعراض عن الجاهلين يكون بعد دعوتهم إلى الحق وإقامة الحجة عليهم فإن لم يستجيبوا يعرض عنهم آذوه أو لم يؤذوه.

(٣) وجائز أن يكون المراد من الآية: آية قرآنية يمدحهم فيها ويمدح أصنامهم و﴿لَوْلَا﴾ هنا أداة تحضيض مثل هلا ولا يليها إلا الفعل ظاهراً أو مضمراً.

أي: اسكتوا حتى تسمعوا سماعاً ينفعكم <sup>(١)</sup>. ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ <sup>(٢٤)</sup> وأذكر ربك في نفسك تضرعاً ﴿وَخِيفَةً: أي خوفاً. ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾  
 بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ: الغدو: أول النهار، والآصال: أواخره.  
 وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ <sup>(٢٥)</sup>: أي عن ذكر الله تعالى.  
 إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ: أي الملائكة. ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾  
 وَيُسَبِّحُونَهُ: ينزهونه بألسنتهم بنحو سبحان الله وبحمده <sup>(٢)</sup>. ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ <sup>(٢٦)</sup>



(١) قال ابن كثير رحمه الله: (لما ذكر تعالى أن القرآن بصائر للناس وهدى ورحمة أمر تعالى بالإنصات عند تلاوته إعظاماً له واحتراماً، لا كما يعتمد كفار قريش المشركون في قولهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِنَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ الآية، ولكن يتأكد ذلك في الصلاة المكتوبة إذا جهر الإمام بالقراءة). (قل).  
 (٢) تسبيح الملائكة معناه: تعظيمهم لله تعالى وتنزيههم له عز وجل عن الشريك والولد.

## ٨ - سُورَةُ الْأَنْفَالِ

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْأَنْفَالِ : جمع نفل بتحريك الفاء: ما يعطيه الإمام لأفراد الجيش تشجيعاً لهم.  
﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾.

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ : أي حقيقة بينكم، والبين الوصلة والرابطة التي تربط  
بعضكم ببعض من المودة والإخاء. ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١).

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ : أي الكاملون في إيمانهم.  
الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ : أي خافت، إذ الوجل: هو الخوف لا سيما عند ذكر وعيده  
ووعده. ﴿وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتَهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾.

وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) : على الله وحده يعتمدون ولأمرهم يفوضون. الَّذِينَ يُقِيمُونَ  
الصَّلَاةَ.

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ : أي أعطيناهم. ﴿يُنْفِقُونَ﴾ (٣).

أُولَئِكَ : أي الموصوفون بالصفات الخمس السابقة. ﴿هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾.  
هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ : منازل عالية في الجنة.

وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) : أي عطاء عظيم من سائر وجوه النعيم في الجنة.  
كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ : أي المدينة النبوية.

بِالْحَقِّ : متلبساً به حيث خرجت بإذن الله.

وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ (٥) : أي الخروج للقتال. ﴿يَجِدُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَانُوا  
يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ (٦).

وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ : العير القافلة أو النفير: نفير قريش وجيشها.

وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ (١) : السلاح في الحرب. ﴿تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ

الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ (٧).

لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَطِلَ : أي يظهر بطلانه بقمع أهله وكسر شوكتهم وهزيمتهم.

(١) ﴿وَتَوَدُّونَ﴾ أي تحبون أن تكون ﴿غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ﴾ وهي عير أبي سفيان ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ وذلك لأنها  
مغنم بلا مغرم لقله عددها وعددها.

وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾: كفار قريش المشركون.

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ: أي تطلبون الغوث من الله تعالى وهو النصر على أعدائكم. ﴿فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ﴾.

أَنِّي مُبَدِّدُكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴿٩﴾: أي متتابعين بعضهم ردف بعض أي متلاحقين. وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى: أي الإمداد بالملائكة إلا بشرى لكم بالنصر. ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

إِذْ يُغَشِّيكُمُ النَّعَاسُ: أي يغطيكم به، والنعاس: نوم خفيف جدًا.

أَمَنَةٌ: أي أمان من الخوف الذي أصابكم لقتلكم وكثرة عدوكم (١).

مِنَهُ: أي من الله تعالى. ﴿وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾.

وَيُدْهَبَ عَنْكُمُ رِجْزُ الشَّيْطَانِ: وسواسه لكم بما يؤلمكم ويحزنكم.

وَلِيُرَبِّطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ: أي يشد عليها بالصبر واليقين.

وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾: أي بالمطر أقدامكم حتى لا تسوخ في الرمال (٢). ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ

الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

سَأَلَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبُ: الخوف والفرع. ﴿فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾.

وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٣﴾: أي أطراف اليدين والرجلين حتى يعوقهم عن الضرب

والمشي.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ: أي خالفوه في مراده منهم فلم يطيعوه وخالفوا رسوله. ﴿وَمَنْ

يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (١٣).

ذَلِكَ فِدْوَةٌ: أي العذاب فذوقوه.

وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾: أي في الآخرة. ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

زَحْفًا: أي زاحفين لكثرتهم ولبطء سيرهم كأنهم يزحفون على الأرض.

فَلَا تُولُّوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾: أي لا تنهزموا ففروا أمامهم فتولوهم أدباركم.

وَمَنْ يُؤَلِّمِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ: إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِنَالٍ: أي مائلًا من جهة إلى أخرى ليتمكن من ضرب

العدو وقتاله.

أَوْ مُتَحَرِّفًا إِلَىٰ الْفِتْنَةِ: أي يريد الانحياز إلى جماعة من المؤمنين تقاتل.

(١) ذكر ابن القيم رحمته الله كلامًا عن أحد السلف معناه: (النوم عند الخوف وعند القتال من الرحمن، والنوم عند العلم

وعند تلاوة القرآن من الشيطان). (قل).

(٢) هذا عائد على الماء الذي شدّ دهنس أرض الوادي، ويصح أن يكون عائدًا إلى ربط القلوب، فيكون تثبيت

الأقدام عبارة عن النصر والمعونة في الحرب.

فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ: أي رجع من المعركة مصحوبًا بغضب من الله تعالى لمعصيته إياه. ﴿وَمَا أُوْنَهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾.

وَلِيَسْبِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا: أي لينعم عليهم بنعمة النصر والظفر على قلة عددهم فيشكروا. ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾.

﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾﴾: موهن: أي مضعف.

إِنْ تَسْتَفِيحُوا: والخطاب للمشركين: أي تطلبوا الفتح وهو القضاء بينكم وبين محمد ﷺ. فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ: وهي هزيمتهم في بدر.

وَإِنْ تَنْهُوا: أي تكفوا عن الحرب وتدخلوا الإسلام.

فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا: للحرب والكفر. ﴿نَعُدُّوْكُمْ عَنكُمْ﴾.

فَفِتْنَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ: أي مقاتلتكم من رجالكم الكثيرين. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ: أي لا تعرضوا عن طاعته إذا أمركم أو نهاكم. وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾: كأنكم لا تسمعون. ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ: أي شر ما يدب على الأرض الكافرون. ﴿الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾﴾.

وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ: لجعلهم يسمعون أو لرفع المانع عنهم فسمعوا واستجابوا. ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ: اسمعوا وأطيعوا.

إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ: أي لما فيه حياتكم ولما هو سبب في حياتكم كالإيمان والعمل الصالح والجهاد. ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ، وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

وَأَتَّقُوا فِتْنَةً: أي عذابًا تفتنون به كالقحط أو المرض أو تسلط العدو.

لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً: أي بلاء يعم الصالح والطالح وذلك بسبب عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾.

وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعِفُونَ فِي الْأَرْضِ: أي ضعفاء أمام أعدائكم يرونكم ضعفاء فينالون منكم. ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمْ النَّاسُ فَتَاوَنَكُمْ وَيَتَذَكَّرُوا بِنَصْرِهِ﴾.

وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ: جمع طيب من سائر المحللات من المطاعم والمشارب وغيرها.

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾: رجاء أن تشكروه تعالى بصرف النعمة في مرضاته.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ : أي بإظهار الإيمان والطاعة ومخالفتهما في الباطن.  
وَتَخُونُوا ءَامَنَتِكُمْ : أي ولا تخونوا أمانتكم التي يأتين عليها بعضكم بعضًا. ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ

﴿٢٧﴾

وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا ءَامَوْلُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ : أي الاشتغال بذلك يفتنكم عن طاعة الله ورسوله.  
﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٢٨﴾

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنَفَّوْا لِلَّهِ : أي بامتنال أمره واجتناب نهيهِ في المعتقد والقول والعمل.  
يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا : نورًا في بصائرهم تفرقون به بين النافع والضار والصالح والفساد.  
وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ : أي يمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم بينكم وبينه.  
وَيَغْفِرْ لَكُمْ : أي ذنوبكم نغطيها فنسترها عليكم فلا يفضحكم بها ولا يؤاخذكم عليها. ﴿وَاللَّهُ

ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٢٩﴾

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا : أي يبيتون لك ما يضرك.

لِيُثْبِتُوكَ : أي ليحبسوك مثبتًا بوثاق حتى لا تفر من الحبس. ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾

أَوْ يُخْرِجُوكَ : أي ينفوك بعيدًا عن ديارهم.

وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ : أي يدبرون السوء وبيتون لك المكروه، والله تعالى يدبر لهم ما يضرهم

أيضًا ويبث لهم ما يسوءهم. ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينَ﴾ ﴿٣٠﴾

وَإِذَا تَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا : آيات القرآن الكريم. ﴿قَالُوا أَفَدَسَمَعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾

إِن هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ : الأساطير: جمع أسطورة ما يدون ويسطر من أخبار

الأولين.

وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ : أي يا الله حذفت ياء النداء من أوله و عوض عنها الميم من آخره.

إِنْ كَانَتْ هَذَا : أي الذي جاء به محمد ويخبر به.

هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا : أنزل علينا. ﴿حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٣٢﴾

وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ إِلَّا يَعْذِّبُهُمْ

اللَّهُ ﴿٣٤﴾

وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ : يمنعون الناس من الدخول إليه للاعتمار. ﴿وَمَا كَانُوا

أَوْلِيَاءَ لَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِمْ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٥﴾

وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً : تصفيرًا.

وَتَصْدِيَةً : تصفيقًا. ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ﴿٣٦﴾

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا : أي كذبوا بآيات الله ورسالة رسوله محمد ﷺ من قريش. ﴿يُنْفِقُونَ ءَامَوْلَهُمْ

لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾

فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً : أي شدة ندامة.

ثُمَّ يُغْلَبُونَ : أي يهزمون. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (٣٦).

لِيَمِيزَ اللَّهُ : أي ليميز كل صنف من الصنف الآخر.

الْخَيْثَ : هم: أهل الشرك والمعاصي.

مِنَ الطَّيِّبِ : هم: أهل التوحيد والأعمال الصالحة. ﴿وَيَجْعَلُ الْخَيْثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾.

فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ : أي يجعل بعضه فوق بعض في جهنم. ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ

الْخٰسِرُونَ﴾ (٣٧).

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوْا : عن الكفر بالله ورسوله وحرب الرسول والمؤمنين.

يُغْفِرَ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ : أي ماضي من ذنوبهم من الشرك وحرب الرسول والمؤمنين.

وَإِنْ يَؤُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ : في إهلاك الظالمين.

وَقَلْبُهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةً : أي شرك بالله واضطهاد وتعذيب في سبيل الله.

وَيَكُونَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّهِ : أي حتى لا يعبد غير الله. ﴿فَإِنْ أَنْتَهُوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ﴾ (٣٩).

وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانَكُمْ : متولي أمركم بالنصر والتأييد. ﴿يَعْمَ الْمَوْلَىٰ وَيَنْعَمُ النَّصِيرُ

﴾ (٤٠).

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ : أي ما أخذتموه من مال الكفار قهراً لهم وغلبة قليلاً كان أو

كثيراً.

فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ : أي خمس الخمسة الأقسام يكون لله وللرسول.

وَلِذِي الْقُرْبَىٰ : هم قرابة الرسول ﷺ من بني هاشم وبني المطلب. ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ

وَأَبْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾.

وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا : أي من الملائكة والآيات.

يَوْمَ الْفُرْقَانِ : أي يوم بدر وهو السابع عشر من رمضان، إذ فرق الله بين الحق والباطل.

يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ : جمع المؤمنين وجمع الكافرين ببدر. ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤١).

إِذْ أَنْتُمْ بِالْمُدَوِّةِ الدُّنْيَا : العدو: حافة الوادي، وجانبه، والدنيا: أي القريبة إلى المدينة.

وَهُمْ بِالْمُدَوِّةِ الْقُصْوَى : أي البعيدة من المدينة إذ هي حافة الوادي من الجهة الأخرى.

وَالرَّكْبُ اسْفَلَ مِنْكُمْ : أي ركب أبي سفيان وهي العير التي خرجوا من أجلها. أسفل

منكم مما يلي البحر. ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾.

وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَاتِماً مَفْعُولًا : أي لو تواعدتم أنتم والمشركون على اللقاء في بدر

للقتال لاختلقتم لأسباب تقتضي ذلك، منها أنكم قلة وهم كثرة.



لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ: أي بالكفر.

عَنْ بَيْتِهِ: أي حجة ظاهرة. ﴿وَيَخِيَنَ مَنْ خَانَ عَنْ بَيْتِهِ وَإِلَى اللَّهِ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٤١) إِذْ يُرِيكَهُمْ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَادْنَا كَثِيرًا لَفَاشَلْتُمْ.

وَلَنَنْزِعَنَّ فِي الْأَمْرِ: أي اختلفتم. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٤٢) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَيْتُمْ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلًا.

وَيُقَلِّلُكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ: هذا قبل الالتحام أما بعد فقد رأوهم مثلهم حتى تتم الهزيمة لهم. ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (٤٣).

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فِئَةٌ: طائفة مقاتلة.

فَاتَّبَعُوا: لقتالهم واصمدوا.

وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا: مهللين مكبرين راجين النصر طامعين فيه سائلين الله تعالى ذلك.

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾: تفوزون بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة بعد النجاة من الهزيمة في الدنيا والنار في الآخرة. ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

وَلَا تَتَنَزَّعُوا فَنَفَشُوا: أي لا تختلفوا وأنتم في مواجهة العدو أبدًا.

وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ: أي قوتكم بسبب الخلاف. ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٤٦).

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا: أي للبطر الذي هو دفع الحق ومنعه.

﴿وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (٤٧) وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ.

وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ: أي مجير لكم ومعين على عدوكم.

فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ: أي التقنا ورأى كل منهما عدوه.

نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ: أي رجع إلى الوراء هاربًا، لأنه جاءهم في صورة سراقه بن مالك. ﴿وَقَالَ

إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ﴾.

إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ: من الملائكة. ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٤٨).

إِذْ يَكْفُلُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ: أي ضعف في إيمانهم وخلل في اعتقادهم.

عَرَّ هَتُولَاءَ دِينُهُمْ: وإلا لما خرجوا لقتال قريش وهي تفوقهم عددًا وعدة فكان قول الله تعالى:

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٤٩).

وَلَوْ تَرَى إِذِ اتَّوَفَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَلْمَلِيكَهٗ: أي يقبض أرواحهم لإماتتهم.

يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ: أي يضربونهم من أمامهم ومن خلفهم (١). ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ

(١) يقال لهم عند قبض أرواحهم، إذ بمجرد أن تقبض الروح يلقى بها في جهنم، كما يقال لهم يوم القيامة ذلك من

الْحَرِيقِ ﴿٥٦﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ ﴿٥٦﴾

وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٥٧﴾: أي ليس بذي ظلم للعبيد كقوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ﴿٥٦﴾

﴿كَذَّابٍ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾: أي دأب كفار قريش كدأب آل فرعون في الكفر والتكذيب، والدأب العادة. ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٥٧﴾

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ: تغيير النعمة بتدليلها بنقمة بالسلب أو تعذيب أهلها. ﴿حَتَّىٰ يَغِيرُوا مَا بَأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٥٧﴾

كَذَّابٍ ءَالَ فِرْعَوْنَ<sup>(١)</sup>: هم كل من كان على دينه من الأقباط مشاركا له في ظلمه وكفره.

﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلَّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ ﴿٥٧﴾

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ: من إنسان أو حيوان الذين ذكر الله وصفهم وهم بنو قريظة.

الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾: لما علم الله تعالى من حالهم أخبر أنهم يموتون على الكفر.

الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ: أي يحلونه ويخرجون منه فلا يلتزمون بما فيه.

فِي كُلِّ مَرْقٍ: أي عاهدوا فيها. ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ ﴿٥٨﴾

فَأَمَّا تَتَّقَنَّهُمْ: أي إن تجدنهم، و(ما) مزيدة أدغمت فيه إن الشرطية. ﴿فِي الْحَرْبِ﴾

فَشَرَّ ذِيهِمْ: أي فرق وشتت. ﴿مَنْ خَلَفَهُمْ﴾

لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٩﴾: أي يتعظون. ﴿وَإِنَّمَا تَخَافُونَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً﴾

فَأَنبِذُوا إِلَيْهِمْ: أي اطرح عهدهم.

عَلَىٰ سَوَاءٍ: أي على حال من العلم تكون أنت وهم فيها سواء، أي كل منكم عالم بنقض

المعاهدة، وذلك يكون جهرا لا سرا.

إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَآئِنِينَ ﴿٦٠﴾: الغادرين بعهودهم.

وَلَا يُحْسِنُ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقًا: أي فاتوا الله ولم يتمكن منهم<sup>(٢)</sup>. ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ ﴿٦٠﴾

وَأَعِدُّوا لَهُمْ: هيثوا وأحضروا.

مَا اسْتَطَعْتُمْ: ما قدرتم عليه.

مِنْ قُوَّةٍ: أي حربية من سلاح على اختلاف أنواعه. ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ

وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿٦١﴾

يُوفِّ إِلَيْكُمْ: أي أجره وثوابه. ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ﴾ ﴿٦١﴾

قبل الملائكة.

(١) وجائز أن يكون المراد: ﴿كَذَّابٍ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ أي: في تعذيبهم عند قبض أرواحهم، وفي قبورهم ويوم القيامة.

(٢) أي: من أفلت من وقعة بدر سبق إلى الحياة، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ أي: في الدنيا حتى يظفرك الله بهم.

﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ : أَي مَالُوا إِلَى عَدَمِ الْحَرْبِ وَرَغَبُوا فِي ذَلِكَ . ﴾ فَاجْتَنَحَ لَهَا وَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ .

﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ : أَي يَكْفِيكَ شَرُّهُمْ وَيَنْصُرُكَ عَلَيْهِمْ . ﴾ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِتَصَرُّوهِمْ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ .

﴿ وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ : أَي جَمَعَ بَيْنَ قُلُوبِ الْأَنْصَارِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُتَنَافِرَةً مُخْتَلِفَةً . ﴾ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بِئْرٌ قُلُوبَهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ ﴿٦٣﴾ .

إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٤﴾ : أَي غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، حَكِيمٌ فِي فِعْلِهِ وَتَدْبِيرِ أُمُورِ خَلْقِهِ .

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ : أَي كَافِيكَ اللَّهُ كُلُّ مَا يَهْمُكَ مِنْ شَأْنِ أَعْدَائِكَ وَغَيْرِهِمْ .

وَمَنْ أَتَعَلَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٥﴾ : أَي اللَّهُ حَسْبُهُمْ كَذَلِكَ أَي : كَافِيهِمْ مَا يَهْمُهُمْ مِنْ أَمْرِ أَعْدَائِهِمْ .

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرِضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ : أَي حَثَّهُمْ عَلَى الْقِتَالِ مَرِغْبًا لَهُمْ مَرِهَبًا .

إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبِيرُونَ : أَي عَلَى الْقِتَالِ فَلَا يَضْعَفُونَ وَلَا يَنْهَزَمُونَ بَلْ يَشْتَوُونَ وَيَقَاتِلُونَ .

﴿ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ .

بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٦﴾ : أَي لَا يَعْرِفُونَ أَسْرَارَ الْقِتَالِ وَنَتَائِجَهُ بَعْدَ فَنُونِهِ وَحَذَقَ أَسَالِيهِه .

﴿ أَلْفَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ ﴾ .

وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا : حَيْثُ لَا يَقْوَى الْوَاحِدُ عَلَى قِتَالِ عَشْرَةٍ وَلَا الْعَشْرَةُ عَلَى قِتَالِ مِائَةٍ

فَنَسَخَ الْحُكْمَ الْأَوَّلَ بِالثَّانِي الَّذِي هُوَ قِتَالُ الْوَاحِدِ لِلثَّلَاثِينَ، وَالْعَشْرَةَ لِلْعِشْرِينَ وَالْمِائَةَ لِلْمِائَتَيْنِ

وَالْأَلْفَ لِلْأَلْفَيْنِ وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ

أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ﴿٦٧﴾ (١) .

مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى : جَمَعَ أَسِيرٌ وَهُوَ مَنْ أَخَذَ فِي الْحَرْبِ يَشُدُّ عَادَةَ بِإِسَارٍ وَقِيدٍ مِنْ

جِلْدٍ فَاطْلُقَ لَفْظَ الْأَسِيرِ عَلَى كُلِّ مَنْ أَخَذَ فِي الْحَرْبِ .

حَتَّى يُنْخَضَ فِي الْأَرْضِ : أَي تَكُونُ لَهُ قُوَّةٌ وَشِدَّةٌ يَرْهَبُ بِهَا الْعَدُو .

تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا : أَي الْمَالَ لِأَنَّهُ عَارِضٌ وَيَزُولُ فَلَا يَبْقَى . ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ ﴾ ﴿٦٨﴾ .

لَوْلَا كَتَبَ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ : وَهُوَ كِتَابُ الْمَقَادِيرِ؛ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَحْلَى لِنَبِيِّ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْغَنَائِمَ .

لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ : أَي بِسَبَبِ مَا أَخَذْتُمْ مِنْ فِدَاءِ أَسْرَى بَدْرٍ . ﴿ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ﴿٦٩﴾ .

(١) رَوَى أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَنْ يَغْلِبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قَلَةٍ » [صَحِيحُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ] .

وَالْمُرَادُ أَنَّ الْغُلْبَ إِنْ حَصَلَ لَنْ يَكُونَ سَبِيهَ قَلَةِ الْعَدَدِ وَإِنَّمَا يَكُونُ لِأَمْرِ آخِرِ كَعَدَمِ الصَّبْرِ أَوْ عَدَمِ الْأَخْذِ بِأَسْبَابِ النَّصْرِ الَّتِي يَتِمُّ بِهَا النَّصْرُ حَسَبَ سُنَّةِ اللَّهِ .

فَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا : الحلال هو الطيب فكلمة طيباً تأكيداً لحلية اقتضاها المقام، وهذا الإذن واقع بعد تخميس الغنيمة لا على إطلاقه.

وَأَتَقُوا اللَّهَ : أي بطاعته وطاعة رسوله في الأمر والنهي. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٦﴾﴾ .  
يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لِمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى : أسرى بدر الذين أخذ منهم الفداء كالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا : أي إيماناً صادقاً وإخلاصاً تاماً.

يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ : من مال الفداء. ﴿وَيَعْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ .  
وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ : أي الأسرى.

فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ : أي من قبل وقوعهم في الأسر وذلك بكفرهم في مكة.

فَأَمَّا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ : أي أمكنكم أنتم أيها المؤمنون منهم فقتلتموهم وأسرتموهم.  
وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٨﴾ : عليم بخلقه، حكيم في صنعه وتدييره.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا : صدقوا الله ورسوله وآمنوا بقاء الله وصدقوا بوعدده ووعدده.

وَهَاجَرُوا : أي تركوا ديارهم والتحقوا برسول الله ﷺ بالمدينة النبوية.

وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ : أي من أجل أن يعبد الله ولا يعبد معه غيره وهو الإسلام.

وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا : أي آووا المهاجرين فضموهم إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم.

﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنَ وَدَائِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾ .

وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ : أي طلبوا منكم نصرتهم على أعدائهم. ﴿فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾ .

إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ : عهد أي: معاهدة سلم وعدم اعتداء. ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

﴿٦٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ .

إِلَّا تَفْعَلُوهُ : أي إن لم توالوا المسلمين وتقاطعوا الكافرين. ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ ﴿١﴾ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ

كَبِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ

حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾ .

وَأُولُوا الْأَرْحَامِ : أي الأقارب من ذوي النسب.

بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي التَّوَارِثِ أَي: يرث بعضهم بعضاً. ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٢﴾﴾ .



(١) محنة الحرب وما يتبع ذلك من الغارات والجلاء والأسر، وما إلى ذلك من ويلات الحروب، والفساد الكبير: هو ظهور الشرك. اهـ. قال ابن كثير رضي الله عنه: أي إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين وإلا وقعت فتنة في الناس، وهو التباس الأمر واختلاط المؤمنين بالكافرين فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل. اهـ. (قل).

## ٩- سُورَةُ التَّوْبَةِ

«مدنية»

بِرَاءَةٌ<sup>(١)</sup> : أي هذه براءة بمعنى تبرؤ وتباعد وتخلص. ﴿مَنْ أَلَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ .  
إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ : أي جعلتم بينكم وبينهم عهدًا وميثاقًا. ﴿مَنْ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٢)</sup> .  
فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ : أي سيروا في الأرض طالبين لكم الخلاص.  
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ : تبدأ من يوم الإعلان عن ذلك وهو يوم عيد الأضحى. ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي  
اللَّهِ﴾ .

وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ<sup>(٣)</sup> : مذل الكافرين ومهينهم.  
وَأَذَّنَ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ : إعلان منه تعالى ورسوله. ﴿إِلَى النَّاسِ﴾ .  
يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ : أي يوم عيد<sup>(٤)</sup> النحر. ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ فَإِنْ بُسِمْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ  
لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ<sup>(٥)</sup> إِلَّا الَّذِينَ  
عَاهَدْتُمْ .

مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْفُصُوكُمْ شَيْئًا : أي من شروط المعاهدة وبنود الاتفاقية.  
وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا : أي لم يعينوا عليكم أحدًا. ﴿فَاتَمَّوْا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ  
الْمُنْفِقِينَ﴾<sup>(٦)</sup> .

فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ : انقضت وخرجت الأشهر الأربعة التي أمتم فيها المشركين.  
فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ : أي في أي مكان لقيتموهم في الحل أو الحرم<sup>(٧)</sup> .  
وَحَذُّوهُمْ : أي أسرى.

وَأَحْضَرُوهُمْ : أي حاصروهم حتى يسلموا أنفسهم.  
وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ : أي اقعدهم لهم في طرقاتهم وارصدوا تحركاتهم<sup>(٨)</sup> .  
فَإِنْ تَابُوا : أي آمنوا بالله ورسوله. ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ .

(١) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سألت عليًّا رضي الله عنه : لِمَ لَمْ يَكْتُبْ فِي بَرَاءَةِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ: لأن بسم الله الرحمن الرحيم أمان، وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان. هذا أحد خمسة أوجه في عدم كتابة البسملة في براءة وهو أوجهها.

(٢) وقيل: إنه يوم عرفة، والصحيح ما ذكرناه في التفسير وأنه يوم النحر.

(٣) وليس المراد بالأشهر الحرم الثلاثة السرد، والواحد الفرد التي هي القعدة والحجة والمحرم ورجب بل المراد منها ما هو مبين في التفسير، ومعنى كونها حرماً أنه يحرم قتال المشركين فيها والتعرض لهم بالسوء والأذى.

(٤) المرصد: مكان الرصد، والرصد: المراقبة وتتبع النظر.

فَخَلَوْا سَبِيلَهُمْ : أي اتركوهم فلا حصار ولا مطاردة ولا قتال. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٥) .  
وَأَنَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ : أي طلب جوارك أي: حمايتك. ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَةَ  
اللَّهِ﴾ (١) .

ثُمَّ أبلغه مأمته : أي المكان الذي يأمن فيه. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦) كَيْفَ يَكُونُ  
لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (٧) .  
فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ : أي لم ينقضوا عهدهم ولم يخلوا بالاتفاقية. ﴿فَأَسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ  
الْمُتَّقِينَ﴾ (٧) .

كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ : أي يغلبوكم.  
لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ : أي لا يراعوا فيكم ولا يحترموا.  
إِلَّا وَلَا ذِمَّةً : أي لا قرابة، ولا عهد فالإل: القرابة، والذمة: العهد. ﴿يُرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ  
قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٨) .

أَشْرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا : أي باعوا آيات الله وأخذوا بدلها الكفر.  
فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ : أي عرضوا عن سبيل الله التي هي الإسلام كما صدوا غيرهم أيضًا.  
إِنَّهُمْ سَاءٌ : أي قبح. ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٩) .

لَا يَرْقُبُونَ : أي لا يراعون. ﴿فِي مُؤْمِنٍ﴾ .  
إِلَّا وَلَا ذِمَّةً : الإل: الله، والقرابة والعهد وكلها صالح هنا. ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ (١٠) .  
فَإِنْ تَابُوا : أي من الشرك والمحاربة. ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ  
وَنُقِضَ الْأَيْمَانُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (١١) .

وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ : أي نقضوا وهدروا. ﴿مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾ .  
وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ : أي انتقدوا الإسلام في عقائده أو عباداته ومعاملاته.  
فَقَتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ : أي رؤساء الكفر المتبعين والمقلدين في الشرك والشر والفساد. ﴿إِنَّهُمْ  
لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْنَ﴾ (١٢) .

الْأَنْفَالُ قَوْمًا : ألا أداة تحضيض.  
نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ : نقضوها وحلوا فلم يلتزموا بها.  
وَهُمْ أَيْ خَرَجَ الرَّسُولُ : من دار الندوة، إذ عزموا على واحدة من ثلاث: العبس أو النفي أو القتل.

(١) الآية دليل على أن ما يسمع من صوت القارئ للقرآن هو كلام الله تعالى فيقول العبد: سمعت كلام الله حقًا وصدقًا.  
(٢) ﴿كَيْفَ يَكُونُ﴾ إلخ كيف: للتعجب نحو قولك: كيف يسبقني فلان؟! في الآية إضمار كلمة غدر أي كيف  
يكون لهم عهد مع إضمارهم الغدر بكم؟

وَهُمْ بَدَأُواكُمْ أَوْلَىٰ مَرَّةً : أي في بدر وفرصاء الهجير؛ حيث أعانت قريش بني بكر على خزاعة. ﴿أَخْشَوْنَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ أَهْوَىٰ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣) قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ ﴿يَأْتِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ : أي يذلهم ويهينهم. ﴿وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ (١٤)

وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ : أي يذهب الغيظ الذي كان بها على المشركين الظالمين. ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١٥).  
أَمْرٌ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا : أي بدون امتحان بالتكاليف كالجهد (١). ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٦).  
وَلَيْجَةً : أي دخيلة وهي الرجل يدخل في القوم (٢) وهو ليس منهم ويطلعونه على أسرارهم وبواطن أمورهم. ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٧).  
مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ : أي ليس من شأنهم أو مما يتأتوا بهم. ﴿أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ﴾ (١٨).  
أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ : أي بطلت فلا يثابون عليها ولا ينجحون فيها. ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ (١٩).

إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ : أي بالعبادة فيها، وصيانتها وتطهيرها. ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ﴾ (٢٠).  
وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ : أي لم يخف أحداً غير الله تعالى.  
فَعَسَىٰ أُولَئِكَ : عسى من الله تعالى كما هي هنا تفيد التحقيق أي: هدايتهم محققة (٣).  
أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٢١﴾ : أي إلى سبيل النجاة من الخسران والظفر بالجنان.  
﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ : مكان يوضع فيه الماء في المسجد الحرام ويسقى منه الحجاج مجاناً.  
وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ : هنا عبارة عن بنائه وصيانتها وسدانة البيت فيه. ﴿كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (٢٢).

(١) ﴿أَمْرٌ حَسِبْتُمْ﴾ أم: هي المنقطعة بمعنى بل إضراباً عما سبق من الكلام وانتقالاً إلى آخر، والاستفهام للإنكار، والحسبان بمعنى الظن والمعنى كيف تظنون أنكم تتركون بعد فتح مكة دون جهاد لأعداء الله ورسوله، وهم ما زالوا يتآمرون ويتجمعون لقتالكم.

(٢) الوليجة: البطانة، من الولوج في الشيء وهو الدخول فيه، والمراد من هذا الرجل يتخذ من أعداء الإسلام صديقاً يدخل عليه ويدخله عليه؛ فيطلع على أسرار المسلمين للنكاية بهم والتسلط عليهم لإضرارهم وإفسادهم وهلاكهم.

(٣) قالت العلماء: «عسى من الله واجبة أي: ما يرجى بها واجب الوقوع، وقيل: هي هنا بمعنى: خليق، أي: فخليق أن يكونوا من المهتدين».

لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ: إذ عمارة المسجد الحرام مع الشرك والكفر لا تساوي شيئاً.  
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾: أي المشركين لا يهديهم لما فيه كمالهم وسعادتهم. ﴿الَّذِينَ  
آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ  
رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ﴾.

وَرِضْوَانٍ: أي رضا الله ﷻ عنهم.

وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿١١﴾: أي دائم لا يزول ولا ينقطع. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ  
أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ ﴿١﴾.

أَوْلِيَاءَ: جمع ولي وهو من تتولاه بالمحبة والنصرة ويتولاك بمثل ذلك.

إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ: أي أحبوا الكفر على الإيمان.

وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾: الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، ومن  
أحب من لا تجوز محبته فقد وضع شيئاً في غير موضعه فهو ظالم. ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ  
وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ﴾.

وَعَشِيرَتُكُمْ: أي قرابتكم من النسب كالأعمام الأبعد وأبنائهم.

وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا: أي اكتسبتموها.

وَتَجَارِعَةٌ تَخْتَوْنَ كَسَادَهَا: بوارها وعدم رواجها. ﴿وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ  
وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾.

فَتَرَبَّصُوا: أي انتظروا.

حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ: أي بعقوبة هذه المعصية وهو فتح مكة. ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ: المواطن جمع موطن بمعنى الوطن وهو محل إقامة  
الإنسان، ويطلق على موضع الحرب وموقعها.

وَيَوْمَ حُنَيْنٍ: وادٍ على بعد أميال مسيرة من الطائف.

إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ: أي كثرة عددكم حتى قال من قال: لن تغلب اليوم من قلة.

فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا: أي لم تُجز عنكم شيئاً - من الأجزاء - إذ انهزمت في أول اللقاء.

وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ: أي لم تعرفوا أين تذهبون، وكيف تتصرفون كأنكم

محصورون في مكان ضيق.

بِمَارْحَبَتٍ: أي على رحابتها وسعتها. ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

(١) لم يذكر الأبناء؛ لأن العادة أن الأبناء تبع لأبائهم وذكر الآباء والإخوان ذكر لأقوى القرابة.



ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ : أَي الطَّمَأِينَةَ فِي نَفْسِهِمْ، فَذَهَبَ الْقَلْقُ

وَالاضْطْرَابُ.

وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا: أَي مِنَ الْمَلَائِكَةِ. ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ

﴿٦٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ: أَي ذُوو نَجَسٍ؛ وَذَلِكَ لَخَبِيثِ أَرْوَاحِهِمْ بِالشَّرْكِ.

فَلَا يَقْرَأُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا: عَامُ تِسْعَةٍ مِنَ الْهَجْرَةِ.

وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً: أَي فَقْرًا وَفَاقَةَ وَحَاجَةً. ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ

عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾.

قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: أَي إِيمَانًا صَحِيحًا يَرْضَاهُ اللَّهُ تَعَالَى لِمُوَافَقَةِ

الْحَقِّ وَالْوَاقِعِ.

وَلَا يُحْرِمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ: أَي كَالْخَمْرِ وَالرِّبَا وَسَائِرِ الْمَحْرَمَاتِ.

وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ: أَي الْإِسْلَامَ إِذْ هُوَ الدِّينُ الَّذِي لَا يَقْبَلُ دِينًا سِوَاهُ.

مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ: أَي الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى.

حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ: أَي الْخِرَاجَ الْمَعْلُومَ الَّذِي يَدْفَعُهُ الذَّمِي كُلِّ سَنَةٍ.

عَنْ يَدَيْهِمْ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٦٩﴾: أَي يَقْدَمُونَ بِأَيْدِيهِمْ لَا يَنْبِيُونَ فِيهِ غَيْرَهُمْ، وَهُمْ صَاغِرُونَ: أَي أَذْلَاءُ

مُنْقَادُونَ لِحُكْمِ الْإِسْلَامِ هَذَا <sup>(١)</sup>.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ: هُوَ الَّذِي أَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ، وَالْيَهُودُ <sup>(٢)</sup> يَسْمُونَهُ: عُزْرًا.

وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ: هُوَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ <sup>(٣)</sup>. ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ

بِأَفْوَاهِهِمْ﴾.

يُضْهِئُونَ: أَي يَشَاهِبُونَ.

قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ: أَي مِنْ آبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمُ الْمَاضِينَ <sup>(٤)</sup>.

فَنَلَّهْمُ اللَّهُ: أَي لَعَنَهُمْ لِأَجْلِ كُفْرِهِمْ.

أَنْفٍ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٠﴾: أَي كَيْفَ يَصْرَفُونَ عَنِ الْحَقِّ.

(١) وفسر قوله: ﴿عَنْ يَدَيْهِ﴾ بالقوة على دفع الجزية بأن يكون المطالب بها قادرًا على أدائها لغناه وعدم فقره، وهو

تفسير حق لأن الفقير منهم لا يطالب بالجزية في حال فقره، وما في التفسير أصح.

(٢) وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ هو كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ فهو لفظ عام، والمراد

الخصوص إذ ما كل اليهود قالوا بهذه القولة ولا كل الناس وإنما بعضهم.

(٣) أي: شابه قولهم قول الكافرين من قبلهم وهم أسلافهم الذين قلدوهم أو قول العرب الذين قالوا: الملائكة

بنات الله، تعالى الله عن البنات والولد علوًا كبيرًا.

اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ : الأخبار جمع : حبر علماء اليهود، والرهبان جمع راهب عابد النصراني.

أَزْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ : أي آلهة يشرعون لهم فيعملون بشرائعهم من حلال وحرام. ﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢١﴾﴾

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ : أي الإسلام لأنه هادٍ إلى الإسعاد والكمال في الدارين. بِأَفْوَاهِهِمْ : أي بالكذب عليه والظعن فيه وصرف الناس عنه. ﴿وَيَأْتِيكَ اللَّهُ إِلَّا أَن يُسَمِّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ : محمدًا ﷺ. ﴿بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ : أي بدون حق أباح لهم أكلها.

وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ : أي يصرفون أنفسهم وغيرهم عن الإسلام الذي هو السبيل المفضي بالعباد إلى رضوان الله تعالى.

وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ : يجمعون المال ويدفونونه حفاظًا عليه ولا يؤدون حقه. الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ : هما النقدان المعروفان.

وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ : أي حيث رضا الله كالجهاد وإطعام الفقراء والمساكين.

فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ : أي أخبرهم بعذاب أليم : أي موجه.

يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ : لأنها تحول إلى صفائح ويحمى عليها ثم تكوى بها جباههم. ﴿فَتَكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾

هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ : أي يقال لهم عند كيهم بها : هذا ما كنزتم لأنفسكم توييخًا لهم وتقريعًا. ﴿فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢٥﴾﴾

إِنَّ عِدَّةَ : أي عدد.

الشُّهُورِ : جمع شهر والشهر تسعة وعشرون يومًا أو ثلاثون يومًا. ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾

أَتْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ : أي كتاب المقادير : اللوح المحفوظ. ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ﴾

مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ : هي رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، الواحد منها حرام والجمع

حرم. ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ : أي الشرع المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

فَلَا تَقْلِبُوا فِيهِمُ أَنْفُسَكُمْ : أي لا ترتكبوا في الأشهر الحرم المعاصي فإنها أشد حرمة.  
وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً : أي جميعاً وفي كل الشهور حلالها وحرامها. ﴿كَمَا  
يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً﴾.

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ : أي بالتأييد والنصر، والمتقون هم الذين لا يعصون الله تعالى.

إِنَّمَا النَّسِيءُ : أي تأخير حرمة شهر المحرم إلى صفر. ﴿زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ  
كَفَرُوا﴾.

يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا : أي النسيء عامًا يحلونه وعامًا يحرمونه.  
لِيُؤَاطِفُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ : أي ليوافقوا عدد الشهور المحرم وهي أربعة. ﴿فِيحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾.  
زَيْنٌ لَهُمْ سَوْءٌ أَعْمِيهِمْ : أي زين لهم الشيطان هذا التأخير للشهر الحرام وهو عمل  
سئى؛ لأنه افتيات على الشارع واحتيال على تحليل الحرام. ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ  
﴿٦٧﴾﴾.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَالَكُزْ : أي أي شيء ثبت لكم من الأعدار.

إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا : أي اخرجوا مستعجلين مندفعين.

فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنفَقْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ : أي تباطأتم كأنكم تحملون أثقالاً. ﴿أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَوَةِ  
الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٦٨﴾﴾ إِلَّا نَفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ  
عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٩﴾﴾.  
إِلَّا نَضُرُّهُ : أي الرسول محمداً ﷺ ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.  
ثَاقِبٌ أَثْنَيْنِ : أي هو وأبو بكر ﷺ.

إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ : غار ثور أي: في جبل يقال له: ثور بمكة.

إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ : هو أبو بكر الصديق ﷺ. ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعْنَا﴾.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ : أي طمأنينته. ﴿عَلَيْهِ وَأَيْدِيَهُمْ يُجْرِدُ لَمْ تَرَوْهَا﴾.

وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا : هي الدعوة إلى الشرك.

السُّفْلَى : أي مغلوبة هابطة لا يسمع لها صوت.

وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا : أي دعوة التوحيد «لا إله إلا الله محمد رسول الله» هي العليا

الغالبة الظاهرة. ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾.

أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا : الخفاف: جمع خفيف، وهو الشاب القوي البدن ذا الجدة من زاد

ومركوب، والثقال: جمع ثقل: وهو الشيخ الكبير والمريض والفقير. الذي لا جدة عنده.

﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ: أي الجهاد بالمال والنفس خير من التثاقل إلى الأرض وترك الجهاد حالاً ومالاً. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٤١).

لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا: غنيمة في مكان قريب غير بعيد.

وَسَفَرًا قَاصِدًا: أي معتدلاً لا مشقة فيه.

لَا تَتَّبِعُوا وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ: الطريق الطويل الذي لا يقطع إلا بمشقة وعناء<sup>(١)</sup>.

﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٤٢).

عَفَا اللَّهُ عَنْكَ: لم يؤاخذك. ﴿لَمْ أَدْنِ لَهُمْ حَتَّى يَسْبِيَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ

الكَذِبِينَ﴾ (٤٣).

لَا يَسْتَعِدُّنَا: أي لا يطلبون منك إذناً بالتخلف عن الجهاد. ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (٤٤) إِنَّمَا يَسْتَعِدُّنَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَزَابَتْ قُلُوبُهُمْ: أي شكت في صحة ما تدعو إليه من الدين الحق.

فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ: أي في شكهم.

يَرَدُّدُونَ (٤٥): حيارى لا يثبتون على شيء.

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً: لهيئوا له ما يلزم من سلاح وزاد ومركوب.

وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ: أي خروجهم معكم.

فَشَبَّطَهُمْ: ألقى في نفوسهم الرغبة في التخلف وحببه إليهم فكسلوا ولم يخرجوا. ﴿وَقِيلَ

اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ (٤٦).

لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ: أي مندسين بين رجالكم.

مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا: الفساد في الرأي والتدبير.

وَلَا وُضِعُوا خِلَالَكُمْ: أي لأسرعوا بينكم بالنميمة والتحرش والإثارة لإبقائكم في الفتنة.

يَبْعَثُكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونَ هُمْ: أي بينكم من يكثر السماع لهم والتأثر بأقوالهم المشيرة

الفاصلة. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٤٧).

لَقَدْ ابْتِغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ: أي عند مجيئك المدينة مهاجراً.

(١) الشقة: بالضم: السفر إلى أرض بعيدة وهي هنا تبوك.

(٢) هؤلاء قوم منافقون قالوا: نستأذنه في القعود فإن أذن لنا قعدنا، وإن لم يأذن لنا قعدنا، أما غير هؤلاء فقد رخص

له في الإذن لمن شاء في قوله: ﴿فَأَذِنَ لِمَنْ شَاءَ﴾ من سورة النور.

(٣) القاعدون هم أولو الضرر، والعميان والزمني، والنساء والأطفال

والقاتل لهم اقعدوا هو الرسول ﷺ لما طلبوا منه الإذن بالقعود وجائز أن يكون قاله بعضهم لبعض أو قاله

الرسول ﷺ حال غضبه عليهم، أو هو تمثيل لخلق الله تعالى داعية القعود في قلوبهم حتى لا يخرجوا فيفسدوا.

وَقَلْبُوا لَكَ الْأُمُورَ: بالكيد والمكر والاتصال باليهود والمشركين والتعاون معهم.  
 حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ: بأن فتحت مكة ودخل الناس في دين الله أفواجا.  
 وَهُمْ كَرِهُوا ﴿٤٨﴾: أي لمجيء الحق وظهور أمر الله بانتصار دينه.  
 وَمِنْهُمْ: أي من المنافقين وهو الجعد بن قيس.  
 مَنْ يَكْفُرْ أَتَدْنِي: أي في التخلف عن الجهاد.  
 وَلَا نَفْتِي: أي لا توقعني في الفتنة بدعوى أنه إذا رأى نساء الروم لا يملك نفسه.  
 أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا: وأي فتنة أعظم من الشرك والنفاق. ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ  
 بِالْكَافِرِينَ﴾ ﴿٤٩﴾.  
 إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ: الحسنة كل ما يحسن من نصر وغنيمة وعافية، ومعنى  
 تسؤهم أي يكرهون لها ويحزنون. ﴿وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ﴾  
 يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ: أي احتطنا للأمر ولذا لم نخرج معهم. ﴿وَيَسْتَوِلُوا﴾ (١) وَهُمْ  
 فَرِحُوا ﴿٥٠﴾ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾.  
 قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ: الأولى الظفر بالعدو والانتصار عليه، والثانية:  
 الشهادة المورثة للجنة. ﴿وَمَنْ نَرَبَّصْ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾  
 فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبَّصُونَ ﴿٥٢﴾: أي انتظروا فإننا معكم من المنتظرين (٢).  
 قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا: أي وأنتم طائعون أو أنتم مكرهون على الإنفاق. ﴿لَنْ يُنْقَبَلَ مِنْكُمْ﴾  
 إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾: الجملة علة لعدم قبول نفقاتهم. ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ  
 نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.  
 وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى (٣): متماثلون لعدم إيمانهم في الباطن بفائدة الصلاة. ﴿وَلَا  
 يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ ﴿٥٤﴾.  
 فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ: أي لا تستحسنوا أيها المسلمون ما عند المنافقين من مال وولد.  
 ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾  
 وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ: أي تفيض وتخرج من أجسامهم. ﴿وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ وَخَلْقُوكَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ

(١) ﴿وَيَسْتَوِلُوا﴾ أي: راجعين إلى بيوتهم ومجالسهم وهم كافرون، فهم متولون في الحقيقة عن الإيمان ﴿فَرِحُوا﴾ أي: معجبون بنجاحهم المؤقت.

(٢) ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ هذا الأمر للتهديد والوعيد، كأنما يقول لهم: انتظروا مواعيد الشيطان فإننا منتظرون مواعيد الرحمن وشتان بين ما نتظر وما تنتظرون!

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا كان في جماعة صلى وإذا انفرد لم يصل. أي: المنافق لأنه لا يرجو على الصلاة ثوابًا، ولا يخشى على تركها عقابًا وهذا منشأ الكسل في الصلاة وغيرها من سائر العبادات.

لَمِنْكُمْ ﴿١﴾ .

وَمَا هُمْ مِنْكُمْ : أي في باطن الأمر؛ لأنهم كفرون، ووجوههم وقلوبهم مع الكافرين.

وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٦﴾ : أي يخافون خوفاً شديداً منكم.

لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً : أي مكاناً حصيناً يلجئون إليه.

أَوْ مَغَارَاتٍ : جمع مغارة وهي الغار في الجبل.

أَوْ مَدْخَلًا : أي سرباً في الأرض يستتر فيه الخائف الهارب.

لَوْ لَوْ إِلَى اللَّهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ : يسرعون سرعة تتعذر مقاومتها وإيقافها.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ : أي يعيبك في شأن توزيعها ويطعن فيك. ﴿فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا﴾ .

وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْحَطُونَ ﴿٥٨﴾ : أي غير راضين. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ

وَرَسُولُهُ﴾ أي من الصدقات (جواب لو محذوف تقديره: لكان خيراً لهم).

وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ : أي كافينا كل ما يهمننا. ﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ .

إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ : إلى الله وحده راغبون أي: طامعون راجون.

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ﴾ : جمع صدقة: وهي هنا الزكاة المفروضة في الأموال.

لِلْفُقَرَاءِ : جمع فقير وهو من ليس له ما يكفيه من القوت ولا يسأل الناس.

وَالْمَسْكِينِ : جمع مسكين وهو فقير ليس له ما يكفيه ويسأل الناس ويدل نفسه بالسؤال. [راجع

هامش قوله تعالى: ﴿...وَالسَّائِلِينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهَا : أي على جمعها وجبايتها وهم الموظفون لها.

وَالْمَوْلَفَةَ فَلُوهُمُ : هم أناس يرجئ إسلامهم أو بقاؤهم عليه إن كانوا قد أسلموا وهم ذوو شأن

وخطر ينفع الله بهم إن أسلموا، وحسن إسلامهم.

وَفِي الرِّقَابِ : أي في فك الرقاب أي: تحريرها من الرق فيعطى المكاتبون ما يسددون به نجوم أو

أقساط كتابتهم. وَالغَرَمِينَ ﴿٢﴾ .

وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ : أي الجهاد لإعداد العدة وتزويد المجاهدين بما يلزمهم من نفقة.

وَأَبْنِ السَّبِيلِ : أي المسافر المنقطع عن بلاده ولو كان غنياً ببلاده.

فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ : أي فرضها الله تعالى فريضة على عباده المؤمنين. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

(١) لأنهم يتخذون أيمانهم الكاذبة وقاية يتقون بها ما يخافونه من بطش المؤمنين بهم إذا عرفوا أنهم كفرون كما قال تعالى في سورتهم: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ .

(٢) الغارمين: جمع غارم، وهو من ترتب عليه ديون بسبب ما أنفقه في طاعة الله تعالى على نفسه وعائلته. ولم يكن لديه مال لا نقد ولا عرض يسدد به ديونه.

(٦٠) ﴿١﴾

وَمَنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ: أي الرسول محمدًا ﷺ، والأذى: المكروه يصيب الإنسان كثيرًا أو يسيرًا.

وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ: أي يسمع من كل من يقول له ويحدثه وهذا من الأذى.

قُلْ أذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ: أي هو يسمع من كل من يقول له لا يتكبر، ولكن لا يقر إلا الحق ولا

يقبل إلا الخير والمعروف فهو أذن خير لكم إذ لا أذن شر مثلكم أيها المنافقون.

يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ: أي يصدق المؤمنين الصادقين من المهاجرين والأنصار، أما غيرهم فإنه إن يسمع منهم لا يصدقهم؛ لأنهم كذبة فجرة. ﴿وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٦١) يَخْلُفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ ﴿٦٢﴾

وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ: أي الله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه. ﴿إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٦٣) ﴿٦٤﴾

الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ: أي يعادهما، ويقف دائمًا في حدٍّ وهما في حدٍّ فلا ولاء ولا موالاتة أي: لا محبة ولا نصرة. ﴿فَأَن تَارَ جَهَنَّمَ خَلِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ (٦٥) ﴿٦٦﴾

يَحْذَرُ الْمُتَنَفِّقُونَ: أي يخافون ويحترسون.

أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ: أي في شأنهم فتفضحهم بإظهار عيبتهم.

نُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ: أي تخبرهم بما يضمرونه في نفوسهم.

قُلْ أَسْتَهْزِئُ بِالْأَمْرِ هُنَا لِلتَّهْدِيدِ.

إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٦﴾: أي مخرجه من نفوسهم؛ مظهره للناس أجمعين. ﴿وَلَيْن

سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا

نَخْوِضُ وَنَلْعَبُ: أي نخوض في الحديث على عادتنا ونلعب لا نريد سبًا ولا طعنًا.

قُلْ أَيْدِي اللَّهِ وَأَيْدِيهِ، وَرَسُولِهِ، كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٧﴾: أي تسخرون وتحتقرون. ﴿لَا تَعْتَدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ

بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نَعَدْتَ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (٦٨) ﴿٦٩﴾

الْمُتَنَفِّقُونَ وَالْمُتَفَقِّتُ: أي الذين يظهرون للمؤمنين الإيمان بألسنتهم ويسترون الكفر في قلوبهم.

بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ: أي متشابهون في اعتقادهم وقولهم وعملهم فأمرهم واحد، في الخروج عن

الدين، أو هم متشابهون في الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف.

(١) قال القرطبي: فائدة الخلاف في الفقراء والمساكين تظهر فيمن أوصى بثلاث ماله لفلان وللفقراء والمساكين فمن

قال: هما صنف واحد يكون الثلث الموصى به نصفه لفلان ونصفه الآخر للفقراء، ومن قال: هما صنفان يقسم

الثلث الموصى به بينهم أثلاثًا.

يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ: أي ما ينكره الشرع لضرره أو قبحه وهو الكفر بالله ورسوله.  
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ: أي ما عرفه الشرع نافعاً فأمر به من الإيمان والعمل الصالح.  
وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ: أي يمسكونها عن الإنفاق في سبيل الله<sup>(١)</sup>.

نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ: أي تركوا الله فلم يؤمنوا به ورسوله فتركهم من توفيقه وهدايته. ﴿إِنَّ  
الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكٰفِرَ ﴿٢﴾ نَارَ جَهَنَّمَ خٰلِدِينَ  
فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ ﴿٣﴾.

وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾: أي دائم لا يزول ولا يبيد. ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ  
كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَآكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾.

فَأَسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ: أي بنصيهم وحظهم من الدنيا. ﴿فَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا أَسْتَمْتَعُ  
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ﴾.

وَحُضَّتُمْ: أي في الكذب والباطل. ﴿كَالَّذِي خٰضَوْا أَوْلِيٰكَ حٰطَتِ اَعْمٰلُهُمْ فِي الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةِ وَأَوْلِيٰكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ الْقٰيٰتِيَهُمْ ﴿٤﴾ نَبَأَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ  
وَتَمُوْدَ وَقَوْمِ اِبْرٰهِيْمَ ﴿٥﴾ وَأَصْحٰبِ مَدْيَنَ﴾.

وَالْمُؤْتَفِكَةَ: أي المنقلبات حيث صار عاليها سافلها وهي ثلاث مدن<sup>(٦)</sup>.

أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ: الآيات الدالة على صدقهم في رسالاتهم إليهم. ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ  
لِيُظْلِمَهُمْ وَلٰكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ: أي الصادقون في إيمانهم بالله ورسوله ووعد الله ووعيده.

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ: أي يتولى بعضهم بعضاً في النصرة والحماية والمحبة والتأييد. ﴿يَأْمُرُونَ  
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.

وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ: أي يؤديونها في خشوع وافية الشروط والأركان والسنن والآداب.

وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ: أي يخرجون زكاة أموالهم الصامته كالدرهم والدنانير والمعشرات،

(١) أي: وصفهم بالبخل والشح كما قال تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ كما أن امتناعهم عن الخروج إلى الجهاد يعتبر قبضاً لأيديهم.

(٢) الأصل أن الوعد يكون في الخير والإيعاد يكون في الشر، وإطلاق الوعد على الوعيد كما هو هنا تهكم بهم.

(٣) ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ مبتدأ وخبر ومعناه: أنها كافية ووفاء لجزاء أعمالهم.

(٤) الاستفهام للتقرير، والتحذير بمعنى: ألم يسمعوا بإهلاكنا الكفار من قبلهم.

(٥) هم نمرود بن كنعان وقومه.

(٦) هي: سدوم، وعمورة، وأرمة، وكانت مدناً متاخمة بعضها قريب من بعض، والراء قوم لوط عليه السلام.



والناطقة كالأنعام، والإبل والبقر والغنم. ﴿وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (١) أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ (٢) إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ ﴿٧٢﴾.

فِي جَنَّتٍ عَدْنٍ : أي إقامة دائمة لا يخرجون منها ولا يتحولون عنها.  
وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ : أي رضوان الله الذي يحله عليهم أكبر من كل نعيم في الجنة.  
﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٧٢).

يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ جَهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ : ابذل غاية جهدك في قتال الكفار والمنافقين، ويدخل في هذا الخطاب أمته ﷺ.

وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ : أي في القول والفعل أي شدد عليهم ولا تلتن (٣) لهم. ﴿وَمَا أَوْثَقْتُمُ جَهَنَّمَ وَيَبَسَ الْمَصِيرُ﴾ (٧٣).

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ : أي كلمة يكفر بها من قالها وهي قول الجلاس بن سويد: إن كان ما جاء به محمد حقاً لنحن شر من الحمير.

وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا : أي هموا بقتل النبي ﷺ في مؤامرة دنيئة وهم عائدون من تبوك.

وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ : أي ما أنكروا أو كرهوا (٤) من الإسلام ورسوله إلا أن أغناهم الله بعد فقر أعلى مثل هذا يهمون بقتل رسول الله؟ ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ يَسْتَوَلُوا يُعَذِّبْهُمْ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (٧٤).

﴿وَمِنْهُمْ : أي من المنافقين.

مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَكُمْ لَكُمْ أَنْ تَأْتُوا مِنْ فَضْلِهِ : أي مالا كثيراً. ﴿لِنَصَّدَّقَنَّ وَلِنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٧٥).  
فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ : أي منعه فلم يؤدوا حقه من زكاة وغيرها. ﴿وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٧٦).

(١) أي: يؤدون الفرائض والسنن فعلاً ويجتنبون المنهيات والمكروهات تركاً.

(٢) السين في ﴿سَيَرْحَمُهُمُ﴾ للتأكيد وتحمل معنى الخوف والرجاء وهما جناح المؤمن لا يطيرون في سماء الكمالات إلا بهما.

(٣) هذه الآية نسخت كل شيء من العفو والصفح اللذين كان الرسول ﷺ يؤمر بهما إزاء المشركين والمنافقين [وهي تسمى بآية السيف].

(٤) أي: ليس ينقمون شيئاً إلا أنهم كانوا فقراء فأغناهم الله بما كان الرسول ﷺ يعطيهم من الغنائم، قيل لأحدهم: هل تجد في القرآن نظير قولهم اتق شر من أحسنت إليه؟ قال: نعم هو قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ : أي فأورثهم البخل نفاقًا ملازمًا لقلوبهم لا يفارقها.  
إِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ : أي يلقون الله تعالى.

بِمَا أَخْلَقُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ : أي بسبب إخلافهم ما وعدوا الله تعالى به. ﴿وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾  
﴿٧٧﴾

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ : أي ما يسرونه في نفوسهم ويخفونه، وما يتناجون به  
فيما بينهم.

وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ : يعلم كل غيب في الأرض أو في السماء.  
الَّذِينَ يَلْمِزُونَ : أي يعيون ويطعنون.

الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ : أي المتصدقين بأموالهم زيادة على الفريضة.  
وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ : إلا طاقتهم وما يقدرون عليه فيأتون به.

فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ : أي يستهزئون بهم احتقارًا لهم. ﴿سَخَّرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٧٩﴾  
أَسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ : أي اطلب لهم المغفرة أو لا تطلب. ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً  
فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ : أي إنى ما فيه خيرهم وسعادتهم وذلك لتوغلهم في العصيان.  
فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ : أي سر الذين تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله ﷺ. ﴿بِمَقْعَدِهِمْ خَلَفَ  
رَسُولُ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ : أي قال المنافقون بعضهم لبعض: لا تخرجوا للغزو في الحر.  
قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ : أي لو كانوا يفقهون أسرار الأمور وعواقبها ونتائجها  
لما قالوا: لا تنفروا في الحر ولكنهم لا يفقهون.

فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا : أي في الدنيا، وليبكوا كثيرًا في الدار الآخرة. ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا  
يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٨٢﴾

فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ : أي من المنافقين.

فَأَسْتَعِذُّوكَ لِلْخُرُوجِ : معك لغزو وجهاد. ﴿فَقُلْ لَنْ أَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ نُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ  
رَضِيْتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾

فَأَقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ : أي المتخلفين عن تبوك من النساء والأطفال وأصحاب الأعدار.  
وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا : أي صلاة الجنازة.

وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ : أي لا تتول دفنه والدعاء له كما تفعل مع المؤمنين. ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾

وَمَا تَأْتُوا مِنْهُمْ فَمَنْ سَفُوتٌ ﴿٨٤﴾ : أي خارجون عن طاعة الله ورسوله. ﴿وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَ بِهِم بِمَا فِي الدُّنْيَا﴾

وَتَرَهَقَ أَنْفُسَهُمْ: أي تخرج أرواحهم بالموت. ﴿وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (٨٥) وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ ﴿

اسْتَدْنَكَ: أي طلبوا إذنك لهم بالتخلف.

أُولَئِكَ الظُّلُمُوتُ مِنْهُمْ: أي أولو الثروة والغنى.

وَقَالُوا أَذْرَانًا لَنْ نَكُنَّ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾: أي اتركنا مع المتخلفين من العجزة والمرضى والأطفال والنساء.

رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ: أي مع النساء جمع خالفة المرأة تخلف الرجل في البيت إذا غاب.

وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ: أي توالى ذنوبهم على قلوبهم فأصبحت طابعا عليها فحجبها المعرفة.

﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٨٧) لَنْ يَكُنَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴿

وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرَاتُ: أي في الدنيا بالنصر والغنيمة وفي الآخرة بالجنة والكرامة فيها.

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾: أي الفاتزون بالسلامة من المخوف والظفر بالمحسوب. ﴿أَعَدَّ

اللهُ لَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٨٩) ﴿

وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ: أي المعتذرون. ﴿مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴿

وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ: أي ولم يأت إلى طلب الإذن بالقعود عن الجهاد مناقفو

الأعراب. ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٩٠) ﴿

لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ: أي كالشيوخ.

وَلَا عَلَى الْمَرْضَى: كالعمي والزمنى. ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ ﴿

حَرَجٌ: أي إثم على التخلف.

إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ: أي لا حرج عليهم في التخلف إذا نصحوا لله ورسوله وذلك بطاعتهم لله

ورسوله مع تركهم الإرجاف والشيط.

مَاعَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ: أي من طريق إلى مؤاخذتهم. ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٩١) ﴿

وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّأَ لِيُحْمَلَهُمْ: أي على رواحل يركبونها. ﴿قُلْتُ لَا أَحِدٌ مَّا

أَحْمَلُكُمْ عَلَيْهِ ﴿

تَوَلَّوْا: أي رجعوا إلى بيوتهم.

وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ: أي تسيل بالدموع الغزيرة حزنا على عدم الخروج. ﴿حَزَنًا أَلَّا

يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ﴾ (٩٢) ﴿

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ: أي الطريق إلى المعاقبة. ﴿عَلَى الَّذِينَ يَسْتَدْنُونَكَ ﴿

وَهُمْ أَغْنِيَاءُ: واجدون لأهبة الجهاد مع سلامة أبدانهم.

رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ: أي النساء والأطفال والعجزة. ﴿وَطَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا

يَعْلَمُونَ﴾ (٩٣) ﴿

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ : أي إذا عدتم إليهم من تبوك، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً.  
قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ : أي لن نصدقكم فيما تقولون. ﴿قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَنْبَارِكُمْ  
وَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ .

ثُمَّ تَرُدُّونَ : أي يوم القيامة. ﴿إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٩٤) ﴿  
سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ : أي رجعتم من تبوك.  
لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ : أي لا تعاقبوا. ﴿فَاعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ .

إِنَّهُمْ رِجْسٌ : أي نجس لخبث بواطنهم. ﴿وَمَا أَوْلَتْهُمُ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٩٥) ﴿  
يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (٩٦) ﴿ .

الْأَعْرَابُ : جمع أعرابي؛ وهو من سكن البادية.

أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا : أي من كفر و منافقي الحاضرة.

وَأَجْدَرُ : أي أحق وأولى.

أَلَا يَعْلَمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ : أي بشرائع الإسلام. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٩٧) ﴿ .

وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا : أي غرامة وخسرانًا.

وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمْ : أي ينتظر.

الدَّوَائِرُ : جمع دائرة؛ ما يحيط بالإنسان من مصيبة أو نكبة.

عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ : أي المصيبة التي تسوءهم ولا تسرههم وهي الهلاك. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ .

وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَةً عِنْدَ اللَّهِ : جمع قرابة؛ وهي المنزلة المحمودة.

وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ : أي دعاءه لهم بالخير. ﴿أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ

رَحِيمٌ﴾ (٩٩) ﴿ .

وَالسَّيْفِيُّونَ الْأَوَّلُونَ : أي إلى الإيمان والهجرة والنصرة والجهاد. ﴿مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ .

وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ : أي في أعمالهم الصالحة.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ : بسبب طاعتهم وإنابتهم إليه وخشيتهم منه ورغبتهم فيما لديه.

وَرَضُوا عَنْهُ : بما أنعم عليهم من جلائل النعم وعظام المنن. ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي

تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذاك الفوز العظيم﴾ (١٠٠) ﴿ .

وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُتَّفِقُونَ : أي حول المدينة من قبائل العرب.

وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَىٰ الْإِتِّفَاقِ : مرقوا وحقوه وعتوا فيه. ﴿لَا تَعْلَمُوهُمْ تَحَنُّنًا وَعَدْلًا﴾ .

سَنَعَدِيهِمْ مَرَّتَيْنِ : الأولى: قد تكون فضيحتهم بين المسلمين، والثانية: عذاب القبر. ﴿ثُمَّ

يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ (١٠١) ﴿ . وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ

إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٢﴾ ﴿١١٢﴾

حَذِّمِ أَمْوَالَهُمْ صَدَقَةً: مَا لَا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا: أَي تَطَهِّرُهُمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَتُزَكِّيهِمْ أَنْتَ أَيُّهَا الرَّسُولُ بِهَا بِدَعَائِكَ لَهُمْ

وَتُنَائِكَ عَلَيْهِمْ.

وَصَلِّ عَلَيْهِمْ: أَي ادْعُ لَهُمْ بِالْخَيْرِ.

إِنَّ صَلَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ: أَي دَعَاؤُكَ رَحْمَةٌ. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٣﴾﴾ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ﴿١١٣﴾

التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ. وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ: يَتَقَبَّلُهَا. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٤﴾﴾ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ

عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالِيِّ وَالشَّهَادَةُ فَيُنْتَشَرُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١١٥﴾

وَأَخْرُوجُ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ: مُؤَخَّرُونَ لِحُكْمِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ. ﴿إِمَّا يَعِدُّهُمْ وَإِمَّا يَنْتَوِبُ عَلَيْهِمْ ﴿١١٥﴾﴾

وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٦﴾: أَي بِخَلْقِهِ نِيَاتٍ وَأَمْوَالًا وَأَعْمَالًا، حَكِيمٌ فِي قَضَائِهِ وَشَرْعِهِ.

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا: أَي لِأَجْلِ الْإِضْرَارِ. ﴿وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٦﴾﴾

وَأَرْصَادًا: انْتِظَارًا وَتَرْقُبًا. ﴿لَمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا ﴿١١٧﴾﴾

إِلَّا الْحُسْنَى: أَي إِلَّا الْخَيْرَ وَالْحَالَ الْأَحْسَنَ. ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١٧﴾﴾

لَا نَقُومُ فِيهِ أَبَدًا: أَي لَا تَقُمْ فِيهِ لِلصَّلَاةِ أَبَدًا.

لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى: أَي بَنِيَ عَلَى التَّقْوَى وَهُوَ مَسْجِدُ قِبَاءَ. ﴿مِنْ أَوَّلِيَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴿١١٨﴾﴾ (١)

فِيهِ رِجَالٌ: هُمْ بَنُو عَامِرِ بْنِ عَوْفٍ. ﴿يُحِبُّونَ أَنْ يُطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١١٨﴾﴾

أَفَمَنْ أُسِّسَ بُيُوتُهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ: أَي عَلَى خَوْفٍ.

وَرِضْوَانٍ: أَي رِجَاءِ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى.

خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُيُوتُهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ: أَي عَلَى طَرَفِ جُرْفٍ مُشْرِفٍ عَلَى السَّقُوطِ، وَهُوَ

مَسْجِدُ الضَّرَارِ. ﴿فَأْتَاهَا رَبُّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١٩﴾﴾

لَا يَزَالُ بُنِيَ لَهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيْبَةً فِي قُلُوبِهِمْ: أَي شَكًّا فِي نَفْسِهِمْ.

إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ: أَي تَفْصَلَ مِنْ صُدُورِهِمْ فَيَمُوتُوا. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٢٠﴾﴾ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ ﴿١٢٠﴾

الْجَنَّةَ: هِيَ دَارُ السَّلَامِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُتَّقِينَ.

(١) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي فِي جُوفِ الْمَدِينَةِ هُوَ الْمَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ، وَهَذَا صَحِيحٌ وَلَا مَنَافَاةَ بَيْنَ الْآيَةِ وَبَيْنَ هَذَا لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ مَسْجِدُ قِبَاءَ قَدْ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ، فَمَسْجِدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِطَرِيقِ الْأَوَّلَى وَالْآخِرَى؛ وَلِهَذَا رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ... وَذَكَرَ الْحَدِيثَ (قُلْ).

يَقْنُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: أي الكفار والمشركين. ﴿فَيَقْنُلُونَ وَيَقْنُلُونَ﴾  
وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا: أي وعدهم وعدًا حقًا.

فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ: أي مذكورًا في التوراة والإنجيل والقرآن.

وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ: أي لا أحد أوفى بعهده من الله تعالى.

فَأَسْتَبِشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾: أي ذلك البيع هو الفوز العظيم.

التَّيْبُوتُ: أي من الشرك والنفاق والمعاصي.

الْعَكِيدُوتُ: أي المطيعون لله في تذلل وخشوع مع حبهم لله وتعظيمهم له. العَكِيدُوتُ.

﴿التَّسْبِيحُوتُ﴾: أي الصائمون والخارجون في سبيل الله لطلب علم أو تعليمه أو جهاد

لأعدائه. ﴿الرَّكْعُوتُ التَّسْبِيحُوتُ﴾.

الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ: أي بعبادة الله تعالى وتوحيده فيها.

وَالنَّكَاهُوتُ عَنِ الْمُنْكَرِ: أي عن الشرك والمعاصي.

وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ: أي القائمون عليها العاملون بها.

وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾: أي بالجنة دار السلام. ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ: أي يسألوا الله تعالى لهم المغفرة.

وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ: أصحاب قرابة كالأبوة والبنوة والأخوة. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ

أَصْحَابُ الْحَجِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا

عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ: أي وعد وعده به. ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ﴾.

تَبَرَّأ مِنْهُ: أي قال: إني بريء منك.

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾: الأواه: كثير الدعاء والشكوى إلى الله تعالى، والحليم الذي لا

يغضب ولا يؤخذ بالذنب. ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ﴾.

حَتَّىٰ يَبَيَّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ: أي ما يتقون الله تعالى فيه فلا يفعلونه أو لا يتركونه. ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ

مِنْ وَلِيٍّ: الولي من يتولى أمرك فيحفظك ويعينك. ﴿وَلَا نَصِيرٌ ﴿١١٦﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ ﴿١﴾

وَالْمُهَاجِرِينَ: الذين هجروا ديارهم من مكة وغيرها ولحقوا برسول الله بالمدينة.

وَالْأَنْصَارِ: هم سكان المدينة من الأوس والخزرج آمنوا ونصروا رسول الله ﷺ.

الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ: هي أيام الخروج إلى تبوك لشدة الحر والجوع والعطش.

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانت التوبة على النبي ﷺ لأجل إذنه ' منافقين في القعود دليله قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ؟﴾ وعلى المؤمنين من ميل قلوب بعضهم إلى التخلف عنه.

مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ : أَي تَمِيلُ عَنِ الْحَقِّ لَشِدَّةِ الْحَالِ وَصُعُوبَةِ الْمَوْقِفِ .  
﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١١٧) .

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا : هُم كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ وَمِرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ وَهَلَالُ بْنُ أُمِيَّةَ . وَمَعْنَى خَلَفُوا .  
أَرْجَتْوَا بِالْبَتِّ فِي تَوْبَتِهِمْ إِذْ تَقَدَّمَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَءَاخِرُونَ مَرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ : فَقَدْ تَخَلَّفَتْ تَوْبَتُهُمْ  
لِخَمْسِينَ يَوْمًا .

حَتَّى إِذَا صَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ : أَي عُلَى اتِّسَاعِهَا ، وَرَحَابَتِهَا . ﴿وَصَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ .  
وَوَظَنُوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ : أَي إِذْ لَا مَكَانَ لِلْجُوءِ فِيهِ وَالْهَرَبِ إِلَيْهِ . ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ  
لِيَسْتُوُوا إِنْ أَرَادَ اللَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ (١١٨) .

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ : فِي نِيَاتِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ ،  
وَالصِّدْقُ ضِدُّ الْكُذْبِ .

مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ : وَهَمُّ : مَزِينَةٌ وَجْهِيَّةٌ وَأَشْجَعٌ وَغَفَارٌ وَأَسْلَمٌ .  
أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْعَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ : أَي يَطْلُبُوا لِأَنْفُسِهِمُ الرَّاحَةَ وَلِنَفْسِ رَسُولِ  
اللَّهِ التَّعَبَ وَالْمَشَقَّةَ .

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ : أَي عَطَشٌ .

وَلَا نَصَبٌ : أَي وَلَا تَعَبٌ .

وَلَا مَخَصَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ : أَي مَجَاعَةٌ شَدِيدَةٌ .

وَلَا يَطْشُونَ مَوْطِنًا يَعْزِطُ الْكُفَّارَ : أَي يُصِيبُهُمْ بَغِيظٌ فِي نَفْسِهِمْ يَحْزَنُهُمْ .

وَلَا يَنَالُونَ مِنَ عَدُوِّ نِيْلًا : أَي مَنَالًا مِنْ أَسْرٍ أَوْ قَتْلِ أَوْ هَزِيمَةٍ لِلْعَدُوِّ . ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ

صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٢٠) وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً .

وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا : الْوَادِي : سَيْلُ الْمَاءِ بَيْنَ جَبَلَيْنِ أَوْ مَرْتَفِعَيْنِ . ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمْ

اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٢١) .

﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً﴾ : أَي يَخْرُجُوا لِلْغَزْوِ وَالْجِهَادِ جَمِيعًا .

فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ : أَي جَمَاعَةٌ مَعْدُودَةٌ .

لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ : أَي لِيَعْلَمُوا أَحْكَامَ الدِّينِ وَأَسْرَارَ شَرَائِعِهِ .

وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ : أَي لِيَخُوفُوهُمْ عَذَابَ النَّارِ بِتَرْكِ الْعَمَلِ بِشَرَعِ اللَّهِ .

إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ : أَي عَذَابَ اللَّهِ تَعَالَى بِالْعَمَلِ وَالْعَمَلِ .

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا : أَي بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَوَعْدِ اللَّهِ وَوَعِيدِهِ .

فَتَلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ : أَي يَلُونَ بِلَادَكُمْ وَحُدُودَهَا .

مِنَ الْكُفَّارِ : (مَنْ) بَيَانِيَّةٌ ، أَي الْكَافِرِينَ .

وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غُلَظَةً : أي قوة بأس وشدة مراس ليرهبوكم وينهزموا أمامكم.  
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٤٣﴾ : أي بنصره وتأييده، والمتقون: هم الذين اتقوا الشرك  
والمعاصي والخروج عن السنن الإلهية في النصر والهزيمة.  
وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ : أي قطعة من القرآن وسواء كانت آيات من سورة أو سورة بكاملها  
وحدودها.

فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا : أي السورة قوت إيمانه وزادت فيه؛ لأنها كالغيث  
النافع. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ .

وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٤٤﴾ : فرحين بفضل الله تعالى عليهم.  
وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ : أي شك ونفاق وشرك.  
فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ : أي نجسنا إلى نجس قلوبهم ونفوسهم. ﴿وَمَا تَوْأَمَهُمْ كُفْرًا﴾

﴿١٤٥﴾

أُولَئِكَ يَرْوُونَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ : أي يمتحنون. ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ .  
وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٤٦﴾ : أي لا يتعظون لموات قلوبهم. ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ  
إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَكُمْ مِنَ الْوَادِعِ أَنْصَرَفُوا﴾ .

صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ : دعاء عليهم بأن لا يرجعوا إلى الحق بهد انصرافهم عنه.  
بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٤٧﴾ : أي لا يفهمون أسرار الخطاب سنمة قلوبهم وخبث نفوسهم.  
لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ : أي محمد بن عبد الله ﷺ من جنسكم عربي.  
عَزِيزٌ عَلَيْهِ : أي شاق صعب.

مَا عَنِتُّمْ : أي ما يشق عليكم وصعب تحمله.  
حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ : أي حريص على هدايتكم وما فيه خيركم وسعادتكم.  
بِالْمُؤْمِنِينَ كَرَّةً وَوَقْتُ : شفيق.

رَجِيمٌ ﴿١٤٨﴾ : يرق ويعطف ويرحم.

فَإِنْ تَوَلَّوْا : أي أعرضوا عن دين الله وما جئت به من الهدى.  
فَقَدْ حَسِبَ اللَّهُ : أي كافي الله.

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ : أي لا معبود بحق إلا هو.

عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ : أي فوضت أمري إليه واعتمدت عليه.

وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٤٩﴾ : عرش الله تعالى لا أعظم منه إلا خالقه ﷻ إذ كرسبه تعالى

وسع السموات والأرض ونسبة الكرسي إلى العرش كحيلة ملقاة في أرض فلاة.







**الباب الثالث**  
**من سورة «يونس»**  
**إلى سورة «النحل»**



## ١٠ - سُورَةُ يُوسُفَ

«مكية»

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ: هذه السورة الرابعة من السور المفتحة بالحروف المقطعة تكتب «الر» وتقرأ ألف. لام. را. تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ: أي القرآن العظيم.

الْحَكِيمِ ﴿١﴾: القائل بالحكمة، والقرآن مشتمل على الحكم فهو حكيم ومحكم أيضًا.

أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا: العجب ما يتعجب منه.

أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ: هو محمد ﷺ. أَنْ أَنْذِرَ النَّاسَ وَبَشِّرَ الَّذِينَ ءَامَنُوا.

أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ<sup>(١)</sup>: أي أجرًا حسنًا بما قدموا في حياتهم من الإيمان وصالح الأعمال.

قَالَ الْكٰفِرُونَ إِنَّا هَذَا: أي القرآن.

لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾: وفي قراءة (لسحر مبين): أي بين ظاهر لا خفاء فيه في كذبهم وادعائهم الباطل.

(هذه قراءة نافع).

إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ: أي معبودكم الحق الذي يجب أن تعبدوه وحده هو الله.

الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ: أي أوجدها من العدم حيث كانت عدما فأصبحت عوالم.

فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ: هي الأحد والإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة.

ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ: أي استوى استواء يليق بذاته ﷻ فلا يقال.. كيف؟

يَذَرُ الْأَمْرَ<sup>(٢)</sup> مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ: أي لا يشفع أحد يوم القيامة إلا من بعد أن يأذن له.

ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾: أي أتستمرون في جحودكم وعنادكم فلا تذكرون.

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُوَ الْخَلْقَ﴾.

ثُمَّ يُعِيدُهُ: أي بعد الفناء والبلوى وذلك يوم القيامة. ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ: أي من ماء أحمر عليه وغلي حتى أصبح يشوي الوجوه.

﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ مِّمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ ﴿٤﴾.

هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً: أي جعلها تضيء على الأرض.

وَالْقَمَرَ نُورًا: أي جعل القمر ينور الأرض وهو الذي خلق ضوء الشمس ونور القمر.

(١) ذكر القرطبي في تفسير ﴿قَدَمٌ صِدْقٍ﴾ أقوالاً متعددة منها: سبق السعادة في الأزل، ومنها: أجر حسن، ومنها: منزل صدق، ومنها: ولد صالح قدمه ومنها: يؤثر ذلك عن السلف، وما في التفسير هو الراجح إذ رجحه إمام المفسرين ابن جرير الطبري رحمته الله.

(٢) قال مجاهد: يقضيه ويقدره وحده، وقيل: يأمر به ويمضيه. قال القرطبي: والمعنى متقارب.

وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ : أي قدر القمر منازل والشمس كذلك.

لِنَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ : أي قدرهما منازل ليعلم الناس عدد السنين والحساب. ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٥) **﴿إِنَّ فِي آخِذَاتِ الْأَيْدِي وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ﴾**

فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ : أي مساخط الله وعذابه وذلك بطاعته وطاعة رسوله. **﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾** : أي لا ينتظرون ولا يؤملون في لقاء الله تعالى يوم القيامة، معناه

أنهم لا يطلبونه ولا يتوقعونه، ولازم ذلك أنهم لا يخافون عقاباً أخروياً ولا ثواباً.

وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا : أي بدلاً عن الآخرة فلم يفكروا في الدار الآخرة.

وَأَطْمَأَنَّنُوا بِهَا : أي سكنوا إليها وركنوا فلم يروا غيرها حياةً يُعمل لها.

وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ : لا ينظرون إليها ولا يفكرون فيها.

أُولَئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ : أي النار هي المأوى الذي يأوون إليه وليس لهم سواه. ﴿بِمَا كَانُوا

يَكْسِبُونَ﴾ (٨)

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ : أي بأن يجعل لهم بإيمانهم نوراً

يهتدون به إلى الجنة. ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (٩)

دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ : أي يطلبون ما شاءوا بكلمة سبحانك اللهم. ﴿وَنَحْنُ فِيهَا سَلَامٌ﴾

وَأَخْرَجُوا دَعْوَتَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ : أي آخر دعائهم الحمد لله رب العالمين.

الدعوى هنا بمعنى الدعاء.

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَلَهُمْ بِالْخَيْرِ : الشر﴾ (١١) : كل ما فيه ضرر في العقل أو

الجسم أو المال والولد، والخير عكسه: ما فيه نفع يعود على الجسم أو المال أو الولد.

لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ : لهلكوا وماتوا.

فَنَذَرَ : أي ترك. ﴿الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾

فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٢﴾ : أي في ظلمهم وكفرهم يترددون لا يخرجون منه كالعميان.

وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ : المرض وكل ما يضر في جسمه أو ماله أو ولده. ﴿دَعَانَا لِجَنبَيْهِ أَوْ

قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ﴾

مَرَّكَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ : مضى في كفره وباطله كأن لم يكن ذلك الذي دعا بكشف ضره.

كَذَلِكَ : مثل ذلك النسيان بسرعة لما كان يدعو لكشفه.

زَيْنَ لِلْمُتْسِرِّينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ : أي إسرافهم في الظلم والشر.

(١) فسر الشر بالعقوبة إذ الشر كل ما يلحق الضرر بالإنسان عاجلاً أو آجلاً، والعقوبة كلها شر إذ هي عذاب انتقام ينزل بصاحبه.

وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ : أي أهل القرون. ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ .  
 وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ : بالحجج والآيات على صدقهم في دعوتهم. ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾  
 كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ .  
 ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ : خلائف: أي لهم، تخلفونهم بعد هلاكهم. ﴿لِنَنْظُرَ﴾  
 كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تَنَكَّلْنَا عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ ﴿١٥﴾  
 لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا : أي لا يؤمنون بالبعث والدار الآخرة. ﴿أَنْتِ بِقَرْنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَلَهُ قُلْ مَا﴾  
 يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ ﴿١٦﴾ .  
 مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي : أي من جهة نفسي. ﴿إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ إِنْ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ  
 يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٧﴾ .

قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ : أي لا أعلمكم به.  
 فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ : أي أربعين سنة قبل أن يوحي إلي. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾  
 ﴿١٨﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ ﴿١٩﴾ .  
 الْمُجْرِمُونَ ﴿٢٠﴾ : المفسدون لأنفسهم بالشرك، والمعاصي.  
 وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ : أي إن لم يعبدوه.  
 وَلَا يَنْفَعُهُمْ : أي إن عبدوه. ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ لَآءَ شَفَعْتُمْ بِنُحُوتِنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ .  
 قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ : أي تعلمون وتخبرون الله. ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ .  
 سُبْحٰنَهُ، وَتَعَلَّى : أي تنزيها له.  
 عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢١﴾ : أي به معه من الأصنام.  
 وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً : أي على دين واحد هو الإسلام.  
 فَأَخْتَلَفُوا : أي تفرقوا بأن بقي بعض على التوحيد وبعض على الشرك.  
 ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا  
 أَنْزَلَ عَلَيْهِ ﴿٢٣﴾ .

آيَةٌ مِنْ رَبِّي : خارقة كناية صالح ﴿صَالِحٌ﴾ .  
 فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ : أي إن أمر الآية ما هي مني تأتي من الغيب، والغيب لله وحده فلا أنا ولا  
 أنتم تعلمون إذا. ﴿فَأَنْظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظِرِينَ﴾ ﴿٢٤﴾ .  
 وَإِذَا آذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً : أي مطرا بعد قحط أو صحة بعد مرض أو غنى بعد فاقة.  
 مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُمْ : حالة من الضر بالمرض والجذب والفقير.  
 إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا : أي استهزاء بها وتكذيب.  
 قُلْ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا : أي الحفظة من الملائكة. ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ .

هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ: أي يجعلكم تسيرون بما حولكم من مراكب وما يسر لكم من أسباب. ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ﴾.

وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ: أي مناسبة لسير السفن موافقة لغرضهم. وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ: أي شديدة تعصف بالشجر فتقتلعه والبناء فتهدمه. ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾: أي أحذق بهم البلاء من كل جهة. ﴿دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لِيْنَ أُجِيبَتْنَا مِنْ هَدْيِهِ لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا أَجَبْتَهُمْ﴾.

إِذَا هُمْ يَتَّبِعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ: أي يظلمون مجانين للحق والاعتدال. ﴿يَكَايِبُهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغَيْرِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ لِيُنَازِلَنَّكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾. إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا: أي صفتها المنطبقة عليها الْمُتَّفِقَةُ معها. كَمَا: أي مطر. ﴿أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾.

فَأَخْلَقْنَا بِهِ نَبَاتَ الْأَرْضِ: أي بسببه نبات الأرض أي اشتبك بعضه ببعض. واختلط النبات بالمطر أي: شرب منه فتندى وحسن واخضر.

مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ: كالبر وسائر الحبوب والفواكه والخضر.

وَالْأَنْعَامُ: أي من الكلاً والعشب عادة وإلا فقد يعلف الحيوان الشعير.

حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا: أي نضرتها وبهجتها.

وَأَزْيِنَتْ: أي تجملت بالزهور.

وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدِירוْنَ عَلَيْهَا: أي متمكنون من تحصيل حاصلاتها الزراعية.

أَتَنَهَا أَمْرُنَا: أي قضاؤنا بإهلاكها وتدميرها عقوبة لأصحابها. ﴿لِيُنَازِلَنَّكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا: أي كأنها محصودة بالمنجل ليس فيها شيء قائم.

كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ: أي كأن لم تكن موجودة غانية بالأمس.

كَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ: أي نبينها. ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ: دار السلام: الجنة والله يدعو إليها عباده ليأخذوا بالأهبة لدخولها

وهي الإيمان والعمل الصالح وترك الشرك والمعاصي. ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾: الحسنى: الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم.

وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ: أي لا يغشى وجوههم.

قَتْرٌ غَبْرَةٌ مِنَ الْكَآبَةِ وَالْحَزَنِ. ﴿وَلَا ذَلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ: جمع سيئة ما يسيء إلى النفس من ذنوب الشرك والمعاصي. ﴿جَزَاءً

سَيِّئَةٍ يَمْشِيهَا وَتَرَهَقُهُمْ ذَلَّةٌ مَّا هُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ كَانَمَا أَغَشِيَتْ وَجُوهَهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ

هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾.

مَكَانِكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ : أي التزموا مكانكم لا تفارقه.   
 فَرَيْنَا بَيْنَهُمْ : فرقنا بينهم. ﴿ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِبَانًا تَعْبُدُونَ ﴾ (٢٨) فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا   
 عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلِينَ ﴿ (٢٩) .   
 هُنَالِكَ : أي ثم .   
 تَبَلَّوْا كُلُّ نَفْسٍ : أي تختبر .   
 مَا أَسْلَفَتْ : أي ما قدمت . ﴿ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ ﴾ .   
 وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿ (٣٠) : أي غاب عنهم ما كانوا يكذبون .   
 قُلْ مَنْ يَرِزُّكُمْ مِنَ السَّمَاءِ : أي بالغيث والمطر .   
 وَالْأَرْضِ : أي بالنبات والحبوب والثمار .   
 أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ : أي يملك أسماعكم وأبصاركم : إن شاء أبقاها لكم وإن شاء سلبها   
 منكم .

وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ : أي الجسم الحي من جسم الميت .   
 وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ : أي والعكس كذلك .   
 وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ : أي أمر الخلائق كلها بالحياة والموت والصحة والمرض والعطاء والمنع .   
 ﴿ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ .   
 فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿ (٣١) : أي الله فلا تشركوا به شيئاً ولا تعصوه في أمره ونهيه . ﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ   
 فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴾ .   
 فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿ (٣٢) : أي كيف تصرفون عن الحق بعد معرفته؟! والحق هو أنه لا إله إلا الله .   
 كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ : أي وجبت .   
 عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ (٣٣) : وذلك لبلوغهم حداً لا يتمكنون معه من التوبة البتة .   
 قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ : جمع شريك وهو من أشركوه في عبادة الله تعالى .   
 مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ : أي ينشئ الإنسان والحيوان أول ما ينشئه فذلك بدء خلقه . ﴿ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلْ اللَّهُ   
 يَسْبِقُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ .   
 فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿ (٣٤) : أي كيف تصرفون عن الحق بعد معرفته؟ ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ   
 قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ ﴾ .   
 أَمْ لَا يَهْدِي : أي لا يهتدي . ﴿ إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ ﴾ .   
 فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿ (٣٥) : أي هذا الحكم الفاسد وهو اتباع من لا يصح اتباعه؛ لأنه لا   
 يهدي . ﴿ وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (٣٦) .   
 وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ : أي افتراء لم يكن هذا القرآن افتراء .

وَلَكِنَّ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ : من الكتب التي سبقت نزوله وهي التوراة والإنجيل .  
وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ : أي بيان ما فرض الله تعالى على هذه الأمة وما أحل  
لها وما حرم .

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ : أي اختلقه من نفسه وتقوله من عنده . ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ، وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ  
مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ .

بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ ۗ (١) : أي بما توعدهم الله تعالى به من العذاب .

وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ۗ : أي ولما يأتيهم بعد ما يؤول إليه ذلك الوعيد من العذاب .

كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ : أي كتكذيب هؤلاء بوعد الله لهم كذب الذين من قبلهم . ﴿فَانظُرْ  
كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ۗ : أي من أهل مكة المكذبين بالقرآن من يؤمن به مستقبلاً . ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَا  
يُؤْمِنُ بِهِ ۗ﴾ .

وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ : وهم دعاة الضلال الذين يفسدون العقول والقلوب، والجملة تهديد  
لهم .

وَإِنْ كَذَّبُوكَ : أي استمروا على تكذيبك . ﴿فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ (٢)﴾ أنتم بريئون مما عملت وأنا  
بريء مما تعملون ﴿٤١﴾﴾ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۗ : أي إذا قرأت القرآن . ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ ۗ : أي يبصر ويشاهد آيات النبوة وأعلام صدقك، ولا يهتدي إلى معرفة  
أنك رسول الله؛ لأن الله تعالى حرمه ذلك . ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ إِنَّ  
اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ .

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ : أي يبعثهم من قبورهم ويجمعهم لساحة فصل القضاء .

كَانَ لَمْ يَلْبَسُوا : أي في الدنيا أحياء في دورهم وأمواتاً في قبورهم . ﴿إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ  
خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾ .

وَإِنَّمَا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ أَوْ نَنُوقِنُكَ : أي نमितك قبل ذلك . ﴿فَالْيَتَا مَرَجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ  
﴿٤٦﴾﴾ .

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ : أي في عرصات يوم القيامة .

(١) ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ، وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ . هذا الكلام الإلهي يحتمل معنيين صحيحين : الأول : هو ما في  
التفسير، والثاني : المراد بما لم يحيطوا بعلمه : القرآن الكريم، فهم لم يتدبروه، ولم يفهموا ما يدعو إليه وكذبوا  
به عن جهل مع العناد والمكابرة (فما) في قوله : ﴿بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ﴾ اسم موصول المراد به : القرآن الكريم  
أما على المعنى الأول فإن المراد به العذاب الذي كذبوا به، ولم يحل بهم بعد .

(٢) أي لي ثواب عملي على التبليغ والطاعة لله تعالى، ولكم جزاء عملكم الذي هو الشرك والكفر والتكذيب .



فَضَى بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ : أي بالعدل. ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٤٧).  
وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ أي: متى العذاب، أو متى القيامة التي يعدنا بها

محمد ﷺ.

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا : أي لا أقدر على دفع الضر إذا لم يعني الله تعالى.  
وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ : أي لا أقدر على أن أجلب لنفسي نفعًا إذا لم يرده الله تعالى لي.  
لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ : أي وقت معين لهلاكها.  
إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَجِرُّونَ سَاعَةً : أي عن ذلك الأجل.  
وَلَا يَسْتَفْتِحُونَ ﴿٤٩﴾ : أي عليه ساعة.  
قُلْ أَرَأَيْتُمْ : أي قل لهم: أخبروني. ﴿إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُهُ بَيْنَنَا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾

﴿٥٠﴾  
أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ : أي حل العذاب. ﴿ءَأَمَنْتُمْ بِهِ ءَأَلْتَنَّا وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ (٥١).  
ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ : أي الذي يخلدون فيه فلا يخرجون منه. ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ  
إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ (٥٢). القائلون هم خزنة جهنم.  
﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ : أي ويستخبرونك: أي المشركون.  
أَحَقُّ هُوَ : أي عذاب يوم القيامة.  
قُلْ إِي وَرَبِّي : أي نعم وربِّي. ﴿إِنَّهُ لَحَقُّ﴾.  
وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ : أي بفاتنين العذاب ولا ناجين منه.  
وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ : لقدمته فداء لها.  
وَأَسْرَأُ النَّدَامَةَ : أخفوها في أنفسهم على ترك الإيمان والعمل الصالح. ﴿لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾

عند معاينة العذاب، وقبل الدخول فيه، والندامة: الحسرة على وقوع مكروه أو فوات محبوب.  
وَفَضَى بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ : أي حكم الله بينهم بالعدل. ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٥٤). ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (١).

﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ : أي ما يعدهم الله به هو كائن حقًا. ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥٥). هُوَ يُحْيِي  
وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٥٦). ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ﴾

مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ : أي وصية من ربكم بالحق والخير وياجتناب الشرك والشر (٢).  
وَشِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى : أي بيان لطريق الحق والخير من طريق الباطل والشر. ﴿وَرَحْمَةً

(١) ﴿آلَآءَ﴾ : كلمة استفتاح وتبنيه يؤتى بها في أول الكلام، معناها: انتبهوا لما أقول لكم.

(٢) والمراد بالموعظة وما بعدها من الصفات: القرآن الكريم، إذ هو الجامع لكل ما ذكر، وإنما عطفت المذكورات لتأكيد المدح.

لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ <sup>(١)</sup>: ما هداهم إليه من الإيمان والعمل الصالح، واجتناب الشرك والمعاصي. ﴿فَإِذْكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾

هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾: أي من المال والحطام الفاني.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ: أي أخبروني.

مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ <sup>(٢)</sup>: أي الذي خلق لكم من رزق كلحوم الأنعام. ﴿فَجَعَلْتُمْ سِتْرَهُ حَرَامًا وَحَلْالًا﴾

قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ: أي في التحريم حيث حرمتم البحيرة والسائبة، وفي التحليل حيث أحللتكم الميتة. ﴿أَمْرٌ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ ﴿٥٩﴾

وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ: أي يختلقون الكذب تزويرًا في أنفسهم.

يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ما ظنهم يوم القيامة أيغفر لهم ويعفى عنهم؟ بل يلعنون وفي النار هم خالدون. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿٦٠﴾

وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ: أي في أمر عظيم. ﴿وَمَا تَلَوْا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ﴾  
والخطاب للرسول ﷺ والأمة معه وقدم ﷺ لعلو شأنه وسمو مقامه ﷺ.  
شُهُودًا <sup>(٣)</sup> إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ: أي تأخذون في القول أو العمل فيه.  
وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ: أي يغيب.

مِنْ شِقَالِ ذَرَّةٍ: أي وزن ذرة؛ والذرة أصغر نملة. ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾

إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾: أي اللوح المحفوظ، ومبين أي واضح.

آلًا: أداة استفتاح وتنبيه.

إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ: جمع ولي وهو المؤمن التقى بشرط أن يكون إيمانه وتقواه على نور من

الله.

لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ: أي لا يخافون عند الموت ولا بعده.

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾: على ما تركوا بعد موتهم.

(١) قال أبو سعيد الخدري وابن عباس: فضل الله: القرآن، ورحمته: الإسلام، وصحت الإشارة بذلك إلى الاثنين؛ لأن العرب تشير بذلك إلى المفرد والمثنى والجمع.

(٢) وعبر عن إعطائهم الرزق بإنزاله لهم، لأن أرزاقهم من حبوب وثمار وأنعام كلها متوقفة على المطر النازل من السماء حتى سمي العرب بيني ماء السماء. وشاهده قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ ﴿٩٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا... الآية.

(٣) شهودًا: أي حضورًا.

الَّذِينَ آمَنُوا : أي صدقوا بالله وبما جاء عن الله وبرسول الله وبما أخبر به رسول الله ﷺ .  
 وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ : أي ما يسخط الله تعالى من ترك واجب أو فعل محرم .  
 لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ : أي بالجنة في القرآن الكريم وعند الموت وبالرؤيا  
 الصالحة يراها أو ترى له .  
 لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ : أي لوعده الذي يعده عباده الصالحين؛ لأن الوعد بالكلمة، وكلمة الله  
 لا تبدل .

ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ : النجاة من النار ودخول الجنة .  
 وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ : أي لا يجعلك قولهم تحزن .  
 إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا : العزة: الغلبة والقهر. ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ فِي  
 السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴿٦٦﴾ .  
 وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ : أي شركاء بحق يملكون مع الله لعبادتهم  
 خيرًا أو يدفعون عنهم ضرًا .

إِنْ يَشْعُرُوا إِلَّا الظَّنَّ : الظن أضعف الشك .  
 وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ : أي يحزرون ويكذبون .  
 هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ : أي تخلدوا فيه إلى الراحة والسكون عن الحركة .  
 وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا : أي مضيئًا ترى فيه الأشياء كلها .  
 إِنَّ فِي ذَلِكَ : أي من جعله تعالى الليل سكنًا والنهار مبصرًا .  
 لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ : أي سماع إجابة وقبول .  
 قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ : أي تنزهه عن النقص وتعالى أن يكون له ولد .  
 هُوَ الْعَزِيزُ : أي العزيم المطلق بحيث لا يفتقر إلى شيء . ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿٦٨﴾ .  
 إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَنِ : أي ما عندكم من حجة ولا برهان .  
 يَهْدَأْ : أي الذي تقولونه وهو نسبة الولد إليه تعالى . ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٩﴾  
 قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٧٠﴾ .

مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا : أي ما هم فيه اليوم هو متاع لا غير وسوف يموتون ويخسرون كل شيء .  
 ﴿ثُمَّ إِنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُنذِرُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ ﴿٧١﴾ .

بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ : أي بنسبة الولد إلى الله تعالى، وعبادتهم غير الله ﷻ .  
 ﴿وَآتَىٰ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ : أي اقرأ على المشركين نبأ نوح أي خبره العظيم الخطير .  
 إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي : أي عظم عليكم مقامي بينكم أدعو إلى ربي .  
 ﴿وَتَذَكِّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ ﴿٧٣﴾ .

فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ : أي اعزموا عزمًا أكيدًا. ﴿وَشُرَكَاءَ كُفْرًا لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ .  
 غَمَّةٌ : أي خفاء ولبسا لا تهتدون منه إلى ما تريدون.  
 ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ : أي انفذوا أمركم ما حكمتم به علي من قتلي إن أردتم ذلك.  
 وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧٦﴾ : أي ولا تمهلوا رحمة بي أو شفقة علي.  
 فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ : أي أعرضتم عما أدعوكم إليه من التوحيد. ﴿فَمَا سَأَلْتُمْ مِنْ آجِرٍ إِنْ آجَرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٧٧﴾ .

فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ : أي في السفينة.  
 وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ : أي خلف الآخر الأول جيلا بعد جيل. ﴿وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ﴿٧٧﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا ﴿٧٨﴾ إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ : أي بالحجج الواضحات على صدق دعوتهم، وما يدعون إليه من توحيد الله تعالى. ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ .  
 كَذَلِكَ نَطْبَعُ : الطبع على القلب عبارة عن تراكم الذنوب على القلب حتى لا يجد الإيمان إليه طريقًا<sup>(١)</sup> .

عَلَى قُلُوبِ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ : الذين تجاوزوا الحد في الظلم والاعتداء على حدود الشرع. ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ ﴿٧٥﴾ .  
 فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا : الآيات التي جاء بها موسى عليه السلام وهي تسع. ﴿قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ .  
 قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا : لتصرفنا وتحول وجوهنا. ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آباءَنَا﴾ .  
 وَتَكُونُ لَكُمْ الْكِبْرِيَاءَ فِي الْأَرْضِ : أي العلو والسيادة والملك على الناس. ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٧٨﴾ .

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿٧٦﴾ : أي ذي سحر حقيقي له تأثير عليم بالفن.  
 فَلَمَّا جَاءَ السِّحْرُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾ : أي ارموا في الميدان لما تريدون إلقاءه من ضروب السحر. ﴿فَلَمَّا الْقُوا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ﴾ .  
 إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ : أي يظهر بطلانه أمام النظارة من الناس. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٨١﴾ .  
 وَيُحَقِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ : أي يقرر الحق ويثبتته.  
 بِكَلِمَتِهِ : أي بأمره إذ يقول للشيء كن فيكون.  
 وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ : أهل الإجرام على أنفسهم وعلى غيرهم وهم الظلمة المفسدون،

(١) ﴿نَطْبَعُ﴾ نختم، إذ الختم والطبع واحد، والطبع يكون بالخاتم.

يريد فرعون وملاه.

فَمَا آمَنَ لِمُوسَى : أي لم ينقد له ويتبعه.

إِلَّا ذُرِّيَّةً مِّن قَوْمِهِ : أي طائفة قليلة من أولاد بني إسرائيل.

عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ : أي أشرفهم ورؤسائهم.

أَن يَقْنَنَهُمْ : أي يضطهدهم ويعذبهم.

وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ : قاهر مستبد. ﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾<sup>(١)</sup> ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنُتُمْ

بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا ﴿﴾

إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ : مدعين منقادين لأمره ونهيه. ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا

فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup> : أي لا تفتنهم بنا بأن تنصرهم علينا فيروا أنهم خير منا فيزدادوا

كفرًا. ﴿وَيَحْنَأُ رِحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿٨٦﴾ ﴿﴾

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا : اتخذوا لقومكما بمصر بيوتًا تبوءون إليها

وترجعون.

وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً : أي مساجد تصلون فيها<sup>(٤)</sup>. ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ

﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا ﴿﴾

إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً : أي حليًا وحللًا ورياشًا ومتاعًا.

وَأَمْوَالًا : أي كثيرة من الذهب والفضة والأنعام والحرث. ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا ﴿﴾

لِيُضِلُّوا<sup>(٣)</sup> عَن سَبِيلِكَ : أي فيسبب ذلك لهم الضلال إذا.

رَبَّنَا أَنْطَمِسْ عَلَيْنَا أَمْوَالِهِمْ : أي أزل أثرها من بينهم بإذهاها.

وَأَشَدُّ عَلَيْنَا قُلُوبِهِمْ : اربط عليها حتى لا يدخلها إيمان ليهلكوا وهم كافرون. ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ

يُرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿٨٨﴾ ﴿﴾

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا : أي استجابها الله تعالى<sup>(٤)</sup>.

فَأَسْتَقِيمَا : على طاعة الله بأداء رسالته والدعوة إليه والصبر على الأذى فيه.

(١) ﴿الْمُسْرِفِينَ﴾ : أي المجاوزين الحد في الكفر؛ لأنه كان عبدًا فادعى الربوبية.

(٢) في هذا جمع بين رأيين: الأول: أن المراد من كلمة قبله: أنها مساجد والثاني: أنها متقابلة لئتم لهم بذلك حمايتهم من عدوهم بعد أن استقلوا عنه.

(٣) في هذه اللام أقوال: أصحابها: أنها لام العاقبة، والصيرورة، أي: يا رب إنك آتيت فرعون وقومه أموالًا ليؤول أمرهم بسبب تلك الأموال إلى ضلالهم.

(٤) كان موسى يدعو، وهارون يؤمن أي: يقول: آمين؛ فاعتبر داعيًا مع أخيه لأن قول آمين معناه: اللهم استجب دعاءنا.

وَلَا تَنبَغَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ : أي طريق الجهلة الذين لا يعرفون محاب الله  
ومساخطه ولا يعلمون شرائع الله التي أنزل لعباده.

﴿ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ : أي قطعنا بهم البحر حتى تجاوزوه.

الْبَحْرَ : بحر القلزم.

فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا : أي بغياً على موسى وهارون واعتداء عليهما. ﴿ حَتَّى إِذَا  
أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ .

ءَأَلْتَنَ : أي أفي هذا الوقت تقر بالوحدانية وتعترف له بالذلة؟ ﴿ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ  
الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ .

فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِدَنِكَ : أي بجسدك لا روح فيه.

لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً : علامة على أنك عبد وليس برب فيعتبروا بذلك. ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ  
النَّاسِ عَنْ ءَايَاتِنَا لَغَفِلُونَ ﴿٩٢﴾ .

وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ : أي أنزلناهم منزلاً صالحاً<sup>(١)</sup> طيباً مرضياً.

وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ : أي من أنواع الأرزاق الطيبة الحلال.

فَمَا اختلفوا حتى جاءهم العلم : وهو معرفتهم أن محمداً ﷺ هو النبي المنتظر وأنه المنجي<sup>(٢)</sup>.  
إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ : يحكم بينهم.

يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ : أي في الذي اختلفوا من الحق فيدخل المؤمنين الجنة

والكافرين النار.

فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ : مقابل التصديق فالشاك غير المصدق.

مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ : أي في أن بني إسرائيل لم يختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم<sup>(٣)</sup>.

فَسَلِّ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ : أي التوراة والإنجيل. ﴿ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ .

لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ : أي لا تكونن من الشاكين. ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ  
مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَكَانُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾ .

إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ : أي وجبت لهم النار بحكم الله بذلك في اللوح

المحفوظ. ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ ﴾ .

حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ : أي يستمرون على تكذيبهم حتى يروا العذاب فيؤمنوا حيث لا

ينفع الإيمان.

(١) قال ابن كثير رحمته الله: قيل: هو بلاد مصر والشام مما يلي بيت المقدس ونواحيه (قل).

(٢) بإذن ربه (قل).

(٣) هذا وجه من جملة أوجه فسرت بها الآية.

فَلَوْلَا : أداة «تحضيض» هنا بمعنى هلاً وفيها معنى التوبيخ والنفي.  
 كَانَتْ قَرْيَةً ءَامَنَتْ : أي أهل قرية آمنوا. ﴿فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا﴾.  
 إِلَّا قَوْمٌ يُوَسُّوْنَ : هو يونس بن متى نبي الله ورسوله. ﴿لَعَنَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَعْدَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ  
 الدُّنْيَا﴾.  
 وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ : أي إلى وقت انقضاء آجالهم. ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ  
 جَمِيعًا﴾.

أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ : أي إنك لا تستطيع ذلك. ﴿حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٩٩﴾  
 وَمَكَاتٍ لِّنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ : أي بإرادته وقضائه.  
 وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ : أي العذاب. ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٠٠﴾  
 قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : أي من عجائب المخلوقات وباهر الآيات.  
 وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ : أي ما تغني أي إغناء.  
 عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ : إذا كان القوم لا يؤمنون.  
 فَهَلْ يَنْظُرُونَ : أي ما ينتظرون.  
 إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ : أي مضوا من قبلهم من الأمم السابقة (١).  
 قُلْ فَانظُرُوا : أي العذاب. ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ ﴿١٠٢﴾  
 ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا : أي من العذاب المنتظر.  
 كَذَلِكَ : أي كذلك الإنجاء. ﴿حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ  
 إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي : أي الإسلام في أنه حق. ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ  
 الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ : أي يقبض أرواحكم فيميتكم. ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٠٤﴾  
 وَأَنْ أَقِرَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ : أي أمرني ربي أن أقيم وجهي.  
 حَنِيفًا : للدين الإسلامي حنيفاً أي مائلاً عن كل الأديان إليه دون غيره. ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ  
 الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٠٥﴾

وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ : أي آلهة لا تنفع ولا تضر وهي أصنام المشركين

وأوثانهم.

فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِن الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ : أي إنك إذا دعوتها من المشركين الظالمين لأنفسهم.  
 وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ : أي لا مزيل للضرر ومبعده عن أصابه إلا هو ﴿عَزَّ وَجَلَّ﴾.

(١) المراد من الأيام: العذاب الذي يقع فيها، ويقال فيها الوقائع وهو نحو قولهم: أيام العرب، فلان عالم بأيام العرب أي: ما جرى فيها من أحداث ومنه قوله تعالى: ﴿وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا اللَّهُ﴾ أي: بالعذاب الذي وقع فيها.

وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ: أي بالفضل والرحمة. ﴿فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ .  
 وَهُوَ الْعَفْوُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٧﴾: أي لذنوب عباده التائبين الرحيم بعباده المؤمنين.  
 قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ: أي ياهل مكة.  
 قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ: أي الرسول يتلو القرآن ويبين الدين الحق. ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ .  
 فَمَنْ أَهْتَدَى: أي آمن بالله ورسوله وعبد الله تعالى موحدًا له. ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ .  
 وَمَنْ ضَلَّ: أي أبى إلا الإصرار على الشرك والتكذيب والعصيان.  
 فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا: أي وبال الضلال على نفس الضال كما أن ثواب الهداية لنفس المهتدي.  
 وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٧٨﴾: أي بمجبر لكم على الهداية وإنما أنا مبلغ ونذير. ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ  
 إِلَيْكَ﴾ .

وَأَصِرَّ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ: أي في المشركين بأمره.  
 وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٧٩﴾: أي رحمة وعدلاً وإنفاذاً لما يحكم به لعظيم قدرته.





## ١١ - سُورَةُ هُودٍ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرّ: هذا أحد الحروف المقطعة: يكتب الر ويقرأ ألف، لام، را.  
 كَتَبْتُ أُحْكِمْتُ أَيَّنَّهُ: أي نظمت نظمًا متقنًا ورصفت ترصيفًا لا خلل فيه.  
 ثُمَّ قُصِّلْتُ: أي ببيان الأحكام، والقصص والمواعظ، وأنواع الهدايات.  
 مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١): أي من عند حكيم خبير وهو الله ﷻ. ﴿الَّذِينَ تَدْعُونَ لِكُفْرِهِمْ أَتَىٰ لَهُمْ نَذِيرٌ﴾  
 وَيَشِيرٌ (٢) وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴿

يُمِيعَكُمْ مَنَعًا حَسَنًا: أي بطيب العيش وسعة الرزق.

إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى: أي موت الإنسان بأجله الذي كتب له.

وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ: أي ويعط كل ذي عمل صالح فاضل جزاءه الفاضل (١).  
 وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٣): هو عذاب يوم القيامة. ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤).

أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ: أي يطأطئون رؤوسهم فوق صدورهم ليستروا عن الله في

(٢)

زعمهم

أَلَا جِئِنِ اسْتَعْتَشَرُوا نِيَابَهُمْ: يغطون رؤوسهم ووجوههم حتى لا يراهم الله في نظرهم الباطل.  
 ﴿يَعْلَمُ مَا تُبْشِرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٥).

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾: أي حي يدب على الأرض أي: يمشي من إنسان وحيوان. ﴿إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا﴾

وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا: أي مكان استقرارها من الأرض.

وَمُسْتَوْدَعَهَا: أي مكان استيادها قبل استقرارها كأصلاب الرجال وأرحام النساء.

كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٦): أي اللوح المحفوظ.

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ: أي الأحد والإثنين والثلاثاء والأربعاء

والخميس والجمعة.

(١) هذا كقوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ﴾، فالفضل الأول من العبد، وهو العمل الصالح والفضل الثاني من الرب وهو دخول الجنة.

(٢) روي عن ابن عباس ؓ أنه قال: يخفون ما في صدورهم من الشحناء والعداوة ويظهرون خلافه.

وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ: إذ لم يكن قد خلق شيئاً من المخلوقات سواه، والماء على الهواء.

لِيَبْلُوكُمْ: أي ليختبركم ليرى. ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾<sup>(١)</sup> وَلَئِن قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾

وَلَئِن أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ: أي إلى طائفة من الزمن معدودة ﴿لَيَقُولَنَّ مَا يَجِئُهُمْ أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾

وَحَافٍ بِهِمْ: أي نزل وأحاط بهم. ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿٨﴾

وَلَئِن أذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً: أي أنلناه رحمة أي: غنى وصحة. ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ: أي سلبناها منه.

إِنَّهُ لَيَنفُسُ كُفُورًا ﴿٩﴾: أي كثير اليأس أي: القنوط شديد الكفر.

وَلَئِن أذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّئَةٍ: أي خيراً بعد شر.

لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي: جمع سيئة وهي ما يسوء من المصائب.

إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورًا ﴿١٠﴾: كثير الفرح والسرور والبطور.

إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا: أي على الضراء والمكاره. ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ﴾

لَهُمْ مَغْفِرَةٌ: أي لذنوبهم.

وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾: أي الجنة دار الأبرار.

فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ: فلعلك: للاستفهام الإنكاري أي لا يقع منك ترك ولا

يضيق صدرك.

وَصَاحِقٌ فِيهِ: صدرك: أي بتلاوته عليهم كراهية أن يقولوا كذا وكذا. ﴿أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾

كُتُبٌ: مال كثير تنفق منه على نفسك وعلى أتباعك. ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾

وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾: أي رقيب حفيظ.

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ: اختلقه وكذبه. ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ﴾

وَأَدْعُوا مِنْ أَسْطَعْتُمْ: من قدرتم على دعائهم لإعانتكم. ﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١٣﴾

(١) قال الفضيل: أحسن العمل: أخلصه وأصوبه. وهو كما قال.

(٢) قال ابن كثير رحمته الله: والأمة تستعمل في القرآن في معانٍ متعددة: فيراد بها الأمد كقوله في هذه الآية: ﴿إِلَىٰ أُمَّةٍ

مَّعْدُودَةٍ﴾ وقوله في يوسف: ﴿وَأَذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ وتستعمل في الإمام المقتدى به كقوله: ﴿إِنَّ إِيْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ وتستعمل في الملة والدين كقول المشركين: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ وتستعمل في الجماعة كقوله:

﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْتَقْبِلُونَ﴾ وتستعمل في الفرقة والطائفة كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ أُمَّةٌ

يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ ﴿١٣١﴾. اهـ (قل).

فَكَأَنَّهُ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنَّ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴿١١﴾ .  
 فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٢﴾ : أي أسلموا لله بمعنى انقادوا لأمره وأذعنوا له .  
 مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا : المال والولد وأنواع اللباس والطعام والشراب .  
 نُوفِيَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ ﴿١٣﴾ فِيهَا : نعطيهم نتائج أعمالهم وافيًا .  
 ﴿١٤﴾ وَهُمْ فِيهَا لَا يُحْسِنُونَ ﴿١٥﴾ : أي لا ينقصون ثمرة أعمالهم . ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا  
 النَّارُ﴾ .

وَحَيِّطُ : أي بطل وفسد . ﴿مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ .  
 أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ﴿٣﴾ : أي على علم يقيني .  
 وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ : أي يتبعه .  
 وَمَنْ قَبْلَهُ كَتَبْتُ مُوسَى : أي التوراة . ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ .  
 وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ : أي بالقرآن .  
 فَالْتَارُ مَوْعِدُهُ : أي مكان وعد به فهو لا محالة نازل به .  
 فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ : أي في شك منه . ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾ .  
 وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا : أي لا أحد فالاستفهام للنفي .  
 أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ : أي يوم القيامة .  
 وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ : جمع شاهد وهم هنا الملائكة ﴿٤﴾ . ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ .  
 أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ : أي طرده وإبعاده .  
 عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ : أي المشركين .  
 الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ : أي الإسلام .  
 وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا : أي معوجة . ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ .

- (١) العلم: الاعتقاد اليقيني، أي: فأيقنوا أن القرآن ما أنزل إلا بعلم الله أي: ملائسًا له .  
 (٢) لفظ ﴿أَعْمَلُهُمْ﴾ يشمل الأعمال الخيرية والأعمال الدنيوية كصلة الرحم، وقرئ الضيف، والإحسان إلى الفقراء والمساكين، فهذه لا يحرمها الكافر بل يجد جزاءها في الدنيا، بركة في ماله وولده وحياته، وأما الأعمال الدنيوية كالصناعة والزراعة والتجارة فهذه يوفي قدر جهده فيها، فبقدر ما يبذل من طاقة يحصل له من الكسب والربح والإنتاج، فكفره لا يمنعه نتاج عمله بقدر ما يبذل فيه .  
 (٣) اختلف في عود الضمائر في هذه الآية اختلافًا كثيرًا، وقد اخترنا في التفسير عودها إلى النبي ﷺ ولا مانع من عودها على كل مؤمن صادق الإيمان، بقريئة الخبر وهو قوله: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ وهم الفريق الذين أسلموا لما شاهدوا الحجج والبراهين .  
 (٤) ومن الأشهاد: الأنبياء والعلماء والمبلغون لدعوة الله تعالى لعباده وفي صحيح مسلم: «وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم» .

أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ : أي الله ﷻ أي فائتين بل هو قادر على أخذهم في أية لحظة.

وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ : أي أنصار يمتنعونهم من عذاب الله. ﴿يُضَعَّفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ .  
مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧٦﴾ : ذلك لفرط كراهيتهم للحق فلا يستطيعون سماعه ولا رؤيته. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ .

وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٧٧﴾ : أي غاب عنهم ما كانوا يدعونونه من شركاء الله تعالى.  
لَا جَرَمَ : أي حقاً وصدقاً. ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخَسِرُونَ﴾ ﴿٢٧٨﴾ .  
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ : أي تطامنوا أو خشعوا لربهم بطاعته وخشيته. ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٢٧٩﴾ .  
﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ : أي فريق المؤمنين وفريق الكافرين. ﴿كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرَ وَالسَّمِيعَ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ .

أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٨٠﴾ : أي تتعظون فتستغفروا ربكم ثم تتوبوا إليه؟

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا : هو العبد الشكور أبو البشرية الثاني نوح ﷺ .

إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٨١﴾ : أي مخوف لكم من عذاب الله بين النذارة. ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ .

عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨٢﴾ : هو عذابه يوم القيامة (١).

فَقَالَ الْمَلَأُ : الأشراف وأهل الحل والعقد في البلاد. ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرْنَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرْنَكَ أَتْبَعَكَ﴾ .

إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا : جمع أزدل؛ وهو الأكبر خسة ودناءة.

بَادِيَ الرَّأْيِ : أي ظاهر الرأي، لا عمق عندك في التفكير والتصور للأشياء. ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ ﴿٢٨٣﴾ .

قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ : أي أخبروني.

إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَنْبَغٍ مِنْ رَبِّي : أي على علم علمنيه الله فعلمت أنه لا إله إلا الله. ﴿وَأَنْتَ رَحْمَةٌ﴾ .

مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِيتَ عَلَيْكُمْ : أي خفيت عليكم فلم تروها.

أَنْزَلْنَاكُمْوهَا : أي أجبركم على قبولها؟ ﴿وَأَنْتُمْ لَهَا كَاذِبُونَ﴾ ﴿٢٨٤﴾ وَيَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَآ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ﴾ .

وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا : أي بمبعدهم عني ومن حولي. ﴿إِنَّهُمْ مُلْتَقُوا رَبَّهُمْ وَلَنُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ قَوْمًا﴾

(١) وجائز أن يكون ﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ في الدنيا وهو عذاب الطوفان وقد كان.

تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقَوْمٍ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمُنِي أَفَلَا تَدْعُرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ ﴿٣١﴾.

عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ : التي فيها الفضل والمال. ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْعَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾.

وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ : تحتقر أعينكم. ﴿لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾.

قَالُوا يَنْبُحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا : أي خاصمتنا تريد إسقاطنا وعدم اعتبارنا في ديننا وما

نحن عليه.

فَأَيْنَمَا تَعِدُّنَا : أي من العذاب إن لم نؤمن بما تدعوننا إليه.

إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ : أي في دعواك النبوة والإخبار عن الله ﷻ. ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ

إِنْ شَاءَ﴾.

وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ : أي بغالبيين ولا فائتين الله تعالى متى أراد عذابكم.

﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي﴾ : أي بتخويفي إياكم عذاب ربكم إن بقيتم على الكفر به وبلقائه

ورسوله. ﴿إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ﴾.

إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ : أي يوقعكم في الضلال ويبقيكم فيه فلا يهديكم أبدًا. ﴿هُوَ رَبُّكُمْ

وَالِيهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٣٤﴾.

أَمْ يَقُولُونَ : أي بل يقولون.

أَفْتَرَنَاهُ : أي اختلقه وقال من نفسه ولم يوح به إليه <sup>(١)</sup>.

قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ، فَعَلَىٰ إِجْرَامِي : أي عاقبة الكذب الذي هو الإجماع تعود علي لا على غيري.

وَأَنَا بَرِيءٌ : أي أتبرأ وأتصل من إجرامكم فلا أتحمل مسئوليته.

يَمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ : أي على أنفسكم بإفسادها بالشرك والكفر والعصيان.

وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ : أي أعلم بطريق الوحي الذي هو الإعلام السريع الخفي. ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ

قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ﴾.

فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ : لا تحزن ولا يشتد بك الحزن فإني منجيك ومهلكهم.

وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ : أي السفينة التي أمرناك بصنعها لحمل المؤمنين عليها. ﴿بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا

تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ ﴿٣٨﴾.

وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ : أي استهزءوا به كقولهم: تحمل هذا الفلك إلى

(١) فسرت الآية في التفسير بالقول الراجح وهو: أن المراد بمن يقول افتراء النبي ﷺ. والآية معترضة أحاديث قصة

نوح وذهب بعضهم نقلًا عن ابن عباس أنها من محاولة نوح عليه السلام مع قومه: واستظهروها من أجل

السياق السابق واللاحق، والله أعلم.

البحر أو تحمل البحر إليه. ﴿قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ (٢٨) ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾  
 مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ : أي يذله ويهينه.

وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٢٩﴾ : أي وينزل به عذاب النار يوم القيامة فلا يفارقه.

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ : أي خرج الماء وارتفع من التنور وهو مكان طبخ الخبز.

قُلْنَا أَخْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ : أي من كل ذكر وأنثى من سائر أنواع المخلوقات اثنين.  
 وَأَهْلَكَ : أي زوجتك وأولادك.

إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ : أي بالإهلاك كامراته وولده كنعان. ﴿وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾

﴿٤٠﴾ وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَحْرُنَهَا وَفَرَسَهَا : أي إجراؤها وإرساؤها. ﴿إِنَّ رَبِّي لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٤١)

وهي تجري بهم في موج كالجبال : الموج ارتفاع ماء البحر وكونه كالجبال أي في الارتفاع.

وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ : أي في معزل<sup>(١)</sup> من السفينة حيث رفض الركوب. ﴿يَبْنِيٌّ  
 أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ (٤٢) .

قَالَ سَتَأْتِي إِلَىٰ جِبَلٍ يَْعَصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ : أي يمنعني من الماء أن يغرقني. ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ

أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجَعُ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ (٤٣) .

وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَبَسِّمَاءِ أَقْلَبِي وَغِيصَ الْمَاءُ : أي نقص بنضوبه في الأرض.

وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ : أي فوق جبل الجودي وهو جبل بالجزيرة غرب الموصل.

وَقِيلَ بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ : أي هلاكاً لهم. ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ﴾ .

فَقَالَ رَبِّ إِنِّي نَذِيٌّ مِنَ أَهْلِ : أي من جملة أهلي من أزواج وأولاد.

وإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ : أي الثابت الذي لا يخلف. ﴿وَأَنْتَ أَكْرَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ (٤٥) .

قَالَ يَنْتُوخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ : أي الذين وعدتك بإنجائهم<sup>(٢)</sup> .

إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ : أي إن سؤالك هذا إياي عمل غير صالح<sup>(٣)</sup> . ﴿فَلَا تَسْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ .

إِنِّي أَعْظَمُكَ : أي أنك وأخوفك من أن تكون من الجاهلين.

أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ : أي من الذين لا يعرفون جلالتي وصدق وعدي ووفائي فتسألني ما

ليس لك به علم. ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ

الْخَاسِرِينَ﴾ (٤٧) ﴿قِيلَ يَنْتُوخُ أَهَيْطَ بِسَلْمٍ مِنَّا وَبَرَكَتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أَمْرٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾ .

(١) وقيل: في معزل أي: من دين أبيه.

(٢) لأنه غير دينك وعلى خلاف منهجك.

(٣) قرأ ابن عباس، وعروة، وعكرمة، ويعقوب، والكسائي: (إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرٌ صَالِحٌ) أي: إن ابنك عمل عملاً غير صالح، وهو الكفر والتكذيب، وقرأ الباقون ﴿عَمَلٌ غَيْرٌ صَالِحٌ﴾ أي: ابنك ذو عمل غير صالح فحذف المضاف.

وَأَمُّ سَنَمْتَعُهُمْ : أي بالأرزاق والتمتع إلى نهاية آجالهم.  
ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مَنَا عَذَابِ أَلِيمٌ ﴿١٤٨﴾ : ثم يحل بهم عذابي وهم الكفرة. ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ﴾.

إِنَّ الْعُقُوبَةَ لِلْمُنْفِقِينَ ﴿١٤٩﴾ : أي الذين يتقون الله فيعبدونه ولا يشركون به شيئاً.  
وَالَّذِي عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا : أي وأرسلنا إلى قبيلة عاد أخاهم في النسب لا في الدين أخاهم هوداً.  
وهود من قبيلة عاد وعاد من ولد سام بن نوح عليه السلام.

قَالَ يَنْقُورِمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ : أي اعبدوه وحده ولا تعبدوا معه غيره.  
مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ : أي ليس لكم معبود بحق يستحق عبادتكم غيره.  
إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿١٥٠﴾ : أي ما أنتم في تأليه غير الله من الأوثان إلا كاذبون.  
يَنْقُورِمْ لَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا : أي لا أطلب منكم أجراً على بلاغي دعوة التوحيد إليكم.  
إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي : أي خلقتني. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٥١﴾ وَيَنْقُورِمْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴿١٥٢﴾.

يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا : أي كثيرة الدورور للمطر النازل منها.  
وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿١٥٣﴾ : أي ولا تعرضوا عن دعوة التوحيد مجرمين على أنفسكم بالشرك بالله.

قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ : أي بحجة وبرهان على صحة ما تدعوننا إليه من عبادة الله وحده.  
وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا : أي عبادة آلهتنا.  
عَنْ قَوْلِكَ : لأجل قولك : إنها لا تستحق أن تعبد. ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٥٤﴾.  
إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرْنَاكَ : أي أصابك.

بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ : أي بخيبل فانت تهذي وتقول ما لا يقبل ولا يعقل. ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ﴿١٥٥﴾ مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي ﴿١٥٦﴾.

جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴿١٥٥﴾ : أي لا تمهلون. ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ﴾.  
وَإِخْذُ بِنَاصِيئِهَا : أي مالكتها وقاهرها ومتصرف فيها. فلا تملك نفعاً ولا ضرراً إلا بإذنه.  
إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٥٦﴾ : أي على طريق الحق والعدل.

فَإِنْ تَوَلَّوْا : أصلها تتولوا فعل مضارع حذفته منه إحدى التائين ومعناه تدبروا. ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾.

إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴿١٥٧﴾ : أي رقيب ولا بد أنه يجزي كل نفس بما كسبت.  
وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا : أي بعذابهم وهي الريح الصرر.

بَجَيْتِنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا : أي بفضل منا ونعمة. ﴿وَبَجَيْتِنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ﴿١٥٨﴾ وَتِلْكَ

عَادًا جَحَدُوا وَيَايُنْتَ رَبَّهُمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ، وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ

جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥١﴾ : أي مستكبر عن الحق لا يذعن له ولا يقبله.

وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ : أي ولعنة يوم القيامة.

أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٥٢﴾ : أي هلاكًا لعاد وإبعادًا لهم من كل رحمة،

والبعد: التباعد عن الخير أيضًا.

﴿وَالَّذِي نُمُودَ﴾ : أي وأرسلنا إلى قبيلة ثمود.

أَخَاهُمْ صَالِحًا : أي في النسب؛ لأنه من قبيلة ثمود بينه وبين ثمود أبي القبيلة خمسة أجداد.

﴿قَالَ يَنْقُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ .

مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ، هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا : أي جعلكم عمارة فيها تعمرونها بالسكن

والإقامة فيها. ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي﴾ .

قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٥٣﴾ : أي من خلقه إذ العوالم كلها بين يديه، ومجيب: أي لمن سأله. ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ﴾ .

فَذَكَرْتُمْ فِينَا مَرْجُوعًا قَبْلَ هَذَا : أي قبل أن تقول ما قلت كنا نرجو أن تكون سيدًا فينا. ﴿أَنْتُمْ هُنَا أُن

تَعْبُدُوا مَا يَنْعَبُدُونَ آبَاؤَنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٥٤﴾ .

قَالَ يَنْقُورُ أَرَأَيْتُمْ : أي أخبروني.

إِنْ كُنْتُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي : أي على علم بربي علميه ﴿فَلَا﴾ ؛ فهل يليق بي أن أعبد غيره؟

وَأَنْتُمْ مِنْهُ رَحِمَةٌ : وهي النبوة والرسالة. ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ .

فَمَا تَرْيَدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٥٥﴾ : أي خسار وهلاك.

وَيَنْقُورُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ : أي علامة على صدقي فيما جئتكم به من أنه لا إله إلا الله.

فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ : أي اتركوها ترع في المراعي غير المحمية لأحد.

وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ : أي كضربها أو قتلها، أو منعها من الماء الذي تشرب فيه. ﴿فِيَاخُذْكُمْ عَذَابٌ

قَرِيبٌ ﴿٥٦﴾ .

فَعَقَرُوهَا : أي قتلوها بالعقر الذي هو قطع قوائمها بالسيف.

فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ : أي ابقوا في دياركم تأكلون وتشربون وتمتعون في الحياة. ﴿ثَلَاثَةَ

أَيَّامٍ﴾ .

ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٥٧﴾ : أي صادق لم أكذبكم فيه ولم يكذبني ربي الذي وعدكم به.

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ

الْعَزِيزُ ﴿٥٨﴾ .

وَأَخْنَأَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَثِيمِينَ ﴿٥٩﴾ : أي ساقطين على ركبهم ووجوههم.

كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا : أي كان لم يكونوا بها أمس ولم تعمر بهم يومًا. ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا



بَعْدَ الشَّمُودَ ﴿٦٨﴾ .

وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلَنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى : أي بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب. ﴿قَالُوا سَلَّمْنَا قَالَ سَلَّمْ﴾ .

فَمَا لَيْتَ : أي ما أبطأ.

أَنْ جَاءَ بِعَجَلٍ حَنِيدٍ ﴿٦٩﴾ : أي مشوي على الحجارة.  
فَلَمَّارَةٌ أَيْدِيهِمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ : أي لم يتناولوه فياكلوا منه.  
نَكَرَهُمْ : أي لم يعرفهم.

وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً : أي أحس بالخوف وشعر به. ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ﴾ .  
لُوطٌ ﴿٧٠﴾ : هو ابن هاران أخي إبراهيم عليه السلام. ﴿وَأَمْرًا أَنَّهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُمْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ  
إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ .

قَالَتْ يَوَيْلَئِي : أي يا ويلتي احضري هذا أوان حضورك. ﴿ءَالِدٌ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ .

وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا : إشارة إلى إبراهيم إذ هو بعلمها أي زوجها.

إِنَّ هَذَا الشَّيْءُ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ : أي أمر يتعجب منه استبعادًا له واستغرابًا. ﴿قَالُوا أَنْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ  
اللَّهِ رَحِمَتْ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ .  
فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ : الفزع والخوف.  
وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَى : أي الخبر السار المفرح للقلب.  
يُجَدِّدُنَا : أي يخاصمنا.

فِي قَوْمٍ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ : أي في شأن هلاك قوم لوط، ولوط هو رسول الله لوط بن هاران ابن عم  
إبراهيم.

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ : الحلِيم الذي لا يعاجل بالعقوبة، والأواه كثير التأوه مما يسيء  
ويحزن، والمنيب: الراجع.

يَتَّبِعُهُمْ كَافِرِينَ ﴿٧٦﴾ : أي اتبعهم في قوم لوط. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِتْرَافِيًّا وَكَانُوا كَافِرِينَ﴾ .  
عَبْرُ مَرَدُودٍ ﴿٧٧﴾ : أي لا يستطيع أحد رده؛ لأن الله تعالى قد قضى به فهو واقع لا محالة.  
وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءًا : أي حصل له غم وهم بمجيئهم إليه.  
يَوْمَ وَضَّاقَ بِهِمْ دَرْعًا : أي عجزت طاقته عن تحمل الأمر<sup>(١)</sup>.  
وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٨﴾ : أي شديد لا يحتمل.

وَجَاءَهُ قَوْمُهُ مُهْرَعُونَ إِلَيْهِ : أي مدفوعين بدافع الشهوة يمشون مسرعين في غير اتزان.

(١) أي ضاق صدره بمجيئهم وكرهه.

وَمَنْ قَتَلَ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ : أي كبائر الذنوب إتيان الذكور. ﴿قَالَ يَنْقُورُ هَتُولَاءَ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ (١).

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي : أي لا تذلونني ولا تهينوني بالتعرض لضيفي.

الْيَسَّ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (٧٨) : أي ذو رشد وعقل ومعرفة بالأمر وعواقبها. ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا

لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقِّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ (٧٩).

قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠) : أي إلى عشيرة قوية تمنعني منكم ولم تكن له

عشيرة؛ لأنه من غير ديارهم. ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾.

فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ : أي اخرج بهم من البلد ليلاً.

بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ : أي بجزء وطائفة من الليل. ﴿وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَكَ إِتَهُ مُصِيبَهَا مَا

أَصَابَهُمْ﴾.

إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ : وهو من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. ﴿الْيَسَّ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١) فَلَمَّا

جَاءَ أَمْرُنَا﴾.

جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا : أي عالي القرية سافلها.

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ : أي من طين متحجر.

مَنْضُودٍ (٨٢) : أي منظم واحدة فوق أخرى بانتظام.

مُسَوَّمَةٌ : أي معلمة بعلامة خاصة.

عِنْدَ رَبِّكَ : أي معلمة من عند الله تعالى. ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ (٨٣).

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا : أي أرسلنا شعيباً إلى أهل مدين. ﴿قَالَ يَنْقُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا

لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾.

وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ : أي إذا بعتم لأحد فلا تنقصوا المكيال والميزان. ﴿وَإِنِّي

أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾.

عَذَابَ يَوْمٍ تُحِيطُ (٨٤) : أي يحيط بكم من جميع جهاتكم فلا ينجو منه أحد منكم (٢).

وَيَنْقُورُ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ : أي بالعدل أي بالمساواة والتساوي في البيع

والشراء على حد سواء.

(١) أراد نساء الأمة إذ نبي القوم أب لهم شاهده قراءة ابن مسعود، وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم، الآية من سورة الأحزاب، لقد قيل: إنهم كانوا خطبوا بناته ولم يزوجهن بهن إذ ستهم أن الرجل إذا خطب المرأة ثم لم يعطها لا تحل له بعد ولذا قالوا: علمت ما لنا في بناتك من حق، وما في التفسير أوجه.

(٢) جائز أن يكون عذاب إبادة واستئصال وهو ما تم لهم بعد إصرارهم على الشرك والعصيان، وجائز أن يكون عذاب يوم القيامة وهو كائن لا محالة.

وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ: أي لا تنقصوهم حقوقهم التي هي لهم عليكم في الكيل والوزن وفي غير ذلك.

وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾: أي ولا تعتوا في الأرض بالفساد.

بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ <sup>(١)</sup>: أي ما يبقى لكم بعد توفية المكيال والميزان خير لكم من الحرام الذي حرم الله عليكم. ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾: أي رقيب أراقب ووزنكم وكيلكم وإنما أنا واعظ لكم وناصح لا غير.

قَالُوا يَنْشَعِبُ أَصْلُوتُكَ: أي كثرة الصلاة التي تصلبها هي التي أثرت في عقلك فأصبحت تأمرنا بما لا ينبغي من ترك عبادة آلهتنا والتصرف في أموالنا. ﴿تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾.

إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾: أي ذو الحلم والرشد، والحلم ضد الطيش، والرشد ضد السفه ولم يكن قولهم هذا مدحاً له وإنما هو استهزاء به. ﴿قَالَ يَنْقُورُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَمِينٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾.

وَمَا أُرِيدُ أَنَا خَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَنَكُم عَنْهُ: أي لا أريد أن أنهاكم عن الشيء لتتركوه ثم أفعله بعدكم. إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت: أي ما أريد إلا الإصلاح لكم.

وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ: أي وما توفيقى للعمل الإصلاحي والقيام به إلا بفضل الله عليّ.

عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾: أي أرجع في أمري كله.

﴿وَيَنْقُورُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾: أي لا

تكسبنكم مخالفتي أن يحل بكم من العذاب ما حل بقوم نوح والأقوام من بعدهم.

وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِّنكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾: أي في الزمن والمكان إذ بحيرة لوط قريبة من بلاد مدين التي

هي بين معان والأردن. ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾.

إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾: أي رحيم بالمؤمنين ودود محب للمتقين.

قَالُوا يَنْشَعِبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا نَقُولُ: أي ما نفهم بدقة كثيراً من كلامك. ﴿وَإِنَّا لَلرَّبِّكَ فِينَا

ضَعِيفًا﴾.

وَلَوْلَا رَهْطُكَ: أي أفراد عشيرتك. ﴿لَرَجَمَنَّكَ﴾ <sup>(٢)</sup>.

(١) قال مجاهد: ﴿بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ﴾؛ يريد: طاعته، وقال الربيع: وصية الله وقال الفراء: مراقبة الله، وقال ابن زيد:

رحمة الله، وقال ابن عباس: رزق الله خير لكم، وقال الحسن: حظكم من ربكم خير لكم، كل هذا بشرط الإيمان والتوحيد، وأرجح هذه الأقوال ما في التفسير.

(٢) وقولهم: لرجمناك جائز أن يراد به حقيقته وهو القتل رجماً بالحجارة؛ إذ كانوا يقتلون من أرادوا قتله كذلك، وجائز أن يكون لرجمناك بالقول سباً وشتماً.

وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ ﴿٩١﴾: أي بقوي ممتنع. ﴿قَالَ يَنْفِقُونَ أَيُّهَا أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾  
وَأَتَّخَذْتُمُوهُ وِرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا: أي لم تأهبوا به ولا تلتفتوا إليه كالشيء الملقى وراء الظهر. ﴿إِنَّ رَبِّي يَمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ ﴿٩٢﴾.

وَيَنْفِقُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانِكُمْ: أي على ما أنتم عليه من حال التمكن والقدرة.  
إِنِّي عَمِلٌ: على تمكني من العمل الذي أعمله. ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ  
وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ  
مِّنَّا﴾.

وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ: أي صيحة العذاب التي أخذتهم.  
فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَنِيحِينَ ﴿٩٤﴾: أي على ركبهم.  
كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا: أي كأن لم يقيموا بها يوماً.  
أَلَا بَعْدَ الْمَدِينِ: أي هلاكاً لمدين قوم شعيب. ﴿كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ﴾ ﴿٩٥﴾.  
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى: هو موسى بن عمران كليم الله ورسوله إلى بني إسرائيل.  
بِآيَاتِنَا: هي التسع الآيات التي ذكر أكثرها في آية الأعراف، والآيات: التوراة.  
وَسُلْطَنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾: أي بحجة قوية على عدو الله فرعون فهزمه بها.  
إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ: أي أشرف رجال دولة فرعون. ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾  
وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾: أي بذي رشد بل هو السفه كله.  
يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أي تقدمهم إلى النار. ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾  
وَيُسَّسُ الْوَرْدُ الْمَوْزُودُ ﴿٩٨﴾: أي قبح وساء ورداً يورد النار.  
وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً: أي ألحقهم في دار الدنيا لعنة وهي غرقهم.  
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُسَّسُ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾: أي قبح الرغد الذي هو العطاء المرفود به أي المعطى  
لهم، والمراد لعنة الدنيا ولعنة الآخرة.

ذَلِكَ: الإشارة إلى قصص الأنبياء الذي تقدم في السورة.  
مِنَ أَنْبَاءِ الْقُرَى: أي أخبار أهل القرى قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، وأصحاب مدين  
وفرعون. ﴿نَقُضُّهُ عَلَيْكَ﴾.

مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾: منها مدن بقيت آثارها كمداثن صالح، ومنها مدن لم يبق منها شيء  
كديار عاد. ﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمْ﴾  
الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ: أي يعبدونها بالدعاء، وغيره كالذبح لها والندور، والحلف بها.  
﴿لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾.

وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتَابُعٍ ﴿١٠١﴾: أي تخسير وهلاك.

وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ : أي عاقبها بذنوبها.  
 إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١١٢﴾ : أي موجع شديد الإيذاء.  
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ : أي علامة على أن الذي عذب في الدنيا قادر على أن يعذب في الآخرة. ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ﴾ .  
 وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١١٣﴾ : أي يشهد جميع الخلائق وهو يوم القيامة.  
 وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدُّودٍ ﴿١١٤﴾ : أي أجل الدنيا المحدود الأيام والساعات.  
 يَوْمَ يَأْتُ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ : أي إلا بإذن الله تعالى.  
 فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١١٥﴾ : أي فمن أهل الموقف من هو شقي أزلًا وسيدخل النار، ومنهم سعيد أزلًا وسيدخل الجنة. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ﴾ .  
 لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١١٦﴾ : أي صوت شديد وهو الزفير وصوت<sup>(١)</sup> ضعيف وهو الشهيق.  
 ﴿خَلِيلَيْنِ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ ﴿١١٧﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَمِنَ الْجَنَّةِ خَلِيلَيْنِ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ .  
 عَطَاءٌ غَيْرَ مُجْدُودٍ ﴿١١٨﴾ : أي غير مقطوع بل هو دائم أبدًا.  
 فَلَا تَكُ فِي مَرْيَبٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هُنُلَاءَ : أي في شك من بطلان عبادة هؤلاء المشركين. ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ بِمَا نَصَبْنَاهُمْ﴾ .  
 غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴿١١٩﴾ : ما قدر لهم من خير أو شر رحمة أو عذاب.  
 وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ : أي التوراة. ﴿فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ .  
 وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ : أي لولا ما جرى به قلم القدر من تأخير الحساب والجزاء إلى يوم القيامة. ﴿لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ .  
 وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٢٠﴾ : أي موقع في الريب الذي هو اضطراب النفس وقلقها. ﴿وَإِنْ كَلَّا لَمَّا لِيُوفِيَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿١٢١﴾ .  
 فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ : أي على الأمر والنهي كما أمرك ربك دون تقصير.  
 وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطَّغَوْا : أي لا تجاوزوا حدود الله. ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿١٢٢﴾ .  
 وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا : أي لا تميلوا إليهم بموادة أو رضا بأعمالهم.

(١) اختلف في تحديد معنى كل من الزفير والشهيق وما في التفسير خلاصته وهما أصوات المحزونين، والزفير مأخوذ من الزفر وهو الحمل على الظهر لشدته، والشهيق النفس الطويل مأخوذ من قولهم جبل شاهق طويل، والصوتان متلازمان إذ هما كأول النهيق وآخره عند الحمار. اهـ.  
 وقال ابن كثير: قال ابن عباس: الزفير في الحلق، والشهيق في الصدر، أي تنفسهم زفير وأخذهم النفس شهيق، لما هم فيه من العذاب (قل).

فَتَسَكَّمُ النَّارُ: أي تصيبكم ولازم ذلك دخولها. ﴿وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (١١٣).

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ: أي صل الصلاة المفروضة.

طَرَفِي النَّهَارِ: أي الصبح، وهي في الطرف الأول والظهر والعصر وهما في الطرف الثاني.

وَرُلْفَاءٍ مِّنَ اللَّيْلِ: أي ساعات الليل والمراد: صلاة المغرب وصلاة العشاء.

إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ: أي حسنات الصلوات الخمس يذهبن صغائر الذنوب التي تقع

بينهن (١).

ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرِيِّ (١١٤): أي ذلك المذكور من قوله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ موعظة للمتعظين.

وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١١٥): أي الذين يحسنون نياتهم وأقوالهم وأعمالهم

بالإخلاص فيها لله وأدائها على نحو ما شرع الله وبين رسول الله ﷺ.

فَلَوْلَا: لولا كلمة تفيد الحض على الفعل والحث عليه (٢).

كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ: أي أهل القرون، والقرن: مائة سنة.

أُولَئِكَ بَقِيَّةُ: أي أصحاب بقية أي دين وفضل. ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا

مِنْهُمْ﴾.

وَأَتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ: أي ما نعموا فيه من طعام وشراب ولباس ومتع.

وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (١١٦): أي لأنفسهم بارتكاب المعاصي ولغيرهم بحملهم على ذلك، وفي الآية

ذم الترف إن اتبعه صاحبه وانقطع به عن طاعة الله ورسوله.

وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ: أي منه لها بدون ما ذنب اقترفته. ﴿وَأَهْلُهَا مُصَلِحُونَ

﴾ (١١٧).

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً: أي على دين واحد هو الإسلام.

وَلَا يَرَاوُنَّ مُخْتَلِفِينَ (١١٨): على أديان شتى من يهودية ونصرانية ومجوسية وأهل الدين الواحد

يختلفون إلى طوائف ومذاهب مختلفة.

(١) وكون الحسنات يذهبن السيئات يتناول أمرين: الأول وهو الظاهر أن الحسنات يمحو الله تعالى بها السيئات وهي الصغائر، والثاني أن فعل الحسنات يمنع من فعل السيئات وهو إذهابها.

(٢) قال ابن كثير رحمته الله: يقول تعالى: فهلا وجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير، ينهون عما كان يقع بينهم من الشرور والمنكرات والفساد في الأرض، وقوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي قد وجد منهم من هذا الضرب قليل لم يكونوا كثيرًا وهم الذين أنجاهم الله عند حلول غضبه وفتنة نومه، ولهذا أمر الله تعالى هذه الأمة الشريفة أن يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، كما قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾. اهـ (قل).

إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ : أي خلق أهل الاختلاف للاختلاف وأهل الرحمة للرحمة.  
 ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ .  
 وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ : أي وكل ما تحتاج إليه من أنباء الرسل نقصه عليك تثبيتاً  
 لفؤادك.

مَا نُنشِئُ بِهِ فُؤَادَكَ : أي نقص عليك من القصص ما نثبت به قلبك لتصبر على دعوتنا  
 وتبليغها.

وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ : أي هذه السورة الحق الثابت من الله تعالى كما جاءك في غيرها.  
 وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ : أي وجاءك فيها موعظة وذكرى للمؤمنين إذ هم المنتفعون بها.  
 ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَا كَانْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَأَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ .  
 وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : أي ما غاب علمه فيهما فالله يعلمه وحده وليس لغيره فيه علم.  
 ﴿وَالِيهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ .

فَاعْبُدْهُ : أي وحده في العبادة ولا تشرك به شيئاً.  
 وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ : أي فوض أمرك إليه وثق تمام الثقة به فإنه يكفيك. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا  
 تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ .



## ١٢ - سُورَةُ يُوسُفَ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ : تكتب الـ وتقرأ: ألف، لام، راء، والله أعلم بمراده بذلك.

تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ : أي القرآن المظهر للحق في الاعتقادات والعبادات والشرائع. إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا : أي بلغة العرب العدنانيين، والقحطانيين سواء. ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

﴿٢﴾

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ : نحدثك متتبعين آثار الحديث على وجهه الذي كان عليه وتم به (١).

يَمَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ : أي بإيحاتنا إليك فالوحي هو أداة القصص.

وإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ : أي من قبل نزوله عليك.

لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ : أي من قبل إيحاتنا إليك غافلاً عنه لا تذكره ولا تعلم منه شيئاً. ﴿إِذْ قَالَ

يُوسُفُ لِأَبِيهِ ﴿٤﴾ : أي يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام.

يَتَأْتِيَ إِنِّي رَأَيْتُ : أي في منامي.

أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا : أي من كواكب السماء.

وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٥﴾ : أي نزل الكل من السماء وسجدوا ليوسف وهو طفل.

﴿قَالَ يَبْنَؤُ لَا نَقُصُّ رُءُ يَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ ﴿٦﴾

فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا : أي يحتالوا عليك بما يضرك.

إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٧﴾ : أي بين العداوة ظاهرها.

وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ : أي يصطفيك له لتكون من عباده المخلصين.

وَيُعَلِّمُكَ مِنَ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ : أي تعبير الرؤيا.

وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ : أي بأن ينبئك ويرسلك رسوله. ﴿وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾

(١) قال القرطبي في تفسيره بعد ذكره عدة تأويلات في تسميتها أحسن القصص: (.. وقال بعض أهل المعاني: إنما كانت أحسن القصص؛ لأن كل من ذكر فيها كان ماله السعادة، انزُر إلى يوسف وأبيه وإخوته، وامرأة العزيز، قيل: والملك أيضًا أسلم بيوسف وحسن إسلامه، ومستعبراً ذياً الساقى، والشاهد فيما يقال، فما كان أمر الجميع إلا إلى خير) (قل).



- ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَّائِلِينَ ﴾ (٧) : عبر للسائلين عن أخبارهم وما كان لهم من أحوال غريبة. ﴿ إِذْ قَالُوا ﴾ .
- لِيُوسُفَ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ : أي جماعة إذ هم أحد عشر رجلاً. ﴿ إِنَّ أَبَانَا لِنِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٨) .
- أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا : أي ألقوه في أرض بعيدة لا يعثر عليه.
- يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ : أي من النظر إلى يوسف فيقبل عليكم ولا يلتفت إلى غيركم. ﴿ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ (٩) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ .
- فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ : أي ظلمة البئر، أي: في قعر البئر.
- يَلْبَقِظُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ : أي المسافرين السائرين في الأرض. ﴿ إِنَّ كُنْتُمْ فَعِيلِينَ ﴾ (١٠) قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْتَانَا عَلَى يُونُسَ .
- وَإِنَّا لَهُ لَنَنْصِحُونَ ﴾ (١١) : لمشفقون عليه نحب له الخير كما نحبه لأنفسنا.
- أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَلْعَبُ بِالمسابقة والمناضلة. ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١٢) .
- قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ : أي يوقيني في الحزن الذي هو ألم النفس أي ذهابكم به.
- وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ : حيوان مفترس خداع شرس. ﴿ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾ (١٣) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ .
- وَنَحْنُ عُصْبَةٌ : أي جماعة قوية.
- إِنَّا إِذَا لَخَبِيرُونَ ﴾ (١٤) : أي ضعفاء عاجزون عرضة للخسران بفقدنا أخانا.
- فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا : أي أمرهم على إلقائه في غيابة الجب.
- أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ : أي في ظلمة البئر.
- وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ : أي أعلمناه بطريق خفي سريع. ﴿ لَتَنبِتَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١٥) .
- وَجَاءَ وَأَبَاهُمْ عِشَاءً : أي بعد غروب الشمس أول الليل. ﴿ يَبْكُونَ ﴾ (١٦) .
- قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ : أي بالمناضلة.
- وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعِنَا : أي أمتعتنا من ثياب وغيرها. ﴿ فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ﴾ .
- وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا : أي بمصدق لنا. ﴿ وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ (١٧) .
- وَجَاءَ وَعَلَى قَيْصِهِ يَدٌ مِرْكُوبٌ : أي بدم مكذوب أي دم سخلة وليس دم يوسف.
- قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ : أي زينت وحسنت لكم. ﴿ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ .
- وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ (١٨) : أي من الكذب.
- وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ : رُفْقَةٌ مِنَ النَّاسِ تَسِيرُ مَعِ بَعْضِهَا .

فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ : أي الذي يرد لهم الماء .  
 فَأَذَلِّي دَلْوَهُ : أي دلى دلوه في البئر . ﴿ قَالَ يَبْشُرِي هَذَا غُلْمًا ﴾ .  
 وَأَسْرُوهُ يَضَعَةً : أي أخفوه كبضاعة من البضائع . ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٩) .  
 وَشَرُّهُ بِشَبِّ بَخْسٍ : أي باعوه بثمن ناقص . ﴿ دَرَّهَمٌ مَعْدُودَةٌ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ (٢٠) .

وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ : أي الرجل الذي اشتراه واسمه قطفير ولقبه العزيز .  
 لِأَمْرَائِهِ أَكْرَمِي مَتُونَهُ : أي أكرمي موضع إقامته بمعنى أكرمي وأحسني إليه .  
 عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَنْفَعَهُ . وَلَدًّا : أي نتبناه فقال ذلك ؛ لأنه لم يكن يولد له .  
 وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ : أي تعبير الرؤيا . ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ  
 عَلَى أَمْرِهِ . وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢١) .  
 وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ : أي قوته البدنية والعقلية (١) .  
 مَا آتَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا : أي حكمة ومعرفة أي : حكمة في التدبير ، ومعرفة في الدين . ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي  
 الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢٢) .

وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا : أي طالبتة لحاجتها تريد أن ينزل عن إرادته لإرادتها وهو يأبى . ﴿ عَنْ  
 نَفْسِهِ ﴾ .

وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ : أغلقتها بالمغاليق .

وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ : أي تعال عندي (٢) .

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ : أي أعوذ بالله أي أتحصن وأحتمي به من فعل ما لا يجوز .

إِنَّهُ رَفِئٌ أَحْسَنُ مَثْوًى : أي إقامتي (٣) في بيته . ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢٣) .

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ : أي لتبطش به ضربًا .

وَهَمَّ بِهَا : أي ليدفع صوتها عليه .

لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ : ألهمه ربه أن الخير في عدم ضربها .

كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ : السوء ما يسوء وهو ضربها ، والفحشاء الخصلة

القييحة .

(١) أي : وليناه حكم مصر فصار الحاكم فيها وآتيناها النبوة والعقل والفهم والعلم بالدين .

(٢) من أعظم أساليب القرآن أنه يتحدث عن مثل هذه الأمور دون إثارة للشهوات بل قد تدرج العينان من خشية

الله ، وعليه فإن الخطيب البارع والكاتب الناجح هو الذي ينهج هذا النهج .. سبحانه الله : ﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ

عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (قل) .

(٣) يعني بقوله ﴿ رَبِّي ﴾ زوجها ؛ أي : سيده .

إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ : أي الذين استخلصناهم لولايتنا وطاعتنا ومحبتنا.  
 وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ : أي قطعته من وراء.  
 وَالْفِيأَسِيدَهَا لَدَا الْبَابِ : أي وجدا العزيز زوجها وكانوا يطلقون على الزوج لفظ السيد؛ لأنه يملك المرأة. ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ زَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي ﴿٢٦﴾ .  
 وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا : أي ابن عمها.  
 إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ : أي من قدام. ﴿فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ .  
 وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ : أي من وراء أي من خلف. ﴿فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿٢٨﴾ فَلَمَّارَةً قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ ﴿٢٩﴾ .  
 قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ : أي قولها، ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً ﴿٣٠﴾ . ﴿إِنْ كَيْدُكُمْ عَظِيمٌ﴾ ﴿٣١﴾ .  
 يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا : أي عن هذا الأمر ولا تذكره لكيلا يشيع.  
 وَأَسْتَغْفِرِي لِدُنْيَاكَ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٣٢﴾ : المرتكبين للخطايا الآثمين.  
 ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ : أَي عاصمة مصر يومئذ.  
 أَمْرَاتُ الْعَزِيزِ تُرْوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ : أي عبدها الكنعاني.  
 قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا : أي دخل حبه شغاف قلبها، أي: أحاط بقلبها فتملكه عليها.  
 إِنَّا لَنَرِيهَا فِي صِلَىٰ قَوْمِ عَادٍ ﴿٣٣﴾ : أي في خطأ بين بسبب حبها إياه.  
 فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ : أي بما تحدثن به عنها في غيبتها.  
 أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا : أي وأعدت لهن فراشا ووسائد للاتكاء عليها. ﴿وَأَتَتْ كُلَّ وَجْدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ ﴿٣٤﴾ .  
 فَلَمَّا رَأَتْهُ أَكْبَرْتَهُ : أي أعظمته في نفوسهن. ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ ﴿٣٥﴾ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣٦﴾ .

قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ : أي قلتن كيف تحب عبدا كنعانياً.  
 وَلَقَدْ زَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعَصَمَ : أي امتنع مستمسكاً بعفته وطهارته. ﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ

(١) أرى - والله أعلم - أن من أعظم الأدعية الجالبة للإخلاص الصارفة للسوء والفحشاء خاصة العشق قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ فهي آية من كتاب الله وكفى بها مزية، وهي من أدعية الكرب، ولكونها من القرآن إذا قرأها المؤمن جعل الله بينه وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستورا، وهي على بعض الروايات اسم الله الأعظم، وهي تشمل على التوحيد والتسبيح والاستغفار، وهي أيضا دعوة نبي (قل).

(٢) القائل هو الشاهد وقيل: الزوج، والراجع حسب السياق والعادة أنه الشاهد الذي أصبح حكما بينهما. اهـ.  
 وقد رجح ابن كثير رحمه الله أنه الزوج وهو الحق، والله أعلم (قل).

(٣) حاش لله: أي: معاذ الله.

لَيْسَجَنَّ وَلَيْكُونَا ﴿٣٢﴾.

مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٣﴾: الدليلين المهانين. ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾.

أَصْبُ إِلَيْنَ: أمل إليهن.

وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٤﴾: أي المذنبين إذ لا يذنب إلا من جهل قدرة الله واطلاعه عليه. ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٣٥﴾.

ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ: أي ظهر لهم.

مِن بَعْدِ مَا رَأَوْا آيَاتِنَا: أي الدلائل على براءة يوسف. ﴿لَيْسَجُنَّهٗ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ﴿٣٦﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٌ ﴿٣٧﴾.

قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرِنِّي أَخْضِرَ خَمْرًا: أي أعصر عنبًا ليكون خمرًا. ﴿وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرِنِّي أَحْمِلَ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبْتْنَا بِنَاؤِ بِلَدِنَا وَلَبَدٌ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٣٨﴾ قَالَ لَا يَا بَنِيَّ كَمَا طَعَامُ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَاتٌ كَمَا بِنَاؤِ بِلَدِنَا قَبْلَ أَنْ يَا بَنِيَّ كَمَا ذَلِكَ أَمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٩﴾.

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ: أي دين. ﴿ءَابَاءِيَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾.

مَا كَانُوا لَنَا: أي ما ينبغي لنا ولا صح منا.

أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ: أي أن أشرك بالله شيئًا من الشرك وإن قل، ولا من الشركاء وإن عظموا أو حقروا.

ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا: أي ذلك التوحيد والدين الحق.

وَعَلَى النَّاسِ: إذ جاءهم الرسل به.

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٤٠﴾: أي ولكنهم ما شكروا فلم يتبعوا.

يَنْصَحِي السِّجْنَ: أي يا صاحبي في السجن وهما الفتيان: صاحب طعام الملك وصاحب شرابه.

ءَأَزْيَابٌ مُتَفَرِّقَاتٌ خَيْرٌ: أي آلهة متفرقون هنا وهناك أي في ذواتهم وصفاتهم وأماكنهم. ﴿أَمَّا رَبُّ فَأَنَّ السَّجْنَ السِّجْنَ﴾.

مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِنَا: أي من دون الله ﷻ.

إِلَّا أَسْمَاءَ: أي مجرد اسم إله، وإلا ففي الحقيقة هو ليس بإله إنما هو صنم. ﴿سَمَّيْتُمُوهَا أَشْرَؤَ آبَائِكُمْ﴾.

مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ<sup>(١)</sup>: أي لم يأمر الله تعالى بعبادتها بأي نوع من أنواع العبادة. ﴿إِنْ  
الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٠).  
يَصْجِي السِّجْنَ أَمَا أَحَدُكُمْ فَيَسْقِي رَبَّهُ<sup>(٢)</sup> خَمْرًا: أي يسقي سيده الذي هو ملك البلاد شراب  
الخمير.

وَأَمَّا الْآخِرُ فَيُصَلَّبُ: يقتل مصلوبًا على خشبة كما هي عادة القتل عندهم. ﴿فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ  
رَأْسِهِ﴾.

قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (١١): أي فرغ منه وبت فيه.

وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا: أي أيقن أنه محكوم ببراءته. ﴿أَذْكَرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾.

فَأَنسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ: أي أنسى الشيطان يوسف ذكر ربه تعالى. ﴿فَلَيْتَ فِي السِّجْنِ  
يَضَعُ سِينِينَ﴾ (١٢).

وَقَالَ الْمَلِكُ: ملك مصر الذي العزيز وزير من وزرائه واسمه الريان بن الوليد. ﴿إِنِّي أَرَى سَبْعَ  
بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾.

يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ: هزال غير سمان. ﴿وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾.

يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ: أيها الأشراف والأعيان من رجال الدولة.

أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ: أي عبروها لي. ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ (١٣).

قَالُوا أَضَعَتْ أَحْلَامَ: أي أخلاط أحلام كاذبة لا تعبير لها إلا ذاك. ﴿وَمَا تَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ  
﴿١٤﴾﴾.

وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ: أي وتذكر بعد حين من الزمن أي قرابة سبع سنين. ﴿أَنَا  
أُنذِرُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ (١٥).

يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ: أي يا يوسف أيها الصديق أي يا كثير الصدق؛ علم ذلك منه في السجن.

﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى  
النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٦).

قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا: أي متتابعة على عادتكم.

فَأَحْصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ: أي اتركوه في سنبله لا تدرسوه. ﴿إِلَّا لِقِيلًا مِّمَّا نَأْكُلُونَ﴾ (١٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ  
بَعْدِ ذَلِكَ.

(١) من حجة تحكم بمشروعية عبادتها كما تفعلون.

(٢) إطلاق لفظ الرب على السيد كان عند من قبلنا أما نحن أمة الإسلام، فقد نهينا عن ذلك، روى مسلم قوله ﷺ:

«لا يقل أحدكم: اسق ربك أطعم ربك وضئ ربك، ولا يقل أحدكم: ربي، وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل

أحدكم: عبدي وأمتي وليقل: فتاي، فتاتي، غلامي».

سَبَّعُ شِدَادٌ : أي صعب قاسية لما فيها من الجذب.

يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْتَسِبُونَ ﴿٤٨﴾ : أي تحفظونه وتدخرونه للبذر والحاجة.

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ : أي يعيشهم ربهم بالأمطار وجريان النيل.

وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ : أي ما من شأنه أن يعصر كالزيتون والعنب وقصب السكر.

وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَنْوِي بِهِ : أي بيوسف.

فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ : أي مبعوث الملك.

قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ : أي سيدك.

فَسَأَلَهُ مَا بَالَ النِّسْوَةِ : ما حالهن (١). ﴿الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾ .

قَالَ مَا خَطْبُكُمْ : ما شأنكم. ﴿إِذْ رَوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾ .

قُلْتُ خَشِيَ لِلَّهِ : أي تنزيهاً لله تعالى عن العجز أن يخلق بشراً عفيفاً. ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ

قَالَتْ أَمْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾ .

أَلَنْ حَصَّصَ الْحَقُّ : وضع وظهر الحق (٢). ﴿أَنَارَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ

أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ﴿٥٢﴾﴾ .

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ : أي كثيرة الأمر، والسوء هو ما يُسيء إلى النفس

البشرية مثل الذنوب.

إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي : أي إلا من رَحِمَ اللهُ فإن نفسه لا تأمر بالسوء لطيبها وطهارتها. ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ

﴿٥٣﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ .

أَتَنْوِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي : أجعله من خلصائي من أهل مشورتي وأسراري. ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ

الْيَوْمَ لَدَيْنَا﴾ .

مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ : أي ذو مكانة تتمكن بها من فعل ما تشاء، أمين مؤتمن على كل شيء عندنا.

قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ : أي خزائن الدولة في أرض مصر.

إِنِّي حَفِيزٌ عَلَيْهِ ﴿٥٥﴾ : أي أحافظ على ما تسنده إلي وأحفظه، عليم بتدبيره.

(١) ذكر النسوة جملة؛ حتى لا يؤدي امرأة العزيز لو خصها بالذكر إكراماً منه وحلماً، وكماً خلقياً وإلا فالمراد زليخا امرأة العزيز، ونفس الحكمة في قوله تعالى: ﴿مَا خَطْبُكُمْ﴾ .

(٢) قوله تعالى: ﴿أَلَنْ حَصَّصَ الْحَقُّ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ رجح ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى: أن القائل في الآيتين: هو امرأة العزيز، ورجح آخرون أنه يوسف عليه السلام (قل).

(٣) آيتان في كتاب الله قد انتظمتا آداب من يتولى أمراً من أمور المسلمين بعد كونه مسلماً لقول الله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١١١﴾﴾ [النساء: ١١١] أما الأولى فقوله تعالى هنا: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ إِنِّي حَفِيزٌ عَلَيْهِ ﴿٥٥﴾ . وأما الثانية فقوله تعالى في سورة القصص الآية ٣٦: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ آسْتَجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينُ ﴿٦٦﴾﴾ . نعم ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ (قل).

وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ : أي ينزل ويحل حيث يشاء بعدما كان في غيابة الجب وضيق السجن. ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ﴿٥٧﴾ .

وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ : من أرض كنعان لما بلغهم أن ملك مصر يبيع الطعام. ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَّفَهُمْ﴾ .  
وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾ : أي غير عارفين أنه أخوهم.

وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ : أي أكرمهم وزودهم بما يحتاجون إليه في سفرهم بعدما كال لهم ما ابتاعوه منه.

قَالَ آتُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ : هو بنيامين لأنه لم يجرى معهم؛ لأن والده لم يقدر على فراقه. ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ﴾ .

وَأَنَا خَيْرٌ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ : أي خير المضيفين لمن نزل عليهم. ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ، فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ .

قَالُوا سُرُودٌ عَنَّا أَبَاهُ : أي سنجتهد في طلبه منه. ﴿وَأِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ .  
وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ : أي غلمانه وخدمه.

اجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ : أي دراهمهم التي جاءوا يمتارون بها. ﴿فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ﴾ .

قَالُوا يَا أَبَانَا مَنَعَ مِنَّا الْكَيْلُ : أي منع الملك منا الكيل حتى نأتيه بأخيينا.

فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَّكَتَلُ : أي نحصل على الكيل المطلوب. ﴿وَأِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ﴾ .

عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ : أي كما أمنتكم على يوسف من قبل وقد فرطتم فيه. ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا﴾ .  
مَا نَبِغِي : أي أي شيء نبغي. ﴿هَذِهِ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ﴾ .

إِنَّا وَنَمِيرُ أَهْلِنَا : الميرة: الطعام الذي يدخره الإنسان. ﴿وَنَحْفَظُ آخَانًا﴾ .

وَنَزِدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٌ : أي بدل ما كنا عشرة نصبح أحد عشر لكل واحد حمل بعير.

ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ : أي على الملك لغناه وطوله فلا يضره أن يزيدنا حمل بعير. ﴿قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ﴾ .

مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ : أي عهدًا مؤكدًا باليمين.

لَأَنْتَنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ : أي تهلكوا عن آخركم. ﴿فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾

وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ﴿١﴾  
 وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ أَي أَرَادَ اللَّهُ خِلَافَهُ. ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ  
 الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴿٧٨﴾  
 إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَصَهَا : هِيَ إِرَادَةُ دَفْعِ الْعَيْنِ عَنْ أَوْلَادِهِ شَفِيقَةً عَلَيْهِمْ. ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ  
 لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧٩﴾  
 وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ : أَي ضَمَّهُ إِلَيْهِ أَثْنَاءَ الْأَكْلِ وَأَثْنَاءَ الْمَبِيتِ.  
 قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ : أَي لَا تَحْزَنْ. ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٨٠﴾  
 فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ : أَي صَاعَ الْمَلِكِ وَهُوَ مِنْ ذَهَبٍ كَانَ يَشْرَبُ فِيهِ ثُمَّ جَعَلَهُ  
 مَكْيَالًا يَكِيلُ بِهِ.

فِي رَجُلٍ أَخِيهِ : أَي بَنِيَامِينَ.

ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ : نَادَى مَنَادٍ.

أَيْتُهَا الْعَيْرُ : أَي الْقَافِلَةُ. ﴿إِنَّكُمْ لَسَّرِقُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٧٨﴾  
 قَالُوا نَفَقْدُ صُوعًا الْمَلِكِ : أَي صَاعَ الْمَلِكِ. فَالصَّاعُ وَالصُّوعُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ. ﴿وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ  
 حِمْلٌ بِعِيرٍ﴾

وَأَنَابَ بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٩﴾ : أَي بِالْحَمْلِ كَفِيلٍ.

قَالُوا تَاللَّهِ : أَي وَاللَّهِ. ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾

مَا جِئْنَا لِنُقْسِدَ فِي الْأَرْضِ : أَي بَارْتِكَابِ الْمَعَاصِي وَغَشْيَانِ الذُّنُوبِ.

وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٨٠﴾ : أَي وَلَمْ نَسْرِقِ الصُّوعَ كَمَا أَنَا لَمْ نَسْرِقْ مِنْ قَبْلِ مَتَاعِ أَحَدٍ. ﴿قَالُوا فَمَا

(١) فِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى مَا يَلِي :

أ- عَلَى التَّحَرُّزِ مِنَ الْعَيْنِ، وَالْعَيْنِ حَقٌّ لِحَدِيثِ: «إِنَّ الْعَيْنَ لَتَدْخُلَ الرَّجُلَ الْقَبْرَ وَالْجَمَلَ الْقَدْرَ» وَلْتَعُوذَ الرَّسُولُ  
 ﷺ مِنْهَا فِي غَيْرِ حَدِيثٍ.

ب- عَلَى الْمُسْلِمِ إِنْ أَعْجَبَهُ شَيْءٌ أَنْ يُبْرِكَ، لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «أَلَا بَرَكْتُ!» وَالتَّبْرِيكُ أَنْ يَقُولَ: تَبَارَكَ اللَّهُ  
 أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ، اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِ. [أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ].

ج- إِذَا أَصَابَ الْعَبْدَ بَعِينُهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَبْرِكْ فَإِنَّهُ يُؤْمَرُ بِالِاغْتِسَالِ وَيُجْبَرُ عَلَيْهِ.

د- إِذَا عَرَفَ الْمَرْءُ بِأَذَاهُ لِلنَّاسِ بِعَيْنِهِ يَبْعَدُ عَنْهُمْ وَجُوبًا.

هـ- الْإِغْتِسَالُ مِنَ الْعَيْنِ: وَأَنْ يَغْسَلَ الْمَعَانَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، وَمَرْفُوقِهِ وَرُكْبَتَيْهِ، وَأَطْرَافَ رِجْلَيْهِ وَدَاخِلَ إِزَارِهِ فِي إِثْنَاءِ  
 ثُمَّ يَصُبُّ عَلَى الْمَصَابِ بِالْعَيْنِ فَيَشْفَى بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى. اهـ.

حَدِيثُ: الْعَيْنُ تَدْخُلُ الرَّجُلَ الْقَبْرَ.... حَسَنٌ (عَدُ، خَلُّ) عَنْ جَابِرٍ. (عَدُ) عَنْ أَبِي ذَرٍّ [انظُرْ صَحِيحَ الْجَامِعِ]  
 وَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (الْعَيْنُ حَقٌّ وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابِقَ الْقَدْرِ سَبَقْتَهُ الْعَيْنُ، وَإِذَا اسْتَغْسَلْتُمْ فَاغْسَلُوا) رَوَاهُ مُسْلِمٌ،  
 وَعَلَيْكَ بِقِرَاءَةِ عِلَاجِ الْعَيْنِ مِنْ زَادِ الْمَعَادِ لِابْنِ الْقَيْمِ ﷺ جَاءَ (قُل).



﴿جَزَاؤُهُ﴾ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٦﴾ .

قَالُوا جَزَاؤُهُ مِنْ وُجْدٍ فِي رَحْلِهِ . فَهُوَ جَزَاؤُهُ : أَي يُؤْخَذُ بِالسَّرْقَةِ رَقِيقًا .  
كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ : أَي فِي شَرِيعَتِنَا . ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ .  
ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ : أَي فِي وِعَاءِ أَخِيهِ الْمَوْجُودِ فِي رَحْلِهِ .  
كَذَلِكَ كَذَبْنَا لِيُوسُفَ : أَي يَسْرُنَا لَهُ هَذَا الْكَيْدَ الَّذِي تُوَصَّلُ بِهِ إِلَى أَمْرٍ مَحْمُودٍ .  
مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ : أَي فِي شَرْعِهِ إِذْ كَانَ يَضْرِبُ السَّارِقَ وَيَغْرَمُ بِمِثْلِ مَا سَرَقَ .  
﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ .

رَفَعُ دَرَجَاتٍ <sup>(١)</sup> مَنْ نَشَاءُ : أَي كَمَا رَفَعَ يُوْسُفَ ﷺ . ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٧٦﴾ .  
﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ﴾ : أَي يَأْخُذُ الصَّوَاعِ خَفِيَةً مِنْ حَرَزِهِ .  
فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ : أَي يُوْسُفُ فِي صَبَاهِ <sup>(٢)</sup> .  
فَأَسْرَهَا يُوْسُفُ فِي نَفْسِهِ : أَي أَخْفَى هَذِهِ التَّهْمَةَ فِي نَفْسِهِ <sup>(٣)</sup> .  
وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ : أَي لَمْ يَظْهَرِهَا لَهُمْ .  
قَالَ أَنْتُمْ سَرُّ مَكَانًا : أَي مَنْزِلَةٌ مِمَّنْ رَمَيْتُمُوهُ بِالسَّرْقَةِ .  
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ : أَي بِحَقِيقَةِ مَا تَصِفُونَ أَي : تَذْكُرُونَ .  
قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا : أَي يَعْقُوبَ ﷺ . ﴿فَخَذَ أَحَدُنَا مَكَانَهُ﴾ <sup>(٤)</sup> إِنَّا نَرَاكَ  
مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ .

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ : أَي نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَنْ نَأْخُذَ .  
إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعًا عِنْدَهُ : مَنْ لَمْ نَجِدْ مَتَاعَنَا أَي الصَّوَاعَ عِنْدَهُ . ﴿إِنَّا إِذَا الظَّالِمُوتُ﴾ ﴿٧٦﴾ .  
فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ : أَي يَسُّوْا .  
خَلَصُوا نَجِيًّا : أَي اعْتَزَلُوا يَنَاجِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا . ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ﴾ .  
قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ : أَي عَهْدًا وَمِيثَاقًا لِتَأْتِنَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَحَاطَ بِكُمْ .  
وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ : أَي وَمِنْ قَبْلِ إِضَاعَتِكُمْ لِبَنِيَامِينَ فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ كَذَلِكَ .

(١) أَي : بِالْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ شَاهِدَهُ : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَوْفُوا بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانَ﴾ .

(٢) كَانَ يَسْرِقُ الطَّعَامَ وَيُعْطِيهِ لِلْمَسَاكِينِ ، وَسَرَقَ صِنْفًا لِأَبِي أُمِّهِ فَكَسَرَهُ حَتَّى لَا يَعْبُدَهُ وَليْسَ هَذَا مِنَ السَّرْقَةِ الْمَحْرَمَةِ وَلَا الْمَذْمُومَةِ بَلْ هِيَ مَحْمُودَةٌ .

(٣) وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ : ﴿فَأَسْرَهَا يُوْسُفُ فِي نَفْسِهِ﴾ : أَي أَسْرَ كَلِمَةً : ﴿أَنْتُمْ سَرُّ مَكَانًا﴾ أَي : أَخْفَاهَا فَلَمْ يَتَلَفَّظْ بِهَا إِحْسَانًا إِلَيْهِمْ ثُمَّ جَهَرَ بِقَوْلِهِ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ .

(٤) أَي : خَذَهُ عَبْدًا لِتَسْرِقِهِ لِأَنَّهُ سَبَقَ أَنْ قِيلَ : إِنَّ شَرِيعَةَ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ السَّارِقَ يَسْتَرَقُ بِالسَّرْقَةِ .

فَلَنْ أُنْبِجَ الْأَرْضَ <sup>(١)</sup>: أي لن أفارق الأرض، أي أرض مصر. ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ (٨٠) أَرْجِعُوا إِلَيَّ أَيُّكُمْ فَقُولُوا يَتَابَعَانَا إِنَّ أَيْتَانَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا ﴿

وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ (٨١): أي لما غاب عنا ولم نعرفه حافظين. وَسَلَّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا: أي أصحاب القافلة <sup>(٢)</sup> التي جئنا معها وهم قوم كنعانيون. ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (٨٢)

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا: أي زينت وحسنت لكم أمراً ففعلتموه. ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا: أي بيوسف وأخويه بنيامين وروبييل. ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (٨٣) وَتَوَلَّى عَنْهُمْ: أي معرضاً عن حديثهم.

وَقَالَ يَتَأَسَّفُ عَلَى يُوسُفَ: أي يا حزني احضر هذا أوان حضورك. وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ <sup>(٤)</sup>: أي مغموم مكروب لا يظهر كربه.

قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذَكَّرُ يُوسُفَ: أي والله لا تزال تذكر يوسف.

حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا: أي مشرفاً على الهلاك لطول مرضك. ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ (٨٥) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي <sup>(٣)</sup>: أي عظيم حزني إذ البث الذي لا يصبر عليه حتى يبت إلى الغير. ﴿وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٦)

يَسْتَبِي أذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ: أي اطلبوا خبرهما بلطف حتى تصلوا إلى النتيجة. وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ: أي من رحمة الله. ﴿إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٧) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضَّرُّ <sup>(٤)</sup>

وَجِئْنَا بِضَعَعَةٍ مُرَجَلَةٍ: أي بدراهم مدفوعة لا يقبلها الناس لرداءتها. ﴿فَأَوْفٍ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾

إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ (٨٨): أي يثيب المتصدقين بثواب الدنيا والآخرة. ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ﴾

يُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ (٨٩): أي لا تعلمون ما يؤول إليه أمر يوسف. ﴿قَالُوا أَيْتَانَكَ لِأَنْتَ يُوسُفُ﴾

قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا: أي أنعم علينا بأن جمع بيننا بعد افتراق طويل أنتم سبيه.

(١) بأن يطلق سراح أخي فأمضي معه إلى أينا، أو يحكم الله لي بالسيف فأحارب حتى أخلص أخي، أو أغلب فأعذر إذ قال والدي: إلا أن يحاط بكم.

(٢) المراد: أهل القرية إذ العادة أن القرية لا تنطق، ولو قال أحد: كلم هنذا وهو يريد غلامها لما جاز.

(٣) البث: الهم الشديد.

(٤) أي: أصحابهم الضر. من الجذب والقحط والمجاعة.

إِنَّهُ مَنْ يَتَّقْ وَيَصْبِرْ: أي يتق الله فيخافه فلا يعصه ويصبر على ما يناله من وصب ونصب. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٩١).

قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا: أي فضلك علينا بما عليه من الإنعام والكمال. ﴿وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيئِينَ﴾ (٩١).

قَالَ لَا تَزِرُ بِكَ وَالْيَوْمِ: أي لا عتب عليكم ولا لوم (١). ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٩٢) أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْفُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٣).

وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ: أي خرجت من عريش مصر متوجهة إلى أرض فلسطين.

قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ: أشمها لأن الريح حملتها إليه بأمر الله تعالى.

لَوْلَا أَنْ تَفِيدُونَ (٩٤): أي تسفهون، لصدقتموني فإني وجدت ريح يوسف.

قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (٩٥): أي خطئك بإفراطك في حب يوسف.

فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ: هو يهوذا الذي حمل إليه القميص المملوح بالدم الكذب.

أَلْقَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَازْتَدَّ بَصِيرًا: أي رجع بصيرًا. ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا

تَعْلَمُونَ﴾ (٩٦) قَالُوا يَا بَنَا آدَمَ اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ (٩٧).

قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي: أجل الاستغفار لهم إلى آخر الليل أو إلى ليلة الجمعة. ﴿إِنَّهُ هُوَ

الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٩٨) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبْوَتِهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَاْمِنِينَ

﴿٩٩﴾

وَرَفَعَ أَبْوَتِهِ عَلَى الْعَرْشِ: أي السرير.

وَحَرُّوَالَهُ سُجَّدًا: أي سجدوا له تحية وتعظيمًا (٣). ﴿وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءُوسِي مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا

رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾.

وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ: أي البادية، بادية الشام.

مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ: أي أفسد. ﴿الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾.

إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ: أي لطيف في تدبيره لمن يشاء من عباده كما لطف بيوسف. ﴿إِنَّهُ هُوَ

الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (١٠٠).

(١) لا يصح تعليق اليوم بـ ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ﴾ إذ لا يعلم الغفران متى يتم لهم؛ فكيف يصح أن يقال: يغفر الله لكم اليوم أو

غداً: بل يتعلق اليوم بكلمة لا تشرية.

(٢) أي: لفي ذهاب عن طريق الحق والصواب، والقائلون ليعقوب هذا هم أحفاده أو بعض الأقارب؛ لجهلهم

بمقام يعقوب، وهي عبارة فيها خشونة لكن من الجائز أن تكون في عرفهم لا خشونة فيها ولا إساءة أدب.

(٣) على عادة أهل ذلك الزمان وهو سجود تحية لا عبادة.

﴿ رَبِّ: أي يا رب خالقي ورازقي ومالك أمري ومعبودي الذي ليس لي معبود سواه. قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ: أي من بعض الملك إذ أصبح ملكاً لمصر فقط. وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ: تعبير الرؤى. فَاطْرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: أي خالقهما على غير مثال سابق. أَنْتَ وَلِيُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: أي متولي أمري في الحياتين الدنيا والآخرة. ﴿ تَوَقَّيْ مُسْلِمًا وَالْحَقِيقِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (١١) ﴿

ذَلِكَ: إشارة إلى ما قص الله تعالى على رسوله من قصة يوسف وإخوته. مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ: أي أخبار الغيب. ﴿ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾. وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ: أي لدى إخوة يوسف. إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ: أي اتفقوا على إلقاء يوسف في غيابة الجب. وَهُمْ يَمْكُرُونَ (١٢): أي يحتالون على إخراجه وإلقائه في الجب. ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٣) ﴿ (١)

وَمَا تَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِ مِنْ آخِرٍ: أي على القرآن وإبلاغه من ثواب: أي مال. إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (١٤): أي ما هو إلا ذكر أي موعظة يتعظ بها المؤمنون. ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ (١٥) ﴿. وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٦): أي يعترفون بأن الخالق الرازق هو الله ومع ذلك يعبدون معه غيره.

أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ: أي نقمة من نقمة تعالى تغشاهم أي تحوط بهم. أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً: فجأة وهم مقيمون على شركهم وكفرهم. ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١٧) ﴿. قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي: أي دعوتي وطريقي التي أنا عليها. أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ: أي على علم يقين مني. أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي. وَسُبْحَانَ اللَّهِ: أي تنزيهاً لله وتقديساً أن يكون له شريك في ملكه أو معبود سواه. ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٨) ﴿. وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ﴿ رد على القائلين: ﴿ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾. مِنْ أَهْلِ الْقُرَى: من أهل المدن والأمصار لا من أهل البوادي. ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ (١٩) ﴿ (٢)

(١) في الآية تسلية للرسول ﷺ إذا ألمه عدم إيمان قريش بعد أن سأله عن هذه القصة ليؤمنوا فلما قصها عليهم لم يؤمنوا فألمه ذلك.

(٢) ﴿ فَيَنْظُرُوا ﴾ إلى مصارع الأمم المكذبة لأنبيائهم وما جاء وهم به من الهدى ودين الحق من أجل هدايتهم، وسعادتهم.

وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا : أي الله تعالى بأداء فرائضه وترك نواهيه.  
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١١٩﴾ : أي أفلا يعقل هؤلاء المشركون هذا الذي يتلى عليهم ويبين لهم فيؤمنوا  
ويوحّدوا.

حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ : أي يشسوا من نصرهم.  
وَوَطَّنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا : أي ظن الأمم المرسل إليهم أن الرسل قد أخلفوا ما وعدوا به من  
النصر. ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىٰ مِنْ نَشَأٍ﴾ (١)  
وَلَا يَرُدُّ بَأْسَنَا : أي عذابنا الشديد.  
عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢٠﴾ : أي الذين أجرموا على أنفسهم بالشرك والمعاصي وأجرموا على  
غيرهم بصرفهم عن الإيمان.

لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ : أي الرسل ﴿عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾  
مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ : أي ما كان هذا القرآن حديثاً يختلق.  
وَلَكِنَّ تَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ : أي ما قبله من الكتب الإلهية إذ نزل مصدقاً لها في الإيمان  
والتوحيد. ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١٢١) : أي: مما يحتاج إليه البشر من  
الحلال والحرام، والشرائع والأحكام.



(١) المراد بالنصر: النصر وهو الذي ذكره ابن كثير رحمته الله. لا العذاب كما في أيسر التفاسير (قل).

## ١٣ - سُورَةُ الرَّعْدِ

«مكية»

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْعَرَّ : هذه الحروف المقطعة تكتب المر وتقرأ ألف لام ميم را. والله أعلم بمرادها. ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١).

اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا : العمد جمع عمود أي: مرثية (١) لكم إذ الجملة نعت. ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ : استواء يليق به ﴿وَبَرَزُوا مِنْ آيَاتِ الْكُتُبِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢).

وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ : أي ذللها بمواصلة دورانها لبقاء الحياة إلى أجلها. ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ (٣).

وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ : أي بسطها للحياة فوقها. وَجَعَلَ فِيهَا رَواسِيَ : أي جبالاً ثوابت. ﴿وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا رَواسِيَ اثْنَيْنِ : أي نوعين وضربين كالحلو والحامض والأصفر والأسود مثلاً. يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ : أي يغطيه حتى لا يبقى له وجود بالضياء. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ : أي دلالات على وحدانية الله تعالى. ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٤).

وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَّجِرَاتٌ : أي بقاع متلاصقات (٢). ﴿وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ : أي عدة نخلات في أصل واحد يجمعها، الصنو (٣) الواحد والجمع صنوان. وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ﴾ (٥).

فِي الْأَكْلِ : أي في الطعم هذا حلو، وهذا مر، وهذا حامض وهذا لذيذ وهذا خلافه. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٦).

﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ : أي يأخذك العجب من إنكارهم نبوتك والتوحيد.

فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ : أي فأعجب منه إنكارهم للبعث والحياة الثانية مع وضوح الأدلة وقوة

(١) قال ابن كثير رحمته الله: هي مرفوعة بغير عمد كما ترونها؛ بل بإذنه وأمره وتسخيره، وضعف رحمته الله الرأي القائل: إن لها عمداً ولكن لا ترى. اهـ. بتصرف (قل).

(٢) أي: وأخرى غير متجاورات فحذفت على حد قوله: ﴿سَرَّيْلٌ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ حيث حذف المقابل وهو: تقيكم البرد.

(٣) غير صنوان: كل نخلة قائمة على أصلها، والصنو: المثل.

الحجج.

أءَا كُنَّا تُرَابًا أَمْ نَأْتِيهِ خَلْقٌ جَدِيدٌ: أي نرجع كما كنا بشرًا أحياء. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾.  
 وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ: أي موانع الإيمان والاهتداء في الدنيا، وأغلال تشد بها أيديهم  
 إلى أعناقهم في الآخرة. ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٥).  
 وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ: أي بالعذاب.

قَبْلَ الْحَسَنَةِ: أي الرحمة وما يحسن بهم من العاقبة والرخاء والخصب.  
 وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمُثَلَّثُ: أي العقوبات واحدا مثلثة التي قد أصابت المكذبين في  
 الأمم الماضية. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٦).  
 وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ: أي هلاً أنزل، ولولا أداة تحضيض ك(هلاً).  
 آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ: أي معجزة كعصا موسى وناقص صالح مثلاً.

إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (٧): أي نبي يدعوهم إلى ربهم ليعبدوه وحده ولا يشركوا به غيره.  
 اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى: أي من ذكر أو أنثى واحداً أو أكثر أبيض أو أسمر، ﴿كُلُّ أُنْثَى﴾  
 يفيد عموم كل أنثى في الإنسان والحيوان، وهو كذلك.

وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزْدَادُ: أي تنقص من دم الحيض، وما تزداد منه، إذ غيضاها ينقص من  
 مدة الحمل وازديادها يزيد في مدة الحمل فقد تبلغ السنة أو أكثر، وقوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ  
 بِإِمْقَادٍ﴾ العادة أن انحباس الحيض دال على العلق أي: الحمل، وفيضان الدم دال على  
 عدم الحمل، وتفسير الآية بهذا حسن، فالله تعالى يعلم ما تغيض الأرحام من الدم،  
 لانشغال الرحم بالعلقة ثم بالجنين، وما تزداد من الدم حتى يفيض عنها، ويخرج، وهو دم  
 من لا حمل لها، وما في التفسير وجه وهذا الوجه أوضح.

وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِإِمْقَادٍ (٨) عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (٩) سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَرَ  
 الْقَوْلَ وَمَنْ ﴿

جَهَرَ بِهِ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ (١٠) وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (١١): أي ظاهر في سره أي طريقه مكشوفاً  
 معلوماً لله تعالى.

لَهُ، مُعَقَّبَتٌ: أي ملائكة تتعقبه بالليل والنهار. ﴿مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ﴾ (١٢).  
 مِنْ أَمْرِ اللَّهِ: أي بأمر الله تعالى وعن إذنه وأمره (١٣).

(١) يمشي في ظلامه.

(٢) الحفظة: جمع حافظ: ملائكة موكلون بالعبء يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من الجن، والشياطين، فإذا جاء أمر الله أي: قدره تخلوا عنه، والكتابة: جمع كاتب: ملك يكتب الحسنات وآخر يكتب السيئات.

(٣) ذكر القرطبي: أن العلماء رحمهم الله تعالى ذكروا أن الله ﷻ جعل أوامره على وجهين: أحدهما: قضى وقوعه

إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ : أي من عافية ونعمة إلى بلاء وعذاب .

حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ : من طهر وصفاء وبالإيمان والطاعات إلى الذنوب والآثام . ﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ، وَمَا لَهُمْ مِنْ ﴾ .

دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾ : أي وليس لهم من دون الله من يلي أمرهم فيدفع عنهم العذاب . ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيَسْخِجُ الرِّعْدَ بِحَمْدِهِ ﴾ .

وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ : أي من الخوف منه وهيئته <sup>(١)</sup> . ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ ﴾ .

وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴿١٣﴾ : أي القوة والمماحلة .

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ : أي لله تعالى الدعوة الحق أي فهو الإله الحق الذي لا إله إلا هو . ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ ﴾ .

لِيَبْلُغَ فَاهُ : أي الماء فمه . ﴿ وَمَا هُوَ بِبَلِّغِهِ ﴾ .

وَمَا دَعَا الْكُفْرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ : أي في ضياع لا حصول منه على طائل . ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظَلَّلْتَهُمْ ﴾ .

بِالْعُدْوِ وَالْأَصَالِ ﴿١٥﴾ : أي بالبكر جمع بكرة، والعشايا جمع عشية . ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبِهَ الْخَلْقَ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ .

فَسَأَلَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا : أي بمقدار مائها الذي يجري فيها . ﴿ فَأَحْتَمَلَ السَّيْلُ ﴾ .

زَبَدًا رَابِيًا : أي غشاء عاليًا إذ الزبد: هو وَضْرُ غليان الماء أو جريانه في الأنهار .

وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ : أي كالذهب والفضة والنحاس .

أَبْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ : أي طلبًا لحلية من ذهب أو فضة أو متاع من الأواني .

زَبْدٌ مِثْلُهُ : أي مثل زبد السيل <sup>(٢)</sup> . ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ﴾ .

وحلوله بصاحبه فهذا لا يدفعه أحد، والثاني: قضى مجيئه ولم يقض حلولة ووقوعه بل قضى صرفه بالتوبة والدعاء والصدقة .

(١) والملائكة تسبح أيضًا من خوف الله تعالى .

(٢) هو معنى قوله تعالى: ﴿ زَبْدٌ مِثْلُهُ ﴾ أي زيد ما يعلو الذهب والفضة والحديد كزبد ما يعلو ماء السيل .

﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ﴾ أي ومما يوقد عليه الصاغة والحدادون ﴿ أَبْتِغَاءَ حِلْيَةٍ ﴾ أي طلبًا للحلية، ﴿ أَوْ مَتَاعٍ ﴾ أي طلبًا لمتاع يتمتع به كالأواني؛ إذ الصانع أو الحداد يضع الذهب أو الفضة أو النحاس في البوتقة وينفخ عليها بالكبير فيعلو ما كان فاسدًا غير صالح على صورة الزبد، وما كان صالحًا يبقى في البوتقة وهو الذي يصنع منه الحلية .



فَأَمَّا الزَّبَدُ : أي زبد السيل أو زبد ما أوقد عليه النار.  
فَيَذْهَبُ جُفَاءً : أي باطلاً مرمياً به بعيداً إذ هو غشاء ووضر لا خير فيه.  
وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ : أي يبقى في الأرض زمناً يتنفع به الناس. ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ  
الْأَمْثَالَ﴾ (١٧) ﴿١﴾ .

لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى : أي للذين آمنوا وعملوا الصالحات الجنة.  
وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ : أي لم يؤمنوا به ولم يطيعوه. ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ .  
لَاقْتَدُوا بِهِ : أي من العذاب.  
أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ : وهي المؤاخذه بكل ذنب عملوه لا يغفر لهم منه شيء.  
وَمَا أَوْلَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ لِلْهَادِئِينَ ﴿١٨﴾ : أي الفراش الذي أعدوه لأنفسهم وهو جهنم. ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا  
أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ .

كَمَنْ هُوَ أَعْمَى : أي لا يرى الحق ولا يعلمه ولا يؤمن به.  
إِنَّمَا يَنْذَرُكَ أَتُوبًا أَلَّا تَكُونَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ : أي أصحاب العقول. ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقِضُونَ الْعَيْثَ﴾ (٢٠) .  
وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ : أي من الإيمان والتوحيد والأرحام. ﴿وَيَحْشَوْنَ رَبَّهُمْ  
وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ  
سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ : أي يدفعون بالحلم الجهل، وبالصبر الأذى.  
أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ : أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة (٢) .  
جَنَّاتٍ عَدْنٍ : أي جنات إقامة دائمة. ﴿يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ  
عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ .  
وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ : أي يحلونه ولا يلتزمون به فلم يعبدوا ربهم وحده.  
وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ : أي من الإيمان والأرحام.  
وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ : أي بترك الصلاة ومنع الزكاة وبارتكاب السيئات وترك الحسنات،  
وبصفة عامة بالشرك وارتكاب المعاصي.  
أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ : أي البعد من رحمة الله تعالى.

(١) أي مثل هذا المثل الذي ضربه للحق في بقاءه والباطل في ذهابه وتلاشيهِ وإن علا وطغى في بعض الأوقات،  
﴿يَضْرِبُ﴾ أي يبين الأمثال، ليعلموا فيؤمنوا ويهتدوا فيكملوا ويسعدوا.

هذا مثل للحق والباطل إذا اجتماعاً فإنه لا ثبات للباطل ولا دوام له مثل الزبد مع الماء أو مع الحلية لا يبقى بل  
يذهب ويتلاشى ويضمحل، والمراد من الحق والباطل: الإيمان والكفر، واليقين والشك.

(٢) جائز أن يكون معنى ﴿عُقْبَى الدَّارِ﴾: الجنة، وجائز أن يكون عقبى الدار: دار الدنيا؛ إذ عباها الدار الآخرة وفيها  
الجنة، إذ كانوا في دار الدنيا يعملون الصالحات فورثهم الله الجنة فكانت عقبى الدنيا؛ إذ عقبى الدار بمعنى  
عاقبتها.

وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (١٥): أي جهنم وبئس المهاد.

اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ: أي يضيق ويقتر. ﴿وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ﴾  
 إِلَّا مَتَّعٌ (١٦): قدر يسير يتمتع به زماناً ثم ينقضي. ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾  
 قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ (١٧) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ  
 تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (١٨) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿

طُوبَى لَهُمْ وَحَسَنُ مَا أَجْرُهُمْ (١٩): أي لهم طوبى شجرة في الجنة وحسن منقلب وهو دار السلام.  
 كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ: أي مثل ذلك الإرسال الذي أرسلنا به رسلنا أرسلناك<sup>(١)</sup>. ﴿فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ  
 قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾

لَسْتَلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ: أي لتقرأ عليهم القرآن تذكيراً وتعليماً ونذارة وبشارة.  
 وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ: إذ قالوا: وما الرحمن وقالوا: لا رحمن إلا رحمان اليمامة. ﴿قُلْ هُوَ  
 رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ (٢٠)﴾: أي توبتي ورجوعي.  
 وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ: أي نقلت من أماكنها.  
 أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ: أي شُقَّت فجعلت أنهاراً وعيوناً.  
 أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتُ: أي أحيوا وتكلموا<sup>(٢)</sup>.  
 بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِصْ: أي يعلم. ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا  
 يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا نُصِيبُهُمْ﴾

بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً: أي داهية تفرع قلوبهم بالخوف والحزن وتهلكهم وتستأصلهم.  
 أَوْ تَحُلُّ قَرْيَةً مِنْ دَارِهِمْ: أي القارعة أو الجيش الإسلامي.  
 حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ: نصر الله. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٢١)﴾ وَلَقَدْ آسَفْتُمُوهُمْ بِرُسُلِهِمْ مِنْ قَبْلِكَ ﴿  
 فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا: أي أمهلتهم وأخرتهم مدة طويلة. ﴿ثُمَّ أَخَذْتُمُوهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٢٢)﴾  
 أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ: أي حافظها ورازقها وعالم بها وبما كسبت ويجازيها  
 بعملها، وليس القيام هنا ضد القعود بل هو التولي لأمر الخلق بالحفظ والتدبير.  
 وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبَهُمْ: أي صِفُوهُمْ له من هم.  
 أَمْ تَتَّبِعُونَهُمَا بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ: أي أتخبرونه بما لا يعلم في الأرض.  
 أَمْ يَبْظُهْرُونَ مِنَ الْقَوْلِ: أي بظن باطل لا حقيقة له في الواقع. ﴿بَلْ زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصَدُّوا عَنِ  
 السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣)﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿

(١) هذا تشبيه في الإنعام أي: شبه الإنعام على من أرسل إليهم محمد ﷺ بالإنعام على من أرسل إليه الأنبياء قبله.

(٢) أي لكان هذا القرآن، ولكن ليست الآيات هي التي تهدي بل لله الأمر جميعاً يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ : أي أشد.

وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢٤﴾ : أي مانع يمنعهم من العذاب.

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ : أي صفتها التي نقصها عليك. ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ .

أَكُلُوهَا دَائِمًا وَظِلُّهَا : أي ما يؤكل فيها دائم لا يفنى وظلها دائم لا ينسخ. ﴿ تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ أَنْفَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾ ﴿٢٥﴾ .

وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ : أي كعبد الله بن سلام ومن آمن من اليهود.

يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ : أي يُسرون به؛ لأنهم مؤمنون صادقون ولأنه موافق لما عندهم.

وَمِنَ الْأَحْزَابِ : أي من اليهود والمشركين.

مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ : أي بعض القرآن، فالمشركون أنكروا لفظ الرحمن وقالوا: لا رحمن إلا

رحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب <sup>(١)</sup> ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَعَابِدٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿٣٦﴾ .

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا : أي بلسان العرب لتحكم به بينهم <sup>(٣)</sup> . ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا

جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ .

لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ : أي لكل مدة كتاب كتبت فيه المدة المحددة.

يَمْحُوهُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ : أي يمحو من الأحكام وغيرها ويثبت ما يشاء فما محاه هو

المنسوخ وما أبقاه هو المحكم.

وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ : الذي حوى كل المقادير فلا يدخله تبديل ولا تغيير كالموت

والحياة والسعادة والشقاء <sup>(٤)</sup> .

(١) تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(٢) أرجع في أموري كلها إليه دون غيره.

(٣) وقيل: المراد من ﴿ حُكْمًا ﴾ الحكمة كقوله: ﴿ وَمَا آتَيْنَاهُ الْخُكْمَ صَبِيحًا ﴾ أي: الحكمة، فالقرآن يحوي الحكم المعبر عنها بالعربية، وكونه من الحكم أولى لأنه يحكم به في الأمور كلها.

(٤) قال ابن كثير رحمته الله: قوله تعالى: ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ أي لكل مدة مضرورية كتاب مكتوب بها وكل شيء عنده بمقدار، ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ﴾ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ وكان الضحاك يقول: ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ أي لكل كتاب أجل. يعني لكل كتاب أنزل من السماء مدة مضرورية عند الله ومقدار معين، فهذا ﴿ يَمْحُوهُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ منها ﴿ وَيُثَبِّتُ ﴾ يعني حتى نسخت كلها بالقرآن الذي أنزله الله على رسوله صلوات الله وسلامه عليه، وقوله: ﴿ يَمْحُوهُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ﴾ اختلف المفسرون في ذلك: فقال الثوري، عن ابن عباس: يدبر أمر السنة، فيمحو الله ما يشاء، إلا الشقاء والسعادة والحياة والموت، وفي

وَأِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ : أي من العذاب.

أَوْ تَوَفَّيْنَاكَ : أي قبل ذلك. ﴿فَأِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ (٤١) ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾

نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا : أي بلدًا بعد بلد بالفتح ودخول الإسلام فيها وانتهاء الشرك منها.

وَاللَّهُ بِحُكْمِكُمْ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ : أي لا رادَّ له بحيث لا يتعقب حكمه فيطل. ﴿وَهُوَ سَرِيعٌ

رواية: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قال: كل شيء إلا الموت والحياة، والشقاء والسعادة، فإنه قد فرغ منهما (١)، وقال منصور: سألت مجاهدًا فقلت: رأيت دعاء أحدنا، يقول: اللهم إن كان اسمي في السعداء فأثبتته فيهم، وإن كان في الأشقياء فامحه عنهم، واجعله في السعداء، فقال: حسن ثم لقيته بعد ذلك بحول أو أكثر فسألته عن ذلك، فقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ﴾ الآيتين، قال: يقضي في ليلة القدر ما يكون في السنة من رزق أو معصية، ثم يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء، فأما كتاب السعادة والشقاوة فهو ثابت لا يغير، وقال الأعمش عن أبي وائل: إنه كان كثيرًا يدعو بهذا الدعاء: اللهم إن كنت كتبتنا أشقياء فامحه، واكتبنا سعداء، وإن كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب (٢)، وقال ابن جرير، عن أبي عثمان النهدي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال وهو يطوف بالبيت ويكي: اللهم إن كنت كتبت علي شقوة أو ذنبًا فامحه، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب. فاجعله سعادة ومغفرة.

ومعنى هذه الأقوال: أن الأقدار ينسخ الله ما يشاء منها ويثبت منها ما يشاء، وقد يستأنس لهذا القول بما رواه الإمام أحمد، عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، ولا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر» (٣). وثبت في الصحيح أن صلة الرحم تزيد في العمر، وفي حديث آخر: «إن الدعاء والقضاء ليعتلجان بين السماء والأرض». وقال الكلبي: يمحو من الرزق ويزيد فيه، ويمحو من الأجل ويزيد فيه، وقال العوفي عن ابن عباس: هو الرجل يعمل الزمان بطاعة الله، ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلالة، فهو الذي يمحو، والذي يثبت الرجل يعمل بمعصية الله وقد كان سبق له خير حتى يموت وهو في طاعة الله وهو الذي يثبت، وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ يقول: يبدل ما يشاء فينسخه، ويثبت ما يشاء فلا يبدله ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾. وجملة ذلك عنده في أم الكتاب الناسخ، وما يبدل وما يثبت كل ذلك في كتاب، وقال مجاهد: قالت كفار قريش لما نزلت ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: ما نرى محمدًا يملك شيئًا وقد فرغ من الأمر. فأنزلت هذه الآية تخويفًا ووعيدًا لهم: إنا إن شئنا أحدثنا له من أمرنا ما شئنا. ونحدث في كل رمضان، فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء من أرزاق الناس ومصائبهم وما يعطيهم وما يقسم لهم. وقال الحسن البصري ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ قال: من جاء أجله يذهب ويثبت الذي هو حي يجري إلى أجله. وقد اختار هذا القول أبو جعفر بن جرير رضي الله عنه، وقوله: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قال: الحلال والحرام، وقال قتادة: أي جملة الكتاب وأصله، وقال ابن جريج عن ابن عباس: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قال: الذكر اهـ (قل).

(١) وهذا قول مجاهد أيضًا حيث قال: (إلا الحياة والموت والشقاء والسعادة فإنهما لا يتغيران).

(٢) أخرجه ابن جرير.

(٣) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه. [ضعيف - انظر ضعيف الجامع].

الْحَسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿١﴾

فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا: أي إذا فلا عبرة بمكرهم ولا قيمة له فلا يرهب ولا يلتفت إليه. ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْتُمُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عُقِيَ الدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾

وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾: من مؤمني اليهود والنصارى.



(١) أي وقد مكرت أقوام قبل قريش وكفار مكة فكيف كان عاقبة مكرهم؟ أنها دمارهم أجمعين، أما يخشى رؤساء الكفر في مكة من عاقبة كهذه.

## ١٤ - سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرّ: هذا أحد الحروف المقطعة تكتب الر وتقرأ ألف لام را، والتفويض فيها أسلم وهو قول: الله أعلم بمراده بذلك.

كُتِبَ: أي هذا كتاب عظيم.

أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ: يا محمد ﷺ.

لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ: أي من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان<sup>(١)</sup>.

بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (١): أي المحمود بآلائه. ﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٢) الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾.

وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ: أي الإسلام.

وَيَتَّبِعُونَهَا عُوجًا: أي معوجة. ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٣) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤)﴾.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا: أي المعجزات التسع: العصا، واليد، والظوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطمس، والسنين، ونقص الثمرات. ﴿أَنْتَ أَخْرَجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾.

وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا اللَّهُ: أي بآلائه ونعمائه. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ

(٥)

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ: أي اذكر إذ قال موسى لقومه: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾.

يَسُومُونَكُمْ: يذيقونكم. ﴿سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدَّبِحُونَ أَنْبَاءَكُمْ﴾.

وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ: أي يستبقونهن للخدمة ولعدم الخوف منهن.

وَفِي ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (٦): أي ابتلاء واختبار ويكون بالخير والشر.

وَإِذْ تَأَذَّتْ رِبَّكُمْ: أي أعلم ربكم. ﴿لَيْنَ شُكْرَتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَيْنَ كُفْرَتُمْ إِنَّ عَذَابِي

(١) لتخرج الناس: أي: بالقرآن العظيم الذي أنزلناه عليك.

لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ الَّذِينَ  
مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ﴿٩﴾

جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ: بالحجج الواضحة على صدقهم في دعوة النبوة والتوحيد والبعث

الآخر.

فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ: أي فرد الأمم أيديهم في أفواههم أي أشاروا إليهم أن اسكتوا.  
﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ، وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ﴾

مُرِيبٌ ﴿١٠﴾: موقع في الريبة.

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ: أي لا شك في وجود الله ولا في توحيده، إذ الاستفهام  
إنكاري. ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ﴾

﴿ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُم إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى: أي إلى أجل الموت. ﴿قَالُوا إِن أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا  
تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾

﴿فَأَنزَلْنَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾: بحجة ظاهرة تدل على صدقكم. ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا  
بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ: أي بالنبوة والرسالة على من يشاء<sup>(١)</sup> لذلك. ﴿وَمَا كَانُوا لَنَا  
أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَّوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾

﴿وَقَدْ هَدَيْنَا سُبُلَنَا: أي طرقه التي عرفناه بها وعرفنا عظيم قدرته وعز سلطانه. ﴿وَلَنَضْرِبَكَ  
عَلَىٰ مَاءٍ أَدِيمُونَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾

﴿لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا: أي من ديارنا.

﴿أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا: أو لنعودن في ديننا. ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤﴾  
وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾

﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي: أي وقوفه بين يدي يوم القيامة للحساب والجزاء. ﴿وَخَافَ وَعَبَدَ ﴿١٥﴾

﴿وَأَسْتَفْتَحُوا: أي طلب الرسل الفتح لهم أي: النصر على أقوامهم الظالمين.

﴿وَخَابَ: أي خسر وهلك.

﴿كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٦﴾: أي ظالم يجبر الناس على مراده عنيد كثير العناد. ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ ﴿١٧﴾

﴿وَيُسْقَىٰ مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٨﴾: أي هو ما يخرج سائلًا من أجواف أهل النار مختلطًا من قيح ودم

وعرق.

(١) ومما من الله به عليهم، الحكمة والمعرفة والهداية إلى ما بوجب رضاه ومحبته.

(٢) لفظ وراء يطلق على ما كان خلفًا وما كان أمامًا، لأن كل ما وري أي: استتر فهو وراء.

يَتَجَرَّعُهُ، وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ: أي يتلعه مرة بعد مرة لمرارته ولا يقارب ازدراره لقبحه ومرارته.

وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ: أي لشدة ما يحيط به من العذاب فكل أسباب الموت حاصلة. وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ: ولكن لا يموت. ﴿وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ (١٧).  
مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ: أي الصالحة منها: كصلة الرحم وبر الوالدين وإقراء الضيف وفك الأسير. والفاصلة: كعبادة الأصنام بالذبح لها والنذر والحلف والعكوف حولها كرماد. ﴿أَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾.

لَا يَقْدِرُونَ وَمَا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ: أي لا يحصلون من أعمالهم التي كسبها على ثواب وإن قل لأنها باطلة بالشرك. ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ (١٨) ﴿الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (١٩).

وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (٢٠): أي بصعب ممتنع عليه.

وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا: أي برزت الخلائق كلها لله وذلك يوم القيامة.

فَقَالَ الضَّمَعَفَوْا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا: أي تابعين لكم فيما تعتقدون وتعملون.

فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ: أي دافعون عنا بعض العذاب. ﴿قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُنَا أَمْ صَبْرُنَا﴾.

مَا لَنَا مِنْ مَّجِيصٍ (٢١): أي من ملجأ ومهرب أو منجى.

وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ: بإدخال أهل الجنة الجنة وأهل النار النار. ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ﴾.

مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ: أي بمغيثكم مما أنتم فيه من العذاب والكره. ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي﴾ (٢٢) ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٣) وَأَدْخِلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ: أي من تحت قصورها وأشجارها الأنهار الأربعة: الماء واللبن والخمر والعسل. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّةً فِيهَا سَلَامٌ﴾ (٢٤).

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً: هي لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ.

كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ: هي النخلة (١). ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٢٥).

(١) الكلمة الطيبة هي لا إله إلا الله، والشجرة الطيبة هي المؤمن، والشجرة المضروب بها المثل هي النخلة، وفي الحديث الصحيح: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المؤمن خبروني ما هي؟ قال: هي النخلة».



تُؤْتِي أَكْلَهَا : أي ثمرها الذي يؤكل منها. ﴿كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢٥).

وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ : هي كلمة الكفر.

كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ : هي الحنظل.

أَجْتَنَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ : أي اقتلعت جثتها أي: جسمها وذاتها. ﴿مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ (٢٦).

يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ : هو لا إله إلا الله. ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

وَفِي الْآخِرَةِ : أي في القبر فيجيب الملكين عما يسألانه عنه حيث يسألانه عن ربه ودينه

ونبيه. ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢٧).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا : أي بدلوا بالتوحيد والإسلام الجحود والشرك.

وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) : أي جهنم. ﴿جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَيَنَسُّوا الْقَرَارَ﴾ (٢٩).

وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا : أي شركاء. ﴿لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ (٣٠).

قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ

أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ (٣١) : هذا يوم القيامة لا بيع فيه ولا فداء ولا

صدقة. ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الشِّجَارِ رِزْقًا﴾.

لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ : أي السفن فلفظ الفلك دال على متعدد ويذكر ويؤنث. ﴿لِتَجْرِيَ

فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْآنْهَرَ﴾ (٣٢).

وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ : جاريتين في فلكهما لا يفتران أبدًا حتى نهاية الحياة الدنيا.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ (٣٣) ﴿وَأَتَّكُم مِّنْ كُلِّ مَآسَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾.

إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤) : كثير الظلم لنفسه ولغيره، كفار عظيم الكفر، هذا ما لم

يؤمن ويهتد فإن آمن واهتدى سلب هذا الوصف منه.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا : أي اجعل مكة بلدًا آمنًا يأمن كل من دخله.

وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ : بعدي وبني.

أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥) : عن أن نعبد الأصنام.

رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ : أي بعبادتهم لها.

فَمَنْ يَبْعِنِي فَإِنَّهُ مِنِّي : أي من اتبعني على التوحيد فهو من أهل ملتي وديني. ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ

(١) ﴿الْبَوَارِ﴾ : الهلاك.

(٢) ﴿مِنْ كُلِّ مَآسَأَلْتُمُوهُ﴾ : أي: من كل مستول سألتموه شيئًا فحذف مستول لدلالة الكلام عليه، والمقابل

محذوف أي: ومن كل ما لم تسألوه، فإن هناك أشياء لم يسألها الإنسان، وأعطاه الله تعالى إياها، وهذا الحذف

كقوله: ﴿سَرَّيْلٌ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾. وسراييل تقيكم البرد: فحذف.

عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٨﴾ (١)

رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي : أي من بعض ذريتي وهو إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر .  
يُؤَادٍ عَبْدٍ ذِي زُرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ : أي مكة إذ لا مزارع فيها ولا حولها يومئذ . ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا  
الصَّلَاةَ﴾ .

فَأَجْعَلْ آفِيئَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ : تحن إليهم وتميل رغبة في الحج والعمرة . ﴿وَأَرْزُقْهُمْ  
مِنَ الشَّجَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (٦٧) رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمَ مَا خَفِيَ وَمَا نُعِلُّنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي  
السَّمَاءِ ﴿٦٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي ﴿٦٩﴾ .

عَلَى الْكَبِيرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ : أي مع الكبر إذ كان سنه يومئذ تسعاً وتسعين سنة وولد له  
إسحاق وسنه مائة واثنا عشرة سنة . ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (٦٩) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ  
ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٧٠﴾ .

رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ : هذا قبل أن يعرف موت والده على الشرك .  
وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٧١﴾ : أي يوم يقوم الناس للحساب .  
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ : أي المشركون من أهل مكة وغيرهم .  
إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٧٢﴾ : أي تفتتح فلا تغمض لشدة ما ترى من الأحوال .  
مُتَهَطِّعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ (٢) : أي مسرعين إلى الداعي الذي دعاهم إلى الحشر رافعي

رءوسهم .

لَا يَزِدُّهُمْ إِلَيْهِمْ ظَرْفُهُمْ (٣) وَأَفِيدَتْهُمْ هَوَاءً ﴿٧٣﴾ : أي فارغة من العقل لشدة الخوف والفرع . ﴿وَأَنْذِرْ  
النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ .

تُحِبُّ دَعْوَتَكَ : أي على لسان رسولك فنعبدك ونوحدك . ﴿وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ .  
أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴿٧٤﴾ : أي عن الدنيا إلى الآخرة .  
﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسْكِنٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ  
الْأَمْثَالَ﴾ (٧٥) .

وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ : أي مكرت قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه .  
﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ .

(١) فوض الأمر لربه إن شاء غفر لمن عصاه رحمة، وإن شاء عذبه، وقيل: قال إبراهيم هذا قبل أن يعلم أن الله لا يغفر الشرك لأصحابه.

(٢) ﴿مُقْنِعِي﴾ الإقناع: رفع الرأس ومنه الإقناع في الصلاة وهو مكرو، وقد يطلق الإقناع أيضاً على تنكيس الرأس، يقال: أقنع رأسه: إذا طأه أو رفعه، واللفظ يحتمل الوجهين.

(٣) الطرف: العين.

وَإِنْ كَانَتْ مَكْرَهُمْ لِنَزُولِ مِنْهُ الْجِبَالِ ﴿٤٦﴾ : أي لم يكن مكرهم بالذي نزول منه الجبال فإنه تافه لا قيمة له فلا تعبا به ولا تلتفت إليه. ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفًا وَعَدُوَّهُ رَسُولَهُ﴾ ﴿٤٧﴾ .  
 إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ : أي غالب لا يحال بينه وبين مراده بحال من الأحوال.  
 ذُو أَنْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ : أي صاحب انتقام ممن عصاه وعصى رسوله.  
 يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ : أي اذكر يا رسولنا للظالمين يوم تبدل الأرض غير الأرض وَالسَّمَوَاتُ : وكذلك السموات.  
 وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ : أي خرجوا من القبور لله ليحاسبهم ويجزيهم.  
 وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ : أي مشدودة أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم.  
 فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ : الأصفاد جمع صفد وهو الوثاق من حبل وغيره.  
 سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ : أي قمصهم التي يلبسونها من قطران. ﴿وَتَعْنَى وُجُوهُهُمْ النَّارُ﴾ ﴿٥٠﴾  
 لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ .  
 هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ : أي هذا القرآن بلاغ للناس. ﴿وَلِيُنذِرُوا بِهِ﴾ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ ﴿٥٢﴾ .  
 وَلِيَذَّكَّرَ أَهْلُ الْأَلْبَابِ ﴿٥٣﴾ : أصحاب العقول.



## ١٥ - سُورَةُ الْحَجَرِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ: الله أعلم بمراده بذلك، تكتب الر. ويقرأ ألف، لام، را.  
تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ: الآيات المؤلفة من مثل هذه الحروف المقطعة تلك آيات الكتاب أي القرآن. ﴿وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ (١).  
رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوِ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾: يود: يحب ويرغب متمنياً أن لو كان من المسلمين.

ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا: أي بالملذات والشهوات.  
وَيُنْهَاهُمْ الْأَمَلُ: أي بطول العمر وبلوغ الأوطار وإدراك الرغائب الدنيوية. ﴿فَسَوْفَ يَعْمُونَ﴾ (٣).  
وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٤﴾: أي أجل محدود لإهلاكها.  
مَا نَسِيقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا: أي لا يتقدم أجلها المحدود لها و(من) زائدة للتأكيد. ﴿وَمَا يَسْتَفْخِرُونَ﴾ (٥).

وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ: أي القرآن الكريم. ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (٦).  
لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ: أي هلا تأتينا بالملائكة تشهد لك أنك نبي الله. ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٧).  
مَا نُنزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴿٨﴾: أي مبهلين، بل يأخذهم العذاب فور نزول الملائكة.  
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ: أي القرآن. ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٩).  
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾: أي في فرق وطوائف الأولين. ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (١١).  
كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ: أي التكذيب بالقرآن أو النبي (١٢). ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١٣).

(١) عود الضمير في ﴿نَسْلُكُهُ﴾ على القرآن أولى إذ السياق تابع لقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: أرسل فيهم رسلاً وكانوا يتولون عليهم آياتنا ولم يتفعلوا لإعراضهم عنها فتعياها قلوبهم وتذكرها فهو مهم ولا يتأثرون بها لوجود حوائل حالت دون ذلك، وهي الكبر والحسد والعناد، وكذلك المسلك الذي سلكته في قلوب الأولين نسلكه اليوم في قلوب المجرمين فيدخل القرآن عند سماعه إلى قلوبهم ولا يلامسها ولا يباشرها فلا تتأثر به وذلك لحوائل منها الحسد والعناد والكبر، وتلك سنة الله تعالى في أمثالهم، وأصل السلك: إدخال الشيء في آخر.

لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾: أي مضت سنة الأمم السابقة. ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾.

فَطَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾: أي يصعدون.

لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا: أي سدت كما يُسَكَّرُ النهر أو الباب. ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ ﴿١٥﴾.

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا: أي كواكب ينزلها الشمس والقمر. ﴿وَرَزَقْنَاهَا لِلنَّظِيرِينَ﴾ ﴿١٦﴾.

وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾: أي مرجوم بالشهب.

إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَنْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾: كوكب يُرْجَمُ به الشيطان يحرقه أو يمزقه أو يخبله أي يفسده.

وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا: أي بسطناها.

وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ: أي جبالاً ثوابت لئلا تتحرك الأرض.

وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْرُوثٍ ﴿١٩﴾: أي مقدر معلوم والمقدار لله تعالى.

وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا: جمع معيشة أي ما يعيش عليه الإنسان من الأغذية.

وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُمْ بَرَزِقِينَ ﴿٢٠﴾: كالعييد والإماء والبهائم. ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾.

وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾: أي المطر.

وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ: أي تلعف السحاب فيمتلئ ماء، كما تنقل مادة اللقاح من ذكر الشجر إلى

أنثاه. ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾.

فَأَسْقَيْنَ كُمُوهَ وَمَا أَنْشَرَهُمْ بَحْرَيْنِ ﴿٢٢﴾: أي لا تملكون خزائنه فتمنعوه، أو تعطوه من تشاءون.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِيهِمْ وَنُمِيتُهُمْ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ ﴿٢٣﴾.

وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ: أي من هلكوا من بني آدم إلى يومكم هذا.

وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾: والمستأخرين ممن هم أحياء وممن لم يوجدوا<sup>(١)</sup> بعد إلى يوم القيامة.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٥﴾.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ: أي آدم ﷺ.

مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾: أي طين يابس له صلصلة من حملاً<sup>(٢)</sup> أي طين أسود متغير.

وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُورِ ﴿٢٧﴾: نار لا دخان لها تنفذ في المسام وهي ثقب الجلد البشري.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ﴾ ﴿٢٨﴾.

(١) ويدخل في معنى الآية المستقدمين في الطاعة والخير، والمستأخرين في المعصية والشر كما يدخل أيضاً المستقدمين في صفوف الحرب والصلاة، والمستأخرين في ذلك.

(٢) ترتيب طينة آدم التي خلق منها كما في الآية هكذا: تراب بل بالماء فصار طيناً ثم ترك حتى أنتن فصار حملاً مسنوناً أي: متغيراً ثم يبس فصار صلصالاً والمسنون: المتغير، بسبب مكثه مدة كسنة مثلاً.

فَإِذَا سَوَّيْتُهُ: أي أتممت خلقه.

وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٣١﴾: أي خروا له ساجدين. ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٤﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٥﴾ ۞

قَالَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا: أي من الجنة.

فَأَنكَ رَجِيمٌ ﴿٣٦﴾: أي مرجوم مطرود ملعون. ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٧﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٨﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٩﴾ ۞

إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾: أي وقت النفخة الأولى التي تموت فيها الخلائق كلها.

قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي: أي بسبب إغوائك لي أي إضلالك وإفسادك لي. ﴿ لِأُزَيِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ ۞

إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤١﴾: أي الذين استخلصتهم لطاعتك فإن كيدي لا يعمل فيهم. قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤٢﴾: أي هذا طريق مستقيم موصل إليّ وعليّ مراعاته وحفظه. ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٤﴾ ۞

لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ: أي أبواب طبقاتها السبع التي هي جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية. ﴿ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٥﴾ ۞

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ: أي الذين خافوا ربهم فعبدوه وحده بما شرع لهم من العبادات. ﴿ فِي جَهَنَّمَ وَعُثْيُونَ ﴿٤٦﴾ أَدْخَلُوهَا سَلْمًا ءَامِنِينَ ﴿٤٧﴾ ۞

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ: أي حقد وحسد وعداوة وبغضاء.

إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٨﴾: أي ينظر بعضهم إلى بعض ما داموا جالسين وإذا انصرفوا دارت بهم الأسرة فلا ينظر بعضهم إلى قفا بعض.

لَا يَعْشُهُمْ فِيهَا نَصَبٌ: أي تعب. ﴿ وَمَا هُمْ بِمُنْجَرَجِينَ ﴿٤٩﴾ ۞ نَبِيَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٠﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥١﴾: أي الموجه شديد الإيجاع.

وَنَبِّئْتَهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥٢﴾: هم ملائكة نزلوا عليه وهم في طريقهم إلى قوم لوط لإهلاكهم كان من بينهم جبريل وكانوا في صورة شباب من الناس. ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ﴿٥٣﴾ ۞

قَالَ إِنَّمَا أَنْتُمْ بِمَنْكُمُ وَجِلُونَ ﴿٥٤﴾: أي خائفون وذلك لما رفضوا أن يأكلوا. ﴿ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نَبَشِّرُكَ ﴿٥٥﴾ ۞

بِقُلُوبِنَا عَلَيْكَ ﴿٥٦﴾: أي بولد ذي علم كثير هو إسحاق عليه السلام. ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ ﴿٥٧﴾ ۞

فِيمَا تَبَشَّرُونَ ﴿٥٨﴾: أي تعجب من بشارتهم مع كبره بولده.

(١) أراد اللعين بسؤاله إلى يوم يبعثون ألا يموت، لأن يوم البعث لا موت فيه ولا بعده أيضًا.

قَالُوا بَشَرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْفٰنِطِيَةِ ﴿٥٥﴾ : أي الآيسين. ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ﴾  
إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ .

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ : أي ما شأنكم؟ ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾﴾ .

قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ نُجْرَمٍ ﴿٥٨﴾ : هم قوم لوط عليه السلام.

إِلَّا آءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ : أي لإيمانهم وصالح أعمالهم.

إِلَّا أَمْرَاتُهُ، فَذَرْنَا إِنَّهَا لَعِنَّ الْغٰفِرِينَ ﴿٦٠﴾ : أي الباقيين في العذاب. ﴿فَلَمَّا جَاءَ آءَالَ لُوطٍ

الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾﴾ .

قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾ : أي لا أعرفكم.

قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ : أي بالعذاب الذي كانوا يشكون في وقوعه بهم.

﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِبَاهِلِكَ يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ وَأَتَمِعَ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتُ مِنْكَ أَحَدٌ﴾ .

وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ : أي إلى الشام حيث أمروا بالخروج إليه.

وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ : أي فرغنا إلى لوط وأوحينا إليه. ﴿أَتَّ دَابِرَ هٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ

﴿٦٦﴾﴾ (١).

وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ : أي مدينة سدوم أي فرحين بإتيانهم الفاحشة. ﴿قَالَ إِنَّ

هٰؤُلَاءِ ضِيفِي فَلَا نَفْضَحُونَ ﴿٦٨﴾﴾ .

وَأَلْفُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ ﴿٦٩﴾ : أي لا تذلوني في انتهاك حرمة ضيفي.

قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكْ عَنِ الْعٰلَمِيَةِ ﴿٧٠﴾ : أي عن إجازتك لهم واستضافتك. ﴿قَالَ هٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ

فٰعِلِينَ ﴿٧١﴾﴾ .

لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ : أي غوايتهم وشدة غمتهم (٢) التي أزالته عقولهم يترددون.

فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ : أي وقت شروق الشمس. ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سٰفِلَهَا﴾ .

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ : أي طين طبخ بالنار.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّئِينَ ﴿٧٥﴾ : أي الناظرين المعترين.

(١) ﴿مُصْبِحِينَ﴾ أي: داخلين في الصباح، ومثله: مشرقين، أي: داخلين في وقت الإشراق.

(٢) وهي انقيادهم للشهوة أي وحياتك يا رسولنا، إنهم أي قوم لوط ﴿لَفِي سَكْرَتِهِمْ﴾ هذا الإقسام بحياة النبي ﷺ تشريفًا له، وأصل عمرك بضم العين وفتحت لكثرة الاستعمال، وجاز أن يكون القسم بحياة لوط أيضًا، وليس لأحد أن يجيز القسم بغير الله محتجًا بهذا القسم الإلهي؛ فإن الله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه، فقد أقسم بالشمس وضحاها، وأقسم بالسماء والليل وغيرها من مخلوقاته ولا اعتراض عليه، وأما العباد فقد أعلن الرسول ﷺ عن حرمة الحلف بغير الله فقد قال: «من حلف بغير الله فقد أشرك» رواه الترمذي.

[صحيح - (حم، ت، ك) عن ابن عمر انظر صحيح الجامع.

وَإِنَّمَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ : أي طريق قريش إلى الشام مقيم دائم ثابت. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ .  
 وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ : أي قوم شعيب عليه السلام، والأيكة غيضة شجر بقرب مدين. ﴿لظالمين ﴿٧٨﴾﴾ .  
 فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّمَا لِيَامِيرُ مِيْنِ ﴿٧٦﴾ : أي قوم لوط وأصحاب الأيكة لبطريق ميين واضح.  
 والطريق طريق قريش إلى الشام.

وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ : أصحاب الحجر: هم قوم صالح ومنازلهم بين المدينة النبوية والشام.

وَأَيْنِسْتُمْ ءَايَاتِنَا : أي في الناقة وهي أعظم آية. ﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِينِينَ ﴿٨٢﴾ <sup>(١)</sup> فَأَخَذْتُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾ .

فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ : من بناء الحصون وجمع الأموال. ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآيَةٌ ﴿٨٥﴾﴾ .

فَأَصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ : أي أعرض عنهم إعراضاً لا جزع فيه وهذا قبل الأمر بقتالهم.  
 ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ .

وَلَقَدْ ءَايَتْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي : هي آيات سورة «الفاتحة» سبع. ﴿وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ = ﴿٨٧﴾ .

أَزْوَاجًا مِنْهُمْ : أي أصنافاً من الكفار.

وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِّضْ جَنَاحَكَ : أي أَلن جانبك. ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ .

وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ : المبين النذارة.

كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ : أي الذين قسموا كتاب الله فقالوا فيه: شعر، وقالوا: سحر، وقالوا: كهانة.

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ : هم المقسمون للقرآن وجعلوه عَضِينَ جمع عضة وهي القطعة والجزء من الشيء. ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلِنَّهِنَّ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ .

فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ : أي اجهر به وأعرضه كما أمرك ربك. ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ .

وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ أَنَّهُ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ : أي من الاستهزاء بك والتكذيب لك. ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾ .

وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ : أي الموت، أي إلى أن تتوفى وأنت تعبد ربك.



(١) وقوله: ﴿ءَايِسْتُمْ﴾ أي: من أن تسقط عليهم أو تخرب فلا تمنح للسكن فيها.



## ١٦ - سُورَةُ النَّحْلِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَن أَمَرَ اللَّهُ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ: أي دنا وقرب أمر الله بعذابكم أيها المشركون (١) فلا تستعجلون.  
 ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١) يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ: أي بالوحي الذي به حياة  
 الأرواح والمراد من الملائكة جبريل بإرادته وإذنه.  
 عَلَيَّ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ: وهو هنا محمد ﷺ. ﴿أَنْ أُنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (٢) خَلَقَ السَّمٰوٰتِ  
 وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣).  
 خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ: أي قطرة من المنى.  
 فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٤): أي يقول من يحيي العظام وهي رميم.  
 وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ: أي ما تستدفئون به.  
 وَمَنْفَعٌ: من العسل واللبن والركوب.  
 وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥): اللحم.  
 وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ: منظر حسن.  
 حِينَ تَرْجِعُونَ: أي حين تردونها من مراحها.  
 وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦): أي وحين إخراجها من مراحها إلى مسارحها: الأماكن التي تسرح فيها.  
 ﴿وَتَعْمَلُ الْغَنَاقِلُ لَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا﴾ (٧)  
 بِلَغِيهِ إِلَّا يَشِقُّ الْإِنْفُسُ: أي بجهد الأنفس ومشقة عظيمة. ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوْفٌ رَحِيمٌ﴾ (٨)  
 وَالْحَيْلُ وَالْإِغَالُ وَالْحَمِيرُ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةٌ (٩).  
 وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١٠): من سائر الحيوانات ومن ذلك السيارات والطائرات والقطر.  
 وَعَلَىٰ اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ: أي تفضلاً منه وامتناناً ببيان السبيل القاصدة وهي الإسلام.  
 وَمِنْهَا جَابِرٌ: أي عادل عن القصد وهو سائر الملل كاليهودية والنصرانية. ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنٰكُمْ  
 أَجْمَعِينَ﴾ (١١) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ (١٢).  
 وَمِنْهُ شَجَرٌ: أي وبسببه يكون الشجر وهو هنا عام في سائر النباتات.  
 فِيهِ تُسِيمُونَ (١٣): ترعون مواشيتكم. ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ

وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ أَنْ فِي ذَلِكَ آيَةٌ لِقَوْمٍ يَنْفَكُرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿١٢﴾  
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ (١) بِأَمْرِهِ: أي بإذنه وقدرته. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ  
يَعْقِلُونَ ﴿١٣﴾﴾.

وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ: أي خلق لكم في الأرض من الحيوان والنباتات المختلفة.  
﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٤﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا  
مِنْهُ ﴿١٥﴾.

لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسَخَّرُ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا: هي اللؤلؤ والمرجان.  
وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ: أي تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة وبالبحار  
اليوم.

وَلِتَسْبَحُوا مِنْ فَضْلِهِ: أي من فضل الله تعالى بالتجارة. ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٦﴾﴾.  
وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ: أي تميل وتتحرك فيخرب ما عليها (٢) ويسقط.  
﴿وَأَنْهَرًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٧﴾﴾ وَعَلَّمَتِ وَالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٨﴾ أَلَمْ يَخْلُقْ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا  
تَذَكَّرُونَ ﴿١٩﴾﴾.

وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا: أي عدا فتضبطوها فضلا عن شكرها للمنع بها ﴿بِعَدَّتِ﴾. ﴿إِنَّ  
اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾.

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢١﴾: من المكر بالنبي ﷺ ومن أذاه علانية هذا بالنسبة إلى  
أهل مكة، إذ الخطاب يتناولهم أولا ثم اللفظ العام فالله يعلم كل سر وعلانية في أي أحد.  
وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٢﴾: أي يصورون من الحجارة وغيرها.  
أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢٣﴾: أي وما تشعر الأصنام ولا تعلم الوقت الذي  
تبعث فيه وهو يوم القيامة ولا يبعث فيه عابدها من دون الله.

إِنَّهُمْ كَرِهُوا اللَّهَ وَإِنَّهُمْ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ: أي جاحدة للوحدانية والنبوة والبعث  
والجزاء.

وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٤﴾: لظلمة قلوبهم بالكفر يتكبرون.  
لَا جَرَمَ: أي حقا. ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذَا  
قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ ﴿٢٦﴾.

قَالُوا أَسْطِيرٌ الْأُولَى ﴿٢٧﴾: أي أكاذيب الأولين.

(١) ﴿مُسَخَّرَاتٌ﴾ أي: مذلات لمعرفة الأوقات ونضح الثمار، والاهتداء بالنجوم في الظلمات.

(٢) أي ألقى في الأرض جبلا ثوابت. ﴿وَعَلَّمَتِ﴾ أي: وجعل لكم علامات للطير، وأمارات كالهضاب والأودية  
والأشجار لكل ما يستدل به على الطريق والناحية.

لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ : أي ذنوبهم. ﴿كَاِمَلَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنَ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ .  
 الْأَسَاءَ مَا يَزُرُّونَ ﴿١٥﴾ : أي بشس ما يحملون من الأوزار.  
 قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ : أي من قبل كفار قريش بمكة كالنمرود وغيره.  
 فَأَنَّى اللَّهُ بُنِيَ نُهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ : أي قصد إليه ليدمره فسلط عليه الريح والزلزلة فسقط من رأسه.  
 فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ : أي سقط لتداعي القواعد وسقوطها. ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِبُهُمْ وَيَقُولُ أَيُّ شُرَكَاءِ كُنتُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ فِيهِمْ : أي تخالفون المؤمنين فيهم بعبادتكم إياهم وجدالكم عنه، وتشاقون الله بمخالفتكم إياه بترك عبادته وعبادتكم إياها.  
 قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ : أي الأنبياء والمؤمنون.  
 إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾ .  
 الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ : بالشرك والمعاصي (١).  
 فَأَلْقَوْا السَّلَامَ : أي استسلموا وانقادوا. ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ فَأَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا .  
 فَلَيْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ : أي قبح منزل المتكبرين في جهنم مثلاً.  
 ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا : أي اتقوا الشرك والمعاصي.  
 مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا : أي أعمالهم وأقوالهم ونياتهم فأتوا بها وفق مراد الله تعالى.  
 حَسَنَةٌ : أي الحياة الطيبة حياة العز والكرامة.  
 وَلِدَارٍ الْأَخْرَجَةِ خَيْرٌ وَلَنِعَمَ دَارَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ : أي الجنة دار السلام.  
 جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ .  
 الَّذِينَ نُوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ : أي الأرواح بما زكوها به من الإيمان والعمل الصالح وبما أبعدها عنه من الشرك والمعاصي.  
 يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ : أي يقول لهم ملك الموت (عزرائيل) (٢) وأعوانه. ﴿أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ .

(١) قيل: الآية نزلت في الذين تركوا الهجرة إلى المدينة وبقوا في مكة يزاولون أعمال الشرك خوفاً من المشركين، ومن بينهم الذين لما رأوا قلة المؤمنين رجعوا إلى الشرك.

(٢) تسمية ملك الموت بـ (عزرائيل) لم ترد في الكتاب والسنة بل سماه الله تعالى ملك الموت فقال سبحانه: ﴿قُلْ يَنْوَفِّقُكُمْ مَلَكَ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١] (قل).

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ : أي لقبض أرواحهم وعند ذلك يؤمنون.  
 أَوْ يَأْتِي أَمْرٌ رَبِّكَ : أي بالعذاب أو بقيام الساعة وحشرهم إلى الله ﷻ. ﴿كَذَلِكَ﴾ (١) ﴿فَعَلَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٢٣).  
 فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ، يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٤﴾ : أي نزل بهم العذاب وأحاط بهم وقد كانوا به يستهزئون.

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا : هم كفار قريش ومشركوها.  
 ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبْدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَنَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ : كالسوائب والبحائر والوصائل والحامات [قد تقدم شرحها في سورة «المائدة»]. ﴿كَذَلِكَ﴾ ﴿فَعَلَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.  
 فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ : أي ما على الرسل إلا البلاغ؛ فالاستفهام للنفي.  
 وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ : أي عبادة الأصنام والأوثان.

فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ : أي وجبت في علم الله أزلًا. ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (٢٦) ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدْيَتِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (٢٧).  
 وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ : أي غايتها حيث بذلوا جهودهم فيها مبالغة منهم. ﴿لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾.

بَلَى وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا : أي بلى يبعث من يموت وقد وعد به وعدًا وأحقه حقًا فهو كائن لا محالة.  
 ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٨).

لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ : أي بين المؤمنين من التوحيد والشرك.  
 وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٢٩﴾ : أي في قولهم (لا نبعث بعد الموت) (٢).  
 إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ : أي خرجوا من مكة في سبيل الله نصرته لدينه وإقامته بين الناس.  
 مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً : أي لننزلهم دارًا حسنة هي المدينة النبوية هذا بالنسبة لمن نزلت فيهم الآية.  
 وَلَا جِزْءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٢﴾ : أي على أذى

(١) الإشارة بـ ﴿كَذَلِكَ﴾ إلى الإشراك وتحريمهم أشياء من تلقاء أنفسهم أي: كفعل هؤلاء فعل الذين من قبلهم ممن مكروا برسولهم وأهلكهم الله جل جلاله.  
 (٢) وفي إنكارهم التوحيد والنبوة أيضًا.

المشركين وهاجروا متوكلين على ربهم في دار هجرتهم.  
 وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ: أي أيها الشاكون فيما جاء به محمد  
 ﷺ فاسألوا أهل التوراة والإنجيل لإزالة شككم ووقوفكم على الحقيقة وأن ما جاء به محمد حق  
 وأن الرسل كلهم كانوا بشرًا مثله.

إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ: أي أرسلناهم بشرًا بالبينات والزبر<sup>(١)</sup> لهداية الناس.  
 وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ: أي القرآن. ﴿لَسْبِينَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾: علة لانزال الذكر؛ فوظيفة  
 الرسل البيان. ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٤٤﴾.  
 أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ: أي مكروا المكرات (السيئات) وصف للمكرات التي مكروها.  
 ﴿أَنْ يَخِيفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٤٥﴾<sup>(٢)</sup>.  
 أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ: أي في البلاد مسافرين للتجارة وغيرها. ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ أي:  
 بسابقين الله ولا فاتيه.

أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ: أي تنقص<sup>(٣)</sup>.  
 فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ أَيْ: من أي جسم قائم له ظل كشجرة أو  
 جبل. يَنْفِيوْا ظِلَّهُ: أي تتميل من جهة إلى جهة.  
 عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ: أي خضعًا لله كما أراد منهم.  
 وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾: أي صاغرون ذليلون. ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ  
 وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿٤٩﴾.

يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ: من أعلى منهم إذ هو فوق كل شيء ذاتًا وسلطانًا وقهرًا.  
 وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾: أي ما يأمرهم ربهم تعالى به.  
 ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ: أي تعبدونهما إذ ليس لكم إلا إله واحد. ﴿فَإِنِّي  
 فَارِهَبُونَ﴾ ﴿٥١﴾ الرهبة: الخوف، فمعنى ﴿فَارِهَبُونَ﴾: خافوني ولا تخافوا سواي.  
 وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: أي خلقًا وملكًا، إذا فما تعبدونه مع الله هو الله ولم يأذن بعبادته.

(١) الزبر: أي الكتب.

(٢) وقد تم لهم وذاقوا مرًا يوم بدر بقتل صناديدهم وأسرههم.

(٣) بأن يهلكهم واحدًا بعد واحد أو جماعة بعد جماعة حتى لا يُبقي منهم أحدًا، وقد أخذ منهم بيد من أخذ وفي  
 أحد، وللآية معنيان: الأول: أن يكون المعنى: يأخذهم العذاب وهم في حالة توقع بنزول العذاب لوجود  
 أماراته كالرعد والبرق مثلاً.

والثاني: أن يكون المعنى بأن يأخذهم وهم في حالة تنقص بأن يأخذ القرية فتخاف القرية الأخرى.

ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما تفسير التخوف: بأن يعاقب أو يتجاوز، ويشهد له الجملة التعليلية وهي ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ  
 لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ فهو لا يعاجل بالعقوبة.

وَلَهُ الَّذِينَ وَاصِبًا : أي خالصًا<sup>(١)</sup> دائمًا واجبًا. ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ نُقُونَ﴾ (٥٢) وَمَا يَكُم مِّن نَّعَمَةٍ فَعِنَ اللَّهُ تُمْرًا إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ ﴿

فَالْيَهُ تَجْشُرُونَ﴾ (٥٣) : أي ترفعون أصواتكم بدعائه طالبين الشفاء منه. ﴿تُمْرًا إِذَا كَشَفَ الضَّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (٥٤) ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانَيْنَهُمْ فَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٥٥) : تهديدًا على كفرهم وشركهم ونسيانهم دعاء الله تعالى.

وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ : أي يجعلون لألهتهم نصيبًا من الحرث والأنعام. تَاللَّهِ لَأَسْتَلْنَ عَمَّا كُتِبَ لَكُمْ نَقْرُونَ﴾ (٥٦) : أي تختلقون بالكذب وتفترون على الله ﴿بِذَلِكَ﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ : إذ قالوا: الملائكة بنات الله.

وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ (٥٧) : أي الذكور من الأولاد، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا. وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا : أي متغيرًا بالسواد لما عليه من كرب. وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٥٨) : أي ممتلئ بالغم. ﴿يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيَسْكَبُ عَلَىٰ هُونٍ﴾ (٥٩) أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ : أي يدفن تلك المولودة حية وهو الواد. ﴿أَلَسَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٥٩) لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ : أي الصفة القبيحة.

وَاللَّهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ : أي الصفة العليا<sup>(٢)</sup> وهي لا إله إلا الله. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٦٠) وَلَوْ يُوَاجِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِّن دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَجِزُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٦١) وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ﴿

مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ السِّتْنَةَ الْكُذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ : أي الجنة إذ قال بعضهم ﴿وَلَكِن رَّجِعْتَ إِلَىٰ رَبِّي إِنْ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَىٰ﴾ (٦٢).

لَا جَرَمَ أَنَّهُمُ النَّارُ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ (٦٣) : أي مقدمون إلى جهنم متروكون فيها.

تَاللَّهِ : أي والله. ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ : أي رسلاً.

فَرَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ : فكذبوا لذلك الرسل.

فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ : أي الشيطان هو وليهم أي في الدنيا. ﴿وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ﴾ (٦٤) وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٦٥) وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَا

(١) لفظ الدين هنا: صالح لأن يكون الطاعة يقال: دان فلان للملك: أطاعه، وصالح لأن يكون الجزاء كقوله: ﴿تَلِكِ يَوْمَ الْيَوْمِ﴾ وصالح لأن يكون الديانة، والكل لله. لا شريك له، فالطاعة واجبة له والجزاء هو الذي يملكه والديانة هو شارعها فهي له دون سواه.

(٢) إن قيل: كيف أضاف المثل هنا إلى نفسه عز وجل وقد قال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ فالجواب: إن قوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ معناه الأمثال التي توجب الأشباه والنقائص أي: لا تضربوا له مثلاً يقتضي نقصاً وتشبيهاً بالخلق، والمثل الأعلى هو وصفه تعالى بما لا يشبهه له ولا نظير.

بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴿٦٥﴾ (١).

إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً: أي دلالة واضحة على صحة عقيدة البعث الآخر. ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ ﴿٦٥﴾. وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً: أي دلالة قوية يعبر بها من الجهل إلى العلم؛ لأن العبرة من العبور. تُشَقِّبُكُمْ مَتَافِي بُطُونِهِ. مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ: أي ثفل الكرش، أي الروث الموجود في الكرش. وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا: أي ليس فيه شيء من الفرث ولا الدم لا لونه ولا رائحته ولا طعمه. ﴿سَائِغًا لِلشَّرْبِ بَيْنَ﴾ ﴿٦٦﴾ فلا يغص به شارب ولا يشرق به. وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ: أي ومن بعض ثمرات النخيل والأعناب ثمر. نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا: أي خمراً وهي السكر، والتمر والزبيب والخل والدبس الرزق الحسن. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٦٧﴾. وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ: أي أنهمها أن تفعل ما تفعله بالهام منه تعالى. ﴿أَنْ أَخَذِي مِنَ الْجِبَالِ يَوْمًا مِنْ الشَّجَرِ﴾.

وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾: أي يبنون لها. ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا: أي طرق ربك مذلة فلا يعسر عليك السير فيها ولا تضل عنها، أو المراد به النحلة نفسها، وذلك جمع ذلول وهي المنقادة المطيعة المسخرة. يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ: أي عسل. ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾. فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ: أي من الأمراض إن شرب بنية الشفاء، أو بضميمته إلى عقار آخر. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٦٩﴾. وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَوَفِّقُكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَسْفَلِ الْعُمْرِ: أي أحسه من الهرم والخرف، والخرف فساد العقل. ﴿لَكِنِّي لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عَلْمٍ سَيِّئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ ﴿٧٠﴾. وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ: أي فمنكم الغني ومنكم الفقير. ومنكم المالك ومنكم المملوك.

فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ: أي بجاعلي ما رزقناهم شركة بينهم وبين ممالئكم من العبيد. ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفِينِعْمَةَ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ ﴿٧١﴾. وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا: إذ حواء خلقت من آدم وسائر النساء من نطف الرجال. وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَيْنَ وَحَفَدَةً: أي خدماً من زوجة وولد وولد وخادم وختن. ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾.

أَفِيَابُ لِبَطِلٍ يُؤْمِنُونَ: أي بعبادة الأصنام يؤمنون؟ ﴿وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

(١) كون المسند فعلاً وهو: أنزل من السماء ماءً أفاد التخصيص أي: الله وحده الذي أنزل من السماء ماء، والمراد من السماء السحاب.

مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا ﴿٧٤﴾

مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا: أي بإنزال المطر من السماء، وإنبات النبات من الأرض. ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (٧٤) فَلَا تَضُرُّوهُ بِاللَّهِ الْأَمْثَالُ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا: أي هو عبدًا مملوكًا. إلخ. عَبْدًا مَمْلُوكًا: أي ليس بحر بل هو عبد مملوك لغيره.﴾ (٧٤) لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ فَأَحْسَنَ فَمَا هُوَ يَفُوقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ﴿٧٤﴾ هَلْ يَسْتَوُونَ: أي العبيد العجزة والحر المتصرف والجواب لا يستون قطعًا. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥) ﴿١﴾

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا: أي هو. ﴿رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ﴾: أي ولد أخرس وأصم لا يسمع.

لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ: أي لا يفهم ولا يفهم غيره.

وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ: أي ابن عمه أو من يتولاه من أقربائه يقومون بإعاشته ورعايته لعجزه وضعفه وعدم قدرته على شيء. ﴿أَيْنَمَا يُوْجِهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾

وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾: وهو الله ﷻ يأمر بالعدل أي بالتوحيد والاستقامة في كل شيء.

وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: أي ما غاب فيهما.

وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ: أي أمر قيامها، وذلك بإماتة الأحياء وإحيائهم مع من مات قبل وتبديل

صور الأكوان كلها. ﴿إِلَّا كَلِمَاحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٧٧) وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ

مِنْ بَطُونٍ أَمْهَلَتْكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ ﴿٧٧﴾

وَالْأَفْئِدَةَ: أي القلوب. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧٨) ﴿١﴾

أَلَمْ يَرْوُوا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ: أي مذلات في الفضاء بين السماء والأرض

وهو الهواء أي: مذلات لأمر الله تعالى، ومذلات لمنافعكم أيضًا.

مَا يُمَسِّكُهُنَّ: أي عند قبض أجنحتها وبسطها، واصطفافها ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾: تعالى بقدرته وسننه في

خلقه. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٧٩) ﴿١﴾

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا: أي مكانًا تسكنون فيه وتخلدون للراحة.

وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا: أي خيامًا وقبابًا.

تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ: أي ارتحالكم في أسفاركم. ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا

وَأَشْعَارِهَا﴾

أَنْتُمْ وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴿٨٠﴾: كِبُسط وأكسية تبلى وتمزق وترمى. ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾

(١) لا يعلمون أن الله هو المستحق للحمد دون آلهتهم؛ لأن الله تعالى هو المنعم بالخلق والرزق، والأصنام لا تخلق ولا ترزق، فلذا الحمد له وحده.



وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَنًا : أي ما تستظلون به من حر الشمس، وما تسكنون به في غيران الجبال.

وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ : أي قمصانًا تقيكم الحر والبرد.  
 وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ : أي دروعًا تقيكم الضرب والطعان في الحرب.  
 كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨١﴾ : أي رجاء أن تسلموا له قلوبكم ووجوهكم فتعبده وحده. ﴿٨٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلِغُ الْمُبِينُ ﴿٨٣﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٤﴾ .

وَيَوْمَ نَبَعْتُ : أي اذكر يوم نبعث. ﴿٨٥﴾ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴿٨٦﴾ : هو نبيها.  
 ثُمَّ لَا يُؤْذِنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا : أي بالاعتذار فيعتذرون.  
 وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٧﴾ : أي لا يطلب منهم العتبي أي الرجوع إلى اعتقاد وقول وعمل ما يرضي الله عنهم. ﴿٨٨﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٩﴾ : أي: عذاب جهنم بالدخول فيها، ومعنى ينظرون: يمهلون.

وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ : أي الذين كانوا يعبدونهم من دون الله كالأصنام والشياطين. ﴿٩٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ ﴿٩١﴾ .  
 فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ : أي ردوا عليهم قائلين لهم: ﴿٩٢﴾ إِنَّكُمْ لَكَذِبُونَ ﴿٩٣﴾ .  
 وَالْقَوْلُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّعَةِ : أي ذلوا له وخضعوا لحكمه واستسلموا.  
 وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٩٤﴾ : من أن آلهتهم تشفع لهم عند الله وتنجيهم من عذابه، ومعنى ضل: غاب.

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ : أنه عقارب وحيات كالنخل الطوال والبغال الموكفة. ﴿٩٥﴾ بِمَا كَانُوا يَفْسِدُونَ ﴿٩٦﴾ وَيَوْمَ نَبَعْتُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ ﴿٩٧﴾ .  
 وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ : أي القرآن.

تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ : أي لكل ما بالأمة من حاجة إليه في معرفة الحلال والحرام، والحق والباطل، والثواب والعقاب. ﴿٩٨﴾ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٩﴾ .  
 ﴿١٠٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ: الإنصاف، ومنه التوحيد. ﴿١٠١﴾ وَالْإِحْسَانِ ﴿١٠٢﴾ : أداء الفرائض وترك المحارم مع مراقبة الله تعالى.

وَإِنِّي ذِي الْقُرْبَىٰ : أي إعطاء ذي القربى حقوقهم من الصلة والبر.  
 وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ: الزنا. ﴿١٠٣﴾ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ ﴿١٠٤﴾ : أي يأمركم وينهاكم.  
 لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٠٥﴾ : أي تتعظون. ﴿١٠٦﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا

(١) ﴿الْأَيْمَنُ﴾

بَعْدَ تَوَكُّدِهَا : أي تغليظها. ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾

﴿٩١﴾

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا : أي أفسدت غزلها بعدما غزلته، وهي حمقاء مكة وتدعى

ربطة بنت سعد بن تيم قرشية.

مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ : أي إحكام له وبرم.

أَنْكَنَا : جمع نكث وهو ما ينكث ويحل بعد الإبرام.

لَتَتَّخِذُونَ أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ : الدخل ما يدخل في الشيء وهو ليس منه للإفساد والخديعة.

أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ : أي أكثر منها عددًا وقوة<sup>(٢)</sup>. ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ، وَلِيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي

مَنْ يَشَاءُ وَلَتَشْتَغِلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٣﴾

وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ : أي لأجل الإفساد والخديعة.

فَإِزَلَّ قَدَمُ بَعْدِ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوَاءَ : أي العذاب. ﴿بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٩٥﴾

مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ : يفتنى وينتهي. ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٦﴾

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ : أي والحال أنه عندما عمل صالحًا كان مؤمنًا إذ

بدون إيمان لا عمل يقبل.

فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً : في الدنيا بالقناعة والرزق الحلال، وفي الآخرة هي حياة الجنة.

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٧﴾ : أي يجزيهم على كل أعمالهم حسنها

وأحسنها بحسب الأحسن فيها.

فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ : أي أردت أن تقرأ القرآن.

فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ﴿٩٨﴾ : أي قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، لحمايتك من

(١) هذا في الأيمان المؤكد بها الحلف في الجاهلية لقول الرسول ﷺ في حديث مسلم «لا حلف في الإسلام وأيما حلف كان في الجاهلية فإنه لا يزيده الإسلام إلا شدة وأبطل ﷺ الحلف في الإسلام، لأن الإسلام جاء بنصرة المظلوم وأخذ الحق له من الظالم كما هو مبين في شريعته.

(٢) إفسادًا وخديعة كأن تحالفوا جماعة وتعاهدوها، ثم تنقضوا عهدكم وتحلوا ما أبرتم من عهد وميثاق وتعاهدوا جماعة أخرى لأنها أقوى وتتفوق بها أكثر. هذا معنى قوله تعالى: ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ أي جماعة أكثر من جماعة رجالًا وسلاحًا أو مآلًا ومنافع.

وسواسه.

إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١١﴾ : أي قوة وتسلط على إفساد الذين آمنوا وإضلالهم ما داموا متوكلين على الله. ﴿إِنَّمَا سُلْطَنُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ ﴿١٢﴾.

وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَاتٍ آيَةً : أي بنسخها وإنزاله آية أخرى غيرها لمصلحة العباد. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزَكُّ قَالَوَا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٣﴾.

قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ : أي جبريل عليه السلام.

مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا : أي على إيمانهم. ﴿وَهُدَىٰ وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ.

إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ : يعنون قينا (حدادا) نصرانيا في مكة.

لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ : أي يميلون إليه. أَعْجَمِيٌّ .

وَهَذَا لِسَانُ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٥﴾ : أي القرآن فكيف يعلمه أعجمي. ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ يَثَابَتِ اللَّهُ لَا يَهْدِيهِمْ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ يَثَابَتِ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٧﴾.

مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ : أي على التلفظ بالكفر فتلفظ به. ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾.

وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا : أي فتح صدره للكفر وشرحه له فطابت نفسه له. ﴿فَعَلَيْتِهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْعَقْلُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ : أي عما يراد بهم.

لَا جَرَمَ : أي حقا.

أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢١﴾ : أي لمصيرهم إلى النار خالدين فيه أبدا.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا : أي إلى المدينة.

مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنُوكُمُ أَي فتنهم المشركون بمكة فعذبوهم حتى قالوا كلمة الكفر مكرهين.

ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا : أي من بعد الهجرة والجهاد والصبر على

الإيمان والجهاد.

لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ : أي غفور لهم رحيم بهم.

﴿يَوْمَ تَأْتِي : أي اذكر يا محمد يوم تأتي.﴾ ﴿كُلُّ نَفْسٍ نَحْدِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا

عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿٢٣﴾.

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً : هي مكة.

كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا : أي واسعًا.

مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ : أي بالرسول والقرآن والأمن ورغد العيش.

فَأَذَقْنَا اللَّهُ لِيَأْسَ الْجُوعِ : أي بسبب قحط أصابهم حتى أكلوا العهن لمدة سبع سنين.

وَالْخَوْفِ : حيث أصبحت سرايا الإسلام تغزوهم وتقطع عنهم سبل تجارتهم. ﴿بِمَا كَانُوا

يَصْنَعُونَ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٤﴾.

فَكُلُوا : أيها الناس. ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا﴾ : أي غير حرام ولا مستقذر.

وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ . أي بعبادته وحده وبالانتهاء إلى ما أحل لكم عما حرمه عليكم.

إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٥﴾ : أي إن كنتم تعبدونه وحده فامثلوا أمره، فكلوا مما أحل لكم

وذروا ما حرم عليكم <sup>(١)</sup>.

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ : أي ما مات من الحيوان حتف أنفه من غير تذكية شرعية.

وَالدَّمِ : أي الدم المسفوح السائل لا المختلط باللحم والعظم.

وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ : أي ما ذكر عليه غير اسم الله تعالى.

فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ : أي غير باغ على أحد ولا عاد أي متجاوز حد الضرورة. ﴿فَإِنَّ

اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾.

وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ : أي لا تحلوا

ولا تحرموا بألستكم كذبًا على الله فتقولوا: هذا حلال وهذا حرام بدون تحليل ولا تحريم من الله

تعالى. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾.

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا : أي اليهود <sup>(٢)</sup>.

حَرَمْنَا مَا فَضَّصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ : أي في سورة «الأنعام» [الآية ١٤٦]. ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا

كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾. إلخ. ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا : أي ثم إن ربك غفور

رحيم للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا.

(١) هذه الجملة بيان لمضمون جملة: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا﴾ لتمييز الطيب من الخبيث ذكر تعالى هنا أربع محرمات وهي عشر جاءت في سورة المائدة إلا أن هذه الأربعة هي الأصول وما دونها تابع لها: المنخقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع، وما ذبح على النصب فالخمس الأولى تابعة للميتة والسادسة تابعة لما أهل به لغير الله.

(٢) تقديم الجار والمجرور: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا﴾ للاهتمام وللإشارة إلى أن ذلك التحريم كان انتقامًا منهم، ولم يكن شرعًا لإكمالهم وإسعادهم.

إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا : أي من بعد الجهالة والتوبة. ﴿لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١١٩).  
 إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً : أي إمامًا جامعًا لخصال الخير كلها قدوة يقتدى به في ذلك.  
 قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا : أي مطيعًا لله حنيفًا: مائلًا إلى الدين القيم الذي هو الإسلام. ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ  
 الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٢٠).  
 شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ أَجْتَنَبَهُ : أي ربه اصطفاه للخلة بعد الرسالة والنبوة. ﴿وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ  
 مُسْتَقِيمٍ﴾ (١٢١).  
 وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً : هي الثناء الحسن من كل أهل الكتب السماوية. ﴿وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ  
 الصَّالِحِينَ﴾ (١٢٢) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾.  
 إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ : أن اليهود أمروا بتعظيم الجمعة فرفضوا وأبوا إلا  
 السبت ففرض الله عليهم ذلك وشدد لهم فيه عقوبة لهم. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
 فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١٢٤).  
 أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ : أي إلى طاعته إذ طاعة الله موصلة إلى رضوانه وإنعامه فهي سبيل الله.  
 بِالْحِكْمَةِ : أي بالقرآن والمقالة الحكيمة الصحيحة ذات الدليل الموضح للحق.  
 وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ : هي مواعظ القرآن، والقول الرقيق الحسن.  
 وَجَدَلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ : أي بالمجادلة التي هي أحسن من غيرها. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ  
 ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١٢٥) وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ. ﴿  
 وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (١٢٦) : أي خير من الانتقام عاقبة. ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ  
 وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾.  
 وَلَا تَكُفْ فِي صَبِيحٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ : أي لا تهتم بمكرهم، ولا يضق صدرك به.  
 إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا : أي اتقوا الشرك والمعاصي.  
 وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ : أي في طاعة الله، ومعيته تعالى هي نصره وتأييده لهم في الدنيا.







**الباب الرابع**  
**من سورة «سبحان» أي: «الإسراء»**  
**حتى سورة «الفرقان»**





## ١٧ - سُورَةُ الْاِسْرَاءِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحٰنَ : أي تنزهه وتقدس عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله وهو الله ﷻ .  
 الَّذِي اَسْرٰى بِعَبْدِهٖ : أي بعبدته ورسوله محمد ﷺ .  
 لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ : أي الذي بمكة .  
 إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا : أي الذي ببيت المقدس . ﴿الَّذِي بَنَيْنَا لَهُ مَكَّةَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ (١) .  
 لِزَيْبِہٖ . مِّنْ ءَايٰتِنَا : أي من عجائب قدرتنا ومظاهر ذلك في الملكوت الأعلى . ﴿إِنَّہٗ هُوَ السَّمِیْعُ الْبَصِیْرُ﴾ (٢) .

وَعَاثِنَا مُوسَىٰ الْكِنْتَبَ أَي التوراة . ﴿وَجَعَلْنٰهُ هُدًى﴾ : أي جعلنا الكتاب أو موسى هدى أي هاديًا .  
 لِبَنِي إِسْرٰءِیْلَ لَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيْلًا ﴿٤﴾ : أي حفيظًا أو شريكًا .  
 ذُرِيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ : أي في السفينة . ﴿إِنَّہٗ كَانَتْ عِبَادًا شٰكِرًا﴾ (٣) .  
 وَقَضَيْنَا : أي أعلمناهم قضاءنا فيهم . ﴿إِلَىٰ بَنِي إِسْرٰءِیْلَ فِي الْكِتٰبِ﴾ : أي التوراة .  
 لِنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴿٥﴾ وَلِنَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِیْرًا ﴿٦﴾ : أي بغيا عظيما .  
 فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولٰٓئِهٖمَا : أي أولى المرتين . ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شٰدِدٍ فَجَآسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ (٤) : أي ترددوا جائين ذاهبين وسط الديار يقتلون ويفسدون .  
 وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ : أي منجزًا لم يتخلف .  
 ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِيْنَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِیْرًا ﴿٦﴾ : أي رجالًا في الحرب .

إِنْ أَحْسَنْتُمْ : أي طاعة الله وطاعة رسوله بالإخلاص فيها وبأدائها على الوجه المشروع لها .  
 أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ : أي أن الأجر والثوبة والجزاء الحسن يعود عليكم لا على غيركم .  
 وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا : أي في الطاعة فالإلى أنفسكم سوء عاقبة الإساءة .  
 فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ : أي المرة الآخرة المقابلة للأولى (٣) وقد تقدمت .

(١) أي حول المسجد الأقصى معنى حوله: خارجه وذلك بالأشجار والأنهار والثمار، وأما داخله فالبركة الدينية بمضاعفة الصلاة فيه أي أجرها؛ إذ الصلاة فيه بخمسائة صلاة أجرًا ومثوبة .

(٢) أي: بارتكاب المعاصي وغشيان الذنوب .

(٣) وتم هذا - أي وقت المرة الأولى - لما أفسدوا وظلموا بانتهاك حدود الشرع والإعراض عن طاعة الله تعالى حتى قتلوا نبيهم (أرميا) عليه السلام، وكان هذا على يد الطاغية جالوت فغزاهم من أرض الجزيرة ففعل بهم

لِيَسْتَفْهُوا وُجُوهَكُمْ : أي يقبحوها بالكرب واسوداد الحزن وهم الذل.

وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ : أي بيت المقدس.

كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّأُوا مَا عَلَوُا تَبَرُّرًا ﴿٧﴾ : أي وليدمروا ما غلبوا عليه من ديار بني

إسرائيل تدميراً.

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ ۖ وَإِنْ عُثِرْتُمْ عُذْنَا : أي وإن رجعتم إلى الفساد والمعاصي عدنا بالتسليط

عليكم.

وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ : أي محبسًا وسجنًا وفراشًا يجلسون عليها فهي من فوقهم

ومن تحتهم.

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ : أي الطريقة التي هي أعدل وأصوب.

وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ : إنها الجنة دار السلام.

وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ : إنه عذاب النار يوم القيامة.

وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ : أي على نفسه وأهله إذا هو ضجر وغضب.

دُعَاةً بِالْخَيْرِ : أي يدعو بالشكر كدعائه بالخير.

وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ : أي سريع التأثر بما يخطر على باله فلا يتروى ولا يتأمل.

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ : أي علامتين داليتين على وجود الله وقدرته وعلمه ورحمته

وحكمته.

فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ : أي طمسنا نورها بالظلام الذي يعقب غياب الشمس.

وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً : أي يبصر الإنسان بها أي بسبب ضوء النهار فيها.

لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ : أي عدد السنين وانقضائها وابتداء

دخولها وحساب ساعات النهار والليل وأوقاتها كالأيام والأسابيع والشهور. ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَضَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ ﴿١٢﴾

وَكَلَّ إِنْسَانَ الزَّمَنَةَ طَيِّبَةً : أي عمله وما قدر له من سعادة وشقاء.

فِي عُنُقِهِ : أي ملازم له لا يفارقه حتى يفرغ منه. ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ ﴿١٣﴾

أَقْرَأَ كِتَابِكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ : أي كفى نفسك حاسبًا عليك. ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَأَتَمَّا

يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾

وَلَا نُزِرْ وَإِرْدَةٌ وَزَرَّ أُخْرَىٰ : أي لا تحمل نفس آئمة إثم نفس أخرى. ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ

رَسُولًا﴾ ﴿١٥﴾

وإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا: منعيمها من أغنياء ورؤساء.  
فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ: أي بالعذاب. ﴿فَدَمَّرْنَا نَادِمِرًا﴾ ﴿١٦﴾  
وَكَمْ أَهْلَكْنَا: أي بالعذاب.

مِنَ الْقُرُونِ: أي من أهل القرون السابقة.

مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ رَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾: أي عليماً بصيراً بذنوب العباد.  
مَنْ كَانَ يُرِيدُ: أي الدنيا لسرعة انقضائها. ﴿الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾  
ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَحُهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾: أي يدخلها ملوماً مبعداً من الجنة.  
وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ: أي عمل لها العمل المطلوب لدخولها وهو

الإيمان والعمل الصالح.

فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾: أي عملهم مقبولاً مثاباً عليه من قبل الله تعالى.  
كُلًّا نُمِدُّ هُنُوًا وَهُنُوًا: أي كل فريق من الفريقين نعطي.  
مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾: أي لم يكن عطاء الله في الدنيا محظوراً أي ممنوعاً  
عن أحد.

أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ: أي في الرزق والجاه. ﴿وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ ﴿٢١﴾

لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ: أي لا تعبد مع الله تعالى غيره من سائر المعبودات الباطلة.  
فَنَقَعْدُ مَذْمُومًا مَحْدُورًا ﴿٢٢﴾: أي فتصير مذموماً من الملائكة والمؤمنين، مخذولاً من الله تعالى.  
﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ: أي أمر وأوصى.

أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا: أي وأن تحسنوا بالوالدين إحساناً وذلك ببرهما. ﴿إِنَّمَا  
يَبْلُغُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾

فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ: أي تباً أو قبحاً أو خسراتاً.

وَلَا تَنْهَرُهُمَا: أي ولا تزجرهما بالكلمة القاسية.

وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾: جميلاً لينا.

وَإخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ: أي ألن لهما جانبك وتواضع لهما. ﴿وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا

رَبِّيَافِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ أي: مؤدين لحقوق الله تعالى وافية

وحقوق عباده كذلك.

فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأُولَيِّينَ: أي الرجاعين إلى الطاعة بعد المعصية. ﴿غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾

وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ: أي أعط أصحاب القربات حقوقهم من البر والصلة.

وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يُبْدِرْ بَدِيرًا ﴿٢٦﴾: أي ولا تنفق<sup>(١)</sup> المال في غير طاعة الله ورسوله. ﴿إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ﴾.

وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾: أي كثير الكفر كبيره لنعم ربه تعالى، فكذلك المبذر أخوه. وَإِنَّمَا تَعْرِضَنَّهُمْ: أي عن المذكورين من ذي القربى والمساكين وابن السبيل فلم تعطهم شيئاً. أَيْتَعَاةَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا: أي طلباً للرزق ترجوه من الله تعالى. فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾: أي ليناً سهلاً بأن تعددهم بالعطاء عند وجود الرزق.

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ: أي لا تمسك عن النفقة كأن يدك مربوطة إلى عنقك فلا تستطيع أن تعطي شيئاً.

وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ: أي ولا تنفق كل ما بيدك ولم تبق شيئاً.

فَلَقَعَدَ مَلُومًا: أي يلومك من حرمتهم من الإنفاق.

تَحْسُورًا ﴿٢٩﴾: أي منقطعاً عن سيرك في الحياة إذ لم تبق لك شيئاً.

إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ: أي يوسعه ويقدر أي يضيقه امتحاناً وابتلاء. ﴿إِنَّهُ كَانَ

بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ ﴿٣٠﴾.

وَلَا تَقْلُوبُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةً إِمْلَاقٍ: أي خوف الفقر وشدته.

تَحْنُ رِزْقُهُمْ وَإِنَّا كَرِيمٌ إِنَّ قَلْبَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيرًا ﴿٣١﴾: أي إثماً عظيماً.

وَلَا تَقْرُبُوا الرِّزْقَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾: أي خصلة قبيحة شديدة القبح، وسبيلاً بس

السبيل. ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾.

فَقَدْ جَعَلْنَا لَوِائِهِ سُلْطَنًا: أي لوارثه تسلطاً على القاتل<sup>(٢)</sup>.

فَلَا يُسْرِفَ فِي الْقَتْلِ: أي لا يقتل غير القاتل<sup>(٣)</sup>. ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾ ﴿٣٣﴾.

وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ: أي إلا بالخصلة التي هي أحسن من غيرها وهي تنميته

والإنفاق عليه منه بالمعروف.

حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ: أي بلوغه سن التكليف وهو عاقل رشيد.

وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ: أي إذا عاهدتم الله أو العباد فأوفوا بما عاهدتم عليه.

إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾: أي عنه وذلك بأن يسأل العبد يوم القيامة لم نكث عهده؟

وَأَوْفُوا الْكَيْلَ: أي أتموه ولا تنقصوه.

(١) قال مجاهد: لو أنفق ماله كله في حق ما كان مبذراً، ولو أنفق مداً في غير حق كان مبذراً.

(٢) الولي: هو المستحق الدم رجلاً كان أو امرأة، والسلطان معناه التسليط فهو إن شاء قتل وإن شاء عفا، وإن شاء أخذ الدية.

(٣) أي: فلا يقتل غير قاتله، ولا يمثل بالقتيل، ولا يقتل بالواحد اثنين أو أكثر ولا بالعبد الحر.

إِذَا كَلِمْتُمْ وَرَزَوْنَا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ: أي الميزان السوي المعتدل.

ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾: أي مآلاً وعاقبة.

وَلَا تَقْفُ: أي ولا تتبع. ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ﴾ أي القلب.

كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾: أي عن كل واحد من هذه الحواس الثلاث يوم القيامة.

وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا: أي ذا مرح بالكبر والخيلاء.

إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ: أي لن تثقبها أو تشقها بقدميك. ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ ﴿٣٧﴾ كَلِّ ذَلِكَ كَانَ

سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾.

ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ: أي التي هي معرفة المحاب لله تعالى للتقرب بها إليه

ومعرفة المساخط لتجنبها تقريباً إليه تعالى بذلك.

وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴿٣٩﴾: أي تلوم نفسك على شركك بربك مبعداً

من رحمة الله تعالى.

أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ: الاستفهام للتوبيخ والتقريع، ومعنى أصفاكم: خصكم بالبنين

واختارها لكم. ﴿وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَنَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ ﴿٤٠﴾.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ: أي بيننا فيه من الوعد والوعيد والأمثال والعظات والأحكام والعبر.

لِيَذْكُرُوا: أي ليذكروا فيتعضوا فيؤمنوا ويطيعوا. ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ ﴿٤١﴾ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ

إِذَا لَا تَبْعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾: أي لطلبوا طريقاً إلى الله تعالى للتقرب إليه وطلب المنزلة

عنده. ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ ﴿٤٣﴾.

نَسِجَ لَهُ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضَ وَمَنْ فِيهِنَّ: أي في السموات من الملائكة والأرض من إنسان وجان

وحيوان.

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ: أي وما من شيء إلا يسبح بحمده من سائر المخلوقات.

وَلَكِنْ لَا يَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾: حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على معصيتكم إياه

وعدم طاعتكم له.

وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾: أي ساتراً لهم فلا

يسمعون كلام الله تعالى<sup>(١)</sup>.

وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ: أكنة: أي أغطية على القلوب فلا تعي ولا تفهم، أن يفقهوه

أي: لتلا يفقهوه أو كراهية أن يفقهوه.

(١) ساتراً: أي للرسول ﷺ حتى لا يراه من أراده بسوء، ومستوراً: أي الحجاب لا يراه المشركون وهو موجود فعلاً ولكن لا يرى.

وَفِي مَا أَذَانِهِمْ وَقَرَأَ : أي ثقلاً فلا يسمعون القرآن ومواعظه.  
 وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ، وَلَوَّا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٥﴾ : أي فراراً من السماع حتى لا يسمعوا.  
 نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ : أي بسببه وهو الهزاء بالنبي ﷺ.  
 إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ : أي يتناجون بينهم يتحدثون سرّاً.  
 إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٦﴾ : أي مغلوباً على عقله مخدوعاً.  
 أَنْظَرَ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ : أي قالوا: ساحر، وقالوا: كاهن، وقالوا: شاعر.  
 فَضَلُّوا : أي عن الهدى. ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ ﴿٤٧﴾ .  
 وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفُنًا : الاستفهام للإنكار والاستبعاد، والرفات الأجزاء المتفرقة. ﴿أَوَإِنَّا  
 لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ ﴿٤٩﴾ .  
 أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ : أي يعظم عن قبول الحياة<sup>(١)</sup> في اعتقادكم.  
 فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ : خلقكم.  
 أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيَغْضِبُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ : أي يحركون رءوسهم تعجباً.  
 وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ : الاستفهام للاستهزاء أي متى هذا البعث الذي تعدنا. ﴿قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ  
 قَرِيبًا﴾ ﴿٥١﴾ .  
 يَوْمَ يَدْعُوكُمْ : أي يناديكم من قبوركم على لسان إسرافيل.  
 فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ : أي تجيبون قائلين: سبحانك اللهم وبحمدك.  
 وَتَقُولُونَ إِنَّا لَنُتِمُّهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ : وتظنون أنكم ما لبثتم في قبوركم إلا قليلاً.  
 وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ : أي الكلمة التي هي أحسن من غيرها للطفها وحسنها.  
 إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ : أي يفسد بينهم.  
 إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ : أي بين العداوة ظاهرها.  
 رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ : هذه هي الكلمة التي هي أحسن. ﴿إِن يَشَأْ يُرْسِلْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ .

(١) قال ابن كثير رحمه الله: ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾، عن مجاهد: سألت ابن عباس عن ذلك فقال: هو الموت، وعن ابن عمر أنه قال في تفسير هذه الآية: لو كنتم موتى لأحييتكم وكذلك قال سعيد بن جبير والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم.

ومعنى ذلك أنكم لو فرضتم أنكم لو صرتم إلى الموت الذي هو ضد الحياة لأحياكم الله إذا شاء فإنه لا يمتنع عليه شيء إذ أراده. وقال مجاهد: ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾: يعني السماء والأرض والجبال، وفي رواية: ما شتمتم فكونوا فسيعيدكم الله بعد موتكم، وقوله تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا﴾: أي من يعيدنا إذا كنا حجارة أو حديداً أو خلقاً آخر شديداً ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي الذي خلقكم ولم تكونوا شيئاً مذكوراً، ثم صرتم بشراً تنتشرون، فإنه قادر على إعادتكم ولو صرتم إلى أي حال. اهـ (قل).

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ : أي فيلزمك إجبارهم على الإيمان. ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ .

وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ : أي كتابًا هو الزبور، هذا نوع من التفضيل <sup>(١)</sup>.

قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ : أي لا يستطيعون.

كَشَفَ الضَّرَّ عَنْكُمْ : أي إزالته بشفاء المريض.

وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ : أي للمرض من شخص مريض إلى آخر صحيح ليمرض به.

أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ : أي ينادونهم طالبين منهم أو متوسلين بهم.

يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ : أي يطلبون القرب منه بالطاعات وأنواع القربات.

﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ .

إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ : أي يحذره المؤمنون ويحترسون منه بترك معاصي الله تعالى.

﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ آلْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ <sup>(٢)</sup>

كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ : أي في كتاب المقادير الذي هو اللوح المحفوظ مكتوبًا.

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ : أي بالآيات التي طلبها أهل مكة كتحويل الصفا إلى جبل ذهب. أو

إزالة جبال مكة لتكون أرضًا زراعية وإجراء العيون فيها.

إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ : إذ طلب قوم صالح بالآية ولما جاءتهم كفروا بها فأهلكهم الله

تعالى.

وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً : أي وأعطينا ثمود قوم صالح الناقة آية مبصرة واضحة بيّنة.

فَطَلَمُوا بِهَا : أي كفروا بها وكذبوا فأهلكهم الله تعالى.

وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ : إلا من أجل تخويف العباد بأننا إذا أعطيناهم الآيات ولم

يؤمنوا أهلكناهم.

وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ : أي قدرة وعلمًا فهم في قبضته وتحت سلطانه فلا تخفهم.

وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا <sup>(٣)</sup> الَّتِي أَرَيْنَاكَ : هي ما رآه الرسول ﷺ ليلة الإسراء والمعراج من عجائب

(١) الزبور: كتاب ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود لعدم الحاجة إلى ذلك لوجود التوراة بينهم، وإنما هو دعاء وتحميد وتمجيد، والآية صالحة لحجاج اليهود منكري نزول القرآن على محمد ﷺ.

(٢) ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أي: ظالمة حذفت الصفة للعلم بها إذ لا يأخذ الله أهل قرية إلا بعد ظلمهم إذ هو أعدل من يعدل وعدل، وأرحم من يرحم ورحم، وقد جاء هذا الوصف في عدة آيات منها: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا﴾ وفي الآية تهديد ووعد عرفه ابن مسعود رضي الله عنه فقال: إذا ظهر الزنى والربا في قرية أذن الله في هلاكهم.

(٣) لفظ الرؤيا يطلق في الغالب على الرؤيا في المنام، ويطلق على رؤية العين كما في هذه الآية رواية صحيحة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفي البخاري والترمذي عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا...﴾ إلخ قال: هي الرؤيا عين أريها النبي ﷺ ليلة أسري به إلى بيت المقدس.

خلق الله تعالى.

إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ <sup>(١)</sup> وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ : هي شجرة الزقوم الوارد لفظها في «الصفات» و«الدخان».

وَنُحُوفُهُمْ : بعدابنا في الدنيا بالإهلاك والإبادة، وفي الآخرة بالزقوم والعذاب الأليم.  
فَمَا يُرِيدُهُمْ : أي التخويف. ﴿إِلَّا طُعَيْنَا كَبِيرًا﴾ <sup>(٦١)</sup> وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴿

قَالَ اسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا <sup>(٦٢)</sup> : أي من الطين.  
قَالَ أَرَأَيْتَ : أي أخبرني.

هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ : أي فضلته علي بالسجود له. ﴿لَيْنَ أَخْرَجْنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ .  
لَا حَتَمَكَ دُرَيْتُهُ : لأستولين عليهم فأقودهم إلى الغواية كالدابة إذا جعل الرسن في حنكها،  
تقاد حيث شاء راكبها.

إِلَّا قَلِيلًا <sup>(٦٣)</sup> : منهم ممن تستخلصهم لعبادتك.

قَالَ أَذْهَبَ : أي منظرًا إلى وقت النفخة الأولى.

فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُ وَكُجْرَاءُ مَوْفُورًا <sup>(٦٤)</sup> : أي وافرا كاملاً.  
وَأَسْتَفْرِزُ : أي واستخف.

مَنْ أَسْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ : أي بدعائك إياهم إلى طاعتك ومعصيتي بأصوات المزامير والأغاني  
واللهو <sup>(٢)</sup>.

وَأَجَلِبَ عَلَيْهِمْ : أي صح فيهم.

بِحَيْلِكَ : أي بركبانك.

وَرَجَلِكَ : أي مشاتك.

وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ : بحملهم على أكل الربا وتعاطيه.

وَالْأَوْلَادِ : بتزوين الزنا ودفعمهم إليه.

وَعِدَّهُمْ : أي بأن لا بعث ولا حساب ولا جزاء.

وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا <sup>(٦٥)</sup> : أي باطلاً.

إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ : أي إن عبادي المؤمنين ليس لك قوة تتسلط عليهم بها.

وَكَفَىٰ يَرِيكَ وَكَيْلًا <sup>(٦٥)</sup> : أي حافظًا لهم منك أيها العدو.

(١) أي لأهل مكة اختبارًا لهم هل يصدقون أو يكذبون.

(٢) من أقوال أحد أعداء الإسلام: (كأس ومغنية يفعلان في الأمة المحمدية ما لا يفعله مائة مدفع). حقًا كما قال الله تعالى:

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهْوَاتِ أَنْ يُمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧] (قل).



رَبِّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ: أي يسوقها فتسير فيه.  
لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ: أي لتطلبوا رزق الله بالتجارة من إقليم إلى آخر ﴿إِنَّهُ كَاتِبٌ بِكُمْ رَحِيمًا

﴿٦٦﴾

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ: أي الشدة والبلاء والخوف من الغرق.  
صَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ: أي غاب عنكم من كتتم تدعونهم من آلهتكم.  
فَلَمَّا نَجَّوْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ: أي عن دعاء الله وتوحيده في ذلك. ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ ﴿٦٧﴾  
أَفَأَمِنْتُمْ: الله تعالى.

أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ: جانب الأرض الذي نزلتموه عند خروجكم من البحر (١).  
أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا: أي ريحا ترمي بالحصباء لشدتها.  
ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكَيْلًا ﴿٦٨﴾: أي حافظًا منه أي من الخسف أو الريح الحاصب.  
أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ: أي ريحا شديدة تقصف الأشجار وتكسرها لقوتها.

فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾: أي نصيرا ومعينا يتبعنا ليشار لكم منا.  
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ: أي فضلناهم بالعلم والنطق واعتدال الخلق.  
وَمَحَلَّنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ: في البر على البهائم، والبحر على السفن. ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ  
وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ﴿٧٠﴾  
يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ: أي الذي كانوا يقتدون به ويتبعونه في الخير أو الشر. ﴿فَمَنْ أَوْقَرَ  
كَتَبَهُ، بِمِيسِنِهِ، فَأُولَئِكَ يَفْرَهُونَ كِتَابَهُمْ﴾  
وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾: أي مقدار فتيل وهو الخيط الذي يوجد وسط النواة.  
وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى: من كان في الدنيا أعمى عن حجج الله تعالى الدالة على وجوده وعلمه  
وقدرته، فلم يؤمن به ولم يعبد.

فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾: أي أشد عمى وأضل سبيلا.  
وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ: أي يستزلونك عن الحق، أي يطلبون نزولك عنه.  
لِنَقْتَرِي عَلَيْكَ غَيْرَهُ: أي لتقول علينا افتراء غير الذي أوحينا إليك.  
وَإِذَا لَا تَجِدُوا خَلِيلًا ﴿٧٣﴾: أي لو فعلت الذي طلبوا منك فعلة لاتخذوك خليلا لهم. ﴿وَلَوْلَا أَنْ  
ثَبَّتْنَاكَ لَقَد كُنْتَ تَرَكْنَا إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ ﴿٧٤﴾  
إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ: أي لعذبتناك عذاب الدنيا مضاعفاً وعذاب الآخرة  
كذلك. ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ ﴿٧٥﴾

وَأِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ: أي ليستخفونك من الأرض أرض مكة.  
لِيُخْرِجُوكَ (١) مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾: أي لا يقون خلفك أي بعدك إلا قليلاً  
ويهلكهم الله.

سُنَّةً مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا: أي لو أخرجوك لعذبناهم بعد خروجك بقليل؛ سنتنا  
في الأمم.

وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾: أي عما جرت به في الأمم السابقة.

أَقِيمِ الصَّلَاةَ وَاذْكُرِي الشَّمْسَ: أي زوالها من كبد السماء ودحوضها إلى جهة الغرب (٢).  
إِلَى عَسَقِ النَّيْلِ: أي إلى ظلمة الليل، إذ الغسق الظلمة.

وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ: صلاة الصبح.

إِنْ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَاتٍ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾: تشهده الملائكة ملائكة الليل وملائكة النهار.

وَمِنَ النَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ: أي بالقرآن.

نَافِلَةً لَكَ: أي زائدة عن الفرض وهي التهجد بالليل.

عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٧٩﴾: هو الشفاعة العظمى يوم القيامة حيث يحمده الأولون

والآخرون.

وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ: أي المدينة، إدخالا مرضياً لا أرى فيه مكروهاً.

وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ: أي من مكة إخراجاً لا ألتفت بقلبي إليها. ﴿وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا

نَصِيرًا ﴿٨٠﴾.

وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ: أي عند دخولك مكة فاتحاً لها بإذن الله تعالى.

إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾: زهق الباطل أي ذهب واضمحل. ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ

وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾.

وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ (٣) أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ: أعرض عن الشكر فلم يشكر ونأى بجانبه: أي ثنى

عطفه متبختراً في كبرياء. ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يُتُوسَّأً ﴿٨٣﴾.

قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ: أي طريقته ومذهبه الذي يشاكل حاله في الهدى والضلال. ﴿فَرَى كُمْ

أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿٨٤﴾.

(١) الاستفزاز: الحمل على الترحل، وهو استفعال من فز يفز بمعنى: بارح المكان، والمعنى: كادوا أن يخرجوك من بلدك كرهاً، ثم صرفهم الله عنك حتى خرجت برضاك واختيارك؛ فلذا لم تنزل بهم العقوبة بخروجك من بلدك.

(٢) وهو وقت الزوال ودخول وقت الظهر وهو الأشهر، ويرى البعض أن دلوك الشمس هو غروبها.

(٣) المراد بالإنسان هنا: الكافر لا المؤمن و«أل» فيه للجنس فيشمل اللفظ كل إنسان كافر لم يهتد إلى الإسلام.

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ : أَي سَأَلَكَ الْمُشْرِكُونَ بِوَسْطَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ عَنِ الرُّوحِ الَّذِي يَحْيَا بِهِ  
الْبَدَنُ.

قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي : أَي مِنْ شَأْنِهِ وَعِلْمُهُ الَّذِي اسْتَأْثَرَ بِهِ وَلَمْ يَعْلَمْهُ غَيْرُهُ. ﴿وَمَا أُوْتِيَ مِنْ  
الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٨٥).

وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُذْهِبَنَّهُ بِالذِّمَى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ : أَي الْقُرْآنَ بِأَنْ نَمَحُوهُ مِنَ الصُّدُورِ وَالْمَصَاحِفِ  
لِفَعْلِنَا.

ثُمَّ لَا تَجِدُكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكَيْلًا (٨٦) : يَمْنَعُ ذَلِكَ مِنَّا وَيَحُولُ دُونِ مَا أَرَدْنَا مِنْكَ.  
إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ : أَي لَكِنِ أَبْقَيْنَاهُ عَلَيْكَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَمْ نَذْهَبْ بِهِ. ﴿إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ  
كَبِيرًا﴾ (٨٧).

قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ : مِنَ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَالْمَحْتَوَىٰ مِنْ  
الْغُيُوبِ وَالشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ.

لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨) : أَي مَعِينًا وَنَصِيرًا.  
وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ : بَيْنَا لِلنَّاسِ مِثْلًا مِنْ جِنْسِ كُلِّ مِثَلٍ لِيَتَعَطَّوْا بِهِ فَيُؤْمِنُوا  
وَيُوحِدُوا.

فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٨٩) : أَي أَهْلَ مَكَّةَ إِلَّا كُفُورًا أَي جُحُودًا لِلْحَقِّ وَعِنَادًا فِيهِ. ﴿وَقَالُوا  
لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَنْفَجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ﴾.

يُنْبِئُونَ (٩٠) : عَيْنًا لَا يَنْضَبُ مَاؤُهَا فَهِيَ دَائِمَةُ الْجَرِيَانِ.  
أَوْ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ : بَسْتَانٌ كَثِيرُ الْأَشْجَارِ. ﴿وَمِنْ نَحِيلٍ وَعَسَبٍ فَنَفَجَرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾ (٩١).  
أَوْ تُسْقِطُ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا : قِطْعًا، جَمْعُ كَسْفَةٍ كَقِطْعَةٍ.  
أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَيْلًا (٩٢) : مُقَابِلَةً لِنَرَاهُمْ عِيَانًا (١).

أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ : مِنْ ذَهَبٍ.  
أَوْ تَرَقَّى فِي السَّمَاءِ : تَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ. ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي  
هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ (٩٣) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا  
(٩٤) قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا  
﴿٩٥﴾.

قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ : عَلَىٰ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ بَلِّغْتَكُمْ، وَعَلَىٰ أَنَّكُمْ كَفَرْتُمْ

(١) فسر قبيلًا بعدة تفسيرات: قال ابن عباس: كفيلاً، وقال مقاتل: شهيداً، وقال مجاهد: جمع القبيلة أي: بأصناف  
الملائكة قبيلة قبيلة، وقيل: ضمناً يضمنون لنا إتيانك به، وما في التفسير أولى وأظهر في تفسير الآية.

وعانديتم. ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٩٦) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّمْ ﴿٩٧﴾  
فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ: يهدونهم.

وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رُجُومِهِمْ: أي يمشون على وجوههم.

عَمِيًّا وَبِكَا وَصَمًّا: لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون (٩٨).

فَأُولَئِكَ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾: أي سكن لهبها زدناهم سعيرًا أي تلهبًا واستعارًا.  
ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرَفْتًا أَءَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا

جَدِيدًا﴾ (٩٨).

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ: أي أناسًا مثلهم.

وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ: وقتًا محددًا﴾ (فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ (٩٩).

قُلْ لَوْ أَنَّكُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي: أي من المطر والأرزاق.

إِذَا لَأْتَسَكَّمْتُمْ: أي منعم الإنفاق.

خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ: خوف النفاد.

وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَنُورًا ﴿١٠٠﴾: أي كبير الإقتار أي: البخل والمنع للمال.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ: أي معجزات بينات أي واضحات وهي اليد والعصا

والطمس... إلخ. فَسْتَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾: أي مغلوبًا  
على عقلك، مخدوعًا.

قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ: أي الآيات التسع. ﴿إِلَّا رُبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ﴾.

وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾: هالكًا بانصرافك عن الحق والخير.

فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ: أي يستخفهم ويخرجهم من ديار مصر. ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا

﴾ (١٠٣).

وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ: أي أرض القدس والشام.

فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ: أي الساعة.

جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾: أي مختلطين من أحياء وقبائل شتى.

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ: أي القرآن.

(١) هذا في حال حشرهم إلى جهنم وكانوا قبل ذلك يسمعون ويبصرون وينطقون ثم إذا دخلوها عادت إليهم حواسهم للآيات القرآنية المصراحة بذلك منها: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ...﴾ ومنها: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا﴾، ومنها: ﴿وَنَادُوا بِمَلِكِكَ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ...﴾.

وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ : أي نزل ببيان الحق في العبادات والعقائد والأخبار والمواعظ والحكم. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (١٥) ﴿

وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ : أي نزلناه مفرقاً في ظرف ثلاث وعشرين سنة لحكمة اقتضت ذلك.

لِنُقَرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكِّهِ : أي على مهل وتؤدة ليفهمه المستمع إليه.

وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا ﴿١٦﴾ : أي شيئاً فشيئاً حسب مصالح الأمة لتكتمل به ولتسعد عليه.

قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ : أي مؤمنو أهل الكتاب من اليهود والنصارى

كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي.

إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٧﴾ : أي سجدوا على وجوههم، ومن سجد على وجهه فقد

خر على ذقنه ساجداً.

وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٨﴾ : منجزاً واقعاً، فقد أرسل النبي الأمي الذي بشرت

به كتبه وأنزل عليه كتابه. ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (١٩) ﴿

قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ : أي سموه بأيهما ونادوه بكل واحد منهما: الله أو الرحمن.

أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى : أي إن تدعوه بأيهما فهو حسن لأن له الأسماء الحسنى وهذا

منها.

وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ : أي بقراءتك في الصلاة كراهة أن يسمعها المشركون فيسبوك ويسبوا

القرآن.

وَلَا تُخَافَتْ بِهَا : أي ولا تسر به إسرازاً حتى يتفجع بقراءتك أصحابك الذين يصلون وراءك

بصلاتك.

وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١﴾ : أي اطلب بين السر والجهر طريقاً وسطاً.

وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا : كما يقول الكافرون.

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ : كما يقول المشركون.

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا : أي لم يكن له ولي ينصره من أجل الذل إذ هو العزيز الجبار مالك

الملك ذو الجلال والإكرام. ﴿وَكَبِيرَةٌ تَأْكُفِيراً﴾ (١١) ﴿<sup>(١)</sup> : أي عظمه تعظيماً كاملاً عن اتخاذ الولد

والشريك والولي من الذل.



(١) الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدنيا، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر بعد طبع الكتاب وجدت كلاماً نحو هذا للنووي رحمه الله في التبيان (قل).

## ١٨ - سُورَةُ الْكَهْفِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ : الحمد الوصف بالجمال، والله عَلَّمَ على ذات الرب تعالى.

الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ : القرآن الكريم.

وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ : أي ميلاً عن الحق والاعتدال في ألفاظه ومعانيه.

فِيمَا : أي ذا اعتدال لا إفراط فيه ولا تفريط في كل ما حواه ودعا إليه من التوحيد والعبادة

والآداب والشرائع والأحكام.

لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا : عذاباً ذا شدة وقسوة وسوء عذاب في الآخرة.

مَنْ لَدُنْهُ : من عنده ﴿٢﴾.

وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٣﴾ : أي الجنة إذ هي أجر

المؤمنين العاملين بالصلوات. ﴿٤﴾ مَلَكِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٥﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٦﴾ .

مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ : أي عظمت فرية وهي قولهم:

الملائكة بنات الله.

إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٧﴾ : أي ما يقولون إلا كذباً بحتاً لا واقع له من الخارج.

فَلَعَلَّكَ بِنَجْعٍ ﴿٨﴾ نَفْسِكَ : قاتل نفسك كالمتعثر.

عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٩﴾ : أي بالقرآن من أجل الأسف الذي هو الحزن

الشديد. ﴿١٠﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿١١﴾ .

وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿١٢﴾ : أي تراباً لا نبات فيه، فالصعيد هو التراب، والجرز الذي

لا نبات فيه.

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ : النقب الواسع في الجبل والضيق منه يقال له: (غار).

وَالرَّقِيعِ : لوح حجري رقمت فيه أسماء أصحاب الكهف. ﴿١٣﴾ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿١٤﴾ ﴿١٥﴾ .

إِذْ أَوَى الْفِتْيَةَ إِلَى الْكَهْفِ : اتخذوه مأوى لهم ومنزلاً نزلوا فيه، والفتية: جمع فتى وهم شبان

مؤمنون.

(١) ﴿بِنَجْعٍ﴾ مهلك نفسك، وفسر ابن عباس رضي الله عنه البائع بقاتل نفس. من شدة الحزن.

(٢) ﴿كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ أي كان أعجب من آياتنا في خلق و مخلوقات السموات والأرض، بل من مخلوقات الله ما هو أعجب بكثير، وإن إمامة الأحياء أعجب من إمامة أصحاب الكهف.

فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحِمَةٌ وَهِيَ لَنَا مِن أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ : أي يسر لنا طريق رشد وهداية.  
 فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ : أي ضربنا على آذانهم حجابًا يمنعهم من سماع الأصوات والحركات.  
 فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ : أي أعوامًا عدة.  
 ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ : أي من نومهم بمعنى أيقظناهم.  
 لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحَزِينِ أَخْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا : أي أضبط لأوقات بعثهم في الكهف.  
 أَمَدًا ﴿١٢﴾ : أي مدة محدودة معلومة.  
 نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ : أي خبرهم العجيب بالصدق واليقين.  
 إِنَّهُمْ فِي سَبِيلِ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرِذْنَهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ : أي إيمانًا وبصيرة في دينهم ومعرفة ربهم حتى

صبروا على الهجرة.  
 وَرَبَّطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ : أي شددنا عليها فقويت عزائمهم حتى قالوا كلمة الحق عند سلطان جائر.

إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُو مِن دُونِهِ ءِالِهَةً : لن نعبد من دونه إلهاً آخر.  
 ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءِالِهَةً ﴿١٥﴾﴾  
 لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطٰنٍ بَيِّنٍ : أي هلاً يأتون بحجة قوية تثبت صحة عبادتهم.  
 فَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٦﴾ : أي باتخاذ آلهة من دونه تعالى يدعوها ويعبدها.  
 وَإِذْ أَعْرَضْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْأَىٰ إِلَى الْكَهْفِ : أي انزلوا في الكهف تستترون به عن أعين أعدائكم المشركين.

يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ : أي ييسر لكم من أمركم الذي أنتم فيه من الغم والكرب.  
 وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ : أي ما ترتفقون به وتتفعلون من طعام وشراب وإواء.  
 ﴿مَرْفَقًا ﴿١٧﴾﴾ : أي تميل.  
 وَتَرَى السَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرَوُّرًا : أي تميل.  
 عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ : تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تصيبهم.  
 ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ : متسع من الكهف ينالهم برد الريح ونسيمها.  
 ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ : أي دلائل قدرته. ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٨﴾﴾

وَتَحْسَبُهُمْ آيَةً ظَالِمًا : جمع يقظ أي متبهين لأن أعينهم منفتحة. ﴿وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلَبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾  
 بِالْوَصِيدِ : فناء الكهف.

لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴿١٨﴾ : منعهم الله بسببه من الدخول

عليهم.

وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ: أي كما أنمناهم تلك النوم الطويلة الخارقة للعادة بعثناهم من رقادهم بعثًا خارقًا للعادة أيضًا فكان في منامهم آية وفي إفاقتهم كذلك. ﴿لَيْتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾. قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَيْتُمْ: أي في الكهف نائمين. قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ: لأنهم دخلوا الكهف صباحًا واستيقظوا عشية. ﴿قَالُوا رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْتُمْ﴾.

فَاتَّبَعُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ: بدراهم الفضة التي عندكم. إِلَى الْمَدِينَةِ: أي المدينة التي كانت تسمى أفسوس وهي طرسوس اليوم. فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا: أي أيُّ أطعمة المدينة أحل أي: أكثر حلية. فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ: أي يذهب يشتري الطعام ويعود في لطف وخفاء. ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ (١١). إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ: أي يقتلوكم رميًا بالحجارة. ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾ (١٢). وَكَذَلِكَ أَعْرَفْنَا عَلَيْهِمْ: أطلعنا عليهم أهل بلدهم.

لِيَعْلَمُوا: أي قومهم.

أَنْتَ وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا: أن البعث حق للأجساد والأرواح معًا. وَأَنَّ السَّاعَةَ لَأَرْبَبَ فِيهَا إِذْ يَنْشُرُغُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ: أي الكفار قالوا: ابنا عليهم أي حولهم بناء يسترهم.

فَقَالُوا: أي المؤمنون والكافرون في شأن البناء عليهم. ﴿ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا﴾.

رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ: وهم المؤمنون.

لَتَنَخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (١٣): لتتخذن حولهم مسجدًا يصلين فيه (١). ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَذِبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَذِبُهُمْ﴾.

(١) وفعلاً بنوه على مقربة من فم الغار بالكهف.

(ويظهر بهذا):

١- مصداق قول الرسول ﷺ «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». وقوله: «إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق يوم القيامة» (في الصحيحين).

٢- مصداق قوله ﷺ «لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر وفراخًا بذراع» (رواه مسلم). إذ قد بنى المسلمون على قبور الأولياء والصالحين المساجد بعد القرون المفضلة - أصبح يندر وجود مسجد عتيق خال من قبر أو قبور.



رَجْمًا بِالْغَيْبِ : أي قذفًا بالظن غير يقين علم. ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةَ وَثَمَانِينَ كَلِمَةً قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ﴾ .

مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ : أي من الناس.

فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ : لا تجادل في عدتهم.

إِلَّا مِرَّةً ظَهْرًا : أي جدالًا بينًا.

وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٣﴾ : أي من أهل الكتاب، الاستفتاء: الاستفهام والسؤال.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدًّا ﴿٢٤﴾﴾ .

إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ : أي إلا أن تقول: إن شاء الله<sup>(١)</sup> .

وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ<sup>(٢)</sup> وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٢٥﴾ : هداية وأظهر دلالة

على نبوتي من قصة أصحاب الكهف.

وَلِئْتُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةِ سِنِينَ وَأَزْدَادُوا سِتْعًا ﴿٢٥﴾ : أي أن الفتية لبثوا في كهفهم رقودًا من

ساعة دخوله إلى أن أعثر الله عليهم قومهم ثلاثمائة سنين بالحساب الشمسي وزيادة تسع سنين

بالحساب القمري.

قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيَتُوا لَهُ، غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : أي علم غيب السموات والأرض وهو ما

غاب فيهما.

أَبْصِرْ بِهِ، وَأَسْمِعْ : أي أبصر بالله وأسمع به صيغة تعجب، والأصل ما أبصره وما أسمعته.

مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ، مِنْ وَلِيِّ : أي ليس لأهل السموات والأرض من دون الله ولي أي: من ناصر.

وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ : لأنه غني عما سواه ولا شريك له.

وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ : أي اقرأ القرآن تعبدًا ودعوة وتعليمًا.

لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ : أي لا مغير لكلمات الله في ألفاظها ولا معانيها وأحكامها.

وَلَنْ يَجْعَلَ مِنْ دُونِهِ مَلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ : أي ملجأ تميل إليه احتماؤه به.

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ : أي احبسها.

(١) جاء في كتاب «منهاج المسلم» للشيخ الجزائري أيضًا أثابه الله ص ٤٩٩ تحت عنوان ما تسقط به الكفارة: (٢) - أن

يستثني حال حلفه بأن يقول: إن شاء الله، أو إلا أن يشاء الله، إذا كان الاستثناء بالمجلس الذي حلف فيه، لقوله

ﷺ: «من حلف فقال: إن شاء الله لم يحنث» وإذا لم يحنث فلا إثم عليه ولا كفارة. رواه أصحاب السنن إلا أبا

داود وفيه ضعف، والجمهور على العسل به لما يشهد له من رواية أبي داود عن ابن عمر: «من حلف على يمين

فقال: إن شاء الله فقد استثنى» أقول: والشرط في ذلك كله الصدق في القسم والاستثناء خاصة أثناء القسم وعند

حدوث العذر المانع من إبرار القسم والله أعلم. ١. هـ (قل) .

(٢) ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ : أي إذا نسيت الاستثناء الذي علمناك فاذكره ولو بعد حين لتخرج من الحرج.

مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ: أي طاعته ورضاه لا عرضاً من عرض الدنيا.

وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ: أي لا تتجاوزهم بنظرك إلى غيرهم من أبناء الدنيا.  
تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا: أي بمجالستك الأغنياء تريد الشرف والفخر.  
وَلَا نُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَنْ ذِكْرِنَا: أي جعلناه غافلاً عما يجب عليه من ذكرنا وعبادتنا.  
وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴿٢٨﴾: أي ضياعاً وهلاكاً. ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾.

إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا: حائط من نار أحيط بهؤلاء المعذيين في النار.  
وَأَن يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ: أي كعكر الزيت أي الدردي وهو ما يبقى في أسفل الإناء ثخنًا رديئًا. ﴿سَوَى الْوُجُوهِ﴾.

يَشْرَبُ الشَّرَابَ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾: إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِن أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِن سُندُسٍ: أي مارق من الديباج.

وَإِسْتَبْرَقٍ: ما غلظ منه أي من الديباج. ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾.  
﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ: أي اجعل لهم مثلاً هو رجلين.. إلخ.  
جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ: أي بستانين.

مِنَ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ: أي أحطناهما بنخل. ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾﴾.  
كُنَّا الْجَنَّتَيْنِ ءَأَنْتَ أَكْلَهُمَا: أي أعطت ثمارها وهو ما يؤكل.

وَلَمْ تَظْلِمْنَا مِنْهُ شَيْئًا: أي ولم تنقص منه شيئاً بل أتت به كاملاً ووافياً.

وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾: أي خلال الأشجار والنخيل نهراً جارياً.

وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ: أي يحادثه ويتكلم معه.

أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾: أي عشيرة ورهطاً.

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ، وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ، قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾: أي تفتنى وتذهب.

وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾: أي مرجعاً في الآخرة.

قَالَ لَهُ، صَاحِبُهُ، وَهُوَ يُحَاوِرُهُ، أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ: الاستفهام للتوبيخ والخلق من تراب

باعتبار الأصل هو آدم.

ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ: أي مني.

(١) الظن هنا بمعنى الاعتقاد، ومعنى تبید: تفتنى وتهلك.

ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٢٧﴾ : أي عدلك وصيرك رجلاً.  
 لَنَكِنَّا : أي لكن أنا، حذف الألف وأدغمت النون في النون فصارت لكذا.  
 هُوَ اللَّهُ رَبِّي : أي أنا أقول: الله ربي. ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ﴿٢٨﴾ .  
 وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ : أي يكون وما لم يشأ لم يكن (١).  
 لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ : أي لا قوة لأحد على فعل شيء أو ترك شيء إلا بإقذار الله تعالى له وإعانتة  
 عليه. ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ ﴿٢٩﴾ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ ﴿٣٠﴾ .  
 وَيُرْسِلْ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ : أي عذاباً ترمى به فتثول إلى أرض ملبساء دحضاً لا يثبت  
 عليها قدم.

فَنُصِيبُ صَعِيدًا رَلَقًا ﴿٣١﴾ : تراباً أملس لا ينبت زرعاً ولا يثبت عليه قدم.  
 أَوْ يُصِيبُ مَاؤَهَا غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٣٢﴾ : أي غائراً في أعماق الأرض فلا يقدر على  
 استنباطه وإخراجه.

وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ : أي هلكت ثماره، فلم يبق منها شيء.  
 فَأَصْبَحَ يَقْلِبُ كَفَيْهِ : ندماً وحسرة.  
 عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا : من جهد كبير ومال طائل.  
 وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا : أي ساقطة على أعمدتها التي كان يعرش بها للكرم، وعلى جدران  
 مبانيها. ﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ﴿٣٣﴾ .  
 وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ : جماعة من الناس قوية كعشيرته من قومه. ﴿يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا﴾

﴿٣٤﴾ .  
 هُنَالِكَ : أي حين حل العذاب بصاحب الجنتين أي يوم القيامة.  
 الْوَالِيَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ : أي الملك والسلطان الحق لله تعالى.  
 هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٣٥﴾ : أي الله تعالى خير من يثيب وخير من يعقب أي: يجزي بخير.  
 وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا : المثل: الصفة المعجبة. ﴿كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ  
 نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ .  
 فَأَصْبَحَ هَشِيمًا : يابساً متفتتاً.

(١) قال ابن كثير رحمه الله: (ولهذا قال بعض السلف: من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده فليقل: ما شاء الله لا قوة  
 إلا بالله، وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة، وقد روي في حديث مرفوع عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله  
ﷺ: «ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل أو مال أو ولد فيقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرى فيه آفة دون  
 الموت» أخرجه الحافظ أبو يعلى الموصلي وكان يتأول هذه الآية: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ  
 إِلَّا بِاللَّهِ﴾. [ضعيف: انظر ضعيف الجامع (١٠٠٠)].

نَذْرُهُ الرِّيحُ: أي تنثره الرياح وتفرقه لخفته وبيوسته.  
 وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقَدِّرًا ﴿٤٥﴾: أي كامل القدرة لا يعجزه شيء.  
 الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا: أي يتجمل بما فيها.  
 وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ: هي الأعمال الصالحة من سائر العبادات والقربات.  
 خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾: أي ما يأمله الإنسان ويتنظره من الخير.  
 وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ: أي تقطع من أصولها وتصير هباء منبثًا<sup>(١)</sup>.  
 وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً: ظاهرة إذ فني كل ما كان عليها من عمران.  
 وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾: لم نترك منهم أحدًا. ﴿وَعَرِضُْوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾

بَلْ زَعَمْتُمْ أَنَّنَا نَجْعَلُ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾: أي معيدين لبعثكم أحياء للحساب والجزاء.  
 وَوَضَعَ الْكِتَابَ: كتاب الحسنات وكتاب السيئات فيؤتاه المؤمن بيمينه والكافر بشماله.  
 فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ: خائفين.  
 مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا: أي يا هلكتنا احضري هذا أوان حضورك.  
 مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا: أي لا يترك صغيرة من ذنوبنا ولا كبيرة إلا جمعها غداً.

وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا: مثبتاً في كتابهم، مسجلاً فيها. ﴿وَلَا يَظَلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ﴿٤٩﴾.  
 وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ: أي حيوه بالسجود له كما أمرتكم طاعة لي.  
 فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ: أي الشيطان أبى السجود ورفضه وهو معنى فسق  
 عن أمر ربه أي خرج عن طاعته، ولم يكن من الملائكة، بل كان من الجن، لذا أمكنه أن يعصي ربه.  
 أَفَلَسَخَذُونَهُ، وَذَرَيْتَهُ أُولِيَاءَهُ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ: الاستفهام للاستنكار، ينكر تعالى على  
 بني آدم اتخاذ الشيطان وأولاده أولياء يطاعون ويوالون بالمحبة والمناصرة، وهم لهم عدو، عجباً  
 لحال بني آدم كيف يفعلون ذلك!؟

يُنْسِ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾: قبح بدلاً طاعة إبليس وذريته عن طاعة الله ورسوله. ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾

وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾: أي ما كنت متخذ الشياطين من الإنس والجن أعواناً في  
 الخلق والتدبير، فكيف تطيعونهم وتعصونني؟ ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾

(١) هذا على قراءة (تسير) بالتاء المضمومة للبناء للمفعول.

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٤﴾: أي واديًا من أودية جهنم يهلكون فيه جميعًا هذا إذا دخلوا النار، أما ما قبلها فالموبق: حاجز بين المشركين وما كانوا يعبدون بدليل قوله: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾.

﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾: أي واقعون فيها ولا يخرجون منها أبدًا<sup>(١)</sup>.  
 ﴿وَلَمْ يَحْدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٥﴾: أي مكانًا غيرها ينصرفون إليه لينجوا من عذابها<sup>(٢)</sup>.  
 ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا: أي بينا وكررنا البيان. ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾: المثل: الصفة

المستغربة العجيبة.

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَتَىٰ جَدَلًا ﴿٥٦﴾: أي مخاصمة<sup>(٣)</sup> بالقول.  
 ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأُولَىٰ﴾: أي العذاب

بالإبادة الشاملة والاستئصال التام.

﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٧﴾: عيانًا ومشاهدة. ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾.  
 ﴿وَيُحَدِّدُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَطْلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾: أي يبتلوا به الحق.  
 ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أَنْذَرْتُهُمْ هُزُوعًا ﴿٥٨﴾: أي مهزوعًا به. ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً: أغطية.

﴿أَنْ يَفْقَهُوهَ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: أي ثقلاً فهم لا يسمعون. ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾.  
 ﴿وَرَبُّكَ الْعَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمُ الْعَذَابُ﴾.

﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَحْدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْبِقًا ﴿٥٩﴾: أي مكانًا يلجئون إليه. ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَنُّوا﴾ يريد أهل القرى من قوم هود وقوم صالح وقوم لوط.  
 ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٦٠﴾: أي وقتًا معينًا لإهلاكهم.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ: أي اذكر إذ قال موسى بن عمران نبي بني إسرائيل لفتاه يوشع بن نون

ابن أفرايم بن يوسف ﴿يَا قَوْمِ﴾.

﴿لَا آتِيحُ حَتَّىٰ أَتْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾: أي حين التقى البحرين: بحر فارس وبحر الروم.  
 ﴿أَوْ أَمْضَىٰ حُقُبًا ﴿٦١﴾: الحقب الزمن وهو ثمانون سنة والجمع أحقاب<sup>(٤)</sup>.

(١) ﴿فَظَنُّوا﴾: أي: أيقنوا إذ يطلق الظن ويراد به اليقين، وهو كثير في القرآن الكريم.

(٢) ﴿مَصْرِفًا﴾: أي: مهربًا لإحاطتها بهم من كل جانب ولا ملجأ ولا معدلاً.

(٣) يحتمل اللفظ الكافر لقوله تعالى: ﴿وَيُحَدِّدُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَطْلِ﴾ ويحتمل المسلم؛ إلا أنه في الكافر أظهر وأكثر.

(٤) قال النحاس: الحقب: زمان من الدهر مبهم غير محدود، وورد الحقب مقدرًا بثمانين سنة، إلا أنه في قول موسى هذا مراده الأول وهو زمن غير محدود.

فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نِسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ : أي طريقه في البحر سربًا أي: طريقًا كالنفق.

فَلَمَّا جَاوَزَا : أي المكان الذي فيه الصخرة، ومنه اتخذ الحوت طريقه في البحر سربًا. ﴿قَالَ لِفَتْنِهِ آيَاتُنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَعِينْنَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسِيئُهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ﴾ .

فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ : أي عجبًا لموسى حيث تعجب من إحياء الحوت واتخاذه في البحر طريقًا كالنفق في الجبل.

قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ : أي يتبعان آثار أقدمهما.

فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا : هو الخضر عليه السلام. ﴿أَنِيتُهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ .  
قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ : أي ما هو رشاد إلى الحق ودليل على الهدى. ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾ .

وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ : أي علمًا.

قَالَ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ : أي أنتهي إلى ما تأمرني به وإن لم يكن موافقًا هواي.

قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ : أي بيانا وتفصيلا لما خفي عليك.  
﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ .

لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ : أي فعلت شيئا منكرا. ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾ .

﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾ : أي لا تغشني بما يعسر علي ولا

أطبق حملة فتضيق علي صحبتي إياك.

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتُمْ نَفْسًا رَكِيَّةً : أي طاهرة لم تتلوث روحها بالذنوب.

بِغَيْرِ نَفْسٍ : أي بغير قصاص.

لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾ : الأمر الذي تنكره الشرائع والعقول من سائر المناكرا وهو المنكر

الشديد النكارة.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ : أي قال خضر لموسى عليه السلام. ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾ .

قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا : أي بعد هذه المرة.

فَلَا تُصْنِجْنِي : أي لا تتركني أتبعك.

فَدَبَلَّغْتَ مِنْ لَدُنِّي عَذْرًا ﴿٧٦﴾ : أي من قبلي (جهتي) عذرا في عدم مصاحبتي لك.

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ : مدينة أنطاكية.

أَسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا : أي طلبا منهم الطعام الواجب للضيف.

فَأَبْوَأْنُ يُضَيِّفُوهُمَا فَوْجَدًا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ : أي قارب السقوط لميلانه.

فَأَقَامَهُ : أي الخضر بمعنى أصلحه حتى لا يسقط.

قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ : أي جعلًا على إقامته وإصلاحه.

قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ : أي قولك هذا ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ هو نهاية الصحبة وبداية

الفراق.

سَأْنَيْتُكَ بِتَأْوِيلٍ : أي تفسير ما كنت تنكره علي حسب علمك. ﴿مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ ﴿٧٨﴾ .

أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ : جمع مسكين وهو الضعيف العاجز عن الكسب.

يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ : أي يؤجرون سفينتهم للركاب.

فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا : أي أجعلها معيبة حتى لا يرغب فيها.

وَكَانَ وِزْرَهُمْ ﴿١﴾ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ : أي قهراً.

وَأَمَّا الْعُلَمَاءُ فَكَانَ أَبْوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ : أي يغشاهما ظلماً

وجحوداً.

فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبِّهَمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ : أي رحمة إذ الرحم والرحمة بمعنى

واحد. ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ .

وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِ : أي عن اختيار مني بل بأمر ربي ﷻ وعظم سلطانه. ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ

عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ ﴿٨٢﴾ .

وَيَسْتَلُونَكَ : أي كفار قريش بتعليم يهود لهم.

عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ : الإسكندر باني الإسكندرية المصرية الحميري أحد الملوك التابعة وكان

عابداً صالحاً.

قُلْ سَأْتَلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ : سأقص عليكم من حاله خيراً يحمل موعظة وعلماً.

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ : بالحكم والتصرف في ممالكها. ﴿وَأَنْبَأْتُهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ ﴿٨٤﴾ : أي

يحتاج إليه سبباً موصلاً إلى مراده.

فَاتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ : أي فاتبع السبب سبباً آخر حتى انتهى إلى مراده.

حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْبٍ حَمِئَةٍ : ذات حماة وهي الطين الأسود وغروبها إنما

(١) جائز أن يكون الورا على حقيقته: أي: خلفهم، وإذا رجعوا أخذ السفينة منهم، وجائز أن يكون وراء بمعنى أمام

ويؤيده قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير: (وكان أمامهم ملك).

(٢) أصل السبب الحبل واستعير لكل ما يتوصل به إلى الشيء، وأوتي ذو القرنين من كل شيء علماً يتسبب به إلى ما يريد فتوصل إلى فتح البلاد وقهر الرجال الأعداء.

هو في نظر العين وإلا فالشمس في السماء والبحر في الأرض.

وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا : أي كافرين. ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ مُعَذِّبٌ وَإِنَّمَا أَنْتَ لِنَحْنِذِ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ (٨٦) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ. ﴿

فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا كَرِيمًا﴾ (٨٧) : أي عظيمًا فظيعًا.

وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَىٰ وَسَنُقُولُ لَهُ مِن أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ (٨٨) : أي لينا من القول سهلاً من العمل. ﴿ثُمَّ أَنْتَعَسَبًا﴾ (٨٩) ﴿

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ : أي مكانًا تطلع منه.

وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا : القوم هم الزنج ولم يكن لهم.

سِتْرًا﴾ (٩٠) : يومئذ ثياب يلبسونها ولا منازل يسكنونها وإنما لهم أسراب في الأرض يدخلون

فيها.

كَذَلِكَ : أي الأمر (٢) كما قلنا لك ووصفنا. وَقَدْ أَحْطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خَبْرًا﴾ (٩١) ثُمَّ أَنْتَعَسَبًا﴾ (٩٢) أَحْطْنَا بِمَا

لديه من قوة وأسباب مادية وروحية (خيرًا) أي: علمًا كاملًا.

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ : السدان جبلان شمال شرق بلاد الترك: سد ذو القرنين ما بينهما فقيل

فيهما سدان.

وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا (٣) قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ (٩٣) : لا يفقهون كلام من يخاطبهم إلا بشدة

وبطء وهم يأجوج ومأجوج.

قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ : قبيلتان من أولاد يافث بن نوح ﷺ والله أعلم. ﴿مُفْسِدُونَ فِي

الْأَرْضِ﴾.

فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا : أي جُعلًا مقابل العمل.

عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ (٩٤) : السد بالفتح والضم الحاجز المانع بين شيئين.

قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ (٤) أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ (٩٥) : حاجزًا حصينًا وهو السد.

ءَأْتُونِي زُبُرَ الْحَدِيدِ : جمع زبرة قطعة من حديد على قدر الحجرة التي يبنى بها.

حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ : أي صدف الجبلين أي جانبهما.

قَالَ أَنْفِخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَأْتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ (٩٦) : القطر النحاس المذاب.

(١) ما تحصل عليه من القوة في فتح المغرب استخدم في مواصلة الغزو والفتح في المشرق.

(٢) جائز أن يكون المعنى: كذلك أمرهم كما قصصنا عليك وهو معنى ما في التفسير، وجائز أن يكون كما بلغ مغرب الشمس بلغ مطلعها كذلك.

(٣) قوله: ﴿مِن دُونِهِمَا﴾؛ يعني: أمام السدين لا خلفهما إذ خلفهما يأجوج ومأجوج.

(٤) القوة: الرجال والمال.



فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ : أي عجزوا عن الظهور فوقه لعلوه وملاسته.  
 وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ، نَقَبًا ﴿١٧﴾ : أي فتح ثغرة تحت تحته ليخرجوا منها.  
 قَالَ هَذَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ : أي ترابًا مساويًا للأرض. ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿١٨﴾﴾  
 ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجٌ فِي بَعْضٍ : أي يأجوج ومأجوج أي يذهبون <sup>(١)</sup> ويجيئون في اضطراب  
 كموج البحر. ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمَاعًا ﴿١٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿٢٠﴾﴾  
 الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي : أي عن القرآن لا يفتحون أعينهم فيما تقرأه عليهم بغضًا له  
 أو أعين قلوبهم وهي البصائر فهي في أكنة لا تبصر الحق ولا تعرفه.  
 وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿٢١﴾ : لبغضهم للحق والداعي إليه.  
 أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا : الاستفهام للتقريع والتوبيخ.  
 أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي : كالملائكة وعيسى ابن مريم والعزير وغيرهم <sup>(٢)</sup>  
 مِنْ دُونِ أَوْلِيَاءٍ : أربابًا يعبدونهم بأنواع من العبادات.  
 إِنَّا أَعْنَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿٢٢﴾ : النزل: ما يعد للضيف من قرى وهو طعامه وشرابه ومنامه. ﴿قُلْ  
 هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿٢٣﴾﴾  
 الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا : أي بطل عملهم وفسد عليهم فلم يتفعلوا به.  
 وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿٢٤﴾ : أي بعمل يعمل يجازون عليه بالخير وحسن الجزاء.  
 أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُبَايِعُ رَبَّهُمْ : أي بالقرآن وما فيه من دلائل التوحيد والأحكام الشرعية.  
 وَلِقَائِهِ : أي كفروا بالبعث والجزاء.  
 فَحِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿٢٥﴾ : أي لا نجعل لهم قدرًا ولا قيمة بل نذرهم  
 ونذلهم.  
 ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ <sup>(٣)</sup> جَهَنَّمَ : أي أولئك جزاؤهم جهنم وأطلق لفظ ذلك بدل أولئك؛ لأنهم بكفرهم  
 وحبوط أعمالهم أصبحوا غثاء كغثاء السيل لا خير فيه ولا وزن له، فحسن أن يشار إليه بذلك).  
 ﴿بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوعًا ﴿٢٦﴾﴾  
 إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ : أي جزاء إيمانهم وعملهم الصالح.

(١) جائز أن يكون المراد بمن يموج بعضهم في بعض: بأجوج ومأجوج، وجائز أن يكون الإنس والجن وذلك يوم القيامة.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنهم الشياطين. وهو صحيح إذ الشياطين هم الذين زينوا لهم عبادة الملائكة والأنبياء والأولياء والأصنام ودعوهم إلى عبادتهم.

(٣) وجائز أن تكون الإشارة بـ ﴿ذَلِكَ﴾ إلى ترك الوزن وخسة القدر والخير، ﴿جَزَاءُكُمْ جَهَنَّمَ﴾. و﴿جَهَنَّمَ﴾ بدل من ﴿جَزَاءُكُمْ﴾ بدلًا مطابقًا فيه زيادة توكيد.

جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٧﴾ : هو وسط الجنة وأعلاها، ونزلاً منزل إكرام وإنعام.

خَلْدِينَ فِيهَا لَا يَبْعَثُونَ عَنْهَا حَوْلًا ﴿١٨﴾ : أي لا يطلبون تحولاً منها لأنها لا خير منها أبداً.

قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا : أي ماؤه مداداً.

لَكَلِمَتٍ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ : أي ولم تنفذ هي أي لم تفرغ.

قَبْلَ أَنْ نَنْفِدَ كَلِمَتُ رَبِّي : أي قبل أن تفرغ. ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا

إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴿٢٠﴾

فَمَنْ كَانَ رِجْوَالِقَاءِ رَبِّهِ : يأمل ويتنظر البعث والجزاء يوم القيامة حيث يلقي ربه تعالى.

فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١﴾ : أي لا يراني بعمله أحداً ولا يشرك في عبادة الله

تعالى غيره تعالى.



## ١٩ - سُورَةُ هُرَيْرَةَ

«مكية»

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَهَيْعَصَ ﴿١﴾: هذه من الحروف المقطعة تكتب كهيعص، وتقرأ كاف ها يا عين صاد. ومذهب السلف أن يقال فيها: الله أعلم بمراده بذلك.

ذَكَرْتُ رَحْمَتَ رَبِّكَ: أي هذا ذكر رحمة ربك. ﴿عَبْدُهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾﴾.

إِذْ نَادَى رَبَّهُ: أي قال: يا رب ليسأله الولد.

نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾: أي سرًا بعدًا عن الرياء.

قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي: أي رق وضعف لكبر سني.

وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا: أي انتشر الشيب في شعر رأسي انتشار النار في الحطب.

وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾: أي إنك لم تخيبيني فيما دعوتك فيه قبل فلا تخيبيني اليوم فيما أدعوك فيه.

وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي: أي خشيت بني عمي أن يضيعوا الدين بعد موتي <sup>(١)</sup>.

وَكَانَتْ أُمْرَأَتِي عَاقِرًا: لا تلد واسمها أشاع وهي أخت حنة أم مريم.

فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾: أي ارزقني من عندك ولدًا.

يَرْتَبِي وَيَرْبِّئُ مِنِّي أَل يَعْقُوبُ: أي جدي يعقوب العلم والنبوة.

وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾: أي مرضيًا عندك. ﴿يَرْكَرِبِيًّا إِنَّا نَبِّشْرُكَ بَعْلَمِ ﴿٢﴾ أَسْمُهُ يَحْيَى﴾.

لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾: أي مسمى يحيى.

قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ: أي من أي وجه ووجهة يكون لي ولد.

وَكَانَتْ أُمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغَتْ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾: أي بيست مفاصلي وعظامي. ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَقَدْ خَلَقْتكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾﴾ <sup>(٣)</sup>.

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً: أي علامة تدلني على حمل امرأتي.

(١) الموالى هنا: الأقارب وبنو العم والعصبة الذين يلونه في النسب، لأن العرب تسمي بني العم موالى.

(٢) تضمنت هذه البشري ثلاثة أمور: أحدها: إجابة دعائه وهي كرامة، والثاني: إعطاؤه الولد وهو قوة له، والثالث: إفراده بتسمية لم يسم بها أحد قبله، قيل في قوله: ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ إشارة إلى أنه سيخلف بعده من هو أشرف اسمًا وذاتًا وحالًا وهو محمد ﷺ.

(٣) أي: فخلق الولد كخلقك.

قَالَ ءَايَتُكَ إِلَّا تَكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ : أي حال كونك سويّ الخلق ما بك عليه خرس.

فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ : المصلّي الذي يصلي فيه وهو المسجد.

فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ : أو ما وأشار عليهم. ﴿أَنْ سَخُوا بَكْرَةَ وَعَشِيًّا﴾ ﴿١١﴾ (١).

يَبْحَثُ خِذِّ الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ وَاَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ : الحكم والحكمة بمعنى واحد وهما الفقه في الدين ومعرفة أسرار الشرع.

وَحَنَانًا مَنْ لَدُنَّا : أي عطفًا على الناس موهوبًا له من عندنا.

وَزَكَاةٌ : أي طهارة من الذنوب والآثام. ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ ﴿١٣﴾ .

وَبَرًّا بَوْلَدِيهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ : أي متعاليًا لا يقبل الحق، عصيًا لا يطيع أمر الله ﷻ وأمر والديه.

وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ : أي أمان له من الشيطان أن يمسه بسوء يوم ولد.

وَيَوْمَ يَمُوتُ : وأمان له من فتاني القبر يوم يموت.

وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ : وأمان له من الفزع الأكبر يوم يبعث حيًّا.

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ : أي القرآن مريم أي خبرها وقصتها.

مَرْيَمَ : هي بنت عمران والدة عيسى ﷺ.

إِذْ أَنْبَدَتْ : أي حين اعتزلت أهلها باتخاذها مكانًا خاصًا تخلو فيه بنفسها.

مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ : أي شرق الدار التي بها أهلها.

فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا : أي ساترًا يسترها عن أهلها وذويها.

فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا : جبريل ﷺ.

فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ : أي تام الخلق حتى لا تفزع ولا ترزع منه.

قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ : أي عاملاً بإيمانك وتقواك لله فابعديني ولا تؤذي.

قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ : ولدًا طاهرًا لم يتلوث بذنوب قط.

قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ : أي لم أتزوج.

وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ : أي زانية.

قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ : أي الأمر كذلك وهو خلق غلام منك من غير أب.

هُوَ عَلَى هَيْئٍ : ما هو إلا أن ينفخ رسولنا في كم درعك حتى يكون الولد.

(١) إذ كان يأمرهم بالصلاة بكرة وعشيًا فلما حملت امرأته أمرهم بالصلاة بالإشارة؛ لأنه لم يقدر على الكلام؛ إذ جعل الله تعالى عجزه عن الكلام علامة الحمل لامرأته.

وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ : أي على عظيم قدرتنا.  
 وَرَحْمَةً مِّنَّا : أي وليكون الولد رحمة بمن آمن به واتبع ما جاء به.  
 وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿١١﴾ : أي حكم الله به وفرغ منه فهو كائن حتمًا لا محالة.  
 ﴿١٢﴾ فَحَمَلَتْهُ فَأَنْبَذَتْ بِهِ : فاعتزلت به (١).  
 مَكَانًا قَصِيًّا ﴿١٣﴾ : أي بعيدًا من أهلها.  
 فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ : أي ألجأها الطلق واضطرها وجع الولادة.  
 إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ : لتعتمد عليها وهي تعاني من آلام الولادة.  
 قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا ﴿١٤﴾ : أي شيئًا متروكًا لا يعرف ولا يذكر.  
 فَتَادَنَهَا مِنْ تَحْتِهَا : أي عيسى ﷺ بعدما وضعت (٢) ﴿١٥﴾ أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ .  
 سَرِيًّا ﴿١٦﴾ : أي نهرًا يقال له: سري.  
 وَهَزَيْتِ إِلَيْكَ جِذْعَ النَّخْلَةِ سَقِطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴿١٧﴾ : الرطب الجني: ما طاب وصلاح للاجتماع.  
 فَكُلِي وَاشْرَبِي : أي كلي من الرطب واشربي من السري.  
 وَقَرِّي عَيْنًا : أي وطيب نفسيًا وافرحي بولادتك إياي (٣) ولا تحزني.  
 فَإِنَّمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا : أي إمساكًا عن الكلام وصمتًا. ﴿فَلَنُؤَكِّمَنَّكَ الْيَوْمَ إِسْمِيًّا ﴿١٨﴾ .  
 فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ : أي بولدها عيسى ﷺ .  
 قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿١٩﴾ : أي عظيمًا حيث أتيت بولد من غير أب.

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما هو إلا أن حملت فوضعت في الحال. قال القرطبي: هذا هو الظاهر لأن الله تعالى ذكر الانتباه عقب الحمل: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَأَنْبَذَتْ بِهِ﴾ والفاء للترتيب والتعقيب.

(٢) قال ابن كثير رضي الله عنه: (اختلف المفسرون في المراد بذلك من هو؟ فقال ابن عباس: ﴿فَتَادَنَهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ جبريل، ولم يتكلم عيسى حتى أتت به قومه، أي ناداها من أسفل الوادي - إلى أن قال رضي الله عنه مرجحًا كونه جبريل عليه السلام - والقول الأول أظهر) ١. هـ (قل).

والذي يؤيد هذا الرأي والله أعلم - أن في مناداة الملك لها أكثر اطمئنانًا لقلبها وإن كان كل بأمر الله، وأن الله أراد أن يطمئنها على يد جبريل عليه السلام كما أفرعها ولا يكفي - وهي في مصيبتها قوله لها: ﴿كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾ فهي تمثل الأمر بها لقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ (٢٥) لكن القلب ما زال يرتجف فكان في مناداة جبريل عليه السلام لها بعد الولادة ما يذهب عنها الروع وكأنه يقول لها مثلما قال يعقوب عليه السلام لبنيه بعد أن ارتد بصيرًا: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢٦) هذا مع كون تأخر نطق عيسى عليه السلام أمامها وأمام قومه في آن واحد أبلغ مثلما كان تأخر تحول عصا موسى عليه السلام أمام قومه إلى حية آية له ولقومه في آن واحد أيضًا. والله المستعان.

(٣) على قول كونه جبريل عليه السلام يكون اللفظ بولادتك (إياه) (قل).

يَتَأَخَتْ هَنُورُونَ : أي يا أخت الرجل الصالح هارون.  
 مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا : أي رجلاً يأتي الفواحش.  
 وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا ﴿٣٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ : أي إلى عيسى وهو في المهد. ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي  
 الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ ﴿٣٩﴾

قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ <sup>(١)</sup> ءَاتَنِي الْكِتَابَ : أي الإنجيل باعتبار ما يكون مستقبلاً. ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ ﴿٤٠﴾ <sup>(٢)</sup>.  
 وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ : أي حيثما وجدت كانت البركة في ومعى يتتبع الناس بي.  
 ﴿وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ ﴿٤١﴾

وَبِرًّا بِوَالِدِي : أي محسنًا بها مطيعًا لها لا ينالها منى أدنى أذى.  
 وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٤٢﴾ : ظالمًا متعاليًا ولا عاصيًا لربي خارجًا عن طاعته. ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ  
 يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ ﴿٤٣﴾

ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ : أي هذا الذي بينت لكم صفته وأخبرتكم خبره هو عيسى ابن مريم.  
 قَوْلِكَ الْحَقِّ : أي وهو قول الحق الذي أخبر تعالى به.  
 الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٤٤﴾ : يشكون.

مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ : أي ليس من شأن الله أن يتخذ ولدًا وهو الذي يقول للشيء: كن  
 فيكون.

سُبْحٰنَهُ : أي تنزيهاً له عن الولد والشريك والشبيه والنظير. ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾  
 ﴿٤٥﴾

وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَدًا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤٦﴾ : أي طريق مستقيم لا يضل سالكه.  
 فَأَخْلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ : أي في شأن عيسى فقال اليهود: هو ساحر وابن زنا، وقال النصارى:  
 هو الله وابن الله، تعالى الله عما يصفون.

قَوْلِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٤٧﴾ : هو يوم القيامة.  
 أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ : أي ما أسمعهم وما أبصرهم يوم القيامة عند معاينة العذاب. ﴿يَوْمَ يَأْتُونََنَا لِيَكُنَّ  
 الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٤٨﴾

وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ : أي خوفهم بما يقع في يوم القيامة من الحسرة والندامة وذلك عندما  
 يشاهدون أهل الجنة فيورثون منازلهم فيها وهم ورثوا منازل أهل الجنة في النار فتعظم الحسرة  
 ويشتد الندم. ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٥٠﴾

(١) قيل: لما سمع كلامهم ترك الرضاعة وأقبل عليهم بوجهه وقال مشيرًا بسبابته اليمنى: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ فكان أول  
 ما نطق به الاعتراف بعبوديته لله تعالى، وفي هذا رد على الذين ألوهه وعبدوه من دون الله تعالى.

(٢) لما قال ما قال في المهد: إني عبد الله... إلى قوله: ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ لم يتكلم حتى بلغ سن التكلم.

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ : أي في القرآن.

إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ : أي كثير الصدق بالغ الحد الأعلى فيه.

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ : يا أبي وهو آزر. ﴿لَمْ تَعْبُدُوا مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي ﴿٤٣﴾ .

أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ : أي طريقًا مستقيمًا لا اعوجاج فيه يفضي بك إلى الجنة.

يَتَّابِتْ لَّا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ : أي لا تطعه في دعوته إياك إلى عبادة الأصنام.

إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ : أي عاصيًا لله تعالى فاسقًا عن أمره.

يَتَّابِتْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ : أي قريبًا منه قريبًا له فيها

أي: النار.

قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْهَيْتِ يَا إِبْرَاهِيمُ لَبِنٌ لَّمْ تَنْتَهَ : أي عن التعرض لها وعيها.

لَأَرْجُمَنَّكَ : بالحجارة أو بالقول القبيح فاحذروا .

وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ : أي سليماً من عقوبتي.

قَالَ سَلِّمْ عَلَيَّكَ : أي أمنة مني لك أن أعاودك فيما كرهت مني، وهذا يسمى بسلام المتاركة،

وليس هو بالتحية.

سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ : أي لطيفًا بي مكرمًا لي يجيبي لما أدعوه له.

﴿وَأَعْتَرْتُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي﴾ .

عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ : بل يجيب دعائي ويعطيني مسألتني.

فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْبدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ : بأن هاجر إلى أرض القدس وتركهم.

وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ : أي وهبنا له ولدين يأنس بهما مجازاة منا له على هجرته قومه. ﴿وَكُلًّا

جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ ﴿٤٩﴾ .

وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمِنَا : خيرًا كثيرًا، المال والولد بعد النبوة والعلم.

وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ : أي رفيعًا بأن ينشئ عليهم ويذكروا بأطيب الخصال.

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ : أي في القرآن تشریفًا وتعظيمًا.

مُوسَىٰ : أي ابن عمران نبي بني إسرائيل ﷺ .

إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا : أي مختارًا مصطفًى على قراءة فتح اللام (مخلصًا) وموحدًا لربه، مفردًا إياه

بعبادته بالغًا في ذلك أعلى المقامات على قراءة كسر اللام. ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ ﴿٥١﴾ .

وَنَدَيْتَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ : الطور جبل بسيناء بين مدين ومصر.

الْأَيْمَنِ : هو بالنسبة إلى يمين موسى ﷺ أما الجبل فلا يمين له ولا شمال (ابن جرير

الطبري).

وَقَرَّبْتَهُ نَجِيًّا ﴿٥٦﴾: أي أدنيه إثناء تشریف وتكریم مناجيًا لنا مكلّمًا من قبلنا. وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٧﴾: إذ سأل ربه لأخيه الرسالة فأعطاه فنبأه وأرسله معه إلى فرعون.

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ: أي اذكر في القرآن تشریفًا وتعظيمًا إسماعيل بن إبراهيم الخليل.

﴿٥٨﴾ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ: لم يخلف وعدًا قط. ﴿٥٩﴾ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا. وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ: أي بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة. وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٦٠﴾: أي رضي الله تعالى قوله وعمله ليقينه وإخلاصه. وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ: هو جد أبي نوح عليه السلام. ﴿٦١﴾ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا. وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٦٢﴾: إلى السماء الرابعة. ﴿٦٣﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ.

وَإِسْرَاءَ يَل: أي يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام. وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا: أي من جملة من هديناهم لطريقنا واجتبيناهم بنبوتنا. إِذَا نُنَادَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ: أي تقرأ عليهم وهم يستمعون إليها. خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٦٤﴾: جمع ساجد وباك أي ساجدين وهم يكونون. ﴿٦٥﴾ خَلْفَ مَنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ: أي عقب سوء. ﴿٦٦﴾ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ: أهملوها فتركوها فكانوا بذلك

كافرين.

وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ: انغمسوا في الذنوب والمعاصي كالزنا وشرب الخمر. فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٦٧﴾: أي واديًا في جهنم يلقون فيه. ﴿٦٨﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ.

وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٩﴾: أي لا ينقصون شيئًا من ثواب حسناتهم.

جَنَّاتٍ عَدْنٍ: أي إقامة دائمة.

الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ: أي وعدهم بها وهي غائبة عن أعينهم لغيابهم إذ هي في السماء

وهم في الأرض.

﴿٧٠﴾ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا: أي موعوده وهو ما يعد به عباده آتيا لا محالة.

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا: أي فضل الكلام وهو ما لا فائدة فيه.

إِلَّا سَلَامًا وَهُمْ فِيهَا فِيهَا بُكْرَةٌ وَعِشْيًا ﴿٧١﴾: أي بقدرهما في الدنيا وإلا فالجنة ليس فيها شمس

فيكون فيها نهار وليل.

تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٧٢﴾: أي من كان في الحياة الدنيا تقيًا لم يترك الفرائض



ولم يغش المحارم.

وَمَا نُنزِّلُ: التنزل النزول وقتاً بعد وقت.

إِلَّا بِأَمْرِيكَ: أي إلا بإذنه لنا في النزول على من يشاء.

لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا: أي مما هو مستقبل من أمر الآخرة.

وَمَا خَلَفْنَا: أي ما مضى من الدنيا.

وَمَا بَيْنَكَ ذَلِكَ: مما لم يمض في الدنيا إلى يوم القيامة أي: له علم ذلك كله.

وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾: أي ذا نسيان فإنه تعالى لا ينسى فكيف ينساك ويتركك؟

رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا: أي مالكما ومتصرف فيهما.

فَاعْبُدْهُ وَأَصْطِرِّ لِعِبَادَتِهِ: أي اصبر وتحمل الصبر في عبادته حتى الموت.

هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾: أي لا سمي له ولا مثل ولا نظير فهو الله أحد، لم يكن له كفواً أحد.

وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ: أي الكافر بقاء الله تعالى: ﴿أَمْ دَامِمْتُ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾﴾.

أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾: أي قبل خلقه فلا ذات له ولا اسم ولا

صفة.

فَوَرَبُّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾: أي جاثمين على ركبهم في

ذل وخوف وحزن.

ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ: أي طائفة تعاونت على الباطل وتشيع بعضها لبعض فيه.

أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا ﴿٦٩﴾: أي تكبراً عن عبادته وظلماً لعباده.

ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾: أي أحق بها اصطلاءً واحتراقاً وتعذيباً في النار.

وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا: أي ماراً بها إن وقع هلك، وإن مر ولم يقع نجا.

كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾: أي أمراً قضى به الله تعالى وحكم به وحتمه فهو كائن لا بد.

ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾: أي في النار جاثمين على ركبهم بعضهم إلى

بعض.

وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ: أي آيات القرآن البينات الدلائل الواضحات الحجج.

قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا: نحن أم أنتم، والمقام المنزل ومحل الإقامة،

والمراد هنا المنزلة.

وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾: أي نادياً وهو مجتمع الكرام ومحل المشورة وتبادل الآراء.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِيًّا ﴿٧٤﴾: أي مالاً ومتاعاً ومنظراً. ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ

فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾.

إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ: أي بالقتل والأسر، وأما الساعة فالقيامة المشتملة على نار جهنم.

فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا: أي منزلة.

وَأَضَعُفُ جُنْدًا ﴿٧٥﴾: أي أقل أعوانًا. ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾.

وَأَلْبَيْتُ الصَّلَاحُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴿٧٦﴾: أي ما يرد إليه ويرجع وهو نعيم الجنة.

أَفْرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا: هو العاص بن وائل. ﴿وَقَالَ لَا أُوتِيكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ ﴿٧٧﴾: يريد في

الآخرة.

أَطَّلَعَ الْغَيْبَ <sup>(١)</sup>: أي فعرف أنه يعطى مالا وولدا يوم القيامة. ﴿أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ ﴿٧٨﴾.

كَلَّا: ردع ورد فإنه لم يطلع الغيب ولم يكن له عند الله عهد.

سَنَكُتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾: أي نضاعف له العذاب يوم القيامة.

وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾: أي نسلبه ما تبجح به من المال والولد ويبعث فردًا ليس معه مال

ولا ولد.

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾: أي منعة لهم وقوة يشفعون لهم عند الله حتى لا

يعذبوا.

كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ: أي يوم القيامة يجحدون أنهم كانوا يعبدونهم.

وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾: أي أعداء لهم وأعدائهم عليهم.

أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾: أي تزعجهم إزعاجًا وتحركهم حراكًا شديدًا

نحو الشهوات والمعاصي. ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ ﴿٨٤﴾ <sup>(٢)</sup>.

يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًّا ﴿٨٥﴾: أي راكبين على النجب تحوطهم الملائكة حتى ينتهوا إلى

ربهم فيكرمهم.

وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا ﴿٨٦﴾: أي يساق المجرمون كما تساق البهائم مشاة عطاشًا.

لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ <sup>(٣)</sup>: هو شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول

الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾: أي قال العرب: الملائكة بنات الله وقال النصراني: عيسى ابن الله.

لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾: أي منكرًا عظيمًا.

(١) ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: أنظر في اللوح المحفوظ؟، وقال مجاهد: أعلم الغيب حتى يعلم أفي الجنة هو أم لا؟

(٢) أي: لا تطالب بهلاكهم الفوري فإننا نعد لهم الأيام والليالي والشهور والسنين إلى انتهاء آجالهم.

(٣) من لهم عهد بالشفاعة حيث عهد الله تعالى إليهم بذلك هم الملائكة والأنبياء والشهداء أيضًا بدليل السنة الصحيحة، وفسر ابن عباس رضي الله عنه العهد أيضًا بشهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله والقيام بحقها مع التبرؤ من الحول والقوة لله تعالى.

تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْقَطِرْنَ مِنْهُ: يتشققن من عظم هذا القول وشدة قبحه.  
 وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا ﴿٩١﴾: أي تسقط وتهدم وتهدم.  
 أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩٢﴾: أي من أجل ادعائهم أن للرحمن بِعِبَادِهِ ولدًا.  
 وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٣﴾: أي لا يصلح ولا يليق به ذلك لأنه رب كل شيء ومليكه.  
 إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٤﴾: أي خاضعًا منقادًا كائنًا من كان. ﴿لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٥﴾﴾.  
 وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٦﴾: أي ليس معه شيء لا مال ولا سلطان ولا ناصر.  
 إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٧﴾: أي حبًّا فيعيشون متحابين فيما بينهم ويحبهم ربهم تعالى<sup>(١)</sup>.  
 فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ: أي يسرنا القرآن أي: قراءته وفهمه بلغتك العربية.  
 لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿٩٨﴾: أي ألداء شديدي الخصومة والجدل بالباطل وهم كفار قريش.  
 وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ: أي كثيرًا من أهل القرون من قبلهم أهلكتناهم.  
 هَلْ نُحِشُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ: أي هل تجد منهم أحدًا؟  
 أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٩﴾: أي صوتًا خفيًا والجواب: لا. لأن الاستفهام إنكاري.



(١) قال رسول الله ﷺ: «إذا أتى الرجل القوم فقالوا له: مرحبًا، فمرحبًا به يوم القيامة يوم يلتقى ربه، وإذا أتى الرجل القوم فقالوا له: قحطًا، فقحطًا له يوم القيامة» رواه الطبراني والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (قل).

## ٢٠ - سُورَةُ طه

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه (١) : أي يا رجل . ﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ (٢) .  
 إِلَّا نَذْكُرَكَ لِمَنْ يَخْشَى (٣) : أي يتذكر بالقرآن من يخشى عقاب الله ﷻ .  
 تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى (٤) الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥) : أي ارتفع عليه وعلاه (١) .  
 لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (٦) (٢) : الثرى التراب الندي يريد ما هو  
 أسفل الأرضين السبع .  
 وَإِنْ نَجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٧) : أي من السر، وهو ما علمه الله وقدر وجوده وهو  
 كائن ولكن لم يكن بعد .  
 اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (٨) : الحسنى مؤنث الأحسن المفضل على الحسن .  
 وَهَلْ أَتَاكَ : قد أتاك فالاستفهام للتحقيق .  
 حَدِيثُ مُوسَى (٩) : أي خبره وموسى هو ابن عمران نبي بني إسرائيل .  
 إِذْ رَأَى نَارًا : أي حين رؤيته نارا .  
 فَقَالَ لِأَهْلِهِ : زوجته بنت شعيب ومن معها من خادم أو ولد .  
 امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا : أي أبصرتها من بعد .  
 لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ : القبس: عود في رأسه نار .  
 أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (١٠) : أي ما يهديني الطريق وقد ضل الطريق إلى مصر .  
 فَلَمَّا أَنهَا : أي النار وكانت في شجرة من العوسج ونحوه تتلألأ نورًا لا نارا .  
 نُودِيَ بِمُوسَى (١١) : أي ناداه ربه قائلاً له : يا موسى .  
 إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) : طوى اسم للوادي المقدس المطهر،

(١) قال ابن كثير ﷻ: (المسلك الأسلم طريقة السلف، وهو إمرار ما جاء في ذلك من الكتاب والسنة من غير  
 تكليف ولا تحريف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل). ١.هـ. (قل) .

سبحانك يا رب آتنا بكلامك على مرادك، وفي صحيح مسلم من حديث معاوية بن الحكم ﷻ وكانت له جارية:  
 (قلت: يا رسول الله: أفلا أعتقها؟ قال: «اثنني بها»، فأتيتها بها، فقال لها: «أين الله؟» قالت: في السماء، قال: «من  
 أنا؟» قالت: أنت رسول الله، قال: «أعتقها فإنها مؤمنة» .

(٢) ما تحت الثرى: هو باطن الأرض كله .

اخلع نعليك: وذلك من أجل أن يتبرك بملامسة الوادي المقدس بقدميه.  
 وَأَنَا أَخْرَجْتُكَ : من قومك لحمل رسالتي إلى فرعون وبني إسرائيل.  
 فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ : أي: إليك وهو قوله تعالى.  
 إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ : أي لأجل أن تذكرني فيها.  
 إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا : أي أبالغ في إخفائها حتى لا يعلم وقت مجيئها أحد.  
 لَتَجْزِيَّ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ : أي سعيها في الخير أو في الشر.  
 فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ : أي تهلك.  
 وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَىٰ ﴿١٧﴾ : الاستفهام للتقرير ليرتب عليه المعجزة وهي انقلابها حية.  
 قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا : أي أعتمد عليها.  
 وَأَهْشُ بِهَا عَلَىٰ عَنَقِي : أخبط بها ورق الشجر فيتساقط فتأكله الغنم.  
 وَلِي فِيهَا مَنَارِبٌ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ : أي حاجات أخرى كحمل الزاد بتعليقه فيها ثم حملة على عاتقه  
 وقتل الهوام. ﴿قَالَ أَلْفَهَا يَمْوَسَىٰ﴾ ﴿١٩﴾ .  
 فَأَلْقَنَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ : أي ثعبان عظيم، تمشي على بطنها بسرعة كالشعبان الصغير  
 المسمى بالجان.  
 قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ : أي إلى حالتها الأولى قبل أن تنقلب حية.  
 وَأَضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ : أي إلى جنبك الأيسر تحت العضد إلى الإبط.  
 فَخَرَّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ : أي من غير برص تضيء كشمس الشمس. ﴿ءَايَةٌ أُخْرَىٰ﴾ ﴿٢٢﴾ .  
 لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ : أي رسولا إليه.  
 إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ : تجاوز الحد في الكفر حتى ادعى الألوهية.  
 قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ : أي وسعه لي لأتحمل الرسالة.  
 وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ : أي سهله حتى أقوى على القيام به.  
 وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ : أي عجمة حتى أفهم من أخاطب. ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ ﴿٢٨﴾ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي  
 ﴿٢٩﴾ .  
 هَرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ ذِيهِ أَرْزَىٰ ﴿٣١﴾ : أي قو به ظهري.  
 وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ : أي اجعله نبيا كما نبأتني. ﴿كَيْ نَسِيحَكَ كَثِيرًا﴾ ﴿٣٣﴾ وَنَذَكْرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا  
 بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ .  
 قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمْوَسَىٰ ﴿٣٦﴾ : أي مسئولك من انشراح صدرك وتيسير أمرك وتنبتة أخيك.  
 وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ : أي أنعمنا عليك مرة أخرى قبل هذه.

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ : أي في شأنك وهو قوله: ﴿أَنْ أَقْدِفِيهِ﴾ ﴿١﴾. إلخ.

أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ : أي الصندوق.

فَأَقْدِفِيهِ فِي الْبَيْرِ : أي في نهر النيل. ﴿فَلْيَلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوِّي وَعَدُوُّوهُ﴾ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ حَبَّةٌ

مِنِّي ﴿٢﴾.

وَلِئُضَمَّ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ : تربى بمرأى مني ومحبة وإرادة.

إِذْ تَمَسَّتْ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ : ليكمل له رضاعه. ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ

عَيْنَهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ ﴿٤٠﴾.

وَقَلَّتْ نَفْسًا : هو القبطي الذي قتلته بمصر وهو في بيت فرعون.

فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ : إذ استغفرتنا فغفرنا لك، وتأمروا بك ليقتلوك فنجيناك منهم.

وَفَنَّكَ فَنُونًا : أي اختبرناك اختبارًا وابتليناك ابتلاءً عظيمًا.

فَلَمَّثْتَ سِينِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْؤُوسِي ﴿٤١﴾ : أي جئت للوقت الذي أردنا إرسالك

إلى فرعون.

وَأَصْطَفَيْنَاكَ لِنَفْسِي ﴿٤٢﴾ : أي أنعمت عليك بتلك النعم اجتباءً منا لك لتحمل رسالتنا.

أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِتَابِعِي : أي بالمعجزات التي آتيتك كالعصى واليد وغيرها.

وَلَا بُنْيَاءَ فِي ذِكْرِي ﴿٤٣﴾ : أي لا تفترا ولا تقصرا في ذكري فإنه سر الحياة وعونكما على أداء

رسالتكما.

أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٤﴾ : تجاوز قدره بادعائه الألوهية والربوبية.

فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا : أي خاليًا من الغلظة والعنف.

لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٥﴾ : أي فيما تقولان فيهندي إلى معرفتنا فيخشانا فيؤمن ويسلم ويرسل

معكما بني إسرائيل.

قَالَ رَبُّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا : أي يعجل بعقوبتنا قبل أن ندعوه ونبين له.

أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ﴿٤٦﴾ : أي يزداد طغيانًا وظلمًا.

قَالَ لَا نَخَافُ إِنَّنِي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٧﴾ : أي أسمع ما تقولانه وما يقال لكما، وأرى ما

تعملان وما يعمل لكما.

فَأَنبَأَهُمْ قَوْلًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ : أي لنذهب بهم إلى أرض المعاد أرض أبيهم

إبراهيم. ﴿وَلَا تُعَذِّبُهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِتَابِعٍ﴾ ﴿٤٨﴾ مِنْ رَبِّكَ ﴿٢﴾ : أي معجزة تدل على صدقنا في دعوتنا وأنا

(١) هذا إلهام لها أو منام إذ لم تكن نية إجماعًا.

(٢) هي اليد والعصا.

رسولا ربك حقاً وصدقاً.

وَأَلْسَلْنَا عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾: أي النجاة من العذاب في الدارين لمن آمن واتقى، إذ الهدى

إيمان وتقوى.

إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾<sup>(١)</sup>: أي كذب بالحق ودعوته، وأعرض

عنهما فلم يقبلهما. ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ﴾ ﴿٤٩﴾.

قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ: أي خلقه الذي هو عليه متميز به عن غيره.

ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾: أي الحيوان منه إلى طلب مطعمه ومشربه، ومسكنه ومنكحه.

قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾: أي قال فرعون لموسى ليصرفه عن إدلائه بالحجج حتى لا

يفتضح: فما بال القرون الأولى كقوم نوح وعاد وثمود في عبادتهم الأوثان؟

قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي: أي علم أعمالهم وجزائهم عليها عند ربي، دعنا من هذا فإنه لا يعيننا.

فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾: أي أعمال تلك الأمم في كتاب محفوظ عند ربي

وسيجزيهم بأعمالهم، إن ربي لا يخطئ ولا ينسى، فإن عذب أو أحر العذاب؛ فإن ذلك لحكمة

اقتضت منه ذلك.

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا: مهذا: فراشاً، وسلك: سهل، وسبلاً: طرقاً.

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾.

فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾: أزواجاً: أصنافاً شتى مختلفة الألوان والطعوم.

كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ: لدلائل واضحات على قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته.

لِأُولَى النَّهْيِ ﴿٥٤﴾: أي أصحاب العقول، لأن النهية العقل وسمي نهية؛ لأنه ينهى صاحبه عن

ارتكاب القبائح كالشرك والمعاصي.

﴿مِنهَا خَلَقْنَاكُمْ: أي من الأرض.

وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ: بعد الموت.

وَمِنهَا نُخْرِجُكُمْ: عند البعث يوم القيامة.

تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾: أي مرة أخرى: إن الأولى كانت خلقاً من طين الأرض وهذه إخراجاً من

الأرض.

وَلَقَدْ آرَيْنَهُ ءآيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾: أي أبصرناه حججنا وأدلتنا على حقيقة ما أرسلنا به

رسولينا موسى وهارون إليه كلها فرفضها وأبى أن يصدق بأنهما رسولان إليه من رب العالمين.

(١) قوله تعالى: ﴿أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ هذه أرجى آية للموحدين؛ لأنهم لم يكذبوا ولم يتولوا.

(٢) البال: الحال أي: ما حالها وما شأنها؟

قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَّكَ مِنْ أَرْضِنَا : أي أرض مصر التي فرعون ملك عليها.  
بِسِحْرِكَ يَمْوَسَى ﴿٥٧﴾ : يشير إلى العصا واليد البيضاء. ﴿فَلَمَّا آتَيْتَكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَأَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ﴾

مَكَانًا سَوِيًّا ﴿٥٨﴾ : أي مكان عدل بيننا وبينك ونصّف، صالحًا للمباراة بحيث يكون ساحة كبرى  
مكشوفة مستوية يرى ما فيها كل ناظر إليها.

قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ : أي يوم عيد يتزينون فيه ويقعدون عن العمل.  
وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَى ﴿٥٩﴾ : أي وأن يؤتى بالناس من كل أنحاء البلاد للنظر في المباراة.  
فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ : أي انصرف من مجلس الحوار بينه وبين موسى وهارون في كبرياء وإعراض.  
فَجَمَعَ كَيْدَهُ : أي ذوي كيده وقوته من السحرة. ﴿ثُمَّ أَنَّى ﴿٦٠﴾﴾  
قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ : دعاء عليهم معناه: ألزمكم الله الويل وهو الهلاك. ﴿لَا تَقْرَأُوا عَلَى اللَّهِ  
كَذِبًا﴾

فَسَجَّحْتُمْ بَعْدَابٍ : أي يهلككم بعداب من عنده. ﴿وَقَدْ خَابَ مِنْ أَفْرَى ﴿٦١﴾﴾  
فَنَزَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ : أي في شأن موسى وهارون أي هل هما رسولان أو ساحران؟  
وَأَسْرَأُ النَّجْوَى ﴿٦٢﴾ : وهي قولهم: ﴿إِنْ هَذَا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ...﴾ الخ. ﴿قَالُوا إِنْ هَذَا لَسِحْرَانِ  
يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا﴾

وَيَذَّهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ﴿٦٣﴾ : أي ويغلبا على طريقة قومكم وهما أشرافهم وساداتهم.  
فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ : أي أحكموا أمر كيدكم حتى لا تختلفوا فيه. ﴿ثُمَّ أَتَوُا صَفَا﴾  
وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعَلَى ﴿٦٤﴾ : أي قد فاز من غلب.  
قَالُوا يَمْوَسَى إِمَّا أَنْ تُلْفَى : أي عصاك. ﴿وَإِمَّا أَنْ تُكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْفَى ﴿٦٥﴾﴾  
قَالَ بَلْ أَلْفُوا فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ بِخَيْلٍ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنهَا تَسْمَى ﴿٦٦﴾ : أي فخيّل إلى موسى أنها حية  
تسمى، لأنهم ظلّوها بالزئبق فلما ضربت الشمس عليها اضطربت واهتزت؛ فخيّل إلى موسى أنها  
تتحرك.

فَأَوْجَسَ <sup>(١)</sup> فِي نَفْسِهِ خَيْفَةَ مُوسَى ﴿٦٧﴾ : أي أحس بالخوف في نفسه.  
فَلَمَّا لَا تَخَفُ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ : أي الغالب المنتصر.  
وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفَ مَا صَنَعُوا : أي تبتلع بسرعة ما صنع السحرة من تلك الحبال والعصي.  
إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سِحْرٍ : أي كيد سحر لا بقاء له ولا ثبات.  
وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾ : أي لا يفوز بمطلوبه حيثما كان.

(١) ﴿فَأَوْجَسَ﴾ : أي أحس ووجد أي: خاف أن يفتن الناس قبل أن يلقي العصا.



فَأَلْقَى السِّحْرَ سُجُودًا : أي ألقوا بأنفسهم ورءوسهم على الأرض ساجدين. ﴿قَالُوا ءَأَمْنَا رَبَّ هٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ (٧٠).

قَالَ ءَأَمَّنْتُمْ لَهُ، قِيلَ أَنْ ءَاذَنَّا لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ : أي لمعلمكم. ﴿الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ .  
فَلَا قُطِعَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ : أي يد اليمنى مع رجل يسرى. ﴿وَلَأَصْلَبْتَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ .

وَلَعَلَّمْنَا أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (٧١) : يعني نفسه -لعنه الله- ورب موسى أشد عذابًا وأدومه على مخالفته وعصيانه.

قَالُوا لَنْ نُؤْتِيَكَ : أي لن نفضلك ونختارك على ما جاءنا من البينات والذی فطرنا : أي خلقنا ولم نكن شيئًا.

فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ : أي اصنع ما قلت: إنك تصنعه بنا. ﴿إِنَّمَا نَقْضِي هٰذِهِ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا﴾ (٧٢) إِنَّا ءَأَمْنَا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (٧٣) : أي خير منك ثوابًا إذا أطيع وأبقى منك عذابًا إذا عصي.

إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا : مجرمًا أي على نفسه مفسدًا لها بآثار الشرك والكفر والمعاصي. ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ (٧٤) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ (٧٥) جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴿

وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى (٧٦) : أي ثواب من تطهر من آثار الشرك والمعاصي وذلك بالإيمان والعمل الصالح.

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي : أي سر ليلاً من أرض مصر.  
فَأَضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا : طريقًا في وسط البحر يابسًا لا ماء فيه.  
لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى (٧٧) : أي لا تخش أن يدركك فرعون، ولا تخش غرقًا.  
فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ يَجُنُّدُهُ، فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (٧٨) : أي فغطاهم من ماء البحر ما غطاهم حتى غرقوا فيه.

وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ : أي بدعائهم إلى الإيمان به والكفر بالله رب العالمين.  
وَمَا هَدَىٰ (٧٩) : أي لم يهدهم كما وعدهم بقوله وَمَا أَهْدِيكُمُ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٨٠) .  
يَسْبِقِ إِسْرَءِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَنَابَ الطُّورِ الْآتِمْنَ : أي لأجل إعطاء موسى التوراة التي فيها نظام حياتهم دنيًا ودنيا.

وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى (٨١) : المن: شيء أبيض كالثلج، والسلوى: طائر يقال له السمانى.  
كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ : أي بالإسراف فيه، وعدم شكر الله تعالى عليه. ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ (٨٢) .

وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴿٨٦﴾ : أي بالاستقامة على الإيمان والتوحيد

والعمل الصالح حتى الموت.

﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ : أي شيء جعلك تترك قومك وتأتي قبلهم. ﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿بِمُوسَى﴾

قَالَ هُمْ أَوْلَاءٌ عَلَيَّ أَثَرِي : أي آتون بعدي وليسوا ببيعيدين مني.

وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٨﴾ : أي استعجلت المجيء إليك طلباً لرضاك عني.

قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ : أي ابتليناهم أي بعبادة العجل.

وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٩﴾ : أي عن الهدى الذي هو الإسلام إلى الشرك وعبادة غير الرب تعالى.

فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا : أي شديد الغضب والحزن.

قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا : أي بأن يعطيكم التوراة فيها نظام حياتكم وشريعة ربكم

لتكملوا عليها وتسعدوا.

أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ : أي مدة الموعد وهي ثلاثون يوماً قبل أن يكملها الله تعالى أربعين

يوماً. ﴿ أَمْ <sup>(١)</sup> أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾

فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي <sup>(٢)</sup> ﴿٩٠﴾ : بترككم المجيء بعدي.

قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا : أي بأمرنا وطاقتنا، ولكن غلب علينا الهوى فلم نقدر على

إنجاز الوعد بالسير وراءك.

وَلَكِنَّا جُمَلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ : أي أحمالاً من حلي نساء الأقباط وثيابهم.

فَقَدَفْنَاهَا : أي ألقيناها في الحفرة بأمر هارون عليه السلام.

فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٩١﴾ : السامري هو موسى بن ظفر من قبيلة سامرة الإسرائيلية، وما ألقاه هو

التراب الذي أخذه من تحت حافر فرس جبريل، ألقاه أي قذفه على الحلي.

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا : أي ذا جثة.

لَهُ خَوَارٌ : الخوار صوت البقر، والخوار صوت العجل، والجوار مثله.

فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿٩٢﴾ : أي موسى ربه هنا وذهب يطلبه.

أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا : أنه لا يكلمهم إذا كلموه لعدم نطقه بغير الخوار. ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ

ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ ﴿٩٣﴾

وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ : أي ابتليتكم به أي بالعجل. ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ

(١) ﴿ أَمْ ﴾ بمعنى: بل والاستفهام بعدها إنكار أي: أنكر عليهم إرادتهم حلول غضب الله عليهم بسبب شركهم بعبادة العجل.

(٢) المراد من موعده إياهم: هو ما عهد به إليهم بأن يلزموا طاعة هارون ويسيروا معه بدون تأخر حتى يلحقوا به في جبل الطور فأخلفوا ذلك فعصوا هارون وعكفوا على عبادة العجل وتركوا السير على إثره كما طلب منهم.

فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩١﴾ (١).

قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ : أي لن نزال عاكفين على عبادته. ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ الْيَنَامُوسَىٰ﴾ ﴿٩١﴾ .  
 قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ : أي بعبادة العجل واتخاذها إلهاً من دون الله تعالى.  
 أَلَا تَتَّبِعِينَ : ألا تتبعيني: أي بمن معك من المؤمنين وترك المشركين. ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ ﴿٩٣﴾ (٢).

قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي : حيث أخذ موسى من شدة غضبه بلحية أخيه وشعره يجره إليه يعذله ويلوم عليه. ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ .  
 وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ : أي ولم تنتظر قولي فيما رأيت في ذلك.

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِرِي ﴿٩٥﴾ : أي ما شأنك وما هذا الأمر العظيم الذي صدر منك؟  
 قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ : أي علمت من طريق الإبصار والنظر ما لم يعلموا به؛ لأنهم لم

يروه.

فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ : أي قبضت قبضة من تراب أثر حافر فرس الرسول جبريل

ﷺ.

فَبَدَتْهَا : أي ألقيتها وطرحتها على الحلي المصنوع عجلاً.

وَكَذَلِكَ سَوَّلْتِ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ : أي زينت لي هذا العمل الذي هو صنع العجل.  
 قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ : أي اذهب تائها في الأرض طول حياتك وأنت تقول: لا مساس أي لا يمسنني أحد ولا أمسه، لما يحصل من الضرر العظيم لمن تمسه أو يمسك.

وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلَفَهُ، وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ : أي العجل.

الَّذِي ظَلَمْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا : أي ظللت طوال الوقت عاكفاً عليه.

لَنُحَرِّقَنَّهُ، ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ : أي في البحر ننسفه بعد إحراقه وجعله كالنشارة نسفاً.

إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ : أي لا معبود لكم إلا الله. ﴿الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿٩٨﴾ .

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ : أي كما قصصنا عليك هذه القصة قصة موسى وفرعون وموسى وبني إسرائيل نقص عليك من أنباء الرسل. وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ : أي قرآنًا وهو القرآن الكريم.

(١) أي: لا أمر السامري أو: فاتبعوني في مسيري إلى موسى ودعوا العجل فعصوه.

(٢) أمره هو قوله له عند مغادرة بني إسرائيل إلى جبل الطور: ﴿اخْلُقْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ فلما أقام معهم ولم يبالغ في منعهم والإنكار عليهم نسبة إلى عصيانه ومخالفة أمره، وهذا دليل على واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتغييره ومفارقة أهله، وأن المقيم بينهم لا سيما إذا كان راضياً حكمه كحكمهم.

مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ : أي لم يؤمن به ولم يقرأه ولم يعمل به.  
فَاتَهُ، يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴿١٣٠﴾ : أي حملاً ثقيلاً من الآثام. ﴿خَلِيدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾

﴿١٣١﴾

يَوْمَ يُفْتَحُ فِي الصُّورِ : أي النفخة الثانية وهي نفخة البعث، والصور هو القرن.  
وَيَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٣٢﴾ : أي عيونهم زرق ووجوههم سود آية أنهم أصحاب الجحيم.  
يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ : أي يخفضون أصواتهم يتسارون بينهم من شدة الهول. ﴿إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾

﴿١٣٣﴾

أي : في الدنيا أو في القبور.  
نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً : أي أعدلهم رأياً في ذلك، وهذا كله لعظم الموقف  
وشدة الهول والفرع. ﴿إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ ﴿١٣٤﴾

وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ : أي المشركون عن الجبال كيف تكون يوم القيامة؟

فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٣٥﴾ : أي يفتتها ثم تذررها الرياح فتكون هباء منبثاً.

فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٣٦﴾ : أي مستويًا. (أي أرضاً مستوية).

لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٣٧﴾ : أي لا ترى فيها انخفاضاً ولا ارتفاعاً.

يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ : أي إلى المحشر يدعوهم إليه للعرض على الرب تعالى.

لَا عِوَجَ لَهُ : فلا يميلون عن صوته يمنة ولا يسرة.

وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٣٨﴾ : أي سكنت فلا يسمع إلا الهمس وهو صوت

الأقدام الخفي.

يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفِيعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٣٩﴾ : بأن قال: لا إله إلا الله من قلبه صادقاً.

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ. عَلِمًا ﴿١٤٠﴾ : الله تعالى يعلم ما بين أيدي الناس وما

خلفهم وهم لا يحيطون به علماً.

وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ : أي ذلت وخضعت للرب الحي الذي لا يموت.

وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١٤١﴾ : أي جاء يوم القيامة يحمل أوزار الظلم وهو الشرك.

وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١٤٢﴾ : أي لا يخاف ظلمًا بأن يزداد في

سيئاته ولا هضمًا بأن ينقص من حسناته.

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا : أي مثل ذلك الإنزال أنزلنا قرآنًا عربيًّا أي بلغة العرب ليفهموه.

وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ : أي من أنواع الوعيد، وفنون العذاب الدنيوي والأخروي.

لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١٤٣﴾ : أي بهلاك الأمم السابقة فيتعظون فيتوبون ويسلمون.

فَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكِ الْحَقُّ : أي عما يقول المفترون ويشرك المشركون.

وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ : أي بقراءته.

مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ: أي من قبل أن يفرغ جبريل من قراءته عليك. ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (١١٤).

وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ: أي وصيناه أن لا يأكل من الشجرة.

فَنَسِيَ: أي عهدنا وتركه.

وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥): أي حزمًا وصبرًا عما نهيناه عنه.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ: أي اذكر قولنا للعظة والاعتبار.

أَسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (١١٦): أي امتنع من السجود لكبر في نفسه؛ إذ هو ليس

من الملائكة وإنما هو أبو الجان كان مع الملائكة يعبد الله معهم.

فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ: أي حواء ومعنى عدو: أنه لا يحب لكما الخير بل يريد

لكما الشر.

فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧): أي بالعمل في الأرض إذ تزرع وتحصد وتطحن وتخبز حتى

تتغذى.

إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى (١١٩): أي لا تعطش ولا يصيبك

حر شمس الضحى المؤلم في الأرض.

فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ: أي التي يخلد من أكل منها.

وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (١٢٠): أي لا يفنى ولا يببىد، ولازم ذلك الخلود.

فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لهُمَا سَوْءَ تُوهُمَا: أي ظهر لكل منهما قُبُلٌ صاحبه ودبره فاستاءا لذلك.

وَطَفِيقًا يَخِصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ: أي أخذوا وجعلوا يلزقان ورق الشجر عليهما سترًا

لسوءاتهما.

وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١): أي بالأكل من الشجرة المنهي عنها.

ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (١٢٢): أي اختاره لولايته فهداه للتوبة فتاب ليكون عبدًا صالحًا.

قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا: أي آدم وحواء من الجنة وإبليس سبق أن أبلس وأهبط..

بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ: أي آدم وحواء وذريتهما عدو لإبليس وذريته، وإبليس وذريته عدو لآدم

وحواء وذريتهما.

فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى: أي فإن يأتكم مني هدى وهو كتاب ورسول.

فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ: أي الذي أرسلت به رسولي وهو القرآن.

فَلَا يَضِلُّ: أي في الدنيا.

وَلَا يَشْقَى (١٢٣): في الآخرة.

وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي: أي عن القرآن فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه.

فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا : أي ضيقة تضيق بها نفسه ولم يسعد بها ولو كانت واسعة.

وَتَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ : أي أعمى البصر لا يبصر.

قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ : أي ذا بصر في الدنيا وعند البعث.

قَالَ كَذَلِكَ : أي الأمر كذلك.

أَنْتَكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنَسِّي ﴿١٢٦﴾ : أي فكما نسيتها تنسى في جهنم.

وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ : أي وكذلك الجزاء الذي جازينا به من نسي آياتنا نجزي من أسرف في

المعاصي ولم يقف عند حد.

وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ۗ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾ : أي أشد من عذاب الدنيا وأدوم فلا ينقضي

ولا ينتهي.

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ : أي أفلم يبين لهم.

كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ : أي من أهل القرون.

يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ : أي الذين هم يمشون في مساكنهم.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿١٢٨﴾ : أي أصحاب العقول الراجحة إذ النهي العقل.

وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ : أي بتأخير العذاب عنهم.

لَكَانَ لِرِزْمًا : أي العذاب لازماً لا يتأخر عنهم بحال.

وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ : أي عند الله في كتاب المقادير لا يتبدل ولا يتغير.

فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ : من كلمات الكفر، ومن مطالبتهم بالآيات. وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ

الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا <sup>(١)</sup>.

وَمِنْ ءَانَائِ اللَّيْلِ : أي ساعات الليل واحداً أنى أو أنو.

فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿١٣٠﴾ : أي رجاء أن تثاب الحسن الذي ترضى به.

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ : أي رجالاً منهم من الكافرين <sup>(٢)</sup>.

زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا : أي زينة الحياة الدنيا وقيل: فيها زهرة؛ لأنها سرعان ما تذبل وتذوى.

لِنَبْتَلِيَهُمْ فِيهِ : أي لنبتليهم في ذلك أيشكرون أم يكفرون. ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٣١﴾ وَأَمْرٌ أَهْلَكَ

بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ ﴿١٣٢﴾.

(١) والتسبيح ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ هو صلاة الصبح ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ هو صلاة العصر ﴿وَمِنْ ءَانَائِ اللَّيْلِ﴾ أي: ساعات الليل وهما صلاتا المغرب والعشاء، ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ هو صلاة الظهر؛ لأنها تقع بين طرفي النهار أي: نصفه الأول ونصفه الثاني وذلك عند زوال الشمس.

(٢) أزواجاً: رجالاً ونساءً لأن الرجل زوج والمرأة زوج والتعبير نطق أزواجاً للدلالة على العائلات والبيوت أي: إلى ما متعناهم به من مال وبنين.

وَالْعَقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴿١٢٢﴾ : العاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة لأهل التقوى.  
 وَقَالُوا لَوْلَا يَا تِينَا : أي هلا فهي أداة تحضيض وحث على وقوع ما يذكر بعدها.  
 يَا أَيُّهَا مَنْ رَبِّهِ : أي معجزة تدل على صدقه في نبوته ورسالته.  
 أَوْلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٢٣﴾ : أي المشتمل عليها القرآن العظيم من أنباء الأمم  
 الماضية وهلاكهم بتكذيبهم لرسولهم.  
 وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ : من قبل إرسالنا رسولنا محمداً ﷺ وإنزالنا كتابنا القرآن.  
 لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ وَنَخْزِي ﴿١٢٤﴾ : أي من قبل أن  
 يصيبنا الذل والخزي يوم القيامة في جهنم.  
 قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ : أي منتظر ما يتول إليه الأمر.  
 فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ : أي يوم القيامة.  
 مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ : أي الدين الصحيح وهو الإسلام.  
 وَمَنْ أَهْتَدَى ﴿١٢٥﴾ : أي من ضل نحن أم أنتم؟  
 الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات



## ٢١ - سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ : أي قرب زمن حسابهم وهو يوم القيامة.

وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ : أي عما هم صائرون إليه.

مُعْرِضُونَ (١) : أي عن التأهب ليوم الحساب بصالح الأعمال بعد ترك الشرك والمعاصي.

مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ : أي من قرآن نازل من ربهم محدث جديد النزول.

إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) : أي ساخرين مستهزئين.

لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ (٣) وَأَسْرُوا النَّجْوَى : أي أخفوا مناجاتهم بينهم. ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ

مِثْلَكُمْ أَفَأَتُوكَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٤) قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ (٥) .

بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمٌ : أي أخلاط رأها في المنام.

بَلْ أَفْتَرْتَهُ : أي اختلقه وكذبه ولم يوح إليه. ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْنَسْ بِشَابِئِهِ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ (٦)

مَا أَمَنْتَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ (٧) : أي لا يؤمنون فلا استفهام للنفي.

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ : يا محمد. ﴿وَالرَّجُلَ الْأَنُوحِيَّ إِلَيْهِمْ .

فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ : أي الكتاب الأول وهم أهل الكتاب. ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٨) .

وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا : أي أجسادا آدمية. ﴿لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ (٩) .

ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ : أي الذي واعدناهم.

فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ (١٠) : أي في الظلم والشرك والمعاصي.

لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا : هو القرآن العظيم.

فِيهِ ذِكْرُكُمْ : أي ما تذكرون به ربكم، وما تذكرون به من الشرف بين الناس. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١١)

وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ : أي وكثير من أهل القرى قصمناهم بإهلاكهم وتفتيت أجسامهم.

كَانَتْ ظَالِمَةً : أي كان أهلها ظالمين. ﴿وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (١٢) فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَا .

إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (١٣) : أي فارين هاربين.

(١) لاهية: ساهية معرضة عن ذكر الله تعالى.



لَا تَرْكُضُوا وَأَرْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ : أي من وافر الطعام والشراب والمسكن والمركب.

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾ : أي عن شيء من دنياكم على عادتكم. ﴿قَالُوا يَا بُولَاقَ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾﴾ .  
فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَتُهُمْ : أي دعوتهم التي يرددونها وهي : (يا ويلنا إنا كنا ظالمين).  
حَقَّقَ جَعَلْنَهُمْ حَصِيدًا خَمِيدِينَ ﴿١٥﴾ : أي لم يبق منهم قائم فهم كالزراع المحصود خامدين لا حراك لهم كالنار إذا أحمدت.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ﴿١٦﴾ : أي عابثين لا مقصد حسن لنا في ذلك.  
لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا : أي زوجة وولداً.  
لَا تَخَذِنُهُ مِن لَدُنَّا : أي من عندنا من الحور العين أو الملائكة. ﴿إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ ﴿١٧﴾﴾ .  
بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ : أي نرمي بالحق على الباطل.  
فَيَدْمَغُهُ : أي يشج رأسه حتى تبلغ الشجة دماغه فيهلك.  
فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ : أي ذاهب مضمحل.  
وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴿١٨﴾ : أي ولكم العذاب الشديد من أجل وصفكم الكاذب للديان بأن له زوجة وولداً وللرسول بأنه ساحر ومفتر.

وَلَهُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : خلقاً وملكاً وتدييراً لا شريك له في ذلك.  
وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ : أي لا يعيون ولا يتعبون فيتركوا التسييح.

يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ : عن التسييح لأنه منهم كالنفس منا لا يتعب أحدنا من النفس ولا يشغله عنه شيء.

أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِنَ الْأَرْضِ : أي من معادنها كالذهب والفضة والنحاس والحجر (١).  
هُمْ يُنْشِرُونَ ﴿٢١﴾ : أي يحيون الأموات إذ لا يكون إلهاً حقاً إلا من يحيي الموتى.  
لَوْ كَانَ فِيهِمَا : أي في السموات والأرض.  
إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا : أي السموات والأرض لأن تعدد الآلهة يقتضي التنازع عادة وهو يقضي بفساد النظام.

فَسَبَّحَنَّا اللَّهَ : أي تنزيهه لله عما لا يليق بجلاله وكماله.  
رَبِّ الْعَرْشِ : أي خالقه ومالكة والمختص به.  
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ : أي الله تعالى من صفات النقص كالزوجة والولد والشريك.

(١) ﴿أَمْ﴾ بمعنى: بل والاستفهام التعجبي، أي: بل اتخذوا من دون الله آلهة يا للعجب.

لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿٣٦﴾ : إذ هو الملك المتصرف وغيره يُسأل عن فعله لعجزه وجهله وكونه مربوبًا.

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ : أي على ما اتخذتم من دونه من آلهة ولا برهان لهم على ذلك فهم كاذبون.

هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ : أي القرآن ذكر أمتي.

وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي : أي التوراة والإنجيل، وغيرهما من كتب الله، الكل يشهد أنه لا إله إلا الله.

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ : أي توحيد الله ووجوبه على العباد. ﴿فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ .

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٣٥﴾ : أي وحدوني في

العبادة فلا تعبدوا معي غيري إذ لا يستحق العبادة سواي.

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا : أي من الملائكة حيث قالوا: الملائكة بنات الله، تعالى الله عن ذلك.

سُبْحَانَهُ : تنزيه له تعالى عن اتخاذ الولد.

بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٣٦﴾ : هم الملائكة، ومن كان عبدًا لا يكون ابنًا ولا بنتًا.

لَا يَسْئَلُونَهُ بِالْقَوْلِ : أي لا يقولون حتى يقول هو، وهذا شأن العبد لا يتقدم سيده بشيء.

وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٣٧﴾ : أي فهم مطيعون متأدبون لا يعملون إلا بإذنه لهم.

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ <sup>(١)</sup>

وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى : أي إلا لمن رضي تعالى أن يشفع له.

وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٣٨﴾ : أي خائفون.

﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ ﴾ : أي من دون الله كإبليس عليه لعائن الله.

فَذَلِكَ نَجْزِيهِمْ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ : أي لأنفسهم بالشرك والمعاصي.

أُولَئِكَ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا : أي كتلة واحدة منسدة لا انفتاح فيها.

فَفَنَقْنَاهُمَا : أي جعلنا السماء سبع سموات والأرض سبع أرضين.

وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٠﴾ <sup>(٢)</sup>

وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ : أي جبالًا ثابتة.

أَنْ نَمِيدَ بِهِمْ : أي تتحرك فتميل بهم.

وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا : أي طرقًا واسعة يسلكونها تصل بهم إلى حيث يريدون.

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعلم ما عملوا وما هم عاملون كما يعلم ما بين أيديهم من الآخرة وما خلفهم من الدنيا.

(٢) ﴿ وَجَعَلْنَا ﴾ بمعنى: خلقنا، وهذا اللفظ صالح للدلالة على أن كل شيء في هذه المخلوقات من الحيوان والنبات خلق من الماء، والثاني: أن حياة هذه المخلوقات تحفظ بالماء، وفي الحديث: «كل شيء خلق من الماء». رواه أحمد وإسناده على شرط الشيخين.

لَعَالَهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ : إلى مقاصدهم في أسفارهم. ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا <sup>(١)</sup> مَحْفُوظًا﴾ من السقوط ومن الشياطين.

وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا : من الشمس والقمر والليل والنهار. ﴿مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ .

كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ : الفلك: كل شيء دائر.

وَمَا جَعَلْنَا لِلشَّرِّ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ : أي البقاء في الدنيا. ﴿أَفَأَيْنَ مَتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ .

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ : أي مرارة مفارقة الجسد.

وَنَبْلُوكُمْ : أي نختبركم.

بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ : فالشر كالفقر والمرض، والخير كالغنى والصحة.

فِتْنَةً : أي لأجل الفتنة ننظر أتصبرون وتشكرون أم تجزعون وتكفرون؟ ﴿وَاللَّيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ .

وَإِذْ رَأَىكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا : أي ما يتخذونك إلا هزوءًا أي مهزوءًا بك.

أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ : أي يعيها.

وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ : حيث أنكروا اسم الرحمن لله تعالى وقالوا: ما

الرحمن؟

خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ : حيث خلق الله آدم في آخر ساعة من يوم الجمعة على عجل، فورث بنوه

طبع العجلة عنه <sup>(٢)</sup> .

سَأُورِيكُمْ آيَاتِي : أي سأريكم ما حملته آياتي من وعيد لكم بالعذاب في الدنيا والآخرة. ﴿فَلَا

تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ .

لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ : أي لا يمنعون ولا يدفعون. ﴿عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ

ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ .

بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً : أي تأتيهم القيامة بغتة أي فجأة.

فَتَبْهَتُهُمْ : أي تحيرهم.

فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ : أي يمهلون ليتوبوا <sup>(٣)</sup> .

(١) سميت السماء سقفاً لأنها مرفوعة فوق الأرض مظلمة لها كالسقف على الدار.

(٢) إن طبع الإنسان العجلة، إنه يستعجل الأشياء وإن كان فيها مضرت، ولفظ الإنسان جائز أن يكون المراد به جنس الإنسان أو آدم ﷺ.

(٣) جواب لو: محذوف تقديره: لما استعجلوا، أي: لو عرف هؤلاء المستعجلون وقت لا تزول فيه النار عن وجوههم وعن ظهورهم لما استعجلوا العذاب.

وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُمْ بُرْسُلِي مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ : أي نزل بهم العذاب الذي كانوا به يستهزئون.

قُلْ مَنْ يَكْفُرْ كُفْرًا : أي من يحفظكم ويحرسكم. ﴿بِالنَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ .

مِنَ الرَّحْمَنِ : أي من عذابه إن أراد إنزاله بكم.

بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ : أي هم عن القرآن.

مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ : فلا يسمعون إليه ولا يفكرون فيه.

أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ : أي

لا يجدون من يجيرهم من عذابنا.

بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ : أي بما أنعمنا عليهم من الخيرات <sup>(١)</sup>.

حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ <sup>(٢)</sup> : فانغروا بذلك. ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ :

أي بالفتح على النبي وأصحابه المؤمنين.

أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ : الله هو الغالب.

قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ : أي بأخبار الله تعالى التي يوحىها إليّ وليس هناك شيء من عندي.

﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ .

وَلَكِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ : أي وقعة من عذاب خفيفة.

لَيَقُولُنَّ يَا بَنِي آدَمَ : أي يقولون : يا ويلنا : أي يا هلاكنا.

إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ : أي بالشرك والتكذيب للرسول ﷺ .

وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ : أي العادلة. ﴿لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ .

فَلَا نُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا : لا بنقص حسنة، ولا بزيادة سيئة.

وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ : أي زنة حبة من خردل.

أَتَيْنَاهَا وَكَفَىٰ بِهَا حَسِيبًا ﴿٤٧﴾ : أي محصين في كل شيء.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ : التوراة لأنها فارقة بين الحق والباطل كالقرآن <sup>(٣)</sup>.

وَضِيَاءً : أي يهدي إلى الحق في العقائد والشرائع.

وَذَكَرْنَا : أي موعظة. ﴿لِلْمُنْفِقِينَ﴾ ﴿٤٨﴾ .

الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ : أي يخافون ربهم وهم لا يرونه في الدنيا فلا يعصونه بترك

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما : يريد أهل مكة. أي: بسطنا لهم ولآبائهم نعيمها.

(٢) ﴿طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ أي: في النعمة فظنوا أنها لا تزول عنهم؟ فانغروا وأعرضوا عن تدبر حجج الله ﷻ.

(٣) وفسر الفرقان بالتوراة أيضًا، وهو حق أيضًا، جازت أن يكون النصر، إذ معنى الفرقان: أنه ما يفرق به بين الحق والباطل بالقول أو العمل.

واجب ولا بفعل حرام.

وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ : أي وهم من أهوال يوم القيامة وعذابه خائفون.

وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ : أي القرآن الكريم تنال بركته قارئه والعامل به.

أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾ : الاستفهام للتوبيخ؛ يوبخ تعالى من أنكر أن القرآن كتاب الله.

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾<sup>(١)</sup> : أي هداه بمعرفة ربه والإيمان به ووجوب طاعته

والتقرب إليه. ﴿ وَكُنَّا بِهِ عَلِيمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ﴿

مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ : جمع تمثال: وهو الصورة المصنوعة على شبه إنسان أو حيوان.

الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ : أي مقبلون عليها ملازمين لها تعبدًا. ﴿ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ

﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَلْحَقْنَا بِالْحَقِّ ﴿

أَمَأْتُمْ مِنَ اللَّعِينِ ﴿٥٥﴾ : أي الهازلين غير الجادين فيما يقولون أو يفعلون.

قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : أي المستحق للعبادة مالك السموات والأرض.

الَّذِي فَطَرَهُمْ : أي أنشأهم خلقًا وإيجادًا على غير مثال سابق. ﴿ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ

﴿٥٦﴾

وَتَأْتِيهِمْ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ : أي لأحتالن على كسر أصنامكم وتحطيمها. ﴿ بَعْدَ أَنْ تُولَّوْا مُدْبِرِينَ

﴿٥٧﴾

فَجَعَلَهُمْ جُودًا : فتاتا وقطعا صغيرة.

إِلَّا كِبِيرًا لَهُمْ : إلا أكبر صنم لهم فإنه لم يكسره.

لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ : كي يرجعوا إليه فيؤمنوا بالله ويوحده بعد أن يظهر لهم عجز

آلهتهم<sup>(٣)</sup>.

قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا : أي بأصنامهم التي سموها آلهة؛ لأنهم يعبدونها ويؤلّهونها بذلك.

﴿ إِنَّهُمْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٥٩﴾

قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَذُكُرُهُمْ : أي بالعيب والانتقاص. ﴿ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾ ﴿٦٠﴾

قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ : أي ظاهرا يرونه بأعينهم.

لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ : أي عليه بأنه الذي كسر الآلهة ويشهدون العقوبة التي نزلها به.

قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا : هذه صيغة الاستنطاق والاستجواب. ﴿ يَا إِلَهِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ ﴿٦٢﴾

(١) جائز أن يكون من قبل موسى وهارون، وجائز أن يكون من قبل النبوة والوحي إليه. والرشد: الصلاح.

(٢) أي: بأهليته لإيتاء الرشد وصالح للنبوة، وجائز أن يكون عالمين به في الوقت الذي قال لأبيه وقومه: ﴿ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ ﴾.

(٣) جائز أن يكون المراد بالرجوع إلى الصنم في تكسيرها.

قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا: أشار بإصبعه نحو الصنم الأكبر الذي علق به الفأس قائلاً: بل فعله كبيرهم هذا وَوَرَىٰ بِأَصْبَعِهِ تَحَاشِيًا لِلْكَذِبِ (١). ﴿فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ (٦٣).  
 فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ: أي بعد التفكير والتأمل حكموا على أنفسهم بالظلم لعبادتهم ما لا ينطق.  
 ﴿فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٦٤).  
 ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ: أي بعد اعترافهم بالحق رجعوا إلى إقرار الباطل فكانوا كمن نكس فجعل رأسه أسفل ورجلاه أعلى.

لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (٦٥): فكيف تطلب منا أن نسألهم.  
 قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦): أي آلهة لا تنفعكم شيئاً ولا تضركم إن أرادت ضرركم.  
 أَلَمْ لَكُمْ: أي قبلاً لكم. ﴿وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٦٧).  
 قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨): أي أحرقوه بالنار انتصاراً لآلهتكم التي كسرها.

قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩): فكانت كذلك فلم يُحرق منه غير وثاقه (الجبل الذي وثق به).  
 وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا: وهو تحريقه بالنار للتخلص منه.  
 فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ (٧٠): حيث خرج من النار ولم تحرقه ونجا من قبضتهم وذهب كيدهم ولم يحصلوا على شيء.

وَبَخَّيْنَاهُ وَلُوطًا: أي ابن أخيه هاران (٢).  
 إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (٧١): وهي أرض الشام.  
 وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً: زيادة على طلبه الولد، فطلب ولدًا فأعطاه ما طلب وزاده آخر (٣).

(١) قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ قاله من أجل أن يقولوا: إنهم لا ينطقون ولا ينفعون ولا يضررون فيقول لهم: فلم تعبدونهم إذا؟! فتقوم له الحجة عليهم من أنفسهم؛ ولذا يجوز فرض الباطل مع الخصم حتى يرجع إلى الحق من ذات نفسه؛ فإنه أقطع للشبهة وأقرب في الحجة.

(٢) هذه النجاة ثانية. الأولى كانت من النار وهذه من ديار الكفار، إذ هاجر من أرض الكلدانيين إلى أرض فلسطين، وهي بلاد الكنعانيين يومئذ، وهجرة إبراهيم هذه أول هجرة في تاريخ الإسلام، إذ خرج إبراهيم وابن أخيه لوط بن هاران وزوجه وابنة عمه سارة عليها السلام، ونصب لوط على المفعول معه، وضمن فعل نجيناه معنى الإخراج فعدي بـ ﴿إلى﴾.

(٣) قال ابن كثير: النافلة: ولد الولد: يعني أن يعقوب ولد إسحاق كما قال: ﴿فَضَحِكْتَ فَشَرَرْنَاهَا إِسْحَاقَ وَيْنَ وَرَأَوْا إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ (٧١) اهـ (قل).

وَكَلَّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٦﴾ : أي وجعلنا كل واحد منهم صالحًا من الصالحين الذين يؤدون حقوق الله كاملة وحقوق الناس كذلك.

وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً : أي يُقتدى بهم في الخير.

يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا : أي يرشدون الناس ويعلمونهم ما به كمالهم ونجاتهم وسعادتهم بإذن الله تعالى لهم بذلك حيث جعلهم رسلاً مبلغين. ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾

وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٧﴾ : أي خاشعين مطيعين قائمين بأمرنا.

وَلَوْطًا ءَأَيْنَتْهُ حُكْمًا وَعِلْمًا : أي أعطينا لوطًا حكمًا أي فصلاً بين الخصوم وفقهًا في الدين، وكل هذا يدخل تحت النبوة والرسالة وقد نبأه وأرسله.

وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَجْأَتِ : كاللواط وغيره من المفاسد.

إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسِيقِينَ ﴿٧٨﴾ : أي عصاة متمردين على الشرع تاركين للعمل به. ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٧٩﴾.

وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ <sup>(١)</sup> : أي واذكر نوحًا إذ دعا ربه على قومه الكفرة.

فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ، فَجَعَلْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٨٠﴾ : أي من الغرق الناتج عن الطوفان الذي عم سطح الأرض. ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٨١﴾.

وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ : أي في الكرم الذي رعته الماشية ليلاً <sup>(٢)</sup>.

إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ : أي رعته ليلاً بدون راع.

وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٨٢﴾ : أي حاضرين صدور حكمهم في القضية لا يخفى علينا شيء من ذلك.

فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ : أي القضية التي جرى فيها الحكم.

وَكُلًّا ءَأَيْنْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا : أي كلًا من داود وولده سليمان، أعطيناه حكمًا: أي النبوة، وعلماً

بأحكام الله ﷻ وفقهها.

وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ : أي معه إذا سبح.

(١) من قبل إبراهيم ولوط ﷺ.

(٢) السوء: بفتح السين مصدر: القبيح المكروه من القول والفعل، ويضم السين اسم مصدر وهو أعم من سوء بفتح السين.

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسموا العنب الكرم، فإن الكرم المسلم متفق عليه. وهذا لفظ مسلم، وفي رواية: «فإنما الكرم قلب المؤمن» (قل).

وَكُنَّا فَلَاحِلِينَ ﴿٧٨﴾ : أي لما هو أغرب وأعجب من تسييح الجبال والطيور فلا تعجبوا.

وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ : هي الدروع وهي من لباس الحرب.

لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ : أي تقيكم وتحفظكم من ضرب السيوف وطعن الرماح.

فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ : أي اشكروا فالاستفهام معناه الأمر هنا.

وَلَسَلِيمَنَّ الرِّيحُ عَاصِفَةٌ تَجْرِي بِأَمْرٍ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا : أي أرض الشام. ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ

﴿٨١﴾

وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يَغْوُصُّوكَ لَهُ : أي في أعماق البحار لاستخراج الجواهر.

وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ : أي دون الغوص كالبناء وغيره وبعض الصناعات.

وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِينَ ﴿٨٢﴾ : أي لأعمالهم حتى لا يفسدوها.

﴿وَأَيُّوبَ : أي واذكر أيوب.

إِذْ نَادَى رَبَّهُ : أي دعاه لما ابتلي بفقد ماله وولده ومرض جسده.

أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ : هو ما ضر بجسده أو ماله أو ولده. ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ

فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا ﴿٨٤﴾

وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٥﴾ : أي عظة للعابدين؛ ليصبروا فيثابوا.

وَأَسْمِعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا : بأن نبأناهم

فانخرطوا في سلك الأنبياء. ﴿وَأَنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾

وَذَا النُّونِ : هو يونس بن متى عليه السلام وأضيف إلى النون الذي هو الحوت في قوله تعالى: ﴿وَلَا

تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴿٨٧﴾ . لأن حوته كبيرة ابتلته.

إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا : أي لربه تعالى حيث لم يرجع إلى قومه لما بلغه أن الله رفع عنهم العذاب.

فَطَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ : أي لن نجسبه ونضيق عليه في بطن الحوت من أجل مغاضبته.

فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ : ظلمة الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل. ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ

إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴿١﴾

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ : أي الكرب الذي أصابه وهو في بطن الحوت. ﴿وَكَذَلِكَ

نُحِىَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

وَرَزَكْرِيًّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا : أي بلا ولد يرث عني النبوة والعلم والحكمة

بقريته، ويرث من آل يعقوب. ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾

﴿١﴾ ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ حيث ترك مداومة قومه والصبر عليهم، أو في الخروج من غير إذن له؛ فتره ربه عن الظلم ونسبه إلى نفسه اعترافًا واستحقاقًا.



فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَخَيَّرُ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي  
الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَكَ رَعْبًا وَرَهْبًا: أي طمعًا فينا، ورهبًا منا: أي خوفًا ورجاء. ﴿وَكَانُوا لَنَا  
خَشِيعِينَ﴾ (٩١).

وَالَّتِي أَحْصَيْتَ فَزَجَّهَا: أي صانته وحفظته من الفاحشة.  
فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا: أي جبريل حيث نفخ في كم درعها (١).  
وَجَعَلْنَاهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (٩١): أي علامة على قدرة الله تعالى (٢) ووجوب عبادته  
بذكره وشكره.

إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً: أي ملتكم وهي الإسلام ملة واحدة من عهد آدم إلى العهد  
المحمدي، إذ دين الأنبياء واحد وهو عبادة الله تعالى وحده بما يشرع لهم.  
وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢): أنا إلهكم الحق حيث خلقتكم ورزقتكم فلا تنبغي العبادة إلا  
لي فاعبدون ولا تعبدوا معي غيري.  
وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ: تفرقوا في دينهم فأصبح لكل فرقة دين كاليهودية والنصرانية  
والمجوسية والوثنيات وما أكثرها.

كُلُّ إِلَهِنَا رَجِعون (٩٣): أي كل فرقة من تلك الفرق التي قطعت الإسلام راجعة إلينا  
وسوف نجزيها بكسبها. ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ (٣) ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾: أي لا  
نكران ولا جحود لعمله بل سوف يجزي به وافيًا.

وَأَنَّا لَهُ كَنُيُوت (٩٤): إذ الكرام الكاتبون يكتبون أعمال العباد خيرا وشرها.  
وَحَكْرًا عَلَى قَرِيْبِهِ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (٩٥): أي ممتنع رجوعهم إلى الدنيا.  
حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ: قبيلتان موجودتان وراء سدهما الذي سيفتح عند قرب  
الساعة، وفي الكلام حذف تقديره: حتى إذا فتح سد يأجوج ومأجوج.

وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ: أي مرتفع من الأرض.  
يَنْسَلُونَ (٩٦): أي يسرعون المشي.  
وَأَقْرَبَ (٤) الْوَعْدِ الْحَقِّ: يوم القيامة. ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصُرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْوِلُنَا قَدْ كُنَّا فِي

(١) إضافة الروح إلى الله تعالى: إضافة تشريف كبيت الله، وقيل فيه: روح الله؛ لأنه مبعوث من قبله ﷺ.

(٢) آية اسم جنس فمريم آية، وعيسى ﷺ آية.

(٣) ﴿مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ من للتبويض إذ من غير الممكن أن يعمل العبد كل الصالحات ويأتي بكل الطاعات، وقوله  
﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ وموحد أيضًا فإن الشرك محبط للعمل.

(٤) قيل: الواو زائدة مقحمة، والمعنى: حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق، فاقترب: جواب إذا  
والواو مقحمة، ومثله: ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ (٩٦)، ﴿وَتَدْنِيْتُهُ﴾ أي: للجبين نادينا، وأجاز بعضهم أن يكون جواب

عَفَلَةٌ مِّنْ هَذَا: أي من يوم القيامة وما فيه من أحداث. ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٤٧).  
 إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ: أي من الأصنام والأوثان.  
 حَصَبُ جَهَنَّمَ: أي ما توقد به جهنم. ﴿أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ﴾ (٤٨).  
 لَوْ كَانَتْ هَتُؤُلَاءِ آلهَةً: أي الأوثان التي يعبدها المشركون من قريش.  
 مَا وَرَدُوهَا: أي لحالوا بين عابديهم ودخول النار، لأنهم آلهة قادرين على ذلك، ولكنهم ليسوا آلهة حق، فلذا لا يمنعون عابديهم من دخول النار.

وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٩﴾: أي العابدون من الناس والمعبودون من الشياطين والأوثان.  
 لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ: أي لأهل النار فيها أنين وتنفس شديد وهو الزفير. ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ (٥٠).  
 وَأَنْهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ لِكثرة الأنين وشدة الأصوات وفضاعة ألوان العذاب.  
 إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى: أي كتب الله تعالى أزلاً أنهم أهل الجنة. ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (٥١). أي عن جهنم مبعدون.

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَةً: أي حس صوتها. ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ (٥٢).  
 لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ: أي عند النفخة الثانية نفخة البعث فإنهم يقومون من قبورهم آمنين غير خائفين. ﴿وَنُنَلِّقَهُمُ الْمَلَائِكَةَ هُنَّ ذَا يَوْمِكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٥٣).  
 يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ: أي يطوي الجبار السماء طي الورقة لتدخل في الظرف.

كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ: أي يعيد الله الخلائق كما بدأهم أول مرة فيبعث الناس من قبورهم حفاة عراة غرلاً، كما ولدوا لم ينقص منهم شيء. ﴿وَعَدَّا عَلَيْنَا وَإِنَّا كُنَّا فَعَلِينَ﴾ (٥٤).  
 وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ: أي في الكتب التي أنزلنا كصحف إبراهيم والتوراة والإنجيل والقرآن.

مِن بَعْدِ الذِّكْرِ: أي من بعد أن كتبنا ذلك في الذكر الذي هو اللوح المحفوظ.

أَنَّ الْأَرْضَ: أي أرض الجنة.

يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿٥٥﴾: هم أهل الإيمان والعمل الصالح من سائر الأمم من أتباع

الرسول عامة.

إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا: أي إن في القرآن لبلاغاً أي: لكفاية وبلغاً لدخول الجنة فكل من آمن به

وعمل بما فيه دخل الجنة.

لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿٥٦﴾: أي مطيعين الله ورسوله.

إذا: ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ﴾ ويكون ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقُّ﴾: معطوفاً.

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾: أي الإنس والجن فالمؤمنون المتقون يدخلون الجنة، والكافرون ينجون من عذاب الإبادة والاستئصال الذي كان يصيب الأمم السابقة. ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحِدٌ﴾.

فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٨﴾: أي أسلموا فالاستفهام للأمر.

فَإِن تَوَلَّوْا فَعَلَّاءَ ذُنُوبِكُمْ: أي أعلمتكم.

عَلَى سَوَاءٍ: أنا وأنتم أنه لا تلاقي بيننا فأنا حرب عليكم وأنتم حرب علي.

وَلِإِن أَدْرَيْتَ: ما أدري. ﴿أَقْرَبُ أَم بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾ ﴿١٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا

تَكْتُمُونَ ﴿٢٠﴾.

وَلِإِن أَدْرَى لَعَلَّهُ (١) فِتْنَةً لَّكُمْ: أي اختبار لكم. ﴿وَمَنْعَ إِلَى حِينٍ﴾ ﴿٢١﴾ فَذَرَبِ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ

الْمُسْتَعَانُ ﴿٢٢﴾.

عَلَى مَا نَصِفُونَ ﴿٢٣﴾: من الكذب من أن النبي ساحر، وأن الله اتخذ ولدًا، وأن القرآن شعر.



(١) لعله أي الإمهال والتأخير.

## ٢٢ - سُورَةُ الْحَجِّ (١)

«مكية ومدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبَّكُمْ : أي عذاب ربكم وذلك بالإيمان والتقوى.

إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ : أي زلزلة الأرض عند مجيء الساعة. ﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (١).

يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ : أي من شدة الهول والخوف تنسى رضيعها وتغفل عنه. ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا﴾ : أي تُسْقَطُ الحوامل ما في بطونهن من الخوف والفرع.

وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ : أي ذاهلون فاقدون رشدهم وصوابهم كالسكارى وما هم بسكارى. ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (٢).

وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ : أي يقول: إن الملائكة بنات الله، وإن الله لا يحيي الموتى.

وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ (٣) : أي متجرد من كل خير، لا خير فيه البتة.

كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ : فرض فيه أن من تولاها أي اتبعه يضلّه عن الحق. ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (٤).

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ : الريب الشك مع اضطراب النفس وحيرتها، والبعث الحياة بعد الموت.

فَاتَّأْنَا خَلْقَتَكُمْ مِّنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ : قطرة المني التي يفرزها الزوجان.

ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ : أي من قطعة دم متجمد تتحول إليه النطفة في خلال أربعين يوماً.

ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ : أي قطعة لحم قدر ما يمضغ المرء تتحول العلقة إليها بعد أربعين يوماً.

مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ : أي مصورة خلقاً تاماً، وغير مخلقة هي السقط يسقط قبل تمام خلقه.

لِنُسَبِّنَ لَكُمْ : أي قدرتنا على ما نشاء، ونعرفكم بابتداء خلقكم كيف يكون.

وَنُقَرِّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ : أي ونبقي في الرحم من نريد له الحياة والبقاء إلى نهاية مدة الحمل،

ثم نخرجه طفلاً سوياً. ﴿إِلَّا أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ (٥).

(١) ذكر القرطبي عن الغرنوي أنه قال: سورة الحج من أعاجيب سور القرآن، نزلت ليلاً ونهاراً، سفراً وحضراً، مكياً ومدنياً، سلمياً وحريراً، ناسخاً ومنسوخاً، محكماً ومتشابهاً.

ثُمَّ لِيَتَّبِعُوا أَشَدَّكُمْ : أي كمال أبدانكم وتمام عقولكم.  
وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى (١) وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ : أي سن الشيخوخة والهرم  
فيخرف.

لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا : أي فيصير كالطفل في معارفه إذ ينسى كل علم علمه.  
وَقَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً : خامدة لا حراك لها ميتة.  
فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ : أي تحركت بالنبات وارتفعت تربتها وأنبتت.  
وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ النَّبَاتَاتِ جَمِيلِ الْمَنْظَرِ حَسَنَةً.  
ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ : أي الإله الحق الذي لا إله سواه، فعبادة الله حق وعبادة غير الله باطل.  
﴿وَأَنَّهُ يُخَيِّمُ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾  
وَأَنَّ السَّاعَةَ : أي القيامة. ﴿ءَاتِيَةٌ لَأَرْبَابِهَا﴾  
وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٧) : أي يحييهم ويخرجهم من قبورهم أحياء كما كانوا قبل  
موتهم.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ : أي في شأن الله تعالى فينسب إلى الله تعالى ما هو منه براء كالشريك  
والولد والعجز عن إحياء الموتى، وهذا المجادل هو أبو جهل.  
بِغَيْرِ عِلْمٍ : أي بدون علم من الله ورسوله.  
وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (٨) : أي ولا كتاب من كتب الله ذي نور يكشف الحقائق ويقرر الحق  
ويبطل الباطل.

ثَانِي عَطْفِهِ : أي لا وعنه تكبراً، لأن العطف الجانب من الإنسان. ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾  
لَهُ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ : وقد أذاقه الله تعالى يوم بدر إذ ذُبح هناك واحتر رأسه. ﴿وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ﴾  
وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ (١٠) : أي بذى ظلم للعبيد فيعذبهم بغير ظلم منهم لأنفسهم.  
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ : أي على شك في الإسلام؛ هل هو حق أو باطل؟ وذلك لجهلهم  
به وأغلب هؤلاء أعراب البادية.

فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ : أي سكنت نفسه إلى الإسلام ورضي به.  
وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ : أي ابتلاء بنقص مال أو مرض في جسم ونحوه.  
أَنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ : أي رجع عن الإسلام إلى ما كان عليه من الكفر الجاهلي.  
خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١١).

(١) قبل بلوغ أشده.

يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَفْعَ لَهُ : أي صنمًا لا يضره إن لم يعبده ولا ينفعه إن عبده. ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ﴾ (١٢).

يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ المَوْلَى : أي قبح هذا الناصر من ناصر.

وَلَيْسَ العَاشِرُ (١٣) : أي المعاشر وهو صاحب الملازم.

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ : أي الفرائض والنوافل وأفعال الخير. ﴿جَنَّتٍ

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (١٤) : من إكرام المطيع وإهانة العاصي، وغير ذلك من

رحمة المؤمن وعذاب الكافر.

مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَضُرَّهُ اللَّهُ : أي محمداً ﷺ. ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.

فَلَيَمْدُدُ سَبَبٍ : أي بحبل.

إِلَى السَّمَاءِ : أي سقف بيته وليختنق غيظًا. ﴿ثُمَّ لَيَقَطَعَنَّ فَيَنْظُرَنَّ﴾.

هَلْ يَذْهَبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ (١٥) : أي في عدم نصرة النبي ﷺ الذي يغيبه (١).

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ : أي ومثل إنزالنا تلك الآيات السابقة أنزلنا القرآن.

ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ (١٦).

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا : أي اليهود.

وَالصَّبِيحِينَ : فرقة من النصاري.

وَالنَّصْرَانِيَّ وَالْمَجُوسَ : عبدة النار والكواكب. ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ﴾.

إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١٧) : أي عالم به حافظ له.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ : أي ألم تر بقلبك فتعلم.

يَسْجُدُ لَهُ : أي يخضع ويذل له بوضع وجهه على الأرض بين يدي الرب تعالى.

مَنْ فِي السَّمَوَاتِ : من الملائكة. ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ﴾.

وَالدَّوَابُّ : من سائر الحيوانات التي تدب على الأرض.

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ العَذَابُ : وجب عليه العذاب فلا بد هو واقع به.

وَمَنْ يَهِنُ اللَّهُ : أي يشقه في عذاب مهين.

فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ : أي ليس له من مكرم أي مسعد ليسعده، وقد أشقاه الله.

إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾.

﴿هَذَانِ حَصْمَانِ : خصم مؤمن وخصم كافر، كل واحد يريد أن يخصم صاحبه.﴾

(١) ﴿ثُمَّ لَيَقَطَعَنَّ﴾ : أي ثم ليقطع الحبل وينظر بعد هذه العملية الانتحارية هل كيده هذا يذهب عنه الذي يغيبه؟

أَخْصَمُوا فِي رَبِّهِمْ: أي في دينه.  
فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ: أي فصلت لهم ثياب على قدر أجسامهم.  
مِنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١١﴾  
يُصْهَرُ بِهِ، مَا فِي بُطُونِهِمْ: أي يذاب بالحميم وهو الماء الحار من شحوم وغيرها. ﴿وَالْجُلُودُ

﴿١٢﴾

وَلَهُمْ مَقَمِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ﴿١٣﴾: جمع مقمعة، وهي آلة من حديد كالجمجم.  
﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾  
وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٤﴾: أي يقال لهم توبيخًا وتقريعًا: ذوقوا عذب النار.  
إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ.  
يُحْكَمُونَ فِيهَا مِنَ الْأَسَاوِرِ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴿١٥﴾: أي أساور من لؤلؤ محلاة بالذهب.  
﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ ﴿١٦﴾

وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ: هو شهادة أن لا إله إلا الله.  
وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿١٧﴾: أي إلى الإسلام إذ هو طريق الله الموصل إلى رضاه وجته.  
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا: جحدوا توحيد الله وكذبوا رسوله وما جاءهم به من عند ربهم.  
وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ: يمنعون الناس من الإسلام، ويصرفونهم عنه.  
وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ: مكة المكرمة والمسجد الحرام ضمنها.  
الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ: المقيم بمكة للتعبد في المسجد الحرام.  
وَالْبَادِ: الطارئ على مكة النازح إليها.  
وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحُكْمِ يُظَلَمِ: إلحادًا: أي ميلاً عن الحق ملتبسًا بظلم لنفسه أو لغيره.  
الباء في إلحاد: الإجماع على أنها صلة لتقوية الكلم لشيوع مثلها في كلام العرب، والأصل:

ومن يرد فيه إلحادًا.

﴿نَذِقَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ ﴿١٨﴾

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ: أي اذكر يا رسولنا إذ بوأنا: أي أنزلنا إبراهيم بمكة مبينين  
له مكان البيت (٢).

أَنَّ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا: أي ووصيناه بأن لا تشرك بي شيئًا من الشرك والشركاء.  
وَطَهَّرَ بَيْتِي: ونظف بيتي من أقدار الشرك وأنجاس المشركين.

(١) نصب على تقدير: ويحلون لؤلؤًا.

(٢) معنى بوأنا لإبراهيم، أي: أريناه أصله، وكان قد درس بطول العهد وأنزلناه فيه.

لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٦٦﴾  
 وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ: أعلم في الناس بأعلى صوتك.  
 يَا تُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ: مشاة وركبانًا على ضواير الإبل.  
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيُذَكِّرَ الْبَشَرَ إِنَّ هُدَايَ لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَإِنَّ اللَّهَ لَكَلِيمٌ ﴿٦٧﴾: طريق واسع بعيد الغور في قارات الأرض. ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾.

وَيَذَكِّرُوا أَسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ: هي أيام التشريق.  
 عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ: أي الإبل والبقر والغنم إذ لا يصح الهدى إلا منها.  
 فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٦٨﴾: أي الشديد الفقر.  
 ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ: أي ليزيلوا أوساخهم المترتبة على مدة الإحرام.  
 وَلِيُوفُوا نَدْوَهُمْ: أي بأن يذبحوا وينحروا ما نذروه لله من هدايا وضحايا.  
 وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ: أي الأمر هذا مثل قول المتكلم: هذا أي ما ذكرت كذا وكذا.

وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَةَ اللَّهِ: جمع حرمة، ما حرم الله تعالى انتهاكه من قول أو فعل.  
 فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، عِنْدَ رَبِّهِ: أي خير في الآخرة لمن يعظم حرمة الله فلا ينتهكها.  
 وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْبَهِيمَةُ إِلَّا مَا يَتَلَأَلُ عَلَيْكُمْ: أي تحريمه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به.

فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ: أي اجتنبوا عبادة الأوثان.  
 وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٧٠﴾: وهو الكذب، وأعظم الكذب ما كان على الله تعالى والشرك وشهادة الزور، وكذلك الكذب على رسول الله ﷺ.

حُفَاءَ اللَّهِ: موحدين له مائلين عن كل دين إلى الإسلام. ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾.  
 وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ: أي سقط.  
 فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ: أي تأخذه بسرعة. ﴿أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ ﴿٧١﴾.  
 ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعْبِيرَ اللَّهِ: أعلام دينه، وهي هنا البُذُنُ بأن تختار الحسنة السمينة منها.  
 فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٧٢﴾: أي تعظيمها ناشئ من تقوى قلوبهم.  
 لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ: منها ركوبها، والحمل عليها بما لا يضرها، وشرب لبنها.  
 إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى: أي وقت معين، وهو نحرها بالحرم أيام التشريق.  
 ثُمَّ جَعَلْنَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٧٣﴾: أي عند البيت العتيق وهو مكة والحرم.  
 وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا: أي ذبائح من بهيمة الأنعام يتقربون بها إلى الله تعالى، ومكان الذبح يقال له: منسك. ﴿لِيَذَكِّرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾.



فَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَجِدْفَلَهُ أَسْلَمُوا : أي انقادوا ظاهراً وباطناً لأمره ونهيه.  
 وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣١﴾ : أي المطيعين المتواضعين الخاشعين.  
 الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ : أي خافت من الله تعالى أن تكون قصرته في طاعته.  
 وَالصَّادِقِينَ عَلَى مَا آصَابَهُمُ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ .  
 وَالتُّبَدَاتُ : جمع بدنة، وهي ما يساق للحرم من إبل وبقر ليذبح تقرباً إلى الله تعالى.  
 جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ : أي من أعلام دينه ومظاهر عبادته. ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ .

صَوَافٍ : جمع صافة وهي القائمة على ثلاث معقولة اليد اليسرى.  
 فَإِذَا وَجِئَتْ جُنُوبُهَا : أي بعد أن تسقط على جنوبها على الأرض لا روح فيها.  
 فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ : القانع<sup>(١)</sup> : السائل، والمعتر: الذي يتعرض للرجل ولا يسأله حياةً وعفةً.

كَذَلِكَ سَخَّرْنَا لَكُمْ : أي مثل هذا التسخير سخرناها لكم لتركبوا عليها وتحملوا وتحلبوا.  
 لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ : أي لأجل أن تشكروا الله تعالى بحمده وطاعته.  
 لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤُهَا : أي لا يرفع إلى الله لحم ولا دم، ولكن تقواه بفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه. وَلَكِنْ يَنَالُهُ النَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ : أي تقولوا: الله أكبر بعد الصلوات الخمس أيام التشريق.  
 عَلَى مَا هَدَيْنَاكُمْ : شكرًا له على هدايته إياكم.  
 وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ : أي الذين يريدون بالعبادة وجه الله تعالى وحده ويؤدونها على الوجه المشروع.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ : قرئ يدفع: أي غوائل المشركين وما يكيدون به المؤمنين.  
 إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ : كثير الخيانة لأمانته وعهوده.  
 كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ : أي جحود لربه وكتابه ورسوله ونعمه عليه.  
 أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا : أي بسبب ظلم المشركين لهم. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ ﴿٣٩﴾

الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ : أي استوجب إخراجهم من ديارهم.

(١) القانع: اسم فاعل من قَنَعَ يَقْنَعُ، فهو قانع إذا سأل وتذلل في السؤال، أما القانع: بمعنى ذي القناعة ففعله: قَنَعَ بكسر النون، قناعة إذا اكتفى بما عنده ولم يسأل.

(٢) هذه الآية نزلت بعد هجرة الرسول ﷺ والمؤمنين إلى المدينة، وفيها إذن بقتال المشركين بعد المنع الأول فهي أول آية بالإذن بالقتال بعدما كان غير مأذون فيه كما تقدم.

إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ : أي إلا قولهم: ربنا الله والله حق، وهل قول الحق يسوغ إخراج قائله؟  
وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمْتُ صَوْمِعُ<sup>(١)</sup> وَيَبِعُ : معابد الرهبان وكنائس النصارى.

وَصَلَوَاتٌ : معابد اليهود باللغة العبرية، مفردها صلوة.

وَمَسْجِدٌ : أي بيوت الصلاة للمسلمين. ﴿يَذْكُرُ فِيهَا اسْمَ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ .

وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ : أي ينصر دينه وعباده المؤمنين.

إِنَّ اللَّهَ لَقَرِيْبٌ عَزِيْزٌ ﴿٤٠﴾ : قادر على ما يريد، عزيز لا يمانع فيما يريد.

الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ : أي نصرناهم على عدوهم ومكنا لهم في البلاد؛ بأن جعلنا السلطة

بأيديهم. ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ .

وَلِلَّهِ عِاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ : أي آخر أمور الخلق مردها إلى الله تعالى الذي يُثِبُّ ويعاقب.

وَلَنْ يُكَذِّبُوكَ : أي إن يكذبك قومك. ﴿فَقَدْ كَذَّبَ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادُ وَثَمُودُ﴾ ﴿٤٢﴾ .

وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ : إذا فلا تأس، فلست وحدك المكذب.

وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ : هم قوم شعيب عليه السلام.

وَكَذَّبَ مُوسَى : أي كذبه فرعون وآله الأقباط.

فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ : أي أهملتهم فلم أعجل العقوبة لهم.

ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ : أي بالعذاب المستأصل لهم.

فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ : أي كيف كان إنكاري عليهم تكذيبهم وكفرهم أكان واقعاً موقعه؟

نعم. إذ الاستفهام للتقرير.

فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا فَخَوَّبَهُ عَلَى عُرُوشِهَا : أي ساقطة على

سقفها.

وَيَبْرُ مُعْطَلَةٍ : أي متروكة لا يستخرج منها ماء لموت أهلها.

وَقَصْرِ مَشِيدٍ ﴿٤٥﴾ : مرتفع مجصص بالجص. ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ

بِهَا أَوْ أذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ .

فَأِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ : أي فإنها أي: القصة لا تعمي

الأبصار فإن الخلل ليس في أبصارهم، ولكن في قلوبهم حيث أعماها الهوى وأفسدتا الشهوة

والتقليد لأهل الجهل والضلال.

وَسَتَعَجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ : أي يطالبونك مستعجلينك بما حذرتهم منه من عذاب الله. ﴿وَلَنْ

(١) في الآية دليل على أنه لا يجوز لنا هدم معابد اليهود والنصارى، وإنما يمنعون من زيادة البناء حتى لا يكون ذلك  
إذناً بالبقاء على الكفر وهو حرام.

يُخَلِّفَ اللَّهُ وَعْدَهُ. ﴿٤٧﴾

وَأَنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ : أي من أيام الدنيا ذات الأربع والعشرين ساعة.

وَكَايِنٍ مِّنْ قَرِيْبَةٍ : أي وكثير من القرى أي العواصم والحوضر الجامعة لكل أسباب الحضارة.

أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ : أي أمهلتها فمددت أيام حياتها، ولم أستعجلها بالعذاب. ﴿٤٨﴾ أَخَذَتْهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٤٨﴾ .

قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ : منذر أي مخوف عاقبة الكفر والظلم بين النذارة. فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ : أي ستر لذنوبهم ورزق حسن في الجنة.

وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ : أي عملوا بجد واجتهاد في شأن إبعاد الناس عن الإيمان بآياتنا، وما تحمله من دعوة إلى التوحيد وترك الشرك والمعاصي. ﴿٥١﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ . وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ : الرسول ذكر من بني آدم أوحى إليه بشرع وأمر بإبلاغه، والنبي مقرر لشرع من قبله.

إِلَّا إِذَا تَمَنَّيَ أَلْفَى الشَّيْطَانُ فِي أَمْنِيَّتِهِ : أي قرأ في أمنيته أي: في قراءته. فَيَدْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحَكِّمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ : أي بعد إزالة ما ألقاه الشيطان في القراءة، يحكم الله آياته أي يشتها. ﴿٥٢﴾ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ . لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ : أي اختبارًا للذين في قلوبهم مرض الشرك.

وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ : هم المشركون. ﴿٥٣﴾ وَالَّذِينَ لَفِيَ شِقَاقِ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ . وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ، فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ : أي تتطامن وتخضع له قلوبهم. ﴿٥٤﴾ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ . وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ : أي في شك منه ورب من القرآن. ﴿٥٥﴾ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً ﴿٥٥﴾ . أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ : هو عذاب يوم بدر إذ كان يومًا عقيمًا لا خير فيه لهم. ﴿٥٦﴾ الْمَلَأُ يَوْمَئِذٍ اللَّهُ بِحُكْمٍ بَيْنَهُمْ ﴿٥٦﴾ .

فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ : أي جنات ذات نعيم لا يبلغ الوصف مداه.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ : أي يهان فيه صاحبه فهو عذاب جسماني نفساني.

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا : أي هجروا ديار الكفر، وذهبوا إلى ديار الإيمان المدينة النبوية على ساكنها السلام.

فِي سَبِيلِ اللَّهِ : أي هجروا ديارهم لا لدنيا ولكن ليعبدوا الله، وينصروا دينه وأولياءه.  
ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا : أي في الجنة إذ أرواحهم في حواصل طير خضر ترعى في الجنة. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾ (٥٨) ﴿لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ﴾ : أي الجنة يوم القيامة. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ (٥٩).  
ذَلِكَ : أي الأمر ذلك المذكور فاذكروه ولا تنسوه.

وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ : أي ظلم بعد أن عاقب عدوه بمثل ما ظلم به.  
﴿لِيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾ (٦٠).

ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ : أي يدخل جزءاً من الليل في النهار والعكس بحسب فصول السنة، كما أنه يومياً يدخل الليل في النهار إذا جاء النهار، ويدخل النهار في الليل إذا جاء الليل. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٦١).

ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ : أي الإله الحق الذي تجب عبادته دون سواه.  
وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ : أي من أصنام وأوثان وغيرها هو الباطل بعينه.  
﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (٦٢).

الترتر : أي ألم تعلم. ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ (٦٣).  
فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً : أي بالعشب والكلأ والنبات. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (٦٤) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿.

وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَكِيمُ (٦٥) : الغني عن كل ما سواه المحمود في أرضه وسمائه.  
الترتر أن الله سخر لكم ما في الأرض : أي سهل لكم تملكه والتصرف فيه والانتفاع به. ﴿وَالْفَلَak تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٦٦).  
وهو الذي أحياكم : أي أوجدكم أحياء بعدما كنتم عدماً. ﴿ثُمَّ يَمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ (٦٧).  
إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ (٦٨) : أي كثير الكفر والجحود لربه ونعمه عليه.

لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا : أي مكاناً يتعبدون فيه بالذبائح أو غيرها. ﴿هُم نَاسِكُونَ﴾ (٦٩).  
فَلَا يَنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ : أي لا ينبغي أن ينازعوك.

وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ (٧٠) : أي دين مستقيم هو الإسلام دين الله الحق.  
﴿وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٧١) اللَّهُ يُحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ

تَخْتَلِفُونَ (٧٢) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴿.

إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ۖ هُوَ اللّٰهُ الْمَحْفُوظُ. ﴿١﴾ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ .  
وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطٰنًا : أي حجة وبرهانًا. ﴿٧١﴾ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ  
تَصْوِيرٍ ﴿٧١﴾ .

وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءآيٰتِنَا بَيِّنٰتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ : أي الإنكار الدال عليه  
عبوس الوجه وتقطيعه.

يَكَادُوتُ يَسْطُوتُ : يبطشون. ﴿بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءآيٰتِنَا﴾ .  
قُلْ أَفَأُنَبِّتُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكُمْ : هو النار. ﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسَّرَ الْمَصِيرَ﴾ ﴿٧٢﴾ .  
يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضَرْبٍ مَثَلٌ : أي جعل مثل هو ما تضمنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ  
تَدْعُونَ...﴾ الخ. ﴿فَأَسْتَمِعُوا لَهُ﴾ .

إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا : لن يستطيعوا خلق ذبابة وهي أحقر  
الحيوانات تتخلق من العفونات.

وَلَوْ أَجْتَمَعُوا لَهُ : أي على خلقه فإنهم لا يقدرن، فكيف إذا لم يجتمعوا فهم أعجز.

وَإِنْ يَسْتَلْبِثُ الدُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ : أي لا يسترده منه وذلك لعجزهم.

ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٣﴾ : أي العابد والمعبود.

مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ : أي ما عظم المشركون الله تعالى حق قدره أي عظمته. ﴿إِنَّ اللَّهَ

لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٧٤﴾ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا : أي يجتبي ويختار كجبريل عليه السلام ﴿٢﴾ .

وَمِنَ النَّاسِ : كمحمد ﷺ. ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى

اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ .

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ ﴿٣﴾ : أي أطيعوه في أمره ونهيه في

تعظيم هو غاية التعظيم وذل له هو غاية الذل.

وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ : أي من كل ما انتدبكم الله لفعله ورجبكم فيه من صالح الأقوال والأفعال.

لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ : أي كي تفوزوا بالنجاة من النار ودخول الجنة.

وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ : أي الجهاد الحق الذي شرعه الله تعالى وأمر به، وهو جهاد

الكفار والشيطان والنفس والهوى.

(١) أي: الفصل بين المختلفين ككتابة كل كائن في كتاب المقادير كل ذلك على الله يسير، إذ هو تعالى لا يعجزه شيء، ويقول للشيء: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ .

(٢) في العبارة بعض الخفاء، والمقصود هو أن الله يصطفى من الملائكة مثل جبريل وميكائيل فيرسلهم إلى من يصطفى من الناس وهم الأنبياء، وفي الآية رد على المعتزدين على الوحي الإلهي لرسوله محمد ﷺ .

(٣) خص الركوع والسجود من بين أركان الصلاة؛ لأنهما أشرف أجزائها وأدل على خضوع العبد لربه وذلت له.

هُوَ أَحَبُّكُمْ : أي اختاركم لحمل دعوة الله إلى الناس كافة.  
 وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ : أي من ضيق وتكليف لا يطاق.  
 قَلَّةَ أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ : أي الزموا ملة أبيكم إبراهيم وهي عبادة الله وحده لا شريك له.  
 هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ .  
 وَفِي هَذَا : أي القرآن. ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا  
 الزَّكَاةَ﴾ .

وَأَعْتَصِمُوا بِاللهِ : أي تمسكوا بدينه وثقوا بنصرته وحسن ثوابته. ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ .  
 فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ : أي هو تعالى نعم النصير: أي الناصر لكم.



## ٢٣ - سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ (١)

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ : أي فازوا قطعاً بالنجاة من النار، ودخول الجنة.

الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ ﴿٢﴾ : أي ساكنون مطمئنون لا يتلفتون بعين ولا قلب وهم بين يدي ربهم.

وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ : اللغو كل ما لا رضئ فيه الله من قول وعمل وتفكير. معرضون أي منصرفون عنه.

وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ : أي مؤدون.

وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ : أي صائنون لها عن النظر إليها لا يكشفونها وعن إتيان الفاحشة.

إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ : من الجواري والسراري إن وجدن. ﴿فِي أَنفُسِهِمْ غَيْرَ مَلُومِينَ﴾ ﴿٦﴾ .

فَمَنْ أَسْبَغَ وَرَاءَ ذَلِكَ : أي طلب ما دون زوجته وجاريتها المملوكة شرعاً.

فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ : أي الظالمون المعتدون على حدود الشرع.

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ : أي حافظون لأماناتهم وعهودهم. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ .

الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ : أعلى درجة في الجنة في أعلى جنة. ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ ﴿١٢﴾ مِنْ سُلْطَانٍ طِينٍ ﴿١٣﴾ : السلالة ما يستل من الشيء، والمراد بها هنا ما استل من الطين لخلق آدم.

ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٤﴾ : النطفة قطرة الماء.

فَرُخِّلْنَا نُطْفَةً عَلَقَةً : العلقة: الدم المتجمد الذي يعلق بالإصبع لو حاول أحد أن يرفعه بإصبعه كمنخ البيض.

(١) سورة «المؤمنون» وليس المؤمنين لأنها توقيفية من عند الله تعالى (قل).

(٢) جائز أن يكون المراد بالإنسان آدم، وأن يكون أحد ذريته، إذ السلالة: الشيء المستل أي: المنتزع من غيره فالطينة مستلة من مادة الطين.

فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً : والمضغة هي قطعة لحم قدر ما يمضغ الآكل. ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ﴾.

خَلْقَاءُ آخَرَ : أي غير تلك المضغة إذ بعد نفخ الروح فيها صارت إنسانًا. فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ : أي الصانعين فالله يصنع والناس يصنعون والله أحسن الصانعين. ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾. وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ : أي سبع سموات. كل سماء يقال لها: طريقة؛ لأن بعضها مطروق فوق بعض. ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾﴾.

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ : أي بمقدار معين لا يزيد ولا ينقص. ﴿فَأَسْكَنْتَهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَاوَاكِبٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾﴾.

وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ : جبل يقال له: طور سيناء.

تَنْبَتُ بِالذَّهْنِ <sup>(١)</sup> : أي تنبت بثمر فيه الدهن وهو الزيت.

وَصَبِغٌ لِّلْأَكْلِينَ ﴿٢٠﴾ : أي يغمس الآكل فيه اللقمة ويأكلها.

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً : الأنعام الإبل والبقر والغنم، والعبرة فيها تحصل لمن تأمل خلقها

ومنافعها.

تُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا : أي من اللبن.

وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ : كالوبر والصوف واللبن والركوب.

وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ : أي من لحومها.

وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ : أي تركبون الإبل في البر، وتركبون السفن في البحر.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُورُوا عِبَادُوا اللَّهَ <sup>(٢)</sup> : أي وحدوه بالعبادة إذ ليس لكم من إله

غيره.

مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ : أي أتعبدون معه غيره فلا تخافون غضبه وعقابه.

فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ : أي أعيان البلاد وكبراء القوم.

مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ : أي ما نوح إلا بشر مثلكم فكيف تطيعونه بقبول ما يدعوكم إليه.

يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ : أي يسودكم ويصبح أمرًا ناهيًا بينكم.

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً : أي لو شاء الله إرسال رسول لأنزل ملائكة رسلاً. ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي

(١) الباء في ﴿بِالذَّهْنِ﴾ للمصاحبة نحو: خرج زيد بسلامة أي: مصحوبًا بسلامة.

وفي الآية إشارة إلى أن شجر الزيتون أول ما وجد على الأرض وجد بطور سيناء ثم تناقله الناس من إقليم إلى آخر، فقوله: ﴿تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ إعلام بأول منبت لها.

(٢) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ موطئة للقسم، أي: وعزتنا لقد أرسلنا نوحًا.



ءَابَايْنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ .

إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ : أي مصاب بمس من جنون.

فَتَرَضُّوْا بِهِ . حَتَّىٰ جِئْنَا بِهِ ﴿٢٥﴾ : أي فلا تسمعوا له وتطيعوا وانتظروا به هلاكه أو شفاؤه. ﴿ قَالَ رَبِّ

أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي ﴾ .

فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ : أي أعلمناه بطريق سريع خفي أن اصنع الفلك.

بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا : أي بمرأى منا ومنظر، وبتعليمنا إياك صنعها.

فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ : تنور الخباز فار منه الماء آية بداية الطوفان.

فَأَسْلَفَ فِيهَا : أي أدخل في السفينة.

مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ : [راجع سورة هود] <sup>(١)</sup> .

وَأَهْلَكَ : أولادك ونساءك. ﴿ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ﴾ .

وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا : أي لا تكلمني في شأن الظالمين.

إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٧﴾ : فإني حكمت بإغراقهم. ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ .

وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا : أي وادعني قائلاً: يا رب أنزلني منزلاً مباركاً من الأرض. ﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ

الْمُنْزِلِينَ ﴾ .

إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ : أي لدلائل وعبراً.

وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ : أي لمختبرين.

فَرَأَيْنَاهُمْ بَعْدَهُمْ قُرْآنًا آخِرِينَ ﴿٣١﴾ : أي خلقنا من بعد قوم نوح الهالكين قوما آخرين هم عاد قوم

هود.

فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ : هو هود عليه السلام.

أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ : أي قولوا: لا إله إلا الله فاعبدوا الله وحده. ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ

الْمَلَائِكَةُ قَوْمَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَانِ الْآخِرَةِ ﴿٣٣﴾ .

وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا : أي أنعمنا عليهم بالمال وسعة العيش. ﴿ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا

تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ ﴿٣٤﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلُكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٣٥﴾ أَيْعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ

وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا ﴾ .

أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ : أي أحياء من قبوركم بعد موتكم.

(١) قال ابن كثير عليه السلام: وأن يحمل فيها من كل زوجين اثنين، أي ذكراً وأنثى من كل صنف من الحيوانات والنباتات

والشمار وغير ذلك. (اهـ) (قل).

﴿ هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوَعَّدُونَ ﴾ (٣٦) : أي بُعدًا كبيرًا وقوع ما يعدكم.  
 إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا : أي ما هي إلا حياتنا الدنيا وليس وراءها حياة أخرى. ﴿ نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا  
 نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ (٣٧) ﴿<sup>(١)</sup>﴾ .  
 إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ : أي ما هو إلا رجل.  
 أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا : أي كذب على الله تعالى. ﴿ وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣٨) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا  
 كَذَّبْتَنِي ﴿ (٣٩) ﴾ .

قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ : أي عن قليل من الزمن.  
 لَيُصِحَّحَنَّ نَادِمِينَ ﴿ (٤٠) ﴾ : ليصيرن نادمين على كفرهم وتكذيبهم.  
 فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ : أي صيحة العذاب والهلاك.  
 فَجَعَلْنَاهُمْ عُشَاءً : كغشاء السيل، وهو ما يجمعه الوادي من العيدان والنبات اليابس.  
 فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿ (٤١) ﴾ : أي هلاكًا لهم.  
 ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿ (٤٢) ﴾ : أي أوجدنا من بعدهم أهل قرون آخرين كقوم صالح  
 وإبراهيم ولوط وشعيب. ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴾ (٤٣) ﴿ .  
 ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولًا نَتَرًا : أي يتبع بعضهم بعضًا الواحد عقب الآخر. ﴿ كُلٌّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولًا كَذَّبُوهُ  
 فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ﴾ : أي أهلكناهم وتركناهم قصصًا تقص وأخبارًا تتناقل.  
 ﴿ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٤٤) ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ ﴿ .  
 بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿ (٤٥) ﴾ : الآيات هي التسع الآيات، وهي الحجة والسلطان المبين.  
 إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿ (٤٦) ﴾ : أي علوا أهل تلك البلاد قهراً واستبداداً  
 وتحكما. ﴿ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِكَ ﴾ .

وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ ﴿ (٤٧) ﴾ : أي مطيعون ذليلون نستخدمهم فيما نشاء وكيف نشاء. ﴿ فَكَذَّبُوهُمَا  
 فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴾ (٤٨) ﴿ .  
 وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ : أي التوراة. ﴿ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (٤٩) ﴿ ﴿<sup>(٢)</sup>﴾ .  
 وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ : أي عيسى وأمه ﴿<sup>(٣)</sup>﴾ .

(١) إن قيل: كيف قالوا: ﴿ نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ وهم منكرون للبعث؟ قيل في الجواب: إما أن يكون مرادهم نكون نطقاً ميتة  
 ثم نحيا، وإما أن يكون في الكلام تقديم وتأخير أي: نحيا فيها ونموت نحو ﴿ وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي ﴾ وإما بموت  
 الآباء وحياة الأبناء.

(٢) خص موسى بإتيائه الكتاب دون هارون؛ لأن هارون يوم إعطاء موسى الكتاب (التوراة) كان مع قومه، وموسى  
 كان وحده في الطور للمناجاة.

(٣) أدمج أمه في الذكر لتسفيه اليهود في قولهم في مريم بهتاناً عظيماً.

آيَةٌ : أي حجة وبرهاناً على وجود الله وقدرته وعلمه ووجوب توحيده.  
وَأَوْسَتْهُمَا إِلَى رَبِّوَنَ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٦﴾ : أي إلى مكان مرتفع ذي استقرار وفيه ماء جار عذب وفواكه وخضر (١).

يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ : أي من الحلال.  
وَأَعْمَلُوا صَالِحًا : أي بأداء الفرائض وكثير من النوافل. ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ ﴿٥٧﴾ .  
وَلِئِنْ هَدَيْتَهُمْ أَتَشْكُرُ : أي ملتكم الإسلامية. ﴿أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾ .  
وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٨﴾ : أي بامثال أمري واجتناب نهبي.  
فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا : أي اختلفوا في دينهم فأصبحوا طوائف: هذه يهودية وتلك نصرانية.  
﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ .

فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَاتِهِمْ : أي في ضلالتهم. ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ﴿٥٩﴾ أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُنَادُهُمْ بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ .  
نَسَارِعُ لَهُمْ : أي نعجل. ﴿فِي الْخَيْرَاتِ﴾ .  
بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ : أن ذلك استدراج لهم.  
إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ : أي خائفون. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يُرْسِلُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ .  
وَالَّذِينَ هُمْ يُرْسِلُونَ مَاءً آتًا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ : أي خائفون أن لا يقبل منهم ذلك (٢).  
أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ : أي لأنهم إلى ربهم راجعون فيحاسبهم ويسألهم ويجزيهم.  
أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ : أي ياذن الله وفي علمه.  
وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا وِجْرَةً : إلا طاقتها وما تقدر عليه.  
وَلَدَيْنَا مَكْتَبٌ بِالنَّحْيِ : وهو ما كتبه الكرام الكاتبون فإنه ناطق بالحق.  
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ : أي بنقص حسنة من حسناتهم ولا بزيادة سيئة على سيئاتهم.  
بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرَةٍ مِّنْ هَذَا : أي جهالة بالقرآن وعمى.  
وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ : أي من دون أعمال المؤمنين التي هي: الخشية والإيمان بالآيات

والتوحيد والمراقبة.

هُمْ لَهَا عَمِلُونَ ﴿٦٣﴾ : أي سيعملونها لتكون سبب نهايتهم حيث يأخذهم الله تعالى بها. ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ﴾ .

(١) المعين: هو الماء الجاري على ظهر الأرض ظاهر للعيون.

(٢) روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتًا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويتصدقون وهم يخافون ألا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات».

إِذَا هُمْ يَجْرُونَ ﴿٦٤﴾ : أي يصرخون بأعلى أصواتهم ضاجين مستغيثين مما حل بهم من العذاب.  
لَا تَجْعُرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصِرُونَ ﴿٦٥﴾ فَكَانَتْ آيَاتِي تُنلِّي عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ .

نَنكصُونَ ﴿٦٦﴾ : أي ترجعون على أعقابكم كراهية سماع القرآن.

مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ : أي بالحرم أي كانوا يقولون: لا يظهر علينا فيه أحد لأننا أهل الحرم.

سَمِيرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ : أي تسمرون بالحرم ليلاً هاجرين الحق وسماعه على قراءة فتح التاء،

وعلى قراءة ضمها: تهجرون أي: تقولون الهجر من القول كالفحش والقبح.

أَفَلَمْ يَذَّبُوا الْقَوْلَ إِذْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾<sup>(١)</sup>

أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ : أي محمداً ﷺ . فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٦٩﴾ .

أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ : أي مجنون. ﴿بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾ .

وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ : أي ما يهوونه ويشتهونه. ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ .

بَلْ أَتَيْنَهُم بِذِكْرِهِمْ : أي بالقرآن العظيم الذي فيه ذكرهم فيه يُذكرون وتُذكرون. ﴿فَهُمْ

عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾ .

أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا : أي مالا مقابل إبلاغك لهم دعوة ربهم.

فَخَرَجَ رَيْكَ خَيْرٌ : أي ما يرزقه الله خير. ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّزْقِينَ ﴿٧٢﴾﴾ .

وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ : أي إلى الإسلام.

وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكِبُونَ ﴿٧٤﴾ : أي عن الإسلام أي متكبرونه أي جاعلوه

على منكب أي جانب، عادلون عنه.

﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾﴾ : أي لتمادوا في طغيانهم

مصرين عليه. ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾ .

فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ : أي ما ذلوا ولا خضعوا. ﴿وَمَا يَضُرُّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ

شَدِيدٍ ﴿٧٧﴾ وهو معركة بدر وما أصاب المشركين من القتل.

إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٨﴾<sup>(٢)</sup> : أي آيسون قانطون.

(١) وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَذَّبُوا الْقَوْلَ﴾ الذي يسمعون من نبينا محمداً ﷺ فيعرفوا أنه حق وخير وأنه فيه صلاحهم،

وقيل: القول: القرآن؛ وسمي قولاً لأنهم خوطبوا به، والاستفهام إنكاري يحمل التقرير والتأنيب.

﴿أَمْ جَاءَهُمْ﴾ إلخ.. أي: فأنكروه وأعرضوا عنه. وقيل: أم بمعنى بل الانتقالية بل جاءهم ما لا عهد لأبائهم به؛ فلذا أنكروه وتركوا التدين به، والفاء في: ﴿أَفَلَمْ يَذَّبُوا﴾: للتفريع إذ هذا الكلام متفرع عما سبقه، والتدبر معناه إعمال النظر العقلي في دلالات الدلائل على ما نصبت له، وأصله النظر في دبر الأمر أي: فيما لا يظهر منه للمتأمل بادئ ذي بدء.

(٢) الإبلاس: شدة اليأس من النجاة، وجائز أن يكون العذاب الذي أبلسهم عذاب القحط والمجاعة التي أصابتهم، وجائز أن يكون عذاب يوم القيامة.

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ : أي خلق وأوجد وخلق لكم الأسماع والأبصار.  
وَالْأَفْئِدَةَ : جمع فؤاد وهو القلب.

قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ : أي ما تشكرون إلا قليلاً.

وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴿٧٩﴾ .

وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٨٠﴾ : أي تجمعون إليه بعد إحيائكم وإخراجكم من قبوركم.

وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ : أي إليه تعالى إيجاد الليل والنهار وظلمة

الليل وضياء النهار.

أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨١﴾ : فتعرفوا أن الله هو المعبود الحق إذ هو الرب الحق. ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ

الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَمْ دَامْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَمْ نَأْتِيهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ لَمَّا كُنَّا نَمُوتُ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ ﴿٨٣﴾ .

إِنْ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ : أي ما تقولون من البعث والحياة الثانية ما هو إلا حكايات

وأساطير، وأخبار الأولين، والأساطير جمع أسطورة أي حكاية مسطرة مكتوبة. ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ

وَمَن فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴿٨٥﴾ .

قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ : فتعلموا أن من له الأرض ومن فيها خلقاً وملكاً قادر على البعث وأنه لا

إله إلا هو. ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴿٨٧﴾ .

قُلْ أَفَلَا نُنْفِئُكَ : أي كيف لا تتقونه بالإيمان به وتوحيده وتصديقه في البعث والجزاء.

قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلِكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ : أي ملك كل شيء يتصرف كيف يشاء.

وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ : أي يحفظ ويحمي من يشاء ولا يُحمى عليه ويحفظ من أَرَادَهُ

بسوء. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ .

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ : أي كيف تُخدعون وتصرفون عن الحق.

بَلْ أَنبَيْنَهُم بِالْحَقِّ : أي بما هو الحق والصدق في التوحيد والنبوة والبعث والجزاء. ﴿وَإِنَّهُمْ

لَكَذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلقَ ﴿٩١﴾ .

وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ : أي قهراً وسلطاناً.

سُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ : أي من الكذب كزعمهم أن الله ولدًا وأن له شريكًا، وأنه غير

قادر على البعث. ﴿عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ .

قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيتَنِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ : أي إن تريني أي من العذاب. ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ

الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيكَ مَا نَعُدُّهُمْ لَقَدْ رُونَ ﴿٩٥﴾ .

(١) ﴿وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ هذه اللام: لام الاختصاص إذ لا قدرة لأحد سواه على اختلاف الليل والنهار

بالطول والقصر، والضياء والظلام، وما يجري فيهما من تصاريف الكائنات على اختلافها وتنوعها.

أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ : أي ادفع بالخصلة التي هي أحسن وذلك <sup>(١)</sup> كالصفح والإعراض عنهم. ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (٩٦).

وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ (٩٧) : أي من وساوسهم التي تخطر بالقلب فتكاد تفسده. وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِي (٩٨) : أي في أموري حتى لا يفسدوها عليّ. حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ : أي رأى علاماته وراه. ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴿

وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ <sup>(٢)</sup> : أي حاجز يمنع وهو مدة الحياة الدنيا، وإن عاد بالبعث فلا عمل يقبل. إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ : أي في القرن المعبر عنه بالبوق نفخة القيام من القبور <sup>(٣)</sup> للحساب والجزاء. ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١٠١) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ : أي الفاترون بالنجاة من النار ودخول الجنة. ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَاُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (١٠٣).

تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ : أي تحرقها.

وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ : الكالِح من أحرقت النار جلدة وجهه وشفتيه فظهرت أسنانه. أَلَمْ تَكُنْ تَكُنْ ءَايَاتِي تُنلَىٰ عَلَيْكَ : أي يوبخون ويذكرون بالماضي؛ ليحصل لهم الندم والمراد بالآيات: آيات القرآن. ﴿فَكَثُرَتْ بِهَا كَذِبَاتُ﴾ (١٠٥).

قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا : أي الشقاوة الأزلية إنها تكتب على العبد في كتاب المقادير قبل وجوده. ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ (١٠٦).

رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا : أي من النار، فَإِنْ عُدْنَا : إلى الشرك والمعاصي. ﴿فَأِنَّا ظَالِمُونَ﴾ (١٠٧).

قَالَ أَحْسَبُوا فِيهَا : أي ابعدوا في النار أذلاء مخزيين. ﴿وَلَا تَكَلِّمُونِ﴾ (١٠٨).

إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي : هم المؤمنون المتقون. ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ (١٠٩).

فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا : أي جعلتموهم محطاً سخريتكم واستهزائكم. ﴿حَتَّىٰ أَنسَوَكُمُ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ (١١٠).

إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا : أي على الإيمان والتقوى.

(١) هذا بالنسبة إلى الأمة فهو محكم باقٍ، وهو الصفح وعدم المؤاخذه فيما بينه، وأما بالنسبة للمشركين والكافرين، فهو موادة لهم لا غير إلى أن يؤمر بقتالهم، وقد أمر به فيما بعد.

(٢) البرزخ: هو ما بين الدنيا والآخرة إذ كل ما حجز بين شيئين قيل فيه: برزخ.

(٣) هذه النفخة الثانية، وهي نفخة البعث والحشر، والتي قبلها هي نفخة الفناء، والتي بعد نفخة الصعق، والآخرة نفخة الحساب والجزاء.

أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاعِلُونَ ﴿١١١﴾: أي الناجون من النار المنعمون في الجنة.  
 قَلَّ كَمَ لَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾: أي كم سنة لبثتموها في الأرض أحياءً وأمواتاً في  
 قبوركم؟ ﴿قَالُوا لَيْتَنَا﴾.

يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلَى الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾: يريدون الملائكة التي كانت تعد، وهم الكرام الكاتبون أو  
 من يعد أماناً نحن فلم نعرف. ﴿قَلَّ إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١١٤﴾.  
 أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا: أي لا بحكمة بل لمجرد العيش واللعب كلا. ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا  
 تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١١٥﴾.

فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ: أي تنزه الله عن العبث. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ ﴿١١٦﴾  
 وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴿١١٧﴾.

لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ: الجملة صفة لـ ﴿إِلَهًا آخَرَ﴾ لا مفهوم لها إذ لا يوجد برهان ولا يوجد حجة  
 على صحة عبادة غير الله تعالى؛ إذ الخلق كله مربوب لله مملوك له.

فَأِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ: أي مجازاته عند ربه هو الذي يجازيه بشركه به ودعاء غيره. ﴿إِنَّهُ لَا  
 يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١١٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾ (١).



(١) رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين (قل)

## ٢٤ - سُورَةُ الزُّنُورِ

«محسنة»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا : أي هذه السورة أنزلناها.

وَفَرَضْنَاهَا : أي فرضنا ما فيها من أحكام.

وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ : أي وأنزلنا ضمنها آيات: أي حججًا واضحة تهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم.

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ : أي تتعظون فتعملون بما في السورة من أحكام.

الزَّانِيَةُ : من أفضت إلى رجل بغير نكاح شرعي وهي غير محصنة. ﴿وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَجْهِ مِنْهُمَا﴾

بِأَنَّةٍ جَلْدَةٍ : أي ضربة على جلد ظهره.

وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ : شفقة ورحمة. ﴿فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾

وَلَيْسَ هَذَا عَدَايَهُمَا : أي إقامة الحد عليهما.

طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ : أي عدد لا يقل عن ثلاثة أنفار من المسلمين والأربعة أولى من

الثلاثة.

الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً : أي إلا زانية مثله أو مشركة أي لا يقع وطء إلا على مثله.

﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٣﴾

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ : أي يقذفون.

الْمُحْصَنَاتِ : أي العفيفات والرجال هنا كالنساء<sup>(١)</sup>. ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾

فَاجْلِدُوهُمْ : أي حدوا عليهم واجبا. ﴿ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾

وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا : لسقوط عدالتهم بالقذف للمؤمنين والمؤمنات. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

﴿٤﴾

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ : فإنهم بعد توبتهم يعود إليهم اعتبارهم وتصح شهادتهم. ﴿وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ

غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٥﴾

(١) قيل: خص النساء بهذا وإن كان الرجال يشاركونهن في الحكم؛ لأن القذف فيهن أشنع وأنكر للنفوس ومن حيث هو هوى الرجال.



وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ: أي يقذفونهن بالزنا كأن يقول: زنت أو هذا الحمل الذي في بطنها ليس منه. ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدُوا أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ﴾.

إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾: أي فيما رماها به من الزنا.

وَالْخَمِيسَةُ: أي والشهادة الخامسة. ﴿أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٧﴾ وهذا ما يعرف باللعان: لأن كلاً من الزوجين يلعن نفسه إن كان كاذباً.

وَيَذَرُوعَهَا الْعَذَابَ: أي يدفع عنها حد الزنا وهو هنا الرجم حتى الموت.

أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ: أي شهادتها أربع شهادات. ﴿بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٨﴾ وسميت الأيمان هنا شهادة؛ لأنها أقيمت مقام الشهود وأصبحت بدلاً عنها.

وَالْخَمِيسَةُ: هي قولها. ﴿أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿٩﴾.

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ: أي لفضح القاذف والمقذوف ببيان كذب أحدهما. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ

حَكِيمٌ﴾ ﴿١٠﴾.

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ <sup>(١)</sup>: الإفك: الكذب المقلوب وهو أسوأ الكذب، والعصبة: الجماعة.

لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ: الشر ما غلب ضرره على نفعه، والخير ما غلب نفعه على ضرره، والشر المحض النار يوم القيامة، والخير المحض الجنة دار الأبرار. ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا

أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾.

وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ: أي معظمه وهو ابن أبي بن سلول كبير المنافقين. ﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

﴿١١﴾.

لَوْلَا: أداة تحضيض وحث بمعنى هلاً. ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا

هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿١٢﴾ لَوْلَا <sup>(٢)</sup> جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ

﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.

لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ: أي فيما تحدثتم بتوسع وعدم تحفظ. ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٤﴾.

إِذْ تَلْقَوْنَهُ بِالسِّنِّتِ كُرًا: أي تلتقونه: أي يتلقاه بعضكم من بعض. ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾.

(١) والمقصود بالإفك هنا ما رمى به ابن أبي كبير المنافقين، ما رمى به المسلمة المؤمنة القاتنة الثابتة العابدة السائحة الغافلة الغشيمة المطهرة الصديقة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مما برأها الله منه من فوق السماء السابعة والتي رضي الله عنها ما وقعت في حرج إلا وجعل الله لها وللمؤمنين منه مخرجاً وفرجاً رضي الله عن أبيها (قل).

(٢) هلاً وهي للحض والحث على فعل الشيء، إذ سمعتم قول الإفك ظننتم بأنفسكم خيراً إذ المؤمنون والمؤمنات كنفس واحدة، وقلتم: لن يكون هذا وإنما هو إفك مبين: أي ظاهر لا يقبل ولا يُقرُّ عليه، هكذا كان الواجب عليكم، ولكنكم ما فعلتم.

وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ : أي تحسبونه من صغار الذنوب وهو عند الله من كبائرهما؛ لأنه عرض مؤمنة هي زوج رسول الله ﷺ. ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾.

سُبْحَانَكَ : كلمة تقال عند التعجب، والمراد بها تنزيه الله تعالى عما لا يليق به.

هَذَا بَهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ : البهتان الكذب الذي يحير من قيل فيه.

يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا : أي ينهاكم نهيًا مقرونًا بالوعيد حتى لا تعودوا لمثله أبدًا. ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٧﴾ وَبَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ آيَاتٍ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ ﴿١٩﴾.

أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا : أي تعم المجتمع وتنتشر فيه، والفاحشة: هي الزنا. ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٠﴾.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ : جواب لولا محذوف وتقديره: لعاجلكم بالعقوبة أيها العصبة. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٢١﴾.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ﴾ : نزغاته ووساوسه. ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ ما زكن منكم من أحدٍ أبدًا : أي ما طهر ظاهره وباطنه وهي خلو النفس من دنس الإثم. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٢﴾.

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ : أي ولا يحلف صاحب الفضل منكم وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه. ﴿وَالسَّعَةِ﴾ : أي سعة الرزق والفضل والإحسان إلى الغير. ﴿أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٢٣﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ : أي العفيفات بالزنا.

الْعَفْوَاتِ : أي عن الفواحش بحيث لم يقع في قلوبهن فعلها<sup>(١)</sup>.

الْمُؤْمِنَاتِ<sup>(٢)</sup> : أي بالله ورسوله ووعده الله ووعيده.

﴿لَعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٢٤﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَيْدِيهِمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٢٥﴾.

﴿يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ : أي من قول أو عمل.

﴿يَوْمَ يُؤْفِكُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ : أي يجازيهم جزاءهم الواجب عليهم. ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾

﴿٢٥﴾

(١) الغافلات: هن اللاتي لا علم لهن بما رُمين به، وذلك لسلامة صدورهن وبعدهن -بحكم إيمانهن- عن مواطن الريب.

(٢) الإجماع على أن حكم المحصنين من الرجال كالمحصنات من النساء في القذف بلا فرق قياسًا واستدلالًا وحكمًا وقضاء.

الْخَيْبَتُ لِلْخَيْبِينَ: الخبيثات من النساء والكلمات للخبيثين من الرجال<sup>(١)</sup>. ﴿وَالْخَيْبَتُ  
لِلْخَيْبَتِ﴾.

وَالطَّيِّبَتُ: من النساء والكلمات.

لِلطَّيِّبِينَ: أي من الرجال. ﴿وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَتِ﴾.

أَوْلِيَّتِكَ مَبْرُوءٌ مِمَّا يَقُولُونَ: أي صفوان بن المعطل وعائشة رضي الله عنها أي مبرءون مما قاله عَصْبَةُ  
الإفك. ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا: أي صدقوا الله ورسوله فيما أخبرا به من الغيب والشرع<sup>(٢)</sup>.

لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا: أي تستأذنوا إذ الاستئذان من عمل الإنسان  
والدخول بدونه من عمل الحيوان الوحشي.

وَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا: أي تقولوا السلام عليكم أدخل؟ ثلاثاً.

ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ<sup>(٣)</sup>: أي تذكرون أنكم مؤمنون، وأن الله أمركم بالاستئذان.  
﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا﴾.

هُوَ أَزْكَى لَكُمْ: أي أطهر وأبعد عن الريبة والإثم. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ: أي إثم ولا حرج. ﴿أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾.

فِيهَا مَنَعٌ لَكُمْ: أي ما تتمتعون به كالنزول بها أو شراء حاجة منها.

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَبْذُرُونَ: أي ما تظهرونه.

وَمَا تَكْتُمُونَ<sup>(٤)</sup>: أي ما تخفونه، إذا فراقبه تعالى، ولا تضمروا ما لا يرضى فإنه يعلمه.

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُوا مِنْ آبَائِهِمْ<sup>(٥)</sup>: أي يخفضوا من أبصارهم حتى لا ينظروا إلى نساء لا

يحل لهم أن ينظروا إليهن.

وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ: أي يصونوها من النظر إليها ومن إتيان الفاحشة كالزنا واللواط.

ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ: أي أكثر تزكية لنفوسهم من فعل المندوبات والمستحبات. ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا

يَصْنَعُونَ﴾. وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضَضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ: أي مواضع

الزينة كالأصابع حيث يوضع الخلل، وكالكفين، والذراعين حيث الأساور والخواتم والحناء،

والرأس حيث الشعر، والأقراط في الأذنين، والتزجيج في الحاجبين، والكحل في العينين والعنق

والصدر حيث السحاب والقلائد.

(١) الابتداء بذكر الخبيثات لأن الغرض من الكلام الاستدلال على براءة عائشة أم المؤمنين، واللام في الخبيثين:  
للاستحقاق.

(٢) الصحيح أن تكون العبارة كالاتي: صدقوا الله ورسوله في كل ما أمر الله به من الغيب والشرع (قل).

(٣) بدأ بالأمر بغض البصر قبل الأمر بحفظ الفرج؛ لأن البصر رائد للقلب كما أن الحمى رائد الموت.

إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا: أي بالضرورة دون اختيار وذلك كالكفين لتناول شيء، والعين الواحدة أو الاثنتين للنظر بهما، والثياب الظاهرة كالخمار والعجار والعباءة. السموات  
وَلْيَضْرِبَنَّ بِحُمْرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ: أي ولتضرب المرأة المسلمة الحرة بخمارها على جيوب أي  
فتحات الثياب في الصدر وغيره حتى لا يبدو شيء من جسمها.  
وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ: البعل: الزوج، والجمع: بعول. ﴿أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ  
بُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ﴾.  
أَوْ نِسَائِهِنَّ: أي المسلمات فيخرج الذميات فلا تتكشف المسلمة أمامها.  
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ: أي العبيد والجواري، فللمسلمة أن تكشف وجهها لخدمها المملوك.  
أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْأَرْبَابَةِ مِنَ الرِّجَالِ: أي التابعين لأهل البيت يطعمونهم ويسكنونهم ممن  
لا حاجة لهم إلى النساء.

أَوْ الطِّفْلِ: أي الأطفال الصغار قبل التمييز والبلوغ.  
الَّذِينَ لَمْ يَطْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَتِ النِّسَاءِ: أي لم يبلغوا سنًا تدعوهم إلى الاطلاع على عورات  
النساء للتلذذ بهن.

وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ: أي الخلاخل في الرجلين.  
وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيَّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٦﴾: أي تفوزون بالنجاة من العار  
والنار، وبالظفر بالطهر والشرف وعالي الغرف في دار النعيم.  
وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ: أي زوجوا من لا زوجة له من رجالكم ومن لا زوج لها من نساءكم.  
وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ: أي وزوجوا أيها القادرون والقادرات على أعباء الزواج من  
عبيدكم وإمائكم.

إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ: أي إن يكن الأيماى فقراء<sup>(١)</sup> فلا يمنعكم ذلك من تزويجهم  
فإن الله يغنيهم.

وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٧﴾: أي واسع الفضل عليم بحاجة العبد وخلته فيسدها تكرما.  
وَلَيْسَتَعَفِيفٌ: أي وليطلب عفة نفسه بالصبر والصيام. ﴿الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.  
وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ: أي يطلبون المكاتب<sup>(٢)</sup> من المماليك.

(١) في الآية دليل على تزوج الفقير بل قال عمر: عجباً لفقير لم يطلب الغنى بالزواج لقول الله تعالى: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ﴾.

(٢) وهي إذا كان للمسلم عبد وطلب منه أن يكتبه. وكان أهلاً للتححرر بأن يقدر على تسديد مال المكاتب، ويستطيع أن يستقل بنفسه فعلى مالكة أن يكتبه، وأن يعينه على ذلك بإسقاط نجم من نجوم الكتابة، ولا تكون المكاتبه إلا على أنجم متعددة فلا تصح ناجزة ولا على نجم واحد.

فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا: أي قدرة على السداد والاستقلال عنكم<sup>(١)</sup>.  
وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ: أي أعينهم بثمرن نجم من نجوم المكاتبه من الزكاة وغيرها.

وَلَا تَكْرَهُوا فَنَيْتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَا أَنْ نَحْصَنَ: أي الزنى، تحصنًا أي تعففًا وتحفظًا من فاحشة الزنا.  
لِنَبْنِغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا: أي المال.  
وَمَنْ يُكْرِهْنَنَّ: أي على البغاء (الزنا). ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.  
وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ: للأحكام موضحة لما يطلب منكم فعله وتركه.  
وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ: أي قصصًا من أخبار الأولين كقصة يوسف وقصة مريم، وهما شبيهتان بحادثة الإفك.

وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾: الموعظة ما يتعظ به العبد فيسلك سبيل النجاة.  
﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي منورهما، فلولاها لما كان نور في السموات، ولا في الأرض، والله تعالى نور وحجابه النور.

مَثَلُ نُورِهِ: أي في قلب عبده المؤمن.  
كَمِشْكُورٍ: أي كوة. ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾.  
الزُّجَاجَةُ كَانَتْهَا كَوَكَبٌ دُرِّيٌّ: أي مضيء إضاءة الدر الوهاج. ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾.  
نُورٌ عَلَى نُورٍ: أي نور النار على نور الزيت.

يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ: أي للإيمان به والعمل بطاعته من يشاء له ذلك لعلمه برغبته وصدق نيته.  
وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ: أي ويجعل الله الأمثال للناس من أجل أن يفهموا عنه ويعقلوا ما يدعوهم إليه. ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>.  
فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ: هي المساجد، ورفعها: إعلاء شأنها من بناء وطهارة وصيانة. ﴿وَيَذَكَّرَ فِيهَا أَسْمَاءَهُ﴾.

يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ: جمع غداة، وهو الصباح.  
وَالْأَصَالِ ﴿٦٧﴾: جمع أصيل، وهو المساء. ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَابِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾.

يَخَافُونَ يَوْمًا نَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٦٨﴾<sup>(٣)</sup>: يوم القيامة. ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا

(١) ﴿خَيْرًا﴾ أي: صلاحًا وتقوى وقدرة على الأداء.

(٢) ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ بهن لأن المكره لا إثم عليه فيما يقول ولا فيما يفعل، فامتنع المنافق من ذلك.

(٣) تتقلب قلوب الكافرين من الجحد والتكذيب إلى التصديق واليقين، وقلوب المؤمنين بين الخوف والرجاء،

وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ ﴿٢٧﴾ .

وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٨﴾ : أي بلا عدِّ ولا كيل ولا وزن وهذا شأن العطاء إن كان كثيراً.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوهُمْ كَسْرًا بِبِقِيَعَةٍ : السراب شعاع أبيض يُرَى في نصف النهار وكأنه ماء، والقبيعة جمع قاع، وهو ما انبسط من الأرض.

يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ : العطشان. ﴿مَاءٌ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّيْنَاهُ حِسَابَهُ﴾ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٩﴾ .

أَوْ كَظُلْمَتٍ <sup>(١)</sup> فِي بَحْرِ لُجِّي : أي ذي لجج، واللجة معظم الماء وغزيره كما هي الحال في المحيطات.

يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ : يعلوه ويغطيه موج آخر. ﴿مِن فَوْقِهِ مَحَابُّ ظُلْمَتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ ﴿٤٠﴾ .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ : ينزه ويقدم بألفاظ التسبيح والتقديس ك(سبحان الله) ونحوه، والصلاة من التسبيح. مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ .

وَالطَّيْرُ صَفَّتْ : باسطات أجنحتها.

كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ : أي كل من في السموات والأرض قد علم الله صلواته وتسبيحه، كما أن كل مسبح ومصل قد علم صلاة وتسبيح نفسه. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا : أي يسوق برفق ويسر.

ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ : أي يجمع بين أجزائه وقطعه.

ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا : أي متراكماً بعضه فوق بعض.

فَتَرَى الْوَدْقَ : أي المطر.

يَخْرُجُ مِّن خِلَالِهِ : أي خلاله وهي فرجه ومخارجه.

وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِثْرًا فِيهَا مِن بَرَدٍ : أي من جبال من برد في السماء، والبرد حجارة بيضاء كالثلج.

فَيَصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ : أي فيصيب بالبرد من يشاء. ﴿وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ﴾ .

وأما تقلب الأبصار: فإنها بالنظر هنا وهناك لشدة الخوف وعظم الهول. هذه قلوب المؤمنين، أما قلوب الكافرين فمن الكحل إلى الزرق والعمى بعد الإبصار.

(١) قيل: المراد بالظلمات: أعمال الكفر، وبالبحر اللجي: قلب الكافر، وبالموج فوق الموج: ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة، وبالسحاب: الرين والمختم والطبع على قلبه، ولذا قال أبي بن كعب: الكافر يتقلب في خمس من الظلمات كلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره يوم القيامة إلى ظلمة النار.

يَكَادُ سَنَابِرَ فِيهِ: أي لمعانه.

يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ (٤٣): أي الناظرة إليه. ﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً: أي دلالة على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه ووجوب توحيده. ﴿لَأُولَى

الْأَبْصَرِ (٤٤)﴾.

وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ: أي حيوان من نطفة (١).

فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ: كالحيات والهوام.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ: كالإنسان والطيور.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ: أي كالأنعام والبهائم. ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ﴾.

وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٦): أي إلى الإسلام.

وَيَقُولُونَ: أي المنافقون.

ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا: أي صدقنا بتوحيد الله وبنبوة الرسول محمد ﷺ.

ثُمَّ تَوَلَّى فِرْقٍ مِنْهُمْ: أي عرض. ﴿مَنْ بَعَدَ ذَلِكَ وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧)﴾.

وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨): أي عن المجيء إلى الرسول ﷺ.

وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩): أي مسرعين منقادين مطيعين.

أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ: أي كفر ونفاق وشرك.

أَمِ ارْتَابُوا: أي بل شكوا في نبوة الرسول ﷺ.

أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ: أي في الحكم فيظلموا فيه. ﴿بَلْ أَوْلَيْكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠)﴾.

إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ: هو قولهم سمعنا: وأطعنا أي سمعنا وطاعة. ﴿إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ

بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا (٥١)﴾.

وَأَوْلَيْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١): أي الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنة. ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥٢)﴾ (٣).

(١) فخرج الملائكة والجن، إذ الملائكة خلقوا من نور، والجن من النار.

(٢) لم يقل ليحكم، لأن الذي يحكم بينهما هو الرسول ﷺ، وإنما قدم اسم الله تعظيماً ولأن مادة الحكم من الله والرسول ﷺ مبين ومنفذ لا غير.

(٣) حكى أن رجلاً من دهاقين الروم أسلم فقبل له: هل لإسلامك سبب؟ قال: نعم إني قد قرأت التوراة والزبور والإنجيل وكثيراً من كتب الأنبياء فسمعت أسيراً يقرأ آية من القرآن جمع فيها كل ما كتب في الكتب المتقدمة فعلمت أنه من عند الله فأسلمت. وقيل له: ما هي؟ قال: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ﴾. في الفرائض، ﴿وَرَسُولَهُ﴾. في السنن، ﴿وَيَخْشِ اللَّهَ﴾ فيما مضى من عمره ﴿وَيَتَّقْهُ﴾ فيما بقي من عمره ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾. والفائز من نجا من النار وأدخل الجنة. فقال عمر: قال النبي ﷺ: «أوتيت جوامع الكلم».

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ: أَي حَلَفُوا بِاللَّهِ بِالْغَيْبِ غَايَةَ الْجِهَادِ فِي حَلْفِهِمْ.

لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لِيَخْرُجُنَّ: أَي بِالخُرُوجِ إِلَى الْجِهَادِ.

قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً: أَي طَاعَةَ مَعْرُوفَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ وَيَنْهَاهُمْ خَيْرٌ مِنْ

إِقْسَامِكُمْ بِاللَّهِ. ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾.

فَإِنْ تَوَلَّوْا: أَي فَإِنْ تَوَلَّوْا أَي تَعَرَّضُوا عَنِ الطَّاعَةِ.

فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ: أَي مِنْ إِبْلَاقِ الرِّسَالَةِ وَبَيَانِهَا بِالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ: أَي مِنْ وَجُوبِ قَبُولِ الشَّرْعِ وَالْعَمَلِ بِهِ عَقِيدَةً وَعِبَادَةً وَحُكْمًا.

وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا: أَي وَإِنْ تَطِيعُوا الرَّسُولَ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَإِرْشَادِهِ تَهْتَدُوا إِلَى خَيْرِكُمْ. ﴿وَمَا

عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٣﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

لَيْسَتْ خَلِيفَتُهُمْ فِي الْأَرْضِ: أَي يَجْعَلُهُمْ خُلَفَاءَ لِغَيْرِهِمْ فِيهَا بِأَنْ يَدِيلَ لَهُمْ مِنْ أَهْلِهَا فَيَسُودُونَ فِيهَا

وَيُحْكَمُونَ. ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ: أَي بِأَنْ يَظْهَرَ الْإِسْلَامُ عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ وَيُحْفَظُهُ مِنْ

الزَّوَالِ. ﴿وَلَيَسْبِدَنَّ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴿٥٤﴾ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ ﴿٥٥﴾ بَعْدَ ذَلِكَ

فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ: أَي أَدْوَاهَا أَدَاءً كَامِلًا تَامًا مَرَاعِينَ فِيهَا شُرُوطَهَا، وَأَرْكَانَهَا، وَوَاجِبَاتَهَا وَسُنَنَهَا،

حَتَّى تُثْمَرَ الزَّكَاةَ وَالطَّهْرَ فِي نَفُوسِكُمْ.

وَأَتُوا الزَّكَاةَ: أَي الْمَفْرُوضَةَ مِنَ الْمَالِ الصَّامِتِ كَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَرِثِ، وَالنَّاطِقِ كَالْأَنْعَامِ

مِنْ إِبِلٍ وَبَقَرٍ وَغَنَمٍ.

وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ: أَي مُحَمَّدًا ﷺ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَالْأَخْذَ بِإِرْشَادِهِ وَتَوْجِيهِهِ.

لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾: أَي رَجَاءً أَنْ يَرْحَمَكُمُ رَبُّكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ وَأَخْرَجْتُمْ فَلَا يَعْذِبُكُمْ فِيهِمَا.

لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ: أَي مُعْجِزِينَ اللَّهُ تَعَالَى بِحَيْثُ لَا يَدْرِكُهُمْ، وَلَا يَنْزِلُ

بِهِمْ نَقْمَتُهُ وَعَذَابُهُ، وَالْأَرْضُ فِي الْآيَةِ هِيَ أَرْضُ الدُّنْيَا هَذِهِ.

(١) فَإِنْ قِيلَ: وَأَيْنَ الْأَمْنُ وَقَدْ قَتَلَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ غِيلَةً؟ فَالْجَوَابُ: لَيْسَ الْأَمْنُ مَانِعًا مِنَ الْمَوْتِ فَالْمَوْتُ حَتْمٌ

مَعَ الْأَمْنِ وَمَعَ الْخَوْفِ لِأَنَّهَا أَجَالٌ مَحْدُودَةٌ لَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ:

وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ مَاتَ بِغَيْرِهِ تَعَدَّدَتِ الْأَسْبَابُ وَالْمَوْتُ وَاحِدٌ

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ قَوْلَهُ ﷺ: «وَاللَّهِ لَيُتَمَنَّ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَةِ مَوْتٍ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذُّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ».

(٢) الْمُرَادُ بِالْكَفْرِ: كُفْرَانُ النَّعْمِ، وَقَدْ حَصَلَ هَذَا بَعْدَ الْقُرُونِ الْمَفْضَلَةِ حَيْثُ فَسَدَتِ الْعَقَائِدُ وَتَمَزَّقَتِ الرُّوَابِطُ، وَأَهْمَلُ الدِّينَ، وَسَلَبَ اللَّهُ مَا أَعْطَى.



وَمَا وَدَّعْتُمُ النَّارَ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾: أي النار إذ هي المأوى الذي يأوون إليه، ويصيرون إليه.  
يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ: أي ليطلب الإذن منكم في الدخول عليكم.  
الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ: من عبيد وإماء.

وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ: أي سن التكليف وهو وقت الاحتلام خمس عشرة سنة فما فوق.  
﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾

مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ: أي وقت القيلولة للاستراحة والنوم. ﴿وَمِن بَعْدِ  
صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾

ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ: العورة ما يستحي من كشفه، وهذه الأوقات الثلاثة ينكشف فيها الإنسان في  
فراشه فكانت بذلك ثلاث عورات.

لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ: أي بعد الأوقات الثلاثة المذكورة. ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ﴾: أي  
للخدمة.

بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ: أي بعضكم طائف على بعض. ﴿كَذَلِكَ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾  
﴿٥٨﴾

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا: أي في جميع الأوقات؛ لأنهم أصبحوا رجالاً مكلفين.  
﴿كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٥٩﴾

وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا: أي اللاتي قعدن عن الحيض والولادة لكبر سنهن.  
فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ: كالجلباب والعباءة والقناعات والخمار.

غَيْرُ مُتَّبِعَاتٍ بِزِينَةٍ: أي غير مظهرات زينة خفية كقلادة وسوار وخلخال.  
وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ: بأن لا يضعن ثيابهن خير لهن من الأخذ بالرخصة. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ  
عَلِيمٌ﴾ ﴿٦٠﴾

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ: الحرج: الضيق، والمراد به هنا  
الإثم، أي: لا إثم على المذكورين في مؤاكلة غيرهم. ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ  
بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ  
بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ﴾

أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ<sup>(١)</sup> أَوْ مَا مَلَكَتْهُم مِّمَّا تَحْتِ تَصْرَفُكُمْ بِالْأَصَالَةِ أَوْ  
بِالْوَالَةِ، كوكالة على بستان أو ماشية.

(١) لم تذكر بيوت الأبناء لأن بيوتهم داخله في بيوت الآباء للحديث: «أنت ومالك لأبيك» [هـ - طب - صحيح -  
انظر صحيح الجامع]. ومن المعلوم أن الأولاد عادة وعرفاً يكونون في بيوت آبائهم ولذا لم يذكرها.

أَوْ صَدِيقِكُمْ : أي من صدقكم الود وصدقتموه (١) .  
لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا : أي مجتمعين على الطعام أو متفرقين .  
فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ : لأنه هو الذي شرعها وأمر بها، وما كان من  
عند الله فهو خير عظيم .

مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ : أي تطيب بها نفس المسلم عليه . ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ  
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٦١) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ .  
وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ : كخطبة الجمعة ونحوها مما يجب حضوره، كاجتماع لأمر هام  
كحرب ونحوها .

لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا : أي يطلبوا منه ﷺ الإذن . ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ  
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ .

فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ : أي لبعض أمورهم الخاصة بهم . ﴿فَأَذْنِ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ  
وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٦٢) .

لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ : أي ندائه فلا ينادى بـ«يا» محمد، ولكن بـ«يا» نبي الله  
ورسول الله .

كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا : أي كما ينادي بعضكم بعضًا بـ«يا» عمر ويا سعيد مثلاً .  
قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَأَذًا : أي ينسلون واحدًا بعد واحد، يستر بعضهم بعضًا

حتى يخرجوا خفية .

فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ : أي زيغ في قلوبهم . فيكفروا (٢) . ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ  
عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٦٣) أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ .

قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ : أي من الإيمان والنفاق، وإرادة الخير أو إرادة الشر . وقد هنا للتأكيد  
عوملت معاملة ربّ إذ هي للتقليل وتكون للتكثير أحياناً . ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنْتَهُمُ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ  
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٦٤) .



(١) قال ابن العربي رحمه الله قولاً حسناً في هذا الحكم قال: أباح لنا الأكل من جهة النسب من غير استئذان إذا كان  
الطعام مبدولاً، فإذا كان محرراً دونهم لم يكن لهم أخذه، ولا يجوز أن يجاوزوا إلى الادخار . ولا إلى ما ليس  
بمأكول وإن كان غير محرز عنهم إلا بإذنه .

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ : أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة (قل) .

## ٢٥ - سُورَةُ الْفُرْقَانِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ : أي تكاثرت بركته، وعمت الخلائق كلها.

الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ : أي الله الذي نزل القرآن فارقاً بين الحق والباطل.

عَلَى عَبْدِهِ : أي محمد ﷺ .

يَكُونُ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ : أي ليكون محمد ﷺ نذيراً للعالمين من الإنس والجن، أي مخوفاً لهم من عقاب الله وعذابه، إن كفروا به ولم يعبدوه ويوحده. ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَخْذَ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ﴾ .

وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴿٢﴾ : أي سواه تسوية قائمة على أساس لا اعوجاج ولا زيادة ولا نقص عما تقتضيه الحكمة والمصلحة. ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ .

وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا : أي لا دفع ضرر ولا جلب نفع.

وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ : أي لا يقدرُونَ على إماتة أحد ولا إحيائه ولا بعثاً

للأموات.

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ : أي ما القرآن إلا كذب افتراه محمد، وهو ليس بكلام الله تعالى. هكذا قالوا. ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ مَّخْرُوتٌ﴾ ﴿١﴾ .

فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ : أي فرد الله عليهم قولهم بقوله فقد جاءوا ظلمًا حيث جعلوا الكلام المعجز الهادي إلى الإسعاد والكمال البشري إفكًا مختلفًا، وزورًا بنسبة ما هو بريء منه إليه.

وَقَالُوا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا : أي طلب كتابتها له فكتبت له. ﴿فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ﴿٥﴾ ﴿٢﴾ .

قُلْ أَنْزَلَهُ ﴿٣﴾ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : أي ما يسره أهل السماء والأرض وما يخفونه في

نفوسهم.

إِنَّهُمْ كَانُوا غُفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿قَوْمٌ مَّخْرُوتٌ﴾ هم: أبو فكيهة مولى ابن الحضرمي وعداس وجبر، وكان هؤلاء الثلاثة من أهل الكتاب.

(٢) ﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: أكاذيب القصاص وأساطيرهم التي سطروها في كتبهم.

(٣) أي القرآن.

مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ .

أَوْ يُفَقِّهَ إِلَيْهِ كَثْرًا: أي من السماء، فينطق منه، ولا يحتاج معه إلى الضرب في الأسواق.  
 أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا: بستان فيه ما يغنيه من أنواع الحبوب والثمار.  
 وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾: مخدوعًا مغلوبًا على عقله.  
 أَنْظَرَ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ: أي بالسحر والجنون والشعر والكهانة والكذب وما إلى ذلك.  
 فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾: فضلوا الطريق الحق، وهو أنه لا إله إلا الله وأن محمدًا  
 رسول الله فلا يهتدون.

تَبَارَكَ: أي تقدس وكثر خيره وعمت بركته.

الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ: أي الذي اقترحه المشركون عليك.  
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾: أي كثيرة لا قصرًا واحدًا كما قال  
 المشركون (١).

بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ: أي لم يكن المانع لهم من الإيمان كونك تأكل الطعام وتمشي في الأسواق،  
 بل تكذبيهم بالبعث والجزاء هو السبب في ذلك. ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾﴾ .  
 إِذَا رَأَيْتَهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾: أي صوتًا مزعجًا من تغيظها على أصحابها  
 المشركين بالله الكافرين به.

وَإِذَا أَلْقَاوْا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ: أي مقرونة أيديهم مع أعناقهم في الأصفاد.  
 دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾: أي نادوا يا ثبورنا، أي يا هلاكنا، إذ الثبور الهلاك. ﴿لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ  
 ثُبُورًا وَنَجْدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ﴿٢﴾ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ ﴿١٥﴾﴾ .  
 كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾: أي ثوابًا على إيمانهم وتقواهم، ومصيرًا صاروا إليها لا يفارقونها.  
 ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ﴿١٦﴾﴾ .

كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿١٦﴾: أي مطالبًا به إذ المؤمنون يطالبون به قائلين: ربنا وآتنا ما  
 وعدتنا، والملائكة تقول: ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ: أي يجمعهم.  
 وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ: من الملائكة والأنبياء والأولياء والجن. ﴿فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ  
 عِبَادِي هُنَالِكَ ﴿١٧﴾﴾ .

أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾: أي طريق الحق بأنفسهم بدون دعوتكم إياهم إلى ذلك.

(١) القصر في اللغة: كل بناء رفيع عال حصين، وأما البيت فقد يكون من لبن وطين، وقد يكون من شعر.

(٢) أي المذكور من السعير والإلقاء فيها مقرونة الأيدي بالأعناق وهم يصرخون يدعون بالهلاك.

قَالُوا سُبْحَانَكَ : أي تنزيهاً لك عما لا يليق بجلالك وكرمك. ﴿مَا كَانَ يَلْبِغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾.

وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ : أي بأن أطلت أعمارهم ووسعت عليهم أرزاقهم. حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ <sup>(١)</sup> وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ : أي هلكني، إذ البوار: الهلاك.

فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا : أي للعذاب عنكم. وَلَا تَنْصُرُوا : ولا تجدون من ينصركم فيمنع العذاب عنكم.

وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ : أي ومن يشرك منكم أيها الناس. ﴿نَذِقُهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ ﴿١٩﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَشْرَبُونَ فِي الْآسْوَاقِ﴾.

وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً : أي بلية، فالغني مبتلى بالفقير يقول: ما لي لا أكون كالغني، والمريض يقول: ما لي لا أكون كالصحيح، والوضع يقول: ما لي لا أكون كالشريف.. مثلاً.

أَنْصُرُونَ : أي اصبروا على ما تسمعون ممن ابتائتم بهم، إذ الاستفهام للأمر هنا. وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ : أي بمن يصبر وبمن يجزع ولا يصبر.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا : أي المكذبون بالبعث، إذ لقاء العبد ربه يكون يوم القيامة. لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْنا الْمَلَائِكَةَ : أي هلاً أنزلت علينا ملائكة تشهد لك بأنك رسول الله.

أَوْ نَرَى رَبَّنَا : أي فيخبرنا بأنك رسوله وأن علينا أن نؤمن بك.

لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ : أي في شأن أنفسهم ورأوا أنهم أكبر شيء وأعظمه غروراً منهم.

وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ : أي طغوا طغياناً كبيراً حتى طالبوا بنزول الملائكة ورؤية الرب تعالى. ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى لَوْمٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾.

وَيَقُولُونَ جِئْنَا بِحُجُورٍ ﴿٢٢﴾ : أي تقول لهم الملائكة: حراماً محرماً عليكم البشري.

وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ : أي عمدنا إلى أعمالهم الفاسدة التي لم تكن على علم وإخلاص.

فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾ : الهباء ما يرى من غبار في شعاع الشمس الداخلي من الكوي.

أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ : المقييل: مكان الاستراحة في نصف النهار

في أيام الحر.

وَيَوْمَ تَشْقَى السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ : أي عن الغمام، هو سحب أبيض رقيق كالذي <sup>(٢)</sup> كان لبني إسرائيل في

التيه.

(١) ﴿حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ﴾ أي نسوا ذكرك وعبادتك وما جاءتهم به رسلك فكانوا بذلك قوماً بوراً أي هلكني خاسرين.

قيل: الذكر: القرآن، وقيل: الشكر على الإحسان، وما في التفسير أشمل.

(٢) الباء: بمعنى عن نحو: رميت بالقوس وعن القوس، والغمام: سحب أبيض رقيق مثل الضباب هو الذي قال

تعالى فيه: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ مِنَ الْعَمَامِ﴾.

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ تَنْزِيلًا ﴿٢٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ﴾ : أي الملك الحق لله، ولم يبق لملوك الأرض ومالكها ملك في شيء ولا لشيء. ﴿ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ : أي صعبًا شديدًا.

وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ : المشرك الكافر. ﴿ عَلَى يَدَيْهِ ﴾ : أي ندماً وأسفاً على ما فرط في جنب الله. يَكْفُولُ يَنْتِيحِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ : أي طريقاً إلى النجاة بالإيمان والطاعة. يَنْوَيْتَنِي لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَا تَأْخِلِيلاً ﴿٢٨﴾ : أي أبي بن خلف خليلاً صديقاً ودوداً. لَقَدْ أَصْلَبْنِي عَنِ الذِّكْرِ : أي عن القرآن وما يدعو إليه من الإيمان والتوحيد والعمل الصالح. ﴿ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ﴾ .

وَكَانَ الشَّيْطَانُ : شيطان الجن وشيطان الإنس معاً. ﴿ لِلْإِنْسَانِ حَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (١). وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ : أي شيئاً متروكاً لا يلتفت إليه. ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ . وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ : أي هادياً لك إلى طريق الفوز والنجاح، وناصرًا لك على كل أعدائك.

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً : أي كما نزلت التوراة والإنجيل والزيور دفعة واحدة فلا تجزئة ولا تفرقة.

كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ : أي نقوي قلبك لتتحمل أعباء الرسالة وإبلاغها. وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ : أي أنزلناه شيئاً فشيئاً آيات بعد آيات وسورة بعد أخرى؛ ليتيسر فهمه وحفظه. ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ (٢) ﴿ الَّذِينَ يُحْشِرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ﴾ .

أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا : أي ينزلونه وهو جهنم والعياذ بالله منها. ﴿ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٣﴾ ﴾ . وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ : أي التوراة. ﴿ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ : أي يشد أزره ويقويه ويتحمل معه أعباء الدعوة.

فَقُلْنَا أَذْهَبًا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا : هم فرعون وآله. ﴿ فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ .

(١) الخذول: كثير الخذلان، وخذله: إذا ترك نصرته وهو قادر عليها فالخذل والخذلان: معناهما: ترك نصر المستنجد مع القدرة على نصره.

(٢) هذا كقولهم: ﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَيْنَاهُ ﴾ وقولهم: ﴿ اسْتَطِيرَ الْأَوْلِيَاءُ ﴾ وقولهم: ﴿ مَا لِي هَذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَشْرِبُ فِي الْأَشْرَاقِ ﴾ وقولهم: ﴿ إِنْ تَسْمَعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾ وقولهم: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾ كل هذا الذي قالوه رد عليهم وأبطله بالحجج القوية فأسكتهم وأبطل دعاويهم.

وَقَوْمٌ نُوْحٌ لَّمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ : أي نوحاً عليه السلام (١). ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾  
 وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً : أي علامة على قدرتنا في إهلاك وتدمير الظالمين وعبرة للمعتبرين.  
 ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٢٧).

وَعَادًا وَثَمُودًا : أي اذكر قوم عاد وثمود. إلخ.  
 وَأَصْحَابَ الرِّسِّ : الرس بئر رس فيها قبر نبيهم، أي رموه فيها ودسوه في التراب..  
 وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا (٢٨) : أي ودمرنا بين من ذكرنا من الأمم قرونًا كثيرًا. ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ  
 الْأَمْثَلُ﴾.

وَكُلًّا تَبَرْنَا تَنْبِيْرًا (٢٩) : أي دمرناهم تدميرًا.  
 وَلَقَدْ أَنْوَأْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرَ السَّوْءِ : هي سدوم قرية قوم لوط. ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرْتَوْنَهَا﴾  
 بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا (٣٠) : أي لا يؤمنون بالبعث والجزاء الآخر.  
 وَإِذْ أَرَأَوْكَ إِذْ يَنْخَذُونَكَ : أي ما يتخذونك. ﴿الْأَهْرُؤَاغَاءُ﴾ : أي مهزوءة به.  
 أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا (٣١) : أي في دعواه، لا أنهم معترفون برسالته، والاستفهام للتهكم  
 والاحتقار.

إِنْ كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنْ الْهَيْتِنَا : أي قارب أن يصرفنا عن آلهتنا.  
 لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا : أي لصرفنا عنها. ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾  
 (٣٢).

أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ : أي أخبرني عمن جعل هواه معبوده فأطاع هواه، فهل تقدر على  
 هدايته. ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا﴾ (٣٣) أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون. ﴿  
 إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ : أي ما هم إلا كالأنعام في عدم الوعي والإدراك. ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾  
 (٣٤).

أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ : أي ألم تنظر إلى صنيع ربك في الظل كيف يبسطه.  
 وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا : أي ثابتًا على حاله في الطول والامتداد، لا يقصر ولا يطول.  
 ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (٣٥) : أي علامة على وجوده إذ لولا الشمس لما عرف الظل.  
 ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (٣٦) : أي أزلناه بضوء الشمس على مهل جزءًا فجزءًا حتى ينتهي.

(١) هذا كقوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُوْحٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٣٥) فإن الذي يكذب برسول يعتبر قد كذب بكل  
 الأنبياء ولو لم يكونوا في زمانه لأن شرط الإيمان: الإيمان بكل الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - قال  
 تعالى في سورة البقرة: ﴿كُلُّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَمْرًا إِلَى اللَّهِ يُقِرُّ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ﴾ (٢٠٨).  
 (٢) إذ الأنعام تعرف طريق مرعاها وتستجيب لنداء راعيها، وهم على خلاف ذلك فجهلوا ربهم الحق ولم يستجيبوا  
 لنداء رسوله إليهم.

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لَيْلًا لِيَأْسَ : أي يستركم بظلامه كما يستركم اللباس.  
وَالنَّوْمَ سُبَاتًا : أي راحة لأبدانكم من عناء عمل النهار.  
وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿١٧﴾ : أي حياة، إذ النوم بالليل كالموت، والانتشار بالنهار كالبعث.  
وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ : أي مبشرة بالمطر قبل نزوله، والمطر هو:  
الرحمة.

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿١٨﴾ : أي تتطهرون به من الأحداث والأوساخ.  
لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا : أي بالزروع والنباتات المختلفة.  
وَنُشِيقِيَهُ، مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَنَاسِيًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ : أي حيوانًا وأناسًا كثيرين.  
وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ : أي المطر فينزل بأرض قوم ولا ينزل بأخرى لحكم عالية<sup>(١)</sup>.  
لِيَذْكُرُوا : أي يذكروا فضل الله عليهم فيشكروا فيؤمنوا ويوحدوا.  
فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٢٠﴾ : أي فلم يذكروا، وأبى أكثرهم إلا كفورًا وجحودًا للنعمة.  
وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٢١﴾ : أي رسولًا ينذر أهلها عواقب الشرك والكفر.  
فَلَا تَطِعِ الْكُفْرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ : أي بالقرآن جهادًا كبيرًا تبلغ فيه  
أقصى غاية جهدك.

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ : أي خلط بينهما، وفي نفس الوقت منع  
الماء المالح أن يفسد الماء العذب.

وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا : أي حاجزًا بين المالح منهما والعذب.  
وَجِجْرًا تَحْجُورًا ﴿٢٣﴾ : أي جعل بينهما سدًا مانعًا فلا يحلو المالح، ولا يملح العذب.  
وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا : أي خلق من الماء الإنسان، والمراد بالماء النطفة.  
فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا : أي ذكرًا وأنثى، أي نسبًا ينسب إليه، وصهرًا يصهر إليه أي يتزوج منه.  
﴿وَكَانَ رَيْكٌ قَدِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ .

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ : أي أصنامًا لا تنفع ولا تضر.  
وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَيْبٍ ظَهِيرًا ﴿٢٥﴾ : أي معينًا للشيطان على معصية الرحمن. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا  
مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ .

قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ : أي على البلاغ من أجر أتقاضاه منكم.  
إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ : أي طريقًا يصل به إلى مرضاته<sup>(٢)</sup> والفوز بجواره،

(١) وجائز أن يراد بقوله ﴿صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾ القرآن الكريم، إذ جرى ذكره أول السورة وفي أثنائها أيضًا.

(٢) قال الصابوني أثابه الله: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ أي لكن من شاء أن يتخذ طريقًا يقربه إلى الله  
بالإيمان والعمل الصالح فليفعل كأنه يقول: لا أسألكم مالًا ولا أجرًا وإنما أسألكم الإيمان بالله وطاعته



وذلك بإنفاق ماله في سبيل الله.

وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ: أي قل سبحان الله وبحمده. ﴿وَكَفَىٰ بِهِ يَذُنُوبٍ عِبَادَتِي خَيْرًا﴾ (٥٨) ﴿١﴾.

الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ: أي من أيام الدنيا التي قدرها وهي الأحد.. والجمعة.

ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ: العرش سرير الملك، والاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

الرَّحْمَنُ فَسْتَلْ بِهِ خَيْرًا (٥٩): أي أيها الإنسان اسأل خيرًا بعرش الرحمن (٢) ينبئك فإنه عظيم. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ (٦٠) ﴿٣﴾: أي القول لهم: اسجدوا للرحمن زادهم نفورًا من الإيمان.

نَبَارِكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا: هي اثنا عشر برجًا (٣).

وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا: أي شمسًا. ﴿وَقَمَرًا مِّنِيرًا﴾ (٦١) ﴿٤﴾.

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً: أي يخلف كل منهما الآخر كما هو مشاهد (٤).

لَمَن أَرَادَ أَن يَذُكَّرَ: أي ما فاته في أحدهما فيفعله في الآخر.

أَوْ أَرَادَ شُكْرًا (٦٢): أي شكرًا نعم ربه عليه فيهما بالصيام والصلاة.

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا: في سكينه ووقار.

وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ: أي بما يكرهون من الأقوال.

قَالُوا سَلَامًا (٦٣): أي قولًا يسلمون به من الإثم، ويسمى هذا سلام المتاركة، وهو أن يقول

قولًا يسلم به من أذى الجاهل وذلك بأن يدفعه بالتى هي أحسن من الكلمات.

وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤): أي يصلون الليل، سجدًا جمع ساجد. ﴿وَالَّذِينَ

وأجري على الله. اهـ. من صفوة التفاسير (قل).

(١) أي لا تحزن عليهم من أجل كفرهم وشركهم فإن ربك عالم بذنوبهم محصي... عليهم أعمالهم وسيجزئهم بها.

(٢) رجع بعضهم أن الباء هنا بمعنى عن أي: اسأل عن الرحمن خيرًا ورأى ابن كثير أن المستول هنا هو الرسول ﷺ لأنه أعرف الخلق بالخالق وبعزته وعظمته جل جلاله.

(٣) ﴿نَبَارِكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾: وهي منازل الكواكب السبعة السيارة، فلهذا سميت بروجًا جمع برج وهو القصر الكبير، وتعرف هذه البروج الاثنا عشر بالحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت. والكواكب السبعة السيارة هي: المريخ والزهرة وعطارد والقدس والشمس والمشتري وزحل. فهذه الكواكب تنزل في البروج كالتصور لها.

(٤) روى مسلم عن عمر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل».

يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ﴿٦٥﴾ .

إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ : أي عذاب جهنم كان لازماً لا يفارق صاحبه.

إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ : أي بسئت مستقراً وموضع إقامة واستقرار.

وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا : أي لم يُبذروا ولم يضيّقوا.

وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ : أي بين الإسراف والتقتير وسطاً. ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ

إِلَهًا آخَرَ ﴿٦٨﴾ .

وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ : وهي كل نفس آدمية إلا نفس الكافر المحارب.

إِلَّا بِالْحَقِّ : وهو واحد من ثلاث: كفر بعد إيمان، أو زنى بعد إحصان، أو قتل ظلم وعدوان.

﴿وَلَا يَزْنُونَ ﴿٦٩﴾ .

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ (١) : أي عقوبة شديدة. ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ

مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ ﴿٧٠﴾ .

يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ : بأن يمحو بالتوبة سوابق معاصيهم، ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم.

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ .

وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ : أي لا يحضرون مجالسه، ولا يشهدون بالكذب (٢) والباطل.

وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ : أي بالكلام السيئ القبيح وكل ما لا خير فيه (كالغناء).

مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ : أي معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن سماعه أو المشاركة فيه .

وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا لَمْ يَأْتُوا بِهَا بَشَاءٍ : أي إذا وعظوا بآيات القرآن.

لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ : أي لم يطأطئوا رؤوسهم حال سماعها، عمياً لا يبصرون، ولا

صُمًّا لا يسمعون، بل يصغون يسمعون ويعون ما تدعو إليه، ويبصرون ما تعرضه. ﴿وَالَّذِينَ

يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴿٧٤﴾ : أي ما تقر به أعيننا، وهو أن تراهم (٣)

مطيعين لك يعبدونك وحدك.

وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٥﴾ : أي من عبادك الذين يتقون سخطك بطاعتك، قدوة يقتدون بنا في

الخير.

(١) وقيل: الآثام: قيل فيه إنه واد في جهنم.

(٢) قيل في الزور: إنه كل باطل زور وزخرف وأعظمه الشرك وتعظيم الأنداد. وقال ابن عباس: إنه أعياد المشركين.

وقال عكرمة: اللعب كان في الجاهلية يسمى الزور، وقال مجاهد: الغناء، والحكم في شاهد الزور أن يجلد

أربعين جلدة ويسخم وجهه ويحلق رأسه ويطاف به في السوق بهذا حكم عمر رضي الله عنه. وتسخيم الوجه أن يسود

بالفحم.

(٣) تراهم أعيننا.

أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ : أي الدرجة العليا في الجنة.  
 بِمَا صَبَرُوا : أي على طاعتك بامثال الأمر واجتناب النهي. ﴿ وَيُلْقَوْنَ فِيهَا نَجْمَةً وَسَلَامًا

﴿ ٧٥ ﴾

خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ : أي صلحت وطابت مستقرًا لهم أي موضع

استقرار وإقامة.

قُلْ مَا يَعْجَبُونَ بِكُرْبِيِّي : أي ما يكثرث، ولا يعتد بكم ولا يبالي.

لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ : إياه، ودعاؤه إياكم لعبادته بذكره وشكره.

فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾ : أي العذاب لزامًا أي لازماً لكم في بدر، ويوم القيامة.





**الباب الخامس**  
**من سورة « الشعراء »**  
**حتى سورة « يس »**



## ٢٦ - سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّرَ (١) : الله أعلم بمراده بذلك .  
 تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) : أي القرآن المبين للحق من الباطل .  
 لَعَلَّكَ بَدِخٌ نَّفْسِكَ : أي قاتلها من الغم .  
 أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣) : أي من أجل عدم إيمانهم بك .  
 إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ : كرفع جبل نخوفهم به . ﴿فَطَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ (١) مَا خَضَعِينَ (٤)﴾ .  
 وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ : أي من القرآن مما يحدثه الله إليك . ويوحى به إليك .  
 إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (٥) : أي غير ملتفتين إليه . ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَتُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٦) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ ﴿﴾ .  
 كُلِّ رَوْحٍ كَرِيمٍ (٧) : أي صنف حسن . ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٨)﴾ (٢) .  
 وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ : الغالب على أمره ومراده .  
 الرَّحِيمِ (٩) : بالمؤمنين من عباده .  
 وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى : أي اذكر لقومك يا رسولنا إذ نادى ربك موسى .  
 أَنْ أَنْتَ : أي بأن اتت . ﴿الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠)﴾ .  
 قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَنْقُورُونَ (١١) : ألا يخافون الله ربهم ، ورب آبائهم الأولين ما لهم ما دهاهم . ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (١٢)﴾ (٣) .  
 وَيَضِيقُ صَدْرِي : أي من تكذيبهم لي .  
 وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي : أي للعقدة التي به .  
 فَأَرْسِلْ لِي هَارُونَ (١٣) : أي إلی أخی هارون لیكون معی فی إبلاغ رسالتی .  
 وَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ : أي ذنب القبطي الذي قتله موسى قبل خروجه إلى مدين . ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾

(١) والأعناق: جمع عنق، بضم العين والنون، وهو الرقبة، أي فتظل طوال النهار أعناقهم خاضعة، تحتها تتوقع في كل لحظة نزولها عليهم فتهلكهم فيؤمنون حيثئذ إيمان قسر وإكراه ومثله لا يتفع صاحبه فلا يزكي نفسه ولا يطهر روحه لأنه غير إرادي له ولا اختياري .

(٢) المراد ممن نفي الإيمان عن أكثرهم هم: أكابر مجرمي مكة إذ أكثرهم مات كافراً أما غيرهم فنذر من لم يؤمن منهم إذ دخلوا في دين الله بعد الفتح أفواجاً .

(٣) ﴿أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ : الأصل: أن يكذبوني فحذفت النون الأولى للناسب: وهو ﴿أَنْ﴾ فصارت يكذبوني ثم حذفت ياء الضمير لدلالة الكسرة عليها فصارت ﴿يُكَذِّبُونِ﴾ .

﴿١٦﴾

قَالَ كَلَّا : أَي قَالَ اللهُ تَعَالَى لَهُ : كَلَّا : أَي لَا يَقْتُلُونَكَ .

فَأَذْهَبَا بِعَائِدَتِنَا : أَنْتَ وَهَارُونَ . ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ ﴿١٦﴾ .

فَأْتِيَافِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ : أَي إِلَيْكَ . ﴿أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ﴿١٧﴾ .

قَالَ : أَي قَالَ فِرْعَوْنُ رَدًّا عَلَى كَلَامِ مُوسَى فِي السِّيَاقِ السَّابِقِ .

الْمَرْثِيكَ فِينَا وَوَلِيدًا : أَي فِي مَنَازِلِنَا ، وَوَلِيدًا : أَي صَغِيرًا قَرِيبًا مِنْ أَيَّامِ الْوِلَادَةِ .

وَلَيْسَتْ فِينَا مِنْ عُمْرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ : أَي أَقَمْتَ بَيْنَنَا قَرَابَةً ثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَكَانَ مُوسَى يُدْعَى ابْنَ فِرْعَوْنَ ،

لِجَهْلِ النَّاسِ بِهِ ، وَرَوَيْتَهُمْ لَهُ فِي قَصْرِهِ يَلْبَسُ مَلَابِسَهُ وَيُرَكِّبُ مَرَاكِبَهُ .

وَفَعَلْتَ فَعَلْتَنَّا أَلَيْ فَعَلْتَ : أَي قَتَلْتَ الرَّجُلَ الْقَبْطِيَّ .

وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ : أَي الْجَاهِلِينَ لِنِعْمَتِي عَلَيْكَ بِالتَّرْبِيَةِ وَعَدَمِ الْاِسْتِعْبَادِ .

قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ : إِذْ لَمْ يَكُنْ عِنْدِي يَوْمَئِذٍ مِنْ عِلْمِ رَبِّي وَرِسَالَتِهِ مَا عِنْدِي الْآنَ .

﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿٢١﴾ ﴿٢﴾ .

وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ : أَي هَلْ تَعْبِيدُكَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ يَعِدُ نِعْمَةً فَتَمُنُ بِهَا

عَلَيَّ؟ ﴿٣﴾ .

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ : أَي الَّذِي قُلْتَ : إِنَّكَ لِرَسُولِهِ مِنْ أَيِّ جِنْسٍ هُوَ ﴿٤﴾ .

قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا : أَي خَالِقُ وَمَالِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا .

إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ : بِأَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ مَخْلُوقَةٌ قَائِمَةٌ

فَخَالِقُهَا وَمَالِكُهَا هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ .

قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ : أَي مِنْ أَشْرَافِ قَوْمِهِ وَرِجَالِ دَوْلَتِهِ .

أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ : أَي جَوَابَهُ الَّذِي لَمْ يَطَابِقِ السُّؤَالَ فِي نَظَرِهِ . ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾

﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لِي

أَتَّخَذتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ .

قَالَ أَوْلَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ : أَي أَتَسْجِنُنِي وَلَوْ جِئْتَكَ بِبِرْهَانٍ وَحُجَّةٍ عَلَيَّ رِسَالَتِي؟

(١) قيل: أقام بنو إسرائيل في مصر أربعمئة سنة وكانوا يوم خرجوا منها ستمائة ألف.

(٢) أي: فررت منكم إلى أرض مدين.

(٣) أي استعبدتهم أي اتخذتهم عبيداً لك يخدمونك تستعملهم كما تشاء كالعبيد لك ولم تستعبدني أنا لاتخاذك

إياي ولذا حسب زعمك فأين النعمة التي تمنها علي يا فرعون؟

(٤) لما غلب فرعون في جداله لموسى استفهم بقوله: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وهو استفهام عن جنس ولم يستفهم عن

رب العالمين تجاهلاً منه ومكابرة فقال: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وكان المطلوب أن يقول: ومن رب العالمين؟

ولكنه العلو والتكبر.



قَالَ قَاتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ : أي فأت بهذا الشيء المبين إن كنت من الصادقين فيما تقول.

فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ : أي ثعبان ظاهر أنه ثعبان لا شك. وَرَبَعَ يَدَيْهِ : أي أخرجها من جيبه بعد أن أدخلها فيه. ﴿فَإِذَا هِيَ بِبَيْضَاءَ اللَّيْلِ لَنَظِيرٍ﴾ ﴿٣٣﴾ . قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ : أي متفوق في علم السحر. ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ : أي أخرجهم من أرضهم. وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ : أي جامعين للسحرة. يَا قَتْلِكُمْ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ : أي متفوق في الفن أكثر من موسى. فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ : هو ضحى يوم الزينة عندهم. وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ : أي اجتمعوا كي تتبع السحرة على دينهم إن كانوا هم الغالبيين. ﴿لَعَلْنَا نَبْعَثَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ﴾ ﴿٤٠﴾ : فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أبن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبيين ﴿٤١﴾ .

قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ : أي لكم الأجر، وهو الجعل الذي جعل لهم وزادهم مزية القرب منه.

قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٤٣﴾ : أمرهم بالإلقاء توسلاً إلى ظهور الحق. ﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعَصِيَّتَهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ .

فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ : أي ما يقلبونه بتمويههم من أن حبالهم وعصيتهم حيات تسعى (١). ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَهُمْ﴾ ﴿٤٦﴾ : قالوا آمنا رب العالمين ﴿٤٧﴾ .

رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ : أي لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يأتي بواسطة السحر. قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ نَعْمُونَ لِأَفْطِنَ .

أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ : أي يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى. وَلَا أَصَلَبَتْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ : أي لأشدنكم بعد قطع أيديكم وأرجلكم من خلاف على الأخشاب. قَالُوا لِأَصَبْرٍ : أي لا ضرر علينا.

إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ : أي راجعون بعد الموت وذلك يسر ولا يضر. ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا﴾ .

أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ : أي رجوا أن يكفر الله عنهم سيئاتهم؛ لأنهم سبقوا بالإيمان.

(١) ومعنى ﴿تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ : أي تبتلع في جوفها من طريق فمها كل ما أفكه: أي كذبه وافتراه السحرة بسحرهم من انقلاب الحبال والعصي حيات وثعابين.

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي: السري: المشي ليلاً والمراد من العباد بنو إسرائيل. إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ﴿٥٢﴾: أي من قبل فرعون وجيوشه. ﴿ فَأَرْسَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾. إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ: أي طائفة من الناس. ﴿ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾<sup>(١)</sup>. وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِطُونَ ﴿٥٥﴾: أي فاعلون ما يغيظنا ويغضبنا<sup>(٢)</sup>. وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٥٦﴾: أي متيقظون مستعدون. ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾. وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾: أي مجلس حسن كان للأمرء والوزراء. كَذَلِكَ: أي كان إخراجنا كذلك أي على تلك الصورة. ﴿ وَأَوْزَنَّا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾: أي تلك النعم.

﴿ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾: أي وقت شروق الشمس. فَلَمَّا تَرَاهُ الْجَمْعَانِ: أي رأى بعضهما بعضاً لتقاربهما، والجمعان: جمع بني إسرائيل وجمع فرعون. قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾: أي قال أصحاب موسى من بني إسرائيل إنا لمدركون أي سيلحقنا فرعون وجنده.

﴿ قَالَ كَلَّا: أَي قَالَ مُوسَى ﷺ كَلَّا أَي لَنْ يَدْرِكُونَا، وَلَنْ يَلْحَقُوا بِنَا. ﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾. فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بَعْصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ: أي انشق. فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾: أي شق: أي الجزء المنفرد، والطود: الجبل. وَأَرْزَلْنَا نَمَّ الْأَخْرِينَ ﴿٦٤﴾: أي قربنا هنالك الآخرين، أي فرعون وجنده. ﴿ وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْأَخْرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً: أي عبرة وعظة توجب الإيمان برب العالمين برب موسى وهارون. ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾<sup>(٣)</sup> وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾. وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾: أي اقرأ يا رسولنا على قومك خبر إبراهيم وشأنه العظيم، والمقصود

(١) الإشارة بهؤلاء فيه إيماء بتحقيق شأن بني إسرائيل، والشردمة الطائفة القليلة العدد.

(٢) الغيظ: أشد الغضب.

(٣) وما كان أكثر قومك يا محمد مؤمنين مع موجب الإيمان ومقتضيه؛ لأنه سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون، وقد رد القرطبي رحمته الله الضمير في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ إلى فرعون وملئه فقال: لأنه لم يؤمن من قوم فرعون إلا مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وابته آسيا فرعون... إلخ في حين أن أكثر المفسرين على أن الخطاب للنبي ﷺ وهو وجه العبرة من السياق. اهـ. ولا مانع من الجمع بين القولين، والله أعلم.

فيكون المعنى: ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾: كما لم يؤمن أكثر قوم فرعون لم يؤمن أكثر قومك يا محمد ونفس المعنى يقال في قصة إبراهيم ونوح وعاد وثمود ولوط وشعيب رحمهم الله مع مراعاة تفسير آخر الآية الثامنة من نفس السورة خاصة الهامش (قل).

طلب هداية قريش إلى الحق بإسماعهم أخبار الأولين.  
 إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ : أَيَّ آزَرَ وَالْبَابِلِيِّينَ . ﴿٧٦﴾ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٧﴾ .  
 قَالُوا تَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عُنُقِينَ ﴿٧٨﴾ : أَي فَنَقِيمُ أَكْثَرَ النَّهَارِ عَابِدِينَ ﴿٧٩﴾ عَلَىٰ عِبَادَتِهَا . ﴿٨٠﴾ قَالَ هَلْ  
 يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٨١﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ ﴿٨٢﴾ .  
 قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٨٣﴾ : أَي لَا تَسْمَعُ وَلَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ ، بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ  
 فَنَحْنُ تَبِعٌ لَهُمْ . ﴿٨٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٨٦﴾ .  
 فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي : أَي أَعْدَاءُ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا أَنَا عَبْدَتُهُمْ لِأَنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ مِنْ عَابِدِيهِمْ .  
 إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ : فَإِنَّ مِنْ يَعْْبُدُهُ لَا يَتَّبِعُونَ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَلْ يَنْجِيهِ مِنَ النَّارِ وَيَكْرُمُهُ بِالْجَنَّةِ .  
 الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٨٨﴾ : أَي إِلَهِي مَا يَنْجِيَنِي مِنَ الْعَذَابِ وَيَسْعِدُنِي فِي دُنْيَايَ وَأُخْرَايَ . ﴿٨٩﴾ وَالَّذِي  
 هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي ﴿٩٠﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي ﴿٩١﴾ .  
 وَالَّذِي يُسَيِّئُ تُمَسِّحِيَنِي ﴿٩٢﴾ : أَي يَمِيتُنِي عِنْدَ انْتِهَاءِ أَجْلِي ثُمَّ يَحْيِيَنِي لِيَوْمِ الدِّينِ .  
 وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خِطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٩٣﴾ : أَي يَوْمَ الْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ ، وَهُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
 وَالْبَعْثِ الْآخِرِ .

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا : أَي يَا رَبِّ اعْطِنِي مِنْ فَضْلِكَ حُكْمًا ، أَي عَلِمًا نَافِعًا وَارْزُقْنِي الْعَمَلَ بِهِ .  
 وَالْحَقِيقِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٩٤﴾ : لِأَعْمَلَ عَمَلَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَأَكُونَ مَعَهُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ .  
 وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٩٥﴾ : أَي اجْعَلْ لِي ذِكْرًا حَسَنًا أَذْكَرُ بِهِ فِيمَنْ يَأْتِي بَعْدِي .  
 ﴿٩٦﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٩٧﴾ .  
 وَأَغْفِرْ لِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٩٨﴾ : كَانَ هَذَا مِنْهُ قَبْلَ أَنْ يَتَّبِينُ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ .  
 وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٩٩﴾ : أَي لَا تَفْضَحْنِي . ﴿١٠٠﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿١٠١﴾ .  
 إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿١٠٢﴾ : أَي مِنَ الشَّرْكِ وَالنَّفَاقِ ، وَبِاقِي الْمَهْلَكَاتِ .  
 وَأَرْزَلْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُنْفِقِينَ ﴿١٠٣﴾ : أَي أَدْنَيْتِ وَقَرَّبْتِ لِلْمُنْفِقِينَ .  
 وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿١٠٤﴾ : أَي أَظْهَرَتْ وَجَلَّيَتْ لِلْغَاوِينَ . ﴿١٠٥﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَنْتُمْ مَّا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿١٠٦﴾ .  
 مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ : أَي بِدَفْعِ الْعَذَابِ عَنْكُمْ .  
 أَوْ يَنْصُرُونَ ﴿١٠٧﴾ : أَي لِأَنْفُسِهِمْ بِدَفْعِ الْعَذَابِ عَنْهَا .  
 فَكُفُّوا فِيهَا : أَي أَلْقُوا عَلَىٰ وَجْهِهِمْ فِي جَهَنَّمَ وَدَحْرَجُوا فِيهَا حَتَّىٰ انْتَهَوْا إِلَىٰ قَعْرِهَا ﴿١٠٨﴾ .  
 هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿١٠٩﴾ : جَمْعُ غَاوٍ وَهُوَ الْفَاسِدُ الْقَلْبُ الْمَدْنَسُ الرُّوحُ مِنَ الشَّرْكِ وَالْمَعَاصِي .

(١) ﴿فَنَظَلُّ﴾ هذا اللفظ يدل أنهم يقضون فترة طويلة من النهار حولها لعبادتها، وأما الليل فيعبدون الكواكب لمشاهدتها، والتماثيل إنما هي صورة لها فإذا غابت عبدوا صورها بالنهار.

(٢) ﴿فَكُفُّوا﴾ أي: كبا فيها كبا بعد كبا لأن كبا مضاعف: كبا بال تكرير نحو: فكف الدمع أي: كفه مرة بعد مرة.

وَجُنُودٍ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ : أي أتباعه وأنصاره وأعوانه من الإنس والجن. ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>  
﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنَّ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ .  
إِذْ تُسَوِّبُكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ : أي في العبادة، فعبدناكم كما يعبد الله ﷻ. ﴿وَمَا أَصَلْنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾  
﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صِدْقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ : أي يهمه أمرنا وتنفعنا صداقته نحتمي به من أن نعذب.  
فَلَوْ أَنَّا كُنَّا كَرَّةً فَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ : كرة: أي رجعة إلى الدنيا لنؤمن ونوحد ونعبد ربنا بما شرع  
لنا. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ .  
كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ : قوم نوح التي بعث فيها، والمراد من المرسلين: نوح ﷺ.  
إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ : أي في النسب.  
أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ : أي اتقوا الله ربكم فلا تعصوه بالشرك والمعاصي.  
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ : أي على ما أمرني ربي بإبلاغه إليكم. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٠٨﴾﴾ .  
وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ : أي لا أسألكم على إبلاغ رسالة الله أجره مقابل البلاغ. ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ﴾  
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١١٠﴾ .  
﴿قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَالَّذِينَ لَكُمْ وَأَتَّبَعَكُمُ الْأَذَلَّةُ﴾ ﴿١١١﴾ : أي كيف نتبعك على ما تدعونا إليه وقد اتبعك أراذل  
الناس، أي سفلتهم وأهل الخسة فيهم. ﴿قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١١٢﴾ .  
إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي : أي ما حسابهم إلا على ربي. ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ  
أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٥﴾ . فلست بجبار ولا ذي سلطان فأطرد الناس.  
قَالُوا لَيْن لَمْ تَنْتَهَ بِنُوحٍ : أي عن دعوتنا إلى ترك آلهتنا وعبادة إلهك وحده.  
لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾<sup>(٣)</sup> : أي المقتولين رجماً بالحجارة. ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ ﴿١١٧﴾ .  
فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا : أي احكم بيني وبينهم حكماً بأن تهلكهم. ﴿وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾  
﴿١١٨﴾ .

فَأَنجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَاحِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ : أي المملوء بالركاب وأزواج المخلوقات الأخرى.  
ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ : أي بعد إنجائنا نوحاً والمؤمنين بركوبهم في السفينة<sup>(٤)</sup>، أغرقنا الكافرين،

(١) من الجائر أن يكون هذا من كلام إبراهيم إلا أن كونه من كلام الله تعالى موعظة لأمة محمد ﷺ أولى وقد استظهره ابن عطية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجملة ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ حالية، وجملة تالله إلخ مقول القول.

(٢) قيل لسفيان: إن امرأة زنت وقتلت ولدها وهي مسلمة هل يقطع لها بالنار؟ فقال: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ .

(٣) كل لفظ (رجم) في القرآن معناه القتل رمياً بالحجارة إلا قوله: ﴿لَيْن لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْحَمَتِكَ﴾ فإنه بمعنى لأسبكت وأشتمت.

(٤) ثم: للتراخي الربوبي في الإخبار لأن إغراق أمة كاملة أعظم دلالة على عظيم القدرة من إنجاء طائفة من الناس.

إذ إغراقهم كان بعد نجاة المؤمنين. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٣٢﴾ .

كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ : عاد اسم أبي القبيلة، وسميت القبيلة به.  
 إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ : أخوهم في النسب. ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (١٣٤) ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (١٣٥) .  
 فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣٦﴾ : أي خافوا عقابه فلا تشركوا به شيئاً (١) . ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٣٧) .

أَتَّبِعُونَ بِكُلِّ رِيعٍ : أي مكان عالٍ مرتفع.

ءَايَةٌ : أي قصراً مشيداً عالياً مرتفعاً.

تَعَبُّونَ ﴿١٣٨﴾ : أي بينانكم حيث تبون ما لا تسكنون.

وَتَتَّخِذُونَ مَصَافِعَ : أي حصوناً منيعة وقصوراً رفيعة.

لَعَلَّكُمْ تَخْذُلُونَ ﴿١٣٩﴾ : أي كأنكم تأملون الخلود في الأرض وترجونه.

وَإِذَا بَطِشْتُمْ : أي أخذتم أحداً سطوتم عليه بعنف وشدة.

بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٤٠﴾ : أي عتاة متسلطين. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (١٤١) .

وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ : أي أعطاكم منعماً عليكم. ﴿بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٤٢) .

أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ : هي الإبل والبقر والغنم. ﴿وَبَيْنَ﴾ (١٤٣) ﴿وَحَنْتِ وَعُيُونٍ﴾ (١٤٤) .

إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٤٥﴾ : هو يوم هلاكهم في الدنيا ويوم بعثهم يوم القيامة.

قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٤٦﴾ : أي مستور عندنا وعظك وعدمه، فإننا لا

نطيعك.

إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٤٧﴾ : أي ما هذا الذي تعظنا فيه من البناء وغيره إلا دأب وعادة الأولين.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ (١٤٨) ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ (١٤٩) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ (١٥٠) ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٥١) ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (١٥٢) .

كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥٣﴾ : أي كذبت قبيلة ثمود نبيها صالحاً. ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ﴾ (١٥٤) ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (١٥٥) ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (١٥٦) .

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (١٥٧) ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٥٨) .

(١) سبق أن ذكرت أن المراد بمن أكثرهم لا يؤمنون: هم أكابر مجرمي مكة وعلى رأسهم المستهزئون وهذا من إطلاق العام وإرادة الخاص؛ لأن الذين آمنوا وأسلموا أكثر ممن ماتوا على الكفر، أو نفي الإيمان مقيد بزمن معين لا يتعداه.

(٢) الفاء: للتفريع فالجملة متفرعة عن؛ جملة ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ أي: فينادي إني رسول أمين فاتبعوا ما أقول لكم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ وحذف الياء من فاتقون مراعاة لرهوس الآي.

(٣) أي: بريح صرصر سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً (من سورة الحاقة).

أَتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾: أي من الخيرات والنعم غير خائفين من أحد. ﴿فِي جَنَّتِ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ﴾.

طَلَعَهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾: أي طلع النخل لين ناعم ما دام في كفره أي غطائه الذي عليه <sup>(١)</sup>.

وَتَنحِثُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا: أي تنجرون بالآلات النحت الصخور في الجبل وتتخذون منها بيوتًا.

فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾: أي حذقين من جهة، وبطرين متكبرين مغترين بطاعتكم من جهة أخرى.

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٥٠﴾: أي فيما أمرتكم به.

وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُتَسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾: أي في الشر والفساد بالكفر والعناد <sup>(٢)</sup>.

الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ: أي بارتكاب الذنوب العظام فيها.

وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾: أي بفعل الطاعات والقربات.

قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ﴿١٥٣﴾: الذين سحروا وبولغ في سحرهم حتى غلب عقولهم. ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾.

فَأْتِ بَيِّنَاتٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾: إن كنت من الصادقين في أنك رسول الله فاتنا بآية تدل على ذلك.

قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾: أي لها يوم تشرب فيه من العين، ولكم يوم آخر. ﴿وَلَا تَمْسُوها يُسُوءًا فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾﴾.

فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ <sup>(٣)</sup> ﴿١٥٧﴾: أي فلم يؤمنوا فقتلوها، فأصبحوا نادمين لما شاهدوا العذاب. ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾.

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾: لوط بن هاران ابن أخي إبراهيم.

إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ: هذه أخوة بلد وسكني، لا أخوة نسب ولا دين. ﴿أَلَا لِنُقُونَ ﴿١٦١﴾﴾.

إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾: أي إني مرسل إليكم لا إلى غيركم، أمين في إبلاغكم رسالتي، ولا أنقص ولا أزيد.

(١) الطلع: وعاء كنصل السيف بباطنه شماريخ القنو ويسمى هذا الطلع بالكيم بكسر الكاف ويقال له: الطلع لأنه يطلع من قلب النخلة وبعد أيام من طلوعه ينقلق من نفسه ويؤبر وبعد قليل يصبح بلحا فبسرًا فرطبًا فتمرًا وذكر النخل يقال له: فحال بضم الفاء وتشديد الحاء المفتوحة والجمع فحاحيل.

(٢) يريد رؤساءهم في الضلالة ممن يحثونهم على الشرك والفساد في البلاد بارتكاب الذنوب والآثام.

(٣) إن قيل: لِمَ لَمْ يَنْفَعِ النَّدَمُ وهو توبة؟ فالجواب التوبة تنفع قبل ظهور علامات الموت والعذاب أما بعد ظهور ذلك فلا توبة تقبل وفي الحديث: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يهرغرغ» [حسن - مم ت ه ح ب ك ه ب - انظر صحيح الجامع].

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ١٦٢: بالإيمان به وعبادته وحده وترك معاصيه.  
وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ: أي على البلاغ من أجره مقابل إرشادكم وتعليمكم. ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ١٦٤.

أَتَاتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ١٦٥: أي أتاتون الفاحشة من الرجال وتتركون النساء.  
وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ١٦٦: أي معتدون ظالمون متجاوزون الحد في الإسراف في الشر.

قَالُوا لَنْ نَمُوتَ نَبْلُوطُ: أي عن إنكارك علينا ما نأتيه من الفاحشة.  
لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ١٦٧: أي من بلادنا وطرديك من ديارنا.  
قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ١٦٨: أي من المبغضين له البغض الشديد.  
رَبِّ نَحْنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ١٦٩: أي من عقوبة وعذاب ما يعملونه من الفواحش.  
فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ١٧٠: أي نجينا لوطاً الذي دعانا وأهله وهم امرأته المؤمنة وابنتاه.  
إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَيْرِينَ ١٧١: أي فإننا لم ننجها إذ حكمنا بإهلاكها مع الظالمين، فتركناها معهم حتى هلكت بينهم، لأنها كانت كافرة وراضية بعمل القوم. ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ﴾ ١٧٢.

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا: أي أنزلنا عليهم حجارة من السماء فأمطروا بها بعد قلب البلاد عاليها سافلها.  
فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ ١٧٣: أي فقبح مطر المنذرين ولم يمثلوا بما كفوا عن الفساد والشر. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ١٧٤. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ١٧٥.

كَذَّبَ أَصْحَابُ نَيْكَةَ الْمُرْسَلِينَ ١٧٦: الأيكة: أي الغيضة وهي الشجر الملتف.  
إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ <sup>(١)</sup>: النبي المرسل شعيب عليه السلام ﴿أَلَا نُنْفِقُونَ﴾ ١٧٧. ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ١٧٨. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ ١٧٩. ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ١٨٠.

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ: أي أتموه.  
وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ ١٨١: الذين ينقصون الكيل والوزن.  
وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ ١٨٢: أي الميزان السوي المعتدل.  
وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ: أي لا تنقصوهم من حقوقهم شيئاً.  
وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ١٨٣: أي بالقتل والسلب والنهب. ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾

(١) هذه بداية قصص شعيب عليه السلام مع أصحاب الأيكة (الغيضة)، وهذه الغيضة قريبة من مدينة مدين، وشعيب عليه السلام أرسل لهما معاً، وفي سورة هود: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ لأنه منهم ومن مدينتهم فقيل له أخوهم، وأما أصحاب الأيكة فجماعة من بادية مدين كانت لهم أيكة من الشجر يعبدونها تحت أي عنوان كعبدة الأشجار والأحجار في كل زمان ومكان، فأرسل الله إليهم شعيباً يدعوهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه.

وَالْحِجْلَةَ الْأُولَىٰ (١٨٤) : أي والخلقة أي الناس من قبلكم.  
قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَخَّرِينَ (١٨٥) : أي ممن يأكلون الطعام ويشربون فليست بملك مطاع. ﴿ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ .

وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (١٨٦) : أي وما نحسبك إلا واحدًا من الكاذبين.  
فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ : أي قطعًا من السماء تهلكنا بها.  
إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧) : أي فيما تقول. ﴿ قَالَ رَبِّ أَعْلَمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٨٨) .  
فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ : أي السحابة التي أظلمت عليهم نارًا. ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (١٨٩) .

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً : أي لعبرة وعلامة، عبرة لمن يعتبر، وعلامة دالة على صدق الرسول ﷺ .  
﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ (١٩٠) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿ (١٩١) ﴾ .  
وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) : أي القرآن الكريم تنزّل رب العالمين.  
نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) : جبريل عليه السلام أمين على وحي الله تعالى. ﴿ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿ (١٩٥) ﴾ .

وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأُولَىٰ (١٩٦) : أي كتب الأولين، واحد الزبير: زبيرة وكصفحة وصحف.  
أَوْ لَوْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ : أي علامة ودليلاً. ﴿ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (١٩٧) .  
وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (١٩٨) : الأعجمي من لا يقدر على التكلم<sup>(١)</sup> بالعربية. ﴿ فَفَرَّاهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُّؤْمِنِينَ ﴾ (١٩٩) .  
كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ : أي التكذيب.

فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (٢٠٠) : من كفار مكة. ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ (٢٠١) فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿ (٢٠٢) ﴾ .

فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ (٢٠٣) : أي مهلون لنؤمن والجواب قطعًا: لا ﴿ أَفَعَدَا إِنَّا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ (٢٠٤) .  
أَفْرءَيْتَ : أي أخبرني.

إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) : أي أبقينا على حياتهم يأكلون ويشربون وينكحون.

ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) : أي من العذاب.

مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ (٢٠٧) : أي: أي شيء أغنى عنهم ذلك التمتع الطويل لا بدفع العذاب

ولا بتخفيفه.

(١) وكذلك لو أنزله على أعجمي بلغته لا اعتدروا بأنهم لا يفهمو، عنه، والمراد من الأعجمي: هو من لا يحسن اللغة العربية وإن كان عربيًا، والأعجمي من أصله عجمي ولو أجاد اللغة العربية.



﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا مَا مُنْذَرُونَهَا ﴾ (٢٠٨): أي رسل ينذرون أهلها عاقبة الكفر والشرك (١).  
 ذَكَرْنِي: أي عظة. ﴿ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ (٢٠٩).  
 وَمَا نَزَّلْنَا بِهَذَا الشَّيْطَانِ ﴿ (٢١٠): أي لا يتأتى ولا يصلح لهم أن يتنزلوا به.  
 وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَظِيلُونَ ﴿ (٢١١): أي لا يقدرُونَ.  
 إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ ﴿ (٢١٢): أي لكلام الملائكة لمعزولون.  
 فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ: أي لا تعبد مع الله إلهاً آخر، لأن الدعاء هو العبادة. ﴿ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴾ (٢١٣).

وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿ (٢١٤): وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب.  
 وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ: أي ألق جانبك. ﴿ لِمَنِ ابْتِغَاءُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢١٥).  
 فَإِنْ عَصَوْكَ: أي أبوا قبول دعوتك إلى التوحيد، ورفضوا ما تدعوهم إليه.  
 فَقُلْ إِنْ بَرِئْتُ مِمَّا نَعْمَلُونَ ﴿ (٢١٦): أي من عبادة غير الله ﷻ. ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ (٢١٧).  
 الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿ (٢١٨): أي إلى الصلاة فتصلي متهجداً بالليل وحدك.  
 وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّجْدِ ﴿ (٢١٩): أي ويرى تقلبك مع المصلين راکعاً ساجداً قائماً. ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٢٢٠).

﴿ هَلْ أَنْتُمْ كَرِيمٌ ﴾ (٢٢١): أي أخبركم. ﴿ عَلَى مَنْ نَزَّلْنَا الشَّيْطَانِ ﴾ (٢٢٢).  
 نَزَّلْنَا عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿ (٢٢٣): أي كذاب يقلب الكذب فيكون إفكاً، أثيم غارق في الآثام.  
 يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتُرُهُمْ كِذْبًا وَكُفْرًا ﴿ (٢٢٤): أي يلقون أسماعهم ويصغون أشد الإصغاء للشياطين  
 فيتلقون منهم مما أكثره كذب وباطل.  
 وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿ (٢٢٥): جمع غاوي: الضال عن الهدى الفاسد القلب والنية.  
 أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ مِّنْ أودية الكلام وفنونه.  
 يَهيمُونَ ﴿ (٢٢٦): أي يمضون في كل شعب وواد من الكلام مدحاً أو ذمماً، صدقاً كان أو كذباً.  
 وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿ (٢٢٧): أي يقولون فعلنا وهم لم يفعلوا. ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢٢٨).  
 وَأَنْتَصِرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا: أي قالوا الشعر انتصاراً للحق بأن ردوا على من هجا المسلمين.  
 وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿ (٢٢٩): أي مرجع يرجعون بعد الموت وهو دار البوار جهنم.



(١) ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ ﴾ كتلك القرى التي مر ذكرها في هذه السورة.

(٢) ما يقال في الشعراء يقال في الصحفيين في عصرنا الحاضر والله أعلم (قل).

## ٢٧ - سُورَةُ النَّازِعَاتِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طس: هذا أحد الحروف المقطعة، يقرأ: طا. سين.

تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ: أي الآيات المؤلفة من هذه الحروف آيات القرآن.

وَكِتَابٍ مُبِينٍ (١): أي مبين لكل ما يحتاج إلى بيانه من الحق والشرع في كل شئون الحياة، وقيل: مبين: ظاهر واضح بين في نفسه.

هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢): أي أعلام هداية للصراط المستقيم وبشارة للمهتدين. ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٣)﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴿

رَبَّنَا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ: أي حبانها لهم حسب ستتنا فيمن لا يؤمن بالبعث والجزاء.

فَهُمْ يَعمَهُونَ (٤): في ضلال بعيد وحيرة لا تنتهي.

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ: أي في الدنيا بالأسر والقتل. ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ (٥)﴾. وَإِنَّكَ لَنَلْقَى الْقُرْآنَ: أي تلقنه وتحفظه وتعلمه.

مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦): أي من عند حكيم عليم هو الله ﷻ.

إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا: أي أبصرت نارا من بُعد حصل لي بها بعض الأنس.

سَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ: أي عن الطريق حيث ضلوا طريقهم إلى مصر في الصحراء.

أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ: أي بشعلة نار مقبوسة أي مأخوذة من أصلها.

لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٧): أي تستدفئون.

فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ: أي بارك الله ﷻ من في النار وهو موسى ﷺ إذ هو في

البقعة المباركة التي نادى الله تعالى موسى منها، والمعنى تقدس من في النار التي هي نور الله تعالى.

وَمَنْ حَوْلَهَا: من أرض القدس والشام والله أعلم (٨).

وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨): أي نزه الرب تعالى نفسه عما لا يليق بجلاله وكماله من صفات

المحدثين.

يَسْمُوعَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٩): أي الحال والشأن أنا الله العزيز الحكيم الذي ناداك وباركك.

(١) قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: أي من الملائكة (قل).

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾

فَلَمَّارَةٌ أَهَّاءٌ تَهْتَرُ كَأَنَّهَا جَانٌّ: أي تتحرك بسرعة كأنها حية خفيفة السرعة.  
وَلَنْ مُدْبِرًا وَلَا رَءِيفًا: أي ولم يرجع إليها خوفًا وفرحًا منها. ﴿يَمْوَسِي لَأَخْفَىٰ لِي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسُوفِ  
إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾

﴿بَدَّلَ حَسَنًا بَعَثَ سَوْءًا﴾: أي تاب فعمل صالحًا بعد الذي حصل منه من السوء. ﴿فَإِنِّي عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾  
وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ: أي جيب ثوبك.

تَخْرُجُ بِيضَاءً مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ: أي برص ونحوه شعاع عظيم (١).  
فِي رِشْقٍ آيَاتٍ (٢): أي ضمن تسع آيات مرسلًا بها. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾  
فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً: مضيئة واضحة مشرقة. ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾

وَحَاذُوا بِهَا: أي لم يقرؤا ولم يعترفوا بها.

وَأَسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ: أي أيقنوا أنها من عند الله.

ظُلْمًا وَعُلُوًّا: أي ردوها لأنهم ظالمون مستكبرون. ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا: هو علم ما لم يكن لغيرهم كمعرفة لغة الطير إلى جانب علم

الشرع كالقضاء ونحوه.

وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ أَي شُكْرًا لَهُ.

الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥) أي بالنبوة وتسخير الجن والإنس والشياطين.

وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ: أي ورث أباه بعد موته في النبوة والملك والعلم دون باقي أولاده.

وَقَالَ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ أَي فهم أصوات الطير وما تقوله إذا صَفَّرت.

وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: أوتيته غيرنا من الأنبياء والملوك. ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾

وَحِشْرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ، مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ أَي جمع له جنوده من الجن والإنس والطير في

مسير له.

فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) أي يساقون ويرد أولهم على آخرهم ليسيروا في نظام. ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادٍ

النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَتَأْتِيهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ﴾

لَا يَحِطُّ بِكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ أَي لا يكسرنكم ويقتلنكم.

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) أي بكم. ﴿فَنَبِّئْهُمْ صَاحِبَكُم مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ أي

الهمني ووقفني لأن أشكر نعمتك. ﴿الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي

(١) هذه آية أخرى غير الأولى.

(٢) لتسع الآيات هي: العصا، واليد، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والقحط، وانفلاق البحر،

وهو من أعظمها.

بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ .

وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ : أي تعهدتها ونظر فيها.

فَقَالَ مَا لِي لَأَأْرَى أَلْهَدُودَ : أعرض لي ما منعني من رؤيته. ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ .

لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا : أي بنتف ريشه ورميه في الشمس فلا يمتنع من الهوام. ﴿أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ

أَوْ لِيَأْتِيَنِي﴾ .

بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ : أي بحجة واضحة على عذره في غيبته.

فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ : أي قليلاً من الزمن وجاء سليمان متواضعاً.

فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ : أي اطلعت على ما لم تطلع عليه.

وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ : سبأ قبيلة من قبائل اليمن. ﴿بَنِي يَاقِينَ﴾ ﴿٢٢﴾ .

إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً : هي بلقيس الملكة. ﴿تَمَلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ .

وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ : أي سرير كبير. ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْطَانِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمْ

الشَّيْطَانُ﴾ .

اعْمَلْهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ : أي طريق الحق والهدى. ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ .

أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ : أصلها أن يسجدوا أي فهم لا يهتدون أن يسجدوا لله وزيدت فيها لا وأدغمت

فيها النون فصارت ألأ، نظيرها [لثلاً يعلم أهل الكتاب...] من آخر سورة الحديد.

الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : أي المخبوء في السموات من الأمطار والأرض من

النباتات. ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ .

﴿قَالَ سَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ : أي بعد اختبارنا لك.

أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَكَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ : أي إلى رجال القصر وهم في مجلس الحكم.

ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ : أي تنح جانباً متوارياً مستتراً عنهم.

فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ : أي ماذا يقوله بعضهم لبعض في شأن الكتاب.

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُو : أي يا أشرف البلاد وأعيانها وأهل الحل والعقد فيها.

إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْ كِتَابٍ كَرِيمٍ ﴿٢٩﴾ : أي ألقاه في حجرها الهدهد. ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ

الرَّحِيمِ﴾ ﴿٣٠﴾ .

أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى : أي لا تتكبروا انقياداً للنفس والهوى.

وَأَنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ : أي منقادين خاضعين.

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُو أَفْتُونِي فِي أَمْرِي : بينوا لي فيه وجه الصواب، وما الواجب اتخاذه إزاءه؟

مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا : أي قاضيته.

حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ : أي تحضروني وتبدوا رأيكم فيه. ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوهُ قُوَّةً وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ : أي

أصحاب قوة هائلة مادية وأصحاب بأس شديد في الحروب. ﴿وَأَلْمَزُوا إِلَيْكَ فَاَنْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ (١) ﴿٣٣﴾

قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً: أي مدينة وعاصمة ملك.  
 أَفْسَدُوهَا: أي خربوها إذا دخلوها عنوة بدون مصالحة. ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾.  
 وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾: أي وكالذي ذكرت لكم يفعل مرسلو هذا الكتاب. ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿٣٥﴾.  
 فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ: أي رسول الملكة يحمل الهدية ومعه أتباعه. ﴿قَالَ أَتَيْدُونَنِي بِمَالٍ﴾.  
 فَمَا آتَيْنَاهُ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَيْنَاكَم: إنه أعطاني النبوة والملك وهو خير مما أعطاكم من المال فقط.  
 بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾: لحبكم للدنيا ورغبتكم في زخارفها.  
 أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ: أي بما أتيت به من الهدية.  
 فَلَمَّا أَنْبَأْنَاهُمْ يُجَنُّونَ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا: أي لا طاقة لهم بقتالها.  
 وَلِنُفِخَ فِيهِمْ مِنْهَا: أي من مدينتهم سبأ المسماة باسم رجل يقال له سبأ.  
 أَذِلَّةٌ وَهُمْ صَغِيرُونَ ﴿٣٧﴾: أي إن لم يأتوني مسلمين أي منقادين خاضعين. ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوا أَيُّكُمْ يَا أَيُّهَا بَعْثُهَا﴾

قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾: فإن لي أخذه قبل مجيئهم مسلمين لا بعده.  
 قَالَ عَفْرِيَّتٌ مِنَ الْجِنِّ: أي جني قوي إذ القوي الشديد من الجن يقال له عفريت. ﴿أَنَا أَعْيَاكَ بِهِ﴾.  
 قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ: أي من مجلس قضائك وهو من الصبح إلى الظهر.  
 وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾: أي قوي على حمله أمين على ما فيه من الجواهر وغيرها.  
 قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ: أي سليمان عليه السلام ﴿أَنَا أَعْيَاكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفَكَ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ ﴿٤٠﴾

قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا: أي غيروا هيئته وشكله حتى لا يعرف إلا بصعوبة.  
 نَظُرًا أَتَهْدِي: أي إلى معرفته. ﴿أَمْ تَكُونُونَ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ  
 قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ: شبهوا عليها إذ لو قالوا هذا عرشك لقلت: نعم.

(١) لأنهم كانوا على الكفر فقالوا: ﴿وَأَلْمَزُوا إِلَيْكَ﴾ أما المسلم فإنه يقول: الأمر لله ثم لك قياساً على قوله ﷺ فيما رواه أحمد بسند صحيح: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان» (قل).

(٢) قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال ابن عباس: هو (أصف) كاتب سليمان عليه السلام... وكان صديقاً يعلم الاسم الأعظم، وقال قتادة: كان مؤمناً من الإنس واسمه (أصف) من بني إسرائيل (قل).

قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ. فَشَبَّهتْ عَلَيْهِ فَقَالَتْ: كَأَنَّهُ هُوَ. ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ﴾<sup>(١)</sup> مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾.

وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ: أَي صَرَفَهَا عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ مَعَ عِلْمِهَا وَذِكَايَتِهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ. ﴿إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ ﴿٤٣﴾.

قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ: أَي بَهْوِ الصَّرْحِ الْقَصْرِ الْعَالِيِّ، وَفِي بَهْوِهِ بَرَكَةٌ مَاءٌ كَبِيرَةٌ مَغْطَاةٌ بِسَقْفِ زَجَاجِي وَيُرَى وَكَأَنَّهُ مَاءٌ.

فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً: أَي مِنْ مَاءٍ غَمْرٍ يَجْرِي.

وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا: ظَانَةٌ أَنَّهَا تَدْخُلُ مَاءَ تَمْشِي عَلَيْهِ فَرَفَعَتْ ثِيَابَهَا.

قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرٍ: أَي مَمْلُوسٌ مِنْ زَجَاجٍ. ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴿٤٥﴾ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ: أَي بَانَ اعْبُدُوا اللَّهَ.

فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾: أَي طَائِفَتَانِ مُؤْمِنَةٌ مَوْحِدَةٌ وَكَافِرَةٌ مُشْرِكَةٌ يَخْتَصِمُونَ<sup>(٢)</sup>.

قَالَ يَنْقُورُ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ: أَي تَطَالِبُونَ بِالْعَذَابِ.

قَبْلَ الْحَسَنَةِ: قَبْلَ الرَّحْمَةِ.

لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ: أَي هَلَّا تَطْلُبُونَ الْمَغْفِرَةَ مِنْ رَبِّكُمْ بِتَوْبَتِكُمْ إِلَيْهِ. ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿٤٦﴾.

قَالُوا أَطِيزْنَا بِكَ: أَي تَشَاءُ مِنَّا بِكَ.

وَيَمِّنُ مَعَكَ: أَي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

قَالَ طَبَّرَ كُمْ عِنْدَ اللَّهِ: أَي مَا زَجَرْتُمْ مِنَ الطَّيْرِ لَمَّا يَصِيْبُكُمْ مِنَ الْمَكَارِهِ عِنْدَ اللَّهِ عِلْمَهُ.

بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾: أَي تُخْتَبَرُونَ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

وَكَانَتْ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةً رَهْطًا: أَي تِسْعَةَ رِجَالٍ ظَلَمَةٌ. ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ ﴿٤٨﴾<sup>(٣)</sup>.

قَالُوا اتَّقَاسُمُوا بِاللَّهِ: أَي تَحَالَفُوا بِاللَّهِ: أَي طَلَبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الثَّانِي أَنْ يَحْلِفَ لَهُ.

لَنُنَبِّئَنَّهٗ وَأَهْلَهُ: أَي لَنَقْتُلُنَّهُ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ لَيْلًا.

(١) اختلف هل قول: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ﴾ من قول سليمان أو أحد رجاله أو هو من قول بلقيس، والراجح أنه من قول سليمان ﷺ.

(٢) من الخصومة ما قصه الله تعالى في سورة الأعراف في قوله: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّكَ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾.

(٣) الأرض: أرض ثمود وأل فيها: للعهد، والرهط: العدد من الثلاثة إلى العشرة كالنفر، ومن بين هؤلاء: قدار بن سالف: عاقر الناقة.

ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لَوْلِيَّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ: أي ما حضرنا قتله ولا قتل أهله. ﴿وَأِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (٤٩).

وَمَكْرُوا مَكْرًا: أي دبروا طريقة خفية لقتل صالح والمؤمنين.  
وَمَكْرَنَا مَكْرًا: أي ودبرنا طريقة خفية لنجاة صالح والمؤمنين وإهلاك الظالمين.  
وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠): بأنا ندبر لهم طريق هلاكهم. ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمُ أَجْمَعِينَ﴾ (٥١).

فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ: أي فارغة ليس فيها أحد.  
بِمَا ظَلَمُوا: أي بسبب ظلمهم وهو الشرك والمعاصي.  
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً: أي عبرة. ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٥٢).  
وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا: أي صالحًا والمؤمنين. ﴿وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ﴾ (٥٣).  
وَلُوطًا: أي واذكر لقومك لوطًا.

إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ: هم سكان مدن عمورية وسدوم.  
أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ: أي الخصلة القبيحة الشديدة القبح وهي اللواط.  
وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤): إذ كانوا يأتونها في أنديتهم عيانًا بلا ستر ولا حجاب. ﴿أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ (٥٥).

بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلَتُمْ (٥٦): أي قبح ما تأتونها وما يترتب عليه من خزي وعذاب (١).  
﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا: أي لم يكن لهم من جواب إلا قولهم: أخرجوا.﴾

ءَال لُوطٍ (٥٧): هم لوط (عليه السلام) وامراته المؤمنة وابنتاه (٢).  
مِنْ قَرِيْبَتِكُمْ: أي مدينتكم سدوم.  
إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهَرُونَ (٥٨): أي يتنزهون عن الأقدار والأوساخ. ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ (٥٩).  
إِلَّا أَمْرَاتَهُ، قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَنِيِّبِ (٦٠): أي حكمننا عليها أن تكون من الهالكين.  
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ (٣) مَطْرًا فَسَاءً مَطْرُ الْمُنذَرِينَ (٦١): أي قبح مطر المنذرين من أهل الجرائم إنه

(١) ﴿بِجَهْلَتُمْ﴾: إما أمر التحريم أو العقوبة، ووصفهم بالجهل، وهو اسم جامع لأحوال أفن الرأي وقساوة القلب وعماه، ووصفهم في الأعراف بالإسراف وذلك نظرًا إلى تعدد مواقف الوعظ والإرشاد.

(٢) من المعلوم أن تعدد الزوجات من سنن الأنبياء والمرسلين - عليهم صلوات الله وسلامه -. قال الله تعالى في سورة الرعد: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ (قل).

(٣) ﴿مِنَ الْغَنِيِّبِ﴾ قال ابن كثير: أي من الهالكين مع قومها؛ لأنها كانت ردة لهم على دينهم وعلى طريقتهم في رضاها بأفعالهم القبيحة، فكانت تدل قومها على ضيفان لوط ليأتوا إليهم.

حجارة من سجيل .

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ : أي اختارهم لحمل رسالته وإبلاغ دعوته، قال بعضهم: المأمور بالحمد هنا: لوط عليه السلام، ورد وهو الحق أن المأمور به هو رسول الله ﷺ .  
 ءاللَّهُ خَيْرٌ : أي لمن يعبده. ﴿أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٥١) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ ۖ ﴿

حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ : أي بساتين ذات منظر حسن لخضرتها وأزهارها. ﴿مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تَنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ﴾ .

بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦﴾ : أي بربهم غيره من الأصنام والأوثان.  
 أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا : أي قارة ثابتة لا تتحرك ولا تضطرب بسكانها.  
 وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا : أي جعل الأنهار العذبة تتخللها للشرب والسقي.  
 وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ : أي جبالاً أرساها بها حتى لا تتحرك ولا تميل.  
 وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا : أي فاصلاً لا يختلط أحدهما بالآخر. ﴿أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١١) ﴿

أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ : أي الضر، المرض وغيره. ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ﴾ .

قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿١٢﴾ : أي ما تتعظون إلا قليلاً. ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّحَ﴾ .

بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ : أي مبشرة بين يدي المطر، إذ الرياح تتقدم ثم باقي المطر. ﴿أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ تَعَلَّىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١٣) ﴿

أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ : أي في الأرحام، ثم يعيده يوم القيامة. ﴿وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ﴾ .

قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤﴾ : أي حجتكم إن كنتم صادقين أن مع الله إلهاً آخر فعل ما ذكر.

قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : الملائكة والناس.

الْغَيْبِ إِلَّا اللَّهُ : أي ما غاب عنهم ومن ذلك متى قيام الساعة إلا الله فإنه يعلمه.

وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿١٥﴾ : أي متى يبعثون.

بَلِ ادْرَاكُ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ۗ : أي تلاحق وهم ما منهم من أحد إلا يظن فقط، فلا علم لهم

بالآخرة بالمرة.

بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ۗ بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ ﴿١٦﴾ : أي في عمى كامل لا يبصرون شيئاً من حقائقها.



﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ دَاكُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا ﴾ .

أَيْنَا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ : أي أحياء من قبورنا .

لَقَدْ وَعِدْنَا هَذَا : أي البعث أحياء من القبور . ﴿ تَحْنُوءَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ .

إِنْ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ : أي أكاذيبهم التي سطورها في كتبهم . ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ .

فَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ : أي المكذبين بالبعث كانت دمارًا وهلاكًا وديارهم

الخواوية شاهدة بذلك .

وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ : المراد به تسلية الرسول ﷺ .

وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ : أي بك إذ حاولوا قتله ولم يفلحوا .

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ : أي بعدابنا . ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿٧١﴾ .

قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ لَكُمْ : اقترب منكم .

بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ : وقد حصل لهم في بدر .

وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ : أي في خلقهم ورزقهم وحفظهم وعدم إنزال العذاب بهم . ﴿ وَلَكِنْ

أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ ﴿٧٣﴾ .

وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ : أي ما تخفيه وتستره صدورهم . ﴿ وَمَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٧٤﴾ .

وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٥﴾ : أي ما من حادثة غائبة في السماء والأرض إلا

في كتاب مبين هو اللوح المحفوظ مدونة فيه مكتوبة .

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَنْفُذُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ : أي يذكر أثناء آياته كثيرًا مما

اختلف فيه بنو إسرائيل .

وَإِنَّهُ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ : أي به تتم هداية المؤمنين ورحمتهم .

إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ : أي يحكم بين بني إسرائيل بحكمه العادل .

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ : الغالب على أمره، العليم بخلقه .

فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ : أي ثق به وفوض أمرك إليه . ﴿ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ ﴿٧٩﴾ .

إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى : أي لو أردت أن تسمعهم لأنهم موتى .

وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ : أي ولا تقدر على إسماع كلامك الصم الذين فقدوا حاسة السمع .

إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ : أي إذا رجعوا مدبرين عنك غير ملتفتين إليك . ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ

صَلَاتِهِمْ ﴾ .

إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا : أي ما تسمع إلا من يؤمن بآيات الله . ﴿ فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ﴿٨١﴾ .

﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ : أي حق عليهم العذاب .

أَخْرَجْنَا هُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ : حيوان يدب على الأرض لم يرد وصفها في حديث صحيح يعول

عليه ويقال به.

تُكَلِّمُهُمْ: بلسان يفهمونه لأنها آية من الآيات.

أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾: أي بسبب أن الناس أصبحوا لا يؤمنون بآيات الله وشرائه

أي كفروا فييلون بهذه الدابة.

وَيَوْمَ نَحْشُرُ: أي اذكر يوم نحشر أي نجمع.

مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا: أي طائفة وهم الرؤساء المتبوعون في الدنيا.

مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾: أي يجمعون برد أولهم على آخرهم.

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ: أي الموقف مكان الحساب. ﴿قَالَ أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عَلِمًا أَمَّا أَذَّاكُمْ كُنتُمْ

تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾.

وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ: أي حق عليهم العذاب.

بِمَا ظَلَمُوا: أي بسبب الظلم الذي هو شركهم بالله تعالى.

فَهُمْ لَا يَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾: أي لا حجة لهم. ﴿الْمُرِيرُوا أَنَا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ ﴿٨٦﴾

وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا: أي يبصر فيه من أجل التصرف في الأعمال. ﴿إِن فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

﴿٨٦﴾.

وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ: أي يوم ينفخ إسرافيل في البوق نفخة الفزع والفناء والقيام من القبور.

﴿فَفَرِّعَنَّ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَمِنَ الْأَرْضِ لَأَمِّنْ شَاةَ اللَّهِ ﴿٨٧﴾

وَكُلُّ أُنثَىٰ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾: أي وكل من أهل السماء والأرض أتوا الله ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ داخرين أي أذلاء

صاغرین.

وَقَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً: أي تظنها في نظر العين جامدة <sup>(١)</sup>.

وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ: وذلك لسرعة تسييرها. ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا نَفَعَكُمُوت

﴿٨٨﴾.

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ: وهي الإيمان والتوحيد وسائر الصالحات.

فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا: أي الجنة.

وَهُمْ مِنْ فِرْعَ بِوَيْدٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾: أي أصحاب حسنات التوحيد والعمل الصالح آمنون من فزع

(١) قال ابن كثير رحمته الله: وقوله تعالى: ﴿وَقَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ﴾، أي تراها كأنها ثابتة باقية على ما

كانت عليه وهي تمر مر السحاب أي تزول عن أماكنها كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩٠﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿٩١﴾. اهـ من ابن كثير.

أما التأويل الذي ذهب إليه فضيلة الشيخ الجزائري في هامش «نهر الخير» فبعيد بعيد، وقد سبق أن نبهت أنني لم أقحم المخترعات العلمية في دائرة التفسير (قل).

هول يوم القيامة.

وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ : أي جاء بالسيئة كالشرك، وأكل الربا، وقتل النفس.

فَكَبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ : - والعياذ بالله - : أي ألقوا فيها على وجوههم.

هَلْ تُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ : أي ما تجزون إلا بعملكم، ولا تجزون بعمل غيركم.

إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبِّي هَذِهِ الْبَلَدَةَ : أي مكة المكرمة، والإضافة للتشريف.

الَّذِي حَرَّمَهَا : أي الله الذي حرم مكة فلا يختلج خلالها ولا ينفر صيدها ولا يقاتل فيها ﴿٩١﴾ ولله

كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٢﴾ : المؤمنين المنقادين له ظاهراً وباطناً وهم أشرف

الخلق.

وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ : أي أمرني أن أقرأ القرآن إنذاراً وتعليماً وتعبداً ﴿٩٣﴾ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ

وَمَنْ ضَلَّ فَقَدْ ضَلَّ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٤﴾ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴿٩٥﴾

سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا : أي مدلول آيات الوعيد فيعرفون ذلك وقد أراهموه في بدر وسيرونه

عند الموت.

وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ : أي وما ربك أيها الرسول بغافل عما يعمل الناس وسيجزئهم

بعملهم.



## ٢٨ - سُورَةُ الْقَصَصِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طسّم (١): هذه أحد الحروف المقطعة تكتب طسم وتقرأ: طاء، سين، ميم.  
تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢): أي الآيات المؤلفة من مثل هذه الحروف هي آيات القرآن الكريم.

تَتْلُوا عَلَيْكَ: أي نقرأ عليك قاصين شيئاً.  
مِن نَّبِيٍّ مُّوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ: أي من خبرهما.  
لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣): أي لأجل المؤمنين ليزدادوا إيماناً ويوقنوا بالنصر وحسن العاقبة.  
إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ: أي تكبر وظلم فادّعى الربوبية وظلم بني إسرائيل ظلماً فظيماً.  
وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا: أي طوائف بعضهم عدواً لبعض من باب فَرَّقَ تَسُدُّ. ﴿يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾.

يَذِيحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ: أي يبيح على النساء لا يذبح البنات؛ لأنه لا يخاف منهن ويذبح الأولاد. ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٤).  
وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ: أي ننعم. ﴿عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً وَجَعَلْنَاهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (٥) وَنُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَمْلَكَ (١) وَجُنُودَهُمَا مَنَّهُمْ ﴿.﴾  
مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦): من المولود الذي يولد في بني إسرائيل ويذهب بملكهم.  
وَأَرْحَمِنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ: أعلمناها أن ترضع ولدها الرضعات الأولى التي لا بد منها ثم تضعه في تابوت ثم تلقيه في اليم.

فَإِذَا خَفِيَ عَلَيْهِ فَاَلْقَاهُ فِي الْيَمِّ: أي في البحر وهو نهر النيل.  
وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي: أي لا تخافي أن يهلك ولا تحزني على فراقه. ﴿إِنَّا رَأَوُوهُ يُتْلَىٰ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٧) ﴿٢﴾.

فَأَلْقَاهُ فِي الْيَمِّ: أي ألقاه في البحر وهو نهر النيل.  
لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا: أي في عاقبة الأمر، فاللام للعاقبة والصيرورة. ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمْلَكَ

(١) قيل أرض الشام، وقيل، وهو رأي أكثر المفسرين: أرض مصر والشام.

(٢) جمع الله في هذه الآية بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين.

وَحُنُودَهُمَا كَانُوا خَطِيئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ ﴿٩﴾  
 قُرْتُ عَيْنِي لِي وَكَأَيُّ تَقَرُّبٍ بِي عَيْنِي وَعَيْنِكَ فَفَرِحَ بِهِ وَنَسَرَ. ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ  
 وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ قَرِيحًا: أي من كل شيء إلا منه ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ  
 وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: أي قاربت بأن تصرخ أنه ولدها وتظهر ذلك. ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ  
 قَلْبِهَا لَآتَتْكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

وَقَالَتِ لِأَخْتَيْهِ فَصِيحَةً: أي اتبعي أثره حتى تعرفي أين هو.  
 فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ: أي لاحظته وهي مختفية تتبعه من مكان بعيد. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾  
 وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ: أي منعناه من قبول ثدي أي مرضعة (١).

مِنْ قَبْلِ: أي من قبل رده إلى أمه.  
 فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ: أي قالت أخت موسى.  
 يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ: يضمونه إليهم، يرضعونه ويربونه لكم.  
 وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ ﴿١٢﴾: أي لموسى ناصحون، فلما قالوا لها: إذا أنت تعرفينه، قالت: لا، إنما  
 أعنى أنهم ناصحون للملك لا للولد.

فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ آتِيهِ: أي رددنا موسى إلى أمه أي قبلوا اقتراح أخته.  
 كَي نَفَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ: إذ أوحى إليها أنه رآه وجاعله من  
 المرسلين.

وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾: أي أكثر الناس لا يعلمون وعد الله لأم موسى ولا يعلمون  
 أن الفتاة أخته وأن أمها أمه.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَأَسْتَوَىٰ: أي ثلاثين سنة من عمره فانتهى شبابه وكمل عقله.  
 ءَأَيُّنَتْهُ حُكْمًا وَعِلْمًا: أي وهبناه الحكمة من القول والعمل والعلم بالدين الإسلامي الذي كان  
 عليه بنو إسرائيل وهذا قبل أن ينبا ويرسل. ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾

وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ: مدينة فرعون وهي: مُنْفُ، بعد أن غاب عنها مدة.  
 عَلَىٰ حِينٍ غَفَلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا: لأن الوقت كان وقت القيلولة. ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾  
 هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ: أي على دينه الإسلامي.

وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ: على دين فرعون والأقباط. ﴿فَاسْتَعْتَبَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾  
 فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ: أي ضربه بجمع كفه فقضى عليه أي قتله.

(١) ليس تحريمًا شرعيًا.

قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ : أي هذا الفعل من عمل الشيطان لأنه المهيج غضبي .  
 إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ : أي الشيطان عدو لابن آدم مضل له عن الهدى، مبين ظاهر الإضلال .  
 ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ .

قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ : بإنعامك علي بمغفرة ذنبي .  
 فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ : أي معينًا لأهل الإجرام .  
 فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ : ماذا يحدث من خير أو غيره بعد القتل .  
 فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرْتَهُ بِالْأَمْسِ : أي طلب نصرته فنصره .  
 يَسْتَصْرِحُهُ : أي يستغيث به علي قبطي آخر .  
 قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ : أي لذو غواية وضلال ظاهر .  
 فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا : أي أن يأخذ الذي هو عدو لموسى والقبطي معًا .  
 ﴿قَالَ يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ .  
 إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ : أي ما تريد إلا أن تكون جبارًا تضرب وتقتل ولا تبالي  
 بالعواقب . ﴿وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ﴾ .

مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ : أي الذين يصلحون بين الناس إذا اختلفوا أو تخاصموا .  
 وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى : أي مؤمن آل فرعون أتى من أبعد نواحي المدينة .  
 قَالَ يَمُوسَى إِنَّكَ الْمَلَأْتَ أَعْيُنَ النَّاسِ بِأَعْيُنِكَ لِيَقْتُلُوكَ : أي يتشاورون ويطلب بعضهم أمر بعض ليقتلوك .  
 فَأَخْرَجَ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ : أي اخرج من هذه البلاد إلى أخرى .  
 فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ : خائف من القتل يتربص ما يحدث له . ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ .  
 ﴿٢١﴾

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ : أقبل بوجهه جهة مدين التي هي مدينة شعيب .  
 قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ : أرجو ربي أن يهديني وسط الطريق حتى لا أضل  
 فأهلك فاستجاب الله له وهداه إلى سواء السبيل ووصل مدين . ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ .  
 وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ : أي مواشيهم من بقر وإبل وغنم .  
 وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ : أي أغنامهما منعًا لهما من الماء حتى تخلو الساحة لهما  
 خوف الاختلاط بالرجال الأجانب لغير ضرورة .

قَالَ مَا خَطْبُكُمْ : قال موسى للمرأتين اللتين تذودان: ما خطبكما أي ما شأنكما؟  
 قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ : لا نسقي ماشيتنا حتى يصدر الرعاء ويبقى لنا الماء  
 وحدنا . ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿٢٣﴾ .  
 فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ : أي بعد أن سقى لهما رجع إلى ظل الشجرة التي كان جالسًا

تحتها.

فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٤٤﴾ : أي من طعام محتاج إليه لشدة جوعه بِإِسْرَائِيلَ.  
فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ : أي واضعة كم درعها على وجهها حياء منه. ﴿قَالَتْ إِنَّكَ أَبِي  
يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾.

فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ : أخبره بشأنه كله من قتله القبطي وطلب السلطة له ونصح  
المؤمن له بمغادرة البلاد ووصوله إلى ماء مدين.

قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٥﴾ : أي من فرعون وملائه إذ لا سلطان لهم على بلاد  
مدين.

قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ : أي اتخذه أجيئاً يرعى لنا الغنم بدلنا.  
إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٤٦﴾ : ذكرت له كفاءته وهي القوة البدنية والأمانة. ﴿قَالَ  
إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَلِّمَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾.

عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي : أي تكون أجيئاً لي في رعي غنمي.

تَمَنَّى حِجَجٌ : أي ثماني سنوات إذ الحجة عام، والجمع حجج.  
فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ : أي جعلت الثمانية عشرًا فرغبت عشرًا فهذا من كرمك. ﴿وَمَا  
أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَلَيْهِ﴾.

سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٤٧﴾ : أي الذين يوفون ولا ينقضون ولا ينقصون.

قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ : أنا أفي بشرطي وأنت تفي بشرطك.

أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ : أي الأجلين الثمانية أو العشرة أتممت.

فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ : وذلك بطلب الزيادة فوق الثمانية أو فوق العشرة.

وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٤٨﴾ : أي وكيل وحفيظ أي أشهد الله على العقد بشطريه أي النكاح

ورعي الغنم وبذلك تم العقد <sup>(١)</sup>.

﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ : أتم المدة المتفق عليها وهي ثمان أو عشر سنوات. ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ <sup>(٢)</sup>.

﴿عَائِسَ : أبصر. ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾.

أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ : عود غليظ في رأسه نار.

لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٤٩﴾ : أي تستدفئون.

فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ : أي ناداه الله تعالى بقوله : يا موسى إني أنا الله رب العالمين.

(١) اكتفى شعيب وموسى بإشهاد الله تعالى فهل يصح في الإسلام النكاح بدون إشهاد؟ الجمهور على عدم صحته بل لا بد من الإشهاد عليه وهو كذلك.

(٢) زوجته وولده في طريقه إلى مصر لزيارة والدته وإخوته حدث أن ضل الطريق ليلاً، وكان الفصل شتاء.

مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ : قطعة الأرض (١) التي عليها الشجرة الكائنة بشاطئ الوادي. ﴿أَنْ يَمْوِسَّ إِلَىٰ أُنَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴿ فَلَ مَا رَأَاهَا نَهَزَتْ كَأَنَّهَا جَانٌّ : تضطرب وتتحرك بسرعة كأنها حية من حيات البيوت. وَلَىٰ مُدِيرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ : رجع هاربًا ولم يعقب لخوفه وفزعه منها. ﴿يَمْوِسَّ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ﴾ (٣).

أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ : أدخلها في جيب قميصك.

تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ : أي عيب كبرص ونحوه.

وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ : اضمم إليك يدك بأن تضعها على صدرك ليذهب روعك.

فَدَانِكَ بُرْهَنَانِ مِنْ رَبِّكَ : أي آيتان من ربك على صدق رسالتك. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ إِنَّهُمْ

كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (٤).

قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا : أي نفس القبطي الذي قتله خطأ قبل هجرته من مصر. ﴿فَأَخَافُ أَنْ

يَقْتُلُونِ﴾ (٥).

وَأَخِي هَكَرْتُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا : أي أبيت مني قولًا.

فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا : أي معينا لي. ﴿يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (٦).

قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ : أي ندعمك به ونقويك بأخيك هارون.

وَنَجْعَلُ لَكُمْ سُلْطَنًا : أي حجة قوية يكون لكم بها الغلب.

فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا : أي بسوء.

بِنَائِنَا : أي اذهبا بآياتنا. ﴿أَنْتُمْ وَمَنْ أَتَبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ (٧).

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا : أي العصا واليد وغيرهما من الآيات التسع.

بَيِّنَاتٍ : أي واضحات.

قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَىٰ : أي مخلق مكذوب. ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَىٰ﴾ (٨) وَقَالَ

مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ ﴿ (٩).

وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَنقِبَةُ الدَّارِ : أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة.

إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿ (١٠) : أي المشركون الكافرون.

(١) ﴿الْأَيْمَنِ﴾ أي: عن يمين موسى ﷺ.

(٢) كان مقتضى الكلام في سياق الحوار أن يقال: قال موسى بدون واو العطف إلا أنه خولف هنا وأتى بالواو: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ وهي قراءة الجمهور والمقصود منها هو ذكر التوازن بين حجة فرعون وحجة موسى ليظهر للسامع التفاوت بينهما بخلاف ما لو حذف الواو كما قرأ ابن كثير فإنها مجرد حكاية قول موسى ﷺ فليس فيها ما يلفت النظر.



وَقَالَ فِرْعَوْنُ بِتَأْيُهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي : أي ربًا يطاع ويذل له ويعظم غيري لعنة الله عليه ما أكذبه.

فَأَوْقَدِي يَنْهَمِنُ : أحد وزراء فرعون، لعله وزير الصناعة أو العمل والعمال.

عَلَى الطَّيْنِ : أي اطبخ لي الأجر وهو اللبن المشوي.

فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا : أي بناء عاليًا، قصرًا أو غيره.

لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى : أي أقف عليه وأنظر إليه.

وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ : أي موسى في ادعائه أن له إلهًا غيري <sup>(١)</sup>.

وَأَسْتَكَبرُ هُوَ وَجُحُودُهُ فِي الْأَرْضِ يَغْيِرُ الْحَقَّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَهًا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ <sup>(٢)</sup>.

فَأَخَذْنَاهُ وَجُحُودَهُ، فَتَبَدَّنْهُمْ فِي الْيَمِّ : أي طرحناهم في البحر غرقى هلكى. ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ

كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ .

وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً : أي رؤساء يقتدى بهم في الباطل.

يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ : أي إلى الكفر والشرك والمعاصي الموجبة للنار. ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا

يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ .

وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً : أي خزيًا وبعداً عن الخير.

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ : أي المبعدين من كل خير المشوهي الخلقه. ﴿وَلَقَدْ

ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا

الْقُرُونَ الْأُولَى : قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وغيرهم.

بَصَائِرَ لِلنَّاسِ : أي فيه من النور ما يهدي كما تهدي الأبصار. ﴿وَهَدَى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ

يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ .

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ : أي لم تكن يا رسولنا حاضرًا بالجانب الغربي من موسى.

إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ أَي بِالرَّسَالَةِ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ.

وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ : حتى تعلمه وتخبر به.

وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ : أي غير أننا أنشأنا بعد موسى أممًا طالت أعمارهم

ففسوا العهود واندرست العلوم وانقطع الوحي؛ فجننا بك رسولاً وأوحينا إليك خبر موسى

وغيره.

(١) نسب موسى إلى جماعة الكذب وهو يعلم أنه صادق تمويهاً على الرعية، ودفعاً للحق الذي بهره نوره فما أطاقه فهو يبحث عن المخرج.

(٢) يطلق الظن ويراد به اليقين ويكون على بابه وهو هنا كفر ولو كان على بابه لأن الشك في العقائد كفر.

وَمَا كُنْتَ قَابِلًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ: أي ولم تكن يا رسولنا مقيماً في أهل مدين فتعرف قصتهم. ﴿تَلَّوْا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ (٤٥).

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا: أي لم تكن بجانب الطور أي جبل الطور إذ نادينا موسى وأوحينا إليه ما أوحينا حتى تخبر بذلك. ﴿وَلَكِن رَّحِمَةٌ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ﴾. فَوَمَا مَا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ: أي أهل مكة والعرب كافة. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٤٦) وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٧): أي فيقولوا لولا أي هلاً أرسلت إلينا رسولاً ولولا ذلك لعاجلناهم بالعقوبة ولما أرسلناك إليهم رسولاً. فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا: أي محمد ﷺ رسولاً مبيناً. قَالُوا لَوْلَا آتَىكَ مِثْلَ مَا آتَىكَ مُوسَى: أي هلاً أعطي مثل ما أعطي موسى من الآيات المعجزات من العصا واليد أو كتاباً جملة واحدة كالطوراة.

أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا آتَىكَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ: أي كيف يطالبونك بأن تؤتني مثل ما آتى موسى وقد كفروا بما آتى موسى من قبل؛ لما أخبرهم اليهود أنهم يجدون نعت محمد في التوراة كفروا بهذا الخبر ولم يقبلوه.

قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا: أي التوراة والقرآن كلاهما سحر ظاهر بعضهما (١) بعضاً أي قواه. ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَفْرٍ لَّوْنٌ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَآتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤٩).

فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ: أي بالإتيان بالكتاب الذي هو أهدى من التوراة والقرآن. فَأَعْلَمْنَا أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ: في كفرهم ليس غير، فلا عقل ولا كتاب منير. وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بغير هدى من الله: أي لا أضل منه قط. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥٠).

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٥١): أي بأخبار الأولين وما أحللنا بهم من نعمتنا لما كذبوا رسلنا وأنكروا توحيدنا (لعلهم يتذكرون) أي يتعظون فيؤمنوا ويوحّدوا.

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ: أي التوراة والإنجيل من قبل القرآن الكريم. ﴿هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٢).

وَإِذْ يَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الْقُرْآنِ: أي القرآن. ﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا﴾ (٥٣).

(١) قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «وعلى قراءة (ساحران تظاهرا) يعنون: موسى وهارون. وهذا قول جيد قوي، وعن ابن عباس... يعنون: موسى ومحمداً صلى الله عليهما وسلم وهذه رواية الحسن البصري، أما من قرأ ﴿سِحْرَانِ﴾، فالظاهر أنهم يعنون التوراة والقرآن لأنه قال بعده: ﴿قُلْ فَآتُوا بِكِتَابٍ...﴾ اهـ (قل).

إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ : أي منقادين لله مطيعين لأمره ونهيه<sup>(١)</sup> .  
 أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا : أي يضاعف لهم الثواب لأنهم آمنوا بموسى وعيسى وآمنوا  
 بمحمد ﷺ .  
 وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ : أي يدفعون بالحسنة من القول أو الفعل السيئة منهما. ﴿وَمِمَّا  
 رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ ﴿٥٤﴾ .  
 وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ : أي الكلام اللاغبي الذي لا يقبل ولا يقر عليه لأنه لا يحقق  
 درهما للمعاش ولا حسنة للمعاد. ﴿وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ .  
 سَلِّمْ عَلَيْكُمْ : هذا سلام المتاركة أي قالوا قولاً يسلمون به .  
 لَا تَنْبَغِي الْجَهْلِينَ ﴿٥٥﴾ : أي لا نطلب صحبة أهل الجهل لما فيها من الأذى .  
 إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ : أي هدايته كأبي طالب بأن يسلم ويحسن إسلامه. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي  
 مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿٥٦﴾ .  
 وَقَالُوا : أي مشركو قريش .  
 إِن نَّبَّعِ الْهُدَى مَعَكَ : أي إن نتبعك على ما جئت به وندعو إليه وهو الإسلام .  
 نُنْخِطِفُ مِنْ أَرْضِنَا : أي تتجراً علينا قبائل العرب ويأخذونا. ﴿أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾ .  
 يُجْعَلُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ : أي يحمل ويساق إليه ثمرات كل شيء من كل ناحية .  
 رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا : أي رزقاً لكم من عندنا يا أهل الحرم بمكة. ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٧﴾<sup>(٢)</sup> .  
 وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ بَطَّرَتْ<sup>(٣)</sup> مَعِيشَتَهَا : أي كفرت نعمة الله عليها فأسرفت في الذنوب  
 وطغت في المعاصي. ﴿فَلِئَلَّكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(٤)</sup> ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿٥٨﴾ وَمَا  
 كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى .  
 حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَارِ سُوْلَا : أي في أعظم مدنها وهي العاصمة. ﴿يَسْأَلُوا عَلَيْهِمْ أَن يَنْبَأَهُمْ﴾ .  
 وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾ : بالتكذيب للرسول والإصرار على الشرك  
 والمعاصي .  
 وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ : أي وما أعطاكم الله من مال أو متاع .  
 فَسْتَعِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا : فهو ما تمتعون به وتزينون ثم يزول ويفنى .

(١) (ومن قبل نزول القرآن).

(٢) هذا الاستدراك لذكر علة تجاهلهم حماية الله تعالى لهم بتمكين الحرم لهم؛ فهم فيه آمنون مطعمون ألا وهم  
الجهل فهو علتهم الحاملة لهم على الإصرار على الشرك.

(٣) ﴿بَطَّرَتْ﴾ : جهلت شكر معيشتها.

(٤) ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: كالمسافرين الذين يمرون بها ويتزلون بها ساعات ويغادرون.

وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى: أي وما عند الله من ثواب وهو الجنة خير وأبقى.  
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾: لأن من يؤثر القليل الفاني على الكثير الباقي لا عقل له.  
أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدَّا حَسَنًا: أي الجنة.

فَهُوَ لَقِيهِ: أي مصيبه وحاصل عليه وظافر به لا محالة. ﴿كَمَنْ مَنَعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦٦﴾: أي في نار جهنم.

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ: أي الرب ﷻ.

فَيَقُولُ أَيُّ شُرَكَاءِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٧﴾: أي أنهم شركاء لي فعبدتموهم معي.

قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ: أي بالعذاب في النار وهم أئمة الضلال (١).

رَبَّنَا (٢) هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ: أي فغفوا ولم نكرهم على الغي. ﴿كَمَا غَوَيْنَا﴾ (٣).

تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٨﴾: أي منهم ما كانوا يعبدوننا بل كانوا يعبدون أهواءهم (٤).

وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ: أي نادوهم ليخلصوكم مما أنتم فيه. ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾.

لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٩﴾: أي لما رأوا العذاب ودوا لو أنهم كانوا في الدنيا من المهتدين.

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ: أي الله تبارك وتعالى. ﴿فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٥).

فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ: أي فخفيت عليهم الأنباء التي يمكنهم أن يحتجوا بها.

فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٧٠﴾: أي انقطعوا عن الكلام.

فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ: أي آمن بالله ورسوله وتاب من الشرك.

وَعَمِلَ صَالِحًا: أدنى الفرائض والواجبات.

فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٧١﴾: أي الفائزين بالنجاة من النار ودخول الجنة و(عسى) من

الله تعالى لا تفيد مجرد الرجاء بل هي لتحقق الموعد به.

وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ: أي من خلقه.

وَيَخْتَارُ: أي من يشاء لنبوته وطاعته.

مَا كَانَ لَهُمْ: أي للمشركين.

الْخِيَرَةُ: أي الاختيار في شيء.

(١) لم تعطف جملة. ﴿قَالَ الَّذِينَ﴾ بالواو أو بالفاء لأنها في صورة حوار.

(٢) هذا النداء المراد به الاستعطاف والاسترحام.

(٣) أي: أضللناهم كما كنا ضالين، وذلك أنهم دعوهم إلى عبادتهم فعبدوهم، ولذا قال قتادة: هؤلاء هم الشياطين،

وقيل: هم الرؤساء، والكل صحيح.

(٤) ﴿تَبَرَّأْنَا﴾ أي: تبرأ الشياطين والرؤساء ممن عبدهم أو عبدوا غير الله بدعوتهم وتزيينهم، وأنكروا أنهم كانوا

يعرفونهم.

سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ : أي تنزيهاً لله عن الشرك.  
 وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ : أي ما تسر وتخفي من الكفر وغيره. ﴿وَمَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ .  
 وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى : أي في الدنيا لأنه مولى كل نعمة.  
 وَالْآخِرَةَ : أي في الجنة.  
 وَلَهُ الْحُكْمُ : أي القضاء النافذ.  
 وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ : بعد النشور وذلك يوم القيامة.  
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ : أي أخبروني.  
 إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ : أي دائماً، ليلاً واحداً متصلاً لا يعقبه نهار.  
 مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ : أي ضوء كضوء النهار. ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ  
 اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿٧٢﴾ .  
 مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِاللَّيْلِ تَسْكِينًا فِيهِ : أي تنامون فتسكن جوارحكم فتستريح من تعب  
 الحياة. ﴿أَفَلَا تَبْصُرُونَ﴾ ﴿٧٣﴾ .  
 وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ : أي في الليل.  
 وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ : أي تطلبوا الرزق من فضل الله في النهار.  
 وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٤﴾ : أي كي تشكروا ربكم بطاعته كالصلاة والصيام والصدقة. ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ  
 فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ .  
 وَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا : أي أحضرنا من كل أمة من يشهد عليها وهو نبيها ﷺ .  
 فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ : أي حججكم على صحة الشرك الذي أنذرتكم رسلنا عواقبه فما قبلتم  
 النذارة ولا البشارة.  
 فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ : أي تبين لهم أن العبادة والدين الحق لله لا لسواه.  
 وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ : أي وغاب عنهم ما كانوا يكذبونه من الأقوال الباطلة التي  
 كانوا يردون بها على الرسل ﷺ .  
 ﴿إِنْ قُلْتُمْ كُنْتُمْ مِنْ قَوْمٍ مُوسَى﴾ : أي ابن عم موسى ﷺ .  
 فَبَغَى عَلَيْهِمْ : أي ظلمهم واستطال عليهم.  
 وَءَايَاتُنَا مِنْ الْكُتُبِ مَا إِنْ مَفَاتِحُهَا لَسْنَا بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ : أي أعطاه الله من المال ما يثقل عن  
 الجماعة حمل مفاتيح خزائنه.  
 إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ : أي لا تفرح فرح البطر والأشر.  
 وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ : أي اطلب في المال الذي أوتيته الدار الآخرة بفعل  
 الخيرات. ﴿وَلَا تَنْسِكْ نِصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ

لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ .

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي : أي لعلم الله تعالى بأني أهل لذلك<sup>(١)</sup> . ﴿أَوْلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً﴾ .

وَأَكْثَرُ جَمْعًا : أي للمال .

وَلَا يَسْتَلْ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ : أي لعلم الله تعالى بهم فيدخلون النار بدون حساب<sup>(٢)</sup> .

فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ : أي لباس الأعياد والحفلات الرسمية . ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ .

يَلْتَمِتْ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ : أي تمنوا لو أن أعطوا من المال والزينة ما أعطي قارون .

إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ : أي إنه لذو بخت ونصيب وهبه الله إياه في كتاب المقادير .

وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ : أي أعطوا العلم الديني بمعرفة الله والدار الآخرة وموجبات السعادة والشقاء .

وَيَلْعَنُكُمْ : أي حضر ويلكم وهلاككم بتمنيكم المال وزخرف الدنيا .

ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا : أي ما عند الله من جزاء للمؤمنين العاملين الصالحات وهي الجنة خير من حطام الدنيا الفاني .

وَلَا يُفْلِحُهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ : أي ولا يوفق لقول هذه الكلمة وهي ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحًا إلا الصابرون على الإيمان والتقوى .

فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ : أي أسخنا الأرض من تحته فساخت به وبداره وكل من كان معه فيها من أهل البغي والإجرام . ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ ﴿٨١﴾ .

وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ : أي الذين قالوا: يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون، فالمراد من المكان المكانة وما عليه قارون من الإمارة والزينة والمال والعجاه .

يَقُولُونَ وَيَكْفُرُونَ وَاللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ : أي أعجب عالمًا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده .

وَيَقْدِرُ : أي يضيق . ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ .

وَيَكْفُرُونَ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ : أي أعجب عالمًا أنه لا يفلح الكافرون أي أنهم لا يفوزون بالنجاة

(١) وقال ابن زيد: لعلم الله تعالى بفضلي ورضاه عني أي: إني أوتيتها باستحقاقي . اهـ .

قال ابن كثير رحمته الله: وهكذا يقول من قل علمه إذا رأى من وسع الله عليه، لولا أنه يستحق ذلك لما أعطي (قل) .

(٢) قال ابن كثير رحمته الله: عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَلْ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي لكثرة ذنوبهم (قل) .

من النار ودخول الجنان كما يفوز المؤمنون.  
 تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ : أي الجنة، دار الأبرار (١).  
 فَجَعَلْنَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ : أي بغياً ولا استطالة على الناس.  
 وَلَا فَسَادًا : أي ولا يريدون فساداً بعمل المعاصي.  
 وَالْعَاقِبَةُ : أي المحمودة في الدنيا والآخرة.  
 لِلْمُتَّقِينَ (٨٢) : الذين يتقون مساخط الله فلا يعتقدون ولا يقولون ولا يعملون ما لا يرضى به الله تعالى.

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ : أي يوم القيامة والحسنة: أثر طاعة الله تعالى يجزئ به المؤمن.  
 فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا : أي تضاعف له عشرة أضعاف.  
 وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ : السيئة أثر معصية الله تعالى يعاقب به العبد إذا لم يعفُ الله تعالى عنه. ﴿ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٨٤).  
 إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ : أي الله الذي أنزل عليك القرآن وفرض عليك قراءته والعمل بما فيه وتبليغه.

لِرَأْدِكَ إِلَى مَعَادٍ : أي لمرجعك إلى مكة فاتحاً إذ معاد الرجل بلده الذي يعود إليه (٢). ﴿ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٨٥).  
 وَمَا كُنْتَ تَرْجُو : أي تأمل.  
 أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ : أن ينزل عليك القرآن ويوحى به إليك.  
 إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ : لكن رحمة من الله وفضل أنزله عليك.  
 فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيراً لِلْكَافِرِينَ (٨٦) : أي فممن شكر هذه النعمة أن لا تكون معيناً للكافرين.  
 وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ : أي لا يصرفك عن العمل بآيات الله بعد أن شرفك الله بإنزالها عليك.

وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ : أي ادع الناس إلى الإيمان بالله وعبادته وترك الشرك به. ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ

(١) روى سفيان بن عيينة أن علي بن الحسين وهو راكب مر على مساكين يأكلون كسراً لهم فسلم عليهم فدعوه إلى طعامهم فتلا هذه الآية: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ .. ﴾ إلى ﴿ فَسَادًا ﴾ ثم نزل وأكل معهم.

(٢) قال ابن كثير رحمته : ووجه الجمع بين هذه الأقوال: أن ابن عباس فسر ذلك تارة برجوعه إلى مكة وهو الفتح الذي هو عند ابن عباس أمانة على اقتراب أجل النبي ﷺ، كما فسر ابن عباس سورة ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾، أنه أجل رسول الله ﷺ نعي إليه، ولهذا فسر ابن عباس تارة أخرى قوله: ﴿ لِرَأْدِكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ بالموت، وتارة بيوم القيامة الذي هو بعد الموت، وتارة بالجنة التي هي جزاؤه ومصيره على أداء رسالة الله وإبلاغها إلى الثقلين الإنس والجن، ولأنه أكمل خلق الله وأفصح خلق الله وأشرف خلق الله على الإطلاق. اهـ (قل).

## المُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾

وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ: أي لا تعبد مع الله إلهاً آخر بدعائه والذبح والنذر إليه.

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ: أي فان.

إِلَّا وَجْهَهُ: أي إلا الله ﷻ فلا يهلك كما يهلك ما عداه. ﴿لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٨٨﴾





## ٢٩ - سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

آلَمَ ①: هذه أحد الحروف المقطعة تكتب ألم وتقرأ ألف لام ميم. ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا﴾.

وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ②: أي لا يختبرون بما يتبين به حقيقة إيمانهم من التكاليف، ومنها الصبر على الأذى.

وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ③: أي اختبرنا من قبلهم إذ هي سنة جارية في الناس.

فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا ④: أي في إيمانهم.

وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ⑤: بما يظهر من أعمالهم.

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا ⑥: أي يفوتونا فلا ننتقم منهم.

سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ⑦: أي بسس الحكم هذا الذي يحكمون به، وهو حسابهم أنهم يفوتون الله تعالى ولم يقدر على الانتقام منهم.

مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ ⑧: أي من كان يؤمن بلقاء الله ويتنظر وقوعه.

فَأِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ⑨: فليستعد له بالإيمان وصالح الأعمال ⑩. ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ⑪﴾.

وَمَنْ جَاهَدَ ⑫: أي بذل الجهد في حرب الكفار أو النفس.

فَأِنَّمَا يَجْتَاهِدُ لِنَفْسِهِ ⑬: أي منفعة الجهاد من الأجر عائدة على نفسه. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ⑭﴾.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ⑮.

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ⑯: أي ولنجزينهم على أعمالهم بأحسن عمل كانوا عملوه.

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ ⑰: أي عهدنا إليه بطريق الوحي المنزل على رسولنا.

بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ⑱: أي إيصاءًا ذا حسن، وذلك ببرهما وعدم عقوقهما.

وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي ⑲: أي بذلا الجهد في حملك على أن تشرك. ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا

تَطِعْهُمَا إِيَّايَ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ⑳﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ㉑.

لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ㉒: أي لندخلهم مدخلهم في الجنة. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا

(١) قال القرطبي: أجمع أهل التفسير على أن المعنى من كان يخاف الموت فليعمل عملاً صالحاً فإنه لا بد أن يأتيه.

أُذِيَ فِي اللَّهِ ﴿١٠﴾.

جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ : أي أذاهم له.

كَعْدَابِ اللَّهِ : أي في الخوف منه فيطيعهم فيناقق. ﴿وَلَمَّا جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ ﴿١١﴾﴾  
 إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ : أي في الإيمان وإنما أكرهنا على ما قلنا بألستنا. ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ  
 الْعَالَمِينَ ﴿١٢﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١٣﴾﴾.  
 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا : أي ديننا وما نحن عليه.  
 وَلَنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ : أي ليكن منكم اتباع لسبيلنا وليكن منا حمل لخطاياكم، فالكلام خبر  
 وليس إنشاء. ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٤﴾﴾.  
 وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ : أي أوزارهم، والأوزار الذنوب.  
 وَأَثْقَالَ مَعَ أَثْقَالِهِمْ : أي من أجل قولهم للمؤمنين: اتبعوا سبيلنا.  
 وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٥﴾ : أي يكذبون.  
 وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ : أي نوح بن لمك بن متوشلخ بن إدريس من ولد شيث بن آدم،  
 بينه وبين آدم ألف سنة.

فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَيْرِينَ عَامًا : أي فمكث فيهم يدعوهم إلى الله تعالى تسعمائة وخمسين  
 سنة.

فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ : أي الماء الكثير الذي طاف بهم وعلاهم فأغرقهم.  
 وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٦﴾ : أي مشركون. ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ ﴿١٧﴾﴾  
 وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٨﴾ : أي عبرة للناس<sup>(١)</sup> يعتبرون بها فلا يشركون ولا يعصون.  
 وَإِبْرَاهِيمَ : أي واذكر إبراهيم على قراءة النصب لإبراهيم، وعلى قراءة الرفع: ومن المرسلين  
 إبراهيم.

إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ : أي آمنوا به و وحدوه في عبادته واتقوه أن تشركوا به وتعصوه.  
 ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾.  
 إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَأَصْنَامًا وَأَحْجَارًا وَصُورًا وَتَمَائِيلَ.  
 وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا : أي تختلقون الكذب فتقولون في الأصنام والأوثان: آلهة وتعبدونها. ﴿إِنَّ  
 الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا ﴿٢٠﴾﴾.  
 فَأَبْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ : أي اطلبوا الرزق من الله الخلاق العليم لا من الأصنام والتماثيل

(١) الضمير في: ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ عائد إلى السفينة، وما في التفسير أعم وأشمل. أي عائد إلى حادثة الطوفان ومنها السفينة.

المصنوعة المنحوتة بأيدي الرجال بالمعاول والفؤوس.

وَأَعْبُدُوهُ: أي بالإيمان به وتوحيده.

وَأَشْكُرُوا لَهُ: بطاعته. ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٧).

وَأِنْ تَكْذِبُوا: أي يا أهل مكة بعد هذا الذي عرضنا عليكم من الآيات والعبر. ﴿فَقَدْ كَذَّبَ

أَمْرًا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ﴾: أي محمد ﷺ (١).

إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ (٨): وقد بلغ وبين فبرئت ذمته، وأنتم المكذبون ستحل بكم نقمة الله.

أَوْلَمْ يَرَوْا: أي ينظروا بأبصارهم فيعلموا بقلوبهم.

كَيْفَ يَبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ: أي كيف يخلق المخلوق ابتداء.

ثُمَّ يُعِيدُهُ: أي ثم هو تعالى يعيده بعد بدئه وإفناؤه يعيده لأن الإعادة أهون من البدء وقد بدأ

وأفنى فهو بالضرورة قادر على الإعادة.

إِنَّ ذَلِكَ: أي: إن الخلق الأول والثاني هو الإعادة.

عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٩): أي سهل لا صعوبة فيه، فكيف إذا ينكر المشركون البعث.

قَدْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ: أي قل يا رسولنا لقومك المكذبين بالبعث: سيروا في الأرض.

فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ: أي كيف بدأ الله الخلق وأنشأه، تستدلون بذلك على قدرته على

البعث الآخر.

ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ (١٠): أي يحيي الناس بعد موتهم وهو البعث الآخر الذي أنكره

الجاهلون. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١١) يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾.

وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (١٢): أي ترجعون إليه لا إلى غيره أحياء كما كنتم فيحاسبكم ويجزيكم

بأعمالكم، الحسنه بخير منها والسيئة بمثلها جزاء عادلاً.

وَمَا أَنْشَأْنَاهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا فِي السَّمَاءِ: أي بغالبيين ولا فائتين بالهروب فإن الله غالبكم.

وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٣): ليس لكم من ولي يتولاكم ولا نصير ينصركم من

الله تعالى. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ﴾ (١٤).

(١) القصد من هذه الجملة: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ إعلام المخاطبين بأن تكذيبهم لا يلحقه منه ما فيه

نكايه به أو تشفي منه، فإن كان من خطاب الله تعالى لقريش فالمراد من الرسول محمد ﷺ، وإن كان من كلام

إبراهيم، فالمراد به إبراهيم نفسه سلك فيه مسلك الإظهار في مقام الإضمار تنويحاً للأسلوب.

(٢) أظهر اسم الجلالة بعد تقديم ذكر ضميره في قوله ﴿كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ ليحرك ضمائرهم باسم الجلالة ويدفع

بنفوسهم إلى التسليم بالنشأة الآخرة بعد التسليم بالنشأة الأولى وهي بدء الخلق.

(٣) المراد بآيات الله: القرآن الكريم: المشتمل على الأدلة والبراهين والحجج الدالة على قدرة الله وعلمه وحكمته

والمفصلة لأنواع عباداته.

أَوْلِيَّكَ يَبْسُؤُا مِّن رَّحْمَتِي <sup>(١)</sup> : أي من دخول الجنة لأنهم كافرون أعظم كفر وهو التكذيب بالقرآن والبعث الآخر. ﴿وَأَوْلِيَّكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ <sup>(١٣)</sup>.

فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ : أي قوم إبراهيم عليه السلام.

إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ : أي إلا قولهم اقتلوه أو حرقوه. ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ : أي في كون النار لم تحرق الخليل وخرج منها سالمًا.

لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ <sup>(١٤)</sup> : لأن المؤمنين هم الذين يتتبعون بالآيات لحياة قلوبهم. ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ

مَن دُونِ اللَّهِ﴾.

أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ : أي اتخذتم أوثانكم آلهة تتوادون من أجل عبادتها وتتحابون لذلك.

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا : أي هذا التوادد والتحاب على الآلهة في الحياة الدنيا فقط أما الآخرة فلا.

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ : أي يكفر المتبوعون بأتباعهم ويتبرءون

منهم. ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ : يلعن الأتباع القادة الذين اتبعوهم في الباطل. ﴿وَمَا أَوْلِيكُمْ

النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ <sup>(١٥)</sup>.

﴿فَقَامَنَ لَهُ لُوطٌ﴾ : أي آمن بإبراهيم لوط وهو ابن أخيه هاران ولم يؤمن من قومه سواه.

وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي : أي إلى حيث أعبد ربي فلا أفتن في ديني. ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

﴾ <sup>(١٦)</sup>.

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ : أي هاجر لأجلنا فأكرمناه في دار هجرته فوهبنا له ذرية هم إسحاق

الابن ويعقوب الحفيد <sup>(٣)</sup>.

وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ : فكل الأنبياء بعده من ذريته، وكل الكتب التي أنزلت بعده

فهي في ذريته.

وَأَيَّتِنَا أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا : وذلك بالرزق الحسن والثناء الحسن على السنة كافة الناس من أهل

الأديان الإلهية.

وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ <sup>(١٧)</sup> : أي هو أحدهم فيكرم كما يكرمون بالدرجات العلا،

والصالحون هم أنبياء الله ورسله وأولياؤه وصالحو عباده.

(١) أخبر عن يأسهم بالفعل الماضي تنبيهاً على تحقق وقوعه وإن كان المعنى أنهم سييسسون من رحمة الله التي هي الجنة لا محالة.

(٢) من قرية كوئا من سواد الكوفة إلى حران ثم إلى الشام، ومعه ابن أخيه لوط بن تارخ، وامرأته سارة، وهو أول من هاجر في سبيل الله وأول من هاجر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم في سبيل الله تعالى: عثمان بن عفان مع زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة.

(٣) هذه الهبة كان قبلها هبة إسماعيل إذ ولد قبل إسحاق عليه السلام.

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ : أَي واذكر إذ قال لوط بن هاران لقومه أهل سدوم .  
 إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ : أي الخصلة القبيحة وهي إتيان الذكران في أدبارهم .  
 مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ : أي لم تعرف البشرية قبل قوم لوط إتيان  
 الذكران في أدبارهم .

أَيْتَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ السَّبِيلَ : أي باعتدائكم على المارة في السبيل فامتنع الناس  
 من المرور خوفًا منكم .

وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ : أي مجالس أحاديثكم تأتون المنكر كالضراط وحل الإزار

والفاحشة أي اللواط . ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ

الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ ﴿٣١﴾

بِالْبُشْرَى : أي إسحاق ويعقوب بعده .

قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ : أي قرية لوط وهي سدوم . ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانَُوا ظَالِمِينَ

﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ﴿٣٢﴾

قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا : أي قالت الرسل : نحن أعلم بمن فيها .

لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ . كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ : أي كانت في علم الله وحكمه من

الباقيين في العذاب .

وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِوَىٰ يَوْمِهِمْ : أي حصلت له مساءة وغم بسبب مخافة أن يقصدهم

قومه بسوء .

وَصَافَ بِهِمْ ذُرْعًا : أي عجز عن احتمال الأمر لخوفه من قومه أن ينالوا ضيفه بسوء . ﴿وَقَالُوا

لَا نَخَفُ وَلَا نَحْزَنُ إِنَّا مَنجُوكَ وَأَهْلَكَ ﴿٣٤﴾

إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٥﴾ : الذين طالت أعمارهم وستهلك مع الهالكين . ﴿إِنَّا

مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ﴿٣٦﴾

رِجْرًا مِنَ السَّمَاءِ : أي عذابًا من السماء .

يَمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٧﴾ : أي بسبب فسقهم وهو إتيان الفاحشة .

وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً : أي تركنا من قرية سدوم التي دمرناها آية بينة وهي خرابها

ودمارها وتحولها إلى بحر ميت لا حياة فيه .

لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٨﴾ : أي يعلمون الأسباب والنتائج إذا تدبروا .

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ : أي وأرسلنا إلى قبيلة مدين، ومدين أبو القبيلة فسميت باسمه .

أَخَاهُمْ شُعَيْبًا : أي أخاهم في النسب .

فَقَالَ يَنْقُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ: أي اعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئاً.  
وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ: أي آمنوا به وتوقعوا مجيئه وما يحدث فيه.  
وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾: أي ولا تعيشوا في الأرض فساداً بأن تنشروا فيها الفساد وهو العمل بالمعاصي فيها.

فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ: الهزة العنيفة والزلزلة الشديدة.  
فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِيمِينَ ﴿٣٧﴾: لاصقين بالأرض أمواتاً لا يتحركون.  
وَعَادَا وَكُمُودًا: أي وأهلكنا عاداً القبيلة، وثمود القبيلة كذلك.  
وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّنْ مَّسْكِنِهِمْ: أي تبين لكم إهلاكهم من مساكنهم الخالية منهم بالحجر جنوب اليمن.

وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ: أي سبيل الهدى والحق التي بيتهها لهم رسلهم.

وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾: أي ذوي بصائر لما علمتهم رسلهم (١).  
وَقَرُوبٍ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ: أي وأهلكنا قارون بالخسف وفرعون وهامان بالغرق.  
وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ: أي عن عبادة الله تعالى وطاعته ورسله.

وَمَا كَانُوا سَاقِيَةً ﴿٣٩﴾: أي فائتين عذاب الله أي فارين منه، بل أدركهم.  
فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ: أي فكل واحد من المذكورين أخذناه بذنبه ولم يفلت منا.  
فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا أَي رِيحًا شَدِيدَةً، كَعَادٍ وَقَوْمِ لُوطٍ.  
وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ: أي ثمود.  
وَمِنْهُمْ مَّنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ: أي كقارون.

وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَفْنَا: كقوم نوح وفرعون. ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٤٠﴾

مَثَلِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ: أي صفة وحال الذين اتخذوا أصناماً يرجون نفعها.

كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا أَي لِنَفْسِهَا تَأْوِي إِلَيْهِ.  
وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ أضعف البيوت وأقلها جدوى. ﴿لَيْسَتْ الْعَنكَبُوتُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤١﴾

(١) ولكن آثروا أهواءهم على عقولهم فهلكوا، وقيل: المراد أنهم أهل بصائر ومعرفة بالأمر لما لهم من عقول صالحة للنظر والإدراك، وما في التفسير وجه أحسن من هذا.

إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ، مِنْ شَوْءٍ: أي من الأوثان والأصنام وغيرها.  
 وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٦﴾: أي الغالب على أمره، الحكيم في تدبير أمور خلقه.  
 وَذَلِكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٧﴾: أي العالمون بالله وآياته  
 وأحكام شرعه وأسراره.  
 خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ: أي من أجل أن يعبد لا للهو ولا لباطل. ﴿٤٨﴾ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ  
 لَآيَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾.

أَنْتَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ: اقرأ يا رسولنا ما أنزل إليك من القرآن.  
 وَأَقْرِمِ الصَّكُوءَ: بأدائها مقامة مراعى فيها شروطها وأركانها وواجباتها وسننها.  
 إِنَّ الصَّكُوءَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ: أي الصلاة بما توجده من نور في قلب العبد  
 يصبح به لا يقدر على فعل فاحشة ولا إتيان منكر.  
 وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ: أي ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد ربه، كما أن ذكر الله أكبر في النهي عن  
 الفحشاء والمنكر من الصلاة وغيرها. ﴿٥٠﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٥١﴾.  
 ﴿٥٢﴾ وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ: أي لا تحاجبوا ولا تناظروا اليهود والنصارى.  
 إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ: أي إلا بالمجادلة التي هي أحسن وهي الدعوة إلى الله بآياته والتنبيه على  
 حججه.

إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ: أي الذين لم يدخلوا في ذمة المسلمين بدفع الجزية، وبقوا حرباً على  
 المسلمين. ﴿٥٣﴾ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٥٤﴾.  
 وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ: أي وكإنزلنا الكتاب على من قبلك من الرسل أنزلنا إليك  
 الكتاب.

فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ يُؤْمِنُونَ بِهِ: أي كعبد الله بن سلام وإخوانه الذين آمنوا بالرسول  
 وكتابه. ﴿٥٥﴾ وَمَنْ هَتَّاءَ مِنْ يَوْمِنُ بِهِ: أي ومن هؤلاء المشركين من يؤمن به وفعلاً آمن به كثيرون.  
 ﴿٥٦﴾ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا كُنْتَ تَسْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ.  
 وَلَا تَخْطُهُ بِرِيسِكَ: أي تكتب بيدك لأنك أمي لا تقرأ ولا تكتب.  
 إِذَا لَأَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾: أي لشك اليهود في نبوتك ونزول القرآن إليك.  
 بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ: أي محمد ﷺ ونعوته وصفاته آيات بينات في التوراة والإنجيل محفوظة.  
 فِي صُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ: أي من أهل الكتاب (١).  
 وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٥٩﴾: أي وما يجحد بآيات الله الحاملة لنعوت الرسول

(١) وقيل: هم أصحاب محمد ﷺ والمؤمنون به، وهذا لا يتناقض مع ما في التفسير، إذ الوجهان صحيحان.

الأمي وصفاته إلا الذين ظلموا أنفسهم بكتمان الحق والاستمرار على الباطل.  
وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا آيَاتٌ مِنْ رَبِّنَا قُلْ أَتَى عَلَى اللَّهِ أَنْزِلَ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ : أي قال كفار قريش: هلاً أنزل على محمد آيات من ربه كناية صالح، وعصا موسى.

قُلْ إِنَّمَا آيَاتُ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ : أي قل لهم يا رسولنا: الآيات عند الله ينزلها متى شاء. ﴿وَلِنَمَّا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٥٠)

أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ : أي أو لم يكفهم فيما طلبوا من الآيات إنزالنا الكتاب عليك.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١) : أي في القرآن رحمة وموعظة للمؤمنين فهو خير من ناقة صالح. ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (١)

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ : وهو ما يعبد من دون الله.

وَكَفَرُوا بِاللَّهِ : وهو الإله الحق.

أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٥٢) : أي حيث استبدلوا الكفر بالإيمان.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ : أي يطلبون منك تعجيل العذاب لهم.

وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ : أي وقت محدد للعذاب لا يتقدمه ولا يتأخر عنه لجهنم.

وَلِيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٣) : فجأة من حيث لا يخطر لهم على بال. ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾

بِالْعَذَابِ ﴿

وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٥٤) : أي من كل جانب وهم فيها وذلك. ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾

﴿

وَيَقُولُ ذُقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٥) : أي ويقول لهم الجبار: ذوقوا ما كنتم تعملون أي من الشرك

والمعاصي.

يَنْعِبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ : أي هاجروا من بلاد لم تتمكنوا من العبادة فيها فإن أرض

الله واسعة.

فَأَنبِئِي قَاعِبُدُونَ (٥٦) : فاعبدوني وحدي ولا تعبدوا معي غيري كما يريد منكم المشركون.

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ : أي لا يمنعكم الخوف من الموت أن لا تهاجروا في سبيل الله فإن

الموت لا بد منه للمهاجر ولمن ترك الهجرة.

ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٥٧) : أي بعد موتكم ترجعون إلى الله، فمن مات في سبيل مرضاته أكرمه

(١) ﴿شَهِيدًا﴾ أي: يشهد لي بالصدق فيما أدعيه من أني رسول وأن هذا كتابه.



وأسعده، ومن مات في معصيته أذاقه عذابه. ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾<sup>(١)</sup>.  
لَسَوْنَتُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ عُرْفًا: أي لتنزلهم من الجنة عرفًا. ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرٍ  
الْعَمَلِينَ﴾<sup>(٥٨)</sup>.

الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾: أي صبروا على الإيمان والهجرة متوكلين على الله تعالى.  
وَكَايُنَ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا: أي لا تطيق جمعه ولا حمله لضعفها<sup>(١)</sup>. ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ  
﴿: فلا عذر لمن ترك الهجرة خوفًا من الجوع والخصاصة.

وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾: أي السميع لأقوال عباده، العليم بنياتهم وأحوالهم وأعمالهم.  
وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ: أي المشركين. ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾.

وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ: أي ذللها يسيران الدهر كله لا يملان ولا يفتران. ﴿لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾<sup>(٢)</sup>.  
فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾: أي كيف يصرفون عن الحق بعد ظهور أدلته لهم وهو أن الخالق المدبر هو

الإله الحق الذي يجب توحيده في عبادته.

اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ: أي يوسع الرزق على من يشاء من عباده امتحانًا للعباد هل

يشكر الله أو يكفر نعمه؟

وَيَقْدِرُ لَهُ: أي ويضيق عليه ابتلاء ليرى هل يصبر أو يسخط؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup> وَلَيْنَ  
سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا.

لَيَقُولَنَّ اللَّهُ: إذا كيف يشركون به أصنامًا لا تنفع ولا تضر.

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ: أي قل: لهم الحمد لله على ثبوت الحجة عليكم.

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾: أي إنهم متناقضون في فهمهم وجوابهم.

وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ: أي بالنظر إلى العمل لها والعيش فيها<sup>(٤)</sup> فهي لهو يتلهى

به الإنسان ولعب يخرج منه بلا طائل ولا فائدة.

وَلِيَكِ الدَّارُ الْآخِرَةُ لِهَيِّ الْحَيَاةِ: أي الحياة الكاملة الخالدة، ولذا العمل لها أفضل من العمل

للدنيا.

لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾: أي لو علم المشركون هذا لما آثروا الدنيا الفانية على الآخرة

الباقية.

فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ: أي في السفينة.

(١) ﴿وَكَايُنَ﴾: أصلها (أي) دخلت عليها كاف التشبيه وصار فيها معنى كم، والتقدير: أي كشيء من العدد من دابة قال ابن عباس: الدواب هي كل ما دب من الحيوان فكله لا يحمل رزقه ولا يدخر إلا ابن آدم والنمل والفأر.

(٢) اللهو: ما يلهو به الناس أي: يشتغلون به عن الأمور المكدرة أو يعمرن به أوقاتهم الخالية عن الأعمال.

دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ : أي دعوا الله وحده فلم يذكروا معه غيره من الآلهة.  
 فَلَمَّا بَجَعْتُهُمْ إِلَىٰ آلِهِمْ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ : أي يفاجئونك بالشرك<sup>(١)</sup> وهو دعاء غير الله تعالى.  
 لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ : أي بنعمة الإنجاء من الغرق وغيرها من النعم.  
 وَلِيَسْمَعُوا فَمَا يَكْفُرُونَ ﴿٦٦﴾ : أي سوف يعلمون عاقبة كفرهم إذا ألقوا في جهنم.  
 أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيَخْطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ<sup>(٢)</sup> : أي يسبون ويقتلون في ديار  
 جزيرتهم.

أَفِيَ الْبَطْلِ يُؤْمِنُونَ : أي يؤمنون بالأصنام وهي الباطل، ينكر تعالى عليهم ذلك. ﴿وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ  
 يَكْفُرُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ  
 ﴿٦٨﴾ .

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا : أي بذلوا جهدهم في تصحيح عقائدهم وتركية نفوسهم وتهذيب أخلاقهم  
 ثم بقتال أعداء الله من أهل الكفر المحاربين للإسلام والمسلمين.  
 لِنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا : أي لنوفقنهم إلى معرفة ما يوصل إلى محبتنا ورضانا ونعيننهم على  
 تحصيله. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٦٩﴾ .



(١) قال القرطبي: يدعون معه غيره وما لم ينزل به سلطانا، وقيل: إشراكهم أن يقول قائلهم: لولا الله والرئيس  
 والملاح لفرقنا، وهو كما قال، وإنما هو عند المسلمين من الشرك الأصغر لا الأكبر كقول الرجل: لولا  
 الطيب لمات فلان، ولولا الكلب لسرقنا.

(٢) الخطف: الأخذ بسرعة. قال الضحاك يتخطف الناس من حولهم: أي يقتل بعضهم بعضا ويسبي بعضهم بعضا  
 فذكرهم الله تعالى بهذه النعمة لعلمهم يدعون له بالطاعة.

## ٣٠ - سُورَةُ الرَّؤُوسِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المر (١) : هذه أحد الحروف المقطعة تكتب الم، وتقرأ ألف، لام، ميم.

غَلِبَتْ : أي غلبت فارس الروم.

الرُّومُ (٢) : اسم رجل هو روم بن عيصر بن إسحاق بن إبراهيم سميت به القبيلة لأنه جدها.

فِي أَدْنَى الْأَرْضِ : أي أقرب أرض الروم إلى فارس وهي أرض يقال لها الجزيرة بين «دجلة والفرات» (١).

وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) : وهم؛ أي الروم.

فِي بَضْعِ سِنِينَ : من بعد غلب فارس لهم سيغلبونها أي في فترة ما بين الثلاث السنوات إلى

تسع سنين.

لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ : أي الأمر في ذلك أي في غلب فارس أولاً ثم في غلب الروم أخيراً

لله وحده إذ ما شاءه كان وما لم يشأه لم يكن.

وَيَوْمَئِذٍ يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) يَنْصُرِ اللَّهُ : أي ويوم تغلب الروم فارساً يفرح المؤمنون

بنصر أهل الكتاب على المشركين عبدة النار، وينصرهم هم على المشركين في بدر. ﴿يَنْصُرُ مَنْ

يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٥).

وَعَدَّ اللَّهُ : أي وعدهم الله تعالى وعداً وأنجزه لهم.

لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ : أي ليس من شأن الله خلف الوعد وذلك لكمال قدرته وعلمه.

وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦) : كمال الله في قدرته وعلمه المستلزم لإنجاز وعده.

يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا : أي لا يعلمون حقائق الإيمان وأسرار الشرع، وإنما يعلمون ما

ظهر من الحياة الدنيا كطلب المعاش من تجارة وزراعة وصناعة.

وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧) : أي عن الحياة الآخرة، وما فيها من نعيم وجحيم وما يؤدي إلى

ذلك من عقائد وأفعال وتروك.

أَوْ لَمْ يَنْفَكُوا فِي أَنْفُسِهِمْ : أي كيف خلقوا ولم يكونوا شيئاً، ثم كيف أصبحوا رجالاً.

(١) اختلف في «أَدْنَى الْأَرْضِ» هل هذا الإدناء إلى أرض الروم أو إلى أرض الفرس كما في التفسير، أو أدنى الأرض إلى أرض الروم أو إلى أرض العرب، والراجع الأول كما في التفسير.

مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ : أي لم يخلق الله<sup>(١)</sup> السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق الذي هو العدل.

وَأَجَلٍ مُّسَمًّى : وهو نهاية هذه الحياة لتكون الحياة الثانية حياة الجزاء العادل.  
وَأِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ ﴿٨﴾ : أي بالبعث والوقوف بين يدي الله ليسألهم ويحاسبهم ويجزيهم. ﴿٨﴾ أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴿٩﴾ .  
كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنَارُوا الْأَرْضَ : أي قلبوها للحرث والغرس والإنشاء والتعمير.  
وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا : أي عمروا الأرض عمارة أكثر مما عمرها هؤلاء المشركون.  
وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ : أي بالدلائل والحجج والبراهين من المعجزات وغيرها كالأحكام الشرعية.

فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ : أي بتكذيبهم وشركهم ومعاصيهم فعرضوا أنفسهم للهلاك.

ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا الشَّرَّ أَىٰ ﴿٩﴾ : أي بالتكذيب والشرك والمعاصي والسوء هي الحالة الأسوأ.

أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ : أي بتكذيبهم بآيات الله القرآنية. ﴿١٠﴾ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ .  
اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ : أي بعد إعادة الخلق وبعث الناس.  
وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ : أي يئسوا من النجاة وتنقطع حججهم فلا يتكلمون.  
﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ ﴿١٢﴾ .

وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ : أي يتبرءون منهم ولا يعترفون بهم.  
وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ ﴿١٤﴾ : أي ينقسمون إلى سعداء أصحاب الجنة وأشقياء أصحاب النار. ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿١٥﴾ .

فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ : أي في روضة من رياض الجنة يسرون<sup>(٣)</sup> ويفرحون. ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَائِي الْأٰخِرَةِ ﴿١٦﴾ .  
فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ ﴿١٦﴾ : أي مدخلون فيه لا يخرجون منه.

(١) جائز أن يكون ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ معناه: إلا للحق أو لإقامة الحق أو بالحكمة وما في التفسير أولى وكل ما ذكر يشمله ويدل عليه. والأجل المسمى: المراد به أن كل المخلوقات حدد لها أجل فئاتها، وهذا التقرير للفناء مستلزم للحياة الآخرة.

(٢) السوءى: تأنيث الأسوأ، كالحسنى تأنيث الأحسن، والأسوأ، الأقيح من الأفعال والأقوال والمعتقدات، وجائز أن يكون المراد بالسوءى هنا جهنم كما أن المراد بالحسنى في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنِي﴾ الجنة.

(٣) ﴿يُحْبَرُونَ﴾: ينعمون ويكرمون ويسرون بالحبور والسرور وأثر النعيم.

- فَسَبِّحْنَ اللَّهَ : أي سبحوا الله أي صلوا.
- حِينَ تُمَسُّونَ : أي تدخلون في المساء وفي هذا الوقت صلاة المغرب وصلاة العشاء.
- وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ : وتدخلون في الصباح وفيه صلاة الصبح.
- وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : أي وهو المحمود دون سواه في السموات والأرض.
- وَعَشِيًّا : أي حين تدخلون في العشي وفيه صلاة العصر.
- وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ : أي تدخلون في الظهر وفيه صلاة الظهر.
- يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ : أي يخرج الإنسان الحي من النطفة وهي ميتة.
- وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ : أي يخرج النطفة من الإنسان الحي والبيضة الميتة من الدجاجة الحية.
- وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا : أي يحييها بالمطر فتحيا بالنبات بعدما كانت يابسة ميتة.
- وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ ﴿١٩﴾ : أي من قبوركم أحياء بعدما كنتم ميتين.
- وَمِنْ آيَاتِهِ : أي ومن أدلة قدرته وعلمه وحكمته المقتضية لبعثكم بعد موتكم.
- أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ : أي خلقه إياكم من تراب وذلك بخلق آدم الأب الأول.
- ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ : أي في الأرض بشرًا تعمرونها. ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ .
- لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا : أي لتسكن نفوسكم إلى بعضكم بحكم التجانس في البشرية.
- وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً : أي محبة ورحمة أي شفقة إذ كل من الزوجين يحب الآخر ويرحمه. ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ﴿٢١﴾ .
- وَمِنْ آيَاتِهِ : أي حججه وبراهينه الدالة على قدرته على البعث والجزاء. ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ .
- وَأَخْلَفَ اللَّسَانَ لَكُمْ : أي لغاتكم من عربية وعجمية، والعجمية بينها اختلاف كثير.
- وَالْوَنَانِكُمْ : أي من أبيض وأصفر وأحمر وأسود والكل أبناء رجل واحد وامرأة واحدة.
- إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ : أي للعقلاء على قراءة للعالمين بفتح اللام، ولأولي العلم على قراءة كسر اللام.
- وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ : أي طلبكم الرزق بإحضار أسبابه من زراعة وتجارة وصناعة وعمل.
- إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ : أي سماع تدبر وفهم وإدراك، لا مجرد سماع الأصوات.

وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا: أي إراءته إياكم البرق خوفاً<sup>(١)</sup> من الصواعق والظوفان وطمعاً في المطر. ﴿وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ: أي قيام السماء والأرض على ما هما عليه من نشأتهما. بِأَمْرِهِ: بقدرته وتدبيره.

ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ: أي دعوة واحدة لا تتكرر وهي نفخة إسرافيل.

إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ<sup>(٣)</sup>: أي من قبوركم أحياء للحساب والجزاء.

وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: أي خلقاً وملكاً وتصرفاً وعبيداً.

كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ<sup>(٤)</sup>: أي كل من في السموات والأرض من الملائكة والإنس والجن منقادون

له تجري عليهم أحكامه كما أرادها فلا يتعطل منها حكم. ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾.

وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ: أي أيسر وأسهل نظرًا إلى أن الإعادة أسهل من البداية.

وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى: أي الوصف الأعلى في كل كمال فصفاته كلها عليا ومنها الوجدانية. ﴿فِي

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ<sup>(٥)</sup>: أي الغالب على أمره، الحكيم في قضائه وتصرفه.

ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا: أي جعل لكم مثلاً<sup>(٦)</sup>.

مِنْ أَنْفُسِكُمْ: أي منتمزعا من أموالكم وما تعرفونه من أنفسكم.

هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ: أي إنه ليس لكم من ممالئكم

وعبيدكم شريك منهم يشارككم في أموالكم إذ لا ترضون بذلك ولا تقرونه أبداً، فكذلك الله تعالى

لا يرضى أن يكون من عبده من هو شريك له في عبادته التي خلق كل شيء من أجلها.

فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ سِوَاهُ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ: أي تخوفكم من بعضكم لبعض أيها الأحرار.

كَذَلِكَ نَفُصِّلُ الْآيَاتِ: أي نبينها بتنوع الأسلوب وإيراد الحجج وضرب الأمثال.

﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾<sup>(٧)</sup>.

بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا: أي ليس الأمر قصورا في البيان حتى لم يؤمن المشركون.

أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ: وإنما العلة اتباع المشركين لأهوائهم وتجاهل عقولهم.

فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ: أي لا أحد فالاستفهام للنفي. ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَصِيرِينَ﴾<sup>(٨)</sup>.

(١) جازئ أن يكون الخوف للمسافر والطمع للمقيم.

(٢) ذكر القرطبي لتفسير كلمة ﴿قَانُونٌ﴾ تفاسير عدة من السلف منها مطيعون طاعة انقياد، مقرون بالعبودية إما قالة

وإما دلالة مصلون قائمون يوم القيامة مخلصون.

(٣) ضرب المثل إيقاعه ووضعه، واللام في لكم للتعليل أي لأجلكم.

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ : أي سدد وجهك يا رسولنا للدين الإسلامي بحيث لا تنظر إلا إليه.  
 حَنِيفًا : أي مائلًا عن سائر الأديان إليه وهو بمعنى مقبلًا عليه.  
 فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيَّهَا : أي صنعة الله التي صنع عليها الإنسان وهي قابليته للإيمان بالله تعالى.  
 لَا بَدِيلَ لِمَخْلُوقِ اللَّهِ : أي لا تعملوا على تغيير تلك القابلية للإيمان والتوحيد فالجملة خبرية لفظًا إنشائية معنى.  
 ذَلِكَ الَّذِينَ أَلْتَمَسُوا الْغَيْبَ : أي المستقيم الذي لا يضل الأخذ به. ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٠).  
 ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ : أي راجعين إليه تعالى بفعل محابه وترك مكارهه. ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣١).  
 مِنَ الَّذِينَ فَزَعُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا بَشِعًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (١) ﴿٣٢﴾ : أي طوائف وأحزابًا كل فرقة فرحة بما هي عليه من حق وباطل.  
 وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ : أي إذا مس المشركين ضر أي شدة من مرض أو فقر أو قحط.  
 دَعَا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ : أي راجعين بالضراعة والدعاء دون غيره.  
 ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ رَحْمَةٌ رَحِمَهُمْ : بكشف ضر أو إنزال غيث وإصابة رخاء وسعة رزق.  
 إِذَا فَرِحُوا مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ : أي بربهم فيعبدون معه غيره بالذبح للآلهة والنذر وغير ذلك.  
 لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ : أي ليكون شكرهم لله كفرًا بنعمه والعياذ بالله.  
 فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ .  
 أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا : أي حجة من كتاب وغيره ينطق بشركهم ويقرره لهم ويأمرهم به.  
 ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ (٣٥) وَإِذَا آذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ ﴿٣٦﴾ .  
 بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ : أي بذنوبهم وخروجهم عن سنن الله تعالى في نظام الحياة.  
 إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٧﴾ : أي يئسسون من الفرج بزوال الشدة.  
 أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ : أي يوسعه امتحانًا له.  
 وَيَقْدِرُ : أي يضيق الرزق على من يشاء ابتلاء. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٧).  
 فَآتَى ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ : أي أعطى ذا القرابة حقه من البر والصلة (٣٨).

(١) والشيع جمع شيعة وهي الجماعة التي تتشايح أي توافق رأيًا وتجمع عليه، والحزب الجماعة الذين رأيهم ونزعتهم واحدة.

(٢) الخطاب رغم كونه موجهاً للنبي ﷺ فأتمته تابعة له في هذا كله وابن السبيل إن استضاف مؤمنًا وجب عليه ضيافته لقوله ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» في الصحيح.

وَالْيَسْكِينِ: أي المعدوم الذي لا مال له، أعطه حقه في الطعام والشراب والكساء.  
 وَأَيْنَ السَّبِيلِ: أي أعط ابن السبيل أي المسافر حقه في الإيواء والطعام.  
 ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ: أي ذلك الإنفاق خير من عدمه للذين يريدون وجه الله تعالى  
 إذ يشيهم ربهم أحسن ثواب. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣٨).  
 وَمَاءَ آيْتُمْ مِّن رَّبَا: أي من هدية أو هبة وسميت ربًا لأنهم يقصدون بها زيادة أموالهم.  
 لِيَرْبُوهَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ: أي ليكثر بسبب ما يرده عليكم من أهديتموه القليل ليرد عليكم الكثير.  
 فَلَا يَرْبُوهَا عِنْدَ اللَّهِ: أي لا يباركه الله ولا يضاعف أجره. ﴿وَمَاءَ آيْتُمْ مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾.  
 فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (٣٩): أي الذين يؤتون أموالهم صدقة يريدون بها وجه الله فهو لاء الذين  
 يضاعف لهم الأجر أضعافًا مضاعفة. ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾.  
 هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ: أي من أصنامكم التي تعبدونها.  
 مَن يَفْعَلْ مِنْ ذَلِكَ مِّنْ شَيْءٍ: والجواب لا أحد؛ إذ بطلت ألوهيتها وحرمت عبادتها.  
 سُبْحٰنَهُ، وَتَعٰلٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٠): أي تنزه الرب عن الشرك وتعالى عن المشركين.  
 ظَهَرَ الْفَسَادُ (١) فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ: أي ظهرت المعاصي في البر والبحر وتبعها الشر والفساد.  
 بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ: أي بسبب ما كسبته أيدي الناس من ظلم واعتداء.  
 لِيُدْبِقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا: أي تم ذلك وحصل ليزيقهم الله العذاب ببعض ذنوبهم.  
 لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١): كي يرجعوا عن المعاصي إلى الطاعة والاستقامة.  
 قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ: أي قل يا رسولنا لأهل مكة المكذبين بك والمشركين بالله: سيروا.  
 فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ: أي كيف كانت نهاية تكذيبهم لرسولهم وشركهم بربهم،  
 إنها هلاكهم. ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّشْرِكِينَ﴾ (٤٢).  
 فَأَقْرِبْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ: أي استقم على طاعة ربك عابدًا له مبلغًا عنه منفذًا لأحكامه.  
 مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ، مِن اللَّهِ: أي لا يرده الله تعالى أنه قضى بإتيانه وهو يوم القيامة.  
 يَوْمَ يَذِبُضَعُونَ (٤٣): أي يتفرقون فرقتين. ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾.  
 فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ (٤٤): أي يوطنون ويفرشون لأنفسهم في منازل الجنة بإيمانهم وصالح  
 أعمالهم. ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (٤٥).  
 وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ: أي ومن حججه الدالة على قدرته على البعث والجزاء والموجبة  
 لعبادته وحده.

(١) ذكر للفساد في البر والبحر تأويلات وما في التفسير أصحابها وأولها بفهم الآية الكريمة وأنفعها لأهل القرآن المتدبرين به العاملين بما فيه.



مُبَشِّرَتٍ : أي تبشر العباد بالمطر وقربه .  
 وَلِيُدَبِّقْكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ : أي بالغيث والخصب والرخاء وسعة الرزق . ﴿وَلِتَجْرِيَ الْفَلَاحُ بِأَمْرِهِ﴾ (١)  
 وَلِتَبْنَعُوا مِنْ فَضْلِهِ : أي لتطلبوا الرزق من فضله الواسع بواسطة التجارة في البحر .  
 وَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ : أي كي تشكروا هذه النعم فتؤمنوا وتوحدوا ربكم .  
 وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ : أي كنوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب عليهم السلام .  
 فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ : أي بالحجج والمعجزات .  
 فَأَنْقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا : أي أفسدوا نفوسهم فخبثوها بآثار الشرك والمعاصي .  
 وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ : أي ونصر المؤمنين أحققناه حقًا وأوجبناه علينا فهو كائن  
 لا محالة .

اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا : أي تحركه وتهيجه فيسير ويتشرب . ﴿فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾

وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا : أي قطعًا متفرقة في السماء هنا وهناك .  
 فَرَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ : أي المطر يخرج من خلال السحاب .  
 فَإِذَا أَصَابَ بِهِ : مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ : أي فرحون بالمطر النازل لسقياهم .  
 ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ﴾ .  
 لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ : أي قانطين آيسين من إنزاله عليهم . ﴿فَأَنْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾

إِنَّ ذَلِكَ لَمُنْحَى الْمَوْتَى : أي القادر على إنزال المطر وإحياء الأرض بعد موتها قادر على إحياء الموتى وهو الله تعالى . ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٥٠﴾ .  
 وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا : أي رأوا النبات والزرع مصفرًا للجائحة التي أصابته وهي ريح  
 الدبور المحرقة .

لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ . يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ : أي أقاموا بعد هلاك زروعهم ونباتهم يكفرون نعم الله عليهم  
 السابقة . ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعَمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ .  
 إِنَّ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا : أي ما تسمع إلا المؤمنين بآيات الله . ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ .  
 ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ : أي من نطفة وهي ماء مهين .  
 ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفِ قُوَّةٍ : أي من بعد ضعف الطفولة قوة الشباب .

(١) قال بأمرة؛ لأن الرياح قد تهب ولا تكون مواتية فبتعين إرساء السفن والاحتياط على حبسها إذ ربما عصفت بها  
 الرياح فأغرقتها فمن هنا قال بأمرة وإلا فالرياح وحدها لن تغرق السفن وتعوقها عند السير .  
 (٢) وفسر بآيسيين أي قانطين أزلين كما في الحديث أي في ضيق وشدة وفسر بيثسين، والكل صحيح .

ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا: أي من بعد قوة الشباب والكهولة ضعف الكبر والشيب.  
وَشَيْبَةً: أي الهرم. ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ (٥١) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا  
لَيْسُوا بِغَيْرِ سَاعَةٍ ﴿

كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾: أي كما صرفوا عن معرفة الصدق في اللبث كانوا يصرفون في الدنيا  
عن الإيمان بالبعث والجزاء في الآخرة، فانصرفهم عن الحق في الدنيا سبب لهم عدم معرفتهم  
لمدة لبثهم في قبورهم. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَكَذَا يَوْمَ  
الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٥٦) ﴿

فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ: أي في إنكارهم للبعث والجزاء.  
وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾: أي لا يطلب منهم العتبي أي الرجوع إلى ما يرضي الله تعالى  
بالإيمان والعمل الصالح.

وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ: أي جعلنا للناس. ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾.  
مِنْ كُلِّ مَثَلٍ: أي من كل صفة مستغربة تلفت الانتباه وتحرك الضمير كالأمثال لعلمهم يذكرون  
فيؤمنوا ويوحدا (١).

وَلَيْنِ جِئْتَهُمْ بَيِّنَاتٍ: أي ولئن أتيت هؤلاء المشركين بكل حجة خارقة.  
لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾: أي ما أنتم أيها الرسول والمؤمنون إلا مبطلون  
فيما تقولون وتدعون إليه من الإيمان بآيات الله ولقائه.  
كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾: أي ما أنزل الله على رسوله وما أوحاه إليه  
من الآيات البينات.

فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ: أي اصبر يا رسولنا على أذاهم؛ فإن العاقبة لك إذ وعدك ربك بها،  
ووعد الله حق.

وَلَا يَسْتَخْفِنَكَ الَّذِينَ لَا يُؤْقِنُونَ ﴿٦٠﴾: أي لا يحملنك هؤلاء المشركون المكذبون بقاء الله  
على الخفة والطيش فتترك دعوتك إلى ربك.



(١) قال القرطبي: أي من كل مثل يدلهم على ما يحتاجون إليه وينبههم على التوحيد وصدق الرسل.

## ٣١ - سُورَةُ الْقَمَارَاتِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الآة (١) : هذه أحد الحروف المقطعة التي تكتب ألم، وتقرأ: ألف لام ميم.  
 تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ : أي الآيات المؤلفة من مثل هذه الحروف هي آيات الكتاب الحكيم.  
 الْحَكِيمِ (٢) : أي المحكم الذي لا نسخ يطرأ عليه بعد تمام نزوله، ولا خلل فيه، وهو  
 الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه فلا خلط ولا خبط فيما يحمل من هدى وتشريع.  
 هُدًى وَرَحْمَةً : أي هو هدى يهتدى به ورحمة يرحم بها.  
 لِلْمُحْسِنِينَ (٣) : أي الذين يراقبون الله تعالى في كل شئونهم الذين يجدون الهدى والرحمة في  
 القرآن الكريم، أما غيرهم من أهل الشرك والمعاصي فلا يجدون ذلك. ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ  
 وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤)﴾ .  
 أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ : أي هم على هداية من الله تعالى فلا يضلون ولا يجهلون معها أبدًا.  
 وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) : أي الفائزون بالنجاة من كل مرهوب وبالظفر بكل مرغوب محبوب.  
 وَمِنَ النَّاسِ : أي ومن بعض الناس إنسان هو النضر بن الحارث بن كلدة حليف قريش.  
 مَن يَشْتَرِ لَهُوَ الْحَكِيثُ : أي الحديث الملهي عن الخير والمعروف وهو الغناء.  
 لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ : أي ليصرف الناس عن الإسلام ويبعدهم عنه فيضلوا.  
 وَيَتَّخِذَهَا هُزُوءًا : أي ويتخذ الإسلام وشرائعه وكتابه هزواً: أي مهزوءاً به مسخوذاً منه.  
 ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٦)﴾ .  
 وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَكَانَ مُسْتَكْبِرًا كَانَتْ تَرْتَجِبُ : أي رجعت في كبرياء ولم يستمع إليها كفرةً  
 وعناداً وكبراً كان لم يسمعها.  
 كَانَتْ فِي أذُنَيْهِ وَقَرَأَ : أي ثقلاً يمنع من السماع كالصمم. ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٧)﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا  
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (٨) خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٩)﴾ .  
 خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا : أي بدون عمد مرئية لكم ترفعها حتى لا تقع على الأرض (١٠).  
 وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَايَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ : أي جبالاً راسية في الأرض بها ترسو الأرض أي تثبت حتى

(١) راجع تفسير الآية الثانية من سورة الرعد (قل).

لا تميل<sup>(١)</sup>.

وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ: أي وخلق ونشر فيها من صنوف الدواب وهي كل ما يدب في الأرض.  
﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا﴾.

مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾: أي من كل صنف من النباتات جميل نافع لا ضرر فيه.

هَذَا خَلَقَ اللَّهُ: أي المذكور مخلوقه لله تعالى إذ هو الخالق لكل شيء.

فَأَرَوْفٍ مَآذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ: أي من الآلهة المزعومة التي يعبدها الجاهلون.

بَلِ الظَّالِمُونَ: أي المشركون. ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿١١﴾.

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ السُّودَانِ الْقَاضِي.

الْحِكْمَةَ: أي الفقه في الدين والعقل والإصابة في الأمور.

أَنْ أَشْكُرَ لِلَّهِ: أي اشكر الله ما أنعم به عليك بطاعته وذكره. ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾

وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾.

وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ، وَهُوَ يَعِظُهُ: أي ابنه ثاران وهو يعظه أي يأمره وينهاه مرغبا له ومرهبا.

﴿يَبْنِي لَكَ تَشْرِكًا بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٣﴾.

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ: أي عهدنا إليه برهما وهو كف الأذى عنهما والإحسان إليهما

وطاعتهما.

حَمَلَتْهُ أُمُّهُ، وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ: أي ضعفا على ضعف وشدة على شدة وهي الحمل والولادة

والإرضاع.

وَفِضْلُهُ، فِي عَامَيْنِ: أي مدة رضاعة تنتهي في عامين وبذلك يفصل عن الرضاع. ﴿أَنْ أَشْكُرَ

لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ ﴿١٤﴾.

وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ: أي بدلا جهدهما على حملك على الشرك.

فَلَا تُطْعِمُهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا: أي واصحبهما في حياتهما بالمعروف، وهو البر

والإحسان وكف الأذى والطاعة في غير معصية الله.

وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ: أي رجع إلي بتوحيدي وطاعتي وطاعة رسولي محمد ﷺ. ﴿ثُمَّ

إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٥﴾.

يَبْنِي إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ: أي توجد زنة حبة من خردل.

فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ: أي في داخل صخرة من الصخور لا يعلمها أحد. ﴿أَوْ فِي السَّمَكَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ

يَأْتِيهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ ﴿١٦﴾: أي لطيف باستخراج الحبة خبير بموضعها حيث كانت.

(١) أي كراهية أن تميد بكم أي تميل أو لتلا تميد والكل جائز.

﴿يَبْنِي أَعْمَرَ الصَّلَاةَ﴾.

وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ: أي مر الناس بطاعة الله تعالى، وانهم عن معصيته.  
وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٧﴾: أي مما أمر الله به عزماً لا رخصة فيه.  
وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ: أي ولا تعرض بوجهك عن تكلمه تكبراً.  
وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا: أي مختالاً أن تمشي خيلاً.  
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٨﴾: أي متبختر فخور كثير الفخر بما أعطاه الله ولا يشكر.  
وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ: أي اتئد ولا تعجل في مشيتك ولا تستكبر.  
وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ: أي اخفض من صوتك وهو الاقتصاد في الصوت.  
إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿٩﴾: أي أقبح الأصوات وأشدّها نكارة عند الناس لأن أوله زفير  
وأخره شهيق.

الْفَرَوَا: أي ألم تعلموا أيها الناس.  
أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَاءَ السَّمَوَاتِ: أي من شمس وقمر وكواكب ورياح وأمطار لمنافعكم.  
وَمَا فِي الْأَرْضِ: أي من أشجار وأنهار وجبال وبحار وغيرها.  
وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ: أي أوسع وأتم عليكم نعمه ظاهرة وهي الصحة وكمال الخلق  
وتسوية الأعضاء<sup>(١)</sup>.

وَبِاطِنُهُ: أي المعرفة والعقل.  
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ: أي يخاصم في توحيد الله منكرًا له مكذبًا به.  
بِغَيْرِ عِلْمٍ: أي بدون علم عنده من وحي ولا هو مستفاد من دليل عقلي.  
وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿١٠﴾: أي سنة من سنن الرسل ولا كتاب إلهي منير واضح بين. ﴿وَإِذَا  
قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾.  
أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾: أي أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعو آباءهم  
إلىٰ موجب عذاب السعير من الشرك والمعاصي.  
﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ: أي أقبل على طاعته مخلصًا له العبادة لا يلتفت إلى غيره من  
سائر خلقه.

وَهُوَ مُحْسِنٌ: أي والحال أنه محسن في طاعته إخلاصًا واتباعًا.  
فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ: أي تعلق بأوثق ما يتعلق به فلا يخاف انقطاعه بحال.

(١) عن ابن عباس أن النعم الظاهرة الإسلام وما حسن من الخلق، والباطنة ما ستر على العبد من سعي العمل.  
وقيل: النعم الظاهرة الصحة وكمال الخلق، والباطنة المعرفة والعقل.

وَالِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٣﴾ : أي مرجع كل الأمور إلى الله ﷻ. ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۗ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ .

نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا : أي متاعًا في هذه الدنيا قليلًا إلى نهاية آجالهم.

ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٥﴾ : أي ثم نلجئهم في الآخرة إلى عذاب النار، والغليظ: الثقيل. ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۗ .

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ : أي احمد الله على ظهور الحجة بأن تقول: الحمد لله.

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ : أي من يستحق الحمد والشكر ومن لا يستحق لجهلهم. ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٧﴾ .

وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ : أي من شجرة.

مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ : أي يكتب بها.

وَالْبَحْرِ : أي المحيط.

يُمَدُّهُ، مِنْ بَعْدِهِ، سَبْعَةُ أَبْحُرٍ : أي تمده.

مَا نَقَدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ : أي ما انتهت ولا نقصت.

إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ : أي عزيز في انتقامه غالب على ما أراد، حكيم في تدبير خلقه.

مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ : أي ما خلقكم ابتداء ولا بعثكم من قبوركم إعادة لكم.

إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ : أي لا كخلق وبعث نفس واحدة. ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٩﴾ .

الْمُرْتَر : أي ألم تعلم أيها المخاطب.

أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ : أي يدخل جزءًا منه في النهار ويدخل جزءًا من

النهار في الليل بحسب الفصول.

وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى : يسبحان في فلكيهما الدهر كله لا يكلان إلى يوم

القيامة وهو الأجل المسمى لهما. ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣٠﴾ .

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ : أي ذلك المذكور من الإيلاج والتسخير بسبب أن الله هو الإله الحق.

وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ : أي وأن ما يدعون من دونه من آلهة هي الباطل. ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ

الْكَبِيرُ ﴿٣١﴾ .

الْمُرْتَر أَنَّ الْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ : أي بإفضاله على العباد وإحسانه إليهم حيث هيا

أسباب جريها. ﴿ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ ۗ .

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٢﴾ : أي صبار على المعاصي، شكور للنعم.

وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ : أي علامهم وغطاهم من فوقهم.

كَالظَّلِيلِ: أي كالجبال التي تظلل<sup>(١)</sup> من تحتها.  
 دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَحَثْنَا إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ: أي بين الكفر والإيمان بمعنى معتدل في ذلك ما آمن ولا كفر.

وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ<sup>(٢)</sup>: أي غدار كفور لنعم الله تعالى<sup>(٢)</sup>.  
 يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْفُورًا بَيْكُم: أي خافوا فأمنوا به وعبدوه وحده تنجوا من عذابه.  
 وَأَخْشَوْا يَوْمًا: أي خافوا يوم الحساب وما يجري فيه.  
 لَا يَجْزِي والدَّعْنِ وَلَدِهِ: أي لا يغني والد فيه عن ولده شيئًا. ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَانٌّ عَنِ الدِّهْنِ شَيْئًا﴾

إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ: أي وعد الله بالحساب والجزاء حق ثابت لا محالة هو كائن.  
 فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا: أي فلا تغتروا بالحياة الدنيا فإنها زائلة فأسلموا تسلموا.  
 وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ<sup>(٣)</sup>: أي الشيطان يفتنم حلم الله عليكم وإمهاله لكم فيجركم إلى المعاصي ويسوفكم في التوبة. ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾  
 وَيُنزِلُ الغَيْثَ: أي المطر.

ويعلم ما في الأرحام: أي من ذكر أو أنثى ولا يعلم ذلك سواه.  
 وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا: أي من خير أو شر والله يعلمه. ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾  
 إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ<sup>(٤)</sup>.



(١) الظليل: جمع، ظلة وهو ما أظل من سحاب.

(٢) فسر هذا اللفظ بعدة تفسيرات: منها موفى بما عاهد الله عليه في البحر قال الحسن: مؤمن متمسك بالتوحيد والطاعة، وقال مجاهد: مقتصد في القول مضمحل للكفر. وقيل: في الكلام حذف والمعنى فمنهم مقتصد ومنهم كافر ودل على المحذوف قوله: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾. وما في التفسير أشمل وأسلم.

## ٣٢ - سُورَةُ السَّبْحِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المر (١) : هذه الحروف المقطعة يكتب ألم، ويقرأ ألف لام ميم.  
 تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَأُرِيَبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) : أي لا شك في أنه نزل من رب العالمين.  
 أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ : أي بل يقولون أي المشركون اختلقه وكذبه. ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ .  
 لِنُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ : أي من زمن بعيد وهم قريش والعرب.  
 لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣) : أي بعد ضلالهم إلى الحق الذي هو دين الإسلام. ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ .

وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ : هي الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة.  
 ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ (٤) : أي استوى على عرشه يدبر أمر خلقته.  
 مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ : أي ليس لكم أيها المشركون من دون الله ولي يتولاكم ولا  
 شفيع يشفع لكم.

أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٥) : أي أفلا تتعظون بما تسمعون فتؤمنوا وتوحدوا.  
 يَدْبِرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ : أي أمر المخلوقات طوال الحياة.  
 ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ : أي يوم القيامة حيث تنتهي هذه الحياة وسائر شئونها.  
 أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٦) : أي من أيام الدنيا.  
 ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ : أي ما غاب عن الناس ولم يروه وما شاهدوه ورأوه.  
 الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٧) : الذي أحسن كل شيء خلقه.  
 وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٨) : أي بدأ خلق آدم ﷺ من طين.  
 ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٩) : أي خلق ذرية آدم من علقه من ماء النطفة.  
 ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ (١٠) : أي سوى الجنين في بطن أمه ونفخ فيه الروح فكان حيًا كما  
 سوى آدم أيضًا ونفخ فيه من روحه فكان حيًا.  
 وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ : أي القلوب.

(١) سئل مالك رضي الله عنه عن الاستواء فقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

(٢) المهين: الممتن الذي لا يعاب به.



فَلَيْلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ : أي ما تشكرون الله على نعمة الإيجاد والإمداد إلا شكرًا قليلًا لا يوازي قدر النعمة (١).

وَقَالُوا آءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ : أي غبنا فيها بحيث صرنا ترابًا فيها.  
 آءِذَا لَمْ يَخْلُقْ جَدِيدًا : أي مبعوثون. ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَفِرُونَ ﴿١٠﴾﴾ قُلْ يَتُوبُ إِلَيْكُمْ مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ .

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ : أي المشركون المكذبون بقاء ربهم.  
 نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ : أي مطأطئوها من الحياء والذل والخزي.  
 رَبَّنَا أَبْصَرْنَا : أي ما كنا ننكر من البعث.

وَسَمِعْنَا : أي تصديق ما كانت رسلنا تأمرنا به في الدنيا.  
 فَأَرْجِعْنَا : أي إلى دار الدنيا. ﴿تَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ .  
 وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى : أي لو أردنا هداية الناس قسرًا بدون اختيار منهم لفعلنا.  
 وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي : أي وجب، وهو. ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ فَذُوقُوا  
 بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴿١٤﴾﴾ .

إِنَّا نَسِيتُكُمْ : أي تركناكم في العذاب.

وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ : أي العذاب الخالد الدائم.

بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ : من سيئات الكفر والتكذيب والشر والشرك.

إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا : أي وعظوا بما فيها من أمر ونهي ووعد ووعد.

خَرُّوا سُجَّدًا : أي وقعوا على الأرض ساجدين بوضع جباههم وأنوفهم على الأرض.

وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ : أي نزهوه وقدسوه وهم ساجدون يقولون: سبحان ربي الأعلى.

وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٦﴾ : أي عن عبادة ربهم في كل آحاينهم بل يأتونها خاشعين متذللين.

لِتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ مِنَ الْمَضَاجِعِ : أي تتباعد عن الفرش من أجل قيامهم للصلاة في جوف الليل.

يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا : أي يسألونه النجاة من النار، ودخول الجنة. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٧﴾﴾ .

فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ : أي لا تعلم نفس ما أخفى الله تعالى لهم وادخر لهم عنده

(١) وجائز أن يكون المراد عدم شكرهم مطلقًا فهو كناية عن العدم توبيخًا لهم وتأنيبًا، وقال ابن كثير رحمته: ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ يعني العقول، ﴿فَلَيْلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ : أي: بهذه القوى التي رزقكموها الله رحمته، فالسعيد من استعملها في طاعة ربه رحمته. (اهلقل).

(٢) النسيان يكون بمعناه الأصلي وهو عدم ورود الشيء بالخاطر النفسي، ويكون بترك الشيء وعدم الالتفات إليه مع ذكره في النفس، والآخر أولى بالآية.

من النعيم الذي تقر به أعينهم أي تسره وتفرح. ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧).

أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا : أي مصداقاً بالله ورسوله ولقاء ربه.

كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا : أي كافراً. ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ (١٨) أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿

فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا : النزول ما يعد للضيف من قري. ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٩) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿

(٢٠) ﴿

وَلَنُدَبِّقَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى : أي عذاب الدنيا من مصاب القحط والجذب والقتل

والأسر.

دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ : هو عذاب الآخرة في نار جهنم.

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿ (٢١) : أي يصيبهم بالمصائب الدنيا رجاء أن يؤمنوا ويوحدوا.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا : لا أحد أظلم منه أبداً.

إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿ (٢٢) : أي من المشركين أي بتعذيبهم أشد أنواع العذاب.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ : أي أنزلنا عليه التوراة.

فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ : أي فلا تشك في لقائك بموسى ﴿ (٢٣) ﴿ (١) ليلة الإسراء والمعراج.

وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿ (٢٤) : أي وجعلنا الكتاب «التوراة» أي هادياً لبني إسرائيل.

وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا : أي وجعلنا من بني إسرائيل أئمة أي قادة هداة يهدون

الناس بأمرنا لهم بذلك وإذنتا به.

لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿ (٢٥) : أي وكان أولئك الهداة يوقنون بآيات ربهم وحججه

على عباده وما تحمله الآيات من وعد ووعد ﴿ (٢) .

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أي بين الأنبياء وأمهم، وبين المؤمنين والكافرين،

والمشركين والموحدين.

فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿ (٢٦) : من أمور الدين.

أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ : أي أغفلوا ولم يتبين.

كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ : أي إهلاكنا لكثير من أهل القرون من قبلهم بكفرهم

وشركهم وتكذيبهم لرسولهم.

(١) قال ابن كثير رحمته الله : وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾ قال من لقاء

موسى ربه صلى الله عليه وسلم . أخرجه الطبراني (قل).

(٢) قال ابن القيم رحمته الله : بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ

بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (٢٥) ﴿

يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ : أي يمرون ماشين بديارهم وهي في طريقهم إلى الشام كمدائن صالح وبحيرة لوط ونحوهما.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ : أي دلائل وعلامات على قدرة الله تعالى وأليم عقابه.

أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٦٦﴾ : أي أصموا فلا يسمعون هذه المواعظ والحجج.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ : أي أغفلوا ولم يروا سوقنا للماء للإنبات والإخصاب فيدلهم ذلك على قدرتنا.

إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ : أي اليابسة التي لا نبات فيها.

فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا نَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ : أي مواشيهم من إبل وبقر وغنم. ﴿وَأَنْفُسُهُمْ﴾ .

﴿أَفَلَا يَبْصُرُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ : أي أعموا فلا يبصروا أن القادر على إحياء الأرض بعد موتها قادر على

البعث.

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ : أي الفصل والحكم بيننا وبينكم يستعجلون العذاب. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٦٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٦٩﴾ : أي ولا هم يمهلون للتوبة أو الاعتذار.

فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَأَنْظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٧٠﴾ : أي وانتظر يا رسولنا ما سيحل بهم من عذاب إن لم يتوبوا فإنهم منتظرون بك موتاً أو قتلاً ليستريحوا منك.



## ٣٣ - سُورَةُ الْأَحْزَابِ

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ: أي دم على تقواه بامثالك أو امره واجتنابك نواهيه.

وَلَا تُطِيعُوا الْكُفْرِينَ: أي المشركين فيما يقترحون عليك.

وَالْمُنَافِقِينَ: أي الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر بما يخوفونك به.

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾: أي عليمًا بخلقه ظاهرًا وباطنًا، حكيماً في تدبيره وصنعه.

وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ: أي تقيد بما يشرع لك من ربك ولا تلتفت إلى ما يقوله

خصومك لك من اقتراحات أو تهديدات. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَمَاتَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾ ﴿٢﴾.

وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ: أي فوض أمرك إليه وامض فيما أمرك به غير مبالي بشيء. ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ

وَكِيلًا﴾ ﴿٣﴾.

مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ: أي لم يخلق الله رجلاً بقلبين كما ادعى بعض

المشركين.

وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ أَلْفًا تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ: يقول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي.

وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ: أي ولم يجعل الدعي ابنًا لمن ادعاه.

ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ: أي مجرد قول باللسان لا حقيقة له في الخارج فلم تكن المرأة أمًا ولا

الدعي ابنًا. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ ﴿٤﴾ أَدْعَوْهُمْ لِأَبَائِهِمْ ﴿٥﴾.

هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ: أي أعدل.

فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ: أي أخوة الإسلام وبنو عمكم فمن لم

يعرف أبوه فقولوا له: يا أخي أو ابن عمي.

وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ: أي لا حرج ولا إثم في الخطأ، فمن قال للدعي خطأ يا

بن فلان فلا إثم عليه.

وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ: أي الإثم والحرج في التعمد بأن ينسب الدعي لمن ادعاه.

وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾: ولذا لم يؤاخذكم بالخطأ ولكن بالتعمد.

الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ: أي فيما يأمرهم به وينهاهم عنه ويطلب منهم هو أحق به من

أنفسهم.

وَأَزْوَاجَهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ : في الحرمة وسواء من طلقت أو مات عنها منهن رضي الله عنهن <sup>(١)</sup> . ﴿ وَأَوْلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ .  
 مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ : أولى ببعض أي في التوارث من المهاجرين والمتعاقدين المتحالفين.

إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا : بأن توصوا لهم وصية جائزة وهي: الثلث فأقل .  
 كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ : أي عدم التوارث بالإيمان والهجرة والحلف مكتوب في اللوح المحفوظ .  
 وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ : أي اذكر لقومك أخذنا من النبيين ميثاقهم على أن يعبدوا الله وحده ويدعوا إلى عبادته .

وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ : أي وأخذنا خاصة منك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم، وقدم محمد ﷺ في الذكر تشريفًا وتعظيمًا له .

وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ : أي شديدًا والميثاق: العهد المؤكد باليمين .  
 لِيَسْئَلُ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ : أي أخذ الميثاق من أجل أن يسأل الصادقين <sup>(٢)</sup> وهم: الأنبياء عن صدقهم في تبليغ الرسالة تبييها للكافرين بهم .

وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ : أي فأتاهب المؤمنين وأعد للكافرين عذابًا أليمًا أي موجعًا .  
 يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ : أي اذكروا نعمة الله دفاعنا عنكم لتشكروا ذلك .  
 إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ : أي جنود المشركين المتحزبين .  
 فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُودًا لَم تَرَوهَا : هي جنود الملائكة، والريح ربح الصبا وهي التي تهب من شرق .

وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ : أي بصيرًا بأعمالكم من حفر الخندق والاستعدادات للمعركة .

إِذْ جَاءَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ : أي بنو أسد وغطفان أتوا من قبل نجد من شرق المدينة .

وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ : أي من غرب وهم قريش وكنانة .

وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ : أي مالت عن كل شيء إلا عن العدو تنظر إليه من شدة الفزع .

(١) هذه الأمومة إنما هي في حرمة النكاح والبر والتعظيم والإجلال، أما في الإرث فلا، كما لا تبيح النظر إليهن والخلوة بهن كالأمهات فلذا ضرب الله الحجاب عليهن وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ .

(٢) جائز أن يراد بالصادقين الأنبياء عن تبليغهم ووفائهم بما عهد إليهم، هذا هو الأرجح، وجائز أن يسأل الأنبياء عما أوجبهم به أقوامهم من طاعة وإيمان أو كفر وعصيان، والحقيقة أن كلاً من الرسل والمرسل إليهم يسألهم تعالى، فقد جاء في الأعراف قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ .

وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ: أي منتهى الحلقوم من شدة الخوف.  
 وَظَنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾: أي المختلفة من نصر وهزيمة، ونجاة وهلاك<sup>(١)</sup>.  
 هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ: أي ثم في الخندق وساحة المعركة اختبر المؤمنون.  
 وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾: أي حركوا حراكًا قويًا من شدة الفزع.  
 وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ: أي شيء من النفاق لضعف عقيدتهم.  
 مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾: أي ما وعدنا من النصر ما هو إلا غرورًا وباطلاً.  
 وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ لِمَ كُنْتُمْ فَارِّجُونَ: أي يا أهل المدينة لا مقام لكم حول  
 الخندق فارجعوا إلى دياركم.

وَيَسْتَفِئِدْنَ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ: أي غير حصينة. ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾  
 إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾: أي من القتال إذ بيوتهم حصينة.  
 وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ: أي المدينة أي دخلها العدو الغازي. ﴿يَمِّنَ أَقْطَارَهَا﴾<sup>(٢)</sup>.  
 ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأَنفُسِهِمْ: أي ثم طلب إليهم الردة إلى الشرك لآتوها أي أعطوها وفعلوها.  
 وَمَا تَلَبَّسُوا بِهَا إِلَّا بَيْسِيرًا ﴿١٤﴾: أي ما تريثوا ولا تمهلوا بل أسرعوا الإجابة وارتدوا.  
 وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدِّبْرَ<sup>(٤)</sup>: أي من قبل غزوة الخندق وذلك يوم أحد  
 قالوا: والله لئن أشهدنا الله قتالًا لنقاتلن ولا نولي الأدبار.  
 وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾: أي صاحب العهد عن الوفاء به. ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ  
 الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾.  
 وَإِذَا لَا تُمْنعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾: أي وإذا فررتم من القتال فإنكم لا تمتعون بالحياة إلا قليلاً  
 وتموتون.  
 قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ: أي من يجيركم ويحفظكم من الله.

(١) قرأ الجمهور ﴿الظُّنُونًا﴾ جمع ظن بألف بعد النون زيدت هذه النون لرعاية الفواصل في الوقف؛ لأن الفواصل مثل الاسجاع، ومن القراء من أثبتها وقفًا وحذفها وصلًا والكل جائز ومثلها في هذه السورة ﴿وَأَطَعْنَا الرَّسُولًا﴾، ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾.

(٢) جاء في هامش زاد المعاد ج ٢ (ص ٤٧٢) قال الأرنؤوط أثنابه الله تعالى: أخرج البخاري ٤/ص من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «أمرت بقرية تأكل القرى يقولون: يثرب وهي المدينة...».

قال الحافظ: أي: إن بعض المنافقين يسميها يثرب، واسمها الذي يليق بها المدينة، وفهم بعض العلماء من هذا كراهة تسمية المدينة يثرب، وقالوا: ما وقع في القرآن إنما هو حكاية عن قول غير المؤمنين، وروى أحمد من حديث البراء بن عازب رفعه: «من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله، طابة، هي طابة...» (قل).

(٣) أي من جميع نواحيها من شرق وغرب وشمال وجنوب.

(٤) الأدبار جمع دبر والمراد به الظهر، فالأدبار: الظهر، وتولية الأدبار كناية عن الفرار.

إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا : أي عذابًا تستاءون له وتكربون. ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَحْدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَإِنَّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (١) ﴿١٧﴾

﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْوِفِينَ مِنْكُمْ : أي المشبطين عن القتال المفلسين إخوانهم عنه حتى لا يقاتلوا مع رسول الله والمؤمنين .

وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا : أي تعالوا إلينا ولا تخرجوا مع رسول الله ﷺ .  
وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ : أي ولا يشهدون القتال إلا قليلاً دفعاً عن أنفسهم تهمة النفاق (٢) .  
أَشِحَّةٌ عَلَيْكُمْ : أي بخلاء لا ينفقون على مشاريعكم الخيرية كنفقة الجهاد وعلى الفقراء .  
﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ ينظرون إليك ﴾ .

تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ : أي تدور أعينهم من شدة الخوف لجبنهم كالمحتضر الذي يغشى عليه أي يغمى عليه من آلام سكرات الموت .  
فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفْتُمْ بِالسِّنَةِ جِدَادٍ : أي آذوكم بالسنة ذربة حادة كأنها الحديد وذلك بكثرة كلامهم وتبجحهم بالأقوال دون الأفعال (٣) .

أَشِحَّةٌ عَلَى الْخَيْرِ : أي بخلاء بالخير لا يعطونه ولا يفعلونه بل ولا يقولونه حتى القول .  
أُولَئِكَ لَمْ يُوْثِقُوا : أي إنهم لم يؤمنوا بالإيمان الصحيح، فلذا هم جبناء عند اللقاء بخلاء عند العطاء . ﴿ فَأَحْبَبَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ سِيرًا ﴾ (٤) .

يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ : أي يحسب أولئك المنافقون الجبناء الأحزاب وهم: قريش، وغطفان .  
لَمْ يَذْهَبُوا : أي لم يعودوا إلى بلادهم خائبين .  
وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ : مرة أخرى أي فرصاً .  
يُودُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوتُ فِي الْأَعْرَابِ : أي من جبنهم وخوفهم يتمنون أن لو كانوا في البادية مع سكانها .

يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ : أي إذا كانوا في البادية لو عاد الأحزاب يسألون عن أنباءكم أي أخباركم هل انهزمتم أو انتصرتم؟  
وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ : أي ولو كانوا بينكم في الحاضرة ما قاتلوا معكم إلا قليلاً .

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ : أي قدوة صالحة تقتدون به ﷺ في القتال والثبات في

(١) المراد بالولي من يتولى نفعهم، والنصير من يتولى نصرهم في الحرب.

(٢) سبحان الله: لحالهم في الصلاة والذكر قال الله عنهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٤١) ﴿قل﴾ .

(٣) الخوف هنا توقع القتال من الجيشين.

مواطنه. ﴿لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٢١) ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾ ﴿

قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ: من الابتلاء والنصر.

وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ: في الوعد الذي وعد به.

وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾: أي تصديقًا بوعد الله وتسليمًا لأمر الله.

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ: أي وفوا بوعدهم.

فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَجْبَهُ: أي وفي بنذره فقاتل حتى استشهد.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ: أي مازال يخوض المعارك مع رسول الله وهو ينتظر القتل في سبيل الله.

وَمَا بَدَلُوا تَبَدُّلًا ﴿٢٣﴾: أي في عهدهم بخلاف المنافقين فقد نكثوا عهدهم. ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ

الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٢٤) ﴿

وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمَنْ بَدَّلُوا آخِرًا: أي ورد الله الأحزاب خائبين لم يظفروا بالمؤمنين.

وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ: أي بالريح والملائكة. ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا﴾ (٢٥) ﴿

وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: أي ناصرهم ووقفوا وراءهم يشدون أزرهم (١).

مِنْ صِيَاصِيهِمْ: أي من حصونهم والسياسي جمع صيصية وهي كل ما يمتنع به.

وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ: أي ألقى الخوف في نفوسهم فخافوا. ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا

﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَبَنَاتَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴿

وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا: أي لم تظنوها بعد وهي: خيبر إذ فتحت بعد غزوة الخندق. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ (٢٧) ﴿

يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لِيَأْذَنَكَ: أي اللاتي هن تحته يومئذٍ وهن تسع طلبن منه التوسعة في النفقة

عليهن ولم يكن عند رسول الله ﷺ ما يوسع به عليهن.

إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْكُمْ: أي إلى رسول الله ﷺ وكان يومئذٍ قد اعتزلهن

شهرًا.

أُمَّتِكُمْ: أي متعة الطلاق المشروعة على قدر حال المطلق سعة وضيقًا.

وَأَسْرَحَكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾: أي أطلقكن طلاقًا من غير إضرار بكن.

وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ: أي تردن رضا الله ورسوله والجنة.

فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾: أي عشرة النبي ﷺ زيادة على الإحسان العام.

بِنِسَاءِ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ: أي بنشوز وسوء خلق يتأذى به رسول الله ﷺ (٢).

(١) المظاهرون بفتح الهاء هم قريش وكنانة وغطفان والمظاهرون لهم هم بنو قريظة من أهل الكتاب.

(٢) إذا أطلق لفظ الفاحشة معرفًا به «أل» فهو الزنى، وإذا ورد نكرة فهو المعصية كما في هذه الآية.



يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابَ ضِعْفَيْنِ: أي مرتين على عذاب غيره من ممن آذين أزواجهن.  
 وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾: أي مضاعفة العذاب يسيرة هينة على الله تعالى.  
 \* وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ: أي ومن يطع منكم الله ورسوله. \* ﴿وَتَعْمَلْ صَالِحًا﴾.  
 نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ: أي نضاعف لها أجر عملها الصالح حتى يكون ضعف عمل امرأة أخرى  
 من غير نساء النبي.

وَأَعْتَدْنَا لَهُمُ رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾: أي في الجنة.  
 يَنْسَاءُ النَّبِيُّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ: أي لستن في الفضل كجماعات النساء.  
 إِنْ أَنْتُنَّ: بل أنتن أشرف وأفضل بشرط تقواكن لله.  
 فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ: أي نظراً لشرفكن فلا ترققن العبارة.  
 فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ: أي مرض النفاق أو مرض الشهوة.  
 وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾: أي جرت العادة أن يقال بصوت خشن لا رقة فيه.  
 وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ: أي اقررن في بيوتكن ولا تخرجن منها إلا لحاجة.  
 وَلَا تَبْرَحْنَ تَبْرِجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى: أي ولا تتزين وتخرجن متبخترات متغنجات كفعل نساء  
 الجاهلية الأولى قبل الإسلام. ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.  
 إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾: أي إنما أمركن بما  
 أمركن به من العفة والحجاب ولزوم البيوت ليظهركن من الأدناس والردائل.  
 وَأَذْكُرَنَّ مَا يَمْتَلِكُنَّ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ: أي الكتاب والسنة لتشكرون الله  
 على ذلك بطاعته وطاعة رسوله. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾.  
 إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ: إن الذين أسلموا لله وجوههم فانقادوا لله ظاهراً وباطناً،  
 والمسلمات أيضاً.

وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ: أي المصدقين بالله رباً وإلهاً والنبي محمد نبياً ورسولاً والإسلام ديناً  
 وشرعاً، والمصدقات.  
 وَالْقَنِينِ وَالْقَنِينَاتِ: أي المطيعين لله ورسوله من الرجال والمطيعات من النساء.  
 وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ: أي الصادقين في أقوالهم وأفعالهم، والصادقات.  
 وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ: أي الحاسبين نفوسهم على الطاعات فلا يتركونها وعن المعاصي فلا  
 يقربونها وعلى البلاء فلا يسخطونه ولا يشتكون الله إلى عباده، والحابسات.  
 وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ: أي المتذللين لله المحبتين له، والخاشعات من النساء كذلك.  
 وَالْمُتَّصِدِّقِينَ وَالْمُتَّصِدِّقَاتِ: أي المؤدين الزكاة والفضل من أموالهم عند الحاجة إليه،  
 والمؤديات كذلك. ﴿وَالصَّامِينَ وَالصَّامِيَاتِ﴾.

وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ : أي عن الحرام إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم بالنسبة للرجال، أما النساء فالحافظات فزوجهن إلا على أزواجهن فقط.

وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّكِرَاتِ : أي باللسن والقلوب فعلى أقل تقدير يذكرن الله ثلاثمائة مرة في اليوم واللييلة زيادة على ذكر الله في الصلوات الخمس<sup>(١)</sup>.

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً : أي لذنوبهم وذنوبهن.

وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٥﴾ : أي الجنة دار الأبرار.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ : أي لا ينبغي ولا يصلح لمؤمن ولا مؤمنة. ﴿إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾

أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ : أي حق الاختيار فيما حكم الله ورسوله فيه بالجواز أو المنع.

وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُبِينًا ﴿٢٦﴾ : أي أخطأ طريق النجاة والفلاح خطأ واضحًا.

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ : أي أنعم الله عليه بالإسلام، وأنعمت عليه بالعتق

وهو: زيد بن حارثة. ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾

وَأَتَى اللَّهَ : أي في أمر زوجتك فلا تحاول طلاقها.

وَتَخْفَى فِي نَفْسِكَ : أي وتخفي في نفسك وهو علمك بأنك إذا طلق زيد زينب زوجكها الله

إبطالاً لما عليه الناس من حرمة الزواج من امرأة المتبنية.

مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ : أي مظهره حتماً وهو زواج الرسول ﷺ من زينب بعد طلاقها.

وَتَخَشَى النَّاسَ : أي يقولون: تزوج محمد مطلقة مولاه زيد.

وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ : وهو الذي أراد لك ذلك الزواج.

فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ نَتْنَهَا وَطَرًا : أي حاجته منها ولم يبق له رغبة فيها؛ لتعاليتها عليه بشرف نسبها

ومحتد آبائها.

زَوَّجْنَاكَهَا : إذ تولى الله عقد نكاحها فدخل النبي ﷺ عليها بدون إذن من أحد، وذلك سنة

خمس، وأشيع الناس لحماً وخبزاً في وليمة عرسها.

لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ : أي إثم في تزوجهم من مطلقات

أدعيائهم. ﴿إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾

وَكَاتَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٢٧﴾ : أي وما قدره الله في اللوح المحفوظ لا بد كائن. ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ

حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ

اللَّهِ

(١) الأولى: أن يكون الذكر الزائد على الصلوات الخمس مطلقاً دون تحديد، فإن تحديد العدد يحتاج إلى دليل.

والله أعلم (قل).

وَيَخْشَوْنَہُ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ: أي يفعلون ما أذن لهم فيه ربهم ولا يباليون بقول الناس.  
 وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾: أي حافظًا لأعمال عباده ومحاسبًا لهم عليها يوم الحساب.  
 مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ: أي لم يكن أبًا لزيد ولا لغيره من الرجال؛ إذ مات أطفاله الذكور وهم صغار.

وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَرَ النَّبِيَّيْنِ: أي لم يجئ نبي بعده إذ لو جاء نبي بعده لكان ولده أهلاً للنبوّة كما كان أولاد إبراهيم ويعقوب، وداود مثلاً. ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ﴿٤٠﴾.  
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا: أي يا من آمنتم بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولاً.  
 أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾: أي بقلوبكم وألسنتكم.  
 وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾: أي نزهوه بقول: سبحان الله وبحمده صباحًا ومساءً<sup>(١)</sup>.  
 هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ: أي يرحمكم.  
 وَمَلَائِكَتُهُ: أي يستغفرون لكم.  
 لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ: أي يرحمكم ليديم إخراجكم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان. ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ ﴿٤٣﴾.

تَجِيئَتُهُمْ يَوْمَ يَقُونَہُ، سَلَامٌ: أي سلام عليكم فالملائكة تسلم عليهم.  
 وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾: أي وهيا لهم أجرًا كريمًا وهو الجنة.  
 يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا: أي على من أرسلناك إليهم<sup>(٢)</sup>.  
 وَمُبَشِّرًا: أي من آمن وعمل صالحًا بالجنة.  
 وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾: أي من كفر وأشرك بالنار.  
 وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ: أي وداعيًا إلى الإيمان بالله وتوحيده وطاعته بأمره تعالى.  
 وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾: أي وجعلك كالسراج المنير يهتدي به من أراد الهداية إلى سبيل الفلاح.  
 ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَن لَّهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ ﴿٤٧﴾.

وَلَا يُطِيعُ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ: أي فيما يخالف أمر ربك وما شرعه لك ولأمتك.  
 وَدَعَا أَذُنَهُمْ: أي اترك أذاهم فلا تقابله بأذى آخر حتى تؤمر فيهم بأمر.  
 وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ: أي فوض أمرك إليه فإنه يكفيك. ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ﴿٤٨﴾.  
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا: أي يا من صدقوا بالله ورسوله وكتابه وشرعه.  
 إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ: أي إذا عقدتم عليهن ولم تبنا عليهن.

(١) يجوز أن يراد بالتسبيح صلوات النوافل، وجائز أن يكون التسبيح نحو سبحان الله وبحمده؛ إذ ورد عنه ﷺ وصح «من قال: سبحان الله وبحمده مائة غفر له ما تقدم من ذنبه».

(٢) قال قتادة: شاهدًا على أمته بالتبليغ إليهم، وعلى سائر الأمم بتبليغ أنبيائهم.

ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ : أي من قبل الخلوة بهن ووطنهن.  
 فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا : أي ليس لكم مطالبتهن بالعدة، إذ العدة على المدخول بها.  
 فَمَتَّعُوهُنَّ : أي أعطوهن شيئاً من المال يتمتعن به جبراً لخاطرهن.  
 وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٥١﴾ : أي اتركوهن يذهبن إلى أهليهن من غير إضرار بهن. ﴿يَتَأْتِيهَا  
 النَّبِيُّ إِنْ أَحَلَّلْنَا لَكَ﴾ .

أَزْوَاجَكَ الَّتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ : أي أعطيت مهورهن.  
 وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا آفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ : أي مما يسبى كصفية وجويرية. وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ  
 وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ .

الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ : بخلاف من لم تهاجر وبقيت في دار الكفر.  
 وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ : أي وأراد النبي أن يتزوجها بغير صداق. إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ  
 يَسْتَنْكِحَهَا .

خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ : أي بدون صداق.  
 قَدْ عَلِمْتُمْ مَا فَرَضْنَا عَلَيْكُمْ : أي على المؤمنين.  
 فِي أَزْوَاجِهِمْ : أي من الأحكام كأن لا يزيدوا على أربع، وأن لا يتزوجوا إلا بولي ومهر  
 وشهود.

وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ : أي بشراء ونحوه وأن تكون المملوكة كتابية، وأن تستبرأ قبل الوطء.  
 لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ : أي ضيق في النكاح. وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٢﴾ .  
 ﴿تُرْجَى مِنْ نَشَاءٍ مِنْهُنَّ : أي تؤخر من نسائك﴾<sup>(١)</sup> .  
 وَتَوَوَّأَ إِلَيْكَ مَنْ نَشَاءُ : أي وتضم إليك من نسائك من تشاء فتأتيها.  
 وَمَنْ أَبْغَيْتَ : أي طلبت.  
 مِمَّنْ عَزَلْتَ : أي من القسمة.

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ : أي لا حرج عليك في طلبها وضمها إليك، خيره ربه في ذلك بعد أن كان

(١) قال ابن كثير رحمته الله: وروى ابن أبي حاتم عن أم سلمة أنها قالت: لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء ما شاء إلا ذات محرم. وذلك قول الله تعالى: ﴿تُرْجَى مِنْ نَشَاءٍ مِنْهُنَّ﴾ فجعلت هذه [أي الآية ٥١] ناسخة التي بعدها في التلاوة [أي الآية ٥٢] كآيتي عدة الوفاة في البقرة، الأولى ناسخة التي بعدها، والله أعلم.

وقال آخرون: بل معنى الآية ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ﴾: أي من بعد ما ذكرنا لك من صفة النساء، اللاتي أحللتنا لك من نسائك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك، وبنات العم والعمات، والخال والخالات، والواهبه، وما سوى ذلك من أصناف النساء فلا يحل لك. (اهل قل) .

القسم واجباً.

ذَلِكَ أَذَقْنَا أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ : أي ذلك التخيير لك في إيواء من تشاء وترك من تشاء، أقرب أن تقر

أعينهن ولا يحزن.

وَلَا يَحْزَنَنَّ وَبِرَّضَيْنِكَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ : أي مما أنت مخير فيه من القسم وتركه والعزل

والإيواء.

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ : أي من حب النساء - أيها الفحول - والميل إلى بعض دون بعض،

وإنما خير الله تعالى رسوله تيسيراً عليه لعظيم مهامه.

وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ : أي عليماً بضعف خلقه، حلیمًا عليهم لا يعاجل بالعقوبة ويقبل

التوبة.

لَا يَحِلُّ لَكَ الْنِسَاءُ مِنْ بَعْدُ : أي لا يجوز لك أن تتزوج بعد هؤلاء التسعة اللاتي اخترتك إكراماً

لهن وتخفيفاً عنك.

وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مَنْ أَنْزَلْنَا : أي بأن تطلق منهن وتتزوج أخرى بدل المطلقة لا . لا .

وَلَوْ أَحْبَبَكَ حُسْنُهُنَّ : ما ينبغي أن تطلق من هؤلاء التسع وتتزوج من أعجبك حسنهما.

إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ : أي فالأمر في ذلك واسع فلا حرج عليك في التسري بالمملوكة، وقد تسرى

رسول الله ﷺ بمارية المهداة إليه من قبل ملك مصر، وولدت له إبراهيم ومات في سن رضاعه -

﴿٥٢﴾ - ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٥٣﴾﴾ .

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا : أي يا من صدقوا بالله ووعده ووعيده وبالرسول وما جاء به.

لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ : أي في الدخول بأن يدعوكم إلى طعام.

غَيْرَ نَظِيرِينَ إِنَّهُ : أي غير منتظرين وقت نضجه، أي فلا تدخلوا قبل وقت إحضار الطعام وتقدم

المدعويين إليه، بأن يستغل أحدكم الإذن بالدعوة للطعام، فيأتي قبل الوقت ويجلس في البيت

فيضايق رسول الله ﷺ وأهله. ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا﴾ .

فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا : أي إذا أكلتم الطعام وفرغتم فانتشروا عائدين إلى بيوتكم أو أعمالكم ولا

يبق منكم أحد.

وَلَا مُسْتَنْسِينَ لِحَدِيثٍ : أي ولا تمكثوا مستأنسين لحديث بعضكم بعضاً.

إِنَّ ذَلِكَ لَكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيِّ : أي ذلكم المكث في بيوت النبي كان يؤذي النبي ﷺ .

فَيَسْتَعْيِبُ مِنْكُمْ : أي أن يخرجكم.

وَاللَّهُ لَا يَسْتَعْيِبُ مِنْ الْحَقِّ : أي يقوله ويأمر به، ولذا أمركم أن تخرجوا.

وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ : أي ستر. كباب ورداء ونحوه.

ذَلِكَ لَكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ : أي من الخواطر الفاسدة. ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ

اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ .

إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٧﴾: أي إن أذاكم لرسول الله كان عند الله ذنبًا عظيمًا.  
 إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تُخْفَوْهُ: أي إن تظهروا رغبة في نكاح أزواج الرسول بعد وفاته، أو تخفوه في  
 نفوسكم فسيجزىكم الله به شر الجزاء. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٨﴾﴾.  
 لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أُمَّهَاتِهِنَّ وَلَا أَخَوَاتِهِنَّ: أي لا حرج على  
 نساء الرسول ﷺ في أن يظهرن لمحارمهن المذكورين في الآية.

وَلَا يَسَاءِبُهُنَّ: أي المؤمنات، أما الكافرات فلا.  
 وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ: أي من الإماء والعييد في أن يروهن ويكلموهن من دون حجاب.  
 وَأَتَقِينَ اللَّهَ: أي يا نساء النبي فيما أمرتن به من الحجاب وغيره. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ  
 شَهِيدًا ﴿٥٩﴾﴾.

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ: صلاة الله على النبي هي رحمته ورضوانه عليه، وصلاة  
 الملائكة دعاء واستغفار له، وصلاة العباد عليه تشريف وتعظيم لشأنه.  
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾: أي قولوا: اللهم صل على محمد وسلم  
 تسليمًا، وأعظمها أجرًا الصلاة الإبراهيمية وصيغتها هي: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد  
 كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد  
 كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.  
 إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ: أي بسب أو شتم أو طعن أو نقد. ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ  
 لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾﴾.

وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا: أي يرمونهم بأمور يوجهونها إليهم  
 تهما وهم بغير ما اكتسبوا ما فعلوا ذلك.  
 فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾: أي تحملوا كذبًا وذنبًا بينًا ظاهرًا. ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَإِذْ جِئَكَ  
 وَبَنَاتِكَ﴾.

وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ: أي يرخين على وجههن الجلباب حتى لا يبدو من  
 المرأة إلا عين واحدة، تنظر بها الطريق إذا خرجت لحاجة.  
 ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفَ: أي ذلك الإدناء من طرف الجلباب على الوجه أقرب فلا يؤذين.  
 فَلَا يُؤْذِينَ: أي يعرفن أنهن حرائر فلا يتعرض لهن المنافقون بالأذى.  
 وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾: أي غفورًا لمن تاب من ذنبه، رحيمًا له بقبول توبته، وعدم  
 تعذيبه بذنب تاب منه.

﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ: أي عن نفاقهم وهو إظهار الإيمان وإخفاء الكفر.  
 وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ: أي مرض حب الفجور وشهوة الزنا.

وَالْمَرْجُوفُونَ فِي الْمَدِينَةِ : أي الذين يأتون بالأخبار الكاذبة لتحريك النفوس وزعزعتها، كقولهم: العدو على مقربة من المدينة، أو السرية الفلانية قتل أفرادها وما إلى ذلك.  
لِنَغْرِيَنَّكَ بِهِمْ : أي لنسلطنك عليهم ولنحرضنك بهم.  
ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ : أي في المدينة إلا قليلاً من الأيام ثم يخرجون منها أو يهلكون.

مَاعُونِينَ أَيِنَّمَا تَقْفُوا أَخْذُوا وَقْتِلُوا نَفْتِيلًا ﴿٦١﴾ : أي ما وجدوا أخذوا أسرى وقتلوا تقتيلاً.  
سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ : أي سن الله هذا سنة في الأمم الماضية أيما ثقف المنافقون والمرجفون أخذوا وقتلوا تقتيلاً.  
وَلَنْ يَجْدَلَ سُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ : أي منه تعالى إذ هي ليست أحكاماً يطرأ عليها التبديل والتغيير بل هي سر التشريع وحكمته.

يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ : أي يهود المدينة كما سأله أهل مكة، فاليهود سأله امتحاناً، والمشركون تكذيباً بها واستعجالاً لها.

قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ : أي أجب السائلين قائلاً: إنما علمها عند ربي خاصة فلم يعلمها غيره.  
وَمَا يَدْرِيكَ : أي لا أحد يدريك أيها الرسول أي يخبرك بها إذ علمها الله وحده.  
لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ : أي وما يشعر أن الساعة قد تكون قريبة القيام.  
إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفْرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ : أي ناراً متسعة.  
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا : أي مقدراً خلودهم فيها، إذ الخلود يكون بعد دخولهم فيها.  
﴿لَا يَجْدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿٦٥﴾ .

يَوْمَ تَقُوبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ : أي تصرف من جهة إلى جهة كاللحم عند شيه يقلب في النار.  
يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ : أي يتمنون بأقوالهم لو أنهم أطاعوا الله وأطاعوا الرسول.

وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا : هذا قول الأتباع يشكون إلى الله سادتهم ورؤساءهم.  
فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴿٦٧﴾ : أي طريق الهدى الموصل إلى رضا الله - ﷻ - بطاعته.  
رَبَّنَا إِنَّهُمْ ضَعُفْتُمْ مِنَ الْعَذَابِ : أي اجعل عذابهم ضعفي عذابنا لأنهم أضلونا.  
وَالْعَنُومُ لَعَنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ : أي أخزهم خزيًا متعدد المرات في عذاب جهنم.  
يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا : أي يا من صدقوا بالله ورسوله ولقاء الله وما جاء به رسول الله.  
لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى : أي لا تكونوا مع نبيكم كما كان بنو إسرائيل مع موسى، آذوه بقولهم: إنه ما يمنعه من الاغتسال معنا إلا أنه آدر.

فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا : أي أراهم أنه لم يكن به أدرة وهي انتفاخ إحدى الخُصيتين.

وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِبًا ﴿٦٦﴾ : أي ذا جاه عظيم عند الله فلا يخيب له مسعى ولا يرد له مطلبًا.  
يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٦٧﴾ : أي صدقًا صائبًا.

يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ : أي الدينية والدنيوية إذ على الصدق والموافقة للشرع نجاح الأعمال  
والفوز بشمارها. وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ .

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٦٨﴾ : أي نال غاية مطلوبه وهي: النجاة من النار ودخول  
الجنة.

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ : أي ما ائتمن عليه الإنسان من سائر التكاليف الشرعية، وما ائتمنه عليه  
أخوه من حفظ مال أو قول أو عرض أو عمل.

عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا : أي رفضن الالتزام بها وخفن عاقبة  
تضييعها.

وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ : أي آدم وذريته.

إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٦٩﴾ : أي لأنه كان ظلومًا أي كثير الظلم لنفسه، جهولًا بالعواقب.  
لِعَذَابِ اللَّهِ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ :

أي وتحملها الإنسان قضاءً وقدرًا ليرتب الله تعالى على ذلك عذاب المنافقين والمنافقات  
والمشركين والمشركات، ويتوب على المؤمنين والمؤمنات، فيغفر لهم ويرحمهم. ﴿وَكَانَ اللَّهُ  
غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾





## ٣٤ - سُورَةُ النَّازِعَاتِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ : أي الوصف بالجميل واجب لله مستحق له.  
 الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ : أي خلقاً وملكاً وتصريفاً وتدبيراً.  
 وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ : أي يحمده فيها أولياؤه وهم في رياض الجنان، كما له الحمد في الدنيا.  
 وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ : أي الحكيم في أفعاله، الخبير بأحوال عباده.  
 يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ : أي ما يدخل فيها من مطر وأموات وكنوز.  
 وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا : أي من نبات وعيون ومعادن.  
 وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ : أي من ملائكة وأمطار وأرزاق ونحوها.  
 وَمَا يَخْرُجُ فِيهَا : أي وما يصعد فيها من ملائكة وأعمال العباد وأرواحهم بعد الموت.  
 وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ : أي الرحيم بالمؤمنين الغفور للتائبين.  
 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ : أي القيامة. ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَأَتِينَكُمُ الْعَذَابَ﴾  
 لَا يَعْزُبُ عَنْهُ : أي لا يغيب عنه.  
 مِثْقَالَ ذَرَّةٍ : أي وزن ذرة: أصغر نملة. ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾ : أصغر من الذرة ولا أكبر منها.  
 إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ : أي موجود في اللوح المحفوظ مكتوب فيه.  
 لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ : أي أثبتة في اللوح المحفوظ ليحاسب به ويجزي  
 صاحبه.  
 أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ .  
 وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا : أي عملوا على إبطالها وسعوا في ذلك جهدهم.  
 مُعْجِزِينَ : أي مغالين لنا ظانين عجزنا عنهم، وأنهم يفوتوننا فلا نبعثهم ولا نحاسبهم ولا  
 نجزيهم.  
 أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزٍ أَلِيمٍ ﴿٥﴾ : أي عذاب من أقبح العذاب وأسوئه.  
 وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ : أي ويعلم الذين أوتوا العلم وهم علماء أهل الكتب كعبد الله بن سلام  
 وأصحابه.  
 الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ : أي القرآن هو الحق الموحى به من الله تعالى.

وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾: أي القرآن يهدي إلى صراط الله الموصل إلى رضاه وجواره الكريم وهو الإسلام، والعزیز ذو العزة، والحمد المحمود.

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: أَي قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَلَىٰ جِهَةِ التَّعَجُّبِ.  
هَلْ نَدُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ: أي محمد ﷺ.

يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلَّ مَزْقٍ: أي قطعتم كل التقطيع.

إِنَّكُمْ لِنِعْمِ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾: أي تبعثون خلقاً جديداً لم ينقص منكم شيء.  
أَفَرَأَيْتَ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ: أي جنون تخيل له بذلك.

بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾: أي ليس الأمر كما يقول المشركون من افتراء الرسول أو جنونه، بل الأمر الثابت والواقع أن الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب في الآخرة، وفي الضلال البعيد في الدنيا.  
أَفَلَمْ يَرَوْا: أي ينظروا.

إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ: أي من أمامهم وورائهم وفوقهم وتحتهم إذ هم محاطون من كل جهة من السماء والأرض.

إِن نَّشَأْ نُخَسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا: أي قطعاً جمع كسفة أي قطعة. ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾.  
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً: أي علامة واضحة ودليلاً قاطعاً على قدرة الله عليهم.

لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾: أي لكل مؤمن منيب إلى ربه رجاع إليه في أمره كله.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَنجِبَالٌ أَوْبَىٰ مَعَهُ﴾: أي وقلنا: يا جبال أوبي معه أي رجعي معه

بالتسبيح.

وَالطَّيْرِ: أي والطير تسبح أيضاً معه.

وَأَنشَأَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾: أي جعلناه له في اللين كالعجينة يعجنها كيف يشاء.

أَن أَعْمَلَ سَبِغَتٍ: أي دروعاً طويلة تستر المقاتل وتقيه ضرب السيف.

وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ: أي اجعل المسمار مناسباً للحلقة، فلا يكن غليظاً ولا دقيقاً، أي اجعل المسامير مقدره على قدر الحلق، لما يترتب على عدم المناسبة من فساد في الدرع وعدم الانتفاع بها. ﴿وَأَعْمَلُوا صَلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿١١﴾.

وَلَسَلِّمَنَّ الْرِيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ: أي وسخرنا لسليمان الريح غدوها أي سيرها من الغداة إلى منتصف النهار مسيرة شهر، ورواحها من منتصف النهار إلى الليل شهر كذلك أي مسافة شهر.

وَأَسْلَنَّا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ: أي وأسلنا له عين النحاس. ﴿وَمَنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾.

﴿وَمَن يَبْرِغْ مِنْهُمْ عَن أَمْرِنَا: أي ومن يعدل عن طاعة سليمان فلم يطعه. ﴿نُدِقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾

(١) ﴿١٢﴾

يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرَبٍ : جمع محراب المقصورة تكون إلى جوار المسجد للتعبد فيها.  
وَتَمَثِيلٌ وَجْفَانٍ كَالْجَوَابِ : أي وقصاع في الكبر كالحياض التي حول الآبار تجبى إليها الماء.  
وَقُدُورٍ رَأْسِيَّتٍ : أي وقدور كبار ثابتات على الأثافي لكبرها لا تحول. ﴿اعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ شُكْرًا  
وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشُّكُورُ ﴿١٣﴾﴾

فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِمْ إِلَّا دَابَّةٌ الْأَرْضِ : أي الأرضة.  
تَأْكُلُ مِنْ سِنَانِهِ : أي عصاه.

فَلَمَّا خَرَّ : أي سقط على الأرض ميتاً.

تَبَيَّنَتِ الْجَنُّ : أي انكشف لها فعرفت.

أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْعَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ : وهو خدمة سليمان في الأعمال الشاقة.

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ : أي لقد كان لقبيلة سبأ اليمانية في مسكنهم.

آيَةٌ : أي علامة على قدرة الله وهي. ﴿جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾

بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ : أي طيبة المناخ بعيدة عن الأوباء وأسبابها، والله رب غفور.

فَأَعْرَضُوا : أي عن شكر الله وعبادته.

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ : أي سد السيل العرم. وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ حَمْطٍ وَأَثَلٍ :

أي صحابتي أكل مُرٍ بشع وشجر الأثل. ﴿وَشِقَىٰ مِّنْ سِدرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾

ذَلِكَ : أي التبديل. ﴿جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَافِرَ ﴿١٧﴾﴾

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَىٰ الَّتِي بَنَرُكْنَا فِيهَا : هي قرى الشام مبارك فيها.

قُرَى ظَهْرَةَ : أي متواصلة من اليمن إلى الشام.

وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ : أي المسافات بينها مقدرة بحيث يقبلون في قرية ويبيتون في أخرى.

﴿سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا مِّمِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴿٢﴾﴾

فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ : أي لمن جاء بعدهم أي أهلكتناهم ولم يبق منهم إلا ذكرهم متداولاً بين

الناس.

(١) هذه الآية من أقوى الأدلة على أن أمر الرسول ﷺ هو أمر من الله تعالى وهي مطابقة لقول الله تعالى في سورة النجم: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٢﴾﴾، فإن الله تعالى قال في حق سليمان ﷺ: ﴿وَمَنْ يَرْزُقْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾: أي من لم يطع أمر سليمان ﷺ، فجعل أمر سليمان ﷺ من أمره سبحانه وتعالى، والآية تنطبق من باب أولى على رسول الله ﷺ والله أعلم (قل).

(٢) أي حملهم بظر النعمة على أن سألوا ربهم بلسان حالهم أو قالهم أن يياعد بين مسافات أسفارهم بإزالة تلك المدن حتى يحملوا الزاد ويركبوا الخيول ويدوقوا طعم التعب، وهذا في الواقع هو حسد من الأغنياء للفقراء الذين لا طاقة لهم على السفر في المسافات البعيدة بدون زاد ولا رواحل.

وَمَرَّقْنَهُمْ كُلَّ مَمَرٍّ : أي فرقناهم في البلاد كل التفرق.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ : أي إن في ذلك المذكور من النعم وسلبها لعبراً.

لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٦﴾ : أي صبار على الطاعات وعن المعاصي، شكور على النعم.

وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ : أي صدق ظن إبليس فيهم أنه يستطيع إغواءهم.

فَاتَّبَعُوهُ : في الكفر والضلال والإضلال.

إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ : أي من بني آدم وهم المؤمنون المسلمون، فإنهم لم يتبعوه وخاب

ظنه فيهم، زاده الله خيبة إلى يوم القيامة.

وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ : أي ولم يكن لإبليس من تسليط منا عليهم لا بعصا ولا سيف

وإنما هو التزيين والإغراء بالشهوات.

إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ : أي لكن أذننا له في إغوائهم - إن استطاع -

بالتزيين والإغراء لنعلم علم ظهور من يؤمن ويعمل صالحاً ممن يكفر ويعمل سوءاً<sup>(١)</sup>.

وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿١٨﴾ : أي وربك يا محمد على كل شيء حفيظ، وسيجزى الناس بما

كسبوا.

قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِ اللَّهِ : أي أنهم شركاء لله في ألوهيته.

لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ : أي ملكاً استقلالياً لا يشاركهم الله فيه.

وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن شَرِكٍ : أي وليس لهم من شركة في السموات ولا في الأرض.

وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ ﴿١٩﴾ : أي وليس الله تعالى من شركائكم الذين تدعونهم من معين على شيء.

وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أذِنَ لَهُ : أي ولا تنفع الشفاعة أحداً عنده حتى يأذن هو له بها.

حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ : أي ذهب الفزع والخوف عنها بسماع كلام الرب تعالى.

قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ : أي قال بعضهم لبعض استبشاراً ماذا قال ربكم.

قَالُوا الْحَقُّ : أي في الشفاعة.

وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٠﴾ : العلي فوق كل شيء علو ذات وقهر، وهو الكبير الذي كل شيء دونه.

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ : من السموات بإنزال المطر، ومن الأرض بإنبات

الزروع.

قُلْ اللَّهُ : أي إن لم يجيبوا فأجب أنت فقل: الله، إذ لا جواب عندهم سواه.

وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ : وأخبرهم بأنكم أنتم أيها المشركون أو إيانا

(١) ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ أي علم الشهادة والظهور الذي يتم به الثواب والعقاب، فأما علم الغيب فقد علمه - تبارك وتعالى - .

لعلى هدى أو في ضلال مبين، وقطعاً فالموحدون هم الذين على هدى والمشركون هم في الضلال المبين، وإنما شككهم تلطفاً بهم لعلهم يفكرون فيهدتوا.

قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا : أي إنكم لا تسألون عن ذنوبنا.

وَلَا تُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ : أي ولا نسأل نحن عما تعملون، وهذا تطف بهم أيضاً ليراجعوا أمرهم، ولا يحملهم الكلام على العناد.

قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ : أي قل لهم سيجمع: بيننا ربنا يوم القيامة ويفصل بيننا بالحق، وهذا أيضاً تطف بهم وهو الحق. ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٢٦﴾ .

قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَحَقُّهُمُ بِرَبِّهِمْ شُرَكَاءَ : أي قل لهؤلاء المشركين أروني شركاءكم الذين عبدتموهم مع الله، فإن أروه إياهم أصناماً لا تسمع ولا تبصر قامت الحجة عليهم وقال لهم: أتعبدون ما تنحتون وتركون الله الذي خلقكم وما تعملون؟! .

كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ : كلا: لن تكون الأصنام أهلاً للعبادة، بل المعبود الحق الواجب العبادة هو الله العزيز الحكيم.

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ : أي لجميع الناس أي عربهم وعجمهم.

بَشِيرًا وَنَذِيرًا : بشيراً للمؤمنين بالجنة، ونذيراً للكافرين بالعذاب. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ .

قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمٍ : هو يوم القيامة (٢). ﴿لَا تَسْتَعْجِلُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْقُدُون﴾ ﴿٣٠﴾ .

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ : أي من الكتب السابقة وهي التوراة والإنجيل. وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ (٣).

يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ : أي يقول الأتباع كذا ويرد عليهم المتبوعون بكذا وهو المبين في الآيات. ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا ﴿٣٢﴾ .

أَنْحَنُ صَدَدًا نَكُرُ عَنْ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَ كُرُ : أي ينكر المستكبرون وهم المتبعون أن يكونوا صدوا التابعين لهم عن الهدى بعد إذ جاءهم بواسطة رسوله.

بَلْ كُنْتُمْ تَجْرِمِينَ ﴿٣٣﴾ : أي ظلمة فاسدين مفسدين. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ .

(١) إذ كانوا يوم نزول هذه الآية أكثرية والمؤمنون أقلية وحتى اليوم أكثر الناس لا يعلمون جلال الله وجماله وأسماء وصفاته وما عنده وما لديه، ولا محابه ولا مكارهه.

(٢) الميعاد مصدر ميمي وهو الوقت المعين لحدوث الشيء وهو هنا إما يوم القيامة أو حضور الموت، وجائز أن يكون يوم هلاكهم وهو يوم بدر وإضافته بيانية.

(٣) جواب لو محذوف أي لرأيت أمراً فظيماً هائلاً مدهشاً ومحيراً.

بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ : أي ليس الأمر كما ادعيتم بل مكركم بنا بالليل والنهار هو الذي جعلنا نكفر بالله.

إِذ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا : أي شركاء نعبدهم معه فنناده بهم.  
وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ : أي أخفوها إذ لا فائدة منها، أو أظهروها أي أظهروا الندامة إذ أسر الندامة له معنيان أخفى وأظهر (١).  
وَجَعَلْنَا الْأَعْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا : أي وجعلنا الأغلال جمع غُل: حديدة تجعل في عنق المجرم.

هَلْ يَجْزُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٣) : أي ما يجزون إلا ما كانوا يعملون. ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيْبٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا ﴾ : أي رؤساؤها المنعمون فيها من أهل المال والجاه. ﴿ إِنَّا بِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ كَفِرُونَ ﴾ (٣٤).

وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا : أي من المؤمنين. ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴾ (٣٥).  
قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ : أي امتحانًا أيشكر أم يكفر؟  
وَيَقْدِرُ : أي يضيق ابتلاء أيصبر أم يسخط؟  
وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) : أي الحكمة في التوسعة على البعض والتضييق على البعض.  
وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُفَرِّقُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى : أي قريبي بمعنى تقريبًا.  
إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا : أي لكن من آمن وعمل صالحًا هو الذي تقربه تقريبًا. ﴿ فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ﴾.

ءَامِنُونَ (٣٧) : أي من المرض والموت وكل مكروه.  
وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَابِتِنَا : أي عملوا على إبطال القرآن والإيمان به وتحكيمه.  
مُعْجِزِينَ : أي مقدرين عجزنا وأنهم يفوتوننا فلم نعاقبهم. ﴿ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ (٣٨).  
قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ (٢) وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ : أي من مال في الخير. ﴿ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾.

وَهُوَ خَيْرُ الرِّزْقِ (٣٩) : أي المعطين الرزق. أما خلق الرزق فهو الله تعالى وحده.

(١) الضمير في ﴿ وَأَسْرُوا ﴾ عائد على الجميع المستضعفين والمستكبرين، والمعنى أنهم لما انكشف لهم العذاب المعد والمهيا لهم وذلك عقب المحاوراة التي دارت بينهم، علموا أن حوارهم لبعضهم غير نافع لهم أسروا الندامة أي أخفوها لعدم جدواها.

(٢) ﴿ قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ﴾، أي قل يا نبينا لا أولئك المغترين بأن ما لديهم من مال وولد ناجم عن رضا الله عنهم قل لهم: إن ربي جل جلاله يسط الرزق لمن يشاء امتحانًا له لا لرضى عنه ولا لبغض له، كما أنه يضيق الرزق على من يشاء ابتلاء له لا لبغضه ولا لمحبهته ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا : أي واذكر يوم نحشرهم جميعًا أي جميع المشركين.  
ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُولَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤١﴾ : أي يقول تعالى هذا للملائكة تقريريًا  
للمشركين وتوبيخًا لهم.

قَالُوا سُبْحَانَكَ : أي قالت الملائكة: سبحانك أي تقديسًا لك عن الشرك وتنزيهاً.  
أَنْتَ وَلِئْسَ مِنْ دُونِهِمْ : أي لا موالاة بيننا وبينهم أي يتبرءون منهم.  
بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ : أي الشياطين التي كانت تتمثل لهم فيحسبونها ملائكة فيطيعونها فتلك  
عبادتهم لها. ﴿أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٤١﴾  
فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أي لا يملك المعبودون للعبادين.  
نَفْعًا وَلَا ضَرًّا : أي لا يملكون نفعهم فينفعوهم ولا ضرهم فيضروهم.  
وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا : أي أشركوا غير الله في عبادته من الملائكة والأنبياء أو الأولياء والصالحين.  
ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ : أي كنتم في الدنيا تكذبون بالبعث والجزاء وهو الجنة أو  
النار.

وَإِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ : أي آيات القرآن الكريم واضحات ظاهرة المعنى بينة الدلالة.  
قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ : أي ما محمد إلا رجل من الرجال.  
يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ آبَاءَكُمْ : أي يريد أن يصرفكم عن عبادتكم لآلهتكم التي كان يعبدها  
آباؤكم من قبل.

وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرَىٰ : أي إلا كذب مختلق مزور (يعنون القرآن).  
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ : أي قالوا للقرآن لما جاءهم به محمد ﷺ  
إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ : أي ما هذا: أي القرآن إلا سحر مبين، أي محمد ساحر والقرآن سحر.  
وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا : أي يقرءونها فأباحت لهم الشرك وأذنت لهم فيه.  
وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٤﴾ : أي ولم نرسل إليهم قبلك من رسول فدعاهم إلى الشرك.  
وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مَعْشَرَ مَا آتَيْنَاهُمْ : أي ولم يبلغ أولئك الأمم الذين أهلكتناهم  
معاشر ما آتينا هؤلاء من الحجج والبيانات (١).

فَكَذَّبُوا رَسُولِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ : أي فكيف كان إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك، والجواب

(١) هذا على تفسير أن الضمير في قوله: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ عائد على مشركي قريش. أما إن عاد الضمير إلى الأمم  
السابقة فالمراد القوة كما جرينا عليه في معنى الآيات. اهـ. قال الصابوني أثابه الله في «صفوة التفاسير»:  
﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مَعْشَرَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾ أي وكذب قبلهم أقوام من الأمم السابقين وما بلغ كفار مكة  
عشر ما آتينا الأمم التي كانت قبلهم من القوة والمال وطول العمر قال ابن عباس: ﴿مَعْشَرَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾ أي من  
القوة في الدنيا (قل)

كان واقعا موقعه لم يخطئه بحال. ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَجْهِ اللَّهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ ﴾ .  
مثنى : أي اثنين اثنين.

وَفَرَدَى : أي واحدا واحدا.

ثُمَّ نَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ : أي محمد ﷺ .

مِنْ جِنَّةٍ : أي جنون. ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ (١٦) قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ .

قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمُ الْغُيُوبِ ﴿١٨﴾ : أي يلقي بالوحي الحق إلى أنبيائه. ويقذف الباطل بالحق أيضا فيدمنه.

قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿١٩﴾ : أي وما يبدي الباطل هو الكفر، وما يعيد أي إنه لا أثر له.

قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي : أي إثم ضلالي على نفسي لا يحاسب ولا يعاقب به غيري.  
وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٢٠﴾ : أي سميع لما أقول لكم، قريب غير بعيد فلا يتعذر عليه مجازاة أحد من خلقه.

وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فِرْعَوْنُ فَلَا قُوَّةَ : أي إذا فرعوا للبعث أي خافوا ونفروا فلا فوت لهم منا بل هم في قبضتنا. ﴿ وَأَخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ (٢١) .

وَقَالُوا ءَأَمْنَا بِهِ ءِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَٰوُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٢٢﴾ : (١) أي لما شاهدوا العذاب قالوا: آمنا بالقرآن وكيف لهم ذلك وهم بعيدون إنهم في الآخرة والإيمان في الدنيا؟ (التناوش) التناول من مكان بعيد.

وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٢٣﴾ : أي دهاهم اليوم في الدنيا يقذفون بالغيب محمدا ﷺ بقواصم الظهر مرة يقولون: كاذب، ومرة: ساحر، ومرة: شاعر، وأخرى: مجنون وكل هذا رجما بالغيب لا شبهة لهم فيه ولا أدنى ريبة تدعوهم إليه.  
وَجِئِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ : أي فعلنا بهم كما فعلنا بمن قبلهم من أمم الكفر والباطل.

إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكِّ مُرِيبٍ ﴿٢٤﴾ : أي في شك بالغ من نفوسهم فأصبحوا به مضطربين لا يطمثون إلى شيء أبدا.



(١) صالح أن يكون الضمير للوعيد أو ليوم البعث أو النبي ﷺ أو القرآن؛ إذ الكل واجب الإيمان به، وقد كفروا بالكل وكذبوا.



## ٣٥ - سُورَةُ قَطْعٍ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ : أي قولوا الحمد لله فإنه واجب الحمد، ومقتضى الحمد ما ذكر بعد.  
 فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : أي خالقهما على غير مثال سابق (١).  
 جَاعِلِ الْمَلَكِئِكَةِ رُسُلًا : أي جعل منهم رسلاً إلى الأنبياء كجبريل ﷺ.  
 أُولِي أجنحةٍ : أي ذوي أجنحة، جمع جناح كجناح الطائر. ﴿مَشَى وَثَلَاثَ وَرُبْعَ﴾.  
 يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ : أي يزيد على الثلاثة ما يشاء فإن لجبريل ستمائة (٢) جناح. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

مَا يَفْجَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا : من أرزاق، وخيرات، وبركات.  
 وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ : أي الله. من الرحمة فلا أحد يرسلها غيره ﷻ.  
 وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) : أي الغالب على أمره، الحكيم في تدبير صنعته.  
 يَتَأَيَّأُ النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ : أي اذكروا نعمه تعالى عليكم في خلقكم ورزقكم وتأمينكم

في حرمكم.

هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ : أي لا خالق لكم غير الله ولا رازق لكم يرزقكم.  
 مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ : أي بإنزال المطر من السماء وإنبات الزروع في الأرض.  
 لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ : أي لا معبود بحق إلا هو إذا فاعبدوه ووحده.  
 فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ (٤) : أي كيف تصرفون عن توحيد مع اعترافكم بأنه وحده الخالق الرازق.  
 وَإِنْ يَكْفُرْ بِنُوكَ : أي يا رسولنا فيما جئت به من التوحيد وعقيدة البعث والجزاء ولم يؤمنوا بك.  
 فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ : أي فلست وحدك كذبت فلا تأس ولا تحزن واصبر كما صبروا من قبلك.

وَالِلَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٥) : وسوف يجزي المكذبين بتكذيبهم والصابرين بصبرهم. ﴿يَتَأَيَّأُ النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾.

فَلَا تَعْرَبْكُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرِّكُمْ بِاللَّهِ الْعُرُودُ (٦) : أي ولا يغرنكم بالله - أي في حلمه وإمهاله -

(١) والمراد بالسموات والأرض العالم كله.

(٢) جائر أن يكون في ملاحظة العين والحسن في الأنف والحلاوة في الفم، وفي الصوت الحسن والشعر الحسن والحظ الحسن كل هذا مذكور وداخل في العبارة فإنها عامة.

الغرور: أي الشيطان.

إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا : أي فلا تطيعوه ولا تقبلوا ما يغرركم به وأطيعوا ربكم ﷻ.

إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ : أي أتباعه في الباطل والكفر والشر والفساد.

لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ : أي ليؤول أمرهم إلى أن يكونوا من أصحاب النار المستعرة. ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ : أي لهم مغفرة لذنوبهم وأجر كبير في

الجنة، وذلك لإيمانهم وعملهم الصالحات.

أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ : أي قبح عمله من الشرك والمعاصي (١).

فَرَأَاهُ حَسَنًا : أي رآه حسنًا زينًا لا قبح فيه. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾

فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ : أي على أولئك الذين زين لهم الشيطان قبح أعمالهم.

حَسْرَتٍ : أي لا تهلك نفسك بالتحسر عليهم لكفرهم.

إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ : وسيجزئهم بصنيعهم الباطل.

وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَثِيرُ مَآبًا : أي تزعجه وتحركه بشدة فيجتمع ويسير.

فَسُقْنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ : أي لا نبات به.

فَإِخْيَانًا بِهِ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا : أي بالنبات والعشب والكلأ والزرع.

كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ : أي البعث والحياة الثانية.

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا : أي فليطلب العزة بطاعة الله؛ فإنها لا تنال إلا بذلك.

إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ : أي إلى الله تعالى يصعد الكلم الطيب، وهو سبحانه الله، والحمد لله،

والله أكبر.

وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ : أي أداء الفرائض وفعل النوافل يرفع إلى الله.

وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ : أي يعملونها ويكسبونها. ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ ﴿١٠﴾

أي عملهم هو الذي يفسد ويبطل.

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ : أي أصلكم وهو آدم.

ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ : أي من ماء الرجل وماء المرأة وذلك كل ذرية آدم.

ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا : أي ذكراً وأنثى.

وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ : أي ما تحمل من جنين ولا تضعه إلا بإذنه.

(١) ذكر القرطبي لأهل العلم أقوالاً فيمن زين له سوء عمله وفي عمله الذي زين له قيل: إنهم اليهود والنصارى والمجوس، وسوء عمله معادة الرسول ﷺ، وقيل: إنهم الخوارج، وسوء عمله تحريف التأويل وقيل: الشيطان وسوء عمله الإغراء، وقيل: كفار قريش وهو الظاهر.

وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ : أي وما يطول من عمر ذي عمر طويل إلا في كتاب.  
وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمْرِهِ : أي بأن يجعل أقل وأقصر من العمر الطويل. ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ  
يَسِيرٌ﴾ (١١)

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ : أي شديد العذوبة. ﴿سَائِعٌ شَرَابُهُ﴾ (١) وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ : أي  
شديد الملوحة.

وَمِنْ كُلِّ : أي ومن كل منهما.

تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا : أي السمك.

وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا : أي اللؤلؤ والمرجان.

وَرَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَآخِرَ : أي تمخر الماء وتشقه عند جريانها في البحر.

لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ : أي لتطلبوا الرزق بالتجارة من فضل الله تعالى.

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ : أي رجاء أن تشكروا الله تعالى على ما رزقكم.

يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ : أي يدخل الليل في النهار فيزيد.

وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ : أي يدخل النهار في الليل فيزيد.

وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ : أي ذللها.

كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى : أي في فلكه إلى يوم القيامة. ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ (٢)

وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ : أي تعبدون بالدعاء وغيره من العبادات وهم الأصنام.

مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ : أي من لفافة النواة التي تكون عليه وهي بيضاء رقيقة. ﴿إِنْ

تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ﴾ (٣)

وَلَوْ سَمِعُوا : أي فرضاً. ﴿مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ (٤)

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ : أي يتبرءون منكم ومن عبادتكم إياهم.

وَلَا يَنْبِئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ : أي لا ينبئك أي بأحوال الدارين مثلي؛ فإني خبير بذلك عليهم.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ : أي المحتاجون إليه في كل حال.

وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ : أي الغني عنكم أيها الناس وعن سائر خلقه، المحمود بأفعاله

وأقواله وحسن تدبيره؛ فكل الخلائق تحمده لحاجتها إليه وغناه عنها.

إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ : أي بدلاً عنكم.

(١) معنى ﴿سَائِعٌ شَرَابُهُ﴾: أن شربه لا يكلف النفس كراهة وهو مشتق من الإساعة وهو استطاعة ابتلاع المشروب دون غصة.

(٢) جاء في القرآن ذكر النقيير والقطمير والفتيل، واضطربت أقوال أهل اللغة في تحديدها والصحيح: أن النقيير النقرة في وسط النواة، وأن الفتيل الخيط في وسط النواة، وأن القطمير اللفافة البيضاء على النواة.

وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بَعِيزٌ ﴿١٧﴾ : أي بشديد ممتنع بل هو سهل جائز الوقوع .  
 وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ : أي في حكم الله وقضائه بين عباده أن النفس المذنبة الحاملة لذنبها لا  
 تحمل وزر أي ذنب نفس أخرى، بل كل وازرة تحمل وزرها وحدها <sup>(١)</sup> .  
 وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ : أي بأوزارها حتى لم تقدر على المشي أو الحركة .  
 إِلَىٰ جِوْشِقِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْئًا وَلَوْ كَانَتْ ذَاتِ قُرْبَىٰ : أي لا تجد من يستجيب لها ويحمل عنها بعض  
 ذنبها، حتى لو دعت ابنها أو أبها أو أمها فضلاً عن غيرهم، بهذا حكم الله ﷻ .  
 إِنَّمَا نُذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ : أي لأنهم ما رأوه بأعينهم . ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ .  
 وَمَنْ تَرَكَ : أي طهر نفسه من الشرك والمعاصي .  
 فَأَتَمَّ بِرَبِّهِ لِنَفْسِهِ : أي صلاحه واستقامته على دين الله ثمرتها عائدة عليه . ﴿وَالَىٰ اللَّهُ الْمَصِيرُ﴾ ﴿١٨﴾ .  
 وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ : أي لا يستويان فكذلك الكافر <sup>(٢)</sup> والمؤمن لا يستويان .  
 وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ : أي لا يستويان فكذلك الكفر والإيمان لا يستويان .  
 وَلَا الظُّلُ وَلَا الْحُرُورُ ﴿٢١﴾ : أي لا يستويان فكذلك الجنة والنار لا يستويان .  
 وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ : فكذلك لا يستوي المؤمنون والكافرون . ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ﴾ .  
 وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ : أي فكذلك لا تسمع الكفار فإنهم كالأموات .  
 إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ : ما أنت إلا منذر فلا تملك أكثر من الإنذار .  
 إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا : أي بالدين الحق والهدى والكتاب .  
 وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ : أي سلف فيها نبي ينذرها . ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ  
 قَبْلِهِمْ﴾ .

جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ : أي بالحجج والأدلة الواضحة .  
 وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ : أي وبالصحف كصحف إبراهيم وبالكتاب المنير كالتوراة  
 والإنجيل .

ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ : أي فكيف كان إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك  
 والجواب : هو واقع موقعه والحمد لله . ﴿الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً﴾ .  
 فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا : أي كأحمر وأخضر وأصفر وأزرق وغيره .  
 وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ : أي طرق في الجبال إذ الجدة : الطريق ومنه جادة الطريق .  
 بَيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا : أي طرق وخطط في الجبال ذات ألوان كالجبال أيضاً .

(١) وإن تدع مثقلة أي أحداً إلى حملها .

(٢) قال القرطبي : الكافر والمؤمن والعالم والجاهل .

وَعَرَابِيْبُ سُودٌ <sup>(١)</sup> ﴿٢٧﴾ : منها الأبيض والأصفر والأسود الغريب.  
 وَمِنَ النَّاسِ وَالذَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ : فمنها أبيض وهذا أحمر وهذا أسود.  
 مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ : أي كاختلاف الثمار والجبال والطرق فيها.  
 إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ : أي العالمين بجلاله وكماله، إذ الخشية متوقفة على معرفة  
 المخشى. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ ﴿٢٨﴾ .  
 إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ : أي يقرءونه تعبدًا به. ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا  
 وَعَلَانِيَةً﴾ .  
 يَرْجُونَ نَجْرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ : أي لن تهلك ولن تضيع بدون ثواب عليها. ﴿لِيُوفِيَهُمْ  
 أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ .  
 إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ : أي غفور لذنوب عباده التائبين؛ شكور لأعمالهم الصالحة.  
 وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ : أي القرآن الكريم.  
 هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ : أي من الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْبَادُهُ لَخَيْرٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿٣١﴾ .  
 ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ : أي الكتب التي سبقت القرآن إذ محصلها في القرآن الكريم.  
 الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا : أي اخترنا المؤمنين من أمة محمد ﷺ .  
 فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ : بارتكاب الذنوب.  
 وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ : مؤدٍ للفرائض مجتنب للكبائر.  
 وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ : مؤدٍ للفرائض والنوافل مجتنب للكبائر والصغائر.  
 بِإِذْنِ اللَّهِ : أي بتوفيقه وهدايته.  
 ذَلِكَ : أي إيراثهم الكتاب. ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّتُونَ فِيهَا مِنْ  
 أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ﴿٣٣﴾ .  
 وَلَوْلَا : أي أساور من لؤلؤ مرصع بالذهب. ﴿وَلِبَاسُهَا فِيهَا حَرِيرٌ﴾ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ  
 عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٥﴾ .  
 الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ : أي الإقامة وهي: جنات عدن. ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ : أي تعب.  
 وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ : أي إعياء من التعب، وذلك لعدم التكليف فيها. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ  
 جَهَنَّمَ﴾ .

(١) الغريب: الشديد السواد ففي الكلام تقديم وتأخير؛ إذ المعنى ومن الجبال سود غرابيب؛ إذ العرب تقول  
 للأسود شديد السواد كلون الغراب أسود غريب.

لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا: أي بالموت فيموتوا ويستريحوا. ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾  
 كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣٦﴾: أي كذلك الجزاء نجزي كل كفور بنا وبآياتنا ولقائنا.  
 وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا: أي يصيحون بأعلى أصواتهم يطلبون الخروج منها يقولون: أي في عويلهم  
 وصرائحهم.

رَبَّنَا أَخْرِجْنَا: أي منها. ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾  
 أَوْلَمْ نُنْعِمْكُمْ مَا تُدْكِرُ فِيهِ مِنْ تَدْكُرٍ: أي وقتًا يتذكر فيه من تذكر.  
 وَحَاءَ كُمْ النَّذِيرُ: أي الرسول فلم تجيبوا وأصررتم على الشرك والمعاصي<sup>(١)</sup>. ﴿فَذُوقُوا فَمَا  
 لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾: أي بما في القلوب من إصرار على الكفر ولو عاش الكافر طوال  
 الحياة.

هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ: يخلف بعضكم بعضًا، والخلائف جمع خليفة وهو من يخلف غيره.  
 مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ: أي وبال كفره.  
 وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا: أي إلا غضبًا شديدًا عليهم من الله عز وجل.  
 وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾: أي في الآخرة إذ يخسرون أنفسهم وأهلهم يوم القيامة.  
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ: أي أخبروني.  
 شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ: أي تعبدون من غير الله وهي: الأصنام.  
 أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ: أي أخبروني ماذا خلقوا من الأرض أي: أي جزء منها خلقوه؟  
 أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ: أي أم لهم شركة في خلق السموات<sup>(٢)</sup>. ﴿أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ  
 مِّنْهُ﴾ ﴿٤٠﴾

بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤١﴾: أي باطلاً إذ قالوا: إنها آلهتنا تشفع لنا عند الله يوم  
 القيامة وتقر بنا إلى الله زلفى.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾: أي منعهما من الزوال.  
 وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ: أي ولو زالتا ما أمسكهما أحد من بعده لعجزه عن ذلك.  
 إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٢﴾: أي حلِيمًا لا يعجل بالعقوبة، غفورًا لمن ندم واستغفر.

(١) هل النذير القرآن أو الرسول ﷺ أو الشيب [على خلاف] وما في التفسير أصح.

(٢) الشرك اسم للنصيب المشترك به في ملك الشيء، والمعنى ألهم شرك مع الله في ملك السموات وتصريف  
 أحوالها كسير الكواكب وتعاقب الليل والنهار وتسخير الرياح وإنزال المطر.

(٣) أي ما آتينا هؤلاء المشركين كتابًا يبيح لهم الشرك ويأذن لهم فيه فهم لذلك على بينة بصحة الشرك، والجواب:  
 ومن أين لهم الكتاب الذي يبيح الشرك؟

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ: أي رسول.  
 لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِيحَىٰ الْأَمِّيَّةِ: أي اليهود والنصارى.  
 فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ: أي محمد ﷺ.  
 مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾: أي مجيئه إلا تباعدًا عن الهدى ونفرة منه.  
 أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ السَّيِّئِ: أي الشرك والمعاصي.  
 وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴿٤١﴾: أي ولا يحيط إلا بأهله العاملين له.  
 فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّنْتَ الْأُولَىٰ: أي سنة الله فيهم وهي: تعذيبهم بكفرهم وإصرارهم عليه (٢).  
 فَلَنْ نَجْدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا: أي فلا يبدل العذاب بغيره.  
 وَلَنْ نَجْدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾: أي تحويل العذاب عن مستحقه إلى غير مستحقه. ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.  
 وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً: أي وأهلكهم الله تعالى بتكذيبهم رسوله.  
 وَمَا كَانَتْ لَإِلَهِ أَنْ يُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ: أي ليسبقه ويفوته فلم يتمكن منه. ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.  
 إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ (٣): أي عليمًا بالأشياء كلها، قديرًا عليها كلها.  
 وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا: أي من الذنوب والمعاصي.  
 مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَِا مِنْ دَابَّةٍ: أي ظهر الأرض من دابة أي نسمة تدب على الأرض وهي: كل ذي روح (٤).  
 وَلَئِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى: أي يوم القيامة (٥).  
 فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾: فيحاسبهم ويجزيهم بحسب كسبهم خيرًا كان أو شرًا.



- (١) حاق به: أحاط والحوق الإحاطة روي أن كعبًا قال لابن عباس: إني أجد في التوراة: من حفر حفرة لأخيه وقع فيها. فقال ابن عباس فإني وجدت في القرآن ذلك قال وأين؟ قال: اقرأ ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ ومن أمثال العرب: «من حفر لأخيه جيبًا وقع فيه منكبًا» وجملة لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله تذييل لما سبق وتحمل موعظة.
- (٢) السنة: الطريقة، والجمع سنن.
- (٣) أي هب أنكم أقوى ممن كان قبلكم وأشد حيلة وتصرفًا في الحياة فإن الله تعالى لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وذلك لعلمه وقدرته، إذن فلا مهرب لكم منه إذا أراد إهلاككم.
- (٤) قال ابن مسعود: يريد جميع الحيوان مما دب ودرج قال قتادة: وقد فعل ذلك زمن نوح ﷺ، قال ابن جرير: هنا الناس وحدهم وهو كذلك.
- (٥) قال مقاتل: الأجل المسمى هو ما وعدهم في اللوح المحفوظ وقيل: هو يوم القيامة؛ ولا منافاة بين القولين إذ يوم القيامة مكتوب في اللوح المحفوظ.

## ٣٦ - سُورَةُ يَسِينَ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يس (١) : هذا أحد الحروف المقطعة يكتب هكذا يس، ويقرأ هكذا ياسين، والله أعلم بمراده به.

وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) : أي ذي الحكمة إذ وضع القرآن كل شيء في موضعه فهو لذلك حكيم ومحكم أيضًا بعجيب النظم وبديع المعاني.

إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) : أي يا محمد من جملة الرسل الذين أرسلناهم إلى أقوامهم.

عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤) : أي طريق مستقيم الذي هو الإسلام.

تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٥) : أي القرآن (١) تنزيل العزيز في انتقامه ممن كفر به، الرحيم بمن تاب إليه.

لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ : أي لم ينذر آباؤهم إذ لم يأتهم رسول من فترة طويلة.

فَهُمْ غَفَلُونَ (٦) : أي لا يدرون عاقبة ما هم فيه من الكفر والضلال، ولا يعرفون ما ينجيهم من ذلك وهو الإيمان وصالح الأعمال.

لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧) : أي وجب عليهم العذاب فلذا هم لا يؤمنون.

إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا : أي جعلنا أيديهم مشدودة إلى أعناقهم بالأغلال.

فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ : أي أيديهم مجموعة إلى أذقانهم، والأذقان: جمع ذقن وهو: مجمع اللحيين.

فَهُمْ مُقْمَحُونَ (٨) (٢) : أي رافعو رؤوسهم لا يستطيعون خفضها، فلذا هم لا يكسبون بأيديهم خيرًا، ولا يدعون برء وسهم إلى حق. ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ﴾.

فَأَعَشَيْنَاهُمُ فُجُورَهُمْ فَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ (٩) : أي جعلنا على أبصارهم غشاوة فهم لذلك لا يبصرون.

وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠) : أي استوى إنذارك لهم وعدمه في عدم إيمانهم.

إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ : أي القرآن.

(١) هذا على قراءة أهل المدينة وهي رفع (تنزيل) أما على قراءة النصب فالتقدير: اقرأ تنزيل العزيز الرحيم أو امدح التنزيل.

(٢) وجائز أن يكون هذا بيانًا لحالهم في النار يوم القيامة، ولكن ما في التفسير أولى وأحق والسياق يؤكد.



وَحَشِيَ الرَّحْمَنُ بِالْغَيْبِ فَبَشَّرَهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ : أي بالجنة دار النعيم والسلام.  
 إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى ﴿١﴾ : أي نحن رب العزة نحْيي الموتى للبعث والجزاء.  
 وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ : أي ما عملوه من خير وشر لنحاسبهم، وآثارهم أي خطاهم إلى  
 المساجد وما استن به أحد من بعدهم.

وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ : أي في اللوح المحفوظ.

وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا : أي واجعل لهم مثلاً.

أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ : أي أنطاكية عاصمة بلاد يقال لها العواصم بأرض الروم.

إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ : أي رسل عيسى ﷺ.

إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ : أي قوينا أمر الرسولين ودعوتهما برسول ثالث  
 وهو حبيب بن النجار. ﴿فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ  
 شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا عَلِّمْنَا لَنَا لِيَكُونَ لِكُلِّ مَرْسَلٍ ﴿١٦﴾﴾ .

وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ : أي التبليغ الظاهر البين بالأدلة الواضحة وهي: إبراء  
 الأكمة، والأبرص، والمريض، وإحياء الموتى (بإذن الله).

قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ : أي تشاء منا بكم وذلك لانقطاع المطر عنا بسببكم. ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا  
 لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ (٢).

قَالُوا طَهَّرْنَاكُمْ مَعَكُمْ : أي شؤمكم معكم وهو كفركم بربكم.

أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ : أي وعظمتم وخوفتم تطيرتم، وهذا توبيخ لهم.

بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ : أي متجاوزون للحد في الشرك والكفر.

وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ : أي من أقصا دور المدينة وهي أنطاكية العاصمة.

رَجُلٌ : أي جاء حبيب النجار صاحب يس.

يَسَعَى : أي يشتد مسرعاً لما بلغه أن أهل البلد عزموا على قتل رسل عيسى الثلاثة.

قَالَ يَتْلُوا آيَاتِ الْكِتَابِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٢٠﴾ : أي رسل عيسى ﷺ.

اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلِكُمْ أَجْرًا : اتبعوا من لا يطلبكم أجراً على إبلاغ دعوة الحق.

وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ : أي الرسل إنهم على هداية من ربهم ما هم بكذابين.

وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي : أي خلقتني. ﴿وَالَّذِي تَرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾ .

(١) قال ابن كثير ﷺ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾ : أي يوم القيامة، وفيه إشارة إلى أن الله تعالى يحيي قلب من شاء من الكفار، الذين قد ماتت قلوبهم بالضلالة، فيهديهم بعد ذلك إلى الحق كما قال تعالى بعد ذكر قسوة القلوب: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (قل).

(٢) لئن لم تنتهوا من دعوكم بأنكم رسل إلينا بترك آلهتنا لترجمنكم بالحجارة وليمسكنكم منا عذاب اليم.

ءَاتَخِذْ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً إِن يُرِدِنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ : أي بمرض ونحوه. ﴿لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا﴾

وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿١٣﴾ : أي مما أراد الله لي من ضر في جسمي وغيره.

إِنِّي إِذْ أَلْفَى ضَلَالِي مُبِينٍ ﴿١٤﴾ : أي إني إذا اتخذت من دون الله آلهة أعبدتها لفي ضلال مبين.

إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿١٥﴾ : أي صارع قومه بهذا القول وقتلوه.

قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ : قالت له الملائكة عند الموت: ادخل الجنة.

قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ : قال هذا لما شاهد مقعده في الجنة.

بِمَا غَفَر لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿١٧﴾ : وهو الإيمان والتوحيد والصبر على ذلك (١).

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ﴾ : أي على قوم حبيب بن النجار وهم أهل أنطاكية.

مِنْ بَعْدِهِ﴾ : أي من بعد موته.

مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ : أي من الملائكة لإهلاكهم.

وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿١٨﴾ : أي الملائكة لإهلاك الأمم التي استوجبت الهلاك.

إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً : أي ما هي إلا صيحة واحدة هي صيحة جبريل عليه السلام.

فَإِذَا هُمْ خَكَمِدُونَ ﴿١٩﴾ : أي ساكتون لا حراك لهم ميتون.

يَنْحَسِرُونَ عَلَى الْعِبَادِ (٢) : أي يا حسرة على العباد هذا أوان حضورك فاحضري وهذا غاية التألم،

والعباد هم: المكذبون للرسول الكافرون بتوحيد الله.

مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٠﴾ : هذا سبب التحسر عليهم.

الَّذِينَ كَفَرُوا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ : أي ألم ير أهل مكة المكذبون للرسول ﷺ. ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ

لَا يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٢١﴾

وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٢٢﴾ : أي وإن كل الخلائق إلا لدينا محضرون يوم القيامة

لحسابهم ومجازاتهم.

وَأَيُّ آيَةٍ لَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ الْمَيْتَةِ : أي على صحة البعث ووجوده لا محالة.

أَحْيَيْنَاهَا : بإنزال المطر عليها فأصبحت حية بالنبات والزرع. ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ

يَأْكُلُونَ﴾ ﴿٢٣﴾

وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ : أي بساتين. ﴿مَنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ ﴿٢٤﴾

لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ : أي لم تصنعه أيديهم وإنما هو صنع الله وخلقته.

(١) من المكرمين الملائكة والأنبياء والشهداء والصالحين.

(٢) الحسرة شدة الندم مشوبًا بتلهف على نفع فائت.

أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٥﴾: أي أفيدون هذه النعم ولا يشكرونها إنه موقف مخزٍ منهم.  
 سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا: أي تنزيها وتقديسا لله الذي خلق الأصناف كلها.  
 وَمِمَّا تُنْتِجُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ: أي الذكور والإناث.  
 وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾: من المخلوقات كالتي في السماء وتحت الأرضين.  
 وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ: وآية لهم على إمكان البعث الليل نسلخ منه النهار: أي نزيل  
 النهار عن الليل.

فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٢٧﴾: أي بالليل.  
 وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا: أي مكان لا تتجاوزه<sup>(١)</sup>.  
 ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢٨﴾: أي جريها في فلكها تقدير أي تقنين العزيز في ملكه، العليم بكل  
 خلقه.

وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ: وآية أخرى هي تقدير منازل القمر التي هي: ثمان وعشرون منزلة<sup>(٢)</sup>.  
 حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٢٩﴾: أي حتى رجع كعود العذق الذي أصله في النخلة وآخره في  
 الشماريخ، وهو أصفر دقيق مقوس كالقمر لما يكون في آخر الشهر.  
 لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ: أي لا يصح للشمس ولا يسهل عليها أن تدرك القمر  
 فيجتمعان في الليل.

وَلَا أَيْلُ سَابِقِ النَّهَارِ: أي بأن يأتي قبل انقضائه.  
 وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٠﴾: أي كل من الشمس والقمر والنجوم السيارة في فلك يسبحون أي  
 يسرون، والفلك: دائرة مستديرة كفلكة المغزل هو مجرى النيرين والكواكب السيارة<sup>(٣)</sup>.  
 وَآيَةٌ لَهُمْ: أي علامة لهم على قدرتنا على البعث.  
 أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ: أي ذريات قوم نوح الذين أهلكتناهم بالطوفان<sup>(٤)</sup>. نجينا ذرياتهم لأنهم

(١) لمستقر لها جائز أن يكون اللام بمعنى إلى وجائز أن يكون لام الصيرورة والمأل أي يصير أمرها فتؤول إلى  
 مستقرها، والمستقر مكان الاستقرار روى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ سأل أبا ذر حين غربت الشمس  
 «أتدري أين تذهب؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن  
 فيؤذن لها ويوشك أن تستأذن فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها: ارجعي من حيث جئت فتطلع في  
 مغربها فذلك قوله تعالى: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾».

(٢) جائز أن يكون قدرنا له منازل وهي ثمانية وعشرون منزلاً ينزل القمر كل ليلة بها بمنزلة وهي: السرطان...

(٣) لم يقل تسبح لأنه وصفها بوصف العقلاء يسبحون، أي يجرون وحيء بضمير الجمع وهما اثنان الشمس  
 والقمر لا غير لإفادة تعميم هذا الحكم فيشمّل الكواكب أيضاً.

(٤) لفظ الذرية أساساً يطلق على الأولاد وأطلق هنا على الآباء والأجداد؛ إذ الكل ذرية لآدم ﷺ، والمشحون  
 الموقر بما حمل فيه من سائر المخلوقات.

مؤمنون موحدون وأغرقنا آباءهم لأنهم مشركون.

فِي الْفُلِّكَ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ : أي في سفينة نوح المملوءة بالأزواج من كل صنف.

وَمَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ : أي من مثل فلك نوح. ﴿٤٢﴾ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ .

إِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ : أي مغيث ينجيهم فيكف صراخهم. ﴿٤٣﴾ وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ ﴿٤٣﴾ .

إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ : أي وتمتعاً لهم بالطعام والشراب إلى نهاية آجالهم (١).

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ : أي من عذاب الدنيا أي بالإيمان والاستقامة.

وَمَا خَلَفَكُمْ : أي من عذاب الآخرة إذا أصررتهم على الكفر والتكذيب. ﴿٤٥﴾ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ .

وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ : أي وما تأتيهم من آية أو من حجة من حجج القرآن وبينه

من بيناته الدالة على توحيد الله وصدق الرسول.

إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ : غير ملتفتين إليها ولا مباليين بها.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا : أي وإذا قال فقراء المؤمنين في مكة للأغنياء الكافرين: أنفقوا علينا.

مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ : أي من المال.

قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطِعِم مِّن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعَمَهُ : أي قالوا للمؤمنين استهزاء بهم:

أنطعم من لو يشاء الله أطعمه!؟

إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ : أي ما أنتم أيها الفقراء إلا في ضلال مبين في اعتقادكم الذي أنتم عليه.

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ : أي البعث الآخر إن كنتم صادقين فيه.

مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا الصَّيْحَةَ وَجَدَّةً : أي ما ينتظرون إلا صيحة واحدة وهي: نفخة إسرافيل.

تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ : أي تأخذهم الصيحة وهم يتخاصمون في البيع والشراء والأكل

والشرب إذ تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون.

فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً : أي فلا يقدر أحدهم أن يوصي وصية.

وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ : بل يهلكون في أماكنهم من الأسواق والمزارع والمصانع أو

المقاهي والملاهي.

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ : أي القبور.

إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾ : أي يخرجون بسرعة.

قَالُوا ابْتُلِينَا مِنْ بَعَثْنَا مِنْ مَّرْقَبًا : أي قال الكفار: من بعثنا من قبورنا؟

هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ : أي هذا ما وعد به الرحمن (٢).

(١) الاستثناء منقطع فهو بمعنى لكن؛ لأن الرحمة ليست من جنس المستثنى منه وهو الصريح.

(٢) جائز أن يكون ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ إلخ من كلامهم لما يجدون أنفسهم واقفين أحياء قد خرجوا من قبورهم

صرحوا بالحقيقة التي كان يكذبون بها فاعترفوا قائلين: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿٥١﴾ .

وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ : أي فيما أخبروا. ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَجِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ فَأَلْيَوْمَ لَا تظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُخْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ .

إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ ﴿٥٥﴾ : أي أهل الجنة في شغل عما فيه أهل النار من عذاب وشقاء، وشغلهم الشاغل لهم هو النعيم المقيم في دار السلام.

فَنَكِهُونَ : أي ناعمون بالتلذذ بالنعيم وذلك لطيب العيش. ﴿هُم وَأَزْوَاجُهُمْ﴾ .

فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرْبَابِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾ : أي على الأسرة ذات الحجلة.

لَهُمْ فِيهَا فَكِكِهَةٌ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ : أي ما يتمنون ويطلبون.

سَلَّمَ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ : أي سلام بالقول من رب رحيم أي يسلم عليهم ربهم سبحانه

وتعالى.

وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ : أي انفردوا عن المؤمنين وانحازوا على جهة وسيروا أيها

الصالحون إلى الجنة.

﴿أَلَمْ نَعْهَدْ إِلَيْكُمْ بِنَبِيِّ عَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ : أي ألم أوصكم بترك عبادة الشيطان وهي

طاعته. ﴿إِنَّهُ لَكُرْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ﴿٦٠﴾ .

وَأَنْ أَعْبُدُونِي : أي وبأن تعبدوني وحدي وذلك في كتيبي وعلى السنة رسلي.

هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ : أي بترك عبادة الشيطان والقيام بطاعة الرحمن هو الإسلام الموصل

إلى دار السلام.

وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا : أي ولقد أضل الشيطان منكم يا بني آدم خلقًا كثيرًا.

أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ : أي أظعموه فلم تكونوا تعقلون عداوته لكم.

هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ : أي تقول لهم الملائكة هذه جهنم.. إلخ. ﴿أَضَلُّوْهَا الْيَوْمَ

بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ﴿٦٤﴾ .

الْيَوْمَ نَحْنُ عَلَى آفْوِهِمْ : أي عندما يقولون: والله ربنا ما كنا مشركين. ﴿وَوَكَلِمْنَا أَيْدِيَهُمْ وَنَشَدُّ

أَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٦٥﴾ .

وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ : أي ولو أردنا طمس أعين هؤلاء المشركين المجرمين لफलنا،

ولكننا لم نشأ ذلك رحمة منا.

فَأَسْتَبِقُوا الصِّرَاطَ فَإِنَّ بُصُرَهُمْ ﴿٦٦﴾ : أي فابتدروا الطريق كعادتهم فكيف يبصرون.

وجائز أن يقال لهم كما في التفسير. فإن قلنا بالقول الأول لا يصح الوقف على ﴿مِنْ مَرْقَدِنَا﴾، وإن قلنا بالقول المثبت في التفسير صح الوقف، ويصبح ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ كلامًا مستأنفًا.

وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ : أي بدلنا خلقهم حجارة أو قردة أو خنازير في أمكنتهم التي هم فيها فلا يستطيعون مضياً ولا يرجعون. وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ : أي ومن نطل عمره ننكسه في الخلق فيكون بعد قوته ضعيفاً عاجزاً.

أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ : أي أن القادر على ما ذكرنا لكم قادر على بعثكم بعد موتكم، فتؤمنون وتوحدون، فتنجون من العذاب وتسعدون.

وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ : أي وما علمنا رسولنا محمداً ﷺ الشعر فما هو بشاعر.

وَمَا يَنْبَغِي لَهُ : أي وما يصلح له ولا يصح منه.

إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ : أي ليس كما يقول المشركون من أن القرآن شعر ما هو أي القرآن الذي يقرأ محمد ﷺ إلا ذكر، أي عظة وقرآن مبين لا يشك من يسمعه أنه ليس بشعر؛ لما يظهر من الحقائق العلمية.

يُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا : أي يعقل ما يخاطب به وهم المؤمنون.

وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ : أي ويحق القول بالعذاب على الكافرين؛ لأنهم ميتون لا يقبلون النذارة.

أَوْ لَعَبْرُوا أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا : الأنعام هي الإبل والبقر والغنم. ﴿فَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ

﴿٧١﴾

وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ : أي سخرناها لهم وجعلناها قاهرين لها يتصرفون فيها.

فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ : أي من بعضها يركبون وهي: الإبل، ومنها يأكلون أي ومن جميعها يأكلون.

وَهُمْ فِيهَا مُنْتَفِعُونَ وَمَشَارِبٌ : المنافع كالصوف والوبر والشعر، والمشارب الألبان.

أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ : أي يوبخهم على عدم شكرهم الله تعالى هذه النعم بالإيمان والطاعة. وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ : أي أصناماً يعبدونها زعمًا منهم أنها تنصرهم بشفاعتها لهم عند الله.

لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ : أي لا تقدر تلك الأصنام على نصرهم بدفع العذاب عنهم.

وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحَضَّرُونَ ﴿٧٥﴾ : أي لا يقدر على نصرتهم والحال أنهم أي المشركين جند محضرون لتلك الآلهة ينصرونها من أن يمسخها أحد بسوء، فبدل أن تنصرهم هم ينصرونها كجند معبئين لنصرتها.

فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ : أي إنك لست مرسلًا وإنك شاعر وكاهن ومفتر.

إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ : أي إنهم ما يقولون ذلك إلا حسداً وهم يعلمون أنك رسول الله وما جئت به هو الحق وسوف نجزيهم بتكذيبهم لك وكفرهم بنا وبلقائنا وديننا الحق.  
 أَوْلَتِ بَرَآئِنَ الْإِنْسَانِ : أي المنكر للبعث كالعاص بن وائل السهمي وأبي بن خلف.  
 أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ : أي من مني إلى أن صيرناه رجلاً قوياً.  
 فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ : أي شديد الخصومة بينها في نفي البعث.  
 وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا : أي في ذلك، إذ أخذ عظماً وفته أمام رسول الله ﷺ وقال أيحي ربك هذا؟  
 وَنَسِيَ خَلْقَهُ : أي وإنه مخلوق من ماء مهين وأصبح رجلاً يخاصم، فالقادر على الخلق الأول قادر على الثاني.

قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ : أي قد رمت وبليت. ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾  
 الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا : أي من شجر المرخ والعفار يحك أحدهما على الآخر فتشتعل النار. ﴿فَإِذَا أَنْشَمْتَهُ تُوْقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾  
 بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ : أي مثل الأناسي.  
 بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ : أي قادر على ذلك إذ خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس.

إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا : أي خلق شيء وإيجاده. ﴿أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾  
 فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ : أي ملك كل شيء، زيدت التاء للمبالغة في كبر الملك واتساعه.

وَالَّذِينَ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ : أي تردون بعد الموت وذلك في الآخرة.







**الباب السادس  
من سورة الصافات  
حتى سورة الحجرات**



## ٣٧ - سُورَةُ الصَّافَّاتِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ① : أي الملائكة تصف أنفسها في الصلاة وأجنتها في الهواء.
- فَالزَّجْرَتِ زَجْرًا ② : أي الملائكة تزجر السحاب أي تسوقه حيث يأذن الله.
- فَالنَّازِلَاتِ ذِكْرًا ③ : أي فالجماعات التاليات للقرآن ذكراً.
- إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ④ : أي إن إلهكم المعبود الحق لكم أيها الناس لواحد.
- رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا : أي هو رب السموات والأرض وما بينهما، أي خالقهما ومالكهما ومدبر الأمر فيهما.
- وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ⑤ : أي والمغرب وهي مشارق الشمس ومغربها إذ للشمس كل يوم مشرق ومغرب. ﴿ إِنَّا رَبُّنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بَرِيَّةَ الْكَوَاكِبِ ⑥ ﴾ .
- وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ⑦ : أي وحفظناها حفظاً من كل شيطان مارد خارج عن الطاعة.
- لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى : أي لا يستمعون إلى الملائكة في السموات العليا.
- وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ⑧ : يرمون بالشهب من كل جوانب السماء.
- دُخُورًا : أي إبعاداً لهم.
- وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ⑨ : أي دائم لا يفارقهم.
- إِلَّا مَنْ حِطَّ الْحِطْفَةَ : أي اختطف الكلمة من الملائكة بسرعة وهرب.
- فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ⑩ : أي كوكب مضيء ثاقب يثقبه أو يحرقه أو يخلبه أي يفسده.
- فَأَسْتَفْهِمُ : أي استخبر كفار مكة تقريراً وتوبيخاً.
- أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنِ خَلَقْنَا : أي خلقهم من ذواتهم وإعادتهم بعد موتهم، أم من خلق تعالى من الملائكة والسموات والأرض وما فيها من سائر المخلوقات.
- إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ⑪ : أي يلصق باليد.
- بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ⑫ : أي عجبت يا نبي الله من إنكارهم للبعث وهم يسخرون من دعوتك إلى الإيمان به.
- وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ⑬ : أي إذا وعظوا لا يتعظون.
- وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ ⑭ : أي إذا رأوا حجة من الحجج التي تحمل الآيات القرآنية تقرر البعث والتوحيد والنبوة يسخرون: أي يستهزئون. ﴿ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ⑮ ﴾ أَوَءَاؤُنَا وَمِنَّا نُرَابِا وَعَظْمًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ⑯ ﴾ أَوَءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ⑰ ﴾ .

قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَخِرُونَ ﴿١٨﴾: أي قل لهم يا رسولنا: نعم تبعثون وأنتم صاغرون أذلاء. فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ: أي صيحة تزجرهم وهي نفخة إسرافيل في الصور النفخة الثانية. ﴿فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ ﴿١٩﴾.

وَقَالُوا يَا بُولَاقَ هَذَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿٢٠﴾: أي يوم الحساب والجزاء. ﴿هَذَا يَوْمَ الْفَصْلِ الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَكْذِيبُكُمْ﴾ ﴿٢١﴾.

﴿أَحْسَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أي أنفسهم بالشرك والمعاصي.

وَأَزْوَاجَهُمْ: أي قرنائهم من الشياطين. ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ ﴿٢٢﴾.

مِنْ دُونِ اللَّهِ: أي من غير الله من الأوثان والأصنام.

فَأَهْدُوهُمْ: أي دلوهم وسوقوهم.

إِلَى صِرَاطٍ الْحَنِيمِ ﴿٢٣﴾: أي إلى طريق النار.

وَقَفَّوهُمْ إِيَّاهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾: أي احبسوهم عند الصراط إنهم مسئولون عن جميع أقوالهم

وأفعالهم.

مَالِكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾: أي ما لكم لا ينصر بعضكم بعضًا كما كنتم في الدنيا توبيخًا لهم. ﴿بَلْ هُمْ

الْيَوْمَ مُسْتَسْئِلُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾.

قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾: أي عن يمين أحدنا تزينون له الباطل، وتحسنون له الشر

فتأمرونه. ﴿٢٩﴾.

قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣٠﴾: أي قال قرنائهم من الجن ردًا عليهم بل لم تكونوا أساسًا

مؤمنين.

وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ: أي من حجة ولا قوة على حملكم على الشرك والشر والباطل.

بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾: أي بل كنتم طغاة ظلمة تعبدون غير الله تعالى وتجبرون الناس على

ذلك.

فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا: أي وجب علينا العذاب.

(١) جائز أن يكون ﴿هَذَا يَوْمَ الْفَصْلِ الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَكْذِيبُكُمْ﴾ من قول الله تعالى والملائكة لهم، وجائز أن يكون من قول بعضهم لبعض.

(٢) وفسر أزواجهم أيضًا بأشباعهم وقرنائهم وهم من الجن وما في التفسير أولى.

(٣) اضطرب أهل التفسير في تفسير ﴿تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ وأقوالهم متضاربة: فمنهم من قال: تأتوننا عن طريق الخير وتصدوننا عنها قاله قتادة، ومنهم من قال: ﴿الْيَمِينِ﴾؛ بمعنى: القوة أي تمنعوننا بقوة وغلبة وقهر وهذا ينسجم مع السياق، وما في التفسير شامل لهذه الأقوال إذ معناه أنكم تأتوننا من كل جهة تحاولون إغواءنا وإضلالنا.

إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ : أي العذاب نحن وأنتم.  
 فَأَعْوَبْتَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِبِينَ ﴿٣٢﴾ : أي أضللناكم إنا كنا ضالين.  
 فَأَتَتْهُمْ يَوْمَئِذٍ : أي يوم القيامة.  
 فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ : لأنهم كانوا في الغواية مشتركين.  
 إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ : كما عذبنا هؤلاء التابعين والمتبوعين نعذب التابعين  
 والمتبوعين في كل ضلال وكفر وفساد.  
 إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ : أي إن أولئك المشركين من عبدة الأوثان إذا قال لهم الرسول.  
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ : أي قولوا: لا إله إلا الله ولا تعبدوا إلا الله يستكبرون ولا يقولون  
 ولا يوحدون.

وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَأْكُلُ إِلَّا مَا آتَيْنَا لَنَا مِن قَبْلِهِ وَإِنَّا لَنَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ قَد عَلِمْنَا مَا لَمْ يَكُن لَّآبَاءُكُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٣٦﴾ : يعنون محمداً ﷺ.  
 بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ : أي بل جاء به «لا إله إلا الله» وهو الحق الذي جاءت به الرسل  
 وقد صدقهم فيما جاءوا به من قبله وهو التوحيد. ﴿إِنكُم لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ .  
 وَمَا تُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ : أي إلا جزاء ما كنتم تعملونه من الشرك والمعاصي.  
 إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ : أي لكن عباد الله المخلصين أي العبادة لله وحده، فإنهم يجزون  
 بأكثر أعمالهم إذ الحسنه بعشر أمثالها وأكثر.  
 أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ : أي في الجنة بكرة وعشياً.  
 فَوَاكِهِ : أي طعامهم وشرابهم فيها للتلذذ به كما يتلذذ بالفواكه؛ فليس هو لحفظ أجسامهم حية  
 كما في الدنيا.

وَهُمْ مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ : أي لا تلحقهم فيها إهانة بل يقال لهم هنيئاً، بخلاف أهل النار يقال لهم:  
 ذوقوا عذاب النار بما كنتم تعملون.

﴿فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾﴾ .  
 يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ : أي يجري على وجه الأرض كعيون الماء الجارية على  
 الأرض.

بِضَاءٍ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ : أي الخمرة موصوفة بأنها لذة للشاربين.  
 لَا فِيهَا غَوْلٌ : أي ما يغتال عقولهم وأجسامهم فيهلكهم.  
 وَلَا هُمْ عَنْهَا يُزْفَوْنَ ﴿٤٧﴾ : أي لا يسكرون عنها أي بسببها كما هي خمر الدنيا.  
 وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتُ الْظَّرْفِ : أي لا ينظرون إلى غير أزواجهن لحسنهم وجمالهم عندهم.  
 عَيْنٌ ﴿٤٨﴾ : أي واسعات الأعين، الواحدة عيناء.  
 كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ : أي كأنهن بيض مكنون أي مستور لا يصله غبار ولا غيره.

فَأَقْبَل بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ : أي أقبل أهل الجنة.

يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ : أي عما مر بهم في الدنيا وما جرى لهم فيها.

قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي صَاحِبٌ يَنْكَرُ الْبَعْثَ الْآخَرَ.

يَقُولُ أَهِنَّكَ لِمَنِ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥١﴾ : أي يقول تبكيئنا لي وتوبييخا أي بالبعث والجزاء. ﴿أَهَذَا مِنَّا وَكُنَّا

تُرَابًا وَعِظْمًا﴾.

أَمْ نَأْتِيكُم بِغُتَابٍ مِّن مَّا تُكْفِرُونَ ﴿٥٢﴾ : أي محاسبون ومجزيون بأعمالنا في الدنيا إنكارًا وتكذيبًا.

قَالَ هَلْ أُنْتُمْ مُّظْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ : أي معي إلى النار لتنظر حاله وما هو فيه من العذاب.

فَأَطَّلَعَ فِرْعَوْنُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٤﴾ : أي في وسط النار.

قَالَ تَاللَّهِ إِن كُنتَ لَتَرُدِينِ ﴿٥٥﴾ : أي قال هذا تسميتًا به، ومعنى تردين: تهلكني.

وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٦﴾ : أي المسوقين إلى جهنم المحضرين فيها.

أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ ﴿٥٧﴾ : أمخلدون فما نحن بمبتلين، والاستفهام للتقرير أي نعم.

إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى : التي ماتوها في الدنيا. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٩﴾.

لِيُثَلَّ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦٠﴾ : أي لمثل هذا النعيم من الخلود في الجنة والنعم فيها فليعمل

العاملون، وذلك بكثرة الصالحات واجتناب السيئات.

أَذَلِكَ خَيْرٌ تُرْزَلًا : أي ذلك المذكور لأهل الجنة خير نزلًا وهو ما يعد للنازل من ضيف وغيره.

أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦١﴾ : المعدة لأهل النار وهي من أخبث الشجر طعمًا ومرارة.

إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٢﴾ : أي امتحانًا واختبارًا لهم في الدنيا وعذابًا لهم في الآخرة.

إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٣﴾ : أي في قعر الجحيم وأغصانها في دركاتنا.

طَلَعَهَا كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٤﴾ : أي ما يطلع من ثمرها أولًا كالحيات القبيحة المنظر. ﴿فَأَيُّهُمْ

لَا يَكُونُ مِنْهَا قَمَاتُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٥﴾.

ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٦﴾ : أي بعد أكلها يسقون ماء حميمًا فذلك الشوب أي الخلط.

ثُمَّ إِنَّ مَرِجَهُمْ إِلَّا إِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٧﴾.

إِنَّهُمْ الْفَوَاءُ أَبَاءُ هُمْ ضَالِينَ ﴿٦٨﴾ : أي وجدوا آباءهم ضالين.

فَهُمْ عَلَى آثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٦٩﴾ : أي يسرعون مندفعين إلى أتباعهم بدون فكر ولا زوية. ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ

قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ ﴿٧٠﴾.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّنذِرِينَ ﴿٧١﴾ : أي رسلاً منذرين لهم من العذاب.

فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٢﴾ : إنها كانت عذابًا أليمًا لإصرارهم على الكفر.

إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٣﴾ : فإنهم نجوا من العذاب ولم يهلكوا.

وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا : أَي قَالَ : إِنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ مِنْ سُورَةِ الْقَمَرِ <sup>(١)</sup> .  
 فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ <sup>(٧٥)</sup> : أَي لَهُ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَكْنَا الْكَافِرِينَ مِنْ قَوْمِهِ .  
 وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ <sup>(٧٦)</sup> : أَي عَذَابِ الْغُرُقِ بِالطُّوفَانِ .  
 وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرًّا بَاقِيْنَ <sup>(٧٧)</sup> : إِذْ عَامَةَ النَّاسِ كَانُوا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ سَامٌ ، وَحَامٌ ، وَيَافِثٌ .  
 وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ <sup>(٧٨)</sup> : أَي أَبَقِينَا عَلَيْهِ ثَنَاءً حَسَنًا عِنْدَ سَائِرِ الْأُمَمِ وَالشُّعُوبِ .  
 سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ <sup>(٧٩)</sup> : أَي سَلَامٌ مَنَا عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ أَي فِي النَّاسِ أَجْمَعِينَ .  
 إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ <sup>(٨٠)</sup> : أَي كَمَا جَزَيْنَا نُوحًا بِالذِّكْرِ الْحَسَنِ وَالسَّلَامِ فِي الْعَالَمِينَ نَجْزِي  
 الْمُحْسِنِينَ . ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ <sup>(٨١)</sup> .

ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ <sup>(٨٢)</sup> : أَي كَفَرًا قَوْمَهُ الْمُشْرِكِينَ بَعْدَ إِجْنَاءِ الْمُؤْمِنِينَ فِي السَّفِينَةِ .  
 ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾ <sup>(٨٣)</sup> : وَإِنَّ مِنْ أَشْيَاعِ نُوحٍ عَلَى مِلَّتِهِ وَمِنْهَا جَاهُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ

ﷺ .

إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ <sup>(٨٤)</sup> : أَي أَتَى رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ مِنَ الشُّرْكِ وَالشُّكِّ وَالِالْتِفَاتِ إِلَى غَيْرِ  
 الرَّبِّ ﷻ .

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ <sup>(٨٥)</sup> : أَي حِينَ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ الْمُشْرِكِينَ أَي شَيْءَ تَعْبُدُونَ ؟  
 أَفِيكَاءَ آلِهَةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ <sup>(٨٦)</sup> : أَي كَذِبًا هُوَ أَسْوَأُ الْكُذْبِ تَرِيدُونَ آلِهَةً غَيْرَ اللَّهِ .  
 فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ <sup>(٨٧)</sup> : أَي شَيْءَ هُوَ ؟ أَتُرُونَ أَنَّهُ لَا يَسْخَطُ عَلَيْكُمْ وَلَا يَعَاقِبُكُمْ فَتَعْبُدُونَ  
 غَيْرَهُ وَهُوَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ الْعَالَمِينَ .

فَنظَرَنظَرَةً فِي النُّجُومِ <sup>(٨٨)</sup> : أَي إِيْهَا مَا لَهُمْ إِذْ كَانُوا يُؤْلَهُونَ النُّجُومَ .  
 فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ <sup>(٨٩)</sup> : أَي عَلِيلٌ ذُو سَقَمٍ وَهُوَ الْمَرَضُ وَالْعَلَّةُ .  
 فَنوَلُّوْا عَنَّهُ مُدْبِرِينَ <sup>(٩٠)</sup> : أَي رَجَعُوا إِلَى مَا هُمْ فِيهِ وَتَرَكُوهُ قَابِلِينَ عَذْرَهُ .  
 فَرَاغَ إِلَى الْعَهْنِ : أَي مَالٍ إِلَيْهَا خَفِيَّةٌ . ﴿ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ <sup>(٩١)</sup> مَالَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿ <sup>(٩٢)</sup> .  
 فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَرْبًا يَأْتِيَنِ : أَي بِقُوَّةٍ يَمِينَةٍ فَكَسَرَهَا بِفَأْسٍ وَحَطَمَهَا .  
 فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْفُونَ <sup>(٩٣)</sup> : أَي يَمْشُونَ بِقُوَّةٍ وَسُرْعَةٍ .  
 قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ <sup>(٩٤)</sup> : أَي مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَخْشَابِ وَالْمِعَادِنِ كَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ .  
 وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ <sup>(٩٥)</sup> : أَي وَخَلَقَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ أَصْنَامٍ وَكُوَاكِبٍ .  
 قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ <sup>(٩٦)</sup> : وَامْلُئُوهُ حَطْبًا وَأَضْرَمُوا فِيهِ النَّارَ فَإِذَا التَّهَبَ فَأَلْقُوهُ فِيهِ .  
 فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ <sup>(٩٧)</sup> : أَي الْمَقْهُورِينَ الْخَائِبِينَ فِي كَيْدِهِمْ إِذْ نَجَّى اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ .

(١) نص الآية: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴾ .

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿١٠٩﴾ : أي إني مهاجر إلىٰ ربي سيهدين إلىٰ مكان أعبد فيه فلا أمتنع فيه من عبادته.

رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٠﴾ : أي ولدًا من الصالحين.

فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١١١﴾ : أي ذي حلم وصبر كثير يولد له.

فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ : أي بلغ من العمر ما أصبح يقدر علىٰ العمل كسبع سنين فأكثر. ﴿فَقَالَ يَبْنَؤُ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾

فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۗ : أي من الرأي الرشد. ﴿قَالَ يَا بَنِيَّ أَفَعَلَ مَا تَأْمُرُ﴾

سَجِدْنِيٰ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١١٢﴾ : أي علىٰ الذبح الذي أمرت به.

فَلَمَّا أَسْلَمَا : أي خضعا لأمر الله الولد والوالد، وانقادا له.

وَعَلَّهُ لَلْجَبِينِ ﴿١١٣﴾ : أي صرعه علىٰ جبينه بأن وضع جبينه علىٰ الأرض، ولكل إنسان جبينان

أيمن وأيسر والجبهة بينهما. ﴿وَوَدَّيْتَهُ أَنْ يَبَرَّهُمَا﴾ ﴿١١٤﴾

قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا : أي بما عازمت عليه وفعلته من الخروج بالولد إلىٰ منىٰ، وصرعه علىٰ

الأرض، وإمرار السكين علىٰ حلقه. ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١١٥﴾

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ ﴿١١٦﴾ : أي الأمر بالذبح اختبار عظيم.

وَوَدَّيْتَهُ بِذَنبٍ عَظِيمٍ ﴿١١٧﴾ : أي كبش كبير.

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٨﴾ : أي أبقينا عليه ثناء وذكرًا حسنًا فيمن جاء بعده من الناس. ﴿سَلَّمَ

عَلَىٰ إِزْرِهِمْ﴾ ﴿١١٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ

﴿١٢٢﴾

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ : أي وباركنا عليه بتكثير ذريته وذرية إسحاق حتىٰ إن عامة الأنبياء من

ذريتهما. ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ ﴿١٢٣﴾

وَلَقَدْ مَنَعْنَا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ : أي بالنبوة والرسالة.

وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا : أي بني إسرائيل.

مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٤﴾ : أي استعباد فرعون إياهم واضطهاده لهم.

وَنَصَّرْنَاهُمْ : علىٰ فرعون وجنوده. ﴿فَكَانُوا هُمُ الْعَلِيلِينَ﴾ ﴿١٢٥﴾

وَأَيُّنَّهُمَا أَلْكَتَبَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٢٦﴾ : أي التوراة، الموضح الأحكام والشرائع (١)

وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٢٧﴾ : أي الإسلام لله رب العالمين.

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٨﴾ : أي أبقينا عليهما في الآخريين ثناء حسنًا.

(١) موسى أوتي الكتاب أصالة وهارون بالتبعية لأخيه موسى ﷺ.



سَلَّمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ : أي سلام منا على موسى وهارون.  
 إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ : أي كما جزيناها نجزى المحسنين من عبادنا  
 المؤمنين.

إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ : أي جزيناها بما جزيناها به لإيمانها.  
 وَإِنَّ إِيَّاسَ لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ : إياس هو أحد أنبياء بني إسرائيل من سبط هارون، أرسله الله  
 تعالى إلى أهل مدينة بعلبك بالشام. ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ .  
 أَدْعُونَ بَعْلًا : أي صنما يسمى بعلًا.

وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴿١٢٥﴾ : أي وتتركون عبادة الله أحسن الخالقين.  
 اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ .  
 فَكَذَّبُوهُ فَأْتَهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ : أي في النار.  
 إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ : أي فإنهم نجوا من النار.  
 وَرَكَعًا عَلَيْهِ فِي الْأَخْرَبِ ﴿١٢٩﴾ : أي أبقينا عليه في الآخرين ذكرًا حسنًا.  
 سَلَّمَ عَلَىٰ إِيَّاسَ ﴿١٣٠﴾ : أي سلام منا على إياس. ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا  
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ .

وَإِنَّ لُوطًا لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ : أي وإن لوطًا وهو ابن هاران أخي إبراهيم الخليل لمن جملة  
 الرسل أيضًا.  
 إِذْ جَاءَتْهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ : أي اذكر يا رسولنا ممن أنعمنا عليهم بالنبوة والرسالة لوطًا إذ  
 نجيناه وأهله أجمعين من عذاب مطر السوء.

إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ : أي إلا امرأته الكافرة أهلكت في الغابرين: أي الباقين في العذاب.  
 ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرَبَ ﴿١٣٦﴾ : أي أهلكنا الآخرين ممن عدا لوطًا والمؤمنين معه.  
 وَإِنَّا لَنُرَوِّعُهُمْ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ : أي في أسفاركم إلى فلسطين وغزة ومصر بالليل  
 والنهار.

أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ : أي يا أهل مكة ما حل بهم فتعتبرون وتتعضون فتؤمنوا وتوحدوا.  
 وَإِنَّ يُوسُفَ لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ : أي وإن يونس بن متى الملقب بذي النون لمن جملة المرسلين.  
 إِذْ أَتَىٰ إِلَىٰ الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ : أي إذ هرب إلى السفينة المملوءة بالركاب.  
 فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ : أي اقترع مع ركاب السفينة فكان من المغلوبين.  
 فَالْقَمْحُ الْحَوْثُ وَهُوَ مِلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ : أي ابتلعه الحوت وهو آت بما يلام عليه. ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ ﴿١٤٣﴾﴾ .  
 كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ : أي المكثرين من الصلاة والذكر والدعاء والتسبيح قبل البلاء.  
 لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ : أي لكان بطن الحوت قبرًا له إلى يوم القيامة.

﴿ فَبَدَدَتْهُ بِالْعِزَّةِ ﴾ : أي فألقيناه من بطن الحوت بالعراء أي بوجه الأرض بالساحل.  
 وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ : أي عليل كالفرخ الممتوف الريش.  
 وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ : أي الدباء: القرع.  
 وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ : أي أرسلناه إلى مائة ألف نسمة بل يزيدون بكذا ألف.  
 فَجَاءُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ : أي فأمن قومه عند معاينة أمارات العذاب فأبقاهم الله إلى  
 آجالهم.

فَأَسْتَفْتِيهِمْ : أي استخبر كفار مكة توبيخاً لهم وتقريعاً.  
 أَلَيْسَ لَكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ : أي فيختصون بالأفضل الأشرف. ﴿ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ  
 إِنْسَانًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴾ ﴿١٥٠﴾ .  
 أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ : من إفكهم ليقولون. ﴿ وَوَلَدَ اللَّهُ ﴾ : أي لقولهم: الملائكة بنات  
 الله. ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ ﴿١٥٢﴾ .

أَصْطَفَىٰ الْبَنَاتِ عَلَىٰ الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ : أي اختار البنات على البنين. ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ ﴿١٥٤﴾ <sup>(١)</sup> .  
 أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ : أي أن الله تعالى منزه عن الصاحبة والولد.  
 أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ : أي ألكم حجة واضحة على صحة ما تدعون..  
 فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ : أي الذي تحتجون بما فيه، ومن أين لكم كتاب؟ ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿١٥٧﴾ .  
 وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجَابًا : إذ قالوا: الملائكة بنات الله.  
 وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ : أي في العذاب.  
 سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ : أي تنزيهاً لله تعالى عما يصفونه به من كون الملائكة بنات له.  
 إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ : أي فإنهم يتزهون ربهم ولا يصفونه بالنقائص كهؤلاء المشركين.  
 فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ : أي من الأصنام. ﴿ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاعِلِينَ ﴾ ﴿١٦٢﴾ <sup>(٢)</sup> .  
 إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ : أي مقدر له عذاب النار.  
 وَمَا مِمَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ : أي مكان في السماء يعبد الله تعالى فيه لا يتعداه.  
 وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ : أي أقدامنا في الصلاة.  
 وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ : أي المنزهون الله تعالى عما لا يليق به.  
 وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ : أي كفار مكة.

(١) والمعنى أي شيء حصل لكم؟

(٢) ما أنتم بمضلين أحداً إلا أحداً هو صال الجحيم.

لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذَكَرًا مِنَ الْأُولِينَ ﴿١٦٨﴾: أي كتابًا من كتب الأمم السابقة. ﴿لَكَانَ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ ﴿١٦٩﴾. فكَفَرُوا بِهِ: أي بالكتاب الذي جاءهم وهو القرآن.

فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾: أي عاقبة كفرهم إن لم يتوبوا فيؤمنوا ويوحّدوا.

وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا: هي قوله تعالى: ﴿لَا غَلْبَ لَكَ أَنَا وَرُسُلِي﴾. ﴿لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُتَّصِرُونَ ﴿١٧٢﴾.

وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْعَلِيُونَ ﴿١٧٣﴾: أي للكافرين بالحجة والنصرة.

فَنُؤَلِّعُ عَنْهُمْ جَحِيمَ ﴿١٧٤﴾: أي أعرض عنهم حتى تؤمر فيهم بالقتال <sup>(١)</sup>.

وَأَبْصِرْهُمْ: أي أنظرهم. ﴿فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ﴾ ﴿١٧٥﴾ أَفَعِدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾.

فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِبِهِمُ: أي العذاب. ﴿فَسَاءَ صَبَاحَ الْمُنذَرِينَ﴾ ﴿١٧٧﴾.

وَنُؤَلِّعُ عَنْهُمْ جَحِيمَ ﴿١٧٨﴾: أي أعرض عنهم. وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ ﴿١٧٩﴾.

سُبْحَانَ رَبِّكَ: أي تنزيهاً لربك يا محمد. ﴿رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾: أي تنزيهاً له عما يصفه به هؤلاء المشركون من الصاحبة والولد والشريك.

وَسَلَّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾: أي أمنة من الله لهم في الدنيا والآخرة.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾: أي الثناء بالجميل خالص لله رب الثقلين الإنس والجن على نصر أوليائه وإهلاك أعدائه.



(١) كإذن له ﷺ بجهادهم، وجائز أن يكون حتى يجيء أجلهم، أو يأتي يوم بدر أو الفتح.

## ٣٨ - سُورَةُ صَّٰحٰتٍ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَّ : هذا أحد الحروف المقطعة يكتب [ص] ويقرأ صاد، الله أعلم بمراده به.  
 وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ : أي أقسم بالقرآن ذي الذكر إذ به يذكر الله تعالى، ما الأمر كما يقول هؤلاء الكافرون من أن النبي ساحر، وشاعر، وكاذب<sup>(١)</sup>.  
 بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ : أي أهل مكة في عزة نفس وشقاق مع النبي والمؤمنين وعداوة؛ فلذا قالوا في الرسول ما قالوا، وإلا فهم يعلمون براءته مما قالوا فيه.  
 كَرَّ أَهْلُكُمَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ : أي كثيرًا من الأمم الماضية أهلكناهم.  
 فَتَادُوا وَأَوَّلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ : أي صرخوا واستغاثوا وليس الوقت وقت مهرب ولا نجاة.  
 وَيَعْبَهُمْ أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ : أي وما اعتبر أهل مكة وعجبوا أن جاءهم منذر منهم محمد ﷺ.  
 وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هٰذَا سِحْرٌ كَذٰبٌ ﴿٤﴾ : أي لما يظهره من الخوارق، ولما يسنده إلى الله تعالى من الإرسال والإنزال.

أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا : أي لما قال لهم قولوا: لا إله إلا الله، قالوا: كيف يسع الخلائق إله واحد؟

إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴿٥﴾ : أي جعل الآلهة إلهًا واحدًا أمر عجيب.  
 وَأَنْطَلِقُ الْمَلَائِكَةُ مِنْهُمُ أَنْ آمَنُوا : أي خرجوا من بيت أبي طالب حيث كانوا مجتمعين بالنبي ﷺ وسمعوا منهم قوله لهم: لا إله إلا الله.  
 وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ ءِالِهَتِكُمْ إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ : أي إن هذا المذكور من التوحيد لأمر يراد منا تنفيذه.

مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي الْآلَمَةِ الْآخِرَةِ : أي ملة عيسى ﷺ.  
 إِنَّ هٰذَا إِلَّا أَنْخِلُقُ ﴿٧﴾ : أي ما هذا إلا كذب مختلق.  
 أَمْ نَزَّلْنَا عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا : أي كيف يكون ذلك وليس هو بأكبر منا ولا أشرف.  
 بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي : أي بل هم في شك من القرآن والوحي؛ ولذا قالوا في الرسول ما قالوا.

(١) في شرح هذه الكلمة عدة أوجه: منها ذي الشرف أي من آمن به وعمل بما فيه كان شرفاً له في الدارين كما أنه شريف في نفسه لإعجازه، وقيل: ذي الذكر أي فيه ذكر ما يحتاج إليه، وقيل: الموعظة وقيل: فيه أسماء الله وتمجيده.

بَلْ لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾ : أي بل لما لم يذوقوا عذابي، إذ لو ذاقوه ما كذبوا بل آمنوا ولا ينفعهم إيمان.

أَمْرَعْنَاهُمْ حَزَانٍ رَحْمَةً رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ : أي من النبوة وغيرها فيعطوا منها من شاءوا ويحرموا من شاءوا.

أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا : أي ليس لهم ذلك.  
فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾ : أي الموصلة إلى السماء فيأتوا بالوحي فيخصوا به من شاءوا أو يمنعوا الوحي النازل على نبينا محمد ﷺ وأنى لهم ذلك؟!

جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ : أي هم جند حقير في تكذيبهم لك مهزوم أمامك وفي بدر.  
مِنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ : أي من الأمم الماضية التي تحزبت على رسلها وأهلكها الله تعالى.  
كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ : أي قبل هؤلاء المشركين من قريش.  
وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ : أي صاحب أوتاد أربعة يشد إليها من أراد تعذيبه<sup>(١)</sup>.  
وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ نَجِيفَةَ : أي الغيضة وهم قوم شعيب. ﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ ﴿١٣﴾ .  
إِنْ كُلِّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ : أي ما كل واحد منهم إلا كذب الرسل ولم يصدقهم فيما دعوا إليه.  
فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ : أي وجبت عقوبتي عليهم.

وَمَا يَنْظُرُونَ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَجِدَةً : هي نفخة إسرافيل في الصور نفخة.  
مَا لَهَا مِنْ قَوَاعٍ ﴿١٥﴾ : أي ليس لها من فتور ولا انقطاع حتى تهلك كل شيء.  
وَقَالُوا رَبَّنَا مَجْلَلْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ : أي صك أعمالنا لنرى ما أعددت لنا؛ إذ القِط الكتاب.  
أَصْبَرَ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَذْكَرَ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِي : أي القوة والشدة في طاعة الله تعالى.  
إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ : أي رجاع إلى الله في كل أمره.

إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ : أي بالمساء بعد العصر إلى الغروب، والإشراق من طلوع الشمس إلى ارتفاع الضحى.

وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً : أي والطيور مجموعة. ﴿كُلُّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ ﴿١٩﴾ .  
وَسَدَدْنَا مُلْكَهُمْ وَأَيَّنَّا لَهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ : أي وأعطينا داود الحكمة. وهي: الإصابة في الأمور والسداد فيها، وفصل الخطاب: الفقه في القضاء، ومن ذلك البينة على المدعي واليمين على من أنكر<sup>(٢)</sup>.

(١) جائز أن يكون المراد بالأوتاد القوة والبطش أو الأهرام؛ لأنها بناء راسخ في الأرض كالأوتاد جمع وتد بكسر التاء وهو عود غليظ له رأس مفلطح يدق في الأرض ليشد به ظنب الخيمة أو حبالها.

(٢) من بين ما ذكره ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَفَصَّلَ﴾ وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أول من قال [أما بعد] داود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو فصل الخطاب، وكذا قال الشعبي: فصل الخطاب: أما بعد(قل).

﴿ وَهَلْ آتَاكَ : الاستفهام هنا للتعجب : أي حمل المخاطب على التعجب .  
 نَبَأُ الْخَصْمِ : أي خبر الخصم الغريب في بابه العجيب في واقعه .  
 إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ : أي محراب مسجده إذ منعوا من الدخول مع الباب فقصدوا سوره  
 ونزلوا من أعلى السور . ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ ﴾ .  
 خَصْمَانِ بَعْنِ بَعْضًا عَلَى بَعْضٍ : أي تعدى بعضنا على بعض .  
 فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تَشْطِطْ : أي احكم بالعدل ولا تجر في حكم .  
 وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ : أي أرشدنا إلى العدل في قضيتنا هذه ولا تمل بنا إلى غير الحق <sup>(١)</sup> .  
 إِنَّ هَذَا آخِي : أي على ديني في الإسلام . ﴿ لَهُ تَسَعٌ وَسَعُونَ نَجْمَةً وَلِي نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا ﴾ : أي  
 اجعلني كافلها بمعنى تنازل لي عنها وملكيها .  
 وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ : أي غلبي في الكلام الجدلي فأخذها مني .  
 قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجْمِكَ إِلَى نَجْمِهِ : أي بطلب نعتك وضمها إلى نعاجه .  
 وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ : أي الشركاء يظلم بعضهم بعضًا . ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
 الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ .  
 وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّهُ : أي أيقن داود أنما فتنه ربه أي اختبره .  
 فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ ، وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ : أي طلب المغفرة من ربه بقوله : أستغفر الله ، وسقط  
 ساجدًا على الأرض ، وأناب أي رجع تائبًا لربه . ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ ﴾ .  
 وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّكَابٍ ﴿٢٥﴾ : أي وحسن مرجع . عندنا وهي الجنة والدرجات العلا  
 فيها .

يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ : أي خلفت من سبقك ، تدبر أمر الناس بإذننا .  
 فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ : أي هوى النفس وهو ما تميل إليه مما تشتهي .  
 فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ : أي عن الطريق الموصل إلى رضوانه .  
 إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ : أي يخطئون الطريق الموصل إلى رضوانه وهو الإيمان والتقوى .  
 لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ : أي بنسيانهم يوم القيامة فلم يتقوا الله تعالى .  
 وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا : أي عبثًا لغير حكمة مقصودة من ذلك الخلق .  
 ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا : أي ظن أن السموات والأرض وما بينهما خلقت عبثًا لا لحكمة مقصودة  
 منها ظن الذين كفروا .

(١) سواء الصراط أي وسط الطريق، وهذا كناية عن الحكم بالعدل وعدم الجور عن الحق أي الميل كمن يميل إلى جانب الطريق .

قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ : أي من وادٍ في النار بعيد غوره كربه ريحه لا يطاق. ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ .  
 كَتَبَ أَرْزَلْتَهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ : أي لا تفارقه البركة يجدها قارته والعامل به والحاكم بما فيه.  
 لِيَذَّبُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ : أي ليتعظ به أصحاب العقول الراجحة.  
 وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ : أي ومن جملة هباتنا لداود الأواب أن وهبنا له سليمان ابنه.  
 نَعِمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ ءَأْوَابٌ ﴿٣٠﴾ : أي سليمان أي رجاء إلى ربه بالتوبة والإنابة.  
 إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْخِيَادُ ﴿٣١﴾ : أي الخيل الصافنات أي القائمة على ثلاث، الجياد  
 أي السوابق.

فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي : أي حب الخيل عن ذكر ربي وهي: صلاة العصر؛  
 لانشغاله باستعراض الخيل للجهاد.

حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ : أي استترت الشمس في الأفق وتغطت عن أعين الناظرين.  
 رُدُّوهَا عَلَيَّ : أي ردوا الخيل التي استعرضتها آنفاً فشغلتنني عن ذكر ربي.  
 فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ : أي فأخذ يمسح بسوق تلك الخيل وأعناقها.  
 وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ : أي ابتليناه.  
 وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا : أي شق ولد ميت لا روح فيها<sup>(١)</sup>.  
 ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ : أي رجع إلى ربه وتاب إليه من عدم استثنائه في يمينه. ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ .  
 وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي : أي أعطني ملكاً لا يكون لسواي من الناس. ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ .  
 فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ : أي استجبنا له فسخرنا له الريح تجري بأمره.  
 تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ : أي لينة حيث أراد.  
 وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ : أي وسخرنا له الشياطين من الجن منهم البناء ومنهم الغواص في  
 البحر.

وَأَخْرَيْنَ مُقْرَبِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ : أي مشدودين في الأصفاد أيديهم إلى أعناقهم في السجون  
 المظلمة، وذلك إذا تمردوا وعصوا أمراً من أوامره<sup>(٢)</sup>.

(١) نص الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال سليمان لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه: قل: إن شاء الله، فلم يقل: إن شاء الله، فطاف عليهن جميعاً فلم تحمل منه إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، وإيم الذي نفس محمد بيده لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون». [والحديث في الصحيح].

(٢) قال ابن كثير رحمه الله: قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَيْنَ مُقْرَبِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾، أي موثوقون في الأغلال، والأكبال ممن تمرد وعصى، وامتنع من العمل وأبى، أو قد أساء في صنيعه واعتدى (قل).

- هَذَا عَطَاؤُنَا: أي وقلنا له: هذا عطاؤنا.
- فَأَمْنٌ أَوْ أَمْسِكَ: أي أعط من شئت وما شئت وامنع كذلك.
- بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٩): أي منالك.
- وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى: أي وإن لسليمان عندنا لقربة يوم القيامة.
- وَحُسْنِ مَتَابٍ (٣٠): أي مرجعاً في الجنة في الدرجات العلاء.
- وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ: أي اذكر يا نبينا محمد ﷺ عبدنا أيوب بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم.
- ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ﴾.
- يُنْصَبِ وَعَذَابٍ (٣١): أي بضر وألم شديد نسب هذا للشيطان لكونه سبباً، وتادباً مع الله تعالى.
- أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ: أي اضرب برجلك الأرض تنبع عين ماء.
- هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٣٢): أي قلنا له هذا ماء بارد تغتسل منه، وتشرب فتشفى. ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ (٣٣).
- وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا: أي حزمة من حشيش يابس.
- فَأَضْرِبْ بِهِ، وَلَا تَحْنُتْ: بترك ضربها.
- إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ: أي أيوب ﷺ.
- إِنَّهُ أَوْابٌ (٣٤): أي رجاع إلى الله تعالى.
- وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا: أي اذكر صبرهم على ما أصابهم فإن لك فيهم أسوة. ﴿إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾.
- أُولَى الْأَيْدِي: أي أصحاب القوى في العبادة.
- وَالْأَبْصِرِ (٣٥): أي البصائر في الدين بمعرفة الأسرار والحكم.
- إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٣٦): أي هي ذكر الدار الآخرة والعمل لها.
- وَلِيَتَّبِعُهُمُ الْخَيْرَ لِمَنْ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (٣٧): أي من المختارين، الأخيار جمع خير. ﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ (٣٨).
- هَذَا ذِكْرٌ: أي لهم بالثناء الحسن الجميل هنا في الدنيا.
- وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ: أي هم وغيرهم من سائر المؤمنين والمؤمنات.
- لِحُسْنِ مَتَابٍ (٣٩): أي مرجعاً أي عندما يرجعون إلى ربهم بالوفاء. ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ مَفُتَّحَةٍ لَهُمْ الْأَبْوَابُ﴾ (٤٠).
- ﴿٥٠﴾
- مُتَّكِنِينَ فِيهَا: أي على الأرائك.
- يَدْعُونَ فِيهَا بِفَنَكِهِمْ كَثِيرَةً وَشَرَابٍ (٥١): أي يطالبون فيها بفاكهة وذكر الفاكهة دون الطعام والشراب، إيذاناً بأن طعامهم وشرابهم لمجرد التلذذ لا للتغذية كما في الدنيا.



﴿ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْظُرْفِ ﴾ : أي حابسات العيون على الأزواج فلا ينظرون إلى غيرهم.  
 ﴿ أَرْبَابٌ ﴾ (٥٢) : أي أسنانهم متساوية وهي ثلاث وثلاثون سنة. ﴿ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ (٥٣) .  
 إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَالَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾ : أي ليس له انقطاع أبداً.  
 هَذَا : أي المذكور للمتقين.

﴿ وَإِنَّ لِلظَّالِمِينَ ﴾ : أي الذين طغوا في الكفر والشر والفساد.  
 لَشَرَّ مَنَابٍ ﴿٥٥﴾ : أي جهنم يصلونها.  
 جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسِفُوهَا أَهَادًا ﴿٥٦﴾ : أي الفراش الذي مهدوه لأنفسهم في الدنيا بالشرك والمعاصي.  
 هَذَا قَلِيلٌ وَقُوَّةٌ : أي العذاب المفهوم مما بعده فليذوقوه.  
 حَيْمٌ : أي ماء حار محرق.

﴿ وَعَسَاقُ ﴾ (٥٧) : أي قيق وصيد يسيل من لحوم وفروج الزناة في النار.  
 وَءَاخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾ : أي وعذاب آخر كالحميم والغساق أصناف.  
 هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ : أي يقال لهم عند دخولهم النار: هذا فوج مقتحم معكم.  
 لَا مَرْحَبًا بِهِمْ : أي لا سعة عليهم ولا راحة لهم. ﴿ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴾ (٥٩) .  
 قَالُوا : أي الأتباع للطاغين. ﴿ بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَيَسِّرَ الْفَرَارُ ﴾ (٦٠) .  
 قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا : أي الأتباع أي من كان سبباً في عذابنا هذا في جهنم. ﴿ فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴾ (٦١) .

﴿ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا ﴾ : أي قال الطاغون وهم في النار: ما لنا لا نرى رجالاً؟  
 كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ : أي في الدنيا يعنون فقراء المسلمين كبلال وعمار وصهيب.  
 أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا : أي كنا نسخر منهم في الدنيا.  
 أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ : أي أمفقودون هم أم زاغت عنهم الأبصار؟ فلم نرهم.  
 إِنَّ ذَلِكَ لِحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾ : أي إن ذلك المذكور لأهل النار لحق ثابت وهو تخاصم أهل النار.

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ﴾ : أي يا رسولنا لمشركي قومك أي مخوف من عذاب الله.  
 وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ : أي وليس هناك من إله قط إلا الله الواحد القهار.  
 رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٦٦﴾ : أي الغالب الذي لا يمانع في مراده، الغفار للتائبين من عباده.

﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴾ (٦٧) : أي قل يا رسولنا لكفار مكة: القرآن نبأ عظيم وخبر جسيم.  
 أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ : لا ترغبون في سماعه ولا في تدبر معانيه.

﴿ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى: أَي بِالْمَلَائِكَةِ عِنْدَمَا سُورُوا فِي خَلْقِ آدَمَ <sup>(١)</sup> . ﴾ (٧١) ﴿ إِذِ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (٧٢) ﴿ إِنَّ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ أَنَا أَنْذِرُ مُبِينٌ ﴾ (٧٣) .

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ: أَي اذْكَرْ لَهُمْ تَدْلِيلًا عَلَىٰ أَنَّهُ يُوحَىٰ إِلَيْكَ الْقُرْآنَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ .  
إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١): أَي خَالِقَ آدَمَ مِنْ مَادَّةِ الطِّينِ، وَقِيلَ فِيهِ بَشَرٌ؛ لِبَدْوِ بَشَرْتِهِ .  
فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي: الرُّوحُ جِسْمٌ لَطِيفٌ يَسْرِي فِي الْجِسْمِ سَرِيانَ النَّارِ فِي الْفَحْمِ أَوْ الْمَاءِ فِي الشَّجَرِ أَوْ الْكَهْرِبَاءِ فِي الْأَسْلَاقِ . ﴿ فَفَعُوا لَهُ سَجْدِينَ ﴾ (٧٢) ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ (٧٣) .

إِلَّا إِبْلِيسَ: أَي لَمْ يَسْجُدْ .

أَسْتَكْبَرُ: عَنِ السُّجُودِ لِآدَمَ كِبْرًا وَحَسَدًا لَهُ . ﴿ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٧٤) .  
قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي: أَي لِلَّذِي خَلَقْتَهُ بِإِيْدِي وَهُوَ: آدَمُ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى شَرَفِهِ .

أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ <sup>(٢)</sup> (٧٥): أَسْتَكْبَرْتَ الْآنَ أَمْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِ مِنَ الْعَالِينَ الْمُتَكَبِّرِينَ، وَالِاسْتِفْهَامُ لِلتَّوْبِيخِ وَالتَّفْزِيعِ لِإِبْلِيسَ . ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ (٧٦) .  
قَالَ فَأَخْرِجْهَا: أَي مِنَ الْجَنَّةِ .

فَأِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧): أَي مَرْجُومٌ مَطْرُودٌ .

وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (٧٨): أَي طَرَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَالْحَقُّهُ لَعْنَةٌ وَهِيَ الطَّرْدُ مِنَ الرَّحْمَةِ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ: أَي الْجِزَاءِ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ .

قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْني إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩): أَي آخِرَ مَوْتِي وَأَبْقِ عَلَيَّ حَيًّا إِلَىٰ يَوْمِ يَبْعَثُونَ أَي النَّاسَ .  
﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾ (٨٠) .

إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١): أَي إِلَىٰ النَّفْخَةِ الْأُولَىٰ وَهِيَ نَفْخَةُ الْمَوْتِ وَالْفَنَاءِ . ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأَعْرِضَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٨٢) .

إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ (٨٣): أَي الَّذِينَ اسْتَخْلَصْتَهُمْ لِلْإِيمَانِ بِكَ وَعِبَادَتِكَ وَمَجَاوَرَتِكَ فِي الْجَنَّةِ . ﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴾ (٨٤) ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٨٥) .

قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ: لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَىٰ الْبَلَاغِ أَجْرًا تَعْطُونَهُ لِي .

وَمَا أَنَا مِنَ الْمُكْذِبِينَ (٨٦): أَي الْمُتَقَوْلِينَ الْقُرْآنَ، وَمَا أَنْذَرَكُمْ بِهِ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي .

(١) وهو ما ذكر في الآيات من ٧١: ٨٥ والتي تتكلم عن قصة آدم عليه السلام (قل) .

(٢) العلو الشرف فمعنى قوله تعالى: ﴿ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ أَي مِنْ أَهْلِ عُلُوِّ الْمَرَاتِبِ وَشَرَفِ الْمَنَازِلِ؛ فَلِذَا امْتَنَعْتَ مِنَ السُّجُودِ لِآدَمَ ﷺ .

إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ : أي ما أتلوه من القرآن وما أقوله من الهدى إلا ذكر للعالمين.  
وَلَنَعْلَمَنَّ نُبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾ : أي ولتعلمن أيها المكذبون نبأ القرآن الذي أنبأ به من الوعد  
للمؤمنين والوعيد للكافرين بعد حين.



## ٣٩ - سُورَةُ النَّازِعَاتِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ: أي القرآن.

مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾: أي العزيز في ملكه وانتقامه، الحكيم في صنعه وتدبير خلقه. ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ فَاغْبُدِ اللَّهَ﴾

مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾: أي مفردًا إياه بالعبادة فلا تشرك بعبادته أحدًا.

الَّذِينَ خَالصُوا دِينَهُمْ: أي له وحده خالص العبادة لا يشاركه في ذلك أحد سواه.

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَشْرَكَاءَ: أي شركاء وهي: الأصنام.

مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى: أي تقريبًا وتشفع لنا عند الله. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ

فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾: أي كاذب أي: على الله، كفار بعبادته غير الله تعالى.

﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾

سُبْحَانَهُ: أي تنزيهاً له عن الولد والشريك.

هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾: أي المعبود الحق الواحد الذي لا شريك له في ملكه وسلطانه،

القهار لخلقه.

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ: أي من أجل أن يذكر ويشكر لا من أجل اللهو والعبث.

يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ: أي يدخل أحدهما في الآخر، فإذا جاء الليل

ذهب النهار والعكس كذلك.

وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى: أي ذللهما فلا يزالان يدوران في فلكيهما

إلى نهاية الحياة وبدورتهما تتم مصالح سكان الأرض. ﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ: هي آدم عليه السلام.

ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا: هي حواء خلقها الله تعالى من ضلع آدم الأيسر.

وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَ الْعُشْبَ: أي أنزل المطر فأنبت العشب؛ فخلق الأنعام فهذا وجه لإنزالها.

ثُمَّ نَبَّأَهُنَّ أَنْبَاءَهُنَّ: أي من الإبل اثنتين، ومن البقر اثنتين، ومن الضأن اثنتين، ومن المعز اثنتين.

يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ : أي أطوارًا طور بعد طور نطفة فعلقة فمضغة .  
 فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ : أي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة . ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾  
 لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ : أي كيف تصرفون عن الحق إلى الباطل، وعن الهدى إلى الضلال؛ إن أمركم عجب . ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ (١)  
 وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ : أي لا تحمل نفس ذات وزر ووزر نفس أخرى .  
 ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ .  
 إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ : أي ما يخفيه المرء في صدره وما يسره في ضميره .  
 ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّكْرُ﴾ : الإنسان أي المشرك .  
 ضُرٌّ : أي مرض أو خوف غرق ونحوه من كل مكروه لا يقدر على دفعه .  
 دَعَارَةٌ مِّنْبِأَيْ إِلَهِهِ : أي سأل ربه كشف ما أصابه من ضر راجعًا إليه معرضًا عن سواه .  
 ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ : أي أعطاه نعمة منه بأن كشف ما به من ضر .  
 نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَىٰهِ مِنْ قَبْلُ : أي ترك ما كان يتضرع إليه من قبل وهو الله ﷻ .  
 وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا : أي شركاء .  
 لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ : أي ليضل نفسه وغيره عن الإسلام .  
 قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا : أي قل يا نبينا لهذا الكافر الضال المضل تهديدًا: تمتع بكفرك بقية  
 أجلك .  
 إِنَّكَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ : أي أهلها المتأهلين لها بخبث نفوسهم وظلمة أرواحهم .  
 أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا : أي مطيع لله أثناء الليل أي ساعات الليل ساجدًا وقائمًا في الصلاة . ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ﴾  
 إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ : أي يتعظ بما يسمع من الآيات أصحاب العقول النيرة .  
 قُلْ يَعْبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ : أي اجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية بالإيمان والتقوى .  
 لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا : أي أحسنوا العبادة .  
 فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ : أي الجنة .  
 وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ : أي فهاجروا فيها لتتمكنوا من عبادة الله إن منعتم منها في دياركم . ﴿إِنَّمَا يُوفِي  
 الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿١٠﴾ (٢) .

(١) ﴿بَرِئَةٌ لَّكُمْ﴾ : عائد على الشكر (قل) .

(٢) قال ابن كثير ﷻ : (قال الأوزاعي: ليس يوزن لهم ولا يكال، إنما يغرف لهم غرفًا، وقال ابن جريج: بلغني أنه لا يحسب عليهم ثواب عملهم قط، ولكن يزدون على ذلك، وقال السدي: يعني في الجنة) (قل) .

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ : أي أمرني ربي ﷻ .

أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ : أي مفردًا إياه بالعبادة. ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ﴾ .

أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ : أي أول من يسلم في هذه الأمة فينقاد لله بعبادته والإخلاص له فيها.

قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ : أي عذاب يوم القيامة.

قُلْ : أي يا رسولنا للمشركين.

اللَّهُ أَعْبُدُ : أي لا أعبد معه سواه.

مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ : أي مفردًا إياه بطاعتي وانقيادي.

فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ : أي إن أبيتم أيها المشركون عبادة الله وحده فاعبدوا ما شئتم من

الأوثان فإنكم خاسرون.

قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ : أي فحرموها الجنة وخلدوها في النار.

وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أي الحور العين اللاتي كن لهن في الجنة لو آمنوا واتقوا بفعل الطاعات

وترك المنهيات. ﴿الَّذِي هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ ﴿١٥﴾ .

لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ : أي دخان ولهب وحر من فوقهم ومن تحتهم.

ذَلِكَ : أي المذكور من عذاب النار.

يُخَافُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبُدُونَ فَاتَّقُونَ ﴿١٦﴾ : أي يامن أنا خالقهم ورازقهم ومالكهم وما يملكون،

فلذلك اتقون بالإيمان والتقوى.

وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا : أي تركوا عبادة الأصنام وغيرها مما يعبد من دون الله.

وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ : أي بالإيمان به وعبادته وتوحيده فيها.

لَهُمُ الْبُشْرَى : أي بالجنة عند الموت وفي القبر وعند القيام من القبور. ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ ﴿١٧﴾ .

الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ : أي أوفاه وأكملة وأقربه إلى مرضاة الله تعالى. أُولَئِكَ

الَّذِينَ هَدَاهُمْ اللَّهُ ﴿١٨﴾ .

وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ : أي العقول السليمة.

أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ : أي وجب عليه العذاب بقول الله تعالى ﴿لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ .

أَفَأَنْتُ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ : أي تخلصه منها وتخرجه من عذابها.

لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ : أي خافوه فآمنوا به وأطاعوه موحدين له في ذلك.

لَهُمْ عُرْفٌ مِنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مُبِينَةٌ .

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ : أي من خلال قصورها وأشجارها.

وَعَدَّ اللَّهُ : أي وعدهم الله تعالى وعدًا فهو منجزه لهم. ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِعَادَ﴾ ﴿٢٠﴾ .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ : أي أدخله في الأرض فصار جاريًا

تحتها ينبع منها فكان بذلك ينبع.  
 ثُمَّ يُخْرَجُ بِهِ زُرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ: أي ما بين أخضر وأبيض وأحمر وأصفر، وأنواعه من بر وشعير  
 وذرة.

ثُمَّ يَهَيِّجُ فَتْرَهُ مُصْفَرًا: أي يبس فتره أيها الرائي بعد الخضرة مصفرًا.  
 ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَمًا: أي فتاتًا متكسرًا.  
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٦٦﴾: أي إن في ذلك المذكور من إنزال الماء إلى أن يكون  
 حطامًا تذكيرًا.

أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ: أي فاهتدى به كمن لم يشرح الله صدره فلم يهتد.  
 فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ: أي فهو يعيش في حياته على نور من ربه وهو معرفة الله وشرائعه.  
 قَوْلٌ لِلْقَنَسِيَّةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ: ويل كلمة عذاب، للقاسية قلوبهم عن قبول القرآن فلم تؤمن  
 به ولم تعمل بما فيه. ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٧﴾﴾.

اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا: هو القرآن الكريم.  
 مُتَشَبِّهًا: أي يشبه بعضه بعضًا في النظم والحسن وصحة المعاني.  
 مَثَانِي: أي ثنى فيه الوعد والوعيد كالقصص والأحكام.  
 نَقَشِعُرٌ مِنْهُ جُلُودٌ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ: أي ترتعد منه جلود الذين يخشون ربهم وذلك عند ذكر  
 وعيده.

ثُمَّ تَلَيْنَ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ: أي تطمئن وتلين.  
 إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ: أي عند ذكر وعده لأهل الإيمان والتقوى بالجنة وما فيها من نعيم مقيم. ﴿ذَلِكَ  
 هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٦٨﴾﴾.

أَفَمَنْ يَنْقَى بَوَجهِهِ سَوْءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أي يتلقى العذاب بوجهه لا شيء يقيه منه كمن  
 آمن، وسوء العذاب أي أقساه وأشدّه.

وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ: أي المشركين في جهنم.  
 ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٦٩﴾: أي جزاء كسبكم الشر والفساد.  
 كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ: أي من قبل أهل مكة.  
 فَأَنْتَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٧٠﴾: أي من حيث لا يدرون أنه آتيهم منه، أو من حيث لا  
 يخطر ببالهم.

فَأَذَاهُمْ اللَّهُ الْخِزْيَ: أي المسخ والذل والإهانة. ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.  
 وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾: أي لو كانوا يعلمون ذلك ما كذبوا ولا كفروا.  
 وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ: أي جعلنا للعرب في هذا القرآن من كل مثل من

الأمم السابقة.

لَعَلَّهُمْ يَنْذَكُرُونَ ﴿٢٧﴾ : أي يتعظون فينزعجوا عما هم فيه من الشرك والتكذيب إلى الإيمان

والتوحيد.

قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَنْفَعُونَ ﴿٢٨﴾ : أي حال كون المثل المجعول قرآناً عربياً لا ليس فيه ولا

اختلاف، فلا عذر لهم في عدم فهمه وإدراك معناه وفهم مغزاه. ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ﴾

مُتَشَكِّسُونَ : أي متنازعون لسوء أخلاقهم.

وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ : أي خالصاً سالمًا لرجل لا شركة فيه لأحد.

هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا : الجواب لا. الأول في تعب وحيرة، والثاني في راحة وهدوء بال.

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ : أي على ظهور الحق وبطلان الباطل. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾

إِنَّكَ مَيِّتٌ : أي مقضي عليك بالموت في وقته.

وَأَنْتُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ : أي كذلك محكوم عليهم به عند انقضاء آجالهم.

ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصُّمُونَ ﴿٣١﴾ : أي تحتكمون إلى الله في ساحة فصل القضاء

فيحكم الله بينكم.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ : أي بأن نسب إليه ما هو بريء منه كالزوج والولد

والشريك.

وَكَذَّبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ : أي بالقرآن والنبي والتوحيد والبعث والجزاء.

أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ : أي مأوى ومكان إقامة ونزول.

وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۗ : محمد ﷺ، والذي صدق به أبو بكر وكل أصحاب رسول

الله ﷺ.

أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ : أي لعذاب الله بإيمانهم وتقواهم بترك الشرك والمعاصي. ﴿لَهُمْ مَا

يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ﴾

ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ : أي المذكور من نعيم الجنة جزاء المحسنين في أعمالهم.

لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا : أي يسر الله لهم ذلك ويوفقهم إليه ليكفر عنهم

ذنوبهم. ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۗ : بلى. هو كافٍ عبده ورسوله محمداً ﷺ كل ما يهمله.

وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ : أي بالأصنام والأوثان أن تصيبك بما يسوءك

ويضرك. ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ

﴿٣٧﴾ : بلى بل هو عزيز غالب على أمره صاحب انتقام شديد على من عاداه. ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۗ﴾ : أي لوضوح البرهان وقوة الدليل وانقطاع الحجة.



قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ : أي أخبروني ﴿مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ﴾ .

هَلْ هُنَّ مُنْسِكَتُ رَحْمَتِهِ : والجواب: لا لا.

قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ : ولا حاجة لي بغيره. ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (٢٨) .

قُلْ يَتَقَوَّمُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ : أي على حالتكم التي أنتم عليها من الكفر والعناد.

إِنِّي عَمِيمٌ : أي على حالي التي أنا عليها من الإيمان والانقياد. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٣١) .

مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ : أي في الدنيا بالقتل والأسر والجوع والقحط.

وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٤١) : أي وينزل عليه عذاب مقيم لا يبرح، وهو عذاب النار بعد الموت.

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ : أي أنزلنا عليك يا رسولنا القرآن بالحق أي ملتبسا

به. ﴿فَمَنْ أَهْتَكَدَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ (٤١) : أي ليس

عليك أمر هدايتهم فتجبرهم على الإيمان.

اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا : أي ينهي حياة العباد بقبض أرواحهم عند نهاية آجالهم.

وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا : أي يتوفاها وقت النوم يحبسها عن التصرف كأنها شيء مقبوض.

فَيَمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ : أي يقبضها لحكمه بالموت عليها حال النوم.

وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى : أي التي لم يحكم بموتها يرسلها فيعيش صاحبها إلى نهاية

أجله (١).

إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤٢) : أي في قبض الأرواح وإرسالها والقدرة على ذلك،

دلائل وبراهين على قدرة الله تعالى على البعث الذي أنكره المشركون.

أَمْ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ : أي أن كفار مكة لا يتفكرون ولو كانوا يتفكرون لما أنكروا البعث،

ولا اتخذوا من دون الله شفعاء لوضوح بطلان ذلك.

قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَآيْمِلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (٤٣) : أي قل لهم: أيشفع شركاؤكم لكم ولو كانوا

لا يملكون شيئاً، ينكر عليهم دعواهم الشفاعة لهم وهي: أصنام لا تملك ولا تعقل.

قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا : أي أخبرهم أن جميع الشفاعات لله وحده، فشفاعة الأنبياء والشهداء

والعلماء والأطفال مملوكة لله فلا يشفع أحد إلا بإذنه. ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ

(١) المراد بالأنفس: الناس الذين يموتون إذ لفظ النفس يطلق على الذات، ويطلق على الروح. قال ابن عباس

وغيره من المفسرين. إن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله منها فإذا أراد جميعها

الرجوع إلى الأجساد أمسك الله أرواح الأموات عنده وأرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها، قال علي رضي الله عنه: فما

رأته نفس النائم وهي في السماء قبل إرسالها إلى جسدها فهي الرؤيا الصادقة، وما رأته بعد إرسالها وقبل

استقرارها في جسدها فلقيها الشياطين وتخيل إليها الأباطيل فهي الرؤيا الكاذبة.

تَرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾

وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ: أي وإذا ذكر الله وحده كقول الرسول ﷺ: لا إله إلا الله؛ نفرت نفوس المشركين، وانقبضت وظهر الغضب والسخط في وجوههم.

وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ: أي الأصنام والأوثان التي يعبدونها من دون الله تعالى.

إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾: أي فرحون جدلون؛ وذلك لافتنانهم بها ونسيانهم حق الله تعالى وهو عبادته وحده مقابل خلقه ورزقه لهم.

قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: قل يا نبينا: يا الله يا خالق السموات والأرض.

عَلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ: أي يا عالم الغيب وهو كل ما غاب عن الأبصار، والحواس، والشهادة خلاف الغيب.

أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾: أي من أمور الدين عقائد وعبادات.

وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا: أي ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي. ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ، لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

وَبَدَأْتُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾: أي وظهر لهم من عذاب الله ما لم يكونوا يظنونونه. ﴿وَبَدَأْتُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا﴾

وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾: وأحاط بهم العذاب الذي كانوا في الدنيا يستهزئون به. فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا: أي أصاب الإنسان الكافر ضرر أي: مرض وغيره مما يضره دعانا أي سأل كشف ضرره.

ثُمَّ إِذَا حَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا: ثم إذا حولناه أي أعطيناه نعمة منا من صحة أو مال وغيرهما.

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ: قال أي ذلك الكافر: إنما أوتيت ذلك العطاء على علم من الله بأني أستحقه، أو على علم بوجود كسب المال حتى لا يحمد الله.

بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ: أي تلك النعمة لم يعطها لأهليته لها، وإنما أعطيها فتنة واختباراً له.

وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾: أي أن ما أعطوه من مال وصحة وعافية هو فتنة لهم وليس رضا الله تعالى عنهم.

قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ: أي قال قولتهم من كان من قبلهم، كقارون فلم يلبثوا أن أخذوا. ﴿فَمَا آغَفَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ ذَاصِبَتْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴿٥١﴾ أي جزاء سيئات كسبهم من الشرك

والشر والفساد.

وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ: أي والذين ظلموا بالشرك من هؤلاء أي: من كفار قريش.

سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا : أي كما أصاب من قبلهم، وقد أصابهم قحط سبع سنين وقتلوا في بدر<sup>(١)</sup>.

وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ : أي فائتين الله تعالى ولا غالبين له.  
أَوْلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ : أي أقالوا تلك المقالة ولم يعلموا أن الله يبسط الرزق أي يوسعه لمن يشاء امتحاناً، ويضيقه ابتلاء.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ : أي إن في ذلك المذكور من التوسعة امتحاناً والتضييق ابتلاء لآيات أي علامات على قدرة الله وكمال تدبيره لأمر خلقه.

﴿ قُلْ يَتَّبِعُونَ الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ : أي أفرطوا في الجناية عليها بالإسراف في المعاصي.  
لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ : أي لا تيسسوا من المغفرة لكم ودخول الجنة.  
إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا : أي ذنوب من أشرك وفسق إن هو تاب توبة نصوحاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ .

وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ : أي ارجعوا إليه بالإيمان والطاعة<sup>(٢)</sup>.  
وَأَسْلِمُوا لِلَّهِ : أي أخلصوا له أعمالكم. ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ ﴿٥٤﴾<sup>(٣)</sup>.  
وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ : أي القرآن الكريم فأحلوا حلاله وحرموه حرامه. ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ ﴿٥٥﴾ .

أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ : أي نفس الكافر والمجرم يا حسرتي أي يا ندامتي.  
عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ : أي في جانب حق الله فلم أطعه كما أطاعه غيري.  
وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾ : أي المستهزئين بدين الله تعالى وعباده المؤمنين. ﴿ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَىٰ الْعَذَابَ ﴿٥٨﴾ .

لَوْ أَنِّي لِي كَرَّةٌ فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ : أي لو أن لي رجعة إلى الدنيا فأكون إذا من المؤمنين الذين أحسنوا القصد والعمل.

بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تِلْكَ آيَاتِي : أي ليس الأمر كما تزعم أنك تتمنى الهداية بل قد جاءك آياتي. ﴿ فَكَذَّبَتْ بِهَا وَأَسْتَكْبَرَتْ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿٥٩﴾ .

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ : أي بأن يبعث الناس من قبورهم.  
تَرَىٰ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ اللَّهِ : أي باتخاذ أولياء من دونه وبالقول الكاذب عليه ﷺ.

(١) أي أصابهم سوء كسبهم وقبحه وهو ما عملوه من سيئات الشرك والمعاصي.

(٢) الإنابة التوبة ولما في التوبة من معنى الرجوع عدي الفعل به ﴿إِلَى﴾ .

(٣) النصر: الإعانة على الغلبة بحيث يتخلص المغلوب من يد غالبه ولا نصير لأحد على الله تعالى.

(٤) هذه كلمة حق أريد بها باطل، كما قال علي للخوارج لما قالوا: لا حكم إلا لله.

وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ ۖ أَي سوداء من الكرب والحزن وعلامة على أنهم من أهل النار وأنهم ممن كذبوا على ربهم.

الَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾: أي أليس في جهنم مأوى ومستقر للمتكبرين؟ بلى. إن لهم فيها لمثوى، بش هو من مثوى للمتكبرين عن عبادة الله تعالى.

وَيُدْخِي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا: أي ينجيهم من النار بسبب تقواهم للشرك والمعاصي. بِمَقَارِبِهِمْ لَا يَمْسُهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾: أي يفوزهم بالجنة ونزولهم فيها لا يمسه

السوء أي العذاب، ولا يحزنون لما نالهم من النعيم.

اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾.

لَهُ، مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: أي مفاتيح خزائن السموات والأرض.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾: أي الخاسرون لأنفسهم وأهلهم يوم القيامة.

قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيَّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾: قل يا رسولنا للذين طلبوا منك أن تعبد معهم

آلهتهم: أتأمروني بعبادة غير الله، فهل تصلح العبادة لغيره وهو رب كل شيء وإلهه؟ فما أسوأ فهمكم أيها الجاهلون!

وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ: أي من باب الفرض لو أشركت بالله غيره في عبادته. ﴿لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ (١).

بَلِ اللَّهِ فَاغْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾: أي بل اعبد الله وحده، إذ لا يستحق العبادة إلا هو، وكن من الشاكرين له على إنعامه عليك بالنبوة والرسالة والعصمة والهداية.

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ: أي ما عظموا الله حق عظمته، ولا عرفوه حق معرفته حين أشركوا في عبادته غيره من أوثانهم.

وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أي والأرض بجميع أجزائها قبضته.

وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ: أي والسموات السبع مطويات يمينه.

سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾: أي تقدس وتنزه عما يشرك به المشركون من أوثان.

وَيُفِخُ فِي الصُّورِ: أي نفخ إسرافيل نفخة الصعق ﴿فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾.

ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى: أي مرة أخرى وهي: نفخة القيام لرب العالمين. ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾

﴿٦٨﴾.

(١) حبوط العمل بطلانه حيث لا يثاب عليه، والخسران مقيد بأن يموت على الردة، أما إن راجع الإسلام فلا يخسر لآية ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُم مِّن دِينِهِ فَمَا لِيَتَّكِفِ﴾ فالآية مقيدة لإطلاق آية الزمر.

وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا: أي أضاءت الأرض بنور الله تعالى حين يتجلى لفصل القضاء. وَوُضِعَ الْكِتَابُ: أي كتاب الأعمال للحساب. وَجَاءَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ<sup>(١)</sup>: أي بالنبيين ليشهدوا على أممهم، والشهداء محمد وأمه. وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ: أي بالعدل. وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ<sup>(٢)</sup>: لا ينقص حسناتهم ولا بزيادة سيئاتهم. وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ<sup>(٣)</sup>: أي أعلم حتى من العاملين أنفسهم. وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا: أي وساق الملائكة بعنف الذين كفروا. إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا: أي جماعات، جماعة المشركين وجماعة المجرمين، وجماعة الظالمين. ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾. وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا: أي الموكلون بالنار من الملائكة، الواحد خازن. أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ: هذا الاستفهام للتقرير والتوبيخ. ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمُ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ﴾. وَلَكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ<sup>(٤)</sup>: أي وجب العذاب للكافرين. ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ الْمَتَّكِرِينَ﴾<sup>(٥)</sup>. وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ: أي وساق الملائكة بلطف على النجائب الذين اتقوا ربهم أي أطاعوه ولم يشركوا به. إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا<sup>(٦)</sup>. ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا: أي والحال أن أبواب الجنة قد فتحت<sup>(٣)</sup> لاستقبالهم. ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾<sup>(٧)</sup>. وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ: أي أنجز لنا وعده بالجنة. وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ: أي أرض الجنة وصورة الإرث نظرًا إلى قوله تعالى في وعده لهم ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾<sup>(٤)</sup>. نَتَّبِعُوا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ: أي نزل من حيث نشاء.

(١) قال ابن كثير رحمه الله: ﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾ أي الشهداء من الملائكة الحفظة على أعمال العباد من خير وشر (قل).  
(٢) وقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ﴾ وسوقهم هو سوق النجائب التي يركبونها فهو سوق لطف وتكريم إلى الجنة دار السلام زمرة زمرة الجهاد زمرة الصدقات وزمرة العلماء وزمرة الصلوات... فالزمر جمع زمرة وهو بفوج المتبوع بفوج آخر.  
(٣) قرأ نافع والجمهور فتحت بتشديد التاء في الأولى والثانية وقرأ حفص بالتخفيف، والواو في قوله وفتحت واو الحال والجملة حالية في محل نصب.  
(٤) وجه الورث أن الله تعالى خلق لكل إنسان منزلًا في النار وآخر في الجنة ثم هم يتوارثون فأهل الجنة يرثون منازل أهل النار في الجنة وأهل النار يرثون منازل أهل الجنة في النار.

فَنَعَمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴿٧٦﴾ : أي الجنة.

وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ : أي محذقين بالعرش من كل جانب.

يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ : أي يقولون: سبحان الله وبحمده.

وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ : أي وقضى الله بمعنى: حكم بين جميع الخلائق بالعدل.

وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ : أي وقالت الملائكة والمؤمنون: الحمد لله رب العالمين على

استقرار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار.



## ٤٠ - سُورَةُ عَبَّاسٍ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ (١): هذا أحد الحروف المقطعة يكتب هكذا: حم، ويقرأ هكذا: حاميم.  
 تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ: أي تنزيل القرآن كائن من الله.  
 الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٢): أي الغالب على مراده، العليم بعباده ظاهرًا وباطنًا حالًا ومآلًا.  
 غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ: أي ذنب من تاب إلى الله فرجع إلى طاعته بعد معصيته.  
 شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ: أي مشدد العقوبة على من كفر به، ذي الطول أي الإنعام الواسع على من آمن به وأطاعه (١).  
 لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهٌ الْمَصِيرُ (٣): أي لا معبود بحق إلا هو، إليه مرجع الخلائق كلها.  
 مَا يَجِدُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا: أي في القرآن لإبطالها إلا الكافرون.  
 فَلَا يَغْرُوكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ (٤): أي فلا تغتر بمعاشهم سالمين فإن عاقبتهم النار.  
 كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ: أي وكذبت الأحزاب من بعد قوم نوح، وهم عاد وثمود وقوم لوط.  
 وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ: أي ليتمكنوا من إصابته بما أرادوا من تعذيب وقتل.  
 وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ: أي ليزيلوا به الحق ويطلوه.  
 فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٥): أي كان واقعا موقعه حيث أهلكهم ولم يُبق منهم أحدا.  
 وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٦): أي وجبت كلمة العذاب على الذين كفروا.  
 الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ: أي الملائكة حملة العرش (٢).  
 وَمَنْ حَوْلَهُ: أي والملائكة الذين يحفون بالعرش من جميع جوانبه.  
 يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ: أي يقولون: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، هذه صلاتهم وتسيبهم.

(١) يطلق الطول على سعة الفضل وسعة المال كما يطلق مطلق القدرة، وهو مأخوذ من الطول ضد القصر.  
 (٢) حملة العرش أفضل الملائكة وهم أربعة ويوم القيامة يضاف إليهم أربعة فيصبحون ثمانية لقوله تعالى من سورة الحاقة: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾.

وَيُؤْمِنُونَ بِهِ: كيف لا وهم معه، ولكن هذا من باب الوصف بالكمال لهم.  
 وَيَسْتَعْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا: أي يطلبون المغفرة للمؤمنين لرابطة الإيمان بالله التي تربطهم به.  
 رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا: أي يقولون: يا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً.  
 فَأَعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ: أي فيما أن رحمتك وعلمك وسعا كل مخلوقاتك، فاغفر  
 للذين تابوا إليك فعبدوك ووجدوك، واتبعوا سبيلك الذي هو الإسلام.  
 وَفِيهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧﴾: أي احفظهم من النار فلا تعذبهم بها.  
 رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ: أي بساتين فيها قصور وأنهار للإقامة الدائمة.  
 الَّتِي وَعَدْتَهُمْ: أي بقوله تعالى: إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري  
 من تحتها الأنهار.

وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ: أي ومن صلح بالإيمان ولم يفسد بالشرك  
 والكفر. ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٨﴾.

وَفِيهِمُ السَّيِّئَاتِ: أي احفظهم من جزاء السيئات التي عملوها فلا تؤاخذهم بها.  
 وَمَنْ تَبَى السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ: أي ومن تقه جزاء سيئاته يوم القيامة فلم تؤاخذه.  
 فَقَدَرَتْ رَحْمَتُهُ: أي حيث سترته ولم تفضحه وعفوت عنه.

وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾: أي الوقاية من العذاب وإدخال الجنة هو الفوز العظيم.  
 إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ: أي تناديهم الملائكة لتقول  
 لهم: لمقت الله إياكم أكبر من مقتكم أنتم لأنفسكم. والمقت أشد البغض.

إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾: أي مقت الله تعالى لكم عندما كنتم في الدنيا تدعون  
 إلى الإيمان فتكفرون، أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم لما رأيتم العذاب.

قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا آتَيْنِي وَأُحْيَيْنَا آتَيْنِي: أي أمتنا مرتين، الأولى عندما كنا عدماً فخلقنا، والثانية  
 عندما أمتنا في الدنيا بقبض أرواحنا، وأحييتنا مرتين: الأولى لما أخرجنا من بطون أمهاتنا أحياء  
 فهذه مرة، والثانية هذه بعد أن بعثنا من قبورنا أحياء.

فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا: أي بذنوبنا التي هي التكذيب بآياتك ولقائك والشرك بك.  
 فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾: أي فهل من طريق إلى العودة إلى الحياة الدنيا مرة ثانية،  
 لنؤمن بك ونوحدك ونطيعك ولا نعصيك.

ذَلِكَ: أي العذاب الذي أنتم فيه.  
 بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ: أي بسبب أنه إذا دعى الله وحده كفرتم بالتوحيد. ﴿وَإِنْ  
 يُشْرِكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ ﴿١٢﴾.

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ: أي دلائل توحيده وقدرته على بعثكم ومجازاتكم. ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنْ



السَّمَاءِ رِزْقًا ﴿١٣﴾ .

وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ : أي وما يتعظ إلا من ينيب إلى الله ويرجع إليه بتوحيده.  
﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ ﴿١٥﴾ .

يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ : أي يلقي بالوحي من أمره.

عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ : أي لينذر من يوحى إليه من البشر وهو الرسول يوم تلاقي أهل السماء وأهل الأرض وذلك يوم القيامة.

يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ : أي لا يسترهم شيء لا جبل ولا شجر ولا حجر.  
لَمِنَ الْمَلَكِ الْيَوْمَ : أي لمن السلطان اليوم. ﴿اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ .

وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ : أي يوم القيامة.

إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ : أي من شدة الخوف تكون القلوب قد ارتفعت حتى وصلت عند الحناجر.

كَظِيمٍ : أي لقلوبهم يريدون ردها فلم يقدرُوا.

مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ : أي ليس للمشركين من محب قريبًا كان أو بعيدًا.  
يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ : أي الله تعالى يعلم العين إذا سرقت النظر إلى محرم. ﴿وَمَا تَخْفَى الصُّدُورُ﴾ ﴿١٩﴾ : أي وما تكتمه صدور العباد وما تضره من خير وشر.

وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ : أي لكمال قدرته وعلمه يحكم بالحق.

وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا : أي والذين يدعوهم مشركو قريش من أصنام لا يقضون بشيء عدلًا كان أو جورًا، لأنهم أصنام لا تسمع ولا تبصر. ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿٢٠﴾ .

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ : أي أغفل كفار قريش ولم يسيروا في الأرض.

فَيَنْظُرُوا : أي بأعينهم.

كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ : إنها كانت دمارًا وخسارًا ووبالًا عليهم.

كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ : ولم يغن ذلك عنهم من الله شيئًا.

فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ : أي عاقبهم بذنوبهم فدمرهم وأهلكهم.

وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾ : أي ولم يوجد لهم من عقاب الله من واقٍ يقبهم منه.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ : أي بالحجج والبراهين والأدلة والمعجزات.

فَكَفَرُوا : أي بتلك الحجج والآيات.

فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ : أي لما كفروا أخذهم بكفرهم.

إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ : هذا تعليل لأخذه إياهم.  
 وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ : أي بحججنا وبرهان بين ظاهر.  
 إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهٰمٰنَ وَفِرْعَوْنَ : هامان وزير فرعون، وقارون رجل الملايين.  
 فَقَالُوا سِحْرٌ كَذٰبٌ ﴿٢٤﴾ : أي لما رأوا آية العصا واليد البيضاء قالوا: ساحر كذاب دفعًا  
 لقومهم حتى لا يؤمنوا به.

فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا : أي جاءهم موسىٰ بالصدق فيما أخبرهم به من أنه رسول الله  
 وطلبهم بإرسال بني إسرائيل معه.

قَالُوا أَقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ : أي اقتلوا الأولاد الذكران.

وَأَسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ : أي بناتهم بمعنى اتركوهن حيات.

وَمَا كَيْدُ الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ ﴿٢٥﴾ : أي وما مكرهم إلا في خسران وضياع.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ : أي دعوني واتركوني وليدع ربه ليمنعه مني.

إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ : أي يغير عبادتكم لآلهتكم لعبادة إلهه.

أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ : بالقتل والتخريب ونحوه.

وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ : أي استجرت بخالقي وخالقكم.

مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ : أي من كل إنسان متكبر لا يؤمن بيوم الحساب

والجزاء على الأعمال<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمٰنَهُ : هو شمعان ابن عم فرعون.

أَنْقَلَبُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ : أي لأن يقول: ربي الله؟ والرجل هو موسىٰ ﷺ.

وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنٰتِ مِنْ رَبِّكُمْ : أي بالمعجزات الظاهرات.

وَإِنْ يَكُ كٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ : أي ضرر كذبه عليه لا عليكم<sup>(٢)</sup>.

وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ : أي بعض العذاب الذي يعدكم به في الدنيا

عاجلاً غير آجل.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذٰبٌ ﴿٢٨﴾ : أي مسرف في الكفر والظلم، كذاب لا يقول الصدق

ولا يفوه به<sup>(٣)</sup>.

(١) ومعنى متكبر: أي متعظم عن الإيمان بالله.

(٢) لم يكن قوله: ﴿وَإِنْ يَكُ كٰذِبًا﴾ شكًا في صدق موسىٰ وإنما هو من باب التلطف والتنزل مع الخصم حتى لا يلج في الجدال والخصومة، وحذفت النون من ﴿يَكُ﴾ لكثرة الاستعمال.

(٣) إن كان هذا الموصوف الرجل المؤمن فهو إشارة إلى موسىٰ، وإن كان من قول الله تعالى فهو إشارة إلى فرعون.

يَقَوْمَ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ : أي غالبين في بلاد مصر وأراضيها.  
فَمَنْ يَنْصُرْنَا مِنْ نَاسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا : أي من عذاب الله إن جاءنا وقد قتلنا أولياءه.  
قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى : أي ما أشير به عليكم إلا ما أشير به على نفسي وهو قتل  
موسى.

وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣١﴾ : أي إلا طريق الرشاد والصواب.  
وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا : أي مؤمن آل فرعون.  
يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٢﴾ : أي عذاباً مثل عذاب الأحزاب وهم قوم نوح  
وعاد وثمود.

مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ : أي مثل جزاء عادة من كفر قبلكم وهي  
استمرارهم على الكفر حتى الهلاك فهذا الذي أخافه عليكم. ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣٦﴾﴾  
وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّارِ ﴿٣٣﴾ : أي يوم القيامة، وقيل فيه يوم التنادي: لكثرة النداءات فيه  
إذ ينادي أصحاب الجنة أصحاب النار، وأصحاب النار أصحاب الجنة.  
يَوْمَ تُولَوْنَ مُدْبِرِينَ : أي هاربين من النار إلى الموقف. ﴿مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ  
مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾.

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ : أي يوسف بن يعقوب الصديق بن الصديق ﷺ من  
قبل مجيء موسى إليكم اليوم. ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّكُمْ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ﴾ أي مات عليه  
السلام فرحتم بموته.

قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا : أي قلتم هذا من دون دليل فبقيتم كافرين إلى اليوم.  
كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ : أي مثل إضلالكم هذا يضل الله من هو مسرف في الشرك  
والظلم (١).

مُرْتَابٍ ﴿٣٤﴾ : أي شك فيما قامت الحجج والبيئات على صحته.  
الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ : أي يخاصمون في آيات الله لإبطالها بدون  
سلطان أي حجة وبرهان.

كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا : أي كبر جدالهم بالباطل مقتاً عند الله وعند الذين  
آمنوا.

كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ : أي مثل إضلالهم يطبع الله أي يختم بالضلال  
على كل قلب متكبر.

(١) المسرف: المفرط في فعل أو قول ما لا خير فيه، والمرتاب: الشديد الريب أي الشك.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَكُنْ أَبْنِي لِي صَرَخًا : هامان وزير فرعون والصرح البناء العالي. ﴿لَعَلِّي أَنْبَلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (٣٦).

أَسْبَابُ السَّمَوَاتِ : أي طرقها الموصلة إليها.  
فَأَطَّلَعَ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا : أي وإني لأظن موسى كاذبًا في زعمه أن له إلهًا غيري.

وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ : أي قبيح عمله.

وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ : أي عن طريق الهدى.

وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (٣٧) : أي خسار وضياع بلا فائدة تذكر. ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَنْقُومِ آتِيَعُونَ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (٣٨).

يَنْقُومِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ : أي ما هذه الدنيا إلا متاع يتمتع به وقتًا ثم يزول.

وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) : أي الاستقرار والبقاء الأبدى. ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ (٤٠).

يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤١) : أي رزقًا واسعًا بلا تبعة ولا تعقيب.

﴿وَيَنْقُومِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى : أي من الخسران في الدنيا والآخرة، وذلك بالإيمان والعمل الصالح.

وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ (٤٢) : أي إلى عذاب النار وذلك بالكفر والشرك بالله تعالى.

تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكُ بِهِ، مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ : أي لا علم لي بصحة إشراكه في عبادة الله تعالى.

وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (٤٣) : أي وأنا أدعوكم إلى الإيمان وعبادة الله العزيز أي الغالب على أمره، الغفار لذنوب التائبين من عبادة المؤمنين.

لَا جْرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ : أي حقًا أن ما تعدونني إلى الإيمان به وبعبادته.

لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ : أي ليس له دعوة حق إلى عبادته، ولا دعوة استجابة بأن يستجيب لمن دعاه لا في الدنيا ولا في الآخرة وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ .

وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٤) : أي وأن المسرفين في الكفر والشرك والمعاصي هم أهل النار الواجبة لهم. ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَؤُصُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٤٥).

فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكُرُوا : أي فحفظه الله من مكرهم به ليقتلوه.

وَحَاقَ بِقَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٦) : أي عذاب الغرق إذ غرق فرعون وجنده أجمعون، ومعنى حاق: أحاط.

النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا : أي أن سوء العذاب هو النار يعرضون عليها صباحًا ومساءً.  
وَعَشِيًّا : وذلك أن أرواحهم في جوف طير سود تعرض على النار كل يوم مرتين.  
وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ : أي ويوم القيامة يقال: أدخلوا آل فرعون. ﴿أشدَّ  
العَذَابِ﴾ (٤٦).

وَإِذْ يَتَحَاجَّرُونَ فِي النَّارِ : أي وأنذرهم يوم الآزفة وإذ يتحاجون في النار أي يتخاصمون.  
فَيَقُولُ الضَّعْفَتِيُّ : أي الأتباع الضعفاء الذين اتبعوا الأغنياء والأقوياء في الشرك. ﴿لِلَّذِينَ  
اسْتَكْبَرُوا﴾.

إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا : أي تابعين لكم فيما كنتم تعتقدونه وتفعلونه.  
فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَبَرُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ (٤٧) : أي فهل تدفعون عنا شيئًا من النار. ﴿قَالَ  
الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾.

إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٤٨) : فلا مراجعة أبدًا فقد حكم لأهل الإيمان والتقوى بالجنة  
فهم في الجنة، ولأهل الشرك والمعاصي بالنار فهم في النار.

وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَازِنَةِ جَهَنَّمَ : أي جمع خازن وهو الموكل بالنار وأهلها.  
ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ (٤٩) : أي قدر يوم من أيام الدنيا إذ الآخرة يوم واحد لا  
ليل له. ﴿قَالُوا أَوْلَمْ نَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا فَأَدْعُوا وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ  
إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (٥٠).

إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا : أي بأن نظهر دينهم، أو نهلك قومهم وننجيهم  
من الهلاك.

وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١) : أي ونصرهم يوم يقوم الأشهاد<sup>(١)</sup> وهم الملائكة يشهدون للرسول  
بالبلاغ. ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ﴾.

وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٥٢) : أي ولهم اللعنة أي البعد من الرحمة ولهم سوء الدار أي  
الآخرة أي شدة عذابها.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى : أي أعطينا موسى بني إسرائيل المعجزات والتوراة.  
وَأَوْزَنَّا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ (٥٣) : أي أبقينا فيهم التوراة كتاب الهداية الإلهية يهتدون به في  
ظلمات الحياة ويذكرون به الله في تراكم النسيان. ﴿هُدًى وَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٥٤).

فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ : أي واصبر يا محمد على ما تلاقي من قومك إن وعد الله بنصرك  
حق.

(١) الأشهاد: الملائكة والرسول ومؤمنو هذه الأمة.

وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ<sup>(١)</sup>: ليقتندي بك في ذلك ولزيادة طهارة لروحك وتزكية لنفسك.  
 وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ: أي نزه ربك وقدس به بالصلاة والذكر والتسبيح فيها وخارجها.  
 بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ<sup>(٥٥)</sup>: بالمساء وأول النهار أي أوقات الصلوات الخمس كلها. ﴿إِنَّ  
 الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾  
 إن في صدورهم إلا كبراً ما هم ببلغيه: أي ما في صدورهم إلا كبر حملهم على الجدل في  
 الحق لا أن لهم علماً يجادلون به، وإنما حبههم العلو والغلبة حملهم على ذلك.  
 فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ<sup>(٥٦)</sup>: أي استعذ من شرهم بالله السميع لأقوالهم  
 العليم بأعمالهم ونياتهم وأحوالهم.

لَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: أي لخلق السموات والأرض ابتداءً ولأول مرة.  
 أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ: أي أعظم من خلق الناس مرة أخرى بعد الأولى. وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ  
 لَا يَعْلَمُونَ<sup>(٥٧)</sup>: لانشغالهم بانباطل عن الحق.

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ: لا يستويان فكذلك الكافر والمؤمن لا يستويان.  
 وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسَوِّءُ: لا يستويان أيضاً فكذلك لا يستوي الموقن  
 والشاك.

قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ<sup>(٥٨)</sup>: أي ما يتذكرون إلا تذكرًا قليلاً والتذكر الاتعاظ.  
 إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّبَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا: أي إن ساعة نهاية هذه الحياة وإقبال الأخرى جائية لا شك  
 فيها. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٥٩)</sup> وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ  
 إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي: أي عن دعائي.

سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ<sup>(٦٠)</sup>: أي صاغرين ذليلين.  
 اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْآيَةَ لَنَسْكُنُوا فِيهِ: أي تنقطعوا عن الحركة فتستريحوا.  
 وَاللَّهَارَ مُبْصِرًا: أي مضيئًا لتمكنوا فيه من الحركة والعمل.

إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ<sup>(٦١)</sup>: أي الله تعالى بحمده والثناء  
 عليه وطاقته.

ذَالِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ: أي ذلك الذي أمركم بدعائه ووعدهم بالاستجابة الذي  
 جعل لكم الليل والنهار، وأنعم عليكم بجلالته النعم، الله ربكم الذي لا إله لكم غيره ولا رب لكم

(١) ذكر القرطبي عدة أقوال للسلف في الذنب المطلوب من الرسول ﷺ الاستغفار منه: قيل: ذنبه ﷺ الذي كان  
 قبل البعثة والعصمة، وقيل: ذنب أمته، وقيل: الصغائر، وخالفة الأول، وقيل: المراد هو تعبد الله رسوله  
 بالدعاء؛ إذ الاستغفار دعاء بطلب المغفرة وهو وجه وأوجه منه إرشاد الآية إلى الاستغفار.

سواه.

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنِّي تُوفِّكُونَ ﴿٦٣﴾ : أي كيف تصرفون عنه وهو ربكم وإلهكم الحق إلى أوثان وأصنام لا تسمع ولا تبصر؟

كَذَلِكَ يُوفِّكَ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٤﴾ : أي كما صرف أولئك عن الإيمان والتوحيد يصرف الذين يجحدون بآيات الله، يصرفون عن الحق.

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا : أي قارة بكم لا تتحرك فيفسد ما عليها من إنشاء وتعمير.

وَالسَّمَاءَ بِنَاءً : أي محكمة إحكام البناء فلا تسقط عليكم ولا يسقط منها شيء يؤذيكم.

وَصُورَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ : أي في أرحام أمهاتكم فأحسن صوركم.

وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ : أي الحلال المستلذ غير المستقذر وهي كثيرة.

ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ : أي تعظم وكثرت بركاته ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

فَكَادَعُوهُ مَخْطِئِينَ لَهُ الَّذِينَ : أي اعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئاً في عباداته دعاء كان أو غيره. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾.

﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ : أي نهاني ربي أن أعبد الأوثان التي تعبدون﴾ ﴿لَمَّا جَاءَ فِي الْبَيْتِ مِنْ رَبِّي﴾.

وَأُمِرْتُ أَنْ أَسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ : أي وأمرني ربي أن أسلم له وجهي وأخلص له عملي.

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ : أي خلق أبانا آدم من تراب وخلقنا نحن ذريته مما ذكر من نطفة ثم من علقه. ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾.

ثُمَّ لِيَتَّبِعُوا أَشْدَّكُمْ : أي كمال أجسامكم وعقولكم في سن ما فوق الثلاثين. ﴿ثُمَّ لِيَتَّكُونَ شَيْوَحًا﴾ (١).

وَمِنْكُمْ مَنْ يُنَوِّقُ مِنْ قَبْلُ : أي ومنكم من يتوفاه ربه قبل سن الشيخوخة والهرم.

وَلِيَتَّبِعُوا أَجَلًا مُسَمًّى : أي فعل ذلك بكم لتعيشوا ولتبلغوا أجلاً مسمى هو نهاية العمر المحددة لكل إنسان.

وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ : أي طوركم هذه الأطوار من نطفة إلى علقه إلى طفل إلى شاب إلى كهل إلى شيخ رجاء أن تعقلوا دلائل قدرة الله وعلمه وحكمته، فتؤمنوا به وتعبدوه موحدين له فتكملوا وتسعدوا.

(١) سن الشيخوخة هو ما بين الخمسين إلى الثمانين.

هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ: أي يخلق الإنسان وقد كان عدماً، ويميته عند نهاية أجله.

فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا: أي حكم بوجوده.

فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾: أي فهو لا يحتاج إلى وسائط وإنما هي الإرادة فقط فإذا أراد شيئاً قال

له: كن فهو يكون.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ: أي في القرآن وما حواه من حجج وبراهين دالة على الحق هادية إليه.

أَنَّهُمْ يُصِرُّونَ ﴿٦٩﴾: أي كيف يصرفون عن الحق مع وضوح الأدلة وقوة البراهين؟

الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ: أي بالقرآن.

وَيِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا: من وجوب الإسلام لله بعبادته وحده وطاعته في أمره ونهيه والإيمان ببلقائه.

فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾: أي عقوبة تكذيبهم.

إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾: أي وقت وجود الأغلال<sup>(١)</sup> في أعناقهم يعلمون

عاقبة كفرهم وتكذيبهم.

فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾: أي يوقدون.

ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنْ مَا كُنْتُمْ: أي يسألون هذا السؤال تبكيثاً لهم وخزيًا.

تَشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ: أي تعبدونهم مع الله.

قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا: أي غابوا عنا فلم نرهم.

بَلْ لَمْ تَكُنْ تَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا: أي أنكروا عبادة الأصنام، أو لم يعتبروا عبادتها شيئاً وهو

كذلك.

كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾: أي مثل إضلال هؤلاء المكذبين يضل الله الكافرين.

ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ: أي بالشرك والمعاصي.

وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٧٥﴾: أي بالتوسع في الفرح، لأن المرح شدة الفرح. أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ

خَالِدِينَ فِيهَا.

فَبئس مثوى المتكبرين ﴿٧٦﴾: أي دخول جهنم والخلود فيها بشئ ذلك مأوى للمتكبرين.

فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ: أي فاصبر يا رسولنا على دعوتهم متحملاً أذاهم فإن وعد ربك

بنصرك حق.

فَكَمَا تَرَىٰ أَنَّ بَعْضَ الَّذِينَ نَعِدُهُمْ: أي من العذاب في حياتك. ﴿أَوْ تَنَوَّقَيْتَ فَإِلَيْنَا لِيرْجَعُونَ﴾ ﴿٧٧﴾

(١) الأغلال جمع غل بضم الغين: حلقة من قد «جلد» أو حديد محيط بالعنق.



وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَن قَصَصْنَا عَلَيْكَ: أَي ذَكَرْنَا لَكَ قِصَصَهُمْ وَأَخْبَارَهُمْ وَهُمْ خَمْسَةٌ وَعَشْرُونَ. ﴿٧٥﴾ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴿٧٦﴾.

وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ: أَي لِأَنَّهُمْ عبيد مَرَبوبون لا يفعلون إلا ما يأذن لهم به سيدهم. ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ﴾.

وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾: أَي هَلَكَ أَهْلُ الْبَاطِلِ بِعَذَابِ اللَّهِ فَخَسِرُوا كُلَّ شَيْءٍ.

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا: أَي الْإِبِلَ وَإِنْ كَانَ لَفِظُ الْأَنْعَامِ يَشْمَلُ الْبَقَرَ وَالْغَنَمَ أَيْضًا. ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿٧٦﴾.

وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ: أَي مِنَ اللَّبَنِ وَالنَّسْلِ وَالْوَبْرِ.

وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ: أَي حَمْلَ الْأَثْقَالِ وَأَنْفُسِكُمْ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، لِأَنَّهَا كَسْفَنُ الْبَحْرِ. ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ ﴿٧٨﴾.

وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَآيَ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾: أَي فَآيَ آيَةٍ مِنْ تِلْكَ الْآيَاتِ تُنْكِرُونَ فَإِنَّمَا

لظهورها لا تقبل الإنكار.

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ: أَي أَعْجَزُوا فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ شِمَالًا وَجَنُوبًا وَغَرْبًا.

فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ: أَي عَاقِبَةُ الْمَكْذِبِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمَ عَادٍ وَثَمُودَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ. كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدُّ قُوَّةً.

وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ: أَي وَأَكْثَرَ تَأْثِيرًا فِي الْأَرْضِ مِنْ حَيْثُ الْإِنْشَاءُ وَالتَّعْمِيرُ.

فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾: أَي لَمْ يَمْنَعِ الْعَذَابُ عَنْهُمْ كَسْبَهُمُ الطَّائِلِ وَقُوَّتَهُمُ الْمَادِيَةَ.

فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴿١﴾: أَي فَرِحَ الْكَافِرُونَ بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ الْجَهْلُ بَعِينَهُ. ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ

وَحَدَّهُ، وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾.

فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا: أَي عَذَابِنَا الشَّدِيدِ النَّازِلِ بِهِمْ. ﴿سُنَّتَ﴾ ﴿٢﴾ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي

عِبَادَتِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾.



(١) قال القرطبي: ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ في معناه ثلاثة أقوال: قال مجاهد: إن الكفار الذين فرحوا بما عندهم من العلم قالوا: نحن أعلم منهم ولن نعذب ولن نبعث، وقيل: فرحوا بما عندهم من علم الدنيا نحو ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، وقيل: الذين فرحوا الرسل بما عندهم من العلم بنجاة المؤمنين وهلاك الكافرين.

(٢) سنة: مصدر سن يسن سنًا وسنة أي سن الله ﷻ في الكفار أنه لا ينفعهم الإيمان إذا رأوا العذاب، وجاز أن يكون سنة منصوب الإغراء والتحذير أي احذروا أيها المشركون سنة الله.

## ٤١ - سُورَةُ فَصَّلَاتٍ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ﴿١﴾: هذا أحد الحروف المقطعة يكتب هكذا حم، ويقرأ هكذا حاميم.  
 نَزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾: أي من الله إذ هو الرحمن الرحيم.  
 كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ، قُرْءَانًا عَرَبِيًّا: أي بينت آياته غاية البيان بلسان عربي.  
 لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾: إذ هم الذين يتتبعون.  
 بَشِيرًا وَنَذِيرًا: أي مبشرًا أهل الإيمان والعمل الصالح بالفوز، ومنذرًا المكذبين الكافرين  
 بالخسران. ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾: أي أعرض عن سماع القرآن أكثر مشركي مكة وكفار قريش.  
 فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾: أي سماع تعقل وتدبر ليستمعوا بما يسمعون.  
 وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ: أي أغطية جمع كنان: ما فيه يكن الشيء ويستتر.  
 وَمَا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ: أي ثقل فلم نطق السمع.  
 وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ: أي مانع وفاصل بيننا فلا نسمع ما تقول ولا نرى ما تفعل. ﴿فَاعْمَلْ  
 إِنَّا عَمِلُونَا﴾ ﴿٥﴾ (١).  
 قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ: أي لست ملكًا وإنما أنا بشر مثلكم من بني آدم.  
 يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُ الْكَوْكَبُ إِلَهُ وَاحِدٌ: أي يوحى الله إلي بأن إلهكم أي معبودكم أيها الناس إله واحد  
 لا ثاني له ولا أكثر.  
 فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ: بإخلاص العبادة له دون سواه.  
 وَأَسْتَغْفِرُوا: أي اطلبوا منه أن يغفر لكم ذنوبكم قبل الاستقامة من الشرك والمعاصي.  
 وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾: أي عذاب شديد سيحل بهم لإغضابهم الرب بمضاداته بألهة باطلة.  
 الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ: أي زكاة أموالهم وزكاة أنفسهم بما يطهرها من أضرار الشرك  
 والمعاصي. ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿٧﴾.  
 إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾: أي ثواب الآخرة وهو الجنة ونعيمها  
 لا ينقطع بحال، هو أجر غير ممنون.

(١) واعمل على نصرة دينك فإننا عاملون كذلك على نصرة ديننا والحفاظ على معتقداتنا. وقيل: اعمل على هلاكنا  
 فإننا عاملون على هلاكك. وقيل غير هذا. وما في التفسير أولى.

﴿ قُلْ أَيْتَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ : أَي الْأَحَدِ وَالْإِثْنَيْنِ .  
 وَيَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا : أَي شُرَكَاءَ وَهَذَا دَاخِلٌ فِي حَيْزِ الْإِنْكَارِ الشَّدِيدِ عَلَيْهِمْ .  
 ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ : أَي اللَّهُ مَالِكُ الْعَالَمِينَ ، وَهَمَّ كُلُّ مَا سِوَاهُ بِرَبِّكَ مِنْ سَائِرِ الْخَلَائِقِ .  
 وَجَعَلَ فِيهَا رُوسَى مِنْ فَوْقِهَا : أَي جِبَالًا ثَوَابِتَ .  
 وَبَرَكَ فِيهَا : أَي فِي الْأَرْضِ بِكَثْرَةِ الْمِيَاهِ وَالزَّرْعِ وَالضَّرْعِ .  
 وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا : أَي أَقْوَاتِ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ .  
 فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ : أَي فِي تَمَامِ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ وَهِيَ الْأَحَدُ وَالْإِثْنَيْنِ وَالثَّلَاثَاءُ وَالْأَرْبَعَاءُ .  
 سِوَاءَ لِلْسَّابِلِينَ ﴿١١﴾ : أَي فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ هِيَ سِوَاءُ لِمَنْ يَسْأَلُ فَإِنَّهَا لَا زِيَادَةَ فِيهَا وَلَا نَقْصَانَ .  
 ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ : أَي قَصَدَ بِإِرَادَتِهِ الرَّبَانِيَّةِ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ  
 سَمَاءً . ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَنْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَنْتِنَا طَائِعِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ .  
 فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ : أَي الْخَمِيسَ وَالْجُمُعَةَ ، وَلِذَا سُمِّيَتِ الْجُمُعَةُ جُمُعَةَ لاجْتِمَاعِ  
 الْخَلْقِ فِيهَا .

وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا : أَي مَا أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيهَا مِنَ الْخَلْقِ وَالْأَعْمَالِ <sup>(١)</sup> .  
 وَرَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْصِيحٍ : أَي بِنَجُومِ .  
 وَحِفْظًا : أَي وَحِفْظَانَهَا مِنْ اسْتِرَاقِ الشَّيَاطِينِ السَّمْعَ بِالشَّهْبِ الْمَوْجُودَةِ فِيهَا .  
 ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٣﴾ : أَي خَلَقَ الْعَزِيزُ فِي مَلَكِهِ ، الْعَلِيمُ بِخَلْقِهِ .  
 فَإِنْ أَعْرَضُوا : أَي كَفَّارِ قَرِيشَ عَنِ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ بَعْدَ ذَلِكَ الْبَيَانِ الْمَفْصَلِ .  
 فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً : أَي خَوْفَتِكُمْ صَاعِقَةٌ تَنْزِلُ بِكُمْ فَتَهْلِكُكُمْ إِنْ أَصْرَرْتُمْ <sup>(٢)</sup> عَلَى هَذَا  
 الْكُفْرِ . ﴿ مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٤﴾ ﴾ .  
 إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ : أَي أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ تَعْرِضُ عَلَيْهِمْ دَعْوَةَ الْحَقِّ مِنْ  
 أَمَامِهِمْ وَمِنْ وَرَائِهِمْ . ﴿ أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ .  
 قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً : أَي بَدَلًا عَنْكُمْ أَيُّهَا الرُّسُلُ مِنَ الْبَشَرِ . ﴿ فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ .

﴿ ١٤ ﴾  
 فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ : أَي بِغَيْرِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لَهُمْ بِذَلِكَ الْعُلُوِّ وَالِاسْتِكْبَارِ  
 وَالتَّجْبِيرِ . ﴿ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّْا قُوَّةً أُولَئِكَ بَرُوا رَبَّنَا فَمَا ظَنَنْهُمْ ﴾ .  
 ﴿ ١٥ ﴾

(١) الوحي: الكلام الخفي، ويطلق الوحي على حصول المعرفة في نفس من يراد حصولها عنده دون قول، ومنه ﴿ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ ﴾ أي أوماً إليهم بما يدل على معنى: ﴿ سَيَحْجُوا كُرَّةً وَعَشِيًّا ﴾ .  
 (٢) الصاعقة حقيقتها أنها نار تخرج مع البرق تحرق ما تصيبه، وتطلق على الحادثة المبيدة السريعة الإهلاك.

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا : أي ذات صوت يسمع له صرصرة مع البرودة الشديدة.  
 فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ : أي مشنومات عليهم لم يفلحوا بعدها. ﴿لِنَذِيْقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ .  
 وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى : أي أشد خزيًا من عذاب الدنيا. ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (١١) .  
 وَأَمَّا تُمُودٌ فَهَدَيْتَهُمْ فَأَسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى : أي استحبوا الكفر على الإيمان إذ الكفر ظلام  
 والإيمان نور. ﴿فَأَخَذْتَهُمْ صَاعِقَةً الْعَذَابِ الْهَوْنِ يَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٧) بسبب كسبهم السيئات.  
 وَجَعَلْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ﴿١٨﴾ : أي الشرك والمعاصي. ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ﴾  
 يحشرون إلى النار أي يجمعون ويساقون إليها.

فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ : أي يحبس أولهم ليلحق آخرهم ليساقوا إلى النار مجتمعين.  
 حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا : أي حتى إذا جاءوها أي النار. ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ﴾ (١) .  
 يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ : أي من الذنوب والمعاصي. ﴿وَقَالُوا لِيَجْزِيَ اللَّهُ ذُنُوبَنَا وَلَا يَحْكُمَ عَلَيْنَا بِالْحَقِّ﴾  
 اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ .

وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ : أي بدأ خلقكم في الدنيا فخلقكم ثم أماتكم ثم أحياكم. ﴿وَالِيَوْمِ نُرْجِعُونَ﴾  
 ﴿٢١﴾ .

وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَشِيرُونَ أَنَّ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ : أي عند ارتكابكم الفواحش  
 والذنوب أي تستخفون من أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم فتركوا الفواحش والذنوب.  
 وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ : أي ولكن عند ارتكابكم الفواحش ظننتم أن الله  
 لا يعلم ذلك منكم ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ﴾ .  
 أَرَدْنَاكُمْ : أي أهلككم. ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٢٣) .  
 فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ : أي فإن صبروا على العذاب فالنار مثوى أي مأوى لهم.  
 وَإِنْ يَسْتَعْجِلُوا : أي يطلبوا العتبي وهي الرضا فلا يعتبرون: أي لا يرضى عنهم، هذه حالهم  
 أبدًا. ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ (٢٤) .

﴿وَقِيصْنَا لَهُمْ قُرْآنًا﴾ : أي وبعثنا لكفار مكة المعرضين قرناء من الشياطين (٢٥) .  
 فَرَزَقْنَا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ : أي حسنوا لهم الكفر والشرك، وإنكار البعث والجزاء.  
 وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ حَلَّتْ : أي وجب لهم العذاب في أمم مضت. ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ  
 وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ (٢٥) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ .

(١) شهادة جلودهم وجوارحهم عليهم هي شهادة تكذيب وافتضاح وإلا فإدانتهم متحقة بصحائف أعمالهم،  
 وإجراء ضمائر السمع والبصر والجلود بصيغة جمع العقلاء لأن التحاور معهم أنزلهم منزلة العقلاء.

(٢) قيصنا: أتحننا وهيأنا لهم قرناء أي شياطين يلازمونهم؛ قد يكونون من الجن ومن الإنس؛ إذ الشياطين من  
 الجنسين.

وَالْعَوَافِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ : أي الغطوا فيه بالباطل إذا سمعتم من يقرؤه. ﴿فَلْتَدَيْفِنَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ .

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرًا الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٧﴾ : أي بأقبح جزاء أعمالهم التي كانوا يعملون. ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارِ : أي من كفروا به ولم يتقوه جزاؤهم النار. ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَأْتِينَ بِمُجْحَدُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ .

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ آضَلْنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ : أي إبليس من الجن، وقابيل بن آدم. نَجَعَلَهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا : أي في أسفل النار. ﴿لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ ﴿٣٩﴾ .  
إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ : قالوا ذلك معلنين عن إيمانهم بأن الله هو ربهم الذي لا رب لهم غيره وإلههم الذي لا إله لهم سواه.

ثُمَّ اسْتَقَمُوا : أي ثبتوا على ذلك فلم يبدلوا ولم يغيروا ولم يتركوا عبادة الله بفعل الأوامر وترك النواهي.

تَنَزَّلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ : أي عند الموت وعند الخروج من القبر حيث تتلقاهم هناك. أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا : أي بأن لا تخافوا مما أنتم مقبلون عليه فإنه رضوان الله ورحمته، ولا تحزنوا عما خلفتم وراءكم. ﴿وَأَبَشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ .  
نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ : أي فبحكم ولايتنا لكم في الدنيا والآخرة فلا تخافوا ولا تحزنوا.

وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُنَّ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٤١﴾ : أي ولكم فيها ما تطلبون من سائر المشتريات لكم.

تُرْزَلُونَ مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٤٢﴾ : أي رزقاً مهياً لكم من فضل رب غفور رحيم. وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ : أي لا أحد أحسن قولاً منه: أي ممن دعا إلى توحيد الله وطاعته.

وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٤٣﴾ : وعمل صالحاً وهي شرط أيضاً، وقال: إنني من المسلمين شرط ثالث.

وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ : أي لا تكون الحسنة كالسيئة ولا السيئة كالحسنة. أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ : أي ادفع أيها المؤمن السيئة بالخصلة التي هي أحسن كالغضب بالصبر<sup>(١)</sup> .

(١) قال ابن عباس: ادفع بحلمك جهل من يجهل عليك. وقيل أيضاً: هو الرجل يسب الرجل فيقول المسبوب: إن كنت صادقاً فغفر الله لي وإن كنت كاذباً فغفر الله لك، وقال مجاهد: هي أن يسلم المرء على من يعاديه إذا لقيه فهو معنى ﴿وَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ .

فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ : أي كأنه صديق قريب في محبته لك إذا فعلت ذلك.

وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا : أي وما يعطى هذه الخصلة التي هي أحسن.  
وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ : أي ثواب عظيم وأجر جزيل هذا في الآخرة، وأما في الدنيا فالخلق الحسن والكمال.

وَمَا يَنْزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ : أي وإن يوسوس لك الشيطان بترك خير أو فعل شر.  
فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ : أي فاستجر بالله قائلاً: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.  
إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ : أي إذ هو تعالى السميع لأقوال عباده، العليم بما يصيبهم وينزل

٣٣

وَمِنْ آيَاتِهِ : أي ومن جملة آياته الدالة على ألوهية الرب تعالى وحده.  
الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ : أي وجود الليل والنهار والشمس والقمر.  
لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ : أي لا تعبدوا الشمس ولا القمر فإنهما من جملة مخلوقاته الدالة عليه. ﴿وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾

إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ : أي إن كنتم حقاً تريدون عبادته، فاعبدوه وحده فإن العبادة لا تصلح لغيره.

فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ : أي الملائكة.  
يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْتَمُونَ ﴿٣٨﴾ : أي لا يملون عن عبادته ولا يكلمون.  
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً : أي يابسة جامدة لا نبات فيها ولا حياة.  
فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ : أي تحركت، وانتفخت وظهر النبات فيها. ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا﴾

لَمُحْيِي الْمَوْتِ : أي إن الذي أحيا الأرض قادر على إحياء الموتى يوم القيامة. ﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٣٩﴾

إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا : أي يجادلون فيها ويميلون بها فيؤولونها على غير تأويلها لإبطال حق أو إحقاق باطل.

لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا : أي إنهم مكشوفون أمامنا وسوف نبطش بهم جزاء إلحادهم.  
أَفَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أي نعم الذي يأتي آمناً يوم القيامة خير ممن يلقي في النار.

أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ : هذا تهديد لهم على إلحادهم وليس إذناً لهم في العمل كما شاءوا. ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿٤٠﴾

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ: أي جحدوا بالقرآن أو أجدوا فيه فكفروا بذلك. وَإِنَّهُ لَكِنْتُ عَزِيْزٌ ﴿١١﴾: أي القرآن لكتاب عزيز: أي منيع لا يقدر على الزيادة فيه ولا النقص منه (١).

لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ: أي لا يقدر شيطان من الجن والإنس أن يزيد فيه شيئاً، وهذا معنى ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾.

وَلَا مِنْ خَلْفِهِ: أي ولا يقدر شيطان من الجن ولا من الإنس أن ينقص منه شيئاً وهذا معنى ﴿مِنْ خَلْفِهِ﴾، كما أنه ليس قبله كتاب ينتقصه، ولا بعده كتاب ينسخه، فهو كله حق وصدق ليس فيه ما لا يطابق الواقع. ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿١٢﴾﴾.

مَا يُقَالُ لَكَ: أي من التكذيب أيها الرسول محمد ﷺ.

إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ: أي من التكذيب لهم والكذب عليهم.

إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ: أي ذو مغفرة واسعة تشمل كل تائب إليه صادق في توبته.

وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٣﴾: أي معاقبة شديدة ذات ألم موجع للمضمرين على الكفر والباطل.

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا: أي القرآن كما اقترحوا إذ قالوا: هلاً أنزل القرآن بلغة العجم.

لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ: أي بينت حتى نفهمها.

ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ: أي قرآن أعجمي والمنزل عليه وهو النبي عربي يستنكرون ذلك تعنتاً منهم

وعناداً ومجاهدة.

قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءً: أي هدى من الضلالة، وشفاء من داء الجهل وما يسببه

من أمراض.

وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَأَذَانِهِمْ وَقُرْ: أي ثقل فهم لا يسمعون.

وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى: فلا يفهمونه.

أُولَئِكَ يَنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿١٤﴾: والمنادي من مكان بعيد لا يسمع ولا يفهم ما ينادي له.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ: أي التوراة.

فَاخْتَلَفَ فِيهِ: أي بالتصديق والتكذيب وفي العمل ببعض ما فيه وترك البعض الآخر كما هو

الحال في القرآن الكريم.

وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ: أي ولولا الوعد بجمع الناس ليوم القيامة وحسابهم

ومجازاتهم هناك.

لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ: أي لحكم بين المختلفين اليوم وأكرم الصادقون وأهين الكاذبون. ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي

(١) معنى عزيز ممتنع عن الناس أن يقولوا مثله.

شَاكٍ مِنْهُ مُرِيبٌ ﴿٤٥﴾ مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴿٤٦﴾

وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾: أي وليس ربك يا رسولنا بذي ظلم للعبيد.

﴿٤٥﴾ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ: أي إلى الله يرد علم الساعة: أي متى تقوم إذ لا يعلمها إلا هو.

وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا: أي من أوعيتها، واحد الأكمام: كم، وكم الثوب مخرج اليد.

وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى: أي من أي جنس كان إنسانًا أو حيوانًا.

وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ: أي ولا تضع حملها إلا ملابسًا بعلم الله تعالى المحيط بكل شيء.

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَاءِى قَالُوا أَدْنَاكَ: أي أعلمناك الآن.

مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾: أي ليس منا من يشهد بأن لك شريكًا أبدًا. ﴿٤٧﴾ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ

مِن قَبْلُ ﴿٤٨﴾

وَوَدَّعُوا مَا لَهُمْ مِنَ خَيْرٍ ﴿٤٨﴾: أي أيقنوا أنه ما لهم من مهر من العذاب.

لَا يَسْتَعْمِلُونَ الْإِنْسَانَ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ: أي لا يمل ولا يكل من سؤال طلب المال والصحة والعافية<sup>(١)</sup>.

وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَسْأَلْهُ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾: أي المرض والفقير وغيرهما، فيسوس من رحمة الله، قنوط

ظاهر عليه اليأس.

وَلَيْنَ أَذَقْتَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ: أي من بعد شدة أصابته وبلاء نزل به.

لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي: أي استحققته بعلمي ومما لي من مكانة.

وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً: أي ينكر البعث ويقول: ما أظن الساعة قائمة. ﴿٥٠﴾ وَلَيْنَ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي ﴿٥١﴾

إِن لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى: أي وعلى فرض صحة ما قالت الرسل من البعث: إن لي عند الله

الجنة. ﴿٥٢﴾ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُدَبِّقَنَّهُمْ مِنَ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٣﴾

وَإِذَا أُنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنُنَاجِيهِ: أي أعرض عن الشكر ونأى بجانبه متبخترًا مختلًا في

مشيته.

وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فُدُو دُعَاءِ عَرِيضٍ ﴿٥٤﴾: أي فهو ذو دعاء لربه طويل عريض يا ربه يا ربه.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ: أي ثم كفرتم به بعد العلم أنه من عند الله.

مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٥﴾: أي من يكون أضل منكم وأنتم في شقاق بعيد؟ لا

أحد.

سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ: أي في أقطار السموات والأرض من المخلوقات

(١) قيل: المراد بالإنسان الكافر هنا الوليد بن المغيرة، وقيل: عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأميرة بن خلف، والآية تحمل وصفًا للإنسان الكافر أيًا كان، والمراد من الدعاء الطلب والرغبة الملحة.

(٢) الشقاق، العداوة والمراد به العداوة لله والرسول والمؤمنين الناجم عن ردهم القرآن وتكذيبهم بالوحي الميثب للنبوذة المحمدية.



وأسرار خلقها وفي أنفسهم من لطائف الصنعة وعجائب وبدائع الحكمة.  
 حَقَّ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ : أي أن القرآن كلام الله ووحيه إلى رسوله حقاً، وأن الإسلام  
 حق. ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٥٣) (١).  
 أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيبَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ : أي في شك من البعث الآخر حيث يعرضون على الله تعالى.  
 أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾ : أي علماً وقدرة وعزة وسلطاناً.



(١) المعنى: تكفيك شهادة ربك بصدقك فلا تلتفت إلى تكذيبهم.

## ٤٢ - سُورَةُ الشُّورَى

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم ﴿١﴾ عسق ﴿٢﴾ : هذه أحد الحروف المقطعة تكتب هكذا: حم عسق، وتقرأ هكذا: حَامِيمٌ عَيْنٌ سِينٌ قَافٌ.

كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ : أي مثل ذلك الإيحاء يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز: أي الغالب على أمره، الحكيم في تدبيره هو الذي يوحى إليك. لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ : أي خلقاً وملكاً وتصرفاً. ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٤﴾ . تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَفْقَطْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ : أي يتشققن من عظمة الرحمن وجلاله. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ سَاجِدُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥﴾ . وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ : أي آلهة يعبدونها.

اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ : أي يحصي لهم أعمالهم ويجزيهم بها. وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ : أي ولست موكلًا بحفظ أعمالهم وإنما عليك البلاغ. وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ : أي ومثل ذلك الإيحاء إليك وإلى من قبلك أوحينا إليك. قُرْآنًا عَرَبِيًّا : أي بلسان عربي.

إِنذِرْ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا : أي علة الإيحاء هي إنذارك أهل أم القرى «مكة» ومن حولها من القرى أي تخوفهم عذاب الله إن بقوا على الشرك.

وَنُذِرْ يَوْمَ الْبَعْثِ : أي وتنذر الناس من يوم القيامة إذ هو يوم يجمع الله فيه الخلائق.

لَا رَيْبَ فِيهِ : أي لا شك في مجيئه وجمع الناس فيه.

فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ : أي المؤمنون المتقون.

وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ : أي الكافرون.

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً : أي على دين الإسلام وبذلك يكون الجميع في الجنة.

وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ : أي في الإسلام أو لآثم في الجنة ثانيًا.

وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ : أي المشركون ليس لهم من ولي يتولاهم ولا نصير

ينصرهم فهم في النار.

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ : أي بل اتخذوا من دونه تعالى شركاء والهوهم من دون الله.

فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ : أي الولي الحق ومن عداه فلا تنفع ولايته ولا تضر. ﴿وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾

وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ : أي من أمور الدين والدنيا مع الكفار أو مع المؤمنين.  
فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ : هو الذي يقضي فيه في الدنيا بما ينزل من وحي على رسوله، وفي الآخرة إذ  
الحكم له دون غيره.

ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ : أي قل لهم يا رسولنا: ذلكم الحاكم العدل  
العظيم الله ربي، عليه توكلت: أي فوضت أمري إليه، وإليه لا إلى غيره أرجع في أموري كلها.  
فَأَطَّرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : أي خالقهما ومبدعهما على غير مثال سابق.  
جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا : أي بأن جعلكم ذكراً وأنثى، ومن الأنعام  
كذلك.

يَذَرُوكُمْ فِيهِ : أي يخلقكم في هذا التدبير وهو من الذكر والأنثى يخرجكم.  
لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ : أي ليس مثل الله شيء إذ هو الخالق لكل شيء فلا يكون مخلوق مثله  
بحال من الأحوال.

وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ : أي السميع لأقوال عباده، البصير بأعمالهم وأحوالهم. ﴿لَهُ مَقَالِيدُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup> يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ .  
﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ : أي شرع لكم من الدين الذي وصى  
به نوحاً والذي أوحينا به إليك.

وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى : أي والذي وصينا باقي أولي العزم وهم: إبراهيم،  
وموسى، وعيسى، وهو أن يعبدوا الله وحده بما شرع من العبادات.  
أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ : أي بأن أقيموا الدين الذي شرع لكم ولا تضيعوه ولا تختلفوا  
فيه.

كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ : أي عظم على كفار قريش ما تدعوهم إليه وهو «لا إله إلا  
الله محمد رسول الله».

اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ : أي يختار إلى الإيمان به والعمل بطاعته من يريده لذلك.  
وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ : أي ويوفق لطاعته من ينيب إليه في أموره ويرجع إليه في جميع  
شأنه، بخلاف المعرضين المستكبرين.

وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ : أي حملهم البغي على التفرق في دين الله.

(١) وقوله تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي له مفاتيح خزائن السموات والأرض، وله مغاليقها فهو تعالى  
يسبط الرزق لمن يشاء امتحاناً ويضيق ابتلاءً، لأنه بكل شيء عليم؛ فلا يطلب الرزق إلا منه، ولا يلجأ فيه إلا  
إليه.

وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى : أي ولولا ما قضى الله به من تأخير العذاب على هذه الأمة إلى يوم القيامة.

لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ : أي لحكم الله بينهم فأهلك الكافرين وأنجى المؤمنين.  
وَلِإِنَّ الَّذِينَ أُوثِرُوا بِكُتُبِ اللَّهِ مِنْ بَعْدِهِمْ : أي وإن الذين أورثوا الكتاب من بعد الأولين وهم اليهود والنصارى ومشركو العرب.

لَفِي سَلَكٍ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ : أي لفي شك مما جئتهم به من الدين الحق وهو الإسلام.  
فَلِذَلِكَ فَادَعُ : أي فإلى ذلك الدين الذي شرع الله لكم ووصى به نوحًا وأوحاه إليك يا محمد فادع عباد الله.

وَأَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ : أي استقم على العمل به ولا ترغ عنه واثبت عليه كما أمرك الله.  
وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ : أي ولا تتبع أهواء المشركين وأهل الكتاب فترك الحنيفية التي بعثت بها فإنها الحق.

وَقُلْ ءَأَمِنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ : أي ولست كالذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض.  
وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ : أي أمرني ربي أن أحكم بينكم بالعدل الذي هو خلاف الجور.  
اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ : أي خالقنا وخالقكم ورازقنا ورازقكم وإلهنا وإلهكم.  
لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ : وسيجزى كلًا منا بعمله خيرًا كان أو شرًا.  
لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ : أي ما هناك حاجة إلى المحاجة الآن بعد ظهور الحق.  
اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا : أي يوم القيامة. ﴿وَالِيهِ الْمَصِيرُ﴾ ﴿١٥﴾.

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ : أي يجادلون في دين الله نبيه محمدًا ﷺ.  
مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ : أي بالإيمان لظهور معجزته وهم اليهود.  
جَاهِلُهُمْ دَاخِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ : أي باطلة عند ربهم.

وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ : أي من الله ولهم عذاب شديد يوم القيامة.  
اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ (١) : أي أنزل القرآن متلبسًا بالحق والصدق لا يفارقه أبدًا.  
وَالْمِيزَانَ : أي وأنزل الميزان وهو العدل ليحق الحق.

وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ : أي أي شيء يجعلك تدري قرب الساعة إلا أن يكون الوحي الإلهي (٢).

يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا : أي يطالب بها المكذبون؛ لأنهم لا يخافون ما فيها لعدم

(١) قال ابن كثير رحمته الله: الكتب المنزلة من عند الله على أنبيائه (قل).

(٢) ﴿وَمَا﴾ استفهامية أي من جعلك تدري قرب الساعة. قال ابن عباس: ما قال تعالى فيه ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ فقد أدراه، وما قال فيه: ﴿وَمَا يَدْرِيكَ﴾ فإنه لم يدره به.

إيمانهم بها.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا: أي خائفون وذلك لإيمانهم فهم لا يدرون ما يكون لهم فيها من سعادة أو شقاء؛ ولذا هم مشفقون.

وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ: أي أن الساعة حق واجبة الإتيان لا محالة.

أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ: أي إن الذين يجادلون في الساعة شاكين في وقوعها. لَفِي

صَلَكٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾.

اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ: أي برهم وفاجرهم بدليل أنهم يعصونه وهو يرزقهم ولا يعاقبهم. ﴿١٩﴾

مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٢٠﴾.

مَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ: أي من كان يريد بعمله ثواب الآخرة.

نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ: أي نضاعف له ثوابه الحسنة بعشر أمثالها وأكثر.

وَمَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا: أي من كان يريد بعلمه متاع الحياة الدنيا من طيباتها.

نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَمَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢١﴾: أي نعطه منها ما قدر له وليس له في الآخرة من حظ

ولا نصيب.

أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ: أي بل لهم شركاء من الشياطين شرعوا لهم من

الدين.

مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ: أي ما لم يشرعه الله تعالى وهو الشرك.

وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ: أي ولولا كلمة الفصل التي حكم الله بها بتأخير العذاب

إلى يوم القيامة لأهلكهم اليوم على شركهم وأنجى المؤمنين. ﴿٢٢﴾ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

﴿٢٣﴾.

تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا: أي ترى أيها المرء الظالمين يوم القيامة خائفين

من جزاء ما عملوا.

وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ: أي وهو: أي جزاء ما كسبوا من الباطل والشرك نازل بهم معذبون لا محالة.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ: آمنوا بالله ولقائه وآياته ورسوله وأدوا الفرائض واجتنبوا

المحارم.

فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ: أي هم في روضات الجنات، والروضة في الجنة: أنزه مكان فيها.

لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ: أي لهم فيها ما تشتهيه أنفسهم وتلذذ أعينهم في جوار ربهم. ﴿٢٤﴾ ذَلِكَ

هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٥﴾ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿٢٦﴾.

قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا: أي قل يا رسولنا لقومك: لا أسألكم على التبليغ أجرًا: أي ثوابًا.

إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى: أي لكن أسألكم أن تودوا قرابتي فتمنعوني حتى أبلغ رسالتي.

وَمَنْ يَقْرَفْ حَسَنَةً: أي ومن يكتسب حسنة بقول أو عمل صالح.  
 نَزَلَهُ، فِيهَا حُسْنًا: أي نضاعفها له أضعافًا. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (١٣)  
 أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا: أي يقول هؤلاء المشركون: إن محمدًا افترى على الله كذبًا فنسب  
 إليه القرآن وهو ليس بكلامه ولا بوحيه.

فَإِنْ يَشَاءِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ: أي إن يشاء الله تعالى يطبع على قلبك وينسيك القرآن، أي إن الله  
 قادر على أن يمنعك من الافتراء عليه كما زعم المشركون.  
 وَيَسْمَعُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَالْحَقَّ: أي إن من شأن الله تعالى أنه يمحو الباطل.  
 بِكَلِمَاتِهِ: أي بالآيات القرآنية وقد محا الباطل وأحق الحق بالقرآن. ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٤)

وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ: أي هو تعالى الذي يقبل توبة التائبين من عباده.  
 وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ: أي لا يؤاخذ بها من تاب منها، فهذا هو الإله الحق لا الأصنام التي ليس  
 لها شيء مما هو الله ألبتة. ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (١٥)  
 وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ: أي ويجيب تعالى عباده الذين آمنوا به وعملوا  
 الصالحات إلى ما دعوه فيه فيعطيهم سؤلهم.

وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ: أي يعطيهم ما سألوا ويعطيهم ما لم يسألوه من الخير.  
 وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (١٦): أي والكافرون بالله ورسوله ولقاء الله وآياته لهم عذاب شديد.  
 ﴿وَلَوْ سَئَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ: أي لو وسع الرزق لجميع عباده.  
 لَبَعَثُوا فِي الْأَرْضِ: أي لطفغوا في الأرض جميعًا.  
 وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ: أي ينزل من الأرزاق بقدر ما يشاء فييسط ويضيق.  
 إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (١٧): أي أنه بأحوال عباده خبير إذ منهم من يفسده الغنى ومنهم من  
 يصلحه، ومنهم من يفسده الفقر ومنهم من يصلحه.

وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا: أي المطر من بعد يأسهم من نزوله.  
 وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ: أي بركات المطر ومنافعه في كل سهل وجبل ونبات وحيوان.  
 وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَكِيمُ (١٨): أي المتولي لعباده المؤمنين المحسن إليهم المحمود عندهم.  
 وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ: أي فرق ونشر من كل ما يدب على  
 الأرض من الناس وغيرهم.

(١) القَدْرُ بفتحين: المقدار والتعيين والجمع بين صفتي «خبير» و«بصير» لأن وصف خبير دال على العلم بمصالح  
 العباد وأحوالهم قبل تقديرها وتقدير أسبابها أي العلم بما سيكون، ووصف بصير دال على العلم المتعلقة  
 بأحوالهم التي حصلت.

وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ : أي للحشر والحساب والجزاء يوم القيامة؛ قدير.

وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ : أي بلية وشدة من الشدائد كالمرض والفقر.

فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ : أي من الذنوب والآثام.

وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ : أي منها فلا يؤاخذ به، وما عفا عنه في الدنيا لا يؤاخذ به في الآخرة.

وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ : أي ولستم بفائتي الله ولا سابقيه هرباً منه إذا أراد مؤاخذتكم

بذنوبكم. ﴿وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾﴾ .

وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ : أي ومن علامات ربوبيته للخلق إيجاد السفن كالجبال في

البحار وتسخير البحار للسير فيها لمنافع العباد.

إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ : أي يوقف هبوب الرياح فلا نسيم ولا عواصف.

فَيَظَلُّنَّ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ : أي تقف السفن وتظل راكدة حابسة على ظهر البحر.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ : أي في هذه المظاهر من خلق السفن والبحار وتسخير البحار وسير السفن

وركودها عند سكون الرياح لدلالات واضحة على وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته.

لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ : أي إن هذه الآيات لا يراها ولا ينتفع بها إلا من كان صبوراً عند الشدائد

والمحن، شكوراً عند الآلاء والنعم.

أَوْ يُوقِعَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا : أي وإن يشأ يجعل الرياح عواصف فيهلك تلك السفن ويغرقها بمن فيها

بسبب ذنوب أصحابها، وهو على ذلك قدير.

وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ : أي وإنه تعالى ليعفو عن كثير من الذنوب والخطايا فلا يؤاخذ بها؛ إذ لو

أخذ بكل ذنب ما بقي أحد على وجه الأرض لقله من لا يذنب فيها.

وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يَجْدِلُونَ فِي آيَاتِنَا : أي ويعلم المكذبون بآيات الله من المشركين عندما تعصف

العواصف وتضطرب السفن ويخاف الغرق.

مَا لَهُمْ مِّنْ نَّجِيٍّ ﴿٣٥﴾ : أي ليس لهم من مهرب إلا الله فيجأرون بدعائه وحده ناسين آلهتهم

الباطلة.

فَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ : أي فما أعطيتم من شيء من متاع الدنيا كالمال والولد والمطعم والمشرب

والملبس والمسكن والمنكح والمركب.

فَتَنَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا : أي يتمتع به زماناً ثم يزول ولا يبقى.

وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى : أي وما عند الله من ثواب الآخرة فهو خير في نوعه وأبقى في مدته<sup>(١)</sup>.

﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾

(١) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الفواحش الزنى وأن كبير الإثم الشرك وهو كذلك.

﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٩﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٤٠﴾ : أي ما عند الله خير وأبقى لأصحاب الصفات التالية:

الإيمان، والتوكل على الله، واجتناب كبائر الإثم والفواحش، والتجاوز عن أساء إليهم، والاستجابة لربهم في كل ما دعاهم إليه فعلاً أو تركاً، وإقام الصلاة، والمشورة بينهم، والإنفاق مما رزقهم الله، والانتصار عند البغي عليهم. هذه عشر صفات أصحابها ما أعده الله تعالى لهم يوم يلقونه خيراً من متاع الدنيا بكامله.

وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا : أي جزاء سيئة المسيء عقوبته بما أوجبه الله عليه.

فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ : أي فمن عفا عن أساء إليه وأصلح ما بينه وبينه؛ فأجره على الله

ثابت له.

إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ : أي لا يحب البادئين بالظلم، ومن لم يحبه الله أذن في عقوبته.

وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ : أي ومن ظلمه ظالم فأخذ بحقه.

فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٢﴾ : أي بمؤاخذتهم، لأنهم ما بدءوا بالظلم.

إِنَّمَا السَّبِيلُ : أي بالعقوبة والأذية.

عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ : أي يعتدون عليهم في أعراضهم أو أبدانهم وأموالهم.

وَيَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ : أي ويطلبون في الأرض الفساد فيها بالشرك والظلم والإجرام.

﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٤٣﴾ .

وَلَمَنْ صَبَرَ وَعَفَرَ : أي ولمن صبر فلم ينتصر لنفسه وغفر وتجاوز عن أساء إليه <sup>(١)</sup>.

إِنَّ ذَلِكَ : أي إن ذلك الصبر والتجاوز عن المسيء.

لِمَنْ عَزَمَ الْأُمُورَ ﴿٤٤﴾ : أي لمن معزومات الأمور المطلوبة شرعاً.

وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ : أي حسب سنته في الإضلال.

فَمَا لَهُ مِنْ وَدِيِّ مِنْ بَعْدِهِ : أي فليس له من أحد يهديه أبداً. ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ .

يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَّةٍ مِّنْ سَبِيلٍ ﴿٤٥﴾ : أي هل إلى مرد إلى الحياة الدنيا من سبيل نسلكتها

لنعود إلى الدنيا.

وَتَرْنَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا : أي على النار.

حَشِيعِينَ : أي خائفين متواضعين. ﴿مِنَ الدُّنْيَا﴾ .

يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ : أي من عين ضعيفة النظر كما ينظر المقتول إلى السيف لا يملأ عينه

(١) لقد مدح الله تعالى المنتصر من الظلم ومدح العفو عن الجرم، فالانتصار يكون من الظالم المعلن الفجور الوقح في الجمهور المؤذي للصغير والكبير فهذا الانتقام منه أفضل، والعفو يكون في الفتنة، وفيمن يعترف بالزلة ويطلب العفو.



منه. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ .  
 إِنَّ الْخٰسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ ﴿٤٥﴾ : أي لخلودهم في النار، وعدم وصولهم إلى الحور العين في دار السلام.  
 أَلَا إِنَّ الظَّٰلِمِينَ : أي المشركين.  
 فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٦﴾ : أي دائم لا يخرجون منه وهو عذاب الجحيم. ﴿وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ ءٰوَلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ﴾ .  
 وَمَنْ يُضِلِلِ ٱللَّهُ فَٱللَّهُ فَٱللَّهُ، مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٧﴾ : أي طريق إلى الهداية في الدنيا، وإلى الجنة يوم القيامة.  
 أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ : أي أجيبوه لما دعاكم إليه من التوحيد والعبادة.  
 مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ : أي يوم القيامة.  
 لَأَمْرَدًا لَهُمْ مِنَ ٱللَّهِ : أي إذا أتى لا يرد بحال.  
 مَا لَكُمْ مِنْ مَلٰٓئِكَةٍ يَوْمَئِذٍ : أي تلجثون إليه وتحصنون فيه.  
 وَمَا لَكُمْ مِنْ نٰكِرٍ ﴿٤٨﴾ : أي وليس لكم ما تنكرون به ذنوبكم؛ لأنها في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.  
 فَإِنْ أَعْرَضُوا : أي لم يجيبوا ربهم لما دعاهم إليه من التوحيد والعبادة. ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ .  
 إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلٰٓغُ : وقد بلغت فلا مسئولية تخشاها بعد البلاغ.  
 وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِتَارِحْمَةً : أي نعمة كالغنى والصحة والعافية. ﴿فَرِحَ بِهَا﴾ .  
 وَإِنْ نُصِيبُهُمْ سَرِينَةً : أي بلاء كالمرض والفقر وغير ذلك.  
 يَمَاقِدَتْ أَيْدِيَهُمْ : أي من الذنوب والخطايا.  
 فَإِنَّ ٱلْإِنسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٩﴾ : أي للنعمة والمنعم، والإنسان هو غير المؤمن التقي.  
 لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ : أي خلقًا وملكًا وتصريفًا. ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ .  
 يَهَبُ لِمَنْ يَشَآءُ إِنثًا : أي يرزق من يشاء من الناس بنات.  
 وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَآءُ الذَّكَوٰرَ ﴿٥٠﴾ : أي ويعطي من يشاء الأولاد الذكور.  
 أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذَكَرًا وَإِنثًا : أي يجعلهم ذكورًا وإنثًا.  
 وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَآءُ عَقِيمًا : أي لا يلد ولا يولد له. ﴿إِنَّهُ عَلَيْهِ قَدِيرٌ﴾ ﴿٥١﴾ . ﴿وَمَا كَانَ لِشَرِّ أَنْ يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ﴾ .  
 إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ : أي إعلامًا خفيًّا سريعًا في يقظة أو منام، أو يكلمه من وراء حجاب فيسمع الكلام ولا يرى الذات.  
 أَوْ يُرْسِلَ رَسُوْلًا فَيُوحِي بِآذِنِهِ مَا يَشَآءُ : أي أو يرسل ملكًا في صورة إنسان فيكلمه مبلغًا عن الله

تعالى.

إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥١﴾ : أي الله تعالى ذو علو على سائر خلقه، حكيم في تدبير خلقه.  
 وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ : أي كما كنا نوحى إلى سائر رسلنا أوحينا إليك يا محمد هذا القرآن.  
 رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا : أي وحيًا ورحمة من أمرنا الذي نوحيه إليك.  
 مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ : أي لم تكن قبل تدري أي شيء هو الكتاب، ولا الإيمان الذي هو قول وعمل واعتقاد<sup>(١)</sup>.

وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ : أي جعلنا القرآن نورًا نهدي به إلى صراطنا. ﴿مَنْ نَّشَأَ مِنْ عِبَادِنَا﴾  
 وَإِنَّكَ لَنَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ : أي الإسلام. ﴿صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾  
 إِلَّا إِلَىٰ اللَّهِ نَصِيرٌ الْأُمُورِ ﴿٥٣﴾ : أي ترجع أمور جميع العباد في يوم القيامة إلى الله تعالى.



(١) المنفي من الإيمان هو التفصيلي، أما الإجمالي فقد ولد ﷺ مؤمنًا موحدًا، ولذا لم يقل: وما كنت مؤمنًا؛ فالمنفي شرائع الإيمان وتفصيله.

## ٤٣ - سُورَةُ الْحُرُوفِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْ (١): هذا أحد الحروف المقطعة يكتب حم ويقرأ: حاميم.

وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢): أي والقرآن الموضح لطريق الهدى وسبيل السلام.

إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا: أي جعلناه قرآنًا بلسان العرب يقرأ بلسانهم ويفهم به.

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣): أي رجاء أن تعقلوا أيها العرب، ما تؤمرون به وما تنهون عنه.

وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا: أي في اللوح المحفوظ كتاب المقادير كلها عندنا.

لَعَلِّي حَكِيمٌ (٤): أي لذو علو وشأن على الكتب قبله لا يوصل إلى مستواه في علوه ورفعته، حكيم أي ذو حكمة بالغة عالية لا يرام مثلها.

أَفَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا: أنمهلكم فنضرب عنكم الذكر صفحًا أي لا تنزل القرآن بأمركم ونهيكم ووعدكم ووعدكم.

أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ (٥): لأن كنتم قومًا مسرفين: متجاوزين الحد في الشرك والكفر؛ كلا لا تفعل.

وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ (٦): أي وكثيرًا من الأنبياء أرسلناهم في الأولى من الأمم الماضية. وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٧).

فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا: أي فأنزلنا عذابنا بأشدهم قوة وبطشًا من قومك فأهلكناهم.

وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ (٨): أي ومضى في الآيات القرآنية صفة هلاك الأولين.

وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ: أي ولئن سألت هؤلاء المشركين من قومك يا رسولنا.

مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ: أي من بدأ خلقهن وأوجدهن. ﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٩)﴾.

الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا: أي الله الذي جعل لكم الأرض فراشًا كالمهد للصبي.

وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا: أي طرقًا.

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠): أي إلى مقاصدكم في أسفاركم.

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ: أي على قدر الحاجة ولم يجعله طوفانًا مغرقًا مهلكًا.

فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا: أي فأحيينا به بلدة ميتة: أي لا نبات فيها ولا زرع.

كَذَلِكَ نُخْرِجُوكَ (١١): أي مثل هذا الإحياء للأرض الميتة بالماء تحيون أنتم وتخرجون من قبوركم.

وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا: أي خلق كل شيء إذ الأشياء كلها زوج، ولم يعرف فرد إلا الله. وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْقُلُوبِ وَالْأَنْعَامِ: أي السفن، والإبل. ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾ (١٢) إِسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ: أي تستقروا على ظهور ما تركبون. ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقَوُّوا عَلَىٰ سُبْحَنِ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا.

وَمَا كُنَّا إِلَّا مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾: أي مطيقين ولا ضابطين.

وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾: أي لصائرون إليه راجعون.

وَجَعَلُوا اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ جُزْءًا: أي وجعل أولئك المشركون المقرون بأن الله هو الذي خلق السموات والأرض من عباده جزءًا إذ قالوا: الملائكة بنات الله.

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِكَفُورٍ مُّبِينٍ ﴿١٥﴾: أي إن الإنسان المعترف بأن الله خلق السموات وجعل من عباده جزءًا هذا الإنسان لكفور مبين أي لكثير الكفر بينه.

أَمْ أَمْتًا خَدَّ وَمَا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾: أي خصكم بالبنين وأخلصهم لكم.

وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا: أي بما جعل للرحمن شبهًا وهو الولد (١).

ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾: أي أقام طوال نهاره مسود الوجه من الحزن وهو ممتلى غيظًا.

أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ: أي أيجترئون على الله ويجعلون له جزءًا هو البنت التي تربي في الزينة.

وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾: أي غير مظهر للحجة لضعفه بالأنوثة.

وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا: أي لأنهم قالوا: بنات الله.

أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ: أي أحضروا خلقهم عندما كان الرحمن يخلقهم.

سَتَكُنُّنَّ شَهِدَاتُهُمْ: أي سيكتب قولهم: إن الملائكة إناث.

وَسُئِلُونَ ﴿١٩﴾: أي يوم القيامة عن شهادتهم الباطل ويعاقبون عليها.

وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ: أي دعواهم أن الله راض عنهم بعبادة

الملائكة لا دليل لهم عليه ولا علم (٢).

إِنَّهُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾: أي ما هم إلا يكذبون يتوارثون الجهل عن بعضهم البعض.

(١) ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ أي جعل لله شبهًا وهو الولد ظل وجهه مسودًا وهو كظيم، أي إن هؤلاء الذين يجعلون لله البنات كذبًا وافتراءً، إذا ولد لأحدهم بنت فبشر بها أي أخبر بأن امرأته جاءت ببنت ظل وجهه طول النهار مسودًا من الكآبة والغم وهو كظيم أي ممتلى غمًا وحزنًا.

(٢) قولهم منظور فيه إلى أن مشيئة الله وهي إرادته قسمان: إرادة كونية وإرادة تكليفية شرعية؛ فالإرادة الكونية القدرية هذه لا تتخلف أبدًا فما شاء الله كان، والإرادة الشرعية التكليفية هي التي قد تتخلف؛ لأن الله تعالى وهب عبده إرادة واختيارًا، وبحسب ما يختاره يكون جزاؤه، والمشركون لا علم لهم بهذا؛ فلذا نفى عنهم العلم رادًا باطلهم بجهلهم.

أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ: أي أم أنزلنا عليهم كتابًا قبل القرآن.  
 فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾: أي متمسكون بما جاء فيه، والجواب: لم يقع ذلك قط.  
 بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ: أي إنهم لا حجة لهم إلا التقليد الأعمى لأبائهم.  
 وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾: أي على طريقتهن وملتهن ماشون وهي عبادة غير الله من  
 الملائكة وغيرهم من الأصنام والأوثان. وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ.  
 إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا: أي متنعموها.

إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ: أي ملة ودين.  
 وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾: أي على طريقتهن متبعون لهم فيها.  
 ﴿٢٤﴾ قُلْ أُولُو حِجَّتِكُمْ بَاهِدِي مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ: قال لهم رسولهم: أتبعون آباءكم ولو حججتكم  
 بأهدى: أي بخير مما وجدتم عليه آباءكم هداية إلى الحق والسعادة والكمال.  
 قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٥﴾: أي قال المشركون لرسولهم ردًا عليهم: إنا بما أرسلتم به  
 كافرون أي: جاحدون منكرون غير معترفين به.  
 فَأَنقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٢٦﴾: أي كانت دمارًا وهلاكًا إذا فلا تكثر  
 بتكذيب قومك يا رسولنا.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ: أي واذكر إذ قال إبراهيم أبو الأنبياء خليل الرحمن.  
 إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٧﴾: أي بريء مما تعبدون من أصنام لا أعبدها ولا أعترف بها.  
 إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٨﴾: أي لكن الذي خلقني فإني أعبده وأعترف به فإنه سيهديني أي  
 يرشدني إلى ما يكملني ويسعدني في الحياة وفي الآخرة.  
 وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ: أي وجعل إبراهيم كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» باقية دائمة في  
 ذريته إذ وصاهم بها كما قال تعالى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ﴾.  
 لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٩﴾: أي رجاء أن يتوبوا إلى الله ويرجعوا إلى توحيده كلما ذكروها وهي لا إله  
 إلا الله.

بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ: أي هؤلاء المشركين وآباءهم بالحياة فلم أعاجلهم بالعقوبة.  
 حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴿٣٠﴾: أي إلى أن جاء القرآن يحمل الدين الحق، ورسول مبين لا  
 شك في رسالته وهو محمد ﷺ يبين لهم طريق الهدى والأحكام الشرعية. ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا  
 هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣١﴾﴾.

وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣٢﴾: أي وقال هؤلاء المشركون الذين  
 متعناهم بالحياة فلم نعاقبهم: هلاً نزل هذا القرآن على أحد رجلين من قريتي مكة أو الطائف أي  
 الوليد بن المغيرة بمكة أو عروة بن مسعود الثقفي في الطائف.

أَهْرُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ : أي ينكر تعالى عليهم هذا التحكم والاقتراح الفاسد فقال: أهم يقسمون رحمة ربك، إذ النبوة رحمة من أعظم الرحمات، وليس لهم حق في تنبئة أي أحد إذ هذا من حق الله وحده.

نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا : أي إذا كنا نحن نقسم بينهم معيشتهم فنغني هذا ونفقر هذا، ونملك هذا ونعزل هذا، فكيف بالنبوة وهي أجل وأعلى من الطعام والشراب فنحن أحق بها منهم فننبئ من نشاء.

وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا : أي جعلنا هذا غنياً وذاك فقيراً ليتخذ الغني الفقير خادماً يسخره في خدمته بأجرة مقابل عمله.

وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٣﴾ : أي والجنة التي أعدها الله لك ولأتباعك خير من المال الذي يجمع هؤلاء المشركون الكافرون.

وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً : أي على الكفر. ﴿لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْتِيَهُمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ﴾.

وَمَعَارِجَ : أي كالسلم والمصعد الحديث، والمعارج جمع معرج وهو المصعد.

عَلَيْهَا يَطَّهَّرُونَ ﴿٣٤﴾ : أي يعلون عليها إلى السطوح. ﴿وَلِيُؤْتِيَهُمْ آتُونًا وَسُرْرًا عَلَيْنَا يَتَّكُونَ

﴿٣٤﴾

وَزُخْرَفًا : أي ذهباً أي لجعلنا لبيوتهم سقفاً من فضة وذهب، وكذلك الأبواب والمصاعد والسرر بعضها من فضة وبعضها من ذهب.

وَإِنْ كُنْ ذَلِكَ : أي وما كل ذلك المذكور.

لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا : أي وما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا يتمتع به فيها ثم يزول.

وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ : أي الجنة ونعيمها خير لأهل الإيمان والتقوى من متاع

الدنيا<sup>(١)</sup>.

وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ : أي يعرض متعامياً متغافلاً عن ذكر الرحمن الذي هو القرآن

متجاهلاً له.

نُقِضَ لَهُ شَيْطَانًا : أي نجعل له شيطاناً يلازمه لإضلاله وإغوائه.

فَهُوَلَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ : أي فهو أي من عشا عن ذكر الرحمن قرين للشيطان.

وَأَنَّهُمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ : أي وإن الشياطين المقارنين لهم ليصدونهم عن طريق الهدى.

(١) أنشد بعضهم في ذم الدنيا فقال:

فلو كانت الدنيا جزاء لمحسن  
لقد جاع فيها الأنبياء كرامة  
إذا لم يكن فيها معاش لظالم  
وقد شبت فيها بطون البهائم

وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ : أي ويحسب العاشون عن القرآن وحججه وعن ذكر الرحمن وطاعته أنهم مهتدون، أي أنهم على الحق والصواب وذلك بتزيين القرين لهم. ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ﴾ .

بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ : أي كما بين المشرق والمغرب من البعد قال هذا تبرؤاً منه. ﴿ قَيْسَ الْقَرِينِ ﴾ ﴿٣٨﴾ .

وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ : أي ولن ينفعكم اليوم أيها العاشون إذ ظلمتم أنفسكم بالشرك والمعاصي.

أَنْكُرُ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ : اشتراككم في العذاب غير نافع لكم. أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْىَ : أي إنك يا رسولنا لا تسمع الصم، ولا تهدي العمي والقوم قد أصمهم الله وأعمى أبصارهم؛ لأنهم عشوا عن ذكره.

وَمَنْ كَانَتْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ : أي كما أنك لا تقدر على هداية من كان في ضلال مبين عن الحق والهدى.

فَأَمَّا نَذَبٌ بِكَ : أي فإما نذهبن بك أي نमितك قبل تعذيبهم<sup>(١)</sup> ، و(ما) زائدة أدغمت فيها (إن) الشرطية فصارت إماً.

فَأَنآ مَنَّهُمْ مُنْقِمُونَ ﴿٤١﴾ : أي معذبوهم في الدنيا وفي الآخرة. أَوْ نُزِيتُكَ الَّذِي وَعَدْتَهُمْ : أي وإن نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب. فَأَنآ عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ : أي لا يعوقنا عائق لأننا عليهم قادرون. فَاسْتَمْسِكَ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ : أي دُم على استمساكك بالقرآن سواء عجلنا لك بالموعود به أو أخرناه.

إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ : أي إنك على طريق الحق والهدى فواصل سيرك. وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ : أي وإن القرآن لشرف لك وشرف لقومك. وَسَوْفَ تَسْتَخْلُونَ ﴿٤٤﴾ : أي عن القرآن أي عن العمل به بتطبيق شرائعه وإبلاغه لغيركم<sup>(٢)</sup>. وَسَأَلْنَا مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا : أي أسأل مؤمني أهل الكتابين: التوراة والإنجيل. أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ : أي هل جعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون والجواب: لم نجعل قط فليفهم هذا مشركو مكة.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا : أي أرسلناه بالمعجزات الدالة على صدق رسالته.

(١) أو بالخروج من مكة مكرهاً عليه من قبل أعدائه، وهجرة الرسول ﷺ ما كانت إلا بإرادته الحرة ولم يكن فيها مكرهاً ولا ملجأ؛ ولذا لم ينتقم الله من أهل مكة.

(٢) من فسر السؤال بالعمل هو حق، وكذا من فسره بالشكر فهو حق، لأن شكر العلم العمل به وتعليمه.

إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ : أي وقومه من القبط. ﴿فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٦) .  
فَلَمَّا جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ : أي سخرية واستهزاء.  
وَمَا نُزِيلُهُمْ مِنْ آيَةٍ : أي من آيات العذاب كالطوفان.  
إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتَيْهَا : أي من قريبتها التي قبلها من الآيات. ﴿وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ  
يَرْجِعُونَ﴾ (٤٨) .

وَقَالُوا يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ : أي أيها العالم بالسحر المتبحر فيه (١) .  
أَذْعُ لَنَا رَبِّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ : أي من كشف العذاب عنا إن آمنا.  
إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ : أي إن كشفت عنا العذاب إنا مؤمنون.  
فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ : أي ينقضون عهدهم فلم يؤمنوا.  
وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ : أي نادى فيهم افتخارًا وتبجحًا بما عنده. ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ  
مِصْرَ﴾ .

وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي : أي من النيل تجري من تحت قصوري.  
أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ : أي عظمتي وما أنا عليه من الجلال والكمال.  
أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ : أي من موسى الذي هو مهين ولا يكاد يبين  
أي يفصح للثغة التي في لسانه.

فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ : أي هلاً ألقى عليه أسورة من ذهب من قبل الذي أرسله.  
أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ : أي أو جاءت الملائكة يتبع بعضها بعضًا تشهد له  
بالرسالة.

فَأَسْتَحَفَّ قَوْمَهُ، فَأَطَاعُوهُ : أي استفز فرعون قومه أي قال لهم ما حركهم به فخفوا لطاعته.  
إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ : أي أطاعوه لكونهم قومًا فاسقين؛ ففسقهم هو علة طاعتهم.  
فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ : أي فلما أغضبونا انتقمنا منهم. ﴿فَاعْرِفْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٥٥) .  
فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا : أي فرعون وقومه سلفًا أي سابقين ليكونوا عبرة لمن بعدهم.  
وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ : أي يتمثلون بحالهم فلا يقدمون على مثل فعلهم.  
﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا : أي ولما جعل عيسى ابن مريم مثلاً، والضارب ابن الزبيري،  
وذلك لما نزل قول الله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ .  
إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ : أي إذا المشركون من قومك يصدون: أي يضحكون فرحًا بما

(١) هذا النداء في هذا الوقت كان نداء تكريم وتعظيم كعادتهم في توقير وتعظيم علمائهم السحرة؛ لأنهم لما أصابهم من البلاء اعترفوا بمكانة موسى وسيادته.



سمعوا.

وَقَالُوا يَا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ<sup>(١)</sup>: أي ألهتنا التي نعبدها خير أم هو - أي عيسى ابن مريم -  
فرضي أن تكون ألهتنا معه.

مَا صَرَّوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا: أي ما جعلوه - أي المثل - لك إلا خصومة بالباطل، لعلمهم أن (ما)  
لغير العاقل فلا يتناول اللفظ عيسى ﷺ.

بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ<sup>(٥٨)</sup>: أي شديدو الخصومة.

إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ: أي ما هو - أي عيسى - إلا عبد أنعمنا عليه بالنبوة.

وَجَعَلْنَاهُ مِثْلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ<sup>(٥٩)</sup>: أي لوجوده من غير أب كان مثلاً لبني إسرائيل لغرابته،  
يستدل به على قدرة الله على ما نشاء.

وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً: أي ولو نشاء لأهلكناكم وجعلنا بدلکم ملائكة.

فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ<sup>(٦٠)</sup>: أي يعمرون الأرض ويعبدون الله فيها يخلفونكم فيها بعد إهلاككم.

وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ: أي وإن عيسى ﷺ لعلم للساعة تعلم بنزوله إذا نزل<sup>(٢)</sup>.

فَلَا تَمَتَّرْتْ بِهَا: أي لا تشكن فيها أي في إثباتها ولا في قربها.

وَأَتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ<sup>(٦١)</sup>: أي وقل لهم اتبعون على التوحيد هذا صراط مستقيم وهو

الإسلام.

وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ: أي ولا يصرفنكم الشيطان عن الإسلام.

إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ<sup>(٦٢)</sup>: أي إن الشيطان لكم عدو بين العداوة فلا تتبعوه.

وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ: أي ولما جاء عيسى ابن مريم إلى بني إسرائيل بالمعجزات والشرائع.

قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ: أي قال لبني إسرائيل: قد جئتكم بالنبوة وشرائع الإنجيل.

وَلَا يَبِينُ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ: أي وجئتكم لأبين لكم ما اختلفتم فيه من أحكام التوراة

من أمر الدين وغيره.

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا<sup>(٦٣)</sup>: أي خافوا الله وأطيعوا فيما أبلغكموه عن الله من الأمر والنهي.

إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَاعْبُدُوهُ: أي إن الله إلهي وإلهكم فاعبدوه بحبه وتعظيمه والذلة له.

هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ<sup>(٦٤)</sup>: أي تقوى الله وطاعة الرسول وعبادة الله بما شرع هو الإسلام

المعبر عنه بالصراط المستقيم.

فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ: أي في شأن عيسى أهو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة؟

(١) المراد بالمثل هنا الممثل به والمشبه به؛ لأن ابن الزبيري شبه ألهتهم بعيسى في أنها عبت من دون الله مثله، فإذا كانوا في النار فعيسى كذلك. (لأن النصارى يعبدون المسيح).

(٢) قال ابن كثير رحمه الله: (... ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى: (وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ). اهـ (قل).

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلَسِيرٍ ﴿٦٥﴾: أي فويل للذين كفروا بما قالوا في عيسى من الكذب والباطل.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾: أي ما ينتظر هؤلاء الأحزاب مع إصرارهم على ما قالوه في عيسى إلا الساعة أن تأتيهم بغتة: فجأة وهم لا يشعرون. الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ: أي الأحياء يوم إذ تأتيهم الساعة بغتة<sup>(١)</sup>. إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾: فإن محبتهم تدوم لهم؛ لأنها كانت في الله وطاعته.

بِعِبَادٍ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾: أي ينادون فيقال لهم: لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون بل تحبرون أي تسرون وتكرمون. ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ﴿٦٩﴾ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾.

يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ<sup>٢</sup>: أي يطوف عليهم الملائكة بقصاع من ذهب وفيها الطعام وأكواب من ذهب فيها الشراب اللذيذ. وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ<sup>٣</sup>: أي في الجنة ما تشتهيهِ الأنفس تلذذاً به وتلذد الأعين نظراً إليه. ﴿وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٧١﴾.

وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾: أي يقال لهم وهذه هي الجنة التي أورثكموها الله بأعمالكم الصالحة التي هي ثمرة إيمانكم الصادق وإخلاصكم الكامل. ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿٧٣﴾<sup>(٢)</sup>.

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾: أي إن الذين أجرموا على أنفسهم بالشرك والمعاصي في جهنم خالدون لا يخرجون ولا يموتون.

لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾: أي لا يخفف عنهم العذاب وهم فيه ساكتون سكوت يأس. ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٧٦﴾.

وَنَادُوا بِمَلِكِهِمْ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ: أي ونادوا مالكا خازن النار قائلين له: ليقتلنا ربك. قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ ﴿٧٧﴾: أي أجابهم بعد ألف سنة مضت على دعوتهم بقوله: إنكم ماكثون أي مقيمون في عذاب جهنم دائماً.

لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَادِحُونَ ﴿٧٨﴾: أي علة بقائكم أنا جئناكم بالحق على لسان رسولنا، والحق: التوحيد وعبادة الله بما شرع، فكره أكثركم الحق.

(١) أي إذا جاءت الساعة الأخلاء أي الأحياء في الدنيا يوم إذ تأتي الساعة بعضهم لبعض عدو فتقطع تلك الخلة والمودة وتصبح عداً لأنها كانت على معصية الله إلا المتقين.

(٢) الفاكهة قال ابن عباس رضي الله عنهما هي الثمار كلها رطبها ويابسها، وبائعها يقال له: الفاكهاني.

أَمْ أَرْمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ : أي أحكموا في الكيد للنبي محمد فإننا<sup>(١)</sup> محكمون كيدنا في إهلاكهم. ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

بَلْ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ ﴿٨٠﴾ : أي وملائكتنا من الحفظة يكتبون ما يسرون وما يعلنون. قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ : أي قل يا رسولنا لهؤلاء المشركين الزاعمين أن الملائكة بنات الله: إن كان للرحمن ولد فرضًا. فَإِنَّا أَوْلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿٨١﴾<sup>(٣)</sup> : أي فإنا أول من يعبده تعظيمًا لله وإجلالًا، ولكن لا ولد له فلا عبادة إذا لغيره.

سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ : أي تنزهه وتقدهس. عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ : أي عما يصفون به الله تعالى من أن له ولدًا وشركاء. فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا : أي اتركهم يا رسولنا يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم. ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ : أي معبود في السماء. وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ : أي ومعبود في الأرض. ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(٥)</sup>. وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا : أي تعظم وجل جلال الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما.

وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ : أي عنده علم وقت مجيئها. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾<sup>(٦)</sup>. وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ : أي يعبدونهم. مِنْ دُونِهِ : أي من دون الله، مثل عيسى والعزير. الشَّفَعَةَ : أي لأحد.

إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ : أي لكن الذي شهد بالحق فوحد الله تعالى على علم هذا الذي تناله شفاعة الملائكة والأنبياء ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾. فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ : أي كيف يصرفون عن الحق بعد معرفته. وَقِيلَ : أي قول النبي. ﴿يَنْرَبِّ إِنَّ هَتُولَاءَ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) ﴿أَمْ﴾ المنقطعة تفسر ب(بل) للإضراب الانتقالي، والاستفهام محذوف الأداة تخفيفًا أي أبرموا أمرًا والاستفهام تقريرى والمراد بالأمر ما يبيتونه من مكر بالرسول ﷺ وأجمعوا عليه وهو قتله ﷺ وذلك في دار الندوة؛ فأبرم الله أمرًا فأهلكهم في بدر.

(٢) السر: ما يسرونه في أنفسهم من وسائل المكر بالنبي ﷺ، وبالنجوى ما يحتاجون به بينهم في ذلك بحديث خفي.

(٣) له أي لذلك الولد؛ لأن تعظيم الولد تعظيم للوالد؛ إلا أنه لا ولد له ولا ينبغي له لغناه المطلق.

(٤) والضمير في قبله يعود إلى النبي ﷺ؛ إذ هو القائل: ﴿يَنْرَبِّ إِنَّ هَتُولَاءَ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٨٨)</sup>؛ لطول ما دعاهم وهم

فَأَصْفَحَ عَنْهُمْ: أي أعرض عنهم<sup>(١)</sup>.  
 وَقُلْ سَلِّمُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾: أي أمري سلام منكم فسوف تعلمون عاقبة كفركم.



معرضون عن الحق مصرون على الكفر.  
 (١) مثل هذا ﴿فَأَصْفَحَ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمُوا﴾ منسوخ بآيات القتال التي نزلت بالمدينة النبوية بعد الهجرة.

## ٤٤ - سُورَةُ الدُّجَانِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ (١) : هذا أحد الحروف المقطعة تكتب هكذا حم، وتقرأ هكذا حاميم.  
وَالصَّكَّتِ الْمِيْنِ (٢) : أي القرآن المظهر للحلال والحرام في الأقوال والأعمال  
والاعتقادات.

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ (٣) : أي في ليلة القدر من رمضان. ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (٤).  
فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٥) (١) : أي يفصل كل أمر محكم من الآجال والأرزاق وسائر  
الأحداث.

أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا (٦) : أي فيها في ليلة القدر يفرق كل أمر حكيم أمرًا من عندنا أي: أمرنا بذلك أمرًا  
من عندنا.

﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ (٧) رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ (٨) : أي إنا كنا مرسلين الرسل محمدًا ومن قبله رحمة من  
ربك بالمرسل إليهم من الأمم والشعوب.  
إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٩) : أي السميع لأصوات مخلوقاته، العليم بحاجاتهم. ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ (١٠).

إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (١١) : أي بأنه رب السموات والأرض فأمنوا برسوله، واعبدوه وحده. ﴿لَا  
إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٢).

بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ (١٣) : أي فليسوا بموقنين بل هم في شك من ربوبية الله تعالى لخلقه،  
وإلا لعبدوه وأطاعوه، بل هم في شك يلعبون بالأقوال والأفعال لا يقين لهم في ربوبية الله تعالى،  
وإنما هم مقلدون لأبائهم في ذلك.  
فَارْتَقِبْ : أي انتظر (١٤).

يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ (١٥) : أي ما كان يراه الرجل من قريش لشدة الجوع بين السماء

(١) أي في تلك الليلة المباركة (ليلة القدر) يفصل كل أمر محكم مما قضى الله أن يتم في تلك السنة من أحداث في الكون يؤخذ ذلك من كتاب المقادير فيفصل عنه وينفذ خلال السنة من الموت والحياة والغنى والفقر والصحة والمرض والتولية والعزل، فكل أحداث تلك السنة تفصل من اللوح المحفوظ يتم إحداثها في تلك السنة حتى إن الرجل ليتزوج ويولد له وهو في عداد من يموت فلا تنتهي السنة إلا وقد مات.

(٢) ارتقب معناه انتظر يا رسولنا يوم تأتي السماء إلخ. وقيل: ارتقب معناه احفظ، لأن الرقيب يطلق على الحافظ.

والأرض من دخان.

يَغْشَى النَّاسَ : أي يغشى أبصارهم من شدة الجهد الناتج عن الجوع الشديد. ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

﴿١١﴾

رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ : أي يا ربنا إن كشفت عنا العذاب آمنا بك وبرسولك.

أَفَنُكْفَرُوا بِالذِّكْرِ : أي من أي وجه يكون لهم التذكر والحال أنه. ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾

﴿١٣﴾ . ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِّثْلُ نَحْنُونَ ﴿١٤﴾ : أي أنه يعلمه القرآن بشر مجنون أي مختلط عليه أمره غير مدرك

لما يقول.

إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ : أي إلى الكفر والجحود.

يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى : أي الأخذة القوية التي أخذناهم بها يوم بدر حيث قتلوا وأسروا. ﴿إِنَّا

مُنْقِمُونَ﴾ ﴿١٦﴾ .

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ : أي ولقد اخترنا قبلهم أي قبل كفار قريش قوم فرعون من

الأقباط.

وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ : أي موسى بن عمران صلوات الله عليه وسلامه.

أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ : أي ادفعوا إلي عباد الله بني إسرائيل وأرسلهم معي.

إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ : أي إني رسول الله إليكم، أمين على وحيه ورسالته.

وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ : أي وبأن لا تطغوا على الله فتكفروا به وتعصوه.

إِنِّي أَنَا نِكْمٌ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٩﴾ : أي بحجة واضحة تدل على صدقي في رسالتي وما أطلبكم به.

وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ : أي وإني قد اعتصمت بربي وربكم واستجرت به أن

ترجموني <sup>(١)</sup>.

وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَنْزِلُونِ ﴿٢١﴾ : أي إن لم تصدقوني فيما جئتكم به فخلوا سبيلي واتركوني.

فَدَعَا رَبَّهُ : أي فلما كذبه فرعون وقومه وهموا بقتله نادى ربه يا رب.

أَنْ هَتَوْلَاءَ قَوْمٌ مِّثْلُكُمْ ﴿٢٢﴾ : أي إن هؤلاء قوم مجرمون بالكفر والظلم.

فَأَسْرِعْ بَعَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ﴿٢٣﴾ : أي فأجابه ربه بأن قال له: فأسر بعبادي - أي بني إسرائيل

- ليلًا إن فرعون وجنده متبعوكم ليردوكم.

وَأَتْرِكُ الْبَحْرَ رَهَوًّا : أي وإذا اجتزت أنت وقومك البحر فاتركه رهوًا ساكنًا كما هو حين دخلته مع

بني إسرائيل <sup>(٢)</sup>.

(١) الرجم بالقول الكذب على الشخص والافتراء عليه كذبا، والرجم بالأعمال معناه القتل بالحجارة.

(٢) المراد بالبحر هنا بحر القلزم المعروف اليوم بالبحر الأحمر، ورهوًا منصوب على الحال، والرهوة الفجوة

إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾: أي وإن فرعون وقومه جندُ الله مغرقهم في البحر.  
 كَفَرْتُمْ كُفْرًا مِنْ جَنْتٍ: أي بساتين وحدائق غناء. ﴿وَعْيُونٍ﴾ ﴿٢٥﴾.  
 وَرُزُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾: أي مجلس حسن ومحافل مزينة ومنازل حسنة.  
 وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَكَفَّيْنِ ﴿٢٧﴾: أي نضرة عيش ولذاذته كانوا فيها ناعمين <sup>(١)</sup>.  
 كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾: أي بني إسرائيل <sup>(٢)</sup>.  
 فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ: أي لهواتهم على الله بسبب كفرهم وظلمهم.  
 وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾: أي ممهلين حتى يتوبوا.  
 وَلَقَدْ جَعَلْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ أَلْمُهِينَ ﴿٣٠﴾: أي قتل أبنائهم واستخدام نسائهم. ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ﴾  
 إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾.  
 وَلَقَدْ آخَرْتَنَّهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾: أي اخترناهم على علم منا على عالمي زمانهم من  
 الإنس والجن؛ وذلك لكثرة الأنبياء منهم وفيهم.  
 وَءَاتَيْنَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاغٌ مُبِينٌ ﴿٣٣﴾: أعطيناهم من النعم ما فيه بلاء مبين أي واضح  
 كانهلاك البحر والمن والسلوى <sup>(٣)</sup>.  
 إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾: أي المشركين من قريش.  
 إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى: أي لا حياة بعدها ولا موت، وهذا تكذيب بالبعث الآخر.  
 وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾: أي بمبعوثين أحياء من قبورنا بعد موتنا.  
 فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾: أي فأت يا محمد بآبائنا الذين ماتوا إن كنت صادقًا في أننا  
 بعد موتنا وبلائنا نبعث أحياء من قبورنا.  
 أَهْمَ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبَعِّعُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ: أي هؤلاء المشركون خير في القوة والمناعة أم قوم تبع  
 والذين من قبلهم كعاد <sup>(٤)</sup>.

الواسعة مأخوذ من (رها) إذا فتح بين رجليه، ومعناه: اترك البحر مفتوحًا ساكنًا حتى يدخل فرعون وجنده فيهلكوا.

(١) النعمة بفتح النون التنعيم يقال نعمه فتنعم. والنعمة بالكسر اليد والصنيعة والمنة وما أنعم به على المرء ومثلها النعماء والنعيم.

(٢) ﴿كَذَلِكَ﴾ قيل: الأمر كذلك فيوقف على كذلك، وقيل: كذلك أفعل بمن عصاني أو كذلك كان أمرهم.

(٣) في هذا البلاء المبين أربعة أوجه ذكرها القرطبي وهي نعمة ظاهرة - عذابه شديد - اختبار يتميز به الكافر من المؤمن - ابتلاء بالشدة والرخاء.

(٤) الاستفهام إنكاري أي ليسوا خيرًا من قوم تبع والذين من قبلهم كعاد وثمود وقد أهلكهم الله، والمراد من قوم تبع أقوام ملوك التبابعة إذ تبع لقب لمن يملك بلاد اليمن كلها ككسرى للفرس وقيصر للروم. اهـ. قال ابن كثير: كقوم تبع وهم سبأ (قل).

أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ : أي أنزلنا بهم عقوبتنا فأهلكناهم إنهم كانوا قومًا مجرمين. ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾

لَعِينٍ ﴿٣٨﴾ : أي عابثين بخلقهما لا لغرض صالح.

مَا خَلَقْنَاهُمْ إِلَّا بِالْحَقِّ : أي إلا لأمر اقتضى خلقهما وهو أن أذكر فيهما وأشكر. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٩﴾

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ : أي إن يوم القيامة الذي يفصل فيه بين الخلائق ويحكم ميادهم أجمعين حيث يجمعهم الله فيه.

يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا : أي يوم لا يكفي قريب قريبه بدفع شيء من العذاب عنه.

وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ : أي لا ينصر بعضهم بعضًا.

إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ : أي لكن من رحمه الله فإنه يدفع عنه العذاب وينصر.

إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ : أي الغالب المنتقم من أعدائه، الرحيم بأوليائه.

إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقْوِمِ ﴿٤٣﴾ : أي الشجرة التي تثمر الزقوم وهي من أخبث الشجر ثمرة مرارة

وقبحا.

طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ : أي ثمرها طعام الأثيم أبي جهل وأصحابه من ذوي الآثام الكبيرة.

كَالْمُهْلِ : أي كدردي الزيت الأسود.

يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ : أي الماء الشديد الحرارة.

خُدُّهُ فَاعْتَلُوهُ : أي يقال للزبانية: خذوه فاعتلوه أي جروه بغلظة وشدة.

إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ : أي إلى وسطها. ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْجَحِيمِ﴾ ﴿٤٨﴾

ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ : أي ذق العذاب، إنك كنت تقول ما بين جبلي مكة أعز

وأكرم مني (والمراد: ذق إنك أنت الدليل المهان).

إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ : أي إن هذا العذاب الذي كنتم تمترون به أي تشكون فيه.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ : أي إن الذين اتقوا ربهم في الدنيا فأمنوا وعملوا الصالحات بعد

اجتناب الشرك والمعاصي في مجلس أمين لا يلحقهم فيه خوف بحال.

فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ : هذا هو المقام الأمين.

يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ : أي مارق من الديباج وما غلظ منه.

مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ : أي لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض؛ لأن الأسرة تدور بهم.

كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ : أي الأمر كذلك وزوجناهم.

بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ : أي بنساء بيض واسعات الأعين.

يَدْعُونَ فِيهَا : أي يطلبون الخدم فيها أن يأتوهم بكرى فاكهة.



بِكُلِّ فَنَكْهَةٍ ءَامِينٌ ﴿٥٥﴾: أي من انقطاعها ومن مضراتها ومن كل مخوف.  
 لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ: أي لكن الموتة الأولى فقد ذاقوها. ﴿وَوَقَّهَهُمْ  
 عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلَّامِينَ رَبَّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾.  
 فَإِنَّمَا يَسْتَرْئِيهِ بِلِسَانِكَ: أي سهلنا القرآن بلغتك.  
 لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾: أي يتعظون فيؤمنوا ويوحّدوا ولكنهم لا يؤمنون.  
 فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾: أي فانتظر هلاكهم فإنهم منتظرون هلاكك.



## ٤٥ - سُورَةُ الْجَاثِيَةِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ① : هذا أحد الحروف الهجائية يكتب هكذا: حم، ويقرأ هكذا: حاميم.  
 تَنْزِيلُ الْكِتَابِ : أي القرآن الكريم.  
 مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ② : أي من عند الله العزيز الانتقام من أعدائه، الحكيم في تدبيره.  
 إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : أي إن في خلق السموات والأرض.  
 لآيَاتٍ : أي لدلالات واضحة على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته، وهي موجبات الربوبية والألوهية له وحده دون سواه.  
 لِلْمُؤْمِنِينَ ③ : أي لأنهم بالإيمان أحياء يبصرون ويسمعون فيرون الآيات.  
 وَفِي خَلْقِكُمْ : أي وفي خلقكم أيها الناس، وتركيب أعضائكم وسلامة بنيانكم.  
 وَمَا بَشُرْتُمْ مِنْ دَابَّةٍ : أي وما يخلق وينشر من أنواع الدواب من بهائم وغيرها.  
 آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ④ : أي علامات على قدرة الله تعالى على البعث الآخر، إذ الخالق لهذه العوالم قادر على إعادتها بعد موتها، ولكن هذه الآيات لا يراها إلا القوم الموقنون في إيمانهم بربوبية الله وألوهيته وصفات الجلال والكمال له.  
 وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ : أي بمجيء هذا وذهاب ذلك، وطول هذا وقصر ذلك على مدى الحياة.  
 وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ : أي من مطر، وسمي المطر رزقاً؛ لأنه يسببه.  
 فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا : أحيأ بالمطر الأرض بعد موت نباتها بالجذب.  
 وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ : أي من صبا إلى دبور، ومن شمال إلى جنوب، ومن سموم إلى باردة، ومن نسيم إلى عاصفة.  
 آيَاتٌ : أي في اختلاف الليل والنهار وإنزال المطر وإحياء الأرض وتصريف الرياح دلالات واضحة على وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته، واقتضاء ذلك ربوبية الله وألوهيته.  
 لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ⑤ : لقوم يعقلون أي يستعملون عقولهم في إدراك الأشياء واستنتاج النتائج من مقدماتها.  
 تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ : أي تلك الآيات المذكورة آيات الله أي حججه الدالة على وحدانيته<sup>(١)</sup>.

(١) أشار إليها بلام البعد للدلالة على علو شأنها وعزة مراتبها، ولولا هذا لقال: هذه آيات الله لقرب ذكرها.

تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ: أي نخبرك عنها بالحق لا بالباطل، كما يخبر المشركون عن آلهتهم أنها تقربهم إلى الله زلفى كذباً وباطلاً.

فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ: أي فبأي حديث أيها المشركون بعد حديث الله الذي يتلو عليكم وبعد حججه هذه.

يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾: أي يصدقون والجواب: أنهم لا يؤمنون.

وَيَلِكُلْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾: أي عذاب الويل لكل كذاب ذي آثام كبيرة وكثيرة.

يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ: أي يسمع آيات القرآن كتاب الله تقرأ عليه.

ثُمَّ يَصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا: أي ثم يصر على الكفر حال كونه مستكبراً عن الإيمان والتوحيد كأن لم يسمعها. ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٨﴾.

وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا: أي إذا بلغه شيء من القرآن وعلم أنه القرآن.

أَتَّخَذَهَا هُزُوًا: أي اتخذ تلك الآية أو الآيات مهزواً بها متهكماً ساخرًا منها.

أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾: أي ذو إهانة لهم يهانون به وتكسر أنوفهم.

مِن رَّأْيِهِمْ جَهَنَّمَ: أي أمامهم جهنم وذلك يوم القيامة، والوراء يطلق على الأمام كذلك.

وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا: أي لا يكفي عنهم ما كسبوه من المال والأفعال التي كانوا يعتزون بها شيئاً من الإغناء.

وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ: أي ولا يغني عنهم كذلك ما اتخذوه من أصنام آلهة. عبدوها دون

الله تعالى. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٠﴾.

هَذَا: أي هذا القرآن الذي أنزله الله تعالى على عبده ورسوله محمد ﷺ.

هُدًى: أي كله حجج وبراهين ودلالات هادية.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَابَت رَيْبِهِمْ: أي والذين كفروا بالقرآن فلم يهتدوا به، وبقوا على ضلالهم من الشرك

والمعاصي.

لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾: أي لهم عذاب موجه من نوع الرجز وهو أشد أنواع العذاب.

اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ: أي الله المعبود بحق لا الآلهة الباطلة، سخر لكم أي لأجلكم البحر

بأن جعله أملس تطفو فوقه الأخشاب ونحوها.

لِيَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ: أي جعله كذلك لتجري السفن فيه بإذن الله تعالى.

وَلِيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ: أي لتسافروا إلى طلب الرزق من إقليم إلى إقليم.

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾: أي رجاء أن تشكروا نعم الله عليكم.

وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ: أي من شمس وقمر ونجوم ورياح وماء أمطار.

وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ: أي وما في الأرض من جبال وأنهار وأشجار ومعادن منه تعالى.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ : أي علامات ودلائل وحججاً على وجود الله وألوهيته.

لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ : أي لقوم يستخدمون عقولهم فيتفكرون في وجود هذه المخلوقات، ومن أوجدها. ولماذا أوجدها. فتتجلى لهم حقائق وجود الله وعلمه وقدرته ورحمته فيؤمنون ويوحدون.

قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا : أي قل يا رسولنا للمؤمنين من عبادنا: يغفروا: أي يتجاوزوا ولا يؤاخذوا.

لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ : أي لا يتوقعون أيام الله أي بالإدالة منهم للمؤمنين فيذلهم الله وينصر المؤمنين عليهم وهم الرسول وأصحابه وهذا قبل الأمر بجهادهم.

لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ : أي ليجزي الله تعالى يوم القيامة قوماً منهم، وهم الذين علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون بما كسبوه من أذى الرسول والمؤمنين.

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ : أي فهو الذي يرحم ويسعد به.

وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا : أي ومن عمل سوءاً فالعقوبة تحل به لا بغيره.

ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ : أي بعد الموت ويحكم بينكم فيما كان بينكم من خلاف وأذى.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ : أي التوراة لأنها الحاوية للأحكام الشرعية بخلاف الزبور والإنجيل.

وَالْحُكْمَ : أي الفصل في القضايا بين المتنازعين على الوجه الذي يحقق العدل.

وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ : أي جعلنا فيهم النبوة كتبوة موسى وهارون وداود وسليمان، ورزقناهم من الطيبات كالمن والسلوى وغيرهما.

وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ : أي على عالمي زمانهم من الأمم المعاصرة لهم. ﴿وَأَتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾ علمناهم حججاً وعلوماً في أمر دينهم ونظام حياتهم <sup>(١)</sup>.

فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ : أي لم يختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم ببعثة محمد النبي ﷺ. بغيًا بينهم أي حسداً للعرب أولاد إسماعيل أن تكون النبوة فيهم. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿١٧﴾.

ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ : أي ثم جعلناك يا رسولنا على شريعة من أمر الدين الحق الذي ارتضاه الله لعباده.

فَاتَّبِعْهَا : أي الزم الأخذ بها والسير على طريقها في أنها تفضي بك إلى سعادة الدارين.

وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ : من مشركي العرب ومن ضلال أهل الكتاب.

(١) حيث يكونون على بصيرة في تدبير مجتمعهم وعلى سلامته من الشرور والمفاسد.

إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا : أي إن أنت تركت ما شرع لك واتبعت ما يقترحون عليك أن تفعله مما يوافق أهواءهم، إنك إن اتبعتهم فلن يدفعوا عنك من العذاب الدنيوي والأخروي شيئًا. وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ : أي ينصر بعضهم بعضًا في الدنيا، أما في الآخرة فإنهم لا ينصرون.

وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾ : أي متوليهم في أمورهم كلها وناصرهم على أعدائهم. هَذَا بَصِيرَةٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ : أي هذا القرآن أي أنوار هداية يهتدون به إلى ما يكملهم ويسعدهم، وهدى ورحمة، ولكن لأهل اليقين في إيمانهم فهم الذين يهتدون به ويرحمون عليه، أما غير الموقنين فلا يرون هداة، ولا يجدون رحمته لأن شكهم وعدم إيمانهم يتعذر معهما أن يعملوا به في جد وصدق وإخلاص.

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ : أي اكتسبوا بجوارحهم الشرك والمعاصي. ﴿١٣﴾ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿١٤﴾ : أي محياهم ومماتهم سواء، لا لا: المؤمنون في الجنة. والمشركون في النار.

سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٥﴾ : أي ساء حكمًا حكمهم بالتساوي مع المؤمنين. ﴿١٦﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴿١٧﴾ . وَلِيُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ : أي وليجزى الله كل نفس ما كسبت من خير وشر. ﴿١٨﴾ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ .

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ : أي أخبرني عن من اتخذ أي جعل إلهه: أي معبوده هواه. وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴿٢٠﴾ : أي على علم من الله تعالى بأنه أهل للإضلال وعدم الهداية. ﴿٢١﴾ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ﴿٢٢﴾ .

وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ عِثْرَةً : أي ظلمة على عينيه فلا يبصر الآيات والدلائل. فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ : أي أفلا تتذكرون أيها الناس فتتعظوا. وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا : أي قال منكرو البعث ما الحياة إلا هذه الحياة، وليس وراءها حياة أخرى.

نَمُوتُ وَنَحْيَا : أي يموت بعضنا، ويحيا بعضنا بأن يولدوا فيحيا ويموتوا. وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ : أي وما يميتنا إلا مرور الزمان علينا.

(١) ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي أضله الله مع ما عنده من العلم الذي لو خلع عن نفسه الكبر والعناد والميل إلى الهوى لاهتدى ونجا وسعد، أو على علم من الله تعالى بأنه ليس أهلاً للهداية كما في التفسير.

وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ : أي وليس لهم أدنى علم على قولهم، لا من وحي وكتاب إلهي ولا من عقل صحيح.

إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٦٤﴾ : أي ما هم إلا يظنون فقط، والظن لا قيمة له ولا يبنى عليه حكم. وَإِذَا نُنزِلَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنْتَبِهُونَ : أي وإذا قرئت عليهم الآيات الدالة على البعث والجزاء الأخروي بوضوح.

مَا كَانَ حُجَّتْهُمْ : أي لم تكن لهم من حجة إلا قولهم <sup>(١)</sup>.  
إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبِعُوا آبَاءَنَا : أي قولهم أحيوا لنا آباءنا الذين ماتوا وأتوا بهم إلينا.  
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٥﴾ : إن كنتم صادقين فيما تخبروننا به من البعث والجزاء.  
قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ : أي قل لهم يا رسولنا: الله الذي يحييكم حين كنتم نطفًا ميتة، ثم يميتكم.

ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ : أي ثم بعد الموت يجمعكم إلى يوم القيامة للحساب والجزاء.  
لَا رَيْبَ فِيهِ : أي يوم القيامة الذي لا ريب ولا شك في مجيئه في وقته المحدد له.  
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ : أي لا يعلمون لعدم تلقيهم العلم عن الوحي الإلهي؛ لكفرهم بالرسول والكتب.

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ : أي خلقًا وملكًا وتصرفًا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.  
وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٦٧﴾ : أي ويوم تقوم الساعة التي أنكرها الكافرون يخسر أصحاب الباطل بصيرورتهم إلى النار.  
وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِئَةٍ : أي كل أمة ذات دين جاثية على ركبها تنتظر حكم الله فيها <sup>(٢)</sup>.  
كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا : أي إلى كتاب أعمالها فهو الحكم فيها إن كان خيرًا فخير، وإن كان شرًا فشر.

الْيَوْمَ تُحْرَزُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ : أي يقال لهم: اليوم تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا من خير وشر.  
هَذَا كِتَابُنَا يُنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ : أي ديوان الحفظة الذي دونوه من أعمال العقلاء من الناس شاهد عليكم بالحق.

إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ : أي نأمر بنسخ ما كنتم تعملون.  
فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٧٠﴾ : أي فيدخلهم في جنته، أي الفوز البين الظاهر وهو النجاة من النار ودخول الجنة.

(١) وهي حجة داحضة عند ربهم أي باطلة (قل).

(٢) الأمة الجماعة العظيمة أمرها واحد يجمعهم دين، والجثو: البروك على الركب في استنفار وهي هيئة الخضوع.

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ : أي يقال لهم: ألم تأتكم رسلي أفلم تكن آياتي تتلى عليكم.

فَأَسْتَكْبِرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا تُجْرِمِينَ ﴿٦١﴾ : أي عن آيات الله فلم تؤمنوا بها وكنتم بذلك قوماً كافرين. وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ : أي بالبعث والجزاء العادل يوم القيامة حق ثابت. ﴿وَالسَّاعَةَ لَأَرْبَبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نُنظَنُّ إِلَّا أَنْظَنَا﴾ .

وَمَا نَحْنُ بِمُستَقِينَ ﴿٦٢﴾ : أي وما كنا مستيقنين بالبعث وإنما كنا نظنه ظناً لا غير ولا نجزم به. وَبَدَأْتُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا : أي ظهر لهم في يوم القيامة جزاء سيئات ما عملوه في الدنيا من الشرك والمعاصي.

وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٣﴾ : أي نزل وأحاط بهم العذاب الذي كانوا يستهزئون به إذا ذكروا به وخوفوا منه في الدنيا.

وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَخُكُمْ : أي وقال الله تعالى لهم: اليوم نساكم أي نترككم في النار. كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا : أي مثلما نسيتم يومكم هذا فلم تعملوا له بما ينجي فيه وهو الإيمان والعمل الصالح، وترك الشرك والمعاصي.

وَمَا أُنذِرُكُمْ النَّارَ : أي ومحل إقامتكم النار. وَمَا لَكُمْ مِنْ ناصِرِينَ ﴿٦٤﴾ : أي من ناصرين ينصرونكم بإخراجكم من النار. ذَلِكَ بِأَنْكُمْ أَخَذْتُمُ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا : أي ذلكم العذاب كان لكم بسبب كفركم واتخاذكم آيات الله هزوعاً: أي شيئاً مهزوعاً به.

وَعَرَّيْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا : أي طول العمر والتمتع بالشهوات والمستلذات. فَأَلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْعَفُونَ ﴿٦٥﴾ : أي لا يؤذن لهم في الاستعتاب ليعتوبوا فيتوبوا. فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ : أي فله وحده الوصف بالجميل لإنجاز وعيده لأعدائه.

وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : أي العظمة والحكم النافذ الناجز على من يشاء. وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٧﴾ : أي وهو العزيز في انتقامه من أعدائه، الحكيم في تدبير خلقه.



## ٤٦ - سُورَةُ الْحَقِّقَاتِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ①: هذا أحد الحروف المقطعة تكتب هكذا: حم، ويقرأ هكذا: حاميم.  
تَنْزِيلُ الْكِتَابِ: أي تنزيل القرآن.

مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ②: أي من لدن الله العزيز في ملكه الحكيم في صنعه.  
مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى: أي ما خلقنا السموات والأرض إلا خلقاً  
متلبساً بالحق وبأجل مسمى لفنائهما.  
وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ③: أي عمّا خوفوا به من العذاب معرضون عنه غير ملتفتين  
إليه.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ: أي من الأصنام والأوثان.

أُرْوِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ: أي أشيروا إلى شيء خلقوه من الأرض.  
أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فِي السَّمَوَاتِ: أي أم لهم شركة.

أَفَتُؤْتُونَ بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا: أي منزل من قبل القرآن.

أَوْ أَنْزَلْنَا مِنْ عِلْمٍ: أي بقية من علم يؤثر عن الأولين بصحة دعواكم في عبادة الأصنام.

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ④: أي في دعواكم أن عبادة الأصنام والأوثان تقربكم من الله تعالى.  
وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: أي لا أحد أضل ممن يدعو من

لا يستجيب له في شيء يطلبه منه أبداً.

وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ⑤: أي وهم - الأصنام - عن دعاء المشركين إياهم غافلون لا يعرفون  
عنهم شيئاً.

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً: أي في يوم القيامة كانت الأصنام أعداء لعابديها.

وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ⑥: أي وكانت الأصنام بعبادة المشركين لها جاحدة غير معترفة.

وَإِذْ أَنْتَلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ: أي أهل مكة من كفار قريش، والآيات آيات القرآن، والبيئات:

الواضحات.

قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ: أي من كفار قريش للحق أي القرآن لما قرأه عليهم رسول الله

ﷺ

هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ⑦: أي قالوا في القرآن: سحر مبين أي ظاهر لما رأوا من تأثيره في النفوس.



أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَبْتَهُ : أي بل يقولون افتراه أي اختلقه من نفسه.  
 قُلْ إِنْ أَفْتَرَبْتُهُ : أي قل لهم يا نبينا: إن اختلقته من نفسي.  
 فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا : أي فأنتم لا تملكون لي من الله شيئاً إن أراد أن يعذبني.  
 هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ : أي هو تعالى أعلم بما تخوضون فيه من القدح والظعن في وفي القرآن.  
 كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ : أي كفى به تعالى شهيداً بيني وبينكم. ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٨)  
 قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَايِنِ الرُّسُلِ : أي لم أكن أول رسول فأكون بدعاً من الرسل، بل سبقني رسل  
 كثيرون.

وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ : أي في هذه الحياة هل أخرج من بلدي، أو أقتل، وهل ترجمون  
 بالحجارة أو يخسف بكم؟

إِنْ أُنِيعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ : أي ما أتبع إلا ما يوحيه إليّ ربي فأقول وأفعل ما يأمرني به.

وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ : أي وما أنا إلا نذير لكم بين الإنذار.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ : أي أخبروني ماذا تكون حالكم.

إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ : أي إن كان القرآن من عند الله.

وَكَفَرْتُمْ بِهِ : أي وكذبتم به أي بالقرآن.

وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ : أي وشهد عبد الله بن سلام (١).

عَلَىٰ مِثْلِهِ فَنَامَنَ : أي عليه أنه من عند الله فأمن.

وَأَسْتَكَرَّ بَكُمْ : أي واستكبرتم أنتم فلم تؤمنوا الظالمين. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٠)

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿١١﴾

لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ : أي لو كان ما جاء به محمد من القرآن والدين خيراً ما سبقنا إليه

المؤمنون.

وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ : أي بالقرآن العظيم.

فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١٢﴾ : أي هذا القرآن إفك قديم أي هو من (٢) كذب الأولين. ﴿وَمِنْ

قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحِمَةً﴾ (١٣)

وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ : أي القرآن مصدق للكتب التي سبقته.

لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا : أي حال كونه بلسان عربي لينذر به الظالمين المشركين.

وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ : وهو - أي القرآن - بشرى لأهل الإحسان في عقائدهم وأقوالهم

(١) قال ابن كثير رحمه الله: وهذا يعم عبد الله بن سلام وغيره (قل).

(٢) المضارع هنا مراد به سيديمون قولهم هذا كلما أرادوا رد القرآن: هذا إفك قديم.

وأعمالهم.

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا: أي فلم يرددوا واستمروا على فعل الواجبات وترك المحرمات.

فَلَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾: أي في الدنيا وفي البرزخ وفي عرصات القيامة.

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾: أي جزاهم الله بما جزاهم به بنفي الخوف والحزن عنهم بأعمالهم الصالحة وتركهم الأعمال الفاسدة.

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ: أي أمرناه أمرًا مؤكدًا بالإيصال.

إِحْسَانًا: أي أن يحسن به ما إحسانًا وهو المعاملة بالحسنى.

حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا: أي حملته أثناء حملها في بطنها على مشقة وولده كذلك على مشقة.

وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا: أي مدة حملها في بطنها وفضاله من الرضاع ثلاثون شهرًا<sup>(١)</sup>.

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ: أي اكتمال قوته البدنية والعقلية وهي من الثلاث والثلاثين فما فوق.

وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً<sup>(٢)</sup> قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ: أي ألهمني ووفقني

أن أشكر نعمتك بصرفها فيما تحب.

وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ: أي وبأن أعمل صالحًا ترضاه مني أن تتقبله عني.

وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا

وَنَجَّوْهُمْ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ: أي فلا نؤاخذهم بها بل نغفرها.

فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ: أي في جملة أصحاب الجنة وعدادهم.

وَعَدَّ الْصِّدْقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾: أي في مثل قوله تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الآية.

وَالَّذِي قَالَ لَوْلَدَيْهِ: الذي: اسم موصول استعمل استعمال الجنس فدل على متعدد، بدليل

الخبر عنه وهو: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾.

أَفِي لَكُمْ: أي نتنا وقبحًا لكم.

(١) ﴿وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ وحمله وفضاله ثلاثون شهرًا هذه الآية الكريمة مع قوله تعالى من سورة البقرة:

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ دلنا على أن أقل مدة الحمل: ستة أشهر، فلا يثبت الحمل بأقل من

ستة أشهر ويثبت بالسته والسبعة والثمانية والتسعة، فمن بنى بامرأة وولدت قبل ستة أشهر من البناء بها فالولد

لا يلحق الزوج.

(٢) لم خص الدعاء للوالدين في هذا الوقت بالذات؟ لأنه وقت يصبح فيه الولد مشغولًا بزوجة وأولاد وتكاليف

فهو في هذه الحال أحوج ما يكون إلى عون الله تعالى على بر والديه.

أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ : أي من القبر حيًّا بعد موتي.  
 وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي : أي مضت الأمم قبلي ولم يخرج منها أحد من قبره.  
 وَهُمَا يَسْتَعِيثَانِ اللَّهَ : أي يطلبان الغوث برجوع ولدهما إلى الإيمان بعد الإلحاد والكفر.  
 وَيَلِكْ ءَامِنٌ : أي يقولان له: إن لم ترجع ويلك أي هلاكك أي هلكت آمن بالبعث.  
 إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ : وقد وعد العباد بالرجوع إليه ومحاسبتهم على أعمالهم.  
 فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧﴾ : أي ما القول بوجود بعث للناس أحياء بعد الموت إلا

أكاذيب الأولين.

أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ : أي وجب عليهم القول بالعذاب يوم القيامة.  
 فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ : أي في جملة أمم قد مضت من قبلهم من الجن والإنس.  
 إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿٨﴾ .

وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا : أي ولكل من المؤمنين البارين، والكافرين الفاجرين درجات مما عملوا،  
 درجات المؤمنين في الجنة، ودرجات الكفار في النار. ﴿٩﴾ وَلِيُوقِيَهُمْ أَعْمَلَهُمْ وَهُمْ لَا يَظُنُّونَ ﴿١٠﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ  
 الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ﴿١١﴾ .

أَذْهَبْتُمْ طِبِّئِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا : أي يقال لهم: أذهبتم طبيباتكم باشتغالكم بملذاتكم في الدنيا.  
 وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا : أي تمتعتم بها في الحياة الدنيا.

فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ : أي جزاؤكم عذاب الهون.

بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ : أي تتكبرون في الأرض.

بِغَيْرِ الْحَقِّ : إذ لا حق لكم في الكبر، والكبرياء لله، ولم يأذن لكم فيه.

وَبِمَا كُنْتُمْ نَفْسُفُونَ ﴿١٢﴾ : أي تخرجون عن طاعة الله ورسوله.

﴿١٣﴾ وَأَذْكَرْ أَخَاعَادٍ : أي نبي الله هوذا ﴿١٤﴾ .

إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ : أي خوف قومه عذاب الله بوادي الأحقاف (١).

وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ : أي مضت الرسل.

مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ : أي من قبله ومن بعده إلى أممهم.

أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ : أي أنذروهم بأن لا يعبدوا إلا الله.

إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ : أي هائل بسبب شرككم بالله وكفركم برسالتي.

قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا : أي لتصرفنا عن عبادتها.

فَأَنبَأْنَا بِمَا تَعِدُنَا : أي من العذاب على عبادتها.

(١) الأحقاف: جمع حقف بكسر وسكون: الرمل العظيم المستطيل.

إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦٢﴾: أي في أنه يأتينا قطعاً كما تقول.  
 قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ: أي علم مجيء العذاب ليس لي وإنما هو لله وحده (١).  
 وَأَبْلَغُكُمْ مَا أُزِيلْتُ بِهِ: أي وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلني به ربي إليكم.  
 وَلَكُمْ لَعْنٌ أَلِيمٌ قَوْمًا جَاهِلُونَ ﴿٦٣﴾: أي حظوظ أنفسكم وما ينبغي لها من الإسعاد والكمال وإلا  
 فكيف تستعجلون العذاب مطالبين به.

فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا: أي رأوا العذاب سحاباً يعرض في الأفق.  
 مُسْتَقْبِلِ أَوْدِيَّتِهِمْ: أي متجهاً نحو أوديتهم التي فيها مزارعهم.  
 قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطْرٌ نَأْتِي: قالوا مشيرين إلى السحاب هذا عارض ممطرنا.  
 بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ: أي ليس هو بالعارض الممطر بل العذاب الذي استعجلتموه.  
 رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٤﴾: أي ريح عاتية تهلك كل شيء تمر به.  
 تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا: أي ياذن ربها تعالى.  
 فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ: أي أهلكتهم عن آخرهم فلم يبق إلا مساكنهم (٢).  
 كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٥﴾: أي كذلك الجزاء الذي جازينا به عاداً قوم هود وهو الهلاك  
 الشامل نجزي المجرمين من سائر الأمم.  
 وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ: أي ولقد مكنا قوم عاد من القوة التي لم نمكنكم أنتم من  
 مثلها.

وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً: أي وجعلنا لهم أسماً وأبصاراً وأفئدة.  
 فَمَا آغَرُوا عَنْهُمْ سَمْعَهُمْ وَلَا أَبْصَرَهُمْ وَلَا أَفْئِدَتَهُمْ مِنْ شَيْءٍ: أي من الإغناء.  
 إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ: أي لعله هي أنهم كانوا يجحدون بآيات الله وهي حججه البينة.  
 وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٦﴾: أي نزل بهم العذاب الذي كانوا يستهزئون به.  
 وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى: أي من أهل القرى كعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين.  
 وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾: أي كررنا الحجج وضررنا الأمثال ونوعنا الأساليب، لعلهم  
 يرجعون إلى الحق فيؤمنوا ويوحّدوا.  
 فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً: أي فهلاً نصرهم بدفع العذاب عنهم الذين  
 اتخذوهم من دون الله آلهة يتقربون بهم إلى الله في زعمهم.  
 بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ: أي غابوا عنهم عند نزول العذاب.

(١) (أل) في ﴿أَلِمْ﴾ للاستغراق العرفي أي: علم كل شيء، ومنه علم وقت مجيء العذاب.

(٢) المراد بالمساكن: آثارها وبعض الجدران الشاخصة منها.

وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾: أي خذلان آلهتهم لهم وعدم نصرتهم لهم بل غيابهم عنهم هو إفكهم وافتراؤهم الذي كانوا يفترونه.

وَأِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ: أي واذكر إذ أملنا إليك نفرًا<sup>(١)</sup> من الجن، جن نصيبين أو نينوى. يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا: أي حضروا سماع القرآن قالوا - أي بعضهم لبعض -: أصغوا لاستماع القرآن.

فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾: أي فرغ من قراءته رجعوا إلى قومهم مخوفين لهم من العذاب.

قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ: أي من الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل والزيور وغيرها.

يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾: أي من العقائد في الشرائع والإسلام. ﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ، يَغْفِرَ لَكُمْ مِن ذُنُوبِكُمْ﴾.

وَيُجْرِكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾: أي ويحفظكم من عذاب يوم القيامة. وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ: أي فليس بمعجز الله هربًا منه فيفوته.

وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾: أي الذين لم يجيبوا داعي الله وهو محمد ﷺ إلى الإيمان أي في ضلال عن طريق الإسعاد والكمال ظاهر بين.

أُولَٰئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ لَخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

بِقَدْرِ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ: أي إنه قادر على إحياء الموتى وإخراجهم أحياء من قبورهم للحشر. ﴿بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾.

وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ: أي ليعذبوا فيها. أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ: أي يقال لهم تقریبًا: أليس هذا أي: العذاب - بحق؟

قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا: أي إنه لحق وربنا حلفوا بالله تأكيدًا لخبرهم. ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

فَأَصْبِرْ: أي يا رسولنا محمد على أذى قومك. كَمَا صَبَرَ أَوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ: أي أصحاب الحزم والصبر والعزم وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلى الله عليهم أجمعين وسلم، وهم أصحاب الشرائع.

(١) (أنصتوا) أمر بتوجيه الأسماع إلى الكلام اهتمامًا به لثلاث يفوت منه شيء، وفي الحديث: أن النبي ﷺ أمر جابرًا في حجة الوداع فقال له: «استنصت الناس» قبل أن يبدأ خطبته ﷺ.

وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ : أي ولا تستعجل نزول العذاب لأجلهم.  
 كَانَتْهُمْ يَوْمَ بَرُونَ مَا يُوعَدُونَ : أي في الآخرة.  
 لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ : أي لم يقيموا في الدنيا إلا ساعة من نهار وذلك لطول العذاب.  
 بَلَّغٌ : أي هذا القرآن بلاغ للناس أي تبليغ لهم.  
 فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٧٥﴾ : أي ما يهلك إلا القوم التاركون لأمر الله المعرضون عنه  
 الخارجون عن طاعته.



## ٤٧ - سُورَةُ مُحَمَّدٍ أَوْ الْقَسَّالِ

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ: أي كفروا بتوحيد الله ولقائه وبآياته ورسوله، وصدوا غيرهم عن الدخول في الإسلام.

أَضَلَّ أَعْمَلَهُمْ ﴿١﴾: أي أحبط أعمالهم الخيرية كإطعام الطعام وصلة الأرحام فلا يرى لها أثر يوم القيامة.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ: أي آمنوا بالله وآياته ورسوله ولقائه وأدوا الفرائض واجتنبوا النواهي.

وَأَمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ: أي بالقرآن الكريم.

وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَتْ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ: أي محاسنهم ذنوبهم وغفرها لهم.

وَأَصْلَحَ بِهِمْ ﴿٢﴾: أي شأنهم وحالهم فهم لا يعصون الله تعالى.

ذَلِكَ: أي إضلال أعمال الكافرين وتكفير سيئات المؤمنين.

بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَطْلَ: أي الشيطان في كل ما يميله عليهم ويزينه لهم من الكفر والشرك والمعاصي.

وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ: أي التوحيد والعمل الصالح.

كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾: أي كما بين تعالى حال الكافرين، وحال المؤمنين في هذه الآية يبين للناس أمثالهم ليعتبروا.

فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ: أي إذا كان الأمر كما ذكر، فإذا لقيتم الذين كفروا في ساحة المعركة، فاضربوا رقابهم ضرباً شديداً تفصلون فيه الرقاب عن الأبدان.

حَتَّىٰ إِذَا تَخَسُّمْتُمْ: أي أكثرتم فيهم القتل ولم يصبح لهم أمل في الانتصار عليكم.

فَقُدُّوا أَلْوَابِقَ: أي فأسروهم بدل قتلهم، وشدوا الوثاق أي ما يوثق به الأسير من إسار قداً كان أو حبلاً حتى لا يتفلتوا ويهربوا.

فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً: أي بعد أسركم لهم وشد وثاقهم فإما أن تمنوا مناً أي تفكوهم من الأسر مجاناً، وإما تفادوهم بمال أو أسير مسلم، وهذا بعد نهاية المعركة.

حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا: أي واصلوا القتال والأخذ والأسر إلى أن تضع الحرب أوزارها وهي الآتيا، وذلك عند إسلام الكفار أو دخولهم في عهدكم، فهذه غاية انتهاء الحرب حتى لا تكون فتنة

ويكون الدين كله لله .

ذَلِكَ : أي الأمر ذلك الذي علمتم من استمرار القتال إلى غاية إسلام الكفار أو دخولهم في عهدكم وذمتكم .

وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأُنْصَرَ مِنْهُمْ : أي بغير قتال منكم كأن يخسف بهم الأرض أو يصيبهم بوباء ونحوه .  
وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ : أي ولكن أمركم بالقتال وشرعه لكم لحكمة هي أن يبلو بعضهم ببعض أي يختبركم من يقاتل منكم ومن لا يقاتل، والمؤمن يقتل فيدخل الجنة والكافر يقتل فيدخل النار .

وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ : أي قتلهم العدو، وقرئ قاتلوا في سبيل الله .

فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ④ : أي لا يحبطها ولا يبطلها .

سَيَجْزِيهِمْ وَيُضْلِحُ بِأَلْمَمِ ⑤ : أي سيوفقهم إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم ويصلح شأنهم .

وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ⑥ : أي ويدخلهم يوم القيامة الجنة بينما لهم فعرفوها بما وصفها لهم

في كتابه وعلى لسان رسوله محمد ﷺ .

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ : أي في دينه ورسوله وعباده المؤمنين .

يَنْصُرْكُمْ وَيُنَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ⑦ : أي على عدوكم ويثبت أقدامكم في المعارك .

وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ : أي تعسوا تعسا: أي هلاكًا وخيبة لهم .

وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ⑧ : أي أحبطها وأبطلها فلم يحصلوا بها على طائل .

ذَلِكَ : أي الضلال والتعس .

يَأْتِيهِمْ كَرْهُوَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ : أي من القرآن المشتمل على أنواع الهدايات والإصلاحات .

فَأَحْطَبَ أَعْمَالَهُمْ ⑨ : أي أبطلها وأضلها فلا يتفعون بها لا في الدنيا ولا في الآخرة .

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ : أي أغفل هؤلاء المشركون فلم يسيروا في البلاد .

فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ : أي كيف كانت نهاية الذين من قبلهم كعاد وثمود .

دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ⑩ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ⑪ : أي دمر عليهم مساكنهم فأهلكهم وأولادهم، وأموالهم

وللكافرين أمثال تلك العاقبة السيئة .

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ⑫ : أي لا ناصر لهم . ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ .

وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ : أي بمتع الدنيا من مطاعم ومشارب وملابس ويأكلون .

كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ⑬ : أي كأكل الأنعام بنهم وازدراد، والنار مأواهم .

وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً : أي وكثير من أهل قرية هي أشد قوة .



مِّن قَرْيَةٍ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ <sup>(١)</sup> : أي مكة إذ أخرج أهلها النبي ﷺ .  
 ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ <sup>(١٣)</sup>﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِن رَّبِّهِ ﴿ : أي على حجة وبرهان من أمر دينه فهو  
 يعبد الله على علم .  
 كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ : أي كمن زين الشيطان له سوء عمله .  
 وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ <sup>(١٤)</sup> : أي واتبعوا أهواءهم في عبادة الأصنام والجواب: ليسوا سواء ولا مماثلة  
 بينهما أبدًا .  
 مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ : أي صفة الجنة دار السلام التي وعد الله بها عباده المتقين له .  
 فِيهَا أَنْهَارٌ مِن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ : أي غير متغير الريح والطعم لطول مكثه . ﴿وَأَنْهَارٌ مِن لَبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ .  
 وَأَنْهَارٌ مِن حَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّرِيبِ﴾ .  
 وَأَنْهَارٌ مِن عَسَلٍ مُّصَفًّى : أي من الشمع وفضلات النحل . ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَن  
 هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾ .  
 وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا : أي حارًا شديد الحرارة .  
 فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ <sup>(١٥)</sup> : أي مصارينهم فخرجت من أديبارهم .  
 وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ : أي ومن الكفار المنافقين من يستمع إليك في خطبة الجمعة .  
 حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا : أي الساعة أي استهزاء منهم وسخرية  
 يعنون أنه شيء لا يرجع إليه ولا يعتد به لعدم فائدته .  
 أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ : أي بالكفر فلذا هم لا يعون .  
 وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ <sup>(١٦)</sup> : أي في الكفر والنفاق .  
 وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا : أي المؤمنون .  
 زَادَهُمْ هُدًى : أي زادهم الله هدى .  
 وَعَآئِنَهُمْ نَقَوْنَهُمْ <sup>(١٧)</sup> : أي ألهمهم ما يتقون به عذاب الله تعالى .  
 فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ : أي ما ينتظر أهل مكة إلا الساعة .  
 أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً : أي فجأة .  
 فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا : أي علاماتها كبعثة النبي ﷺ وانشقاق القمر والدخان .  
 فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ <sup>(١٨)</sup> : أي أنى لهم إذا جاءهم التذکر الذي ينفعهم إذ قد أغلق باب  
 التوبة .

(١) أطلق الإخراج على ما عامل به المشركون الرسول ﷺ من الجفاء والأذى ومحاربة نشر الدعوة؛ فكان ذلك سبب خروجه منها، فأطلق الإخراج على مسيئاته، وإلا فالرسول ﷺ خرج باختياره ولم يكرهه المشركون على الخروج بل كانوا يحاولون منعه من الخروج.

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: أي فبناءً على ما تقدم لك يا نبينا فاعلم أنه لا يستحق العبودية إلا الله فاعبده وتوكل عليه.

وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ: أي قل: أستغفر الله أو اللهم اغفر لي (١).

وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ: أي واستغفر للمؤمنين والمؤمنات.

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ: أي متصرفكم في النهار وأنتم تتصرفون في أمور دنياكم.

وَمَثُونَكُمْ (٢): أي مكان ثواكم وإقامتكم ونومكم بالليل.

وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ: أي هلاً نزلت سورة يقول هذا المؤمنون طلباً للجهاد.

فَإِذَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ تُحْكَمَةٌ: أي لم ينسخ منها شيء من أوامرها ونواهيها.

وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ: أي طلب القتال بالدعوة إليه والترغيب فيه.

رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ: أي شك وهم المنافقون.

يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ: أي خوفاً من القتال وكراهية له، فتراهم ينظرون إلى

الرسول مثل نظر المغشي عليه من سكرات الموت.

فَأُولَئِكَ لَهُمْ (٣) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ: أي فأجدر بهم طاعة لرسول الله وقول معروف حسن له.

فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ: أي فرض القتال وجد أمر الخروج إليه.

فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ: أي وفوا له ما تعهدوا به من أنهم يقاتلون.

لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ (٤): أي الوفاء بما تعهدوا به خيراً في دنياهم وآخرتهم.

فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ: أي عرضتم عن الإيمان الصوري الذي أنتم عليه وأعلنتم عن كفركم.

أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٥): أي تفسدوا في الأرض بالشرك والمعاصي ولا

تصلوا أرحامكم.

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ (٦): أي فعل تعالى ذلك بهم؛ فلذا هم لا

يسمعون الحق ولا يبصرون الخير والمعروف.

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ (٧): أي يتفكرون فيه فيعرفون الحق من الباطل.

أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالُهَا (٨): أي بل على قلوب لهم أقفالها فهم لا يفهمون إن تدبَّروا.

(١) لا ذنب للرسول ﷺ لعصمته، وإنما هو من باب قوله ﷺ: «إنه ليغان على قلبي وإني استغفر الله في اليوم مائة مرة» [رواه مسلم]، ومعنى يغان: يغام ويغشى، وقيل: إنه غين أنوار لا غين أغبار.

(٢) من أعظم ما يعين على تدبر القرآن: قراءة تفسيره والقيام به ودعوة الناس إليه، فمن لا يعرف التفسير إذا قرأ أو استمع لقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (٨) ظن أن المقصود بذلك هو الخير الذي عكس الشر مع أن المقصود بالخير هنا (المال) قال تعالى في سورة البقرة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ (قل).

إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ : أي رجعوا كافرين بنفاقهم.  
 مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ : أي من بعد ما تبين لهم صدق الرسول وصحة دينه بالحجج  
 والبراهين.  
 الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ : أي زين لهم الشيطان نفاقهم وأملى لهم أي واعدهم بطول  
 العمر ومناهم.  
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ : أي ذلك الإضلال بسبب قولهم للذين كرهوا  
 ما نزل الله وهم المشركون.  
 سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ : أي بأن نتعاون معكم على عداوة الرسول، وبتشبيط المؤمنين  
 عن الجهاد، وكان ذلك سرًا منهم لا جهرًا فأظهره الله لرسوله.  
 وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ .  
 يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ : أي بمقامع من حديد يضربون وجوههم وظهورهم.  
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ : أي التوفي على الحالة المذكورة من الضرب على  
 الوجوه والظهور بسبب اتباعهم ما أسخط الله من الشرك والمعاصي.  
 وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ : أي ما يرضيه تعالى من التوحيد والعمل الصالح.  
 فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾ : أي أبطلها فلم يحصلوا منها على ثواب حسن.  
 أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ : أي مرض النفاق.  
 أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْعَفَهُمْ ﴿٢٩﴾ : أي أن لن يظهر أحقادهم على النبي ﷺ والمؤمنين.  
 وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ : أي لعرفناك بهم فلعرفتهم.  
 فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ : أي بعلاماتهم.  
 وَلَتَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ : أي إذا تكلموا عندك في لحن القول أي: معناه وذلك بأن يعرضوا فيه  
 بتهجين أمر المسلمين أي: تقبيح أمرهم.  
 وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ : أي أيها المؤمنون إن الله يعلم أعمالكم وسيجزيكم بها خيرًا.  
 وَلَنَسَبُلُونَكُمْ : ولنختبرنكم بالجهاد وغيره من التكاليف.  
 حَتَّىٰ نَعْلَمَ : أي نعلم علم ظهور لكم ولغيركم إذ الله يعلم ذلك قبل ظهوره لما حواه كتاب  
 المقادير.  
 الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِمِينَ : أي الذين جاهدوا وصبروا من غيرهم.  
 وَتَبَلَّوْا أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ : أي ونظهر أخباركم للناس من طاعة وعصيان في الجهاد وفي غيره.  
 إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا : أي بالله ولقائه ورسوله وما جاء به من الدين الحق.  
 وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ : أي عن الإسلام.

وَسَاقُوا الرَّسُولَ : أي خالفوه وعادوه وحاربوه.  
 مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى : أي عرفوا أن الرسول حق والإسلام حق كاليهود وغيرهم.  
 لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا : أي من الضرر؛ لأنه متعال أن يناله خلقه بضرر.  
 وَسَيُحِيطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٢﴾ : أي يبطلها فلا تثمر لهم ما يرجونه منها في الدنيا والآخرة.  
 \* بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ : أي بالرياء والشرك  
 والمعاصي.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ : أي عن الإسلام.  
 ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ لَّنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ : أي لأنهم ماتوا على الكفر، والكفر محبط للعمل.  
 فَلَا تَهْتَفُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ : أي فلا تضعفوا وتدعوا إلى الصلح مع الكفار.  
 وَأَنْتُمْ الْأَغْلَابُونَ : أي الغالبون القاهرون.  
 وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَبْرِكَنَّ أَعْمَالُكُمْ ﴿٣٥﴾ : أي ولن ينقصكم أجر أعمالكم وثوابها.  
 إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهْوٌ : أي الاشتغال بالدنيا والتفرغ لها ما هو إلا لهو ولعب لعدم الفائدة  
 منه.

وَإِنْ تُوْمِتُوا وَتَنْفِقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْتَأْذِنُكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ : أي ولا يكلفكم بإنفاق أموالكم كلها بل  
 الزكاة فقط.

إِنْ يَسْتَأْذِنُكُمْ فَيُخْفِكُمْ تَبَخَّلُوا : أي بالمبالغة في طلبكم المال تبخلوا.  
 وَيُخْرِجُ أَضْعَافَكُمْ ﴿٣٧﴾ : أي أحقادكم وبغضكم لدين الإسلام. هَتَأْتُمْ هَتُؤًا تَدْعُونَ لِنُفْقَائِكُمْ فِي  
 سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ .  
 وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَفْسِهِ : أي عائد ذلك على نفسه لا على غيره فهو الذي يحرم  
 الثواب.

وَاللَّهُ الْعَلِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ : أي عن طاعة الله وطاعة رسوله يأت  
 بآخرين غيركم.  
 ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾ : أي في الطاعة أي يكونوا أطوع منكم لله ورسوله.



## ٤٨ - سُورَةُ الْفَتْحِ

«مَدِينَةٌ»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾: أي قضينا لك بفتح مكة وغيرها عُنُوة<sup>(١)</sup> بجهادك فتحًا ظاهرًا بينًا. لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ: أي بسبب شكرك له وجهادك في سبيله. مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ: أي ما تقدم الفتح وما تأخر عنه. وَبِئْرَ نِعْمَتِهِ، عَلَيْكَ: أي ينصرك على أعدائك وإظهار دينك ورفع ذكرك. وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾: ويرشدك طريقًا من الدين لا اعوجاج فيه يفضي بك إلى رضوان ربك.

وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ﴿٣﴾: أي وينصرك الله على أعدائك ومن ناوأك نصرًا عزيزًا لا يغلبه غالب، ولا يدفعه دافع.

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ: أي الطمأنينة بعدما أصابهم من الاضطراب والقلق من جراء الصلح. ﴿لِيَزِدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٤﴾.

وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٥﴾: أي عليمًا بخلقه، حكيماً في تدبيره لأوليائه. لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ: أي قضى بالفتح ليشكروه ويجاهدوا في سبيله ليدخلهم. ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ ﴿٦﴾.

وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧﴾: أي وكان ذلك الإدخال والتكفير للسيئات فوزًا عظيمًا. وَيُعَذِّبُكُمُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ: أي يعذبهم بالهم والحزن لما يرون من نصرة الإسلام وعزة أهله.

الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظُلْمَ السَّوْءِ: أي أن الله لا ينصر محمدًا وأصحابه. عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ: أي بالذل والعذاب والهوان. ﴿وَعُذِّبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿٨﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٩﴾.

(١) الماضي هنا بمعنى المستقبل إذ فتح مكة المومني إليه كان سنة ثمانٍ وأطلق الماضي مع إرادة المضارع لتحقيق الوقوع وتأكده نحو: ﴿أَنَّ أَمْرَ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ واللام في ﴿لَكَ﴾: لا، الأجل أي: فتحنا لأجلك.

(٢) هذا معطوف على قوله تعالى: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾ وهذا التعذيب المذكور في الآية تعذيب خاص زائد على عذاب الكفر والنفاق. وفي قوله: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ إشارة إلى ذلك.

وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ : أي كان وما زال تعالى غالبًا لا يغلب، حكيماً في الانتقام من أعدائه.  
 إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ : أي شاهدًا على أمة الدعوة يوم القيامة،  
 ومبشراً من آمن منهم وعمل صالحاً بالجنة، ونذيراً من كفر أو عصى وفسق بالنار.  
 لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ : أي هذا علة الإرسال.  
 وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ : أي تنصروه وتعظموه وهذا لله وللرسول.  
 وَسَيَحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا <sup>(١)</sup> ﴿٩﴾ : أي الله تعالى بالصلاة والذكر والتسبيح.  
 إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ : أي بيعة الرضوان بالحديبية.  
 إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ اللَّهُ : لأن طاعة الرسول طاعة لله تعالى.  
 يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ : أي لأنهم كانوا يبايعون الله إذ هو الذي يجاهدون من أجله، ويتلقون الجزاء  
 من عنده.

فَمَنْ نَكَتْ : أي نقض عهده فلم يقاتل مع الرسول والمؤمنين.  
 فَإِنَّمَا يَنْتَكُ عَلَى نَفْسِهِ : أي وبال نقضه عهده عائد عليه إذ هو الذي يجزئ به.  
 وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ : أي الجنة إذ هي الأجر العظيم الذي لا  
 أعظم منه إلا رضوان الله.  
 سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ : أي الذين حول المدينة وقد خلفهم الله عن صحبتك، لما  
 طلبتهم ليخرجوا معك إلى مكة خوفاً من تعرض قريش لك عام الحديبية، وهم غفار ومزينة  
 وجهينة وأشجع.

سَعَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا : أي عن الخروج معك.  
 فَأَسْتَغْفِرْنَا : أي الله من ترك الخروج معك.  
 يَقُولُونَ بِاللَّيْسَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ : أي كل ما قالوه هو من ألسنتهم وليس في قلوبهم منه شيء.  
 قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا : أي لا أحد؛ لأن الاستفهام هنا للنفي.  
 إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا : وبخهم على تركهم صحبة رسول الله ﷺ خوفاً من قريش.  
 بَلْ كَانُوا يَمْعَمُونَ حَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْفَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا : أي حسبتم  
 أن قريشاً تقتل الرسول والمؤمنين فلن يرجع منهم أحد إلى المدينة.  
 وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوًّا : هو هذا الظن الذي زينه الشيطان في قلوبهم.  
 وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ : أي هالكين عند الله بهذا الظن السيئ، وواحد بور بائر: هالك.  
 وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ : أي ناراً شديدة الاستعار واللهب.

(١) البكرة: أول النهار، والأصيل: آخره أي: غدوة وعشيًا.

وَلِلَّهِ مِثْلُ مَا لِلَّذِينَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ: يغفر لمن يشاء وهو عبد تاب وطلب المغفرة بنفسه، ويعذب من يشاء وهو عبد ظن السوء وقال غير ما يعتقد وأصر على ذلك الكفر والنفاق.

وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾: كان وما زال متصفاً بالمغفرة والرحمة فمن تاب غفر الله له ورحمه.

سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ: أي المذكورون في الآيات قبل هذه وهم غفار وجهينة ومزينة وأشجع.

إِذَا أَنْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا: أي مغانم خيبر إذ وعدهم الله بها عند رجوعهم من الحديبية.

ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ: أي دعونا نخرج معكم لنصيب من الغنائم.

يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ: أي أنهم بطلبهم الخروج إلى خيبر لأخذ الغنائم يريدون أن يغيروا وعد الله لأهل الحديبية خاصة بغنائم خيبر.

قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ: أي قاله تعالى لنا قبل عودتنا إلى المدينة فلن نتبعونا ولن تخرجوا معنا.

فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحَسُدُونَ: أي فسيقولون: بل تحسدوننا وفعلاً فقد قالوا ذلك وزعموا أنه ليس أمراً من الله هذا المنع، وإنما هو من الرسول والمؤمنين حسداً لهم، وهذا دالٌّ على نفاقهم وكفرهم، والعياذ بالله.

بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾: أي لا يفهمون فهم الحاذق الماهر إلا قليلاً وفي أمور الدنيا لا غير.

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ: أي الذين تخلفوا عن الحديبية وطالبوا بالخروج إلى خيبر لأجل الغنائم اختبأراً لهم.

سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أَوْلَى بِأَسْ شَدِيدٍ: أي ستدعون في يوم ما من الأيام إلى قتال قوم أولي بأس وشدة في الحرب.

فَقَتَلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ: أي قاتلونهم أو هم يسلمون فلا حاجة إلى قتالهم.

فَإِنْ نَطِيعُوا: أي أمر الداعي لكم إلى قتال أصحاب البأس الشديد.

يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا: أي عودة اعتباركم مؤمنين صالحين في الدنيا والجنة في الآخرة.

وَإِنْ تَوَلَّوْا: أي تعرضوا عن الجهاد كما توليتم من قبل حيث لم تخرجوا للحديبية.

كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾: في الدنيا بالقتل والإللال، وفي الآخرة بعذاب النار.

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ: أي إثم.

وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ : ليس على هؤلاء إثم إذا لم يخرجوا للجهاد.  
وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ : أي يعرض عن طاعة الله ورسوله.  
﴿يُعَذِّبُهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٧) .

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ : أي الراسخين في الإيمان الأقوياء، فيه وهم أهل بيعة  
الرضوان من أصحاب رسول الله ﷺ .

﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ : أي بالحديبية أيها الرسول محمد ﷺ .

تَحْتَ الشَّجَرَةِ : أي سمرة وهم ألف وأربعمائة بايعوا على أن يقاتلوا قريشًا ولا يفروا.  
فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ : أي علم الله ما في قلوبهم من الصدق والوفاء؛ فأنزل  
الطمأنينة والثبات على ما هم عليه.

وَأَنْتُمْ فَتَحًا قَرِيبًا ﴿٨﴾ : أي هو فتح خيبر بعد انصرافهم من الحديبية في ذي الحجة وفي آخر  
المحرم من سنة سبع غزوا خيبر ففتحها الله تعالى عليهم.

وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا : أي من خيبر.

وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٩﴾ : أي كان وما زال تعالى عزيزًا غالبًا، حكيماً في تصرفه شئون عباده.  
وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا : أي من الفتوحات الإسلامية التي وصلت الأندلس  
غربًا.

فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ : أي غنيمة خيبر.

وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ : أي أيدي اليهود حيث هموا بالغارة على بيوت الصحابة وفيها  
أزواجهم وأولادهم وأموالهم فصرفهم الله عنهم.  
وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ : أي تلك الصرفة التي صرف اليهود المتأمرين عن الاعتداء على عيال  
الصحابة وهم غيب في الحديبية أو خيبر آية يستدلون بها على كلاءة الله وحمایته لهم في حضورهم  
ومغيبهم.

وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٠﴾ : أي طريقًا في التوكل على الله والتفويض إليه في الحضور  
والغيبه لا اعوجاج فيه.

وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا : أي ومغانم أخرى لم تقدرُوا عليها وهي غنائم فارس والروم.  
فَدَّاحَاطَ اللَّهُ بِهَا : أي فهي محروسة لكم إلى حين تغزون فارسًا والروم فتأخذونها. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى  
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ (١١) .

وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا : أي المشركون في الحديبية.

لَوْلَا الْأَدْبَرُ : أي لانهمزوا أمامكم وأعطوكم أدبارهم تضربونها. ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَايًا وَلَا نَصِيرًا﴾ (١٢)



سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلُ : أي هزيمة الكافرين ونصر المؤمنين الصابرين سنة ماضية في كل زمان ومكان. ﴿وَلَنْ نَجْدِلَ سُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (١٣).

وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ : حيث جاء ثمانون من المشركين يريدون رسول الله والمؤمنين ليصيبوهم بسوء.

وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَنِ مَكَّةَ : فأخذهم أصحاب رسول الله أسرى وأتوا بهم إلى رسول الله فعفا عنهم.

مِنْ بَعْدِ أَنْ أَنْظَرَكُمْ عَلَيْهِمْ : وذلك بالحديبية التي هي بطن مكة. ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (١٤).  
هُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ : أي بالله ورسوله ومنعوكم من الوصول إلى المسجد الحرام.

وَأَلْهَدَى مَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ : أي ومنعوا الهدى محبوبًا حال بلوغ محله من الحرم.

وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ : أي موجودون في مكة.

لَتَرْتَعَلُوهُمْ : أي لم تعرفوهم مؤمنين ومؤمنات.

أَنْ تَطَّوَّهُمْ : أي قتلاً لهم عند قتالكم المشركين بمكة.

فَصُيِّبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ : أي إثم وديات قتل الخطأ وعتق أو صيام؛ لأذن لكم الله تعالى في دخول مكة.

لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ : أي لم يؤذن لكم في دخول مكة فاتحين ليدخل الله في الإسلام من يشاء.

لَوْ تَرَبَّلَّوْا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٥) : أي لو تميزوا فكان المؤمنون على حدة والكافرون على حدة، لأذنا لكم في الفتح وعذبنا الذين كفروا بأيديكم عذابًا أليمًا وذلك بضرهم وقتلهم.

إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ : أي لعذبناهم إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية وهي الأنفة المانعة من قبول الحق، ولذا منعوا الرسول وأصحابه

من دخول مكة وقالوا: كيف يقتلون أبناءنا ويدخلون بلادنا واللات والعزى ما دخلوها؟  
فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ : أي فهّم الصحابة أن يخالفوا أمر رسول الله

بالصلح فأنزل الله سكينته عليهم فرضوا ووافقوا فتم الصلح.

وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى : أي ألزمهم كلمة «لا إله إلا الله» إذ هي الواقعة من الشرك.

وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا : أي أجدر بكلمة التوحيد وأهلاً للتقوى.

وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (١٦) : أي من أمور عباده وغيرها ومن ذلك علمه بأهلوية المؤمنين

وأحقيتهم بكلمة التقوى «لا إله إلا الله».

لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ : أي جعل الله رؤيا رسوله التي رآها في النوم عام الحديبية حقا.

لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ : هذا مضمون الرؤيا أي لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين.

مُخْلِفينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ : أي خالقين جميع شعوركم أو مقصرينها.

لَا تَخَافُونَ : أي أبدا حال الإحرام وبعده.

فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا : أي في الصلح الذي تم ما لم تعلموا، من ذلك المعرفة التي كانت تلحق

المسلمين بقتالهم إخوانهم المؤمنين وهم لا يشعرون.

فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ : هو فتح خيبر وتحققت الرؤيا في العام المقبل.

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ : فلذا لا يخلفه رؤياه بل يصدقه فيها.

لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ : أي ليعليه على سائر الأديان بنسخ الحق فيها، وإبطال الباطل فيها، أو

بتسليط المسلمين على أهلها فيحكمونهم.

وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ : أي أنك مرسل بما ذكر أي بالهدى ودين الحق.

مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ : أي أصحابه رضوان الله عليهم.

أَشِدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ : أي غلاظ لا يرحمونهم.

رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ : أي متعاطفون متوادون كالوالد مع الولد.

تَرْتَبُهُمْ رُكْعًا سُجْدًا : أي تبصرهم ركعا سجدا أي راعين ساجدين.

يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا : أي يطلبون بالركوع والسجود ثوابا من ربهم وهو الجنة ورضوانا

هو رضاه عَبْرَتُهُمْ.

سِيمَاهُمْ <sup>(١)</sup> فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ : أي نور وبياض يعرفون به يوم القيامة أنهم سجدوا في

الدنيا.

ذَلِكَ : أي الوصف المذكور.

مِثْلُهُمْ فِي التَّورَةِ : أي صفتهم في التوراة كتاب موسى عليه السلام.

وَمِثْلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَيْجٍ أَخْرَجَ سَطْفَهُ : أي فراخه.

فَأَزَرَهُ : أي قواه وأعانه.

فَأَسْتَعْلَظَ فَأَسْتَوَى : أي غلظ واستوى أي قوي.

(١) السیما: (العلامة ولها ثلاثة مظاهر، الأول: هو ببوسة في الجبهة ولا يتعمدونها ولكنها تحدث من كثرة السجود على الأرض. والثاني: الأثر النفسي من التواضع والخشوع ونور الصلاح. والثالث: نور يوم القيامة يعلو وجوههم ويشهد له قوله تعالى: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَيَأْتِنِيهِمْ﴾ الآية.

عَلَى سُوقِهِ: جمع ساق أي على أصوله.

يُعْجِبُ الزَّرَاعَ: أي زارعيه لحسنه.

لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ: هذا تعليل أي قواهم وكثرهم ليغيبهم الكفار. ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٢٩﴾.







**الباب السابع**  
**حزب المفصل**



## ٤٩ - سُورَةُ الْحُجُرَاتِ

«مدنية»

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا : أي لا تتقدموا بقول ولا فعل إذ هو من قدم بمعنى تقدم.  
 بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ : كمن ذبح يوم العيد قبل أن يذبح رسول الله ﷺ وإرادة أحد الشيخين<sup>(١)</sup>  
 تأمير رجل على قوم قبل استشارة الرسول ﷺ .  
 وَأَنْفُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ : أي خافوا الله إنه سميع لأقوالكم عليم بأعمالكم.  
 يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ : أي إذا نطقتم فوق صوت النبي إذا نطق.  
 وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ : أي إذا ناجيتموه فلا تجهروا في محادثتكم معه كما  
 تجهرون فيما بينكم إجلالاً له ﷺ وتوقيراً وتقديراً.  
 أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ : أي كراهة أن تبطل أعمالكم فلا تثابروا عليها.  
 وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ : بحبوطها وبطلانها. إذ قد يصحب ذلك استخفاف بالنبي ﷺ لا سيما إذا  
 صاحب ذلك إهانة وعدم مبالاة فهو الكفر، والعياذ بالله.  
 إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ : أي يخفضونها حتى لكانهم يسارونه ومنهم أبو بكر  
 رضي الله عنه.  
 أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبُغُوا إِلَى نَجْوَى اللَّهِ : أي شرحها ووسعها لتتحمل تقوى الله. مأخوذ من محن  
 الأديم إذا وسعه.  
 لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ : أي مغفرة لذنوبهم وأجر عظيم وهو الجنة.  
 إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنَ الْهُجُرَاتِ : أي حجرات نساءه، والذين نادوه وفد من أعراب بني تميم  
 منهم الزبرقان بن بدر والأقرع بن حابس وعيينة بن حصن.  
 أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ : أي فيما فعلوه بمحلك الرفيع ومقامك السامي الشريف.  
 وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ : أي ولو أنهم انتظروك حتى تخرج بعد قيامك من قيلولتك.  
 لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ : أي من ذلك النداء بأعلى أصواتهم من كل أبواب الحجرات.  
 وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ : أي غفور لمن تاب منهم، رحيم بهم إذ أساءوا مرتين: الأولى برفع  
 أصواتهم، والثانية كانوا ينادونه ويقولون: أن اخرج إلينا فإن مدحنا زين وذمنا شين<sup>(٢)</sup>.

(١) أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

(٢) قال ابن كثير رضي الله عنه: وقد ذكر أنها نزلت في الأقرع بن حابس التميمي رضي الله عنه نادى رسول الله ﷺ يا محمد يا محمد،

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بَنِيًّا: أي ذو فسق وهو المرتكب لكبيرة<sup>(١)</sup> من كبائر الذنوب، والنبأ الخبر ذو الشأن.

فَتَبَيَّنُوا: أي تثبتوا قبل أن تقولوا أو تفعلوا أو تحكموا.  
 أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ: أي خشية إصابة قوم بجهالة منكم.  
 فَضَصِّحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾: أي فتصيروا على فعلكم الخاطيء نادمين.  
 وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ: أي فاحذروا أن تكذبوا أو تقولوا الباطل؛ فإن الوحي ينزل وتفضحون بكذبكم وباطلكم.

لَوْ طِيعْتُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ: أي لو قعتم في المشقة الشديدة والإثم أحيانًا.  
 وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ.  
 وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ: أي بغض إلى قلوبكم الكفر والفسوق كالكذب والعصيان بترك واجب أو فعل محرم.

أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾: أي الذين فعل بهم ما فعل من تحبيب الإيمان وتكريه الكفر وما ذكر معه هم الراشدون أي: السالكون سبيل الرشاد.

فَضَلَّ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً: أي أفضل بذلك عليهم فضلًا وأنعمًا وإنعامًا ونعمة.  
 وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٨﴾: أي عليم بخلقه وما يعملون، حكيم في تدبيره لعباده هذا بعامة، وبخاصة عليم بأولئك الراشدين حكيم في إنعامه عليهم.

وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ: أي جماعتان قل أفرادهما أو كثروا من المسلمين.  
 أَفْتَنَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا: أي هموا بالاقتيال أو باشره فعلاً فأصلحوا ما فسد بينهما<sup>(٢)</sup>.  
 فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى: أي تعدت بعد المصالحة بأن رفضت ذلك ولم ترض بحكم الله.  
 فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ: أي قاتلوا أيها المؤمنون مجتمعين الطائفة التي بغت حتى ترجع إلى الحق.

فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ: أي رجعت إلى الحق بعد مقاتلتها فأصلحوا بينهما بالعدل أي بالحق.

وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾: أي واعدلوا في حكمكم؛ إن الله يحب أهل العدل.

وفي رواية: يا رسول الله فلم يجبه، فقال: يا رسول الله إن حمدي لزين، وإن ذمي لشين فقال: «ذاك الله عز وجل» أخرجه الإمام أحمد. اهـ (قل).

(١) فسر الفاسق، بالكاذب، وبالمعلن بالذنب، وبالذي لا يستحي من الله، وهو قابل لكل ما ذكر.  
 (٢) قال القرطبي: بالدعاء إلى كتاب الله لهما أو عليهما.



إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ: أي في الدين الإسلامي.  
 فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ: أي إذا تنازعوا شيئاً وتخاصموا فيه.  
 وَأَنْقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾: أي خافوا عقابه رجاء أن ترحموا إن أنتم اتقيتموه.  
 يَتَأَيَّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ: أي لا يزدري قوم منكم قوماً آخرين ويحتقروهم.  
 عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ: أي عند الله تعالى، والعبرة بما عند الله لا ما عند الناس. ﴿وَلَا إِسَاءَةٌ مِنْ إِسَاءَةٍ  
 عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾.

وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ: أي لا تعيبوا بعضكم بعضاً فإنكم كفرد واحد.  
 وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ: أي لا يدعوا بعضكم بعضاً بلقب يكرهه نحو: يا فاسق يا جاهل.  
 يَسَسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ: أي قبح اسم الفسوق يكون للمرء بعد إيمانه وإسلامه.  
 وَمَنْ لَمْ يَنْبُتْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾: أي من لمز ونبز المؤمنين فأولئك البُعداء هم الظالمون.  
 يَتَأَيَّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنَبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ: أي التهم التي ليس لها ما يوجبها من الأسباب والقرائن.  
 إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ: أي كظن السوء بأهل الخير من المؤمنين.  
 وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا: أي لا تتبعوا عورات المسلمين وما بهم بالبحث عنها، أما  
 الغيبة فذكرك أخاك بما يكره.

أَيُّجِبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا: أي لا يحسن به حب أكل لحم أخيه ميتاً ولا حياً معاً.  
 فَكَرِهْتُمُوهُ: أي وقد عرض عليكم الأول فكرهتموه أي كما كرهتم أكل لحمه ميتاً فآكروه حياً  
 وهو الغيبة. ﴿وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَتَأَيَّبُ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾.  
 وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ: أي جمع شعب، والقبيلة دون الشعب.  
 لِيَتَعَارَفُوا: أي ليعرف بعضكم بعضاً فتعارفوا لا للتفاخر بعلو الأنساب.  
 إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ: أي أشدكم تقوى لله بفعل أو امره وترك نواهيه هو أكرم عند الله.  
 إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾: أي عليم بكم وبأحوالكم، خبير بما تكونون عليه من كمال ونقص لا  
 يخفى عليه شيء من أشياء العباد.  
 ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾: هم نفر من بني أسد قدموا على الرسول وقالوا له: آمنا وهم غير  
 مؤمنين.

قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا: أي قل لهم: إنكم ما آمنتم بعد ولكن قولوا: أسلمنا: أي  
 استسلمنا وانقدنا.

وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ: أي ولما يدخل الإيمان بعد في قلوبكم؛ ولكنه يتوقع له الدخول.  
 وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ: أي في الإيمان والقيام بالفرائض واجتناب المحارم.  
 لَا يَلْبِسْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا: أي لا ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئاً.

إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ : أي غفور للمؤمنين، رحيم بهم إن هم صدقوا في إيمانهم.  
 إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ : أي حقًا وصدقًا لا ادعاء ونطقًا هم.  
 الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ : أي بالله ربًا وإلهًا وبالرسول محمد نبيًا ورسولًا.  
 ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا : أي لم يشكوا فيما آمنوا به.  
 وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ : أي جاهدوا مع رسول الله أعداء الله وهم الكافرون  
 بأموالهم وأنفسهم.  
 أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ : أي في إيمانهم لا الذين قالوا: آمنا بالاستتهم واستسلموا ظاهرًا  
 ولم يسلموا باطنًا.  
 قُلْ أَنْتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ : أي قل لهم يا رسولنا أي لهؤلاء الأعراب: أتشعرون الله  
 بدينكم؟ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٦﴾ .  
 يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا : أي كونهم أسلموا بدون قتال، وغيرهم أسلم بعد قتال.  
 قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمُ : أي لا حق لكم في ذلك.  
 بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ : بل الحق لله الذي هداكم للإيمان إن كنتم  
 صادقين في دعواكم أنكم مؤمنون.  
 إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : أي إن الله يعلم ما غاب في السموات وما غاب في الأرض، فلا  
 يخفى عليه أمر من صدق في إيمانه وأمر من كذب، ومن أسلم رغبة ومن أسلم رهبة. وَاللَّهُ بِصِيرُومًا  
 تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ .



## ٥٠ - سُورَةُ قَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَ : هذا أحد الحروف المقطعة التي تكتب هكذا ق، وتقرأ هكذا قاف.  
 وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ (١) : أي والقرآن المجيد: أي الكريم قسمي لقد أرسلنا محمدًا مبلغًا عنا.  
 بَلْ يَجْعَلُونَ آيَاتِنَا آيَاتِنَا مُنْذِرَةً لِّمَنْ يَخْشَى : أي بل عجب أهل مكة من مجيء منذر أي رسول منهم ينذرهم  
 عذاب الله يوم القيامة.  
 فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢) : أي فقال المكذبون بالبعث هذا أي: البعث بعد الموت  
 والبلبي: شيء عجب.  
 أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا : أئذا متنا وصرنا ترابًا أي رفاتًا وعظامًا نخرة نرجع أحياء.  
 ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (٣) : أي بعيد الإمكان في غاية البعد.  
 قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ : أي قد أحاط علمنا بكل شيء، فعلمنا ما تنقص الأرض من  
 أجساد الموتى وما تأكل من لحومهم وعظامهم فكيف يستبعد منا إحيائهم بعد موتهم؟  
 وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ (٤) : أي كتاب المقادير الذي قد كتب فيه كل شيء، ومن بين ذلك أعداد  
 الموتى وأسمائهم وصورهم وأجسامهم ويوم إعادتهم.  
 بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ : بل كذب المشركون بما هو أقبح من تكذيبهم بالبعث وهو تكذيبهم  
 بالنبوة المحمدية وبالقرآن ومن نزل عليه!  
 فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ (٥) : أي مختلط عليهم فهم فيه مضطربون لا يثبتون على شيء، إذ قالوا مرة  
 سحر، ومرة قالوا: شعر، ومرة: كهانة، وأخرى: أساطير.  
 أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ : أي أعموا فلم ينظروا بعيونهم معتبرين بعقولهم إلى السماء كائنة  
 فوقهم، فيعلموا أن استبعادهم للبعث غير صحيح؟  
 كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَرَزَقْنَاهَا : أي كيف بنيناها بلا عمد وزيناها بالكواكب.  
 وَمَا هِيَ مِنْ قُرُوجٍ (٦) : أي وليس لها من شقوق تعيها.  
 وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا : أي بسطناها.  
 وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ : أي جبالًا رواسي ثوابت، لا تسير ولا تتحرك مثبتة للأرض كي لا تميد  
 بأهلها.

وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) : أي وأنبتنا في الأرض من كل صنف من أنواع النباتات حسن.  
 تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٨) : أي جعلنا ذلك تبصرة وذكرى منا لكل عبد منيب إلى

طاعتنا رجّاع إلينا.

وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا: أي ماء المطر كثير البركة.

فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٦٦﴾: أي أنبتنا بماء السماء بساتين وحب الحصيد أي

المحصود من البر والشعير.

وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ: أي وأنبتنا بالماء النخيل الطوال العاليات.

لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿٦٧﴾: أي لها طلع منضد متراكب بعضه فوق بعض.

رِزْقًا لِلْعِبَادِ: أي أنبتنا ما أنبتنا من الجنات والحب الحصيد والنخل الباسقات، قوتًا للعباد

ورزقًا لهم مؤمنهم وكافرهم.

وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا: وأحيينا بذلك الماء الذي أنزلناه بلدة ميتة لا نبات فيها من الجذب الذي

أصابها والقحط.

كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿٦٨﴾: أي كما أخرجنا النبات من الأرض الميتة بالماء، نخرجكم أحياء من

قبوركم يوم القيامة، بماء ننزله من السماء على الأرض فتنبتون كما ينبت البقل.

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ: أي قبل قومك يا رسولنا بالبعث والتوحيد والنبوة، قوم نوح.

وَأَصْحَابُ الرِّيسِ وَثَمُودُ ﴿٦٩﴾: أي وكذب أصحاب الرس وهي بئر كانوا مقيمين حولها يعبدون

الأصنام، وثمود وهم أصحاب الحجر قوم صالح.

وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ: وكذبت عاد قوم هود، وكذب فرعون موسى عليه السلام.

وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ: أي وكذب قوم لوط أخاهم لوطًا، وكذب أصحاب الأيكة

شعبيًا.

وَقَوْمُ ثَيْبٍ: أي وكذب قوم تبع الحميري اليمني.

كُلُّ كَذَّبَ الرُّسُلِ: أي كل من ذكر قد كذب الرسل فلست وحدك المكذب يا محمد عليه السلام.

لِحَقِّ وَعِيدِ ﴿٧١﴾: أي فوجب وعيدي لهم بنزول العذاب عليهم فنزل فهلخوا.

أَفَعَيَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ: أي أفعيينا بخلق الناس أولًا؟ والجواب: لا إذا فكيف نعيًا بخلقهم ثانية

وإعادتهم كما كانوا؟<sup>(١)</sup>

بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧٢﴾: أي هم غير منكرين لقدرة الله على الخلق الأول، بل هم في

خلط وشك من خلق جديد، لما فيه من مخالفة العادة، وهي أن كل من مات منهم يروونه يفنى ولا

يعود حيًا.

(١) أي: «أَفَعَيَّبْنَا» به فعنيًا بالبعث وهو توبيخ لمنكري البعث وجواب عن قولهم: «ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ» يقال: عيبت

بالأمر: إذا لم تعرف وجهه هذا في المعاني، أما في الذوات فعني بمعنى عجز ولم يقدر عليه.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ: أي خلقناه بقدرتنا وعلمنا لحكمة اقتضت خلقه فلم نخلقه عبثاً. وَنَعَلْنَا مَا تُؤَسُّوسُ بِهِ نَفْسَهُ: أي ونعلم ما تحدث به نفسه أي نعلم ما في نفسه من خواطر وإرادات.

وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١١): أي نحن بقدرتنا على الأخذ منه والعطاء والعلم بما يسر ويظهر، أقرب إليه من حبل الوريد الذي هو في حلقه (١).

إِذْ بَلَغْنَا الْمَثَلِيْنَ: أي نحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عمله في كتابته. عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧): أي أحدهما عن يمينه قعيد والثاني عن شماله قعيد أيضاً (٢). مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ: أي ما يقول من قول.

إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨): أي إلا عنده ملك رقيب حافظ عتيد حاضر معد للكتابة. وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ: أي غمرة الموت وشدته بالحق من أمر الآخرة حتى يراه المنكر لها عياناً.

ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩): أي ذلك الموت الذي كنت تهرب منه وتفزع. وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ (٣) (٢٠): أي ونفخ إسرافيل في الصور الذي هو القرن، ذلك يوم الوعيد للكفار بالعذاب.

وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١): أي معها سائق يسوقها إلى المحشر وشهيد يشهد عليها. لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا: أي من هذا العذاب النازل بك الآن. فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ: أي أزلنا عنك غفلتك بما تشاهده اليوم. فَبَصُرَكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢): أي حاد تدرك به ما كنت تنكره في الدنيا من البعث والجزاء. وَقَالَ قَرِينُهُ: أي الملك الموكل به.

هَذَا مَا لَدَىٰ عَتِيدٌ (٢٣): أي هذا عمله حاضر لدي. أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ كُلٌّ كَفَّارٍ عَتِيدٌ (٢٤): أي كثير الكفر والجحود لتوحيد الله وللقائه ولرسوله معاند

(١) قال ابن كثير رحمته الله: وقوله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (١١) يعني ملائكته تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه، ومن تأوله على العلم فإنما فسره به لثلاث يلزم حلول أو اتحاد، وهما منفيان بالإجماع تعالى الله وتقدس، ولكن اللفظ لا يقتضيه فإنه لم يقل: وأنا أقرب إليه من حبل الوريد، وإنما قال: ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (١١) كما قال في المحتضر: ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ (٢٥) يعني ملائكته، فالملائكة أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه بإقدار الله عز وجل وعلا لهم على ذلك، فللملك لمة من الإنسان كما أن للشيطان لمة، ولهذا قال تعالى ههنا: ﴿إِذْ بَلَغْنَا الْمَثَلِيْنَ﴾ يعني الملكين اللذين يكتبان عمل الإنسان. اهـ (قل).

(٢) القعيد بمعنى المقاعد كالجلس بمعنى المجلس.

(٣) يوم وعيد للكافرين، ويوم وعد صادق للمؤمنين، ولما كان السياق في دعوة الكافرين إلى الإيمان ذكر الوعيد دون الوعد.

كثير العناد.

مَنَاعَ لِلْخَيْرِ مُعْتَدِرٌ مُّرِيبٌ ﴿٢٥﴾ : أي مناع للحقوق والواجبات من المال وغيره.  
الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ : أي أشرك بالله فجعل معه آلهة أخرى يعبدها. ﴿فَالْقِيَاءُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ

﴿٢٦﴾

﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ : أي يقول قرينه من الشياطين: يا ربنا ما أطغيتته أي ما حملته على

الطغيان.

وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ : أي ولكن الرجل كان في ضلال بعيد عن كل هدى، متوغلاً في

الشرك والشر.

قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ : أي قدمت إليكم وعيدي بالعذاب في كتبى وعلى

لسان رسلي.

مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ : أي ما يغير القول عندي وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ

لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ (١)

يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ : أي وما الله بظلام للعبيد يوم يقول لجهنم: ﴿هَلِ امْتَلَأَتْ﴾ ؟

وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿٣٠﴾ : أي لم امتلأ هل من زيادة، فيضع الجبار عليها قدمه فتقول: قط قط.

وَأَزَلَفَتْ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ : أي قربت الجنة للمتقين الذين اتقوا الشرك والمعاصي.

غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ : أي مكاناً غير بعيد منهم حيث يرونها.

هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ : أي رجاء إلى طاعة الله، كلما ترك طاعة عاد إليها، حافظ

لحدود الله.

مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ : أي خاف الله تعالى فلم يعصه، وإن عصاه تاب إليه وهو لم يره.

وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ : أي مقبل على طاعته تعالى.

أَدْخَلُوهَا سَلَامًا ذَلِكَ يَوْمَ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ : أي ويقال لهم وهم المتقون: ادخلوها؛ أي: الجنة، بسلام،

أي مع سلام، وحال كونكم سالمين من كل مخوف.

لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ : أي مزيد من الإنعام والتكريم في الجنة وهي النظر إلى وجه الله

الكريم.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ : أي كثيراً من أهل القرون قبل كفار قريش أهلكتناهم.

هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا : أي أهل القرون الذين أهلكتناهم قبل كفار قريش هم أشد قوة وأعظم أخذًا

(١) المبالغة في وصف (ظلام) راجعة إلى تأكيد النفي المطلق؛ إذ المراد لا أظلم شيئاً من الظلم، وليس المعنى ما أنا بكثير الظلم أو شديده، إذ الأمر في أمثلة المبالغة أن يقصد بها المبالغة في النفي.

من كفار قريش ومع هذا أهلكتناهم.

فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾: أي بحثوا وفتشوا في البلاد عََلَّهُمْ يجدون مهربًا من الهلاك فلم يجدوا<sup>(١)</sup>.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى: أي إن في المذكور من إهلاك الأمم القوية موعظة.

لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ: أي الموعظة تحصل للذي له قلب حي وألقى سمعه يستمع.

وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾: وهو شهيد أي حاضر أثناء استماعه، حاضر القلب والحواس. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾.

وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾: أي من نصب ولا تعب.

فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ: أي فاصبر يا رسولنا على ما يقوله اليهود وغيرهم من التشبيه لله

والتكذيب بصفاته.

وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ: أي صل حامدًا لربك قبل طلوع الشمس وهي صلاة

الصبح.

وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾: أي صل صلاة الظهر والعصر.

وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ: أي صل صلاتي المغرب والعشاء.

وَأَذِّنْ لِلشُّجُورِ ﴿٤٠﴾: أي بعد أداء الفرائض فسيح بالفاظ الذكر والتسبيح.

وَأَسْتَمِعْ: أي أيها المخاطب إلى ما أقول لك.

يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾: أي يوم ينادي إسرافيل من مكان قريب من السماء، وهو

صخرة بيت المقدس فيقول: أيتها العظام البالية والأواصل المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور

المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.

يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ: أي نفخة إسرافيل الثانية وهي نفخة البعث يعلمون عاقبة تكذيبهم.

ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾: أي من القبور. ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ ﴿٤٣﴾.

يَوْمَ تَشَقُّو<sup>٢</sup> الْأَرْضَ عَنْهُمْ سِرَاعًا: أي يخرجون من قبورهم مسرعين بعد تشقق القبور عنهم.

ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾: أي ذلك حشر للناس، وجمع لهم في موقف الحساب يسير سهل

علينا.

نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ: أي من الكفر والباطل فلا تيسر لذلك سنتقم منهم.

وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ: حيث تجبرهم على الإيمان والتقوى.

(١) (النقب) الثقب فالتنقيب مأخوذ منه، ومعنى الآية: ذلوا وأخضعوا وتصرفوا في الأرض بالحفر والغرس والبناء

ونحت الجبال وإقامة السدود والحصون وما إلى ذلك من مظاهر القوة في الأرض، ولم يغن ذلك عنهم من الله

شيئًا، وجاءهم الموت من حيث لا مهرب منه ولا محيص (والمحيص المهرب).

فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٦٤٨﴾: أي عظم مرهباً بالقرآن، فاقرأه على المؤمنين، فهم الذين يخافون وعيد الله تعالى ويطمعون في وعده.





## ٥١ - سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوجًا ① : أي الرياح تذرر التراب وغيره ذرورًا.  
 فَالْحَائِلَاتِ وُقُورًا ② : أي السحب تحمل الماء.  
 فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ③ : أي السفن تجري على سطح الماء بسهولة.  
 فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا ④ : أي الملائكة تقسم بأمر ربها الأرزاق والأمطار وغيرها بين العباد.  
 إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ ⑤ : أي إن ما وعدكم به ربكم لصادق، سواء كان خيرًا أو شرًا.  
 وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْفَعُوا ⑥ : أي وإن الجزاء بعد الحساب لواقع لا محالة.  
 وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوكِ ⑦ : أي ذات الطرق كالطرق التي تكون على الرمل<sup>(١)</sup>، والحبك جمع حبيكة.

إِنَّكَ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ⑧ : أي يا أهل مكة لفي قول مختلف أي في شأن القرآن والنبى ﷺ، فمنهم من يقول: القرآن سحر وشعر وكهانة، ومنهم من يقول: النبى كاذب أو ساحر أو شاعر.  
 يُؤفك عنه من أفك ⑨ : أي يصرف عن النبى والقرآن من صرف.  
 قِيلَ الْخَفْرُ صُونَ ⑩ : أي لعن الكذابين الذين يقولون بالخرص والكذب.  
 الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ⑪ : أي في غمرة جهل تغمرهم، ساهون أي غافلون عن أمر الآخرة.  
 يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ⑫ : أي يسألون النبى ﷺ استهزاء متى يوم القيامة؟ وجوابهم.  
 يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ⑬ : أي يعذبون فيها. ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعِجِلُونَ ⑭﴾.  
 إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ⑮ : أي إن الذين اتقوا ربهم في بساتين وعيون تجري خلال تلك البساتين والقصور التي فيها كقوله ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾.  
 يَأْخُذِينَ مِمَّا آتَتْهُمْ مِنْهُمْ مِنْهُمْ ⑯ : أي آخذين ما أعطاهم ربهم من الثواب.  
 إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتَعِيبِينَ ⑰ : أي كانوا قبل دخولهم الجنة محسنين في الدنيا، أي في عبادة ربهم وإلى عباده.

كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ⑱ : أي كانوا في الدنيا يحيون الليل ولا ينامون فيه إلا قليلاً.

(١) قال ابن كثير ﷺ بعد أن ذكر عدة أقوال في معنى الحبك: (...وكل هذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد وهو الحسن والبهاء) (قل).

وَيَا أَشْجَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ : أي في وقت السحور وهو السدس الأخير من الليل يستغفرون يقولون: ربنا اغفر لنا.

وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ : أي للذي يسأل، والمحروم الذي لا يسأل لتعففه، وهذا الحق أوجبوه على أنفسهم زيادة على الزكاة الواجبة.

وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢٠﴾ : أي من الجبال والأنهار والأشجار والبحار والإنسان والحيوان، دلالات على قدرة الله مقتضية للبعث والموجبة للتوحيد للموقنين، أما غير المؤمنين فلا يرون شيئاً.

وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ : أي آيات من الخلق والتركيب والأسماع والأبصار والتعقل والتحرك أفلا تبصرون ذلك فتستدلوا به على وجود الله وعلمه وقدرته.

وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ : أي من الأمطار التي بها الزرع والنبات وسائر الأقوات، وما توعدون من ثواب وعقاب، إن كل ذلك عند الله في السماء مكتوب في اللوح المحفوظ.

فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ : إنه لحق أي ما توعدون لحق ثابت.

مِثْلَ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ ﴿٢٣﴾ : أي إن البعث لحق مثل نطقكم، فهل يشك أحد في نطقه إذا نطق؟ والجواب: لا يشك، فكذلك ما توعدون من ثواب وعقاب.

هَلْ أَنْتَ حَدِيثٌ : أي قد أتاك يا نبينا حديث أي كلام.

صَيفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ : أي جبريل وميكائيل وإسرافيل أكرمهم الخليل إبراهيم، وقيل: هم مكرمون من قبل الله تعالى.

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا : أي نسلم، عليك سلاماً.

قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ : أي عليكم سلام، أنتم قوم منكرون أي غير معروفين.

فَرَأَى إِلَيْكَ أَهْلِيهِ فَبَآءَ بِعِجْلِ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ : أي عدل ومال إلى أهله فجاء بعجل سمين حينئذ.

فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ : أي فأمسكوا عن الأكل فقال لهم: ألا تأكلون؟

فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً : أي فأضمر في نفسه خوفاً منهم.

قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بَعْلَانِ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ : أي بولد يكون ذا علم كبير عزيز.

فَأَقْبَلَتْ أَمْرَانَهُ فِي صَرْفٍ : أي في رنة وضجة.

فَصَكَّتْ وَجْهَهَا : أي لظمت وجهها أي ضربت بأصابعها جبينها متعجبة.

وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ : أي كبيرة السن وعقيم لم يولد لها قط.

قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ : أي قالت الملائكة لها كالذي قلنا لك: قال ربك.

إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ : أي إنه هو الحكيم في تدبيره وتصريف شئون عباده، العليم بما

يصلح للعبد وما لا يصلح، فليفوض الأمر إليه.

﴿ قَالَ فَاصْطَبِكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ (٣١) : أي ما شأنكم أيها المرسلون.  
 قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ (٣٢) : أي إلى قوم كافرين فاعلين لأكبر الجرائم وهي إتيان الفاحشة،  
 هؤلاء القوم: هم أهل سدوم وعمورية.  
 لِتُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةٌ مِنْ طِينٍ ﴾ (٣٣) : أي مطبوخ بالنار.  
 مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ : أي معلمة على كل حجر اسم من يرمى به.  
 لِلْمُتْرَفِينَ ﴾ (٣٤) : أي المبالغين في الكفر والعصيان كإتيان الذكران. ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣٥)

﴿ فَأَوْحَيْنَا فِيهَا عِزِّيَّتٍ مِنَ الْمَسْلُومِينَ ﴾ (٣٦) : وهو بيت لوط وابنتيه ومن معهم من المؤمنين.  
 وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً : أي بعد إهلاكهم تركنا فيها علامة على إهلاكهم وهي ماء أسود متتن.  
 لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ (٣٧) : أي عذاب الآخرة فلا يفعلون فعلهم الشنيع.  
 وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ : أي فكذبه وكفر، فأغرقناه ومن معه كآية سدوم (١).  
 يُسَلِّطْنِي مِثِينَ ﴾ (٣٨) : أي بحجة ظاهرة قوية وهي اليد والعصا.  
 فَتَوَلَّى بِرُكْبِهِ : أي أعرض عن الإيمان مع رجال قومه.  
 وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ (٣٩) : أي وقال فرعون في شأن موسى: ساحر أو مجنون.  
 فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ : أي طرحناهم في البحر فغرقوا أجمعين.  
 وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ (٤٠) : أي آت بما يلام عليه، إذ هو الذي عرض جيشًا كاملًا للهلاك، زيادة على ادعائه الربوبية وتكذيبه لموسى وهارون وهما رسولان.  
 وَفِي عَادٍ : أي وفي إهلاك عاد آية أي علامة على قدرتنا وتديبرنا.  
 إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ (٤١) : أي التي لا خير فيها لأنها لا تحمل المطر ولا تلقح الشجر وهي الدبور، لقول الرسول ﷺ: «نصرت بالصبا - وهي الريح الشرقية» (٢) - وأهلكت عاد بالدبور - وهي الريح الغربية في الحجاز».

مَا نَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ : من نفس أو مال.  
 لِأَجْعَلَنَّهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ (٤٢) : أي البالي المتفتت.  
 وَفِي ثَمُودَ : أي وفي إهلاك ثمود آية دالة على قدرة الله وكرهه تعالى للكفر والإجرام.  
 إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ ﴾ (٤٣) : أي بعد عقر الناقة تمتعوا إلى انقضاء آجالكم بعد ثلاثة أيام.  
 فَتَوَلَّوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ : أي بعد ثلاثة أيام من عقر الناقة. ﴿ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ (٤٤)

(١) ﴿ وَفِي مُوسَى ﴾ أي: وتركنا أيضًا في قصة موسى آية، والعطف على قوله: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾.

(٢) متفق عليه - انظر صحيح الجامع (قل).

فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ : أي ما قدروا على النهوض عند نزول العذاب بهم. ﴿وَمَا كَانُوا مُنْصَرِفِينَ﴾<sup>(٤٥)</sup>

وَقَوْمٌ نُوحٌ مِنْ قَبْلُ : أي وفي إهلاك قوم نوح بالطوفان آية وأعظم آية. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾<sup>(٤٦)</sup>

وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ : أي وبنينا السماء بقوة ظاهرة في رفع السماء وإحكام البناء.

وَأَنَّا لَمُوسِعُونَ<sup>(٤٧)</sup> : أي لقادرون على البناء والتوسعة.

وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا : أي مهدناها فجعلناها كالمهاد أي الفراش الذي يوضع على المهد.

فَنِعْمَ الْمَهْدُونَ<sup>(٤٨)</sup> : أي نحن، أثنى الله تعالى على نفسه بفعله الخيري الحسن الكبير.

وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ : أي وخلقنا من كل شيء صنفين أي ذكراً وأنثى، خيراً وشرّاً، علواً

وسفلاً.

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ<sup>(٤٩)</sup> : أي تذكرون أن خالق الأزواج كلها هو إله فرد فلا يعبد معه غيره.

فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ : أي إلى التوبة بطاعته وعدم معصيته.

إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ<sup>(٥٠)</sup> : أي إني وأنا رسول الله لكم منه تعالى نذير مبين، أبين النذارة أي

أخوفكم عذابه.

وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ : أي لا تعبدوا مع الله إلهاً أي معبوداً آخر إذ لا معبود بحق إلا هو.

إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ<sup>(٥١)</sup> : إني لكم منه تعالى نذير بين النذارة، أخوفكم عذابه إن عبدتم معه

غيره.

كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ : أي الأمر كذلك ما أتى الذين من قبل قومك يا محمد من

رسول.

إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ<sup>(٥٢)</sup> : أي هو ساحر أو مجنون.

أَتَوَاصَوْا بِهِءٌ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ<sup>(٥٣)</sup> : أي أتواصت الأمم كل أمة توصي التي بعدها بقولهم

للسول: هو ساحر أو مجنون؟ والجواب: لا! أي لم يتواصوا بل هم قوم طاغون يجمعهم على

قولهم هذا الطغيان.

فَنُؤَلِّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ<sup>(٥٤)</sup> : أي أعرض عنهم يا رسولنا؛ فما أنت بملوم؛ لأنك بلغتهم

فأبرأت ذمتك.

وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ<sup>(٥٥)</sup> : أي عظ بالقرآن يا رسولنا، فإن الذكرى بمعنى التذكير

ينفع المؤمنين، أي من علم الله أنه يؤمن.

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ<sup>(٥٦)</sup> : أي خلقتهم لأجل أن يعبدون فمن عبدني أكرمه ومن

ترك عبادتي أهته.

مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ : أي لا لي ولا لأنفسهم ولا لغيرهم.  
 وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ ﴿٥٧﴾ : أي لا أريد منهم ما يريد أرباب العبيد من عبيدهم هذا يجمع المال  
 وهذا يعد الطعام، فالله هو الذي يرزقهم.  
 إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ : أي صاحب القوة المتين الشديد الذي لا يعجزه شيء.  
 فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا<sup>(١)</sup> مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ : أي نصيبًا من العذاب مثل نصيب أصحابهم الذين  
 ماتوا على الكفر.

فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ ﴿٥٩﴾ : أي فلا يطالبوني بالعذاب فإن له موعدًا لا يخلفونه.  
 فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾ : أي يوم القيامة.



(١) في قوله تعالى: ﴿ذُنُوبًا﴾ إشارة إلى ما حصل لصناديد قريش؛ إذ بعد قتلهم ألقوا في قليب بيدر، فكان ذلك  
 مصداق قوله: (فإن للذين كفروا ذنوبًا) وهي الدلو الملائئ فعجبًا لهذا القرآن العظيم.

## ٥٢ - سُورَةُ الطُّورِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- وَالطُّورِ ①: أي والجبل الذي كلم الله ﷺ عليه موسى ﷺ ①.  
 وَكُنْتُمْ مَسْطُورِينَ ②: أي وقرآن مكتوب.  
 فِي رَقٍ مَّنْشُورٍ ③: أي في جلد رقيق أو ورق منشور، أي: مبسوط.  
 وَاللَّيْتِ الْمَعْمُورِ ④: أي بالملائكة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبدًا ②.  
 وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ⑤: أي السماء التي هي كالسقف المرفوع للأرض.  
 وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ⑥: أي المملوء المجموع ماؤه بعضه في بعض ③. ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ⑦﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ⑧.  
 يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ⑨: أي تتحرك وتدور. ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ⑩﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ

① (الطور) الجبل باللغة السريانية ونقل إلى العربية بهذا اللفظ بمعنى الجبل، وأصبح علمًا بالغلبة على جبل طور سيناء الذي ناجى الله تعالى فيه نبيه موسى ﷺ.

② وهو بيت في السماء تغشاه الملائكة كل يوم وتعمره بالعبادة وهو بحيال الكعبة حيث لو وقع لوقع فوقها.

③ قال ابن كثير رحمته الله: وقوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ⑥﴾ قال الربيع بن أنس: هو الماء الذي تحت العرش الذي يُنزل الله منه المطر الذي تحيا به الأجساد في قبورها يوم معادها، وقال الجمهور: هو هذا البحر (قلت أنا أبو ذر القلموني - وأعوذ بالله من هذه الكلمة مادحًا - ولا منافاة بين القولين في أن يكون المقصود من البحر المسجور: الماء الذي تحت العرش وهذا البحر، وليس هذا بغريب في القرآن خاصة في الترهيب، فقد قال الله تعالى في سورة القمر ترهيبًا للبشر: إن هم عتوا عن أمر ربهم وبين كيف كان هلاك قوم نوح عليهم السلام قال: ﴿فَنَحْنُ أُولُو السَّمَاءِ بِمَا وَلَّوْا مُنْهَرِينَ ⑪﴾ وَقَفَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدَرٍ ⑫﴾ فكان الهلاك بماءين: ماء نازل من السماء وماء متفجر من الأرض، فإذا كان هذا في الدنيا فإن مثله في الآخرة خاصة ما يتصل بعلامات الساعة يكون أكد، والله أعلم.

ثم قال الإمام ابن كثير رحمته الله: واختلف في معنى قوله تعالى: ﴿الْمَسْجُورِ ⑥﴾ فقال بعضهم: المراد أنه يوحد يوم القيامة نازًا كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ⑬﴾ أي أضمرت فتصير نازًا تتأجج محيطة بأهل الموقف، وروي عن علي وابن عباس: وقال العلاء بن بدر: إنما سجر البحر المسجور؛ لأنه لا يشرب منه ماء ولا يسقى به زرع، وكذلك البحار يوم القيامة. وعن سعيد بن جبيرة: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ يعني: المرسل. وقال قتادة: ﴿الْمَسْجُورِ﴾ المملوء، واختاره ابن جرير. وقيل: المراد بـ﴿الْمَسْجُورِ﴾ الممنوع المكفوف عن الأرض لثلا يغمرها فيغرق أهلها، قاله ابن عباس وبه يقول السدي وغيره، وعليه يدل الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات يستأذن الله أن يفتح عليهم فيكفه الله عز وجل» اهـ (قل).

﴿١١﴾

الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ : أي في باطل يلعبون أي يتشاغلون بكفرهم.  
يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴿١٣﴾ : أي يدعون بعنف. ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾

﴿١٤﴾

أَفَسِحْرٌ هَذَا : أي العذاب الذي ترون كما كنتم تقولون في القرآن.  
أَمْ أَنْتُمْ لَا تَبْصُرُونَ ﴿١٥﴾ : أي أم عدمتم الأبصار فأنتم لا تبصرون؟  
أَصْلَوْهَا : أي اشقوا واكتووا بجرها.  
فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ : أي صبركم وعدمه عليكم سواء. ﴿إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

﴿١٦﴾

إِنَّ الْمُتَّقِينَ : أي الذين اتقوا ربهم فعبدوه وحده بما شرع لهم، فأدوا الفرائض واجتنبوا  
النواهي. ﴿فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾﴾

فَنِكِهَيْنَ بِمَاءِ الْغَيْمِ رَبُّهُمْ : أي متلذذين بأكل الفواكه الكثيرة التي آتاهم ربهم.  
وَوَقَّعَتْهُمْ رُبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ : أي وحفظهم من عذاب الجحيم عذاب النار. ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا  
هَيْسَاتًا يَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ (١)

مُتَّكِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ : أي بعضها إلى جانب بعض.  
وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ : أي قرناهم بنساء عظام الأعين حسانها.  
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا : أي حق الإيمان المستلزم للإسلام والإحسان.  
وَأَتَّبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ بِإِيمَانٍ : أي كامل مستوفٍ لشرائطه ومنها الإسلام.  
الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ : أي وإن لم يعملوا عملهم بل قصروا في ذلك.  
وَمَا أَلْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ : أي وما نقصناهم من أجور أعمالهم شيئاً.  
كُلُّ أَمْرٍ يُبَىءُ بِمَا كَسَبَ رَهِيئًا ﴿٢١﴾ : أي كل إنسان مرهون أي محبوس بكسبه الباطل. ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ  
وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾﴾

يَنْزِعُونَ فِيهَا كَأْسًا : أي يتعاطون بينهم فيها أي في الجنة كأساً من خمر.  
لَا لَعْنُ فِيهَا وَلَا تَأْسٍ ﴿٢٣﴾ : أي لا يقع لهم بسبب شربها لغو وهو: كل كلام لا خير فيه، ولا إثم.  
﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ﴾ : أي ويدور بهم خدم لهم.  
كَانَتْهُمْ لَوْلًا مَكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ : أي مصون.

وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ : أي يسأل بعضهم بعضاً عما كانوا عليه في الدنيا، وما وصلوا

(١) الهنيء: ما لا تنغيص فيه ولا نكد ولا كدر يقال لهم: ليهناكم ما صرتم إليه ﴿هَيْسَاتًا﴾.

إليه في الآخرة.

قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ: أي قالوا مشيرين إلى علة سعادتهم: إنا كنا قبل أي: في الدنيا.

فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٦٦﴾: أي بين أهلنا وأولادنا مشفقين: أي خائفين من عذاب الله تعالى.

فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا: أي بالمغفرة.

وَوَقَّانَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴿٦٧﴾: أي وحفظنا من عذاب النار التي يدخل حرها في مسام الجسم.

إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ: أي في الدنيا نعبده موحدين له.

إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾: أي المحسن الصادق في وعده، الرحيم العظيم الرحمة.

فَذَكَرْنَاكَ فَأَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ: أي فذكر بالقرآن وعظ من أرسلت إليهم من قومك وغيرهم،

فلست بنعمة ربك عليك بالعقل وكمال الخلق والوحي إليك..

بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٦٩﴾: أي بمتعاطٍ للكهانة فتخبر عن الغيب بواسطة ربي من الجن، ولا أنت

بمجنون.

أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّبَّيْنَا بِهِ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: أي نتظر به حوادث الدهر من موت وغيره. ﴿٧٠﴾ قُلْ

تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْصِيعِينَ ﴿٧١﴾ (١).

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا: أي تأمرهم أحلامهم-: أي- عقولهم بهذا أو هو قولهم: إنك كاهن

ومجنون لم تأمرهم عقولهم به.

أَمْ هُم قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٧٢﴾: أي بل هم قوم طاغون أي متجاوزون لكل حد تقف عنده العقول.

أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ: أي اختلق القرآن وكذبه من تلقاء نفسه. ﴿٧٣﴾ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧٤﴾.

فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ: أي فليأتوا بقرآن مثله يختلقونه بأنفسهم.

إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٧٥﴾: أي في أن محمداً ﷺ اختلق القرآن.

أَمْ خُلِقُوا مِن غَيْرِ شَيْءٍ: أي من غير خالق خلقهم وهذا باطل.

أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٧٦﴾: أي لأنفسهم وهذا محال إذ الشيء لا يسبق وجوده.

أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: أي لم يخلقوهما؛ لأن العجز عن خلق أنفسهم دال على عجزهم

عن خلق غيرهم.

بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٧٧﴾: أي أن الله خلقهم وخلق السموات والأرض كما يقولون؛ إذ لو كانوا

موقنين لما عبدوا غير الله ولأمنوا برسوله ﷺ.

أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ: أي من الرزق والنبوة وغيرهما فيخصوا من شاءوا بذلك من الناس.

(١) أمر الله رسوله أن يقول لهم: ﴿تَرَبَّصُوا﴾ بي ريب المنون؛ فإني متربص بكم ما سيحدث لكم من أحداث تهلكون فيها، وفي هذا معنى المفاصلة وإنهاء الجدل والمخاصمة.



أَمْ هُمْ الْمُصَيِّطُونَ ﴿٣٧﴾ : أي المتسلطون الغالبون فيتصرفوا كيف شاءوا.  
 أَمْ لَهُمْ سُلْطَنٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ : أي ألهم مرقى إلى السماء يرقون فيه، فيسمعوا كلام الملائكة فيأتوا به  
 ويعارضوا الرسول في كلامه.  
 فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ : أي بحجة بينة تدل على صدقه <sup>(١)</sup> وليس لهم في ذلك كله  
 شيء.  
 أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ : أي أله تعالى البنات ولكم البنون؟ إن أقوالكم كلها من هذا النوع  
 لا واقع لها أبداً إنها افتراءات.  
 أَمْ تَسْتَأْجُرُوهَا : أي على إبلاغ دعوتك.  
 فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مَّنْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ : أي فهم من فداحة الغرم مغتمون ومتعبون؛ فكرهوا ما تقول لذلك.  
 أَمْ عِنْدَهُمُ الْعَيْبُ فَمَا يُكْتَبُونَ ﴿٤١﴾ : أي علم الغيب فهم يكتبون منه لينازعوك ويجادلوك به.  
 أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا : أي مكرًا وخديعة بك وبالدين.  
 فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ : أي الكافرون هم المكيدون المغلوبون.  
 أَمْ هُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ : أي ألهم معبود غير الله؟ والجواب: لا.  
 سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ : أي تنزه الله عما يشركون به من أصنام وأوثان.  
 وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا : أي وإن ير هؤلاء المشركون قطعة من السماء تسقط عليهم.  
 يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ : أي يقولوا في القطعة: سحاب متراكم يمطرنا ولا يؤمنوا.  
 فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ <sup>(٢)</sup> ﴿٤٥﴾ : أي فاتركهم إذا يجاحدون ويعاندون حتى  
 يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون وهو يوم موتهم.  
 يَوْمَ لَا يَغْنَىٰ عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ : أي اتركهم إلى ما ينتظرهم من العذاب ماداموا  
 مصرين على الكفر وذلك يوم لا يغني عنهم مكرهم بك شيئاً من الإغناء.  
 وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ : أي وإن لهؤلاء للمشركين الظلمة عذاباً في الدنيا دون عذاب يوم  
 القيامة وهو عذاب القحط سبع سنين، وعذاب القتل في بدر.  
 وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ : أي إن العذاب نازل بهم في الدنيا قبل يوم القيامة.  
 وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ : أي بإمهالهم ولا يضيق صدرك بكفرهم وعنادهم وعدم تعجيل العذاب  
 لهم.

فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا : أي بمرأى منا نراك ونحفظك من كيدهم لك ومكرهم بك.

(١) صدق مستمعيه.

(٢) يقال في مثل هذا: هو منسوخ بأية السيف.

وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ<sup>(١)</sup> ﴿٤٨﴾ : أي واستعن على الصبر بالتسبيح الذي هو الصلوات الخمس والذكر بعدها، والضراعة والدعاء صباح مساء.

وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾ : أي ومن الليل أيضًا فسبحه بصلاة المغرب والعشاء والتهجد وكذا إدبار النجوم أي بعد طلوع الفجر فسبح بصلاة الصبح وغيرها.



(١) أي قل: سبحان الله ويحمده حين تقوم من نومك ومن مجلسك...شاهده ما رواه الترمذي بإسناد حسن قوله ﷺ: «من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك».

## ٥٣ - سُورَةُ الْجِنِّ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ① : أي والثريا إذا غابت بعد طلوعها.  
 مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ : أي ما ضلَّ محمد ﷺ عن طريق الهدى.  
 وَمَا غَوَىٰ ② : أي وما لابس الغي وهو جهل من اعتقاد فاسد.  
 وَمَا يَبْطِئُ عَنِ الْمَوْتِ ③ : أي عن هوى نفسه، أي: ما يقوله عن الله تعالى لم يصدر فيه عن هوى نفسه.

إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ④ : أي ما هو إلا وحي إلهي يوحى إليه.  
 عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ⑤ : أي علمه ملك شديد القوى وهو جبريل عليه السلام.  
 ذُو مِرْقٍ : أي لسلامة في جسمه وعقله فكان بذلك ذا قوة شديدة.  
 فَاسْتَوَىٰ ⑥ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ⑦ : أي استقر وهو بأفق الشمس عند مطلعها على صورته التي خلقه الله عليها، فرآه النبي ﷺ وكان بجياد قد سد الأفق إلى المغرب، وكان النبي ﷺ هو الذي طلب من جبريل أن يريه نفسه في صورته التي خلقه الله عليها.  
 ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ⑧ : أي وقرب منه فتدلى أي زاد في القرب.  
 فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ⑨ : أي فكان في القرب قاب قوسين أي مقدار قوسين.  
 فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ⑩ (١) : أي فأوحى الله تعالى إلى عبده جبريل ما أوحاه جبريل إلى النبي ﷺ.

مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ⑪ : أي ما كذب فؤاد النبي ما رأى يبصره من صورة جبريل عليه السلام.  
 أَفْتَمَرُونَهُ عَلَىٰ مَآرِبٍ ⑫ : أي أفتجادلونه أيها المشركون على ما يرى من صورة جبريل.  
 وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ⑬ : أي على صورته مرة أخرى، وذلك في السماء ليلة أسري به.  
 عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ⑭ : وهي شجرة نبق عن يمين العرش لا يتجاوزها أحد من الملائكة.  
 عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ⑮ : أي تأوي إليها الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين أولياء الله.  
 إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ⑯ : أي من نور الله تعالى ما يغشى.  
 مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ⑰ : أي ما مال بصر محمد يميناً ولا شمالاً، ولا ارتفع عن الحد الذي

(١) ﴿مَا أَوْحَىٰ﴾ إبهام من أجل التفضيح أي: أوحى إليه شيئاً عظيماً.

حدد له (١).

لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿١٨﴾ : أي رأى جبريل في صورته ورأى رفرقا أخضر سد أفق السماء.  
أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ﴿١٩﴾ : أي أخبروني عن أصنامكم التي اشتقتم لها أسماء من أسماء الله  
وأنتموها.

وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخَرَی ﴿٢٠﴾ (٢) : وجعلتموها بنات لله، افتراء على الله وكذبا عليه.  
الْكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى ﴿٢١﴾ : أي أترعمون أن لكم الذكر الذي ترضونه لأنفسكم، والله الأنثى التي  
لا ترضونها لأنفسكم.

تِلْكَ إِذَا قَسَمَةٌ ضِيزَى ﴿٢٢﴾ : أي قسمتكم هذه إذا قسمة ضيزى أي جائرة غير عادلة ناقصة غير  
تامة.

إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا : أي ما اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى إلا أسماء لا حقيقة لها.  
أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ : أي سميتموها بها أنتم وأباؤكم.  
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ : أي لم ينزل الله تعالى وحيا يأذن في عبادتها.  
إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ : أي ما يتبع المشركون في عبادة أصنامهم إلا الظن والخرص والكذب.  
وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ : أي وما يتبعون إلا ما تهواه نفوسهم وما تميل إليه شهواتهم. ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ

(١) جاء في مدارج السالكين: لابن القيم رحمته الله ج ٢ / ٣٨٢ : ٣٨٣ (وجرت عادة القوم أن يذكروا في هذا المقام قوله تعالى عن نبيه عليه السلام : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ ﴿١٧﴾ وأبو القاسم القشيري صدر باب الأدب بهذه الآية. وكذلك غيره، كأنهم نظروا إلى قول من قال من أهل التفسير: إن هذا وصف لأدبه عليه السلام في ذلك المقام، إذ لم يلتفت جانباً ولا تجاوز ما رآه وهذا كمال الأدب؛ والإخلال به: أن يلتفت الناظر عن يمينه وعن شماله أو يتطلع أمام المنظور، فالالتفات زيغ، والتطلع إلى ما أمام المنظور: طغيان ومجاوزة. فكمال إقبال الناظر إلى المنظور: أن لا يصدف بصدوره يمنة ولا يسرة ولا يتجاوزها. هذا معنى ما حصلته عن شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه. وفي هذه الآية أسرار عجيبة. إلى أن قال رحمته الله : ... فلم يزغ قلبه التفاتاً عن الله إلى غيره، ولم يطغ بمجاورته مقامه الذي أقيم فيه، وهذا غاية الكمال والأدب مع الله تعالى الذي لا يلحقه فيه سواه، فإن عادة النفوس إذا أقيمت في مقام رفيع أن تتطلع إلى ما هو أعلى منه فوقه، ألا ترى أن موسى عليه السلام لما أقيم في مقام التكليم والمناجاة: طلبت نفسه الرؤية؟ ونبينا عليه السلام لما أقيم في ذلك المقام وقاه حقه فلم يلتفت بصره ولا قلبه إلى غير ما أقيم فيه البتة؟ ولأجل هذا ما عاقه عائق ولا وقف به مداد حتى جاوز السموات السبع حتى عاتب موسى ربه فيه، وقال: «يقول بنو إسرائيل: إني كريم الخلق على الله وهذا قد جاوزني وخلّفتني علواً، فلو أنه وحده؟ ولكن معه أمته». وفي رواية للبخاري: «فلما جاوزته بكى، قيل: ما يبكيك؟ قال: أبكي أن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي» ثم جاوزه علواً فلم تعقه إرادة، ولم تقف به دون كمال العبودية همة. (اهـ) (قل).

\* يقصد ابن القيم رحمته الله قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِيُعَلِّمُنَا وَكَلِمَةً رَبُّهُ. قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَيْنَا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

(٢) ﴿وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ﴾ ومناة الثالثة أي للتين قبلها، و﴿الْآخَرَی﴾ الأخرى كلمة ذم في هذا الموضع أي: الأخرى في الحقارة والضعف والدناءة.

رَبِّهِمْ هُدًى ﴿٢٣﴾ .

أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّى ﴿٢٤﴾ : أي للإنسان ما تمنى، والجواب: لا ليس له كل ما يتمنى.  
 فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ : أي إن الآخرة والأولى كلتاها لله يهب منهما ما يشاء لمن يشاء.  
 وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ : أي وكثير من الملائكة في السموات.  
 لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا : أي لو أرادوا أن يشفعوا لأحد.  
 إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴿٢٦﴾ : حتى يكون الله قد أذن لهم ورضي للمسموح له بالشفاعة.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ : أي إن الذين لا يؤمنون بالبعث والحياة الآخرة.  
 لَيَسْمُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْبِيَةً الْأُنثَى ﴿٢٧﴾ : أي يطلقون على الملائكة أسماء الإناث إذ قالوا: بنات الله.  
 وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ : أي وليس لهم بذلك علم من كتاب ولا هدى من نبي ولا عقل سوي.  
 إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ : أي في تسميتهم الملائكة إناثًا إلا مجرد الظن.  
 وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ : أي والظن لا تقوم به حجة ولا يعطى به حق.  
 فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا : أي القرآن وعبادتنا. ﴿وَلَمْ يَرِدْ إِلَّا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ (١) ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَهْتَدَى ﴿٣٠﴾ .  
 وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ : أي خلقًا وملكًا وتصرفًا.  
 لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا : ليعاقب الذين أساءوا بما عملوا من الشرك والمعاصي.  
 وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾ : ويشيب الذين أحسنوا في إيمانهم وعملهم الصالح بالجنة.  
 الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ : أي يتجنبون كبائر الذنوب وهي كل ذنب وضع له حد أو لعن فاعله أو توعده عليه بالعذاب في الآخرة.

وَالْفَوْحِشَ إِلَّا اللِّمَّ : أي الذنوب القبيحة كالزنا واللواط وقذف المحصنات والبخل، واللمم صغائر الذنوب التي تكفر باجتناب كبائرهما. ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ : أي خلق أباكم آدم من تراب الأرض.  
 وَإِذْ أَنْتُمْ أجنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ : أي وأنتم في أرحام أمهاتكم لم تولدوا بعد.  
 فَلَا تَرْكَبُوا أَنْفُسَكُمْ : أي فلا تمدحوها على سبيل الفخر والإعجاب.  
 هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَنْتَقَى ﴿٣٢﴾ : أي منكم، وبمن فجر فلا حاجة إلى ذكر ذلك منكم.  
 أفرءَ بَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٣﴾ : أي عن الإسلام بعدما قارب أن يدخل فيه.  
 وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٣٤﴾ : أي أعطى من زعم أنه يتحمل عنه عذاب الآخرة، أعطاه ما وعده من

(١) قال الفراء: صغرهم وازدري بهم أي: ذلك قدر عقولهم ونهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة.

المال، ثم منع.

أَعِنْدَهُ، عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ بَرِيٌّ ﴿٣٥﴾ : أي يعلم أن غيره يتحمل عنه العذاب، والجواب: لا. أم لَمْ يَبْتَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾ : أي أم لم يخبر بما ورد في الصحف المذكورة وهي التوراة وعشر صحف كانت لإبراهيم عليه السلام.

الْأَنْزِرُ وَالزَّرُّ وَزَرٌ أُخْرَى ﴿٣٨﴾ : أي إنه لا تحمل نفس مذنب ذنب غيرها.

وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ : أي من خير وشر، وليس له ولا عليه من سعي غيره شيء.

وَأَنْ سَعَيْهِ، سَوْفَ يُرَى ﴿٤٠﴾ : أي يبصر يوم القيامة ويراه بنفسه.

ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿٤١﴾ : أي الأكمل التام الذي لا نقص فيه.

وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴿٤٢﴾ : أي المرجع والمصير إليه ينتهي أمر عباده بعد الموت ويجازيهم.

وَأَنَّهُ، هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴿٤٣﴾ : أي أفرح من شاء فأضحكه، وأحزن من شاء فأبكاه.

وَأَنَّهُ، هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ : أمات في الدنيا وأحيا في الآخرة.

وَأَنَّهُ، خَلَقَ الرُّوحَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٤٥﴾ : أي الصنفين الذكر والأنثى.

مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تَمَنَّى ﴿٤٦﴾ : أي من مني إذا تمنى تصب في الرحم.

وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْأُخْرَى ﴿٤٧﴾ : أي الخلقة الثانية للبعث والجزاء.

وَأَنَّهُ، هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ﴿٤٨﴾ أي وأنه هو وحده أغنى بعض الناس بالكفاية، وأقنى بعض الناس بالمال

المقتنى المدخر للقنية<sup>(١)</sup>.

وَأَنَّهُ، هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى ﴿٤٩﴾ : أي خالقها ومالكها وهو كوكب خلف الجوزاء عبده المشركون.

وَأَنَّهُ، أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴿٥٠﴾ : أي قوم هود عليهم السلام.

وَتَمُودًا إِفْثَى ﴿٥١﴾ : أي أهلكتها أيضًا فلم يبق منهم أحدًا وهم قوم صالح عليه السلام.

وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ : أي وأهلك قوم نوح من قبل عاد وتمود وقوم لوط. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطَى

﴿٥٢﴾

وَالْمُؤَنَفَكَةَ أَهْوَى ﴿٥٣﴾ : أي وقرئ قوم لوط أسقطها بعد رفعها إلى السماء مقلوبة إلى الأرض إذ

الانثفاك: الانقلاب.

فَعَسَّهَا مَا عَشَى ﴿٥٤﴾ : أي بالعذاب ما عشى حيث جعل عاليها سافلها. وأمطر عليها حجارة من

سجيل.

فَيَا أَيُّهَا رَبِّكَ : أي فبأي أنعم ربك عليك وعلى غيرك أيها الإنسان.

(١) قال ابن كثير رحمته الله: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ ﴿٤٨﴾ أي ملك عباده المال وجعله لهم (قنية) مقيمًا عندهم لا يحتاجون إلى بيعه، فهذا تمام النعمة عليهم، وعن مجاهد ﴿أَغْنَى﴾ مَوْلٌ ﴿وَأَقْنَى﴾ أَخْدَمٌ، وقال ابن عباس: ﴿أَغْنَى﴾ أَعْطَى، ﴿وَأَقْنَى﴾ رَضِيَ. (اهـ. قل).

نَمَارَى ﴿٥٥﴾ : أي تتشكك أو تكذب.  
 هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾ : أي هذا النبي محمد ﷺ من النذر الأولى، أي رسول مثل الرسل  
 الأولى الذين أرسلوا إلى أقوامهم.  
 أَرْفَتِ الْأَرْفَةَ ﴿٥٧﴾ : أي قربت القيامة ووصفت بالقرب لقربها فعلاً.  
 لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ : أي ليس لها أي للقيامة من دون الله نفس كاشفة لها مظهره  
 لوقتها؛ إذ لا يجليها لوقتها إلا الله ﷻ.  
 أَفَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ : أي القرآن.  
 تَعَجُّبُونَ ﴿٥٩﴾ : أي تعجبون تكذيباً به.  
 وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ : أي وتضحكون سخرية منه كذلك.  
 وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ﴿٦١﴾ : أي لاهون مشتغلون بالباطل من القول كالغناء، والعمل كعبادة الأصنام  
 والأوثان.  
 فَاتَّجِدُوا اللَّهَ : أي الذي خلقكم ورزقكم وكلائكم ولا تسجدوا للأصنام.  
 وَأَعْبُدُوا ﴿٦٢﴾ : أي وذلوا لله ﷻ واخضعوا له تعظيماً ومحبة ورهبة، فإنه إلهكم الحق الذي  
 لا إله لكم غيره.



## ٥٤ - سُورَةُ الْقَبَسِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَشَقُّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ : أي قربت القيامة، وانفلق القمر فلقتين على جبل أبي قبيس.  
 وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا: أي وإن ير كفار قريش آية - أي معجزة - يعرضوا عنها، ولا يلتفتوا إليها.  
 وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ : أي هذا سحر مستمر: أي قوي من المرة أو دائم غير منقطع.  
 وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣﴾ : أي وكل من الخير أو الشر مستقر بأهله  
 في الجنة أو في النار <sup>(١)</sup>.

وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ: أي من أنباء الأمم السابقة مما قصه القرآن.  
 مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ : أي جاءهم من الأخبار ما فيه ما يزرهم عن التكذيب والكفر لو قبلوه  
 واتعظوا به.

حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ: أي الذي جاءهم من الأنباء هو حكمة بالغة أي تامة.  
 فَمَا تَعْنِ الْأَنْذُرُ ﴿٥﴾ : أي عن قوم كذبوا واتبعوا أهواءهم لا تغن شيئاً.  
 فَوَلَّ عَنْهُمْ: أي لذلك فأعرض عنهم.  
 يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ ﴿٦﴾ : أي يدع الداع إلى موقف القيامة.  
 خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ: أي من القبور. ﴿كَانَتْهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرَةٌ ﴿٧﴾﴾  
 مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ: أي مسرعين إلى نداء الداع.  
 يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٨﴾ : أي صعب شديد.  
 ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٍ فكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ﴾ : أي كذبوا نوحاً عبد الله ورسوله، وقالوا: هو  
 مجنون.

وَأَزْدُجِرَ ﴿٩﴾ : أي انتهره وجزوه بالسب والشتم.  
 فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ﴿١٠﴾ : أي فسأل ربه قائلاً: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ﴿١٠﴾﴾ : أي لي.  
 فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَرٍ ﴿١١﴾ : أي منصب انصباباً شديداً.  
 وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا: أي تنبع نبعاً.

(١) وجائز أن يكون ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ في أم الكتاب: كائن لا محالة، أو أن أمر النبي ﷺ إلى استقرار بانتصاره على الباطل وأهله؛ فيكون في الخبر بشرى للنبي ﷺ.



فَأَلْنَقَىٰ السَّمَاءَ: أي ماء السماء وماء الأرض.  
 عَلَيَّ أَمْرٌ قَدُّدَرٌ ﴿١٣﴾: أي في الأزل ليغرقوا فيه فيهلكوا.  
 وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوْجِ وَدُسِّرَ ﴿١٤﴾: أي حملنا نوحًا على سفينة ذات ألواح ودسر، وهو ما يدسر به  
 الألواح من مسامير وغيرها، واحد الدسر: دسار ككتاب.  
 تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا: أي بمرأى منا أي محفوظة بحفظنا لها.  
 جَزَاءَ لِمَن كَانَ كُفِرًا ﴿١٥﴾: أي أغرقناهم انتصارًا لمن كان كُفِرَ وهو نوح عليه السلام كفرًا ونبوته.  
 وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا: أي إغراقنا لهم على الصورة التي تمت عليها.  
 آيَةً: أي لمن يعتبر بها حيث شاع خبرها واستمر حتى اليوم.  
 فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ ﴿١٦﴾: أي معتبر متعظ بها.  
 فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي ﴿١٧﴾: أي ألم يكن واقعا موقعه.  
 وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ: أي سهلناه للحفظ وهيأناه للتذكير.  
 فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ ﴿١٨﴾: أي فهل من متعظ به حافظ له متذكر.  
 كَذَّبَتْ عَادٌ: أي نبياها هودًا عليه السلام فلم تؤمن به، ولا بما جاء به.  
 فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي ﴿١٩﴾ أي فكيف كان عذابي الذي أنزلته بهم، وإنذاري لهم كان أشد ما  
 يكون.

إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا: أي ريحا عاتية ذات صوت شديد.  
 فِي يَوْمٍ نَّخَسِ مُسْتَمِرًّا ﴿٢٠﴾: أي في يوم نحس: أي شؤم مستمر دائم الشؤم: قويته حتى هلكوا.  
 تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ: أي تقتلعهم من الحفر التي اندسوا فيها وتصرعهم فتدق رقابهم.  
 نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ ﴿٢١﴾: منفصلة أجسامهم كأنهم والحال كذلك أعجاز أي أصول نخل منقلع. ﴿٢٢﴾ فَكَيْفَ كَانَ  
 عَذَابِي وَنُذُرِي ﴿٢٣﴾.

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ: أي سهلنا القرآن للحفظ والتذكير والتذكر به.  
 فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ ﴿٢٤﴾: أي تذكروا يا عباد الله بالقرآن، فإن مُتْرَلَهُ سَهْلُهُ للتذكير.  
 كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٥﴾: أي كذبت قبيلة ثمود وهم قوم صالح بالحجر من الحجاز بالرسول؛ لأن  
 النذر جمع نذير وهو الرسول كما هو هنا.

فَقَالُوا أَبَشْرًا مِّمَّا وَجَدَّا نَبِيعُهُ: أي كيف نتبع بشرًا واحدًا منا إنكارًا منهم للإيمان بصالح عليه السلام ﴿٢٦﴾.  
 إِنَّا إِذَا لَبِئْنَا ضَلَّلِ وَسَعُرِ ﴿٢٧﴾: أي إنا إذا اتبعناه فيما جاء به لفي ذهاب عن الصواب وجنون.  
 أَلْبَقَىٰ الذِّكْرُ عَلَيْنَا مِن بَيْنِنَا: أي لم يوح إليه من بيننا أبدًا وإنما هو كذاب أشر.

(١) أي: أنتبع فردًا ونترك جماعة؟

بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ ﴿٢٥﴾ : أي فيما ادعى أنه ألقى إليه من الوحي أشر متكبر.  
سَيَعْمُونَ غَدًا : أي في الآخرة.

مَنْ الْكَذَابُ الْأَشْرُ ﴿٢٦﴾ : وهو: هم المعذبون يوم القيامة بكفرهم وتكذيبهم.

إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فَنَنْتَهُنَّ لَهُمْ : أي إنا مخرجو الناقة من الصخر ومرسلوها لهم محنة.

فَأَرْقَبَهُمْ وَأَصْطَبِرُ ﴿٢٧﴾ : أي انتظر وراقب ماذا يصنعون، وما يصنع بهم، واصبر على أذاهم.

وَنَبِّئَهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قَسَمٌ بَيْنَهُمْ : أي ماء بثرهم مقسوم بينهم وبين الناقة، فيوم لها ويوم لهم.

كُلُّ شَرْبٍ مُّخَضَّرٌ ﴿٢٨﴾ : أي كل نصيب من الماء يحضره قومه المختصون به: الناقة أو ثمود.

فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ : أي فملوا ذلك الشرب وسموا منه فنادوا صاحبهم وهو قدار بن

سالف ليقتلها؟ فتعاطى السيف وتناوله فعقر الناقة أي قتلها. ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ ﴿٣٠﴾ .

إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً : هي صيحة جبريل صباح السبت فهلكوا.

فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخَضَّبِ ﴿٣١﴾ : أي صاروا بعد هلاكهم وتمزق أجسادهم كهشيم المحتظر: وهو

الرجل يجعل في حظيرة غنمه العشب اليابس والعيدان الرقيقة يحظر بها لغنمه يحفظها من البرد

ومن الذئاب. ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ ﴿٣٢﴾ .

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذِي ﴿٣٣﴾ : كذبت<sup>(١)</sup> قوم لوط بالنذر التي أنذرهم بها وخوفهم منها لوط عليه السلام.

إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا : أي ريحا ترميهم بالحصباء وهي الحجارة الصغيرة فهلكوا.

إِلَّا آءَالَ لُوطٍ يُجَنَّبُهُمْ بِسِحْرِ ﴿٣٤﴾ : أي بتناه وهو معهم نجاهم الله عز وجل من العذاب؛ حيث غادروا

البلاد قبل نزول العذاب بها.

يَعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا : أي إنعاما منا عليهم، ورحمة منا بهم.

كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ : أي مثل هذا الجزاء بالنجاة من الهلاك نجزي من شكرنا بالإيمان

والطاعة.

وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا : أنذرهم لوط أي خوفهم أخذتنا إياهم بالعذاب.

فَتَمَارَوْا بِالَّذِي ﴿٣٦﴾ : أي فتجادلوا وكذبوا بالنذر التي أنذرهم بها وخوفهم منها.

وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ : أي أن يخلي بينهم وبين ضيفه وهم ملائكة ليخبتوا بهم، وذلك بإتيانهم

الفاحشة.

فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ : أي ضربهم جبريل بجناحه فطمس أعينهم فكانت كباقي وجوههم. ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي

وَنُذْرِي﴾ ﴿٣٧﴾ .

وَلَقَدْ صَيَّبَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣٨﴾ : أي نزل بهم بكرة صباحا عذاب مستقر لا يفارقهم أبدا

(١) بعضهم يروها بالذال المعجمة، وبعضهم يروها بالذال المهملة.

هلكوا به في الدنيا، ويصحبهم في البرزخ ويلازمهم في الآخرة. ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ﴿٣٦﴾﴾ .  
 وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ: أي سهلناه للحفظ والتذكر به والعمل بما فيه.  
 فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٤١﴾: أي من متذكر فيعمل بما فيه فينجو من النار ويسعد في الجنة.  
 وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾: أي قوم فرعون الإنذارات على لسان موسى وهارون ﷺ.  
 كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا: أي فلم يؤمنوا بل كذبوا بآياتنا التسع<sup>(١)</sup> التي آتيناها موسى.  
 فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾: أي فأخذناهم بالعذاب وهو الغرق أخذ قوي مقتدر على كل شيء  
 لا يعجزه شيء.

أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ: أي أكفاركم يا قريش خير من أولئك الكفار المذكورين من قوم نوح  
 وعاد وثمود وقوم لوط وقوم فرعون وملته؟ فلذا هم لا يعذبون!  
 أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾: أم لكم يا كفار قريش براءة من العذاب في الزبر أي الكتب الإلهية.  
 أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ﴿٤٤﴾: أم يقولون: أي كفار قريش: نحن جميع أي جمع منتصر على  
 محمد وأصحابه.

سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾: أي سيهزم جمعهم ويولون الدبر هارين منهزمين، وكذلك كان  
 في بدر.

بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ: أي الساعة موعدهم بالعذاب، والمراد من الساعة يوم القيامة.  
 وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ ﴿٤٦﴾: أي وعذاب الساعة وأهوالها أدهى؛ أي: أعظم بلية، وأمر: أي أشد  
 مرارة من عذاب الدنيا قطعاً.

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾: أي الذين أجرموا على أنفسهم بالشرك والمعاصي في ضلال  
 في الدنيا، ونار مستعرة في الآخرة.

يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾: أي يوم يسحبون في النار على وجوههم يقال  
 لهم: ذوقوا مس سقر جهنم<sup>(٢)</sup>.

إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾: أي إنا خلقنا كل شيء بتقدير سابق لخلقنا له، وذلك بكتابته في اللوح  
 المحفوظ قبل خلق السموات والأرض، فهو يقع كما كتب كمية وصورة وزماناً ومكاناً لا يتخلف  
 في شيء من ذلك.

وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ: أي وما أمرنا إذا أردنا خلق شيء إلا أمره واحدة فيتم وجوده.

(١) خمس منها في آية الأعراف: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ﴾. والأربع الأخرى هي انقلاب العصا حية، وخروج يده من جيبه بيضاء كفلقة القمر، وسنو القحط، والطمس على الأموال وانفلاق البحر، فهذه تسع الآيات التي كذبوا بها كلها.

(٢) ﴿سَقَرَ﴾ قال عطاء: سقر: الطبق السادس من جهنم، ومسها: هو ما يجدون من الألم عند الوقوع فيها.

كَلِمَةٍ بِالْبَصْرِ ⑤: الشيء بسرعة كلمح البصر وهو النظر بعجلة.  
 وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ: أي ولقد أهلكنا أمثالكم أيها المشركون من الأمم السابقة.  
 فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ⑥: أي فاذكروا واتعظوا بهذا خير لكم من هذا الإعراض.  
 وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ⑦: أي وكل ما فعله العباد هو مسجل في كتب الحفظة من  
 الملائكة.

وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ⑧: أي وكل صغير وكبير من سائر الأعمال والأحداث في اللوح  
 المحفوظ مستطر مكتوب.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ⑨: إن الذين اتقوا ربهم فلم يشركوا به ولم يفسقوا عن أمره، في جنات  
 يشربون من أنهار الماء واللبن والخمر والعسل المصفى.

فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ: أي في مجلس حق لا لغوبه ولا تأثيم.

عِنْدَ مَلِكٍ مُقَدَّرٍ ⑩: عند ملك أي ذلك ملك مقتدر على ما يشاء وهو الله ﷻ.



## ٥٥ - سُورَةُ الرَّحْمَنِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ (١): اسم من أسماء الله تعالى.  
 عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢): أي علم من شاء من عباده القرآن.  
 خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣): آدم كما خلق ذريته أيضًا.  
 عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤): أي علم آدم البيان الذي هو النطق والإعراب عما في النفس بلغة من اللغات، كل هذا تعليم الله ﷻ ولولا الله ما نطق إنسان.  
 الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُحْسَبَانِ (٥): أي يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما.  
 وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦): النجم ما لا ساق له من النبات، والشجر ما له ساق، يسجدان يخضعان لله تعالى بما يريد منهما في طوعية كالسجود من المكلفين.  
 وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا: أي فوق الأرض وأعلاها.  
 وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧): أي أثبت العدل بين العباد أمر به وألهم صنع آله (١).  
 أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨): أي لأجل أن لا تجوروا في الميزان وهو ما يوزن به من آلات.  
 وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ: أي بالعدل.  
 وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (٩): أي لا تنقصوا الموزون الذي تزنونه بل وفوه.  
 وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنْبَاءِ (١٠): أي أثبتها وخفضها، كما رفع السماء وأعلاها للأنام لحياة الأنام عليها، وهم الإنس والجن والحيوان وكل ذي رُوح.  
 فِيهَا فَكْهَةٌ وَالتَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (١١): أي في الأرض فاكهة وهي كل ما يتفكه به الإنسان من أنواع الفواكه الكثيرة، والنخل ذات الأكمام وهي أوعية طلوعها.  
 وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ: أي وفي الأرض الحب من بُر وشعير وعصفه: تبته.  
 وَالرَّيْحَانُ (١٢): نبت معروف، والمراد به أنواع الرياحين المشمومة ذات الريح الطيب.  
 فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٣): أي فبأي نعم ربكما يا معشر الجن والإنس تكذبان، وهي كثيرة لا تعد ولا تحصى؟ والجواب: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد.  
 خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ (١٤): أي خلق آدم من طين يابس يسمع له صلصلة

(١) ﴿وَوَضَعَ﴾ بمعنى جعل.

كالفخار وهو ما طبخ من الطين.

وَوَخَّلَقَ الْجَبَانَ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ ﴿١٥﴾: أي أبا الجن من لهب النار الخالص من الدخان وهو مختلط أحمر وأزرق وأصفر. ﴿فِي آيَةِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿١٦﴾﴾.

رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾: أي مشرق الشتاء، ومشرق الصيف أي مطلع طلوع الشمس فيهما: وكذا المغربين في الصيف والشتاء. ﴿فِي آيَةِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿١٨﴾﴾.

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾: أي أرسل البحرين العذب والملح يلتقيان في رأي العين. يَبْتَهِمَا بَرِّخٌ لَا يَفِيَانِ ﴿٢٠﴾: أي بينهما حاجز لا يبغي أحدهما على الآخر فيختلط به. ﴿فِي آيَةِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٢١﴾﴾.

يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾: أي يخرج من مجموعهما الصادق بأحدهما وهو الملح اللؤلؤ، والمرجان وهو خرز أحمر، وهو صغار اللؤلؤ. ﴿فِي آيَةِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٢٣﴾﴾. وَكَانَ الْجِبَالُ الْمُرْسَاتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾: أي السفن المحدثات في البحر كالأعلام أي كالجبال عظيماً وارتفاعاً. ﴿فِي آيَةِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٢٥﴾﴾.

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾: أي كل من على الأرض من إنسان وحيوان وجان فان: أي هالك.

وَبَقِيَ وَجْهَ رَبِّكَ: أي ذاته ووجهه ﷻ.

ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾: أي العظمة والإنعام على عباده عامة والمؤمنين خاصة. ﴿فِي آيَةِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٢٨﴾﴾.

يَسْتَأْذِنُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: أي يسألونه حاجاتهم التي تتوقف عليها حياتهم من الرزق والقوة على العبادة، والمغفرة للذنوب، والعزة من الرب.

كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾: أي كل وقت هو في شأن: شئون يديها وفق تقديره لها ويضع أخرى. ﴿فِي آيَةِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٣٠﴾﴾.

سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾: أي لحسابكم ومجازاتكم بعد انتهاء هذه الحياة الدنيا ونجزى كلاً بما عمل. ﴿فِي آيَةِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٣٢﴾﴾ يَمْعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ ﴿٣٣﴾.

(١) اختلف في تحديد كل من اللؤلؤ والمرجان، فمن قائل: اللؤلؤ كباره والمرجان صغاره، وقيل المرجان: الخرز الأحمر، وقيل: المرجان عظام اللؤلؤ وكباره.

(٢) قيل في الإنس والجن: الثقلان لأنهما أثقل وأثقل بالتكاليف. التفرغ للأمر: كناية عن الاشتغال به والعناية به دون غيره ﴿الثَّقَلَانِ﴾ تثنية ثقل، وهل سمي الإنسان ثقلاً لأنه محمول على الأرض؟ والصحيح أن الإنسان والجن سميا بالثقلين لإثقالهما بالتكاليف من باب تسمية الشيء بعمله كتسمية العصفور طائراً لأنه يطير.

(٣) المعشر: اسم للجمع الكثير الذي يعد عشرة عشرة دون آحاد.

إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا : أَي إِنْ قَدَرْتُمْ عَلَى أَنْ تَخْرُجُوا .  
 مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : أَي مِنْ نَوَاحِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ .  
 فَانْفُذُوا لَأَنْفُذُوا إِلَّا يَسْلُطَنَ (٣٣) : أَي فَاخْرُجُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِقُوَّةٍ ، وَلَا قُوَّةَ لَكُمْ ، وَهَذَا تَعْجِيزٌ  
 لَهُمْ ، يَتَحَدَّثُونَ الرَّحْمَنَ وَهُمْ يَسَاقُونَ إِلَى سَاحَةِ فَصْلِ الْقَضَاءِ ( يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) . ﴿ فَيَأْتِي آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ أَنْتُمْ كَذِبَانٌ ﴾ (٣٤) .

يُرْسَلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِدٌ مِنْ نَارٍ : أَي مِنْ لَهَبِ النَّارِ الْخَالِصِ الَّذِي لَا دَخَانَ فِيهِ .  
 وَنَحَّاسٌ : أَي دَخَانَ لَا لَهَبَ فِيهِ ، وَلَا يَبْعَدُ أَنْ يَكُونَ نُحَاسًا مَذَابًا .  
 فَلَا تَنْصَرِحِينَ (٣٥) : أَي لَا تَمْتَنِعَانِ مِنَ السُّوقِ إِلَى الْمُحْشَرِ . ﴿ فَيَأْتِي آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ أَنْتُمْ كَذِبَانٌ ﴾ (٣٦) .  
 فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ : أَي انْفَتَحَتْ أَبْوَابًا لِتَنْزُولِ الْمَلَائِكَةِ إِلَى الْأَرْضِ لِتَسُوقِ الْخَلَائِقِ إِلَى  
 الْمُحْشَرِ .

فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (٣٧) : أَي السَّمَاءُ مَحْمَرَةٌ أَحْمَرَارٌ الْأَدِيمِ أَوْ الْفَرَسِ الْأَحْمَرِ ، وَذَابَتْ  
 فَكَانَتْ كَالدِّهَانِ فِي صِفَاتِهَا وَذَوَابِنِهَا . ﴿ فَيَأْتِي آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ أَنْتُمْ كَذِبَانٌ ﴾ (٣٨) .  
 فَيَوْمِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (٣٩) : أَي يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ لَا يُسْأَلُونَ عَنْ ذُنُوبِهِمْ ،  
 لَمَّا لَهُمْ مِنْ عِلَامَاتٍ كَأَسْوَادِ الْوَجْهِ ، وَبَيَاضِهَا وَيَسْأَلُونَ عَنِ الْحِسَابِ . ﴿ فَيَأْتِي آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ أَنْتُمْ كَذِبَانٌ ﴾ (٤٠) .

يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ : أَي سُودِ الْوَجْهِ وَزُرْقَةِ الْعْيُونِ .  
 فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ (٤١) : أَي تَضُمُّ نَاصِيَةَ الْمُجْرِمِ إِلَى قَدَمِيهِ وَيُؤْخَذُ فَيْلَقِي فِي جَهَنَّمَ . ﴿ فَيَأْتِي  
 آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ أَنْتُمْ كَذِبَانٌ ﴾ (٤٢) .  
 هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا : أَي يُقَالُ لَهُمْ تَوْبِيخًا وَتَبْكِيئًا : هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يَكْذِبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ فِي  
 الدُّنْيَا .

الْمُجْرِمُونَ (٤٣) : أَي الَّذِينَ أَجْرَمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالشَّرْكِ وَالْمَعَاصِي .  
 يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ (٤٤) : أَي يَسْعُونَ مُتَرَدِّدِينَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَاءٍ حَارٍ قَدْ انْتَهَتْ حَرَارَتُهُ إِلَى  
 حَدِّ لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ ، وَهُوَ الْحَمِيمُ الْآنُ يُسْقَوْنَهُ إِذَا عَطَشُوا وَاسْتَغَاثُوا يَطْلُبُونَ الْمَاءَ لِإِرْوَاءِ غُلَّتِهِمْ  
 الْعَطْشَةَ . ﴿ فَيَأْتِي آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ أَنْتُمْ كَذِبَانٌ ﴾ (٤٥) .  
 وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ (٤٦) : أَي وَلِمَنْ خَافَ الْوُقُوفَ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ فَأَمِنَ  
 وَاتَّقَى جَنَّاتٍ . ﴿ فَيَأْتِي آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ أَنْتُمْ كَذِبَانٌ ﴾ (٤٧) .  
 ذُرَاتًا أَفْنَانٍ (٤٨) : أَي أَغْصَانٍ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَتُورِقَ وَتَتَمُرَّ وَتَمُدَّ الظِّلَّ (١) . ﴿ فَيَأْتِي آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ أَنْتُمْ كَذِبَانٌ ﴾

(١) يطلق الفنن على اللون وعلى الغصن فأفنان الفاكهة: ألوانها المختلفة، وأفنان الشجر أغصانه.

﴿٥٦﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ جَمْرَانِ ﴿٥٥﴾ فَإِنَّ آيَةَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٤﴾ .

فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فِكْهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٦﴾ : أي من كل ما يتفكه به من أنواع الفواكه صنفان. ﴿فَأَيُّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٤﴾ .

مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۗ : أي بطائن الفرش من إستبرق<sup>(١)</sup> وهو ما غلظ من الديباج، والظهائر من السندس وهو ما رق من الديباج الذي هو الحرير.

وَحَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٦﴾ : أي وما يجنى من ثمار الجنة دانٍ قريب التناول يناله القائم والقاعد. ﴿فَأَيُّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٤﴾ .

فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْظَّرْفِ : أي قاصرات النظر بأعينهن على أزواجهن فقط<sup>(٢)</sup>.

لَمْ يَطْمِئِنَّ عَنْ قَبْلِهِمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ : أي لم يفتضهن قبل أزواجهن إنس ولا جان. ﴿فَأَيُّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٤﴾ .

كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ : أي كأنهن في جمالهن الياقوت في صفائه، والمرجان: اللؤلؤ الأبيض. ﴿فَأَيُّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٤﴾ .

هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾ : أي ما جزاء الإحسان بالطاعة إلا الإحسان بالنعيم. ﴿فَأَيُّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٤﴾ .

وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ : أي ومن دون تينيك الجنتين جنتان أخريان لمن خاف مقام ربه. ﴿فَأَيُّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٤﴾ .

مُدَّهَاتَانِ ﴿٦٤﴾ : أي مسودتان من شدة خضرتهما. ﴿فَأَيُّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٤﴾ .

فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ ﴿٦٦﴾ : أي فؤارتان دائمتا وأبدًا تفوران بالماء العذب الزلال. ﴿فَأَيُّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٤﴾ .

﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فِكْهَةٌ وَمَخْلُورٌ وَمَأْنٌ ﴿٦٨﴾ فَإِنَّ آيَةَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٤﴾ .

فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ ﴿٧٠﴾ : أي في الجنات الأربع، نساء خيرات الأخلاق حسان الوجوه. ﴿فَأَيُّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٤﴾ .

حُورٌ ۖ أَي أَوْلَئِكَ الْخَيْرَاتُ حُورٌ أَي بِيضٌ وَالْوَاحِدَةُ حُورَاءُ أَي بِيضَاءٌ .

مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ : أي مستورات محبوسات على أزواجهن في الخيام، والخيمة من درمجوف مضافة إلى القصور، وطول الخيمة الواحدة ستون ميلاً. ﴿فَأَيُّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٤﴾ .

لَمْ يَطْمِئِنَّ عَنْ قَبْلِهِمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٤﴾ : أي لم يجامعهن فيفتض بكارتهن قبل أزواجهن في الجنة

(١) البطائن: جمع بطانة بكسر الباء مشتقة من البطن خلاف الظهر وضد البطانة الظهرية، فالبطانة: أسفل الثوب والظهارة: ظهره.

(٢) هؤلاء نسوة الجنة لا أزواج المؤمنين اللاتي كن لهم في الدنيا، إذ مسهن أزواجهن، والزوجة المؤمنة تكون لآخر من تزوجها في الدنيا.



أحد. ﴿فَأَيُّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٧٥).

مُتَّكِبِينَ عَلَى رَقَرَفٍ خُضِرٍ: أي على وسائل أو بسط الواحدة رفرقة، خضر جمع أخضر.  
وَعَبْقَرِيَّ حَسَانٍ<sup>(١)</sup> (٧٦): أي طنفس جمع طنفسة بساط له خمل رقيق أي بسط حسان. ﴿فَأَيُّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٧٧).

نَبْرَكَ أَسْمُ رَبِّكَ: أي تقدس وكثرت بركة اسم ربك الرحمن.  
ذِي الْمَلَكِطِ وَالْإِكْرَامِ (٧٨): أي ذي العظمة والإكرام لأوليائه والإحسان إلى عباده.



(١) العبقري: وصف لكل ما كان فائقاً في صفته عزيز الوجود، وهو نسبة إلى عبقر اسم بلاد الجن في معتقد العرب فنسبوا إليه كل ما تجاوز العادة في الإتقان والحسن.

## ٥٦ - سُورَةُ الْوَاقِعَاتِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ : أي قامت القيامة وقيل فيها: الواقعة؛ لأنها واقعة لا محالة.
- لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ : أي نفس تكذب بها بأن تنفيها كما نفتها في الدنيا.
- حَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾ : أي مظهرة لخفض أقوام بدخولهم النار، ولرفع آخرين بدخولهم الجنة.
- إِذَا رُحَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ : أي حركت حركة شديدة.
- وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾ : أي فتت تفتيتًا.
- فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿٦﴾ : أي غبارًا منتشرًا.
- وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ : أي في القيامة أصنافًا ثلاثة.
- فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ : أي الذين يؤتون كتبهم بإيمانهم.
- مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ : أي تعظيم لشأنهم بدخولهم الجنة.
- وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ ﴿٩﴾ : أي الشمال الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم.
- مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ ﴿٩﴾ : أي تحقير لشأنهم بدخولهم النار.
- وَالسَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ : أي إلى الخير وهم الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة في أول الدعوة.
- وَالسَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ : تعظيم لشأنهم.
- أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ : أي هم المقربون الذين يقربهم الله منه يوم القيامة إذا أدخلهم الجنة.
- فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ : في بساتين النعيم الدائم.
- ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى ﴿١٣﴾ : أي جماعة من الأمم الماضية.
- وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ : أي من أمة محمد ﷺ هؤلاء هم السابقون (١).
- عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ : أي منسوجة مشبكة بالذهب والجواهر. ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ

﴿١٦﴾

(١) قال ابن كثير رحمه الله: (وهذا الذي اختاره ابن جرير فيه نظر بل هو قول ضعيف، لأن هذه الأمة هي خير الأمم بنص القرآن، فيبعد أن يكون المقربون في غيرها أكثر منها، اللهم إلا أن يقابل مجموع الأمم بهذه الأمة، والظاهر أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الأمم، والله أعلم، فالقول الثاني في هذا المقام هو الراجح، وهو أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى﴾ ﴿١٣﴾ أي من صدر هذه الأمة، ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ ﴿١٤﴾ أي من هذه الأمة... اهـ (قل).

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾: أي على شكل الأولاد لا يهرمون فيخدموهم أبدًا.  
بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ: يطوف عليهم الولدان الخدم بأكواب وهي أقداح لا عرا لها، وأباريق لها عرا  
وخراطيم.

وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾: أي وإناء لشرب الخمر ومعين بمعنى جارية من نهر لا ينقطع أبدًا.  
لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا: أي لا يحصل لهم من شربها صداع.  
وَلَا يُزِفُونَ ﴿١٩﴾: أي ولا تذهب عقولهم يقال: نزع الشارب وأنزع إذا ذهب عقله بالسكر.  
وَفَكَهَةٍ مِّمَّا يَتَخَوَّاتُ ﴿٢٠﴾: أي ويختارون منها ما يروق لهم ويعجبهم وإن كانت كلها معجبة.  
﴿وَلَحِيرَ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾.

وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾: أي ولهم نساء بيض، عين أي واسعة الأعين وشديدات سواد العيون  
وبياضها.

كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾: أي أولئك الحور العين هن في جمالهن وصفائهن كأمثال اللؤلؤ  
المصون. ﴿جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾.  
لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا ﴿٢٥﴾: أي لا يسمعون في الجنة لغوا أي فاحش الكلام، وما لا خير فيه  
ولا ما يوقع في الإثم<sup>(١)</sup>.  
إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾: إلا قولًا سلامًا سلامًا: أي لا يسمعون إلا السلام من الملائكة ومن  
بعضهم لبعض.

وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾: هذا شروع في ذكر الزوج الثاني من الأزواج الثلاثة، فذكر  
السابقين وما أعد لهم، وهذا ذكر لأصحاب اليمين وما أعد لهم من نعيم مقيم.  
فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾: في شجر السدر وثمره النبق، ومخضود لا شوك فيه.  
وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾: أي شجر موز منضود الحمل من أعلاه إلى أسفله فليس له ساق بارزة.  
وَوِظَلٍ مَّتْدُودٍ ﴿٣٠﴾: أي دائم إذ لا شمس تنسخه، وإن ظل شجرة في الجنة يسير الراكب فيه مائة  
سنة لا يقطعه.

وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾: أي مصبوب لا يحتاج المتنعم بأن يصبه بيده بل هو سائل في غير أهدود  
أو أنبوب. ﴿وَفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾﴾.  
لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾: أي غير مقطوعة في زمن، ولا ممنوعة بثمن.  
وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾: أي على السرر العالية الرفيعة.

(١) اللغو من الكلام في الدنيا هو: ما لا يحصل حسنة للمعاد ولا درهما للمعاش، وفي الآخرة هو ما لا يسر من كل  
قول؛ إذ الحياة: حياة سعادة وسرور وحبور.

إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ : أي الحور العين اللائي تقدم ذكرهن في قوله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾. إذ كانت الواحدة منهن في الدنيا عجوزًا شمطاء عمشاء رمصاء فأنشأها ربها إنشَاءً جديدًا، بكرًا تتغنج وتتعشق، عرباء تتودد لزوجها وتتحبب.

فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ : الواحدة بكر وهي التي لم تفتض بكارتها بعد وتسمى العذراء.

عُرُبًا : الواحدة عروب وهي المتحبية إلى زوجها الحسنة التبعل.

أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ : أي مستويات في السن الواحدة يقال لها: ترب والجمع أتراب.

لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ : وهم الذين يؤخذ بهم في عرصات القيامة ذات اليمين، وهم أهل الإيمان في الدنيا والعمل الصالح فيها.

ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ : أي من الأمم السابقة.

وَأُثْلُثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ : أي من أمة محمد ﷺ.

وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ : أي هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال في الموقف يوم القيامة وهم أهل الشرك والمعاصي في الدنيا.

فِي سَمُومٍ : أي ريح حارة تنفذ في مسام الجسد.

وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ : أي ماء حار شديد الحرارة.

وَوَظَلٍ مِّنْ يَّحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ : أي دخان شديد السواد.

لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ : أي لا بارد كغيره من الظلال، ولا كريم حسن المنظر.

إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ : أي في الدنيا.

مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ : أي منعمين لا ينهضون بالتكاليف الشرعية ولا يتعبون في طاعة الله ورسوله.

وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحَنِثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ : أي الذنب العظيم وهو الشرك.

وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّدَا مِنَّا وَكُنَّا شُرَابًا وَعَظْمًا : أي وكانوا ينكرون البعث الآخر. ﴿أَيُّدَا لَمَبْعُوثُونَ

﴿٤٧﴾ أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾.

لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ : أي لوقت يوم معلوم وهو يوم القيامة.

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الضَّالُّونَ الْمَكْذِبُونَ ﴿٥١﴾ : أي الضالون عن طريق الهدى المكذبون بالبعث والجزاء.

لَا كُؤُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ ﴿٥٢﴾ : أي من أخبث الشجر المر في غاية الكراهة والبشاعة طعمًا ولونًا. ﴿قَالُوا لَوْ

مِنَّا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْعَمِيمِ ﴿٥٤﴾.

فَشَرِبُوا شُرْبَ الْعَمِيمِ ﴿٥٥﴾ : أي شاربون شرب الإبل العطاش، إذ الهيمان العطشان، والهيمى

العطشى.

هَذَا نَزَلَتْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ : أي هذا ما أعد لهم من قرى يوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة.

نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ : أي أوجدناكم من العدم.

فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ : أي فهلاً تصدقون بالبعث؛ إذ القادر على الإنشاء قادر على الإعادة بعد الفناء والبلوى.

أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ : أي الذي تصبونه من المني بالجماع في أرحام نساءكم.

ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ؕ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ : أي بشرًا أم نحن الخالقون له بشرًا.

نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ : أي قضينا به عليكم وكتبناه عليكم وجعلنا لكل واحد أجلًا معينًا لا يتعداه ولا يتأخر عنه بحال من الأحوال.

وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ : أي بعاجزين.

عَلَىٰ أَنْ يُبَدَّلَ أَمْتَلِكُمْ : أي ما أنتم عليه من الخلق والصور.

وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ : أي ونوجدكم في صور لا تعلمونها، وهذا تهديد لهم بمسخهم

وتحويلهم إلى أبشع حيوان وأقبحه.

وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ : أي ولقد علمتم خلقنا لكم كيف تم وكيف كان.

فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ : فتعلمون أن الذي خلقكم أول مرة قادر على إعادة خلقكم مرة أخرى بعد

موتكم وفنائكم.

أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ : أي من إثارة الأرض بالمحراث وإلقاء البذر فيها.

ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ؕ : أي تبتونه.

أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ : أي نحن المنتبون له يقال زرعه الله أي أنبته<sup>(١)</sup>.

لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا : أي لو نشاء لجعلنا الزرع حطامًا يابسًا بعد أن أصبح سنبلًا وقارب أن

يفرك فتحرموا منه.

فَقَلَّطْنَاهُمْ نَفْسَهُمْ ﴿٦٥﴾ : أي تتعجبون: في مجالسكم من الجائحة التي أصابت زرعكم.

إِنَّا لَمُعْرِمُونَ ﴿٦٦﴾ : أي قائلين: إنا لمغرمون أي ما أنفقناه على حرثه ورعايته معذبون به، وقيل

لمعذبون كقوله تعالى: ﴿إِنْ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا﴾.

بَلْ نَحْنُ مُحْرِمُونَ ﴿٦٧﴾ : أي لسنا بمعذبين به وإنما نحن محرومون من زرعنا، وما بذلناه فيه ليس لنا

من حظ ولا جد أي: غير محظوظين ولا مجدودين.

أَفَرَأَيْتُمْ يَسْعَ الْمَاءِ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ : أي أخبرونا عن الماء الذي تشربونه وحياتكم متوقفة عليه.

ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ : أي من السحاب في السماء إلى الأرض.

أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ : أي له إلى الأرض.

(١) قال ابن كثير رحمه الله: (روي عن حجر المدري أنه كان إذا قرأ ﴿ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ؕ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ ﴿٦٤﴾ وأمثالها، يقول:

بل أنت يا رب. اهـ(قل).

لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا: أي ملحًا مرًا لا يمكن شربه.  
 فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾: أي فهلا تشكرون أي الله بالإيمان والطاعة.  
 أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾: أي أخبرونا عن النار التي تخرجون من الشجر.  
 ءَأَسْرَأْنَاهُمْ شَجَرَتَهَا: أي خلقتهم شجرتها كالمرخ والعفار والكلخ.  
 أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾: أي نحن المنشئون لتلك الأشجار.  
 نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً: أي جعلنا تلك النار تذكرة أي تذكر بنار جهنم.  
 وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾: أي بُلغة للمسافرين يتبلغون بها في سفرهم.  
 فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾: أي نزه اسم ربك عما لا يليق به كذكره بغير احترام ولا تعظيم،  
 أو الاسم صلة والتقدير نزه ربك عن الشريك ومن ذلك قولك: سبحان ربي العظيم.  
 ﴿فَلَا أَقْسَمُ﴾: أي فأقسم و(لا) صلة لتقوية الكلام وتأکید القسم<sup>(١)</sup>.  
 يَمْوِقِعُ النَّجْمِ ﴿٧٥﴾: أي بمساقطها لغروبها وبمنازلها أيضًا ومطالعها كذلك.  
 وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ: أي القسم بها.  
 لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾: أي لو كنتم من أهل العلم لعلمتم عظم هذا القسم.  
 إِنَّهُ لَقَرَّءٌ أَنْ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾: أي المتلو عليكم لقرآن كريم وهو الذي كذب به<sup>(٢)</sup> المشركون.  
 فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾: أي مصون وهو المصحف.  
 لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾: أي من الملائكة والأنبياء وكل طاهر غير محدث حدثًا أكبر  
 وأصغر<sup>(٣)</sup>.

تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾: أي منزل من رب العالمين وهو الله ﷻ.

(١) (لا) صلة في قول أكثر المفسرين أي: فأقسم بمواقع النجوم. وقيل: هي نفي أي ليس الأمر كما تقولون ثم استأنف فقال: فأقسم كقول الرجل: لا. والله ما كان كذا وكذا، ولا يريد به نفي اليمين بل يريد به نفي كلام سابق. وقيل: (لا) بمعنى ألا أداة تنبيه.

(٢) ﴿كَرِيمٌ﴾ لما فيه من كريم الأخلاق، ومعالي الأمور ولأنه يكرم حافظه ويعظم قارئه ويسعد وينجو العامل به.  
 (٣) جاء في فقه السنة (قال رسول الله ﷺ: (لا يمس القرآن إلا طاهر) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» وقال: رواه موثقون فالحديث يدل على أنه لا يجوز مس المصحف إلا لمن كان طاهرًا؛ ولكن «الطاهر» لفظ مشترك، يطلق على الطاهر من الحدث الأكبر والطاهر من الحدث الأصغر، ويطلق على المؤمن وعلى من ليس على بدنه نجاسة، ولا بد لحملة على معين من قرينه، فلا يكون الحديث نصًا في منع المحدث حدثًا أصغر من مس المصحف.

وأما قوله سبحانه: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ فالظاهر رجوع الضمير إلى الكتاب المكنون، وهو اللوح المحفوظ، لأنه الأقرب والمطهرون الملائكة فهو كقول سبحانه ﴿فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ ﴿٧٣﴾ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿٧٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿٧٥﴾ كَرِيمٍ بَرَرَةٍ﴾  
 وذهب ابن عباس والشعبي والضحاك وزيد بن علي والمؤيد بالله وداود وابن حزم وحماد بن أبي سليمان إلى أنه يجوز للمحدث حدثًا أصغر مس المصحف. وأما القراءة له بدون مس فهي جائزة اتفاقًا. اهـ (قل).

أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ : أي القرآن .  
 أَنْتُمْ مُذْهَبُونَ ﴿٨١﴾ : أي تلينون القول للمكذبين به مما لأمة منكم لهم على التكذيب به والكفر .  
 وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ : أي شكر الله على رزقكم .  
 أَنْكُمْ تُكذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ : أي تكذبيكم بسقيا الله وتقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا .  
 فَلَوْلَا : أي فهلاً وهي للحض على العمل والحث عليه <sup>(١)</sup> .  
 إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ : أي مجرى الطعام وذلك وقت النزح .  
 وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ : أي وأنتم أيها المعرضون والعواد تنظرون إليه .  
 وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ : أي ورسلنا ملك الموت وأعوانه أقرب إلى المحتضر منكم .  
 وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ ﴿٨٥﴾ : أي الملائكة .  
 فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ : أي فهلاً إن كنتم غير مدينين أي محاسبين بعد الموت .  
 تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ : أي ترجعون الروح إلى الجسم بعد وشوك مفارقتها له إن كنتم صادقين في أنكم لا تبعثون ولا تحاسبون .  
 فَأَمَّا إِنْ كَانَ : أي الميت .  
 مِنَ الْمُفْرَبِينَ ﴿٨٨﴾ : أي من السابقين وهو الصنف الأول من الأصناف الثلاثة التي تقدمت في أول السورة .  
 فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ : أي استراحة وريحان أي رزق حسن وجنة نعيم .  
 وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ : أي من الصنف الثاني .  
 فَسَلَّمَ لَكَ : يا صاحب اليمين .  
 مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ : أي من إخوانك يسلمون عليك فإنهم في جنات النعيم . ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾﴾ .  
 فَتَرْجُلٌ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ : أي فله نزل من ماء حار شديد الحرارة .  
 وَتَصْلِيَةٌ مِنْ جَمِيمٍ ﴿٩٤﴾ : أي احتراق بها .  
 إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ : أي إن هذا الذي قصصناه عليك في هذه السورة لهو حق اليقين .  
 فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ : أي نزهه وقدس اسم ربك العظيم .



(١) لم يجز للروح ذكر إلا أن المقام دال عليها .

## ٥٧ - سُورَةُ الْحَٰدِثِ

«مجانبة»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ : أي نزه الله تعالى جميع ما في السموات والأرض بلسان الحال والقال.

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ① : أي في ملكه، الحكيم في صنعه وتدبيره.  
 لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ : أي يملك جميع ما في السموات والأرض يتصرف كيف يشاء.  
 يُحْيِي - وَيُمِيتُ : يحيي بعد العدم ويميت بعد الإيجاد والإحياء.  
 وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ② : وهو على فعل كل ما يشاء قدير لا يعجزه شيء.  
 هُوَ الْاَوَّلُ وَالْاٰخِرُ : أي ليس قبله شيء، وهو الآخر الذي ليس بعده شيء.  
 وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ : أي الظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء.  
 وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ③ : أي لا يغيب عن علمه شيء ولو كان مثقال ذرة في السموات والأرض.  
 هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ فِي سِتَّةِ اَيَّامٍ : أي من أيام الدنيا مقدرتها بها أولها الأحد وآخرها الجمعة.

ثُمَّ اَسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ : أي ارتفع عليه وعلا.  
 يَعْلَمُ مَا يَلِيْجُ فِي الْاَرْضِ : أي ما يدخل في الأرض من كل ما يدخل فيها من مطر وأموات.  
 وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا : أي من نبات ومعادن..  
 وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ : أي من رحمة وعذاب.  
 وَمَا يَرْجِعُ فِيهَا : أي يصعد فيها من الأعمال الصالحة والسيئة.  
 وَهُوَ مَعَكُمْ اَيْنَ مَا كُنْتُمْ : أي بعلمه بكم وقدرته عليكم أينما كنتم.  
 وَاللَّهُ يَمَاتَعِبُونَ بَصِيْرٌ ④ : أي لا يخفى عليه من أعمال عباده الظاهرة والباطنة شيء.  
 لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَاِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْاُمُوْرُ ⑤ : أي مرد كل شيء إلى الله خالقه ومدبره يحكم فيه بما يشاء.

يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ : أي يدخل جزءاً من الليل في النهار وذلك في الصيف.  
 وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ : ويدخل جزءاً من النهار في الليل وذلك في الشتاء، كما يدخل كامل أحدهما في الآخر فلا يبقى إلا ليل أو نهار، إذ أحدهما دخل في ثانيهما.  
 وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُوْرِ ⑥ : أي ما في الصدور من المعتقدات والأسرار والنيات.



ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ: أي صدقوا بالله ورسوله يا من لم تؤمنوا بعد، واثبتوا على إيمانكم يا من آمتم قبل.

وَأَنْفِقُوا: أي وتصدقوا في سبيل الله.

مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ: أي من المال الذي استخلفكم الله فيه، إذ هو مال من قبلكم وسيكون لمن بعدكم.

فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنْفَقُوا: أي صدقوا بالله ورسوله وتصدقوا بأموالهم المستخلفين فيها.

لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾: أي ثواب عظيم عند الله وهو الجنة.

وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ: أي: أي شيء يمنعكم من الإيمان.

وَالرُّسُولَ يَدْعُونَ لِلتَّوْمُنِ بِرَبِّكُمْ: أي والحال أن الرسول بنفسه يدعوكم لتؤمنوا بربكم.

وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ: أي على الإيمان به وأنتم في عالم الذر حيث أشهدكم فشهدتم.

إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾: أي مرادين الإيمان فلا تترددوا وآمنوا وأسلموا تنجوا وتسعدوا.

هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ: أي هو الله ربكم الذي يدعوكم رسوله لتؤمنوا به، ينزل على عبده

محمد ﷺ.

ءَايَاتٍ يَبَيِّنَاتٍ: هي آيات القرآن الكريم الواضحات المعاني البيّنات الدلالة.

لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ: أي ليخرجكم من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان

والعلم.

وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾: ويدلكم على ذلك إرسال رسوله إليكم وإنزال كتابه ليخرجكم

من الظلمات إلى النور.

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ: أي: أي شيء لكم في عدم الإنفاق في سبيل الله.

وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ: أي ومن ذلك المال الذي بين أيديكم فهو عائد إلى الله فأنفقوا في

سبيله يؤجركم عليه. وإلا فسيعود إليه بدون أجر لكم.

لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ <sup>(١)</sup> مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلًا: أي لا يستوي مع من أنفق وقاتل بعد صلح

الحديبية حيث عز الإسلام وكثر مال المسلمين. ﴿أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَعْتِ﴾.

وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَى: أي الجنة، والجنة درجات. وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾.

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ: أي بإنفاقه ماله في سبيل الله الذي هو الجهاد.

قَرْضًا حَسَنًا: أي قرضًا لا يريد به غير وجهه الله تعالى.

فِيضِعُوهُ لَهُ: أي الدرهم بسبعمئة درهم.

(١) جاز أن يكون المراد بالفتح، فتح مكة، وكونه صلح الحديبية أولى وأرجح.

وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ : أي يوم القيامة وهو الجنة دار النعيم المقيم.

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى ثَوْرُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ (١) : أي يتقدمهم نورهم الذي اكتسبوه بالإيمان والعمل الصالح، بمسافات بعيدة يضيء لهم الصراط الذي يجتازونه إلى الجنة.  
بُشِّرْنَاكَ الْيَوْمَ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ : أي تقول لهم الملائكة الذين أعدوا لاستقبالهم: بشراكم بخلائين فيها ﴿﴾.

ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ : أي النجاة من النار ودخول الجنة هو الفوز العظيم الذي لا أعظم منه.

يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ : أي الذين كانوا يخفون الكفر في نفوسهم ويظهرون الإيمان والإسلام بألسنتهم.  
لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْظَرُونَا نَقِيسَ مِنْ ثَوْرِكُمْ : أي انظروا إلينا بوجوهكم نأخذ من نوركم ما يضيء لنا الطريق.

قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا : أي يقال لهم استهزاء بهم: ارجعوا وراءكم إلى الدنيا حيث يطلب النور هناك بالإيمان وصالح الأعمال بعد التخلي عن الشرك والمعاصي، فيرجعون وراءهم فلم يجدوا شيئاً.

فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ سُورًا لَّهُ بِابْءٍ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ : أي فضرب بينهم وبين المؤمنين سور عالٍ له باب باطنه الذي هو من جهة المؤمنين الرحمة.

وَوَظَّهَرَهُ مِنْ قِيلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ : أي الذي من جهة المنافقين في عرصات القيامة العذاب.  
يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ : أي ينادي المنافقون المؤمنين قائلين: ألم نكن معكم في الدنيا على الطاعات: أي فنصلي كما تصلون ونجاهد كما تجاهدون وننفق كما تنفقون.  
قَالُوا بَلَى : أي كتم معنا على الطاعات.

وَلَكِنَّكُمْ فَتِنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ : أي بالنفاق وهو كفر الباطن وبغض الإسلام والمسلمين.  
وَتَرَبَّصْتُمْ : أي الدوائر بالمسلمين، أي كتمت تنتظرون متى يهزم المؤمنون فتعلنوا عن كفركم وتعودوا إلى شرككم.

وَأَرْبَبْتُمْ وَعَرَّكْتُمْ الْأَمَانِي : أي الكاذبة والأطماع في أن محمداً لن ينتصر وأن دينه لن يظهر.  
﴿ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ : بنصر رسوله وإظهار دينه.

وَعَرَّكْتُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورَ ﴿١٤﴾ : أي وغرركم بالإيمان بالله ورسوله حيث زين لكم الكفر وكره إليكم

(١) ﴿يَسْعَى ثَوْرُهُمْ﴾ عندما يسعون هم إذ هو منهم يتقدمهم فلا ينفصل عنهم حيث إذا وقفوا وإذا مشوا تقدمهم بين أيديهم.

## الإيمانَ الشيطانُ.

فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ: أي مال تفدون به أنفسكم إذ لا مال يومئذ ينفع ولا ولد.  
 وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا: أي ولا فدية تقبل من الذين كفروا.  
 مَا وَبَّأَكُمْ النَّارَ هِيَ مَوْلَاكُمْ: أي مستقركم ومكان إيوائكم النار وهي أولى بكم لخبث نفوسكم.  
 وَيَسَّرَ الْمَصِيرَ ﴿١٥﴾: أي مصيركم الذي صرتم إليه وهو النار.  
 \* أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا: أي ألم يحن الوقت للذين أكثروا من المزاح.  
 أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ: أي تلين وتسكن وتخضع وتطمئن لذكر الله ووعده ووعيده.  
 وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ: أي القرآن وما يحويه من وعد ووعيد.  
 وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ: أي ولا يكونوا كاليهود والنصارى في الإعراض والغفلة.  
 فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ: أي الزمن بينهم وبين أنبيائهم.  
 فَخَسَّتْ قُلُوبُهُمْ: أي لعدم وجود من يذكرهم ويرشدهم، فحسَّت لذلك قلوبهم فلم تلتن لذكر الله.  
 وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾: أي نتيجة لقساوة القلوب المترتبة على ترك التذكير والإرشاد ففسق  
 أكثرهم، فخرج عن دين الله ورفض تعاليمه.  
 أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا: أي بالغيث ينزل بها، وكذلك يحيي القلوب بالذكر والتذكير،  
 فتلين وتخضع لذكر الله ووعده ووعيده.  
 قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾: أي بينا لكم الآيات الدالة على قدرتنا وعلمنا ولطفنا  
 ورحمتنا، رجاء أن تعقلوا فتحفظوا أنفسكم مما يريدها ويوبقها.  
 إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ: أي المتصدقين بفضول أموالهم والمتصدقات كذلك.  
 وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا: أي وكانت صدقاتهم كالقرض الحسن الذي لا منة معه، والنفس طيبة  
 به وراجية من ربها جزاءه.  
 يُضَاعَفُ لَهُمْ: أي القرض، الحسنه بعشر أمثالها إلى سبعمائة إلى ألف ألف. ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ  
 كَرِيمٌ﴾ ﴿١٨﴾.

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ: أي صدقوا بالله ربًا وإلهًا، وبرسوله هداة ودعاة صادقين.  
 أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ: أي الذين كتبوا عند الله صديقين وهي مرتبة شرف عالية.  
 وَالشُّهَدَاءُ ﴿١﴾ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ: أي وشهداء المعارك في سبيل الله عند ربهم أي في

(١) اختلف في ﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾ هل موصول بما قبله أو مقطوع؟ فإن كان موصولاً فالصديقون والشهداء: هم المؤمنون بالله ورسوله، وللجميع أجرهم ونورهم ويكون المدح والثناء وعظم الجزاء للجميع وهي بشرى لأمة محمد ﷺ، وإن كان مقطوعاً فقد فاز الشهداء بمزية لم تكن لغيرهم، وهذا ما ذهب إليه في التفسير، وهو ما اختاره ابن جرير.

الجنة لهم أجرهم العظيم ونورهم التام يوم القيامة.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا: أي كفروا بالله وتوحيده وكذبوا بالقرآن وبما حواه من الشرائع والأحكام.

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾: أي أولئك البعداء هم أهل النار الذين لا يفارقونها أبداً. أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَتُونَ: أي إن الحياة الدنيا أشبه بالأمور الخيالية، قليلة النفع سريعة الزوال.

وَزِينَةٌ: أي ما يتزين به المرء من أنواع الزينة، والزينة سريعة التغير والزوال. وَتَفَاخُرُ بَيْنَكُمْ وَتَكَاتُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ: أي أنها لا تخرج عن كونها لهواً ولعباً وزينة وتفاخراً وتكاتراً في الأموال والأولاد.

كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ: أي مثلها في سرعة زوالها وحرمان صاحبها، من الدار الآخرة ونعيمها كمثل مطر أعجب الكفار: أي الزراع أعجبهم نباته أي ما نبت به من الزرع. ثُمَّ يَهْبِطُ فَتَرْتَمُهُ مُمْصِقًا: أي يبس فتراه مصفراً آن أو ان حصاده. ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا: أي يتحول بسرعة إلى حطام يابس يتفتت. ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾.

وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ﴿٢٠﴾: أي وما الحياة الدنيا في التمتع بها إذ الحياة نفسها غرور لا حقيقة لها.

سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ: أي سارعوا بالتوبة مسابقين غيركم لتغفر لكم ذنوبكم. ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾. ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ: أي الموعود به من المغفرة والجنة.

وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾: أي فلا يبعد تفضله بذلك الموعود به وإن كان عظيماً.

مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ: أي بالجذب وذهاب المال.

وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ: أي بالمرض وفقد الولد.

إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا: أي في اللوح المحفوظ قبل أن نخلقها.

إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾: أي سهل ليس بالصعب.

لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ: أي لكيلا تحزنوا على ما فاتكم أي مما تحبون من الخير.

وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ: أي بما أعطاكم فرح البطر، أما فرح الشكر فهو مشروع.

وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾: أي مختال بتكبره بما أعطي، فخور أي به على الناس.

الَّذِينَ يَبْتَخَلُونَ: أي بما وجب عليهم أن يبذلوه.

وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ: أي بمنع ما وجب عليهم عطاؤه.

وَمَنْ يَتَوَلَّ: أي عن الإيمان والطاعة وقبول مواعظ ربهم.  
 فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ: أي غني عن سائر خلقه، لأن غناه ذاتي له لا يستمده من غيره.  
 الْحَمِيدُ ﴿١٤﴾: أي محمود بجلاله وجماله وآلائه ونعمه على عباده.  
 لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ: أي بالحجج والبراهين القاطعة على صدق دعوتهم.  
 وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ: أي وأنزل عليهم الكتب الحاوية للشرائع والأحكام.  
 وَالْمِيزَانَ: أي العدل الذي نزلت الكتب بالأمر به وتقريره.  
 لِيُقِيمُوا النَّاسَ بِالْقِسْطِ: أي لتقوم حياتهم فيما بينهم على أساس العدل.  
 وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ: أي في الحديد بأس شديد، والمراد آلات القتال من سيف وغيره.

وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ: أي ينتفع به الناس إذ ما من صنعة إلا والحديد آلتها.  
 وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ <sup>(١)</sup> مِنْ بَصُرِهِ وَرُسُلَهُ: أي وأنزلنا الحديد وجعلنا فيه بأساً شديداً، ليعلم الله من ينصره في دينه وأوليائه وينصر رسله المبلغين عنه.  
 بِالْغَيْبِ: أي وهم لا يشاهدونه بأبصارهم في الدنيا.  
 إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١٥﴾: أي لا حاجة به إلى نصرة أحد وإنما طلبها يتعبد بها عباده.  
 وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ: أي وتالله لقد أرسلنا نوحاً، وهو الأب الثاني للبشر، وإبراهيم، وهو أبو الأنبياء.

وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ: أي التوراة والزبور والإنجيل والفرقان.  
 فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ: أي من أولئك الذرية أي: سالك سبيل الحق والرشاد.  
 وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾: أي عن طاعة الله ورسله ضال في طريقه.  
 ثُمَّ بَقَيْنَا عَلَىٰ أَثَرِهِمْ رَسُولًا: أي أرسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهينا إلى عيسى.  
 وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ: أي أتبعناهم بعيسى ابن مريم لتأخره عنهم في الزمان. ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾.

وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ: أي على دينه وهم الحواريون وأتباعهم.  
 رَأْفَةً وَرَحْمَةً: أي لنا وشفقة.  
 وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا: أي وابتدعوا رهبانية لم يكتبها الله عليهم. وهي اعتزال النساء والانقطاع في الأديرة والصوامع للتعبد.

(١) هذا العلم: علم ظهور وكشف عما هو معلوم لله تعالى مستور عن عباده، لا أنه علم يستجد لله تعالى فإنه قد كتب ذلك في كتاب المقادير وعلمه قبل وجوده، وإنما يظهره في وقته كما كتبه فيعلمه بعد كشفه وإظهاره لتقوم الحجة به على عباده.

مَا كُنْتُمْ عَلَيْهَا إِلَّا أَتْبَعَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ : أي إلا طلباً لرضوان الله ﷻ .  
فَمَارَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا : أي لم يلتزموا بما نذروه على أنفسهم من الطاعات .  
فَنَاتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٢٧﴾ : أي فأعطينا الذين ثبتوا على إيمانهم  
وتقواهم أجرهم .

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا : أي بعيسى ابن مريم وموسى من قبله <sup>(١)</sup> .  
أَتَقُوا اللَّهَ وَءَامَنُوا بِرَسُولِهِ : أي خافوا عقاب الله وآمنوا بمحمد ﷺ واتبعوه .  
يُؤْتِيَكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ : يعطكم الله نصيبين من الأجر مقابل إيمانكم بنبيكم وبمحمد ﷺ .  
وَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ : أي في الدنيا إذ تعيشون على هداية الله، وفي الآخرة تمشون به على  
الصراط . ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٢٨﴾ .

لِتَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ <sup>(٢)</sup> : أي لكي يعلم أهل الكتاب أنهم لا  
يقدرون على شيء من فضل الله . واللام في ثلثا مزيدة لتقوية الكلام . ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ  
وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٢٩﴾ .



(١) استعمل الإيمان هنا استعمالاً لقبياً إذ المراد بالذين آمنوا: اليهود والنصارى؛ إذ هم يؤمنون بالله ولقائه وكتبه  
ورسله في الجملة .

(٢) أي: إلا بإذن الله؛ إذ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والظاهر أن المراد من الفضل هنا خصوص النبوة والرسالة  
وأن أهل الكتاب من اليهود يريدون حصر النبوة والرسالة في شعب بني إسرائيل، فلذا جحدوا نبوة ورسالة  
محمد ﷺ وكفروا بهما؛ فناداهم تعالى بعنوان الإيمان الذي يدعونه وأمرهم بتقواه بترك الكذب والاحتيال  
وأمرهم بالإيمان برسوله وواعدهم مضاعفة الأجر إن هم آمنوا، وكان هذا إعلاناً منه تعالى أن أهل الكتاب لا  
يقدرون على حصر الفضل فيهم ومنعه عن غيرهم فقد نبأ وأرسل من بني عمهم محمداً ﷺ وهم كارهون  
منكرونها، وهم بين خيارين: إما الإيمان بمحمد ﷺ والفوز بالجنة والنجاة من النار، وإما الإصرار  
على إنكار رسالته والكفر مع الخسران في الحياتين، ولا يهلك على الله إلا هالك .

## ٥٨ - سُورَةُ الْحَجَّاتِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا: أَي تراجعت أيها النبي في شأن زوجها أوس بن الصامت. وَدَشَّتْكِ إِلَى اللَّهِ: أَي وحدتها وفاقتها وصيبة صغاراً إن ضمتهم إليه ضاعوا، وإن ضمتهم إليها جاعوا. وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا: أَي تراجعتكما أنت أيها الرسول والمحاورة لك وهي خولة بنت ثعلبة الأنصارية.

إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ①: أَي لأقوالكما، بصير بأحوالكما. الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ: أَي يُحَرِّمُونَ نِسَاءَهُمْ بقول: أنت علي كظهر أمي. مَا هُنَّ بِأُمَّهَاتِهِمْ: أَي ليس هن بأمهاتهم. إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ: ما أمهاتهم إلا اللاتي ولدنهم، أو أرضعنهم. وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا: أَي وإنهم بالظهار ليقولون منكراً من القول، وزوراً: أي كذباً.

وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ②: أَي على عباده: أَي ذو صفح عليهم غفور لذنوبهم إن تابوا منها. وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ: أَي بآن يقول لها: أنت علي كظهر أمي أو أختي ونحوها من المحارم. ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا: أَي يعزمون على العودة للتي ظاهروا منها، إذ كان الظهار في الجاهلية طلاقاً. فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا: أَي فالواجب عليه تحرير رقبة مؤمنة قبل أن يجامعها ①. ذَلِكَ تُوَعِّظُونَ بِهِ: أَي تؤمرون به فافعلوه على سبيل الوجوب. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ③. فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ: أَي فمن لم يجد الرقبة لانعدامها أو غلاء ثمنها فالواجب صيام شهرين متتابعين.

مِن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا: أَي من قبل الوطء لها. فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ: أَي الصيام لمرض أو كبر سن.

(١) قال ابن كثير رحمته الله: قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي فإعتاق رقبة كاملة من قبل أن يتماسا، فهنا الرقبة مطلقة غير مقيدة بالإيمان، وفي كفارة القتل (أي التي في سورة النساء) مقيدة بالإيمان. فحمل الشافعي رحمته الله ما أطلقه هنا على ما قيد هناك لاتحاد الموجب، وهو عتق الرقبة. اهـ (قل)

فَاطْعَامٌ سِتِّينَ مَسْكِينًا : أي فعلية قبل الوطاء أن يطعم ستين مسكينًا، يعطي لكل مسكين مدًا من بر أو مدين من غير البر كالتمر والشعير ونحوهما من غالب قوت أهل البلد.

ذَلِكَ : أي ما تقدم من بيان حكم الظهار الذي شرع لكم.

لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ : أي لأن الطاعة إيمان والمعصية من الكفران.

وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ : أي أحكام شرعه.

وَاللَّكْفِيرِينَ عَذَابُ أَلِيمٌ (١) : أي وللكافرين بها الجاحدين لها عذاب أليم أي ذو ألم.

إِنَّ الَّذِينَ يُخَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ : أي يخالفون الله ورسوله ويعادونهما (١).

كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ : أي ذلوا وأهينوا، كما ذل وأهين من قبلهم لمخالفتهم رسولهم،

وعبر في الآية بالماضي (كبتوا) لتحقق وقوعه كقوله تعالى: (أتى أمر الله).

وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ : أي والحال أنا قد أنزلنا آيات واضحة دالة على صدق الرسول.

وَاللَّكْفِيرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (٢) : أي يوقعهم في الذل والهوان.

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا : أي يوم القيامة. ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾.

أَخَصَّهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ : أي جمعه وعدّه ونسوه هم.

وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٣) : أي لا يغيب عنه شيء من الأشياء. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا

فِي الْأَرْضِ﴾.

مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى : أي من متناجين.

ثَلَاثَةٌ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ : أي هو تعالى رابعهم بعلمه بهم، وقدرته عليهم. ﴿وَلَا حَمِيسَةٌ إِلَّا هُوَ

سَادِسُهُمْ.

وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ : أي أقل من الثلاثة وهما الاثنان. ﴿وَلَا أَكْثَرُ﴾.

إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَنْ مَكَانًا : أي في أي مكان من الأرض أو السماء. ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ

بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٤)﴾.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوْنَا عَنِ النَّجْوَى : أي المسارة الكلامية والمنهيون هم اليهود والمنافقون.

ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نَهَوْنَا عَنْهُ : أي من التناجى تعمدًا لأذية المؤمنين بالمدينة.

وَيُنَبِّئُونَ بِالْأَسْمَاءِ وَالْعُدُوبِ : أي بما هو إثم في نفسه، وعداوة الرسول والمؤمنين.

(١) الأولى أن تكون العبارة كالاتي: يخالفون ويعادون الله ورسوله (قل).

(٢) من هداية الآيات: الإرشاد إلى أن التناجى للمشاورة في الخير ينبغي أن يكون عدد المتناجين ثلاثة أو خمسة أو سبعة ليكون الواحد عدلاً مرجحاً للخلاف قاضياً فيه إذا اختلف الاثنان، إذ لا بد من واحد يرجح جانب الخلاف وإذا اختلف أربعة فلا بد من خامس يرجح جانب الخلاف.



وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ : أي يتناجون فيوصي بعضهم بعضًا بمعصية الرسول وعدم طاعته (١).  
 وَإِذَا جَاءَ وَكَ حَيَّوْكَ : أي جاءوك أيها النبي حيوك بقولهم: السام عليك.  
 بِمَا لَمْ يَحْيِكْ بِهِ اللَّهُ : أي حيوك بلفظ السام عليك، وهذا لم يحي الله به رسوله بل حياه بلفظ  
 السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.  
 وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ : أي سرًا فيما بينهم.  
 لَوْلَا يَعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ : أي هلاً يعذبنا الله بما نقول له، فلو كان نبيًا لعاجلنا الله بالعقوبة.  
 حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُونَهَا فَيَنْسُ الْمَصِيرُ (٨) : أي يكفيهم عذاب جهنم يصلونها فينس المصير لهم.  
 يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِثْرِ وَالْعُدُونِ : أي فلا يناج بعضكم بما هو إثم ولا بما  
 هو عدوان وظلم.

وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ : أي ولا بما هو معصية للرسول.  
 وَتَنَجَّوْا بِالْإِثْرِ وَالنَّقْوَى : أي وتناجوا إن أردتم ذلك بالبر أي الخير والتقوى وهي طاعة الله  
 والرسول. ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٩).  
 إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ : أي إنما النجوى بالاثم والعدوان من الشيطان أي بتغريبه.  
 لِيَحْزُبَ الَّذِينَ ءَامَنُوا : أي ليوهمهم أنها بسبب شيء وقع مما يؤذيههم.  
 وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ : أي وليس التناجى بضر المؤمنين شيئًا إلا بإرادة الله تعالى.  
 وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٠) : أي وعلى الله لا على غيره يجب أن يتوكل المؤمنون. ﴿يَتَأْتِيهَا  
 الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَفَسَحُوا فِي الْمَجَالِسِ : أي توسعوا في المجالس التي هي مجالس علم وذكر.  
 فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ : أي في الجنة وفي الرزق والقبر.  
 وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا : أي قوموا للصلاة أو لغيرها من أعمال البر.  
 يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ : أي بالنصر وحسن الذكر في الدنيا وفي غرفات الجنان في الآخرة.  
 وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ : أي ويرفع الذين أوتوا العلم درجات عالية لجمعهم بين العلم  
 والعمل. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١١).

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ الرَّسُولَ : أي أردتم مناجاته.  
 فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جَمْعِكُمْ صَدَقَةً : أي قبل المناجاة تصدقوا بصدقة ثم ناجوه ﷺ.  
 ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرٌ : أي تقديم الصدقة بين يدي المناجاة خير لما فيه من نفع الفقراء وأطهر

(١) كتبت ﴿وَمَعْصِيَتِ﴾ بالتاء المفتوحة دون المربوطة التي يوقف عليها بالهاء في موضعين من هذه السورة، ويوقف عليها بالهاء ويجوز بالتاء، وأما في الوصل فلا بد من التاء.

لذنوبكم.

فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا : أي فإن لم تجدوا ما تتصدقون به.

فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ : أي غفور لمناجاتكم رحيم بكم، فليس عليكم في المناجاة بدون صدقة

إثم.

ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَاتٍ : أي أخفتم الفقر إن قدمتم بين يدي نجواكم صدقات.

فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ : أي تقديم الصدقات وتاب الله عليكم بأن رخص لكم في تركها.

فَأَقِمْ وَ الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ : أي على الوجه المطلوب من إقامتها وأخرجوا الزكاة.

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ : أي وداوموا على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله.

وَاللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ <sup>(١)</sup> ﴿١٣﴾ : أي من أعمال البر والإحسان وسيثيبكم على ذلك بالجنة.

﴿الَّذِينَ تَوَلَّوْا﴾ : أي ألم تنظر إلى المنافقين الذين تولوا.

قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ : أي اليهود.

مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ : أي ما هم منكم أيها المؤمنون ولا منهم أي من اليهود بل هم مذبذبون.

وَيَحْلِفُونَ عَلَى الكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ : أي يحلفون لكم أنهم مؤمنون وهم يعلمون أنهم غير

مؤمنين. ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾

إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ : أي قبح أشد القبح عملهم وهو النفاق والمعاصي.

أَتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً : أي سترًا على أنفسهم وأموالهم، فادعوا الإيمان كذبًا وحلفوا أنهم مؤمنون

وما هم بمؤمنين.

فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ : أي فصدوا بتلك الأيمان المؤمنين عن سبيل الله التي هي جهادهم

وقتالهم. ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾ لَنْ نَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ ﴿١٧﴾﴾

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ، كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ : أي يوم يبعثهم من قبورهم يوم القيامة يحلفون لله

أنهم مؤمنون كما يحلفون اليوم لكم أنهم مؤمنون.

وَيَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ : أي يظنون في أيمانهم الكاذبة أنهم على شيء من الحق. ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ

الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾

أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ : أي غلب عليهم الشيطان.

فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ : فلم يذكره بأستهم إلا تقية ولا يذكره وعده ولا وعيده.

(١) قال ابن كثير رحمه الله: (...فنسخ وجوب ذلك عنهم، وقد قيل: إنه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوى علي بن أبي طالب. اهـ (قل).)

أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ: أي أولئك البعداء أتباع الشيطان وجنده.  
 أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾: أي إن أتباع الشيطان وجنده هم المغبونون الخاسرون في  
 صفقة حياتهم.

إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ: أي يخالفون الله ورسوله فيما يأمران به وينهيان عنه<sup>(١)</sup>.  
 أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾: أي المغلوبين المقهورين.  
 كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَا أَنَا وَرُسُلِي: أي كتب في اللوح المحفوظ أو قضى وحكم بأن يغلب بالحجة  
 أو السيف. ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾  
 يُؤَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ: أي يصادقون من يخالف الله ورسوله بمحبتهم ونصرتهم.  
 وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ: أي يقصدونهم بالسوء ويقاتلونهم  
 على الإيمان كما وقع للصحابة.

أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ: أي أثبت الإيمان في قلوبهم.  
 وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ: أي برهان ونور وهدى<sup>(٢)</sup>. ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
 خَالِدِينَ فِيهَا﴾.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ: أي رضي الله عنهم بطاعتهم إياه في الدنيا، ورضوا عنه في الآخرة  
 بإدخاله إياهم في الجنة. ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾  
 أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾: أي ألا إن جند الله وأوليائه هم الفائزون بالنجاة من النار  
 ودخول الجنة.



(١) الأولى أن تكون العبارة كالاتي: (.. فيما جاء عن الله ورسوله من أمر ونهي في الكتاب والسنة) فقد روى مسلم  
 من حديث عدي بن حاتم أن رجلاً خطب عند النبي ﷺ فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما  
 فقد غوى، فقال رسول الله ﷺ: «بئس الخطيب أنت، قل ومن يعص الله ورسوله». (قل).  
 (٢) قيل: هو جبريل، وقيل: بنصر منه، وقال الربيع بن أنس: بالقرآن وحججه.

## ٥٩ - سُورَةُ الْحَشْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ: أي نزه الله تعالى وقده بلسان الحال والقال ما في السموات وما في الأرض من سائر الكائنات.

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١): أي العزيز في انتقامه من أعدائه، الحكيم في تدييره لأوليائه. هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِنَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ: أي أخرج يهود بني النضير من ديارهم بالمدينة.

لِأَوَّلِ الْحَشْرِ: أي لأول حشر كان وثاني حشر كان من خير إلى الشام (١). مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا: أي ما ظننتم أيها المؤمنون أن بني النضير يخرجون من ديارهم. وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ: أي وظن يهود بني النضير أن حصونهم تمنعهم مما قضى الله به عليهم من إجلائهم من المدينة.

فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا: أي فجاءهم الله من حيث لم يظنوا أنهم يؤتون منه. وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ: أي وقذف الله تعالى في قلوبهم الخوف الشديد من محمد وأصحابه. يُخْرِبُونَ بِيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ: أي يخربون بيوتهم حتى لا ينتفع بها المؤمنون، وليأخذوا بعض أبوابها وأخشابها المستحسنة معهم.

وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ: إذ كانوا يهدمون عليهم الحصون ليتمكنوا من قتالهم. فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ (٢): أي فاتعظوا بحالهم يا أصحاب العقول ولا تغفروا ولا تعتمدوا إلا على الله ﷻ.

وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ: أي ولولا أن كتب الله عليهم الخروج (٢) من المدينة. لَعَذَّبْتُمْ فِي الدُّنْيَا: أي بالقتل والسبي كما عذب بني قريظة إخوانهم بذلك. ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ (٣).

(١) الحشر: الجمع أي: جمع الناس في مكان واحد، والمراد هنا: حشر يهود جزيرة العرب إلى غيرها أي: جمعهم للخروج، ولذا هو يرادف الجلاء إذا كان الجلاء لجماعة عظيمة تجتمع من الديار المتفرقة، واللام في قوله: ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ هي لام التوقيت التي تدخل على أول الوقت نحو ﴿فَطَلَبُوهُنَّ لِعِذَّتِهِنَّ﴾ أي: لأول عدتهن وهو الطهر الذي لم تمس فيه.

(٢) الفرق بين الجلاء والإخراج: أن الجلاء يكون بالأهل والأولاد، وأما الإخراج فقد يكون بدون ذلك، وكلاهما مفارقة المرء وطنه ويقال: جلا المرء بنفسه وأجلاه غيره.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ: جزاهم بما جزاهم به من عذاب الدنيا والآخرة بسبب مخالفتهم  
الله ورسوله، ومعاداتهم لهما. ﴿وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٤﴾  
مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا: أي ما قطعتم أيها المؤمنون من نخلة لينة أو  
تركتموها بلا قطع.

فِي آذِنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ٥: أي فقطع ما قطعتم وترك ما تركتم كان بإرادة الله وكان ليخزي  
الله الفاسقين يهود بني النضير.

وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ: أي وما ردَّ الله ليد رسول الله ﷺ من مال بني النضير.  
فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ: أي أسرعتم في طلبه والحصول عليه خيلاً ولا إبلاً أي لم  
تعانوا فيه مشقة.

وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ: أي وقد سلط رسول الله محمد ﷺ على بني النضير ففتح  
بلادهم صلحاً. ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٦﴾.

مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى: أي وما ردَّ الله على رسوله <sup>(١)</sup> من أموال أهل القرى التي لم  
يوجف عليها بخيل ولا ركاب.

فَلِلَّهِ وَالرُّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ: أي لله جزء وللرسول جزء ولقرابة الرسول جزء.  
وَأَيْنَ السَّبِيلِ: ولليتامى جزء وللمساكين جزء ولابن السبيل جزء تقسم على المذكورين  
بالسوية.

كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ: أي كيلا يكون المال متداولاً بين الأغنياء الأقبياء ولا يناله  
الضعفاء والفقراء.

وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا: أي وما أعطاكم الرسول وأذن لكم فيه أو  
أمركم به فخذوه، وما نهاكم عنه وحظره عليكم ولم يأذن لكم فيه فانتهوا عنه.

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٧: أي واتقوا الله فلا تعصوه ولا تعصوا رسوله، واحذروا  
عقوبة الله على معصيته ومعصية رسوله؛ فإن الله شديد العقاب. ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ  
دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾.

يَتَّبِعُونَ فَضلاً مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا: أي هاجروا حال كونهم طالبين من الله رزقاً يكفيهم ورضا منه  
تعالى. ﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ٨: أي في إيمانهم حيث تركوا ديارهم وأموالهم وهاجروا ينصرون الله

(١) هذه الآية بداية كلام مستأنف استئنافاً ابتدائياً فالأولى كانت خاصة بقسمة أموال بني النضير، وأما هذه فهي في  
بيان حكم الفياء في الإسلام.

ورسوله.

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ: أي والأنصار الذين نزلوا المدينة وألّفوا الإيمان بعدما اختاروه

على الكفر.

مِنْ قَبْلِهِمْ: أي من قبل المهاجرين. ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾.

وَلَا يَحِدُّونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً: أي حسداً ولا غيظاً.

مِمَّا أُوتُوا: أي مما أوتي إخوانهم المهاجرون من فيء بني النضير.

وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ: أي في كل شيء حتى إن الرجل منهم تكون تحته المرأتان فيطلق

إحدهما ليزوجها مهاجراً.

وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ: أي حاجة شديدة وخلة كبيرة لا يجدون ما يسدون بها.

وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ: أي ومن يقيه الله تعالى حرص نفسه على المال والبخل به. ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُفْلِحُونَ﴾.

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ: أي من بعد المهاجرين والأنصار من التابعين إلى يومنا هذا فما

بعد. ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾.

وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا: أي حقداً أي انطواء على العداوة والبغضاء. ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ رءُوفٌ

رَحِيمٌ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ: أي ألم تنظر.

إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا: أي أظهروا الإيمان وأخفوا في نفوسهم الكفر.

يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: أي يهود بني النضير.

لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ: أي من دياركم بالمدينة.

لَنُخْرِجَنَّكُمْ مَعَكُمْ: أي نخرج معكم ولا نبقي بعدكم في المدينة. ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَهْلَ الدِّينَارِ﴾.

وَإِنْ قُوتِلْتُمْ: أي قاتلكم محمد ﷺ وأصحابه.

لَنَنْصُرَنَّكُمْ: أي بالرجال والسلاح.

وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾: أي فيما وعدوا به إخوانهم من بني النضير. ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ

مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ﴾.

وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ: أي وعلى فرض أنهم نصرورهم.

لَيُؤْتِنَنَّكَ الْأَدْبَرُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١٢﴾: المنافقون كاليهود سواء.

لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ: أي تالله لأنتم أشد خوفاً في صدورهم.

مِنَ اللَّهِ: لأن الله تعالى يؤخر عذابهم وأنتم تعجلونه لهم.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ: أي المنافقين.

قَوْمٌ لَا يَفْقَهُوْكَ ﴿١٣﴾ : لظلمة كفرهم وعدم استعدادهم للفهم عن الله ورسوله <sup>(١)</sup> .  
 لَا يَقْنَلُونَكُمْ جَمِيعًا : أي لا يقاتلكم يهود بني النضير مجتمعين .  
 إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ : أي بالأسوار العالية .  
 أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ : أي من وراء المباني والجدران، أما المواجهة فلا يقدرّون عليها .  
 بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ : أي العداوة بينهم شديدة والبغضاء أشد .  
 تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا : أي مجتمعين .  
 وَقُلُوبُهُمْ سَتَىٰ : أي متفرقة خلاف ما تحسبهم عليه .  
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ : إذ لو كانوا يعقلون لاجتمعوا على الحق وما كفروا به وتفرقوا  
 فيه فهذا دليل عدم عقلهم .  
 كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا : أي مثل يهود بني النضير في ترك الإيمان ومحاربة الرسول ﷺ  
 كمثل إخوانهم بني قينقاع والمشركين في بدر .  
 ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ : أي ذاقوا عاقبة كفرهم وحرّبه لرسول الله ولهم عذاب أليم  
 في الآخرة .  
 كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ : أي ومثلهم أيضًا في سماعهم من المنافقين وخذلانهم لهم كمثل  
 الشيطان إذا قال للإنسان :  
 أَكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ : أي قال له الشيطان بعد أن كفره : إني بريء منك . ﴿إِنِّي  
 أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا ﴿١٧﴾ .  
 وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ : أي خلودهم في النار أي الغاوي والمغوي ذلك جزاؤهما وجزاء  
 الظالمين . ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْقُوا اللَّهَ﴾ .  
 وَتَنْظُرُ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ : أي لينظر كل أحد ما قدم ليوم القيامة من خير وشر . ﴿وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ  
 اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨﴾ .  
 وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ : أي ولا تكونوا أيها المؤمنون كالذين نسوا الله فتركوا طاعته .  
 فَأَنْسَهُمْ أَنْفُسَهُمْ : أي فعاقبهم بأن أنساهم أنفسهم فلم يعملوا خيرًا قط . ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ  
 الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿١٩﴾ .  
 لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ : أي لأن أصحاب الجنة  
 فائزون بالسلامة من المرهوب والظفر بالمرغوب المحبوب . وأصحاب النار خاسرون في جهنم  
 خالدون، فكيف يستويان؟! .

(١) الفقه: إدراك المعاني الدقيقة والأسرار الخفية في كلام أهل الحكمة وذوي البصيرة.

لَوْ<sup>(١)</sup> أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ : أي وجعلنا فيه تمييزاً وعقلاً وإدراكاً.  
 لَرَأَيْتَهُ خَشِيعًا مُتَّصِدِعًا : أي لرأيت ذلك الجبل متشققاً متطامناً ذليلاً.  
 مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ : أي من خوف الله خشية أن يكون ما أَدَّى حقه من التعظيم.  
 وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ : أي مثل هذا المثل نضرب الأمثال للناس.  
 لَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ<sup>(٢)</sup> : أي يتذكرون فيؤمنون ويوحدون ويطيعون.  
 هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ : أي الله المعبود بحق الذي لا معبود بحق إلا هو عَزَّ وَجَلَّ.  
 عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ : أي عالم السر والعلانية.  
 هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ<sup>(٣)</sup> : أي رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما.  
 هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ : أي لا معبود بحق إلا هو، لأنه الخالق الرازق المدبر وليس لغيره ذلك.

ذَلِكَ.  
 الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ : أي الذي يملك كل شيء ويحكم كل شيء، القدوس: الطاهر المتزه عما لا يليق به.

السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّمُ : أي ذو السلامة من كل نقص الذي لا يطرأ عليه<sup>(٤)</sup> النقص.  
 المصدق رسله بالمعجزات. المهيمن: الرقيب الشهيد على عباده بأعمالهم.  
 الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ : العزيز في انتقامه، الجبار لغيره على مراده، المتكبر على خلقه<sup>(٣)</sup>.

سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ<sup>(٤)</sup> : أي تنزيهاً لله تعالى عما يشركون من الآلهة الباطلة.  
 هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ : أي هو الإله الحق لا غيره الخالق لكل المخلوقات، المنشئ لها من العدم.

الْمُصَوِّرُ : أي مصور المخلوقات ومركبها على هيئات مختلفة.  
 لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى : أي تسعة وتسعون اسماً كلها حسنى في غاية الحسن<sup>(٤)</sup>.

(١) (لو) هذه حرف امتناع لامتناع أي: امتنع إنزال القرآن على جبل فامتنعنت رؤيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله، ولو حصل الأول لحصل الثاني.

(٢) لاسم السلام ثلاثة معان صادقة: منها ذو السلام كما في التفسير، ومنها ذو السلام: أي المسلم على عباده في الجنة، ومنها الذي سلم من كل عيب وبرئ من كل نقص.

(٣) الجبار: قال ابن عباس: هو العظيم، وجبروت الله: عظيمته وهو على هذا القول صفة ذات من قولهم: نخلة جبار.

(٤) قال ابن كثير رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر» أخرجه الشيخان والترمذي وابن ماجه وزاد الترمذي «هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك



يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: أي ينزهه ويسبحه بلسان القال والحال جميع ما في السموات والأرض.

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾: أي العزيز الغالب على أمره، الحكيم في جميع تدبيره.



القدوس السلام المؤمن... وذكر أسماء الله الحسنى، ثم ليعلم أن الأسماء الحسنى غير منحصرة في تسعة وتسعين؛ بدليل ما رواه الإمام أحمد في «مسنده» عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ في حكمك، عدلٌ في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهب همي، إلا أذهب الله حزنه وهمه، وأبدله مكانه فرحاً»، فقيل: يا رسول الله أفلا تتعلمها؟ فقال: «بلنى ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها» وذكر ابن العربي أحد أئمة المالكية في كتابه (الأحوذى في شرح الترمذي) أن بعضهم جمع من الكتاب والسنة من أسماء الله ألف اسم، فالله أعلم. (اهـ.قل).

## ٦٠ - سُورَةُ الْمُمتَحِنَةِ

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِي وَعَدُوَكُمْ : أي الكفار والمشركين.  
 أَوْلِيَاءَ تَلْفُوتَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ : أي لا تتخذوهم أنصارًا توادوهم.  
 وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ : أي الإسلام عقيدة وشريعة.  
 يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاتَكُمْ : أي بالتضييق عليكم حتى خرجتم فارين بدينكم.  
 أَنْ تُوْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ : أي لأجل أن آمتم بربكم.  
 إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَآيِيغَاءَ مَرْضَاتِي : فلا تتخذوهم أولياء ولا تبادلوهم المودة.  
 تُبَيِّنُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ : أي توصلون إليهم خبر الرسول لغزوهم بطريقة سرية ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ  
 وَمَا أَعْلَنْتُمْ﴾.

وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ : أي ومن يوادهم فينقل إليهم أسرار النبي في حروبه وغيرها.  
 فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ : أي أخطأ طريق الحق الجادة الموصلة إلى الإسعاد.  
 إِنْ يَشْفَقُواكُمْ : أي إن يظفروا بكم متمكنين منكم في مكان ما.  
 يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ : أي لا يعترفون لكم بمودة.  
 وَرَبَّسُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ : أي بالضرب والقتل.  
 وَالسِّنَنَّهُمْ بِالسُّوءِ : أي بالسب والشتم.  
 وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ : أي وأحبوا لو تكفرون بدينكم ونيبكم وتعودون إلى الشرك معهم.  
 لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ : أي إن توادوهم وتسروا إليهم بالأخبار الحربية تقريبًا إليهم، من  
 أجل أن يراعوا لكم أقرباءكم وأولادكم المشركين بينهم، فاعلموا أنكم لن تنفعكم أرحامكم ولا  
 أولادكم يوم القيامة.  
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ : أي فتكونون في الجنة ويكون المشركون من أولاد وأقرباء وغيرهم في  
 النار. وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ .  
 فَذَكَرْنَا لَكُمْ : أي أيها المؤمنون.  
 أَسْوَأَ حَسَنَةٍ : أي قدوة صالحة.

فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ: من المؤمنين فأتسوا بهم<sup>(١)</sup>.

إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ: أي المشركين.

إِنَّا بَرَاءٌ وَأُوَّامِكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ: أي نحن متبرئون منكم، ومن أوثانكم التي تعبدونها.

كَفَرْنَا بِكُمْ: أي جحدنا بكم فلم نعترف لكم بقراية ولا ولاء.

وَبَدَأَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ أَبَدًا: أي ظهر ذلك واضحاً جلياً<sup>(٢)</sup> لا لبس فيه ولا خفاء.

حَتَّى تُوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ: أي ستستمر عداوتنا لكم وبغضنا إلى غاية إيمانكم بالله وحده. ﴿الْأَقْوَلُ

إِبْرَاهِيمَ لِأَيِّهِ لَا سَتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمَّلَكَ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(٣)</sup> رَبَّنَا عَلَّمِكَ تَوَكُّلَنَا ﴿

وَالَيْتِكَ أَنْبَتْنَا: أي رجعنا في أمورنا كلها. ﴿وَالَيْتِكَ الْمَصِيرُ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا: أي بأن تظهرهم علينا فيفتنونا في ديننا ويفتتونا بنا؛ يرون أنهم على

حق لما يغلبوننا. ﴿وَأَغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٥)</sup> ﴿

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ: أي لقد كان لكم أيها المؤمنون في إبراهيم والذين معه أسوة حسنة.

لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ: أي هي أسوة حسنة لمن كان يؤمن بالله ويرجو ما عنده يوم

القيامة.

وَمَنْ يَتَوَلَّ: أي لم يقبل ما أرشدناه إليه من الإيمان والصبر فيعود إلى الكفر.

فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾: أي فإن الله ليس في حاجة إلى إيمانه وصبره فإنه غني بذاته لا يفتقر

إلى غيره، حميد: أي محمود بالآله وإنعامه على عباده.

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ: أي من كفار قريش بمكة طاعة لله واستجابة

لأمره.

مَوَدَّةً: أي محبة وولاء وذلك بأن يوفقهم للإيمان والإسلام، فيؤمنوا ويسلموا ويصبحوا

أولياءكم.

وَاللَّهُ قَدِيرٌ: أي على ذلك وقد فعل فأسلم بعد الفتح أهل مكة إلا قليلاً منهم. ﴿وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ

﴿٧﴾ ﴿

لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ: أي من أجل الدين. ﴿وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِينِكُمْ﴾

أَنْ تَبْرُوهُمْ: أي تحسنوا إليهم.

(١) هم: سارة زوجته ولوط ابن أخيه فهم المعنيون بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ ﴿

(٢) العداوة: هي المعاملة بالسوء والاعتداء، والبغضاء نفرة النفس والكرهية للمبغض.

(٣) قال ابن كثير رحمته الله: (وقال ابن عباس: ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه.

وفي رواية: فلما مات تبين له أنه عدو لله). (اهـ) (قل).

وَتَقْسَطُوا إِلَيْهِمْ : أي تعدلوا فيهم فتصفوهم (١).

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ : أي المنصفين العادلين في أحكامهم ومن ولوا. ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾.

وَوَظَهَرُوا عَلَيَّ إِخْرَاجَكُمْ : أي عاونوا وناصروا العدو على إخراجكم من دياركم.  
أَنْ تَوَلَّوهُمْ : أي تتولاهم بالنصرة والمحبة.

وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ : لأنهم وضعوا الولاية في غير موضعها، والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه.

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ : أي المؤمنات بالستهن مهاجرات من الكفار.

فَأَمْسَحُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ : أي اختبروهن بالحلف أنهن ما خرجن إلا رغبة في الإسلام لا بغضا لأزواجهن، ولا عشقا لرجال من المسلمين.

فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ : أي صادقات في إيمانهن بحسب حلفهن.

فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ : أي لا تردوهن إلى الكفار بمكة.

لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ : لا المؤمنات يحلن لأزواجهن الكافرين، ولا الكافرون يحلون

لأزواجهم المؤمنات.

وَأَتَوْهُنَّ مَا أَنْفَقُوا : أي وأعطوا الكفار أزواج المؤمنات المهاجرات المهور التي أعطوها

لأزواجهن.

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَانَسْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ : أي مهورهن، وإن لم يتم طلاق من أزواجهن

لانفساخ العقد بالإسلام، وبعد انقضاء العدة في المدخول بها وباقي شروط النكاح.

وَلَا تُنْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ : أي زوجاتكم، لقطع إسلامكم للعصمة الزوجية. وكذا من ارتدت

ولحقت بدار الكفر؛ إلا أن ترجع إلى الإسلام قبل انقضاء عدتها فلا يفسخ نكاحها وتبقى العصمة

إن كان مدخولا بها.

وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ : أي اطلبوا ما أنفقتم عليهن من مهور في حال الارتداد.

وَلَيْسَتْ لَهَا مَا أَنْفَقُوا : أي على المهاجرات من مهور في حال إسلامهن. ﴿ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ بِخَتْمِ بَيْنِكُمْ وَاللَّهُ

(١) وقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ بمضايقتكم أن تبرؤهم بالإحسان إليهم

بطعام أو كسوة أو إركاب وتقسطوا: أي تعدلوا فيهم بأن تصفوهم، وهذا عام في كل الظروف الزمانية

والمكانية وفي كل الكفار. ولكن بالشروط التي ذكرها تعالى وهي:

أولا: أنهم لم يقاتلونا من أجل ديننا.

وثانيا: لم يخرجونا من ديارنا بمضايقتنا وإجائنا إلى الهجرة.

وثالثا: أن لا يعاونوا عدواً من أعدائنا بأي معونة ولو بالمشورة والرأي فضلاً عن الكراع والسلاح.

عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ .

وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ : أي بأن فرت امرأة أحدكم إلى الكفار ولحقت بهم ولم يعطوكم مهرها فعاقبتهم: أي الكفار فغنمتم منهم غنائم.  
فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا : أي فأعطوا الذين ذهبوا أزواجهم إلى الكفار مثل ما أنفقوا عليهم من مهر.  
وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ : أي وخافوا الله الذي أنتم به مؤمنون فأدوا فرائضه واجتنبوا نواهيها.

يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعَنَّكَ : أي يوم الفتح والرسول ﷺ على الصفا وعمر أسفل منه.  
عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا : أي أي شيء من الشرك أو الشركاء. ﴿وَلَا يَشْرِقَنَّ وَلَا يَزِينَنَّ﴾ .  
وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ : أي كما كان أهل الجاهلية يقتلون البنات وأداهن.  
وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْقَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ : أي بكذب يكذبهن فيأتين بولد ملقوطة وينسبونه إلى الزوج وهو ليس بولده.  
وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ : أي ما عرفه الشرع صالحًا حسنًا فأمر به وانتدب إليه أو ما عرفه الشرع منكراً محرماً.

فَبَايَعُوهَنَّ : أي اقبل بيعتهن.  
وَأَسْتَغْفِرُ لَهُنَّ اللَّهُ : أي اطلب من الله تعالى لهن المغفرة لما سلف من ذنوبهن وما قد يأتي. ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٢﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَانْتَوَلَوْا .  
فَوَمَا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ : أي اليهود.  
فَدَيِّسُوا مِنَ الْآخِرَةِ : أي من ثوابها مع إيقانهم بها، وذلك لعنادهم النبي مع علمهم بصدقه.  
كَمَا يَيْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾ : أي كياس من سبقهم من اليهود الذين كفروا بعيسى وماتوا على ذلك فهم أيضاً قد يثسوا من ثواب الآخرة.





فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ: أي على صدق رسالته بالمعجزات الباهرات (١).  
 قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٦): أي قالوا في المعجزات: إنها سحر.  
 وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ: أي لا أحد أعظم ظلماً ممن يكذب على الله فينسب إليه الولد  
 والشريك والقول والحكم، وهو تعالى بريء من ذلك.  
 وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ: أي والحال أن هذا الذي يفترى الكذب على الله يدعى إلى الإسلام: الذي  
 هو الاستسلام والانقياد لحكم الله وشرعه.  
 وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٧): أي من ظلم ثم واصل الظلم يصبح الظلم طبعاً له فلا يصبح  
 قابلاً للهداية فيحرمها حسب سنة الله تعالى في ذلك.  
 يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨): أي يريد المشركون بكذبهم على  
 الله وتشويه الدعوة الإسلامية، ومحاربتهم لأهلها يريدون إطفاء نور الله: القرآن وما يحويه من نور  
 وهداية بأفواههم، وهذا محال؛ فإن إطفاء نور الشمس أو القمر أيسر من إطفاء نور لا يريد الله  
 إطفاءه.

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى: أي أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهدى أي بالهداية للبشرية.  
 وَدِينِ الْحَقِّ: أي الإسلام إذ هو الدين الحق الثابت بالوحي الصادق.  
 لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ: أي لينصره على سائر الأديان حتى لا يبقى إلا الإسلام ديناً.  
 وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩): أي ولو كره نصره وظهوره على الأديان المشركون الكافرون.  
 يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تَحَزُّمٍ: أي أرشدكم إلى تجارة رابحة.  
 تُنَجِّكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (١٠): أي الربح فيها هو نجاتكم من عذاب مؤلم يتوقع لكم.  
 تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ: أي تصدقون بالله رباً وإلهاً وبمحمد نبياً ورسولاً لله تعالى.  
 وَتُحِبُّونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ: أي وتبذلون أموالكم وأرواحكم جهاداً في سبيل الله تعالى.  
 ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١): أي الدخول في هذه الصفقة التجارية الرابحة؛ خير لكم من تركها  
 حرصاً على بقائكم وبقاء أموالكم، ولا يبقى مع أنه لا بقاء لشيء في هذه الدار.  
 يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَبَدِّخْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ: أي هذا هو الربح الصافي  
 مقابل ذلك الثمن الذاهب الزائل: الذي هو المال والنفس، مع أن الكل لله تعالى واهبكم أنفسكم  
 وأموالكم.

(١) جائز أن يكون الضمير في ﴿جَاءَهُمْ﴾ عائداً إلى عيسى ﷺ وإلى محمد ﷺ إذ كلاهما قيل فيه: سحر أو ساحر  
 قرأ الجمهور ﴿سحر﴾ في الآيات وقرأ بعضهم: (ساحر) أي: محمد أو عيسى ﷺ. اهـ.  
 قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ أحمد أي المبشر به في الأعصار المتقدمة المنوه بذكره في القرون السالفة... اهـ  
 (قل).

ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ : أي النجاة من عذاب النار الأليم ثم دخول الجنة والظفر بما فيها من النعيم المقيم هو حقًا الفوز العظيم.

وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ : أي وعلاوة أخرى تحبونها قطعًا إنها نصر من الله لكم ولدينكم.

وَفَتْحٌ قَرِيبٌ : وفتح قريب للأمصار والمدن، وما يتبع ذلك من رفعة وسعادة وهناء.

وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ : أي وبشريا رسولنا المؤمنين الصادقين بذاك الفوز وهذه العلاوة.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ : أي لتنصروا دينه ونبيه وأولياؤه.

كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ : أي فكونوا أنتم أيها المؤمنون مثل الحواريين،

والحواريون: أصحاب عيسى وهم أول من آمن به، وكانوا اثني عشر رجلاً.

قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَتَأْمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ : أي بعيسى عليه السلام، وقالوا: إنه عبد الله رفع

إلى السماء.

وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ : أي من بني إسرائيل فقالوا: إنه ابن الله رفعه إليه.

فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ : فاقترنت الطائفتان: فنصرنا وقوينا الذين آمنوا.

فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾ : أي غالبين عالين.





## ٦٢ - سُورَةُ الْجُمُعَةِ

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ: أي ينزه الله تعالى عما لا يليق به ما في السموات وما في الأرض من سائر الكائنات بلسان القول والحال، ولم يقل (مَنْ) بدل (ما) تغليبا لغير العاقل لكثرة على العاقل. ﴿الَّذِي أَقْدُسُ الرَّحْمَنُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١).

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ: أي العرب لندرة من كان يقرأ منهم ويكتب.

رَسُولًا مِنْهُمْ: أي محمداً ﷺ إذ هو عربي قرشي هاشمي.

يَسْأَلُوهُ عَنِّيهِمْ ءَايَاتِهِ، وَيُرَكِّبُهُمْ: أي يطهرهم أرواحا وأخلاقا.

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ: أي هدى الكتاب وأسرار هدايته (١).

وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢): أي وإن كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال الشرك

والجاهلية.

وَأَخْرَجْنَا مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ: أي وآخرين مؤمنين صالحين لما يلحقوا أي لم يحضروا حياة

رسول الله ﷺ وهو يعلم الكتاب والحكمة، وسيلحقون بهم وهم كل من لم يحضر حياة رسول الله

ﷺ من العرب والعجم. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٣).

ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ: أي كون الصحابة حازوا فضل سبق هذا فضل يؤتاه من يشاء فلا

اعتراض، ولكن الرضا وسؤال الله من فضله فإنه ذو فضل عظيم. ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٤).

مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّوْرَةَ: أي كلفوا بالعمل بها عقائد وعبادات وقضاء وآدابا وأخلاقا.

ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا: أي لم يعملوا بما فيها، ومن ذلك نعتهم ﷺ والأمر بالإيمان فوجدوا نعتهم

وحرّفوه ولم يؤمنوا به وحرّبوه. ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَارًا﴾ (٥).

يُنْسِ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ: أي المصدقة للنبي محمد ﷺ هذا المثل الذي ضربه الله

لليهود هو كمثل الحمار يحمل أسفارا: أي كتبًا من العلم وهو لا يدري ما فيها. ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٦).

قُلْ يَتَّخِذُهَا الَّذِينَ هَادُوا: أي اليهود المتدينون باليهودية.

إِنْ رَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ: أي وأنكم أبناء الله وأحبّوه وأن الجنة خاصة بكم.

(١) قال مالك بن أنس: الحكمة الفقه في الدين.

فَتَمَنُّوا أَلَمَاتٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ : أي إن كنتم صادقين في أنكم أولياء الله فتمنوا الموت مؤثرين  
الآخرة على الدنيا، ومبدأ الآخرة الموت فتمنوه إذا.  
وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ : أي بسبب ما قدموه من الكفر والتكذيب بالنبي ﷺ لا  
يتمنون.

وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ : أي المشركين ولازم علمه بهم أنه يجزيهم بظلمهم العذاب الأليم.  
قُلْ إِنْ أَلَمَاتٍ أَلَّذِي نَفَرْتُمْ مِنْهُ : أي لأنكم لا تتمنونه أبداً وذلك عين الفرار منه.  
فَإِنَّهُ مُلَقِّبِكُمْ : أي حيثما اتجهتم فإنه ملاقيكم وجهاً لوجه.  
ثُمَّ نُرْزِقُونَ إِلَىٰ عَالِيهِ الْعِيبِ وَالشَّهَادَةِ : أي إلى الله تعالى يوم القيامة. ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٨﴾ .  
يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ : أي إذا أذن المؤذن لها عند جلوس الإمام على المنبر.  
مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ : أي في يوم الجمعة وذلك بعد الزوال.  
فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ : أي امضوا إلى الصلاة.  
وَذَرُوا الْبَيْعَ : أي اتركوه، وإذا لم يكن بيع لم يكن شراء. ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾  
﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ .

وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ : أي اطلبوا الرزق من الله تعالى بالسعي والعمل.  
وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ : أي تنجون من النار وتدخلون الجنة.  
وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا : أي إلى التجارة.  
وَتَرَكُوا قَائِمًا : أي على المنبر تخطب يوم الجمعة.  
قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ : أي ما عند الله من الثواب في الدار الآخرة خير من اللهو  
ومن التجارة.

وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾ : أي فاطلبوا الرزق منه بطاعته واتباع هداة.



## ٦٣ - سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ: أي حضر مجلسك المنافقون كعبد الله بن أبي وأصحابه.  
 قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ: أي قالوا بألستهم ذلك وقلوبهم على خلافه.  
 وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾: أي والله يعلم إن المنافقين  
 لكاذبون أي فيما أضمروه من أنك غير رسول الله.  
 اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً: أي سترة ستروا بها أموالهم وحقنوا بها دماءهم.  
 فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ: أي فصدوا بها عن سبيل الله: أي الجهاد فيهم.  
 إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾: أي قبح ما كانوا يعملونه من النفاق.  
 ذَلِكَ: أي سوء عملهم.  
 بِأَيْمَانِهِمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا: أي آمنوا بألستهم، ثم كفروا بقلوبهم أي استمروا على ذلك.  
 فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ: أي ختم عليها بالكفر.  
 فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾: أي الإيمان: أي لا يعرفون معناه ولا صحته.  
 وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَعَجَّبْتَ أَجْسَامَهُمْ: أي لجمالها إذ كان ابن أبي جسيمًا صحيحًا وصبيحًا ذلق  
 اللسان.

وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ: أي لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم.  
 كَانَتْهُمْ خُشْبٌ مُّسْنَدَةٌ: أي كأنهم من عظم أجسامهم وترك التفهم وعدم الفهم خشب مسندة أي  
 أشباح بلا أرواح، وأجسام بلا أحلام.  
 يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ: أي يظنون كل صوت عالٍ يسمعون كنداء في عسكر أو إنشاد ضالة  
 عليهم، وذلك لما في قلوبهم من الرعب أن ينزل فيهم ما يبيح دماءهم.  
 هُمْ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُهُمْ: أي العدو التام العداوة فاحذرهم أن يفسوا شرك أو يريدوك بسوء.  
 فَلَنَلَهُمُ اللَّهُ أَنْ يُوَفَّقُونَ ﴿٤﴾: أي لعنهم الله كيف يصرفون عن الإيمان وهم يشاهدون أنواره  
 وبراهينه؟

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا: أي معتذرين. ﴿يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾.  
 لَوْ وَارَاهُ وَسَأَهُمْ: أي رفضوا الاعتذار إلى رسول الله ﷺ.  
 وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ: أي يعرضون عما دعوا إليه. ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿٥﴾.

سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ : أي يا رسولنا .  
 أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ : أم لم تستغفر لهم .  
 لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ : أي ايئس من مغفرة الله لهم .  
 إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ <sup>(١)</sup> : أي لأن من سنة الله أنه لا يهدي القوم الفاسقين  
 المتوغلين في الفسق عن طاعة الرب تعالى وهم كذلك .  
 هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ : أي لأهل المدينة .  
 لَا نُفِيقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ : أي من المهاجرين .  
 حَتَّىٰ يَنْفَضُوا : أي يتفرقوا عنه . وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ <sup>(٢)</sup> .  
 يَقُولُونَ لِنِ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ : أي من غزوة كانوا فيها هي غزوة «بني المصطلق» .  
 لِيُخْرِجَ الْأَعْرَضُ الْأَذَلَّ : يعنون بالأعز أنفسهم، وبالأذل المؤمنين .  
 وَاللَّهُ الْعَزِيزُ الرَّسُولُ . وَالْمُؤْمِنِينَ : أي الغلبة والعلو والظهور . <sup>(٣)</sup> وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ

﴿٨﴾

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِأَنَّهُمْ كَرُمُوا لَهُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ : أي لا تشغلكم .  
 عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ : كالصلاة والحج وقراءة القرآن وذكر الله بالقلب واللسان .  
 وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرُونَ <sup>(٤)</sup> : أي ومن أهته أمواله وأولاده عن أداء الفرائض،  
 فترك الصلاة أو الحج وغيرهما من الفرائض، فقد خسر ثواب الآخرة .  
 وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ : أي النفقة الواجبة كالزكاة وفي الجهاد والمستحبة . <sup>(٥)</sup> مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ  
 أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ ﴿

رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ : أي هلاً أخرتني يطلب التأخير ولا يقبل منه .  
 فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ <sup>(٦)</sup> : أي حتى أركي وأحج وأكثر من النوافل والأعمال  
 الصالحة . وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ <sup>(٧)</sup> .



(١) وهم كل من سبق في علم الله أنه لا يتوب لما أحاط به من الذنوب .

## ٦٤ - سُورَةُ النَّجَّابِ

«مكية إلا آخرها فمجدني»

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ : أي ينزه الله ويقدهه عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله ما في السموات والأرض من سائر المخلوقات بلسان الحال والقال.

لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ : أي له دون غيره الملك الدائم الحق وله الحمد العام.

وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ : أي هو ذو قدرة كاملة على فعل ما أراد ويريد.

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُفِّسُكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ : أي فبعضكم مؤمن بربه ولقائه، وبعضكم كافر حاجد دهري، والواقع شاهد ﴿٢﴾ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴿٣﴾ .

وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ : أي صوركم في الأرحام فأحسن صوركم.

وَالِيَهُ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ : أي المرجع يوم القيامة. ﴿٤﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٥﴾ .

وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾ : أي بما في الصدور من الضمائر والسرائر.

الَّذِينَ كَفَرُوا نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ : أي ألم يأتكم يا كفار قريش خبر الذين كفروا من قبلكم.

فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ : أي عقوبة كفرهم في الدنيا.

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦﴾ : أي في الآخرة.

ذَٰلِكَ : أي العذاب في الدنيا والآخرة.

بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ : أي بسبب أنه كانت تأتيهم رسلهم.

بِالْبَيِّنَاتِ : أي بالحجج القواطع الدالة على صحة رسالاتهم.

فَقَالُوا أَبَشْرٌ مِثْلُ بَشَرِنَا : أي ردوا عليهم ساخرين مكذبين: أبشر يهدوننا؟

فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا : أي فكفروا برسولهم وتولوا عنهم: أي أعرضوا.

وَاسْتَعْفَى اللَّهُ : أي عن إيمانهم.

وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ : أي غني عن خلقه، محمود بأفعاله وآلائه على خلقه.

زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ : أي قالوا كاذبين: إنهم لن يبعثوا أحياء من قبورهم.

قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ : قل لهم يا رسولنا: بلى لتبعثن. ﴿٧﴾ ثُمَّ لَنُنَبِّئَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ : أي وبعثكم وحسابكم ومجازاتكم بأعمالكم شيء يسير على الله. ﴿٧﴾ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿٨﴾ .

وَالنُّورَ الَّذِي أَنْزَلْنَا : أي وآمنوا بالقرآن الذي أنزلناه ﴿٨﴾ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ .

يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ : أي يوم القيامة إذ هو يوم الجمع.

ذَلِكَ يَوْمَ النَّعَابِ: أي يغبن المؤمنون الكافرين بأخذ منازل الكفار في الجنة وأخذ الكفار منازل المؤمنين في النار. ﴿وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ، وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾.

ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٦﴾: أي تكفيره تعالى عنهم سيئاتهم وإدخالهم جنات تجري من تحتها الأنهار هو الفوز العظيم. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾. وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿١٧﴾: أي قبح المصير الذي صاروا إليه وهو كونهم أهلاً للجحيم. مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ: أي ما أصابت أحداً من الناس مصيبة إلا بقضاء الله تعالى وتقديره ذلك عليه.

وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ: أي ومن يصدق بالله فيعلم أنه لا أحد تصبه مصيبة إلا بإذنه تعالى يهد قلبه للتسليم والرضا بقضائه فيسترجع ويصبر. ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٨﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴿١٩﴾.

فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٢٠﴾: فإن توليتم أي: عن طاعة الله ورسوله، فلا ضرر ولا بأس على رسولنا في توليكم، إذ عليه إبلاغكم لا هدايتكم. ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٢١﴾.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ وَعَدُوٌّ لَكُمْ ﴿٢٢﴾: أي من بعض أزواجكم وبعض أولادكم عدواً أي يشغلونكم عن طاعة الله أو ينازعونكم في أمر الدين أو الدنيا. فَاحْذَرُوهُمْ: أي أن تطيعوهم في التخلف عن فعل الخير كترك الهجرة أو الجهاد أو صلاة الجماعة أو التصديق على ذوي الحاجة.

وَإِن تَعَفَوْا: أي عمن ثبطكم عن الخير من زوجة وولد. وَتَصَفَّحُوا وَتَعَفَّرُوا: أي وتعرضوا عنهم وتغفروا لهم ما عملوه معكم من تأخيركم عن الهجرة أو الجهاد أو الإنفاق في سبيل الله.

فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٣﴾: أي يغفر لمن يغفر ويرحم من يرحم. إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ: أي بلاء واختبار لكم فاحذروا أن يصرفوكم عن طاعة الله أو يوقعوكم في معصيته.

وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٤﴾: أي فاثروا ما عنده تعالى على ما عندكم من مال وولد.

(١) الآية عامة في الرجال والنساء فكما يكون للرجل من امرأته وولده عدو يكون كذلك للمرأة من زوجها وولدها عدو، ووجب الحذر على المؤمنين، ويكون الحذر بوجهين: إما لضرر في البدن وإما لضرر في الدين، وضرر البدن يتعلق بالدنيا وضرر الدين يتعلق بالآخرة؛ فحذر الله تعالى العبد من ذلك وأنذره به، ﴿مِنْ﴾ هنا للتبويض؛ إذ ما كل من له زوجة وولد كانوا له عدواً.

فَأَنقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ : أي افعلوا ما تقدرُونَ عليه من أوامر، واجتنبوا نواهيها كلها. ﴿وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ﴾ .

وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ : أي ومن يوقه الله شح نفسه فيعافيه من البخل والحرص على المال. ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٦) .

إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعِفْهُ لَكُمْ : أي الدرهم بسبعمائة. ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ .  
وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧) : أي يجازي على الطاعة ولا يعاجل بالعقوبة. ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٨) .



## ٦٥ - سُورَةُ الطَّلَاقِ

«مكية إلا آخرها فمديني»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ : أراد الله بالنداء النبي ﷺ وأتمته بدليل ما بعده.  
 إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ : أي إذا أردتم طلاقهن.  
 فَطَلِقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ : أي لقبّل عدتهن أي في طهر لم يجامعها فيه.  
 وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ : أي احفظوا مدتها حتى يمكنكم المراجعة فيها.  
 وَأَتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ : أي أطيعوه في أمره ونهيه.  
 لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ : أي لا تخرجوا المطلقة من بيت زوجها الذي طلقها حتى تنقضي عدتها.

وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ : أي إلا أن يؤذین بالبذاء في القول وسوء الخلق، أو يرتكبن فاحشة من زنا بيّنة ظاهرة لا شك فيها.  
 وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ : أي المذكورات من الطلاق في أول الطهر وإحصاء العدة وعدم إخراج المطلقة من بيتها حتى تنقضي عدتها. ﴿وَمَنْ يَعْصِ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾  
 لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ : أي يجعل في قلب الزوج الرغبة في مراجعتها فيراجعها إذا لم تكن الثالثة من الطلاقات.

فَإِذَا بَلَغَنَّ أَجَلَهُنَّ : أي قاربن انقضاء عدتهن.  
 فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ : أي بأن تراجعوهن بمعروف من غير ضرر.  
 أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ : أي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن ولا تضاروهن بالمراجعة.  
 وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ : أي أشهدوا على الطلاق وعلى الرجعة رجلين عدلين منكم : أي من المسلمين فلا يشهد كافر.

وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ : أي لا للمشهود عليه أو له؛ بل لله تعالى وحده.  
 ذَلِكَ كُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ : أي ذلكم المذكور من أول السورة من أحكام يؤمر به وينفذه من كان يؤمن بالله واليوم الآخر.  
 وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ : أي في أمره ونهيه فلا يعصه فيهما.  
 يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ : أي من كرب الدنيا والآخرة.  
 وَرِزْقًا مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ : أي من حيث لا يرجو ولا يؤمل.



وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ : أي كافيه ما يهمله من أمر دينه ودنياه.  
 إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ : أي منفذ أمره في عباده لا يعجزونه أبدًا.  
 قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٢﴾ : أي من الطلاق والعدة وغير ذلك حدًا وأجلًا وقد رآ ينتهي إليه.

وَالَّتِي يَبْسُغْنَ مِنَ الْمَجِيزِ مِنْ نِسَائِكُمْ : والنسوة اللائي يئسن من الحيض.  
 إِنْ أَرْبَبْتُمْ : أي شككتهم في عدتهن. ﴿فَعَدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ﴾ .  
 وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ : أي لكبر سن أو صغر سن.  
 وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ : أي ذوات الأحمال: النساء الحوامل.  
 أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ : أي انقضاء عدتهن أن يضعن حملهن. ﴿وَمَنْ يَنْقِ اللَّهُ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ ﴿١﴾ .

ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ : أي ذلك المذكور في العدة وتفصيلها.  
 أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ : أي لتأتمروا به وتعملوا بمقتضاه. ﴿وَمَنْ يَنْقِ اللَّهُ يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ ﴿٥﴾ : يغفر له ذنوبه ويدخله الجنة.  
 أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ : أي من وسعكم بحيث يسكن الرجل مطلقته في بعض سكنه.

وَلَا تُضَارُّوهُمْ : أي لا تطلبوا ضررهم بأي حال من الأحوال سواء في السكن أو النفقة.  
 لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِمْ : أي لأجل أن تضيقوا عليهم السكن فيتركه لكم ويخرجن منه.  
 وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ : أي حوامل يحملن الأجنة في بطونهن. ﴿فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ .  
 فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ : أي أولادكم.  
 فَآتُوهُمْ أَجُورَهُنَّ : فأعطوهم أجورهن على الإرضاع هذا في المطلقات.  
 وَأَتِمُّوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ : أي وتشاوروا أو ليأمر كل منكم صاحبه بأمر ينتهي باتفاق على أجرة معقولة لا إفراط فيها ولا تفريط.

وَإِنْ تَعَاسَرْتُمُ : فإن امتنعت الأم من الإرضاع أو امتنع الأب من الأجرة. ﴿فَسَرِّضْ لَهُ أُخْرَى﴾ ﴿٦﴾ .  
 لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ : أي لينفق على المطلقات والمرضعات ذو الغنى من غناه.  
 وَمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ : ومن ضيق عليه عيشه.  
 فَيُنْفِقْ مِمَّا آتَتْهُ اللَّهُ : أي بحسب حاله. ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَنَهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ ﴿٧﴾ .

وَكَايِنٍ مِّن قَرْيَةٍ : أي وكثير من قرية: أي مدينة.

عَنْتَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ: أي عصت، يعنى أهلها عصوا ربهم ورسله. ﴿فَحَاسَبُنَّهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾.

وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نَكْرًا ﴿٨﴾: أي فظيماً. ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرًا حُخْرًا﴾ ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿١٠﴾.

قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْنَا ذِكْرًا ﴿١١﴾: أي القرآن.

رَسُولًا: أي وأرسل إليكم رسولاً وهو محمد ﷺ. يَنْلُؤُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.

مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ: أي من ظلمات الكفر والشرك إلى نور الإيمان والتوحيد. ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَعَمِلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾.

قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١٢﴾: أي رزق الجنة التي لا ينقطع نعيمها أبداً. ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾.

وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ: أي سبع أرضين أرضاً فوق أرض كالسموات سماء فوق سماء.

يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ: أي الوحي بين السموات والأرض.

لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ: أي أعلمكم بذلك الخلق العظيم والتنزيل العجيب لتعلموا.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١٣﴾.



## ٦٦ - سُورَةُ الرَّحْمَنِ الْمُرِيدِ

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِرَحْمَتٍ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ : أي لم تحرم جارتك مارية التي أحلها الله لك <sup>(١)</sup> .
- تَبْلَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ : أي بتحريمها. ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١) .
- قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ : أي شرع لكم تحليلها بالكفارة المذكورة في سورة المائدة <sup>(٢)</sup> .
- ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (٢) .
- وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ : هي حفصة بنت عمر رضي الله عنها .
- حَدِيثًا : وهو تحريم مارية وقوله لها: لا تفشه .
- فَلَمَّا بَيَّنَّاتُ بِهِ : أي نبأت حفصة عائشة: أي أخبرتها به ظناً منها أنه لا حرج في ذلك باجتهاد .
- وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ : أي أطلعه عليه أي على المنبأ به .
- عَرَفَ بَعْضُهُ : أي لحفصة .
- وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ : أي تكرماً منه رضي الله عنه . ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّاهَا بِهِ. قَالَتْ مَنْ أَبْنَاكَ هَذَا قَالَ نَبَأُيَ الْعَلِيمِ الْخَيْرِ﴾ (٣) .
- إِنْ نُبُونًا إِلَى اللَّهِ : أي حفصة وعائشة رضي الله عنهما تقبل توبتكما .
- فَقَدْ صَعَتَ قُلُوبُكُمْ : أي مالت إلى تحريم مارية أي سركما ذلك .
- وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ : أي تتعاوننا أي على النبي رضي الله عنه فيما يكرهه .
- فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاكُمْ : أي ناصره .
- وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ : أي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما .
- وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (٤) : أي ظهراء وأعوان له. ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مَسْلَمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ﴾ .

(١) قال ابن كثير رضي الله عنه بعد ذكر هذا السبب أيضاً: (وهو تحريم مارية التي أحلها الله له رضي الله عنه) (وقال البخاري في كتاب الطلاق: عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلوى والعسل وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهن.. ثم ذكر صلى الله عليه وسلم - أي ابن كثير - قصة الحلوى والعسل المشهورة إلى أن قال: «وفي رواية عن عائشة: أن زينب بنت جحش هي التي سقت العسل، وأن عائشة وحفصة توطأتا وتظاهرتا عليه صلى الله عليه وسلم فالله أعلم. وقد يقال: إنهما واقعتان، ولا يُبعد في ذلك إلا أن كونهما سبب لنزول هذه الآية فيه نظر، والله أعلم (قل) .

(٢) أي الآية (٨٩) .

فَقِنْتِ: أي عابدات. ﴿تَدْبِكِ عِيدَاتٍ﴾.

سَجَّحَتْ: أي صائمات أو مهاجرات. ﴿ثَبَّتِ وَأَبْكَارًا﴾.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوَأَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ: أي اجعلوا لها وقاية بطاعة الله والرسول ﷺ

نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ: أي توقد بالكفار والأصنام التي تعبد من دون الله، لا بالحطب ونحوه. ﴿عَلَيْهَا مَلَكُوتُكَ غَلَاظٌ شَدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا نَعْتَدِرُوكَ الْيَوْمَ: أي لأنه لا ينفعكم اعتذار، يقال لهم هذا عند دخولهم النار. ﴿إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا. أي توبة صادقة بأن لا يعاد إلى الذنب ولا يراد العود إليه. ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾.

يَوْمَ لَا يُجْرَىٰ إِلَى اللَّهِ النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ: أي بإدخالهم الجنة.

نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَيَأْمَنُ بِهِمْ: أي أمامهم ومن كل جهاتهم على قدر أعمالهم.

يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورُنَا: أي إلى الجنة، لأن المنافقين ينطفئ نورهم. ﴿وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّا كُنَّا عَلَىٰ

كُلِّ شَيْءٍ وَفِيرٌ﴾.

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ: أي بالسيف.

وَالْمُنَافِقِينَ: أي باللسان.

وَأَعْلَظَ عَلَيْهِمْ: أي اشدد عليهم في الخطاب ولا تعاملهم باللين. ﴿وَمَا أَوْأَنَّهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾.

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتِ نُوحٍ وَأَمْرَاتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِن عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ. ﴿

فَخَانَتَاهُمَا: أي في الدين إذ كانتا كافرتين.

فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا: أي نوح و لوط عن امرأتهما.

مِنَ اللَّهِ شَيْئًا: أي من عذاب الله شيئًا وإن قل. ﴿وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾. ﴿وَضَرَبَ

اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

أَمْرَاتِ فِرْعَوْنَ: أي آسيا بنت مزاحم آمنت بموسى. إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ

وَيَجْعَلْ لِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَيَجْعَلْ لِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. ﴿١١﴾.

وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا: أي حفظته فلم يصل إليه الرجال لا بنكاح ولا زنا.

فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا: أي نفخنا في كم درعها بواسطة جبريل الملقب بروح القدس.

وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا: أي بولدها عيسى أنه كلمة الله وعبده ورسوله. ﴿وَكُتِبَ لَهُ وَكَانَتْ مِنْ

الْقَانِنِينَ﴾. ﴿١٢﴾.



## ٦٧ - سُورَةُ الْمُلْكِ

«مكية»

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ : أي تعاضم وكثر خير الذي بيده الملك أجمع، ملكًا وتصرفًا وتدبيرًا.  
 وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ① : أي وهو على إيجاد كل ممكن وإعدامه قدير.  
 الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ : أي أوجد الموت والحياة، فكل حي هو بالحياة التي خلق الله وكل ميت هو بالموت الذي خلق الله.  
 لِيَسْأَلَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا : أي أحياكم ليختبركم أيكم يكون أحسن عملًا، ثم يميّتكم ويحييكم ليجزيكم.

وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ② : أي وهو العزيز الغالب على ما يريده، الغفور العظيم المغفرة للتائبين.  
 الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا : أي طبقة فوق طبقة وهي السبع الطباق ولا تماس بينها.  
 مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ : أي من تباين وعدم تناسب.  
 فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ③ : أي من شقوق أو تصدع.  
 ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ : أي مرتين مرة بعد مرة.  
 يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِبًا وَهُوَ حَسِيرٌ ④ : أي ذليلًا مبعدًا كالألّا تبعًا منقطعًا عن الرؤية إذ لا يرى

خللا.

وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ : أي بنجوم مضيئة كالمصابيح.  
 وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ : أي مراجم جمع مرجم وهو ما يرجم به أي يرمى.  
 وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ⑤ : أي وهيننا لهم عذاب النار المسعرة الشديدة الاتقاد.  
 وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ : أي لم يؤمنوا به فلم يعبدوه. ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ⑥﴾ .  
 إِذَا الْفُؤَادُ مِنْهَا : أي في جهنم ألقتهم الملائكة فيها وذلك يوم القيامة.  
 سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا : أي سمعوا لجهنم صوتًا منكرًا مزعجًا كصوت الحمار.  
 وَهِيَ تَقُورُ ⑦ : أي تغلي.  
 تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ : تكاد تنقطع من الغيظ غضبًا على الكفار. ﴿كُلَّمَا أَلْفَيْ فِيهَا فَوْجٌ﴾ .  
 سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا : سؤال توبيخ وتقريع وتأنيب.  
 أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ⑧ : أي رسول ينذركم عذاب الله يوم القيامة؟ ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾ .  
 وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ : أي كذبنا الرسل وقلنا لهم ما نزل الله مما تقولون لنا من شيء.

إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ : أي ما أنتم أيها الرسل إلا في ضلال كبير أي خطأ عقلي وتصور نفسي باطل.

وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ : أي وبخوا أنفسهم بأنفسهم وقالوا: لو كنا في الدنيا نسمع أو نعقل لآمنا وعبدنا الله. ﴿مَّا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ﴿١٠﴾ فَأَعْرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَنَسْحَقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ .

إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ : أي يخافونه وهم غائبون عن أعين الناس فلا يعصونه. لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ : أي لذنوبهم وأجر كبير هو الجنة. ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿١٣﴾ .

أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ : أي كيف لا يعلم سرهم كما يعلم جهركم وهو الخالق لكم فالخالق يعرف مخلوقه.

وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ : أي بعباده الخبير بهم وبأعمالهم.

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا : أي سهلة للمشي والسير عليها.

فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا : أي في جوانبها ونواحيها.

وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ۗ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ : أي إليه وحده مهمة نشرهم أي إحيائكم من قبوركم للحساب

والجزاء.

أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ : أي يجعلها بحيث تغورون فيها وتصبحون في جوفها.

فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ : أي تتحرك وتضطرب حتى يتم الخسف بكم.

أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا : أي ريحا عاصفا نريكم بالحصباء فتهلكون.

فَسَتَعْمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴿١٧﴾ : أي كيف كان عاقبة إنذارني لكم بالعذاب على السنة رسلي.

وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ : أي إنكاري عليهم الكفر والتكذيب؟ والجواب:

كان إنكارا حقا واقعا موقعه.

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَقَتٍ : أي باسطات أجنحتها.

وَيَقْبِضْنَ : أي ويمسكن أجنحتها.

مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ : أي حتى لا يسقطن على الأرض حال البسط للأجنحة والقبض لها.

﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ ﴿١٩﴾ .

أَمْ نَهَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ : أي أعوان لكم.

يَضُرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ : أي غيره تعالى يدفع عنكم عذابه.

إِنَّ الْكَافِرُونَ : أي ما الكافرون.

إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ : غرهم الشيطان بأن لا عذاب ينزل بهم.

أَمْ نَهَذَا الَّذِي يَرِيقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ : أي إن أمسك الرحمن رزقه؟ لا أحد غير الله يرسله.

بَلْ لَجُؤًا فِ عَتُوِّ وَنُفُورٍ ﴿١١﴾: أي إنهم لم يتأثروا بذلك التبكيت بل تهادوا في التكبر والتباعد عن الحق.

أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ: أي واقعًا على وجهه. ﴿أَهْدَى﴾.

أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا: أي مستقيمًا. ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾. وَالْأَفْتِدَةَ: أي القلوب.

قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾: أي شكركم قليل.

قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ: أي خلقكم في الأرض.

وَالَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٤﴾: لا إلى سواه.

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ: أي الذي تعدونا به وهو يوم القيامة. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥﴾﴾.

قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ: أي علم مجيئه عند الله لا غير.

وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٦﴾.

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً: أي لما رأوا العذاب قريبًا منهم في عرصات القيامة.

سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا: أي تغيرت مسودة.

وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿١٧﴾: أي هذا العذاب الذي كنتم ينادونه تكذبون وتطالبون به

تحديًا منكم.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ: أي أخبروني. إِنْ أَهْلَكِنِي اللَّهُ.

وَمَنْ مَعِيَ: أي من المؤمنين.

أَوْرَجَحْنَا: أي لم يهلكنا.

فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٨﴾: أي فمن يحفظ ويقي الكافرين العذاب.

قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ: أي قل هو الرحمن الذي أدعوكم إلى عبادته. ﴿ءَأَمَّنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ

هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٩﴾﴾.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا: أي غائراً لا تناله الدلاء ولا تراه العيون.

فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٢٠﴾: أي تراه العيون لجريانه على الأرض (الجواب: لا أحد) <sup>(١)</sup>.



(١) روي استحباب قول القارئ: الله رب العالمين إذا قرأ ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٢٠﴾﴾. وروي أن جاهلاً ملحدًا لما سمعها قال: تأتي بها الفتوس والمعاول فذهب ماء عينيه وعمي. والعياذ بالله تعالى من الجهل والكفر والجرأة على الله.

## ٦٨ - سُورَةُ الْقَبَلَةِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ت : هو أحد الحروف المقطعة يكتب هكذا ن ويقرأ هكذا نون.  
 وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ : والقلم الذي كتب به الذكر (القدر) والذي يخطون ويكتبون.  
 مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ : أي لست بما أنعم الله عليك من النبوة وما وهبك من الكمال (١).  
 بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ : أي بذي جنون كما يزعم المشركون.  
 وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ : أي غير مقطوع بل هو دائم أبدًا ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتَبْصُرُ  
 وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾﴾ (٢).  
 بِأَيِّكُمْ الْمَقْتُولُ ﴿٦﴾ : أي بأيكم الجنون ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ  
 ﴿٧﴾ فَلَا تَطْعَمُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾﴾ .  
 وَدُّوا لَوْ يُدَّخِرُ : أي تمنوا وأحبوا لو تلين لهم بأن لا تذكر آلهتهم بسوء.  
 فَيُدْخِرُوا لِقَا رَبِّهِمْ ﴿٩﴾ : فيلينون لك ولا يغلظون لك في القول (٣).  
 وَلَا تَطْعَمُ كُلَّ حَلَاْفٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ : أي كثير الحلف بالباطل حقير (٤).  
 هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنِعْمِهِ ﴿١١﴾ : أي عياب مغتاب.  
 مَتَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ : أي على الناس بأذيتهم في أنفسهم وأموالهم، أثيم يرتكب الجرائم  
 والآثام.  
 عَتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ : أي غليظ جاف زنيم دعي في قريش وليس منهم وهو الوليد بن  
 المغيرة ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذِ اتَّخَذَ عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ .  
 قَالِكِ اسْتَطِيرَ الْأُولَىٰ ﴿١٥﴾ : أي ما روته الأولون من قصص وحكايات وليس بوحى قرآني.

- (١) الباء في ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ سببية أي: ما أنت بسبب ما أنعم الله عليك من الوحي مجنونًا، والباء في ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ زائدة لتقوية النفي وتأكيده.  
 (٢) وقوله تعالى ﴿فَسَتَبْصُرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ ﴿بِأَيِّكُمْ الْمَقْتُولُ﴾ أي دم على ما أنت عليه من الكمال يا رسولنا واصبر على دعوتنا فستبصر بعد قليل من الزمن، ويبصر قومك المتهمون لك بالجنون ﴿بِأَيِّكُمْ الْمَقْتُولُ﴾؛ أي المجنون. أنت - وحاشاك - أو هم.  
 (٣) والمداهنة محرمة، والمداراة جائزة، والفرق بينهما: أن المداهن يتنازل عن شيء من دينه ليحفظ شيئًا من دنياه، والمداري عكسه يتنازل عن شيء من دنياه ليحفظ شيئًا من دينه.  
 (٤) المهين: الوضع لإكثاره من القبيح، وتفسيره بالحقير صالح، وكذا الفاجر العاجز.



سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ : أي سنجعل على أنفه علامة يعير بها ما عاش، فخطم أنفه بالسيف يوم بدر.

إِنَّا بَلَوْتُمُوهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ : أي امتحنا كفار مكة بالمال والولد والجاه والسيادة فلم يشكروا نعم الله عليهم، بل كفروا بها بتكذيبهم رسولنا وإنكارهم توحيدنا، فأصبناهم بالقحط والقتل لعلمهم يتوبون كما امتحنا أصحاب الجنة المذكورين في هذا السياق.

إِذَا قَسَمُوا لِيَصْرُمْنَهَا مَصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ : أي ليجدنها أي يقطعون ثمارها صباحًا.

وَلَا يَسْتَنُونَ ﴿١٨﴾ : أي لم يستثنوا في حلفهم لم يقولوا: إن شاء الله.

فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴿١٩﴾ : أي نار فأحرقها.

فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ : أي كالليل الأسود الشديد الظلمة والسواد.

فَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ : في أول الصباح.

أِنِ اعْتَدُوا عَلَى حَرْبٍ : أي غلة جنتكم وقيل فيها حرث لأنهم عملوا فيها. ﴿٢٢﴾

فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ ﴿٢٣﴾ : أي يتشاورون بأصوات مخفوضة غير رفيعة حتى لا يسمع بهم. ﴿٢٤﴾

يَدْخُلْنَهَا أَلْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٥﴾ .

وَعَدُوا عَلَى حَرْبٍ قَدِيرِينَ ﴿٢٦﴾ : أي وغدوا صباحًا على قصد قادرين على صرمها قبل أن يطلع عليهم

المساكين.

فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿٢٧﴾ : أي مخطئو الطريق أي ما هذا طريق جنتنا ولا هي هذه.

بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٨﴾ : أي لما علموا أنها هي وقد احترقت قالوا: بل نحن محرومون منها لعزمنا

على حرمان المساكين منها.

قَالَ أَوْسَطُهُمْ : خَيْرُهُمْ تَقْوَىٰ وَارْجَحُهُمْ عَقْلًا.

أَلْزَأْفَل لَّكَؤُلُؤًا لَّسْبِحُونَ ﴿٢٩﴾ : أي تسبحون الله وتستثنون عندما قلتهم لنصرمتها مصبحين (١). ﴿٣٠﴾

سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ .

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ﴿٣٢﴾ : أي يلوم بعضهم بعضًا تندمًا وتحسرا. ﴿٣٣﴾

عَسَىٰ رَبَّنَا أَن يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا ﴿٣٤﴾ .

إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٥﴾ : أي طامعون.

كَذَلِكَ الْعَذَابُ : أي مثل هذا العذاب بالحرمان لمن خالف أمرنا وعصانا. ﴿٣٦﴾

يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ .

(١) قال ابن كثير رحمه الله: قال مجاهد والسدي: لولا تستثنون، وكان استثنائهم في ذلك الزمان تسييحًا، وقال ابن جرير: هو قول القائل: (إن شاء الله). (اهل قل).

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ: أي الذين اتقوا ربهم فأمنوا به ووحده فاتقوا بذلك الشرك والمعاصي.

عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (٢٤): أي لهم جنات النعيم يوم القيامة عند ربهم ﷻ.

أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْجَاهِلِيِّينَ (٢٥): أي أنحيف في الحكم ونجور فنجعل المسلمين والمجرمين

متساوين في العطاء والفضل؟ والجواب: لا، لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة. ﴿مَا لَكُمْ

كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (٢٦).

أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٢٧): أي تقرأون فعلمتم بواسطته ما تدعون.

إِنَّ لَكُمْ فِيهِ مَا تَخْتَارُونَ (٢٨): أي فوجدتم في الكتاب الذي تقرأون أن لكم فيه ما تختارونه.

أَمْ لَكُمْ آيَاتُنَا عَلَيْنَا بَاطِنَةً: أي ألكم عهود منا موثقة بالآيمان لا نخرج منها ولا نتحلل. ﴿إِلَى يَوْمِ

الْقِيَامَةِ﴾.

إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (٢٩): أي أعطيناكم عهودنا الواثقة أن لكم ما تحكمون به لأنفسكم كما

تشاءون.

سَأَلْتَهُمْ أَتَيْتُمْ بِذَلِكَ زَعِيمًا (٣٠): أي سلهم يا رسولنا عن زعيمهم الذي يكفل لهم مضمون الحكم،

الذي يحكمون به لأنفسهم من أنهم يعطون في الآخرة أفضل مما يعطى المؤمنون.

أَمْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ شُرَكَاءَ: أي أعندهم شركاء موافقون لهم في هذا الذي قالوا، يكفلون لهم به ما ادعوه

وحكموا به لأنفسهم، وهو أنهم يعطون أفضل مما يعطى المؤمنون يوم القيامة. ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ

كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (٣١).

يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ: أي يوم يعظمُ الهول ويشتد الكرب، ويكشف الرب عن ساقه الكريمة التي

لا يشبهها شيء عندما يأتي لفصل القضاء. ﴿وَيُذْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (٣٢).

حَسْبَعَهُمْ أَنْصَرُومًا تَرَاهُمْ ذَلِيلًا: أي تغشاهم ذلة يا لها من ذلة.

وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٣٣): أي وقد كانوا يدعون في الدنيا إلى الصلاة وهم سالمون

من أية علة، ولا يصلون حتى لا يسجدوا تكبراً وتعظماً.

فَذَرَفِي وَمَنْ يَكْذِبُ: أي دعني ومن يكذب أي لا يصدق.

بِهَذَا الْحَدِيثِ: أي بالقرآن الكريم.

سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٣٤): أي نستنزلهم درجة درجة حتى نصل بهم إلى العذاب.

وَأَمَلِي لَهُمْ: أي وأمهلهم.

إِنْ كِيدِي مَتِينٌ (٣٥): أي شديد قوي لا يطاق.

أَمْ تَسْأَلُهُمْ آجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (٣٦): أي فهم مما يعطونكم مكلفون حملاً ثقيلاً.

أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ: أي اللوح المحفوظ.

فَهُمْ يَكْتُمُونَ (٣٧): أي ينقلون منه ما يدعونه ويقولونه.

فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ : أي يونس في الضجر والعجلة<sup>(١)</sup> :  
إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْطُومٌ ﴿٤٨﴾ : أي مملوء غمًا. ﴿لَوْلَا أَن تَدَارَكُكُمْ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ .

لِنُذِرَ بِالْعُرَاءِ : أي الأرض الفضاء.

وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ : لكن لما تاب نبذ وهو غير مذموم.

فَاجْتَنِبْهُ رَبُّهُ : أي اصطفاه. ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٥٠﴾ .

وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ : أي ينظرون إليك نظرًا شديدًا يكاد يصرعك. ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ

وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ .

وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ : أي محمد ﷺ<sup>(٢)</sup> .

لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾ : أي الإنس والجن فليس بمجنون كما يقول المبطلون.



(١) المراد بحكم الرب تعالى هنا أمره وهو ما حمله رسوله من حمل الرسالة وتبليغها والاضطلاع بأعباء الرسالة.  
(٢) جائز أن يكون الضمير في ﴿وَمَا هُوَ﴾ عائداً إلى القرآن، وما القرآن إلا ذكر للعالمين الإنس والجن أي ليس هو بكلام مجنون، وجائز أن يكون الضمير عائداً إلى الرسول ﷺ الذي قالوا: فيه إنه مجنون ويكون الذكر بمعنى التذكير بالله والجزاء؛ إذ هذا من فعله ﷺ .

## ٦٩ - سُورَةُ الْحَاقَّةِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ ①: أي الساعة الواجبة الوقوع وهي القيامة. ﴿مَا الْحَاقَّةُ ②﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ③ ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ④: أي بالقيامة لأنها تفرع القلوب بالخوف والهول. فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ⑤: أي بطغيانهم وعتوهم عن أمر ربهم فأخذتهم صيحة طاغية أيضًا. وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ⑥: أي ذات صوت لشدة عصوفها عاتية على خزائها في الهبوب. سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا: أي متتابعات الهبوب بلا فاصل كتتابع الكي القاطع للداء. فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازُ نَخْلٍ حَاوِيَةٍ ⑦: أي أصول نخل ساقطة فارغة ليس في جوفها شيء.

فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ⑧: من نسل؟ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكِثُ بِالْحَاقَّةِ ⑨: أي أهلها وهي قرى لوط بالفعلات ذات الخطأ. فَعَصَا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ⑩: أي زائدة في الشدة على غيرها. إِنَّا لَنَاطِقَاتُ الْمَاءِ: أي علا فوق كل شيء من الجبال وغيرها. حَمَلَتْكُمْ فِي الْمَاجِرَةِ ⑪: أي السفينة التي صنعها نوح ونجا بها هو ومن معه من المؤمنين. لِنَجْعَلَهَا ⑫ لَكُمْ تَذْكَرَةً وَتَعِيَةً ⑬: أي وتحفظها أذن واعية أي حافظة لما تسمع. فَإِذَا نَفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ⑭: أي النفخة الأولى. وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ: أي رفعت من أماكنها. فَذُكِّرَتِ الْبُحُورُ وَجُدَّةٌ ⑮: أي ضرب بعضها ببعض فاندكت وصارت كثيرًا مهيلًا. فَيَوْمَ يَذَّوَقْتِ الْوَاقِعَةَ ⑯: أي قامت القيامة. وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ⑰: أي مسترخية ضعيفة القوة.

(١) وقوله: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكَرَةً﴾ أي لنجعل السفينة تذكرة لكم عظة وعبرة، وجائز أن يكون الضمير في ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ عائداً إلى العملية عملية إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين تذكرة وموعظة.

وَالْمَلِكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا: أي على أطرافها وحافات<sup>(١)</sup>. ﴿وَيَجْلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾  
 تَمَنِّيَّةٌ ﴿١٧﴾: أي من الملائكة وهم حملة العرش الأربعة وزيد عليهم أربعة.  
 يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾: أي لا تخفى منكم سريرة من السرائر التي تخفونها. ﴿فَأَمَّا  
 مَنْ أَوْفَىٰ كُنْبَهُ بِيَمِينِهِ، فَيَقُولُ﴾.

هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ: أي خذوا. ﴿كُنْبِهِ﴾ ﴿١٩﴾.  
 إِنِّي ظَنَنْتُ: أي علمت. ﴿أَنِّي مُلْتَقٍ بِحِسَابِيَّةٍ﴾ ﴿٢٠﴾.  
 فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾: أي يرضى بها صاحبها. ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ ﴿٢٢﴾.  
 قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾: أي ما يقتطف ويجنى من الثمار. ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾: أي بما  
 قدمتم.

فِي الْآيَاتِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾: أي الماضية. ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كُنْبَهُ بِشِمَالِهِ، فَيَقُولُ﴾.  
 يَلْتَنِنِي لِرَأْوَتِ كُنْيَةٍ ﴿٢٥﴾: أي يتمنى أنه لم يعط كتابه؛ لما رأى فيه من السيئات. ﴿وَلَوْ أَدْرِمَا حِسَابِيَّةٍ﴾  
 ﴿٢٦﴾.

يَلْتَنِنَهَا كَانَتْ الْفَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾: أي المودة في الدنيا كانت القاطعة لحياتي حتى لا أبعث. ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي  
 مَالِيَّةٌ﴾ ﴿٢٨﴾.

هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾: أي قوتي وحجتي.  
 خُذُوهُ: أي أيها الزبانية خذوا هذا الكافر.  
 فَعَلُوهُ ﴿٣٠﴾: أي اجعلوا يديه إلى عنقه في الغل.  
 ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوهُ ﴿٣١﴾: أي ثم في النار المحرقة أدخلوه، وبالغوا في تصليته كالشاة المصلية. ﴿تَرَفَىٰ  
 سِلْسِلَةً ذَرَعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ ﴿٣٢﴾، إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحْضُرُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣٤﴾.  
 فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾: أي من قريب ينفعه أو صديق.  
 وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِشْلِينَ ﴿٣٦﴾: أي صديد أهل النار الخارج من بطونهم لأكلهم شجر الغسلين. ﴿لَا  
 يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ ﴿٣٧﴾.

فَلَا أَقِيمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾: أي بكل مخلوق في الأرض وفي السماء<sup>(٢)</sup>.  
 إِنَّهُ، الْقَوْلُ رَسُولِ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾: أي القرآن قاله تليغاً رسول كريم هو محمد ﷺ. ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا  
 مَا نُنَومُونَ﴾ ﴿٤١﴾.

وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ: أي ليس القرآن بقول كاهن إذ ليس فيه من سجع الكهان شيء. ﴿قَلِيلًا مَا نَذْكُرُونَ﴾

(١) الملك اسم جنس المراد به أعداد هائلة من الملائكة.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ ﴿١﴾ في سورة النجم: (قال الشعبي: الخالق يقسم بما شاء من خلقه، والمخلوق لا ينبغي له أن يقسم إلا بالخالق) اهـ (قل).

﴿٤٤﴾ نَزَّلَ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَفَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَابِيلِ ﴿٤٤﴾

لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ : أي بالقوة لأخذنا يمينه لنقتله <sup>(١)</sup>.

ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ : أي نياط القلب الذي إذا انقطع مات الإنسان.

فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ : أي مانعين وهو خبر ما النافية العاملة عمل ليس، وجمع لأن

(أحد) يدل على الجمع نحو ﴿لَا تَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ ، و(بين) لا تقع إلا بين اثنين فأكثر.

وَإِنَّهُ لَلذِّكْرُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾

وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ : أي التكذيب بالقرآن حسرة يوم القيامة على المكذبين به <sup>(٢)</sup>.

وَإِنَّهُ لِحَقِّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ : أي الثابت يقيناً أو اليقين الحق <sup>(٣)</sup>.

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ : أي بذكر ربك وتسميته العظيم الذي كل شيء أمام عظيمته صغير

حقير.



(١) قال ابن كثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (قيل: لانتقمنا منه باليمين؛ لأنها أشد في البطش، وقيل: لأخذ يمينه) اهـ. ومن المعلوم أن الرحمن سبحانه وتعالى كلتا يديه يمين (قل).

(٢) جاء في «صفوة التفاسير» للصابوني أثابه الله ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ أي في يوم طوله خمسون ألف سنة من سني الدنيا، قال ابن عباس: هو يوم القيامة جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة ثم يدخلون النار للاستقرار قال المفسرون: والجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى في سورة السجدة ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ أن القيامة مواقف ومواطن، فيها خمسون موطناً لكل موطن ألف سنة، وأن هذه المدة الطويلة تخف على المؤمن حتى تكون أخف عليه من صلاة مكتوبة. اهـ (قل).

(٣) جائز أن يكون الضمير عائداً على التكذيب إذ به كانت حسرة الكافرين يوم القيامة، وجائز أن يكون عائداً على القرآن؛ لأنهم لم يؤمنوا به ويعملوا بما دعا إليه من الإيمان وصالح الأعمال، أي القرآن الكريم بلا خلاف.

## ٧٠ - سُورَةُ الْمَعَارِجِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- سَأَلَ سَائِلٌ: أَي دَعَا دَاعٍ. ﴿١﴾ بَعْدَابٍ وَاقِعٍ. ﴿٢﴾  
 لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٣﴾: أَي فَهُوَ وَاقِعٌ لَا مُحَالَةَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنَ اللَّهِ.  
 مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٤﴾: أَي ذِي الْعُلُوِّ وَالدرجات وَمُصَاعِدِ الْمَلَائِكَةِ وَهِيَ السَّمَاوَاتُ.  
 تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ: أَي تَصْعَدُ الْمَلَائِكَةُ وَجَبْرِيْلُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ﴿٥﴾  
 فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٦﴾: أَي تَصْعَدُ الْمَلَائِكَةُ وَجَبْرِيْلُ مِنْ مَتْنَهِي أَمْرِهِ مِنْ أَسْفَلِ  
 الْأَرْضِ السَّابِعَةِ، إِلَى مَتْنَهِي أَمْرِهِ مِنْ فَوْقِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، فِي يَوْمٍ مِقْدَارُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ،  
 بِالنِّسْبَةِ لَصُعُودِ غَيْرِ الْمَلَائِكَةِ مِنَ الْخَلْقِ. ﴿٧﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا حَسْبًا ﴿٨﴾  
 إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٩﴾: أَي الْعَذَابُ الَّذِي يَطَالِبُونَ بِهِ لِتَكْذِيبِهِمْ وَكُفْرِهِمْ بِالْبَعْثِ. ﴿١٠﴾ وَنَرَنَهُ قَرِيبًا  
 ﴿١١﴾  
 يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالذَّهَبِ ﴿١٢﴾: أَي كَذَائِبِ النَّحَاسِ.  
 وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿١٣﴾: أَي كَالصُّوفِ الْمَصْبُوغِ أَلْوَانًا فِي الْخِفَةِ وَالطَّيْرَانِ بِالرِّيحِ.  
 وَلَا يَنْتَلِ حِمِيدٌ حَمِيمًا ﴿١٤﴾: أَي قَرِيبٌ قَرِيبُهُ لِانْشِغَالِ كُلِّ بِحَالِهِ.  
 يُبْصِرُونَهُمْ: أَي يَبْصُرُ الْأَحْمَاءُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيَتَعَارَفُونَ وَلَا يَتَكَلَّمُونَ. ﴿١٥﴾ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ  
 عَذَابِ يَوْمِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١٦﴾  
 وَصَحْبَتِهِ: أَي زَوْجَتِهِ. ﴿١٧﴾ وَأَخِيهِ ﴿١٨﴾  
 وَقَصِيْلَتِهِ الَّتِي تُؤْتِيهِ ﴿١٩﴾: أَي عَشِيرَتَهُ الَّتِي تَضُمُّهُ إِلَيْهَا نَسَبًا وَتَحْمِيهِ مِنَ الْأَذَى عِنْدَ الشَّدَةِ. ﴿٢٠﴾ وَمَنْ فِي  
 الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿٢١﴾  
 كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْفَى ﴿٢٢﴾: أَي جَهَنَّمَ.  
 نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى ﴿٢٣﴾: أَي إِنْ جَهَنَّمَ هِيَ لَأَطْفَى نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى: جَمْعُ شَوَاةٍ جِلْدَةُ الرَّأْسِ.  
 تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرُ وَتَوَلَّى ﴿٢٤﴾: أَي عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ وَرِسُولِهِ وَتَوَلَّى عَنِ الْإِيمَانِ فَأَنْكَرَهُ وَتَجَاهَلَهُ.  
 وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴿٢٥﴾: أَي جَمَعَ الْمَالَ وَجَعَلَهُ فِي وَعَاءٍ، وَمَنْعَ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ فَلَمْ يَنْفِقْ مِنْهُ فِي سَبِيلِ

.الله

(١) هذا العروج كائن يوم القيامة وهو اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة.

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ (١١) : الهلع : مرض نفسي عرضه الذي يعرف به جزعُه الشديد من مس الشر، ومنعه القوي للخير متى مسه وظفر به.

﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴾ (١٢) : أي كثير الجزع سريعه.

﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ (١٣) : أي كثير المنع حريصًا عليه. ﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾ (١٤) .

﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ (١٥) : أي لا يقطعونها أبدًا ماداموا أحياء يعقلون.

﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴾ (١٦) : أي نصيب معين عينه الشارع وهو الزكاة.

﴿ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ ﴾ (١٧) : أي الطالب الصدقة والذي لا يطلبها حياء وتعففًا.

﴿ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ (١٨) : أي يؤمنون بيوم القيامة للبعث والجزاء.

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ (١٩) : أي خائفون متوقعون العذاب عند المعصية. ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ

غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾ (٢٠) .

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ يَلْقَوْنَ فِيهَا كَبْفًا عَلَى الْأَعْيُنِ وَأَنْزِيلَ مِنَ السَّمَاءِ حَمِيمًا ﴾ (٢١) : أي صائنون لها عن النظر إليها وعن الفاحشة.

﴿ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ : أَي مِنَ السَّرِيَّاتِ مِنَ الْجَوَارِي الَّتِي يَمْلِكُونَهَا. ﴿ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ

﴾ (٢٢) .

﴿ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ (٢٣) : أي المعتدون الظالمون المتجاوزون الحلال إلى الحرام.

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ : أَي مَا اتَّمَنُوا عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا.

﴿ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ﴾ (٢٤) : أي حافظون غير مفرطين.

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴾ (٢٥) : أي يقيمون شهاداتهم لا يكتُمونها ولا يحرفونها.

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ (٢٦) : أي يؤدونها في أوقاتها في جماعات مع كامل الشروط والأركان

والواجبات والسنن. ﴿ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾ (٢٧) .

﴿ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ ﴾ (٢٨) : أي نحوك مديمي النظر إليك.

﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴾ (٢٩) : أي جماعات حلقًا حلقًا يقولون في استهزاء بالمؤمنين : لئن دخل

هؤلاء الجنة لندخلها قبلهم. ﴿ أَيْطَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾ (٣٠) .

﴿ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣١) : أي من مني قدر، وإنما يستوجب دخول الجنة بالطاعات

المزكية للنفوس. ﴿ فَلَا أَقِيمُ رَبِّيَ الشَّرْقَ وَالْمَغْرِبَ إِنَّا لَقَدِيرُونَ ﴾ (٣٢) .

﴿ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ : أَي إِنَّا لِقَادِرُونَ عَلَىٰ أَنْ نَهْلِكَهُمْ وَنَأْتِي بِأَنَاسٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ.

﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ (٣٣) : أي بعاجزين عن إيجاد ما ذكرنا من إهلاك القوم والإتيان بخير منهم.

﴿ فَذَرَهُمْ حَوْسًا وَّيَلْبَعُوا حَتَّىٰ يَلْقَوا يَوْمَهُمُ الَّذِي بُوْعِدُوا ﴾ (٣٤) .

﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا : أَي مِنَ الْقُبُورِ مَسْرِعِينَ إِلَىٰ الْمَحْشَرِ.

﴿ كَانَتْهُمْ إِلَىٰ نَصْبِ يَوْمِئِذٍ ﴾ (٣٥) : أي كأنهم في إسراعهم إلى المحشر إلى نصب أي بشيء منصوب



كراية أو علم يسرعون.

خَشَعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذَلَّةٌ : أي تغشاهم ذلة.

ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ : أي يوعدون بالعذاب فيه وهو يوم القيامة.



## ٧١ - سُورَةُ نُوحٍ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ : أي أهل الأرض كافة والدليل إغراقهم أجمعين .  
 أَنْ أَنْذِرَ قَوْمَكَ : أي بإنذار قومك . ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١) .  
 قَالَ يَتَّبِعُونَ آلِيَّكُمْ ذُرِّيَّتِي لَكُمْ يُدْرِئُونَ كُنُوزَهُمْ : أي بين النذارة ظاهرها .  
 أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ : أي وحده بفعل محابه وترك مكارهه ولا تشركوا به شيئاً .  
 وَأَتَّقُوا اللَّهَ : فلا تعصوه بترك عبادته ولا بالشرك به .  
 وَأَطِيعُوا اللَّهَ : ﴿ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنْهُ لِأَنْي مَبْلَغٌ عَنِ اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ .  
 يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ : أي ذنوبكم التي هي الشرك والمعاصي ، ف(من) زائدة لتقوية الكلام أو هي تبعيضية لأن ما كان حقاً لأدمي كمالٍ وعرض لا يغفر إلا بالتوبة .  
 وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى : أي إلى نهاية آجالكم المسماة لكم في كتاب المقادير؛ فلا يعجل لكم العذاب .

إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ : أي بعذابكم .  
 إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ : إن لم تؤمنوا .  
 لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤) : أي لا متمم .  
 قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) : أي دائماً باستمرار .  
 فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاؤِي إِلَّا فِرَارًا (٦) : أي مني ومن الحق الذي أَدْعُوهم إليه، وهو عبادة الله وحده .  
 ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ ﴾ .  
 جَعَلُوا أَصْنَعُهُمْ فِي آذَانِهِمْ : أي حتى لا يسمعوا ما أقول لهم .  
 وَأَسْتَفْشَوْا ثِيَابَهُمْ : أي تغطوا بها حتى لا ينظروا إلي ولا يروني .  
 وَأَصْرُوا : على باطلهم وما هم عليه من الشرك . ﴿ وَأَسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾ (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ (٩) وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (١٠) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١١) ﴿ (٢) .  
 يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١٢) : أي ينزل عليكم المطر متتابعاً كلما دعت الحاجة إليه .

(١) قال ابن كثير رحمته الله : ﴿ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ ﴾ أي كلاماً ظاهراً بصوت عالٍ ﴿ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ أي فيما بيني وبينهم، فنوع لهم الدعوة لتكون أنجع فيهم . اهـ (قل) .  
 (٢) استنبط بعض الصالحين من هذه الآية أن من كانت له رغبة في مال أو ولد؛ فليكثر من الاستغفار، الليل والنهار ولا يمل يعطه الله مراده من المال والولد .

وَيَمْدُدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِيَنَّ لَكُمْ جَنَّاتٍ: أي بساتين. وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٣﴾  
 مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٤﴾: أي لا تخافون الله عظيمته وكبرياءه وهو القاهر فوق عباده.  
 وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٥﴾: أي حالًا بعد حال فطورًا نطفة وطورًا علقة وطورًا مضغة. ﴿الزُّرُّوْا كَيْفَ  
 خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾.  
 وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾: أي مضيئة.  
 وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾: أي أنشأكم من تراب الأرض.  
 ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا: أي تقبرون فيها.  
 وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾: أي يوم القيامة. ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾﴾.  
 لِيَسْتَلْكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾: أي طرقًا واسعة.  
 قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّي نَادَيْتُكَ بِعِبَادَتِكَ وَكَذَّبْتُكَ وَأُكْرِمْتُكَ وَإِنِّي لَمِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢١﴾: أي لم يطيعوني فيما دعوتهم إليه وأمرتهم به من عبادتك وحدك وترك  
 الشرك بك.

وَاتَّبِعُوا: أي السفلة منهم والفقراء.  
 مَنْ لَزِمَ زِينَةَ مَالِهِ، وَوَلَدَهُ: أي الرؤساء المنعم عليهم.  
 الْإِخْسَارًا ﴿٢١﴾: أي طغيانًا وكفرًا.  
 وَمَكْرُومًا مَكْرًا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾: أي عظيمًا جدًا بأن كذبوا نوحًا وأذوه أذى شديدًا.  
 وَقَالُوا: أي الرؤساء قالوا للسفلة منهم:  
 لَا نَذُرُنَّ الْهَيْكَلُ: أي لا تتركن آلهتكم.  
 وَلَا نَذُرُنَّ: أي ولا تتركن كذلك. ﴿وَدَا وَلَا سَوَاعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾: أسماء رؤساء

الأصنام.  
 وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا: أي بالأصنام كثيرًا من الناس حيث أمروا بعبادتها.  
 وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾.  
 مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أَغْرُقُوا: أي بسبب خطيئتهم أغرقوا بالطوفان (١).  
 فَأَدْخِلُوا نَارًا: أي بعد موتهم أدخلت أرواحهم النار. ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾﴾.  
 وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾: أي من يدور يذهب ويجيء أي لم يبق أحد.  
 إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ: أي أحياء لم تهلكهم. ﴿يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِجْرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي  
 وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.  
 وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا ﴿٢٨﴾: أي هلاكًا وخسارًا.



(١) ﴿مِمَّا خَطَبْتَهُمْ﴾ (ما) زائدة والأصل من خطيئتهم و(من) تعليلية و(ما) الزائدة لتوكيد معنى التعليل.

## ٧٢ - سُورَةُ الْجِنِّ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ : أي إلى قراءتي .  
 نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ : أي عدد من الجن ما بين الثلاثة والعشرة .  
 فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ : أي لبعضهم بعضًا قرآنًا عجبًا أي يتعجب منه لفصاحته وغازرة معانيه .

يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ : أي الصواب في المعتقد والقول والعمل . ﴿فَأَمَّا مَنَابِهٌ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ .  
 وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدْرَيْنَا : أي تنزه جلال ربنا وعظمته عما نسب إليه .  
 مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ : أي لم يتخذ صاحبة ولم يكن له ولد .  
 وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا : أي جاهلنا .  
 عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ : أي غلوا في الكذب بوصفه تعالى بالصاحبة والولد . ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾ .

عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ : حتى تبين لنا أنهم يكذبون على الله بنسبة الزوجة والولد إليه .  
 وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ : أي يستعيذون .  
 بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ : أي إثما وطغيانًا .  
 وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ : أي لن يبعث رسولاً إلى خلقه .  
 وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ : أي طلبنا خبرها كما جرت بذلك عادتنا .  
 فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا : أي حراسًا وحفظة من الملائكة يحفظونها بشدة وقوة .  
 وَشُهَبًا ﴿٨﴾ : أي نجومًا يرمى بها الشياطين أو يؤخذ منها شهاب فيرمى به .  
 وَأَنَا كُنَّا نَقَعُدُّ مِنهَا مَقْعِدًا لِلسَّمْعِ : أي من أجل أن نسمع ما يحدث وما يكون في الكون . ﴿فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدَلُهُ﴾ .

شِهَابًا رَصَدًا ﴿٩﴾ : أي أرصد وأعد لرمي الشياطين وإبعادهم عن السمع . ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ .

أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ : أي خيرًا وصلاحًا . ﴿وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَادُونَ ذَلِكَ﴾ .  
 كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا ﴿١١﴾ : أي مذاهب مختلفة إذ الطرائق: جمع طريقة، والقدد: جمع قدة وهي الضروب والأجناس المختلفة . ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ﴾ .

وَلَنْ نُعْجزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ : أي لا نفوته هارين في الأرض أو في السماء.  
 وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى : أي القرآن الداعي إلى الهدى المخالف للضلال.  
 ءَامَنَّا بِهِ ۗ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ ۗ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ : أي نقصًا من حسناته ولا إثمًا يحال  
 ويحاسب به.

وَأَنَا مِمَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ : أي الجائرون عن قصد السبيل وهو الإسلام.  
 فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ : أي تعمدوا الرشد فطلبوا بعناية فحصلوا عليه.  
 وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ : أي وقودًا تتقد بهم يوم القيامة.  
 وَالْوَالِدَاتُ يُرْتَبَوْنَ عَلَى الطَّرِيقَةِ : أي الإسلام.  
 لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذَقًا ﴿١٦﴾ : أي مآلًا كثيرًا وخيرات كبيرة.  
 لِنُقَبِّضَهُمْ فِيهِ : أي نختبرهم أيشكرون أم يكفرون؟  
 وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ ۗ : أي القرآن وشرائعه وأحكامه.  
 يَسْلُكُهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ : أي شاقًا.  
 وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا : أي فيها ﴿مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ﴿١٨﴾ .  
 وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ ۙ : أي محمد ﷺ يدعو الله ببطن نخلة.  
 يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ : أي في ركوب بعضهم بعضًا تراحمًا لأجل أن يسمعوا  
 قراءته ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ ﴿٢٠﴾ .  
 قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ : أي غيًّا ولا خيرًا ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ .  
 وَلَنْ أُجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ : أي ملتجأً الجأ إليه فأحفظ نفسي.  
 إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ۗ : أي لا أملك إلا البلاغ إليكم ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۙ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ  
 خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ ﴿٢٤﴾ .  
 فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعُفٌ نَاصِرًا وَأَقْلَبُ عَدَدًا ﴿٢٥﴾ : أي أعوانًا، المسلمون أم الكافرون؟  
 قُلْ إِنْ أَدْرَيْتَ : أي قل ما أدري.  
 أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ : أي من العذاب.  
 أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٦﴾ : أي غاية وأجلًا لا يعلمه إلا هو.  
 عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ : أي لا يُطْلِعُ ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ﴿٢٧﴾ .  
 إِلَّا مَنْ أَرَادَ مِنْ رَسُولٍ : أي فإنه يطلعه ﴿فَإِنَّهُ يُسَلِّكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ ﴿٢٨﴾ .

(١) اللبد: جمع لبدة بكسر اللام وسكون الباء كقربة وقرب وهي ما تلبد بعضها على بعض ومنه لبدة الأسد وهي الشعر المتراكم في رقبته.

رَصَدًا ﴿٢٧﴾: أي ملائكة يحفظونه حتى يبلغه مع الوحي الذي يبلغه لكافة الناس.  
 لِيَعْلَمَ<sup>(١)</sup> أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ: أي الله عَلِمَ ظَهَرَ أَنْ الرسل قد بلغوا رسالات ربهم.  
 ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾.  
 وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾: أي أحصى عدد كل شيء.



(١) معنى الآية: ليعلم أي محمد ﷺ أن الرسل قبله قد أبلغوا رسالة كما أبلغ هو الرسالة. وفي الكلام حذف تقديره: أخبرناه بحفظنا الوحي؛ ليعلم أن الرسل قبله كانوا على مثل حالته من التبليغ.

## ٧٣ - سُورَةُ الْمُرْمَلَةِ

« أولها مكِّي وأخرها مدني »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ (١) : أي المتلفف بشيابه أي النبي ﷺ .

فُرَاتَيْلٌ : أي صل .

إِلَّا قَلِيلًا (٢) : أي نصف الليل .

بِضْفَةٍ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) : أي انقص من النصف إلى الثلث .

أَوْزِدَ عَلَيْهِ : أي إلى الثلثين فأنت مخير في أيها تفعل تقبل .

وَرَقِلَ الْقُرْآنُ أَنْ تَرْتَبِلًا (٤) : أي ترسل في قراءته وبينه تبيينًا .

إِنَّا سُلِّفَى عَلَيْكَ قَوْلًا : أي قرآنًا .

تَفِيلًا (٥) : أي محمله ثقيلًا العمل به لما يحوي من التكليف .

إِنَّ نَاشِئَةَ آيَلٍ : أي ساعة الليل من صلاة العشاء فما فوق كل ساعة تسمى ناشئة .

هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا : أي هي أقوى موافقة السمع للقلب على تفهم القرآن فيها .

وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦) : أي أبين قولًا وأصوب قراءة من قراءة النهار لسكون الأصوات . ﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ

سَبْحًا طَوِيلًا (٧) ﴾ (١)

وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ : أي دم على ذكره ليلاً ونهارًا على أي وجه من تسبيح وتهليل وتحميد .

وَيَبْتَلِ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (٨) : أي انقطع إليه في العبادة وفي طلب الحاجة وفي كل ما يهملك .

رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ : أي لا معبود بحق سواه ولا تنبغي العبادة لغيره .

فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (٩) : أي فوض جميع أمورك إليه فإنه يكفيك .

وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ : أي على ما يقوله لك كفار مكة من أذى كقولهم : شاعر وساحر وكاذب .

وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (١٠) : أي اتركهم تركًا جميلًا أي لا عتاب معه .

وَذَرْنِي : أي اتركني .

وَالْمُكْذِبِينَ : أي صنديد قريش فإني أكفكهم .

أُولَى النَّعْمَةِ : أي أهل التمتع والترف .

(١) ﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ ﴾ الجملة تعليلية لاختيار الليل للقيام دون النهار؛ لأن في النهار أعمالًا أخرى يقوم بها المرء،

وجائز أن يراد أن في النهار متسعًا للصلاة وتلاوة القرآن .

وَمَهْلَهْمَ قَلِيلًا ﴿١١﴾ : أي انتظرهم قليلاً من الزمن حتى يهلكوا بيدر.  
 إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا : أي قيوداً وهي جمع نكل وهو القيد من حديد. ﴿وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾﴾  
 وَطَعَامًا ذَا غُصَصٍ : أي يغص في الحلق وهو الزقوم والضرير. ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾  
 يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ : أي تنزلزل. ﴿وَالْجِبَالُ ﴿١٤﴾﴾  
 وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا مَهِيلاً ﴿١٥﴾ : أي رملاً مجتمعاً مهياً أي سائلاً بعد اجتماعه. ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ  
 رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٦﴾﴾  
 فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً ﴿١٧﴾ : أي ثقيلاً شديداً غليظاً.  
 فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٨﴾ : أي عذاب يوم يجعل الولدان لشدة هوله شيباً.  
 السَّمَاءَ مَنفُطِرِينَ : أي ذات انفطار وانشقاق أي بسبب هول ذلك اليوم.  
 كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٩﴾ : أي وعده تعالى بمجيء ذلك اليوم كان مفعولاً أي كائناً لا محالة.  
 إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ ﴿٢٠﴾ : أي إن هذه الآيات المخوفة تذكرة أي عظة للناس.  
 فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢١﴾ : أي طريقاً بالإيمان والطاعة إلى النجاة من النار ودخول  
 الجنة.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ : أي للتهجد.  
 أَذَىٰ : أي أقل. ﴿مِن ثَلَاثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾﴾  
 وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ : أي وطائفة معك من أصحابك تقوم كذلك.  
 وَاللَّهُ يَقْدِرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ : أي يحصيهما ويعلم ما يمضي من ساعات كل منهما وما يبقى.  
 عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ : أي الليل فلا تطيقون قيامه كله لأنه يشق عليكم.  
 فَنَابَ عَلَيْكُمْ : أي رجع بكم إلى التخفيف في قيام الليل إذ هو الأصل.  
 فَاقْرَأْهُ وَمَا تَشْرَىٰ مِنَ الْقُرْآنِ : أي صلوا من الليل ما سهل عليكم ولو ركعتين. ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنكُمْ  
 مَّرْضَىٰ وَءَاخِرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَءَاخِرُونَ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأْهُ وَمَا تَشْرَىٰ مِنْهُ﴾﴾  
 وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ : أي المفروضة.  
 وَءَاتُوا الزَّكَاةَ : أي المفروضة.  
 وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا : أي تصدقوا بفضول أموالكم طيبة بها نفوسكم فذلك القرض الحسن.  
 وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ : أي من نوافل العبادة من صلاة وصدقة وصيام وحج وغيرها. ﴿تَجِدُوهُ  
 عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَأَسْتَعْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾





## ٧٤ - سُورَةُ الْمَدْيَنَةِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- يَأْتِيهَا الْمُدَيِّرُ (١): أي أيها المدثر: أي المتلفف في ثيابه وهو النبي ﷺ.
- فُؤَانِدِرٌ (٢): أي خوف أهل مكة النار إن لم يؤمنوا ويوحدوا.
- وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ (٣): أي عظم ربك من إشرارك المشركين.
- وَتِيَابِكَ فَطَعِيرٌ (٤): أي طهر ثيابك من النجاسات (١).
- وَالرُّحْرَاقَهُ جَزْرٌ (٥): أي آدم هجرانك للأوثان.
- وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْبِرُ (٦): أي لا تمنن على ربك ما تقوم به من أعمال لأجله طاعة له ولا تطلب على دعوتك أجراً (٢).
- ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ (٧).
- فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ (٨): أي نفخ في الصور النفخة الثانية. ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرٌ يَسِيرٌ (١٠).
- ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١): أي اتركني ومن خلقتة وحيداً منفرداً بلا مال ولا ولد فأنا أكفيكه. وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (١٢).
- وَبَيْنَ شُهُودًا (١٣): أي يشهدون المحافل وتسمع شهادتهم، وأغلب الوقت حاضرون لا يغيبون. وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤): أي بسطت له في العيش والعمر والولد والجاه حتى كان يلقب بريحانة قريش. ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ (١٥) ﴿كَلَّا إِنَّهُ﴾.
- كَانَ لِأَبِينَا عَيْنِدًا (١٦): أي معانداً وهو الوليد بن المغيرة المخزومي.
- سَأُهِقُهُ صَعُودًا (١٧): أي سأكلفه يوم القيامة صعود جبل من نار كلما صعد فيه هوى في النار أبداً.
- إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨): أي فيما يقول في القرآن الذي سمعه من النبي ﷺ وقدر في نفسه ذلك.

(١) من بين تفسيرات ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ لهذه الآية في إغاثة اللهفان: ﴿وَتِيَابِكَ فَطَعِيرٌ﴾ (٤) أي وثيابك فقصر. ومن المعلوم أن ثوب النبي ﷺ كان يصل إلى نصف ساقه (قل).

(٢) ذكر الشيخ أبو بكر الجزائري أثابه الله تعالى عند قوله تعالى في سورة الروم: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبِّكَ لَيْرِيوًا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِيوًا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ (٣٩) ذكر تحت هداية الآيات ما يلي: (جواز هدية الثواب الدنيوي كأن يُهدي رجلاً شيئاً يريد أن يرد عليه أكثر منه ولكن لا ثواب فيه في الآخرة، وتسمى هذه الهدية: هدية الثواب وهي للرسول ﷺ محرمة لقوله تعالى له: ﴿وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْبِرُ﴾ (٦) اهـ (قل).

فَقِيلَ: أَي لَعْنٍ. ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ (١٩) ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ .

ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ : أَي تَرَوَى فِي ذَلِكَ ثُمَّ عَبَسَ أَي قَبَضَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ ثُمَّ بَسَرَ أَي كَلَحَ وَجْهَهُ.

ثُمَّ أَذْبَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا ﴿٢٣﴾ : أَي عَنِ الْإِيمَانِ وَاسْتَكْبَرُوا عَنِ اتِّبَاعِ الرَّسُولِ ﷺ .

فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾ : أَي يَنْقَلُ عَنِ السِّحْرِ كَمَسِيلِمَةَ وَغَيْرِهِ. ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ ﴿٢٥﴾ .

سَأْضِلِيهِ سَقَرٌ ﴿٢٦﴾ : سَادَخَلَهُ جَهَنَّمَ وَسَقَرَ اسْمُ لَهَا يَدْخُلُهُ فِيهَا لِإِحْرَاقِهِ بِنَارِهَا. ﴿وَمَا أَذْرَبُكَ مَا سَقَرٌ

﴿٢٧﴾ .

لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ : أَي لَا تَتْرِكُ شَيْئًا مِنَ اللَّحْمِ وَلَا الْعَصَبِ إِلَّا أَهْلَكَتَهُ ثُمَّ يَعُودُ كَمَا كَانَ لِإِدَامَةِ

العذاب.

لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ : أَي مَحْرَقَةٌ مَسْوُودَةٌ لظَاهِرِ جِلْدِ الْإِنْسَانِ وَهُوَ بَشَرَتُهُ وَالْجَمْعُ بَشَرٌ.

عَلَيْهَا تِسْعَةٌ عَشْرَ ﴿٣٠﴾ : أَي مَالِكًا وَهَمَّ خَزْنَتِهَا.

وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ : أَي خَزْنَتِهَا مَالِكًا وَثَمَانِيَةَ عَشْرَ مَعَهُ.

إِلَّا مَلَأْنَاكَ : أَي لَمْ نَجْعَلْهُمْ بَشَرًا وَلَا جَنًّا حَتَّى لَا يَرْحَمُوهُمْ بِحُكْمِ الْجَنِّسِ.

وَمَا جَعَلْنَا عَدَّتَهُمْ : أَي كَوْنَهُمْ تِسْعَةَ عَشْرَ.

إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا : أَي لِيَسْتَخْفُوا بِهِمْ كَمَا قَالَ أَبُو الْأَشْدِينَ الْجَمْحِيُّ فَيَزِدَادُوا ضَلَالًا.

لِيَسْتَفِيقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ : أَي لِيَحْصَلَ الْيَقِينَ لِأَهْلِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ بِمُوَافَقَةِ الْقُرْآنِ لِكِتَابَيْهِمَا:

التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ. ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ .

وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ : أَي وَلَا يَشْكُ أَهْلَ الْكِتَابِ وَالْمُؤْمِنُونَ فِي حَقِيقَةِ ذَلِكَ.

وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ : أَي مَرَضُ النِّفَاقِ. ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ .

مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا : أَي أَيِّ شَيْءٍ أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا الْعَدَدِ الْغَرِيبِ اسْتِنكَارًا مِنْهُمْ.

كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ : أَي مِثْلَ إِضْلَالِ مَنْكَرِ هَذَا الْعَدَدِ، وَهَدْيِ مُصَدِّقِهِ؛ يُضِلُّ اللَّهُ

مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ. ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ .

وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ : أَي وَمَا النَّارُ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ يَتَذَكَّرُونَ بِهَا. ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿١﴾ .

وَأَلِيلٌ إِذْ أَذْبَرَ ﴿٣٣﴾ : أَي وَلِيُّ وَمُضَى.

وَأَلْصَبُ إِذَا اسْفَرَ ﴿٣٤﴾ : أَي أَضَاءَ وَظَهَرَ.

إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكُفْرِ ﴿٣٥﴾ : أَي جَهَنَّمَ لِأَحَدَى الْبَلَايَا الْعِظَامِ.

(١) حرف ردع وإبطال والغالب أنها تقع بعد كلام من متكلم واحد ومتكلم وسماع؛ فتفيد الردع عما تضمنه الكلام السابق. ذهب ابن جرير إلى أنها هنا للردع وإبطال ما زعمه المشركون من القدرة على الزبانية كما في التفسير، وعليه فالوقف عليه مستحسن ومنهم من جعلها افتتاح كلام نحو ألا وعليه فالوقف لا يحسن عليها بل على القمر.

نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٦٦﴾: أي عذاب جهنم نذير لبني آدم.  
 لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ: أي أيها الناس.  
 أَنْ يَنْقَدَمَ: أي بالطاعة.  
 أَوْ يَنْأَخَّرَ ﴿٦٧﴾: أي بالمعصية.  
 كُلُّ نَفْسٍ: أي مأمورة منهيّة.  
 بِمَا كَسَبَتْ رَهِينًا ﴿٦٨﴾: أي مرهونة مأخوذة بعملها في جهنم.  
 إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٦٩﴾: أي المؤمنين فهم ناجون من النار. ﴿فِي جَنَّتٍ يَسَاءُ لُونٌ ﴿٤٦﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا  
 سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَوْلَا نُنْزَلُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾.  
 وَلَوْلَا نُنْزَلُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٤﴾: أي بخلا بما آتاهم الله.  
 وَكُنَّا نَحْوُكُمْ: أي في الباطل وفيما يكره الله تعالى. ﴿مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ (١)  
 وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾: بيوم المجازاة والثواب ولا نصدق بثواب ولا عقاب.  
 حَتَّىٰ آتَانَا الْيَقِينَ ﴿٤٧﴾: أي الموت. ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّفَاعِينَ ﴿٤٨﴾﴾.  
 فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾: أي الموعدة منصرفين لا يسمعونها ولا يقبلون عليها.  
 كَانَهُمْ حُمُرٌ مَسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾: أي كأنهم حمر وحشية مستنفرة.  
 فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾: أي هربت من أسد أمر الهرب.  
 بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ: أي ليس هناك قصور في الأدلة والحجج التي قدمت لهم، بل يريد كل  
 واحد منهم.  
 أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنشَرَةً ﴿٥٢﴾: أي يصبح وعند رأسه كتاب من الله رب العالمين إلى فلان آمن بنينا  
 محمد واتبعه. ﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾﴾.  
 كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ ﴿٥٤﴾: أي عظة وعبرة.  
 فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٥٥﴾: أي قرأه واتعظ به. ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾  
 هُوَ أَهْلُ الْقُوَىٰ: أي هو أهل لأن يتقى لعظمة سلطانه وأليم عقابه.  
 وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾: أي وأهل لأن يغفر للتائبين من عباده الموحدين.



(١) قال ابن كثير رحمه الله: قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا نَحْوُكُمْ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾: أي نتكلم فيما لا نعلم. وقال قتادة: (كلما غوى غاوى غويتنا معه). اهـ (قل).

## ٧٥- سُورَةُ الْقِيَامَةِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا<sup>(١)</sup> : أي ليس الأمر كما يدعي المشركون من أنه لا بعث ولا جزاء.  
 أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ<sup>(٢)</sup> : أي الذي كذب به المكذبون.  
 وَلَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ اللّوَامَةِ<sup>(٣)</sup> : أي لتبعثن ولتحاسبن ولتعاقبن أيها المكذبون الضالون، واللوامة: أي التي إن أحسنت لامت عن عدم الزيادة، وإن أساءت لامت عن التقصير.  
 أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ : أي الكافر الملحد.  
 أَلَّن يَجْمَعَ عِظَامَهُ<sup>(٤)</sup> : أي ألا نجمع عظامه لنحييه للبعث والجزاء.  
 بَلْ قَدِيرِينَ : أي بلى نجمعها حال كوننا قادرين مع جمعها على تسوية بنانه.  
 عَلَيَّ أَنْ تُسَوَّى بَنَانُهُ<sup>(٥)</sup> : أي نجعل أصابعه كخف البعير أو حافر الفرس فلا يقدر على العمل الذي يقدر عليه الآن مع تفرقة أصابعه. كما نحن قادرون على جمع تلك العظام الدقيقة عظام البنان وردها كما كانت. كما نحن قادرون على تسوية تلك الخطوط الدقيقة في الأصابع والتي تختلف بين إنسان وإنسان اختلاف الوجوه والأصوات واللهجات.  
 بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ : أي بإنكاره البعث والجزاء.  
 لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ<sup>(٦)</sup> : أي ليوصل فجوره زمانه كله ولذلك أنكر البعث.  
 يَسْتَلْ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ<sup>(٧)</sup> : أي يسأل سؤال استنكار واستهزاء واستخفاف.  
 إِذَا رَأَى الْبَصُرَ<sup>(٨)</sup> : أي دهش وتحير لما رأى ما كان به يكذب.  
 وَخَسَفَ الْقَمَرَ<sup>(٩)</sup> : أي أظلم بذهاب ضوئه.  
 وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ<sup>(١٠)</sup> : أي ذهب ضوءهما وذلك في بداية الانقلاب الكوني الذي تنتهي فيه هذه الحياة.

يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ<sup>(١١)</sup> : أي إلى أين الفرار.

كَلَّا : ردع له عن طلب الفرار.

(١) في (لا) هنا توجيهان: الأول ما آثره ابن جرير وهو ما اخترناه في التفسير، وأنها نافية لدعوى سابقة إبطالاً لها والكلام بعدها مستأنف. والثاني أنها أي (لا) حرف نفي أدخل على (أقسم) لقصد المبالغة في تحقيق حرمة المقسم به؛ حيث يوهم السامع أن المتكلم بهم أن يقسم ثم يترك القسم مخافة الحنث بالمقسم به فيقول: لا أقسم به ولا أقسم بأعز منه عندي، والمراد تأكيد القسم، ووجه ثالث وهي أنها مزيدة لتقوية الكلام.

- لَا وَرَدَ ﴿١١﴾ : أي لا ملجأ يتحصن به. ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ ﴿١٢﴾ يُنْوَىٰ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ .  
 بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ : أي هو شاهد على نفسه حيث تنطق جوارحه بعمله.  
 وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾ ﴿١﴾ : أي فلا بد من جزائه ولو ألقى معاذيره.  
 لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ : أي لا تحرك بالقرآن لسانك قبل فراغ جبريل منه.  
 لَتَعَجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ : أي مخافة أن يتفلت منك.  
 إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ : أي في صدرك.  
 وَقُرْءَانَهُ ﴿١٧﴾ : أي قراءتك له حيث نجره على لسانك.  
 فَإِذَا قَرَأْتَهُ : أي قرأه جبريل عليك.  
 فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ﴿١٨﴾ : أي استمع قراءته.  
 ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتِهِ ﴿١٩﴾ : أي لك بتفهمك ما يشكل عليك من معانيه ﴿٢﴾ .  
 كَلَّا : أي ليس الأمر كما تزعمون أنه لا بعث ولا جزاء.  
 بَلْ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ : أي الدنيا فيعملون لها.  
 وَيَذُرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ : أي ويتركون الآخرة فلا يعملون لها.  
 وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ : أي حسنة مضيئة.  
 إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ : أي إلى الله تعالى ربها ناظرة فلا تحجب عنه تعالى.  
 وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ : أي كالحة مسودة عابسة.  
 تَنْظُرُ : أي توقن.  
 أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ : أي داهية عظيمة تكسر فقار الظهر.  
 كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ : أي النفس.  
 الرَّاقِيَ ﴿٢٦﴾ : جمع ترقوة أي عظام الحلق.  
 وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ : أي وقال من حوله من عواده أو ممرضيه هل هناك من يرقيه ليشفي.  
 وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ : أي أيقن أنه الفراق للدنيا لبلوغ الروح الحلقوم.  
 وَاللَّفَافِ السَّاقِ السَّاقِ ﴿٢٩﴾ : أي التفت إحدى ساقيه بالأخرى أو التفت شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة وما فيها من أهوال.  
 إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ : أي إذا بلغت الروح الحلقوم تساق إلى ربها وخالقها لتلقى جزاءها.

(١) المعاذير اسم جمع معذرة وليس جمعاً، لأن معذرة حقه أن يجمع على معاذير كمقبرة ومقابر، والمراد من معاذير الإنسان: ما يعتذر به كقولهم: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾، وقولهم: ﴿رَبِّ أَرْجِعُونِي ﴿١١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾ وقولهم: ﴿هَتُوْلَاءَ أَضَلُّوْنَا﴾ وقولهم: ﴿وَاللَّوْرَيْنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ .  
 (٢) أي تفسير ما فيه من الحدود والحلال والحرام وكيفيات العبادات.

فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿٣١﴾: أي الإنسان الذي يحسب أن لن يجمع الله عظامه ما صدق ولا صلى.  
 وَلَكِنْ كَذَّبَ: أي بالقرآن.  
 وَتَوَكَّى ﴿٣٢﴾: أي عن الإيمان.  
 ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ﴿٣٣﴾: أي يتبختر في مشيته إعجابًا بنفسه.  
 أَوْلَىٰ لَكَ: أي وليك المكروه أيها المعجب بنفسه المكذب بقاء ربه.  
 فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾: أي فهو أولى بك.  
 ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾: أي وليك المكروه مرة ثانية فأولى فهو أولى بك أيضًا.  
 أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾: أي مهملاً لا يكلف في الدنيا ولا يحاسب ولا يجزئ في الآخرة.  
 أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِن مَّيِّمَتِي يَمِينِي ﴿٣٧﴾: أي تصب في الرحم.  
 ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾: أي خلق الله منها الإنسان فسواه بتعديل أعضائه. ﴿جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾



## ٧٦ - سُورَةُ الْإِنشَاءِ

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى : أي قد أتى (١).

عَلَى الْإِنسَانِ : أي آدم ﷺ.

حِينَ مِنَ الذَّهْرِ : أي أربعون سنة.

لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (١) : أي لا نباهة ولا رفعة له لأنه طين لازب وحمأ مسنون وذلك قبل أن

ينفخ الله تعالى فيه الروح.

إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ : أي أخلاط من ماء المرأة وماء الرجل.

نَبْتَلِيهِ : أي نختبره بالتكاليف بالأمر والنهي عند تأهله لذلك بالبلوغ والعقل. ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا

بَصِيرًا (٢)﴾.

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ : أي بينا له طريق الهدى ببعثة الرسل وإنزال الكتب. ﴿إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِنَّمَا كَفُورًا

(٣)﴾.

إِنَّا أَعْتَدْنَا : أي هيأنا. ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾.

سَلَاسِلًا : أي يسحبون بها في نار جهنم.

وَأَغْلَقْنَا : أي في أعناقهم.

وَسَعِيرًا (٤) : أي نارا مسعرة مهيجة.

إِنَّ الْأَبْرَارَ : أي المطيعين لله ورسوله الصادقين في إيمانهم وأقوالهم وأحوالهم.

يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا : أي ما تمزج به وتخلط. ﴿كَافُورًا (٥)﴾.

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) : أي يجرونها ويسيلونها حيث شاءوا. ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ

يَوْمًا (٢)﴾.

كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) : أي ممتدًا طويلًا فاشيًا منتشرًا. ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ وَنْيَمًا وَأَسِيرًا

(٨)﴾ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا (٩)﴾.

إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا (١٠) : أي تكلح الوجوه من طوله وشدته.

(١) الاستفهام تقريرى بمعنى قد أتى على الإنسان كذا. وجائز أن يكون المراد من الإنسان غير آدم، وكون آدم هو المراد من الآية أولى.

(٢) النذر: هو ما يوجبه المكلف على نفسه في الطاعة، ولو لم يوجبه لم يلزمه.

فَوَقَّهْمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَهُ وَسُرُورًا ﴿١١﴾ : أي حسناً ووضاءة في وجوههم وفرحاً في قلوبهم. ﴿وَجَزَّهْمُ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ .

مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ : أي على الأسرة بالحجلة. واحدة الأرائك: أريكة.

لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ : أي ولا برداً شديداً ولا قمرًا إذ هي تضاء من نفسها.

وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا : أي قريبة منهم ظلال أشجار الجنة.

وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا ﴿١٤﴾ : أي ينالها المؤمن قائماً وقاعداً ومضطجعاً.

وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِتَابِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ : أي يرى باطنها من ظاهرها.

وَأَكْوَابٍ : أي أقداح بلا عرا. ﴿كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا نَقِيرًا ﴿١٦﴾﴾ : أي على قدر الشاربين

بلا زيادة ولا نقص.

وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا : أي خمراً.

كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾ : أي ما تمزج وتخلط به زنجبيلاً. ﴿عَيْنَا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ .

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ : أي بصفة الولدان لا يشيرون.

إِذَا رَأَوْهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنشُورًا ﴿١٩﴾ : أي من سلكه أو من صدفه لحسنهم وجمالهم وانتشارهم في

الخدمة.

وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ : أي في الجنة رأيت <sup>(١)</sup>.

نِعِيمًا : لا يوصف.

وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ : أي ملكاً واسعاً لا يقدر.

عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ : أي حرير. ﴿خُضْرٌ﴾ .

وَإِسْتَبْرَقٌ : أي ما غلظ من الديباج.

وَحُلُوعًا أَسَاوِرَ مِّنْ فِضَّةٍ : أي تحليهم الملائكة بها.

وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ : أي فائقاً على النوعين السابقين؛ ولذا أسند سقيه إلى الله ﷻ.

إِنَّ هَذَا : أي النعيم. كَانَ لَكُمْ جَزَاءً .

وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ : أي مرضياً مقبولاً.

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ نَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾ : أي شيئاً فشيئاً ولم ننزله جملة واحدة لحكمة بالغة.

فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ : أي عليك بحمل رسالتك وإبلاغها إلى الناس.

وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ إِنَّمَا أَوْكَفَرُوا ﴿٢٤﴾ : الأثم هنا عتبة بن ربيعة، والكفور الوليد بن المغيرة.

وَأذْكُرْ أُمَّتَ رَبِّكَ بِكُرَّةٍ وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ : أي صلِّ الصبح والظهر والعصر.

(١) ثم أي هناك.



وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ: أي صلِّ صلاة المغرب والعشاء.  
 وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٦٦﴾: أي تهجد بالليل نافلة لك.  
 إِنَّكَ هُنَالِكَ تَجْتَئِبُونَ الْعَاجِلَةَ: أي الدنيا.  
 وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمَاتٍ قِيلًا ﴿٦٧﴾: أي يوم القيامة.  
 نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ: أي قوينا أعضاءهم ومفاصلهم.  
 وَإِذَا بَشَّرْنَا بِذُنُوبِهِمْ تَدْبِيرًا ﴿٦٨﴾: أي جعلنا أمثالهم في الخلقة بدلًا منهم بعد أن نهلكهم.  
 إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ: أي عظة للناس.  
 فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٦٩﴾: أي طريقًا إلى مرضاته وجواره بالإيمان والعمل الصالح  
 وترك الشرك والمعاصي. ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٧٠﴾﴾.  
 يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ: أي الجنة.  
 وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٧١﴾: أي في النار، والأليم ذو الألم المجمع.



## ٧٧ - سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١): المرسلات الرياح الطيبة والعرف المتتابعة (١).  
 فَأَلْعَصَفْتَ عَصْفًا (٢): فالرياح الشديدة الهبوب المضرة لشدها.  
 وَالنَّشِيرَاتِ فَشْرًا (٣): الرياح - تنشر المطر وتفرقه في السماء نشرًا.  
 فَأَلْفَرِقَتْ فَرْقًا (٤): أي آيات القرآن الكريم تفرق بين الحق والباطل.  
 فَأَلْمَلَقَيْنِ ذِكْرًا (٥): أي فالملائكة تلقي بالوحي على الأنبياء للتذكير به.  
 عَذْرًا أَوْ نَذْرًا (٦): أي للإعذار بالنسبة إلى أقوام أو إنذار بالنسبة إلى آخرين.  
 إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (٧): أي إن ما توعدون أيها الناس لكائن لا محالة.  
 فَإِذَا التَّجُومُ طُمِسَتْ (٨): أي محيي نورها وذهبت.  
 وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩): أي انشقت وتصدعت.  
 وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِفَتْ (١٠): أي نسفت فإذا هي هباء منبث مفرق هنا وهناك.  
 وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِنَتْ (١١): أي جمعت لوقت حدد لها لتحضر فيه. ﴿لَا يَوْمَ أُجِّلَتْ (١٢)﴾  
 لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣): أي اليوم الذي يفصل الله تعالى فيه بين الخلائق. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ (١٤)﴾  
 ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَ الْبُرُوجِ الْمَكْذِبِينَ (١٥)﴾ (٢)  
 أَلَمْ تُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٦): أي كقوم نوح وعاد وثمود ومن بعدهم إلى البعثة النبوية وذلك

بتكذيبهم.

- ثُمَّ نُنَبِّئُهُمُ الْآخِرِينَ (١٧): أي إن أصروا على التكذيب ككفار مكة.  
 كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨): أي مثل ذلك الهلاك نهلك المجرمين (٣).  
 وَبَلِّغْ يَوْمَ الْبُرُوجِ الْمَكْذِبِينَ (١٩): أي إذا جاء وقت الهلاك ويل فيه للمكذبين.  
 أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ (٢٠): أي المنى والمهين الضعيف.

(١) جازئ أن يراد بالمرسلات والعاصفات والناشرات: الملائكة، وكونها الرياح أظهر في التفسير وهو اختيار ابن جرير.

(٢) الويل الذي هو واد في جهنم تستغيث جهنم من حره.

(٣) لفظ الإجماع أصبح كالعلم على أهل الشرك والكفر؛ إذ هم الذين أجمروا على أنفسهم بأعظم الذنوب وأشدّها إفسادًا للروح وهو الشرك والكفر، وما بعد الكفر ذنب كما يقال.

- فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٣١﴾ : أي حريز وهو الرحم.
- إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٢﴾ : أي إلى وقت الولادة.
- فَقَدَرْنَا : أي خلقه.
- فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٣٣﴾ : أي نحن على الخلق والتقدير ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾﴾ .
- أَلَّا تَجْعَلَ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٣٥﴾ : أي تكفت الناس أي تضمهم.
- أَحْيَاءَ : أي فوق ظهرها.
- وَأَمْوَاتًا ﴿٣٦﴾ : في بطنها.
- وَجَعَلْنَا فِيهَا رُوسًا شَهِيجَاتٍ : أي جبالاً عاليات.
- وَأَسْفَيْنَا فِيهَا مَاءً فُرَاتًا ﴿٣٧﴾ : أي عذباً. ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ .
- أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٣٩﴾ : أي من العذاب.
- أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثُلُثِ شَعْبٍ ﴿٤٠﴾ : أي دخان جهنم إذا ارتفع انقسم إلى ثلاث شعب لعظمته.
- لَا ظَلِيلٍ : أي كنين ساتر يكن ويستتر.
- وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٤١﴾ : أي ولا يرد شيئاً من الحر.
- إِنَّهَا : أي النار.
- تَرْمِي بِشَكْرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٤٢﴾ : أي الشررة الواحدة كالقصر في عظمته وارتفاعه.
- كَأَنَّهُ جُمَلَةٌ صُفْرٌ ﴿٤٣﴾ : أي الشرر المتطاير من النار الشررة كالقصر في عظمتها وارتفاعها،  
وكالجمل في هيئتها ولونها، والجمل الأصفر: الأسود الذي يميل إلى صفرة. ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٤﴾﴾ .
- هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٤٥﴾ : أي فيه بشيء.
- وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ : أي في العذر. ﴿فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ .
- هَذَا يَوْمٌ الْفَصْلُ جَمْعُكُمْ وَالْأُولَى ﴿٤٨﴾ : أي من المكذبين قبلكم.
- فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ﴿٤٩﴾ : أي حيلة في دفع العذاب فاحتالوا لدفع العذاب عنكم ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٥٠﴾﴾ .
- إِنَّ الْمُنْفِقِينَ : أي الذين اتقوا ربهم فأمنوا به وأطاعوه بفعل ما يحب وترك ما يكره.
- فِي ظِلِّلٍ : أي في ظلال الأشجار الوارفة.
- وَعَبُوبٍ ﴿٥١﴾ : أي من ماء ولبن وخبث وعسل.
- وَفَوْكَةً مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٢﴾ : لا مما يجدون كما هي من الحال في الدنيا ﴿كُلُوا وَأَشْرَبُوا وَهْنًا بِمَا كُنتُمْ

(١) أي يتمنون إذ أكلهم للذة الأكل لا للحفاظ على الجسم، كما في الدنيا يأكل الأدمي للإبقاء على حياته.

تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ .

إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ : أي كما جزينا المتقين نجزي المحسنين <sup>(١)</sup> . ﴿وَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ

﴿٤٥﴾ .

كُلُوا وَتَمَنَعُوا قَلِيلًا : أي في هذه الحياة الدنيا . ﴿إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ : أي صلوا لا يصلون . ﴿وَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ .

فِي آيِ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ : أي بعد القرآن إذ الكتب غيره ليست معجزة والقرآن هو

المعجز بألفاظه ومعانيه فمن لم يؤمن بالقرآن ما آمن بغيره بحال من الأحوال <sup>(٢)</sup> .

(١) إن المحسنين هم المتقون، وإنما ذكر صفة الإحسان؛ لأن التقوى التي هي فعل وترك متوقفة على الإحسان الذي هو مراقبة الله تعالى المنتجة إحسان النيات والأعمال الصالحات .

(٢) الجواب: عند قوله تعالى: ﴿فِي آيِ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ آمنت بالله (قل) .

## ٧٨ - سُورَةُ النَّبَاِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ : أي عن أي شيء؟

بِنِسَاءِ لُؤَانَ (١) : أي يسأل بعض قريش بعضًا.

عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ (٢) : أي ما جاء به محمد ﷺ من التوحيد والنبوة والبعث الآخر.

الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) : أي ما بين مصدق ومكذب.

كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) : عاقبة تكذيبهم عند نزع أرواحهم وعند خروجهم من (١) قبورهم. كَلَّا سَيَعْلَمُونَ

(٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا (٦) : أي وطاءً وفراشًا للحياة عليها.

وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) : أي تثبت بها الأرض كما تثبت الخيمة بالأوتاد. ﴿وَحَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ (٨) (٩)

وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) : أي راحة لأبدانكم.

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا (١٠) : أي ساترًا بظلامه وسواده.

وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) : أي وقتًا للمعاش كسبًا وأكلًا.

وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) : أي قوية محكمة، الواحدة شديدة والجمع شداد وهي السموات السبع.

وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا (١٣) : أي ضوء الشمس وهاجًا وقادًا.

وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ (١٤) أي السحابات التي حان لها أن تمكر كالجارية المعصر التي دنا وقت حيضها.

مَاءً نَّجَاجًا (١٥) : أي صبابًا. ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ (١٥)

وَجَعَلْنَا أَلْفَاظًا (١٦) : بساتين ملتفة.

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ : أي الفصل بين الخلائق ليجزئ كل امرئ بما كسب.

كَانَ مِيقَاتًا (١٧) : أي ذا وقت محدد معين لدى الله ﷻ فلا يتقدم ولا يتأخر.

يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ : أي يوم ينفخ إسرافيل في الصور.

فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) : أي تأتون أيها الناس جماعات جماعات إلى ساحة فصل القضاء.

وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ : أي لنزول الملائكة. ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ (١٩)

وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ : أي ذهب بها من أماكنها.

(١) كلا هنا بمعنى حقًا سيعلمون صحة ما هم به مكذبون وله منكرون.

(٢) الزوج: هو مكرر الواحد، وشاع إطلاق الزوج على كل من الذكر والأنثى؛ فالرجل زوج لأنثاه والمرأة زوج لزوجها.

فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ : أي مثل السراب فيترأى ماء وهو ليس بماء فكذلك الجبال.  
 إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ : أي راصدة لهم مرصدة للظالمين مرجعًا يرجعون إليها. لِلظَّالِمِينَ مَنَابًا ﴿٢٢﴾.  
 لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ : أي دهورًا لا نهاية لها.  
 لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ : أي نومًا ولا شرابًا مما يشرب تلهذاً به إذ شرابهم الحميم.  
 إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا ﴿٢٥﴾ : أي ما يسيل من صديد أهل النار، جوزوا به عقوبة لهم.  
 جَزَاءً وَفَاءً ﴿٢٦﴾ : إذ لا ذنب أعظم من الكفر، ولا عذاب أعظم من النار. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ ﴿٢٧﴾ .

وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾ : أي تكذيبًا. ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ ﴿٢٩﴾ .  
 فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ : أي فوق عذابكم الذي أنتم فيه.  
 إِنَّ الْمُتَّقِينَ : أي الذين اتقوا الشرك والمعاصي خوفًا من ربهم وعذابه.  
 مَفَازًا ﴿٣١﴾ : أي مكان فوز ونجاة وهو الجنة.  
 حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ : أي بساتين وأعنابًا.

وَكُواعِبَ : أي شابات تكعبت ثديهن، الواحدة كاعب والجمع: كواعب.  
 أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ : أي في سن واحدة، وأتراب جمع واحده: ترب.  
 وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ : أي خمرة كأسها ملأى بها.  
 لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا : أي في الجنة.  
 لَعْوًا : أي باطلاً.

وَلَا كِذَابًا ﴿٣٥﴾ : أي ولا كذبًا من القول.

جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ : أي عطاء كثيرًا كافيًا يقال: أعطاني فأحسبني. ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ ﴿٣٧﴾ .

يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ : ملك عظيم يقوم وحده صفاً.

وَالْمَلٰٓئِكَةُ صَفًّا : أي وحدهم. لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ .

فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَنَابًا ﴿٣٩﴾ : أي مرجعًا سليمًا وذلك بالإيمان والتقوى إذ بهما تكون النجاة. ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ﴾ ﴿٤٠﴾ .

مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ : أي ما أسلفه في الدنيا من خير وشر.

وَيَقُولُ الْكَافِرُ بَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤١﴾ : أي حتى لا أعذب وذلك يوم يقول الله تعالى للبهائم: كوني

ترابًا؛ وذلك بعد الاقتصاص لها من بعضها بعضًا.



## ٧٩ - سُورَةُ النَّازِعَاتِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- وَالَّتِي عَلَّمَتْ غُرَفًا ①: أي الملائكة تنزع أرواح الفجار والكفار عند الموت بشدة.
- وَالَّتِي نَسِطَتْ نَشْطًا ②: أي الملائكة تنشط أرواح المؤمنين الصالحين نشطاً أي تسليها برفق.
- وَالَّتِي سَبَّحَتْ سَبْحًا ③: أي الملائكة تسبح من السماء بأمر الله أي تنزل به إلى الأرض.
- فَالَّتِي سَبَقَتْ سَبْقًا ④: أي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة.
- فَالْمُدِيرَاتِ أَمْرًا ⑤: أي الملائكة تدبر أمر الدنيا أي تنزل بتدبيره من لدن الله المدبر الحكيم.
- يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ⑥: أي النفخة الأولى نفخة الفناء التي يتزلزل كل شيء معها.
- تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ⑦: أي النفخة الثانية.
- قُلُوبٌ يَوْمَ يَمْذَرُ أَوَّحًا ⑧: أي خائفة قلقة. ﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةً ⑨﴾
- يَقُولُونَ أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ⑩: أي أنرد بعد الموت إلى الحياة إذ الحافرة اسم لأول الأمر.
- ﴿أَيُّ ذَا كُنَّا عِظَمًا نَحْرَةً ⑪﴾ بالية مفتتة.
- قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ⑫: أي رجعة إلى الحياة خاسرة.
- فَأَنمَأَتْهُ زَجْرَةً وَجْدَةً ⑬: أي نفخة واحدة.
- فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ⑭: أي بوجه الأرض أحياء سميت ساهرة لأن من عليها بها يسهر ولا ينام.
- هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ مُوسَى ⑮: أي موسى بن عمران عليه السلام.
- إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ⑯: أي بالواد الطاهر المبارك المسمى بطوى.
- أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ: أي بأن اذهب إلى فرعون.
- إِنَّهُ طَغَى ⑰: أي تجاوز حده كعبد إلى ادعاء الربوبية والألوهية.
- فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنَا تَرَكْتُ ⑱: أي تسلم فتطهر من رجس الشرك والكفر بالإسلام لله تعالى.
- وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ⑲: أي أرشدك إلى معرفة ربك الحق فتخشاه وتطيعه فتنجو من عذابه.
- فَأَرَبُّهُ آيَةُ الْكُبْرَى ⑳: أي العصا واليد إذ هي من أكبر الآيات الدالة على صدق موسى. ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى ㉑﴾
- ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ㉒ ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى ㉓﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ㉔: أي بعدما كذب وعصى رجع يجمع جموعه ويحشر جنوده لحرب موسى وقال كلمة الكفر: أنا ربكم الأعلى فلا طاعة إلا لي.
- فَأَعْنَدَهُ اللَّهُ تَكَالَ الْآخِرَةَ وَالْأُولَى ㉕: أي عذبه تعالى عذاب الآخرة وهو قوله ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾، وعذاب الأولى وهي قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ㉖﴾.

عَٰنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءَ : أي أشد خلقًا. ﴿٧٧﴾ .

رَفَعَ سَمَكَهَا : أي غلظها وارتفاعها.

فَسَوَّيْنَاهَا ﴿٢٨﴾ : أي جعلها مستوية سطحًا واحدًا ما فيها نتوء ولا انخفاض.

وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا : أي أظلمه جعله مظلمًا.

وَأَخْرَجَ صُحُفَهَا ﴿٢٩﴾ : أي ضوءها ونهارها.

وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ : أي بعد أن خلق الأرض خلق السماء<sup>(١)</sup> ثم دحا الأرض أي

بسطها. ﴿٣١﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ .

وَالجِبَالَ أَرْسَنَاهَا ﴿٣٢﴾ : أي أثبتها على سطح الأرض لتثبت ولا تميد بكم.

مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَمِكُمْ ﴿٣٣﴾ : أي أخرج من الأرض ماءها ومرعاهها، وبالجبال أرساها متاعًا لكم

ولأنعامكم وهي المواشي من الحيوان.

فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ﴿٣٤﴾ : أي النفخة الثانية، وأصل الطامة الداهية التي تعلقو كل داهية.

يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾ : أي ما عمل في الدنيا من خير وشر. وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴿٣٦﴾ .

فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ : أي كفر وظلم.

وَأَثَرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ : أي باتباع الشهوات.

فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ : أي النار مأواه.

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ : أي قيامه بين يديه ليسأله عما قدم وأخر.

وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿٤٠﴾ : أي المردي المهلك باتباع الشهوات.

فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ : أي مأواه الذي يأوي إليه بعد الحساب.

يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ : أي القيامة للحساب والجزاء.

أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ : أي متى وقوعها وقيامها.

فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا ﴿٤٣﴾ : أي في أي شيء من ذكراها أي ليس عندك علمها حتى تذكرها.

إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَبَهَا ﴿٤٤﴾ : أي مستهى علمها إلى الله وحده فلا يعلمها سواه. إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَحْشَاهَا ﴿٤٥﴾ .

كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَسُوا : أي في قبورهم.

إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى ﴿٤٦﴾ : أي عشية يوم أو ضحى تلك العشية.



(١) اختلف في أيها خلق الله تعالى أولاً الأرض أم السماء؟ والراجع أنها الأرض أولاً لقوله: ﴿ قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ... ﴾ إلى قوله: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ الآية من سورة فصلت. وطريق الجمع كما في التفسير خلق الأرض أولاً ثم السموات ثم عاد إلى الأرض فدحاها بمعنى أخرج منها ماءها ومرعاه أي أعدها إعدادًا خاصًا لحياة الإنسان والحيوان، وهو المراد من قوله: ﴿ دَحَاهَا ﴾ إذ الدحو البسط والتسوية والترتيب.



## ٨٠- سُورَةُ عَبَسَ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ : أي النبي ﷺ بمعنى كلح وجهه وتغير.

وَتَوَلَّى (١) : أي أعرض.

أَنْ جَاءَهُ الْأَعْيُنُ (٢) : أي لأجل أن جاء عبد الله بن أم مكتوم فقطعه عما هو مشغول به من دعوة

بعض أشرف قريش للإسلام.

وَمَا يَذُرُكَ لَعَلَّهُ يَزْكِي (٣) : أي يتطهر من الذنوب.

أَوْ يَذُكَّرُ : أي يتعظ.

فَتَنَفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) : أي الموعدة.

أَمَّا مَنْ أَسْتَفْتَى (٥) : أي عن الإيمان والعلم والدين بالمال والجاه.

فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) : أي تقبل عليه وتتصدى له.

وَمَا عَلَيْكَ الْأَلْبُرُكَى (٧) : أي ليس عليك بأس في عدم تزكيتك نفسه بالإسلام.

وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) : أي في طلب الخير من العلم والهدى.

وَهُوَ يَخْشَى (٩) : يخشى الله تعالى ويخاف عقابه.

فَأَنْتَ عَنْهُ لَلْهُى (١٠) : أي تشاغل.

كَلَّا : أي لا تعد لمثل ذلك.

إِنَّمَا نَذْرٌ (١١) : أي الآيات عظة للخلق. فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ (١٢).

فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ (١٣) : أي عند الله.

مَرْفُوعَةٍ : أي في السماء.

مُطَهَّرَةٍ (١٤) : أي منزهة عن مس الشياطين.

بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) : كتبه ينسخونها من اللوح المحفوظ.

كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦) : مطيعين لله وهم الملائكة.

قُلِيلَ الْإِنْسَانِ : لعن الإنسان الكافر.

مَا أَكْفَرَهُ (١٧) : أي ما حملة على الكفر (١) ؟

(١) جائز أن تكون (ما) تعجبية إذ من عادة العرب إذا تعجبوا من شيء قالوا فيه: قاتله الله ما أحسنه أو ما أقبحه أو ما

مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۗ ﴿١٨﴾ : من نطفة خلقه.  
 مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ۗ ﴿١٩﴾ : أي من نطفة إلى علقة إلى مضغة فبشر سوي.  
 ثُمَّ السَّيْلَ يَسَّرَهُ ۗ ﴿٢٠﴾ : أي سبيل الخروج من بطن أمه. ﴿ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ ۗ ﴿٢١﴾﴾  
 ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ۗ ﴿٢٢﴾ (١) : أي إذا شاء إحياءه أحياءه.  
 كَلَّا : حقًا أو ليس الأمر كما يدعي الإنسان أنه أدنى ما عليه من الحقوق.  
 لَمَّا يَفِضْ مَا أَمَرَهُ ۗ ﴿٢٣﴾ : أي ما كلفه به من الطاعات والواجبات في نفسه وماله.  
 فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۗ ﴿٢٤﴾ : أي كيف قدر ودبر له. ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾﴾  
 فَأَبْتُنَا فِيهَا جَمًّا ﴿٢٧﴾ : أي الحب الحنطة والشعير.  
 وَعَبْنَا وَقَضَبًا ﴿٢٨﴾ : أي القضب الرطب وسمي قضبًا لأنه يقضب أي يقطع مرة بعد مرة. وَزَيَّنَّا  
 وَخَلَّا ﴿٢٩﴾

وَحَدَّايِقَ عَلْبًا ﴿٣٠﴾ : أي كثيرة الأشجار؛ والواحدة غلباء كحمراء كثيفة الشجر.  
 وَفَكَهْمًا وَأَبًّا ﴿٣١﴾ : أي ما يتفكه به من سائر الفواكه، والأب: التبن وما ترعاه البهائم.  
 مَنَعًا لَكُمْ وَلِأَنْعِمَ لَكُمْ ۗ ﴿٣٢﴾ : أي ما تقدم ذكره منفعة لكم ولأنعامكم التي هي الإبل والبقر والغنم.  
 فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ ﴿٣٣﴾ : أي النفخة الثانية. ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾﴾  
 وَصَحْبِيهِ : أي زوجته. ﴿وَبَيْنِهِ ﴿٣٦﴾﴾  
 لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَ يَدْرُسُ شَأْنٌ يَخْفَى ﴿٣٧﴾ : أي حال تشغله عن شأن غيره.  
 وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُنْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ : أي مضيئة. ﴿صَاحِكَةٌ مُنْتَبِشَةٌ ﴿٣٩﴾﴾  
 وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلْتُهُا عَبْرَةٌ ﴿٤٠﴾ : أي غبار.  
 تَرَهَقَهَا فَتْرَةٌ ﴿٤١﴾ : أي ظلمة من سواد، ومعنى ترهقها تغشاها.  
 أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجْرَةُ ﴿٤٢﴾ : أي الجامعون بين الكفر والفجور.



أجراه مثلًا أي اعجبوا الخلقه من نطفة مع كفره بربه.  
 (١) أنشره ونشره بمعنى واحد أي أحياءه بعد موته وسيشاء ذلك فينشره يوم القيامة للحساب والجزاء.

## ٨١ - سُورَةُ التَّكْوِينِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- إِذَا : أي ظرف لما ذكر بعد من المواضع الاثني عشر، وجوابها علمت نفس ما أحضرت.
- أَلْتَمَسُ كُورَتَ ① : أي لفت وذهب بنورها.
- وَإِذَا النُّجُومُ آنكَدَرَتْ ② : أي انقضت وتساقطت على الأرض.
- وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ③ : ذهب بها عن وجه الأرض فصارت هباء منبثًا.
- وَإِذَا الْعُشَارُ : أي النوق الحوامل.
- عُطِلَّتْ ④ : أي تركت بلا راع أو بلا حلب لما دهاهم من الأمر.
- وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ⑤ : أي جمعت وماتت.
- وَإِذَا الْيَحَارُ سُجِّرَتْ ⑥ : أي أوقدت فصارت نارا.
- وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ⑦ : أي قرنت بأجسادها ثم بقرنائها وأمثالها في الخير والشر.
- وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ : أي البنت تدفن حية خوف العار أو الحاجة.
- سُيِّلَتْ ⑧ : أي تبكيًا لقاتلها.
- بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ⑨ : أي بلا ذنب.
- وَإِذَا الصُّعُفُ نُشِرَتْ ⑩ : أي صحف الأعمال فتحت وبسطت.
- وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ⑪ : أي نزع عن أماكنها كما ينزع الجلد عن الشاة.
- وَإِذَا الْحَجِيمُ سُعِرَتْ ⑫ : أي النار أجمعت.
- وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ ⑬ : أي قربت لأهلها ليدخلوها.
- عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ⑭ : أي كل نفس وقت هذه المذكورات ما أحضرت من خير وشر.
- فَلَا أُقِيمُ بِالْحُنَيْرِ ⑮ : أي التي تخنس بالنهار أي تختفي وتظهر بالليل.
- الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ⑯ : أي التي تجري أحيانًا وتكنس في مكانسها أحيانًا أخرى، والمكانس محل إيوائها كمكانس بقر الوحش وهي الدراري الخمسة: عطارد والزهرة و المريخ والمشتري وزحل.
- وَأَلْتَلِ إِذَا عَسَعَسَ ⑰ : أي أقبل أو أدبر لأن عسعس من أسماء الأضداد.
- وَالصُّبْحُ إِذَا نَفَسَ ⑱ : أي امتد حتى يصير نهارًا بينًا.
- إِنَّهُ : أي القرآن.
- لَقَوْلِ رَسُولٍ كَرِيمٍ ⑲ : أي جبريل، كريم على الله تعالى، وأضيف إليه القرآن لنزوله به.

ذِي قُوَّةٍ : أي شديد القوى.

عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ : أي عند الله تعالى ذي مكانة.

مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ : أي مطاع في السماء تطيعه الملائكة، أمين على الوحي.

وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ : أي محمد ﷺ. أي ليس به جنون.

وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأَفْقِ الْمُنِيِّنِ ﴿٢٣﴾ : أي ولقد رأى النبي ﷺ. جبريل على صورته التي خلق عليها بالأفق

الأعلى البين من ناحية المشرق.

وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ : أي وما محمد ﷺ على الغيب وهو ما غاب من الوحي وخبر السماء.

بِضْنَيْنٍ ﴿٢٤﴾ : أي بمتهم، وفي قراءة بالضاد أي ببخيل فينقص منه ولا يعطيه كله<sup>(١)</sup>.

وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيزٍ ﴿٢٥﴾ : أي وليس القرآن بقول شيطان مستترق للسمع مرجوم.

فَأَن تَذَهَبُونَ ﴿٢٦﴾ : أي فأيُّ طريق تسلكون في إنكاركم القرآن وإعراضكم عنه.

إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ : أي ما القرآن إلا موعظة للإنس والجن.

لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ : أي يتحرى الحق ويعتقده ويعمل بمقتضاه.

وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ : أي ومن شاء الاستقامة منكم فإنه لم يشأها إلا بعد

أن شاءها الله قبله إذ لو لم يشأها الله ما شاءها عبده.



(١) قرئ في السبع بالطاء ومعناه بمتهم من ظنته كذا، وقرئ (بضنين) بالضاد بمعنى ببخيل، ولذا شرحت الآية مراعيًا فيها القراءتين، وكلا المعنيين صحيح فلا هو متهم على الوحي ولا يبخل به ولا بغيره.

## ٨٢ - سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ① : أي انشقت.
- وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ② : أي تساقطت.
- وَإِذَا الْيَحَاوُ فُجِرَتْ ③ : أي اختلطت ببعضها وأصبحت بحرًا واحدًا الملح والعذب سواء.
- وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ④ : قلب ترابها وبعث موتاها.
- عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ⑤ : أي ما قدمت من الأعمال وما أخرت منها فلم تعمله، وذلك عند قراءتها كتاب أعمالها.
- يَتَأْتِيَهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَفَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ⑥ : أي أي شيء خدعك وجراك على عصيانه.
- الَّذِي خَلَقَكَ : أي بعد أن لم تكن.
- فَسَوِّدَكَ : أي جعلك مستوي الخلقة سالم الأعضاء.
- فَعَدَّلَكَ ⑦ : أي جعلك معتدل الخلق متناسب الأعضاء، ليست يد أطول أو رجل أطول من الأخرى.
- فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ⑧ : إن شاء بيضك أو سودك، طولك أو قصرك، جعلك ذكرًا أو أنثى، إنسانًا أو حيوانًا.
- كَلَّا بَلْ تُكذِّبُونَ بِالذِّينِ ⑨ : ليس الكرم هو الذي غره، وإنما جراه على المعاصي تكذيبه بالدين الذي هو الجزاء بعد البعث حيًا من قبره.
- وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ⑩ : أي وإن عليكم لملائكة كرامًا على الله تعالى حافظين لأعمالكم.
- كِرَامًا كَاتِبِينَ ⑪ : أي لها أي لأعمالكم خيرها وشرها حسنها وقبيحها. ﴿يَعْمَلُونَ مَا نَأْمُرُونَ﴾ ⑫ .
- إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ⑬ : أي المؤمنين المتقين الصادقين.
- وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ⑭ : أي الكافرين والخارجين عن طاعة الله ورسوله.
- يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الذِّينِ ⑮ : أي يدخلونها ويقاسون حرها يوم الجزاء وهو يوم القيامة.
- وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ⑯ : أي بمخرجين.
- وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الذِّينِ ⑰ : أي أي شيء جعلك تدري لولا أنا علمناك. ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ

الذِّين ﴿١٨﴾

يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا : أي من المنفعة وإن قلت.  
وَالْأَمْرُ يَوْمَ لِلَّهِ ﴿١٩﴾ : أي لا لغيره، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا بإذنه.



## ٨٣- سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

«مَدِينَةُ الْأَوَائِلِ مَكِّيَّةُ الْأَوَاخِرِ»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ: كلمة عذاب، ووادٍ في جهنم.

لِلْمُطَفِّفِينَ (١): المنقصين في كيل أو وزن، الباخسين فيهما.

الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ: أي من الناس.

يَسْتَوْفُونَ (٢): الكيل.

وإِذَا كَالُوهُمْ: أي كالوا لهم.

أَوْ وَزَنُوهُمْ: أي وزنوا لهم.

يُخْسِرُونَ (٣): أي ينقصون الكيل أو الوزن.

أَلَا: استفهام توبيخي إنكاري.

يَظُنُّ أَوْلِيكَ: أي يتيقن. ﴿أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ (٤).

لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥): أي يوم القيامة لما فيه من أهوال وعظائم الأمور.

يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ: أي من قبورهم.

لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦): أي يقومون خاشعين ذليلين ينتظرون حكم الله فيهم.

كَلَّا: أي حقًا وأن الأمر ليس كما يظن المطففون.

إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سَجِينٍ (٧): سجين علم على كتاب ديوان الشر، دون فيه أعمال الشياطين

وأعمال الكفرة، وهو أيضًا موضع في أسفل الأرض السابعة، فيه سجين الذي هو ديوان الكتب

وبه أرواح الأشقياء عامة. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ﴾ (٨).

كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (٩): أي مسطور بين الكتابة فيه أعمالهم. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (١٠).

الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ (١١): أي يوم القيامة الذي هو يوم الحساب والجزاء.

وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ: أي ظالم مضيع حقوق ربه تعالى وحقوق غيره.

أَتَيْعٍ (١٢): منغمس في الآثام مكثر منها.

إِذَا نُنَادَى عَلَيْهِ إِتْنَا قَالَ أَسْطَرِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٣): أي ما سطره الأولون من القصص والأخبار التي لا تصح.

كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ: أي غطى قلوبهم وحجبها عن قبول الحق (١).

(١) روى الترمذي وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة

مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ : أي من الذنوب والآثام.  
 كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُجُونَ ﴿١٥﴾ : أي يحال بينهم وبين رؤية الرب يوم القيامة.  
 ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ : أي لداخلوها ومحرقون معذبون بها.  
 ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ : أي يقال لهم توبيخًا وخزيًا لهم وهم في العذاب: هذا الذي كنتم به تكذبون.

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبِيَاءِ : أي كتاب أعمالهم، والأبرار هم المطيعون لله ولرسوله الصادقون.  
 لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ : أي في موضع يسمى عليين في أعلى الجنة<sup>(١)</sup>. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾﴾.  
 كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ : أي كتاب مرقوم بأمان من الله إياه من النار يوم القيامة والفوز بالجنة.  
 يَشْهَدُهُ الْمُفَرِّقُونَ ﴿٢١﴾ : أي يحضره المقربون من أهل كل سماء، ويحفظونه لأنه يحمل أمانًا لصاحبه من النار وفوزه بالجنة.

إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ : أي إن الذين بروا ربهم بطاعته، بأداء الفرائض واجتناب النواهي لفي نعيم الجنة.

عَلَى الْأَرْبَابِ : أي على الأسرة ذات الحجال.

يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ : أي ما آتاهم ربهم من صنوف النعيم<sup>(٢)</sup>.  
 تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ : أي حسنه وبريقه وتلاؤه.  
 يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ : أي من خمر صرف خالصة لا غش فيها ولا دنس.  
 مَخْحُومٍ ﴿٢٥﴾ : أي مختوم على إنائها لا يفك ختمه إلا هم.  
 خِتْمُهُ مِسْكَ : أي آخر شربها يفوح برائحة المسك.  
 وَفِي ذَلِكَ : أي لا في غيره.

فَلْيَتَنَفَّسْ الْمُتَنَفِّسُونَ ﴿٢٦﴾ : أي فليطلب بالطاعة والاستقامة الطالبون للنعيم المقيم.  
 وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ : أي ومزاج شربهم من عين تجري من عالٍ تسمى التسنيم.  
 عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ : عينا هي التسنيم يشرب منها المقربون صرفًا، وتمزج لأصحاب اليمين.

إِنَّ الَّذِينَ أُجْرِمُوا : أي على أنفسهم بالشرك والمعاصي كأبي جهل وأميه بن خلف وعتبة بن

سوداء، فإن هو نزع واستغفر الله وتاب صقل صقله، فإن عاد زيد فيها حتى تعلق على قلبه. وهو الران الذي ذكر الله تعالى في كتابه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [حسن - انظر صحيح سنن الترمذي].

(١) قال البراء بن عازب رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «عليون في السماء السابعة تحت العرش».

(٢) وقيل: ينظرون إلى أعدائهم في النار وهم على أرائكهم، ولا عجب لما ظهر اليوم من آلة التلفاز.



أبي معيط.

كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا : أي كبلال وياسر وعمار وصهيب وخبيب. ﴿يَضْحَكُونَ﴾ (٢٩) ﴿١﴾ .  
وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ ﴿٣٠﴾ : أي يشيرون إلى المؤمنين بالجفن والحاجب استهزاء بهم.  
وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ : أي إذا رجعوا إلى ديارهم وأهليهم يرجعون نشاوي  
فرحين معجبين بحالهم.

وَإِذَا رَأَوْهُمْ : أي وإذا رأى أولئك الفكهون رأوا المؤمنين.  
قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ : إن هؤلاء - يعنون المؤمنين من أصحاب محمد ﷺ -، لضالون  
بتركهم دينهم واتخاذهم لدين محمد ﷺ الجديد.  
وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ﴿٣٣﴾ : أي ولم يكلفهم الله تعالى بحفظ أعمالهم، ورعاية أحوالهم  
وإنما هم متطفلون.

فَالْيَوْمَ : أي يوم القيامة.  
الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ : أي من أجل ما هم فيه من العذاب، حيث يرونهم وهم على  
أرائكهم. ﴿عَلَىٰ الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ .  
هَلْ تُوْبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ : أي هل جوزي الكفار بما كانوا يفعلون من الكفر والشر  
والفساد؟ والجواب: نعم نعم نعم.



(١) معنى يضحكون منهم: أنهم يضحكون من حالهم وهي حال خاصة كالفقر والضعف، أو ترك دينهم إلى دين آخر.

## ٨٤ - سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ : أي بالغمام وهو سحاب أبيض رقيق وذلك لنزول الملائكة.  
وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا : أي سمعت وأطاعت.

وَحُفَّتْ ﴿٢﴾ : أي وحق لها أن تسمع أمر ربها وتطيعه.

وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ : أي زيد في سعتها كما يمد الأديم: أي الجلد إذ لم يبق عليها بناء ولا جبل.

وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَخَلَّتْ ﴿٤﴾ : أي ألقت ما فيها من الموتى، ألقتهم أحياء إلى ظهرها، وتخلت عنه: أي عما كان في بطنها. ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُفَّتْ ﴿٥﴾﴾ .

يَتَأْتِيهَا الْاِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ : أي عامل كاسب للخير أو الشر.

إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا : أي إلى أن تلقى ربك، وأنت تعمل وتكسب، فليكن عملك مما يرضي عنك ربك.

فَمَلَقِيهِ ﴿٦﴾ : أي ملاقي ربك بعد موتك وبعملك خيره وشره.

فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَتَبَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ : أي كتاب عمله وذلك بعد البعث. فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ .  
وَيُنْقَلَبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ : أي بعد الحساب اليسير، يرجع إلى أهله في الجنة من الحور العين فرحًا.

وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَتَبَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ : أي يأخذه بشماله من وراء ظهره إهانة له.

فَسَوْفَ يَدْعُوا بُرُورًا ﴿١١﴾ : أي ينادي هلاكه قائلاً: واثبورا واثبورا أي يا هلاكه.

وَيَصَلَّىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ : أي ويحرق بالنار تحريقًا، وينضج إنضاجه بعد أخرى، على قراءة (يصلَّى) بالتضعيف. ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾﴾ .

إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ : أي إنه كان في الدنيا يظن أنه لا يرجع إلى الحياة بعد الموت، فلذا لم يعمل خيرًا قط، ولم يتورع عن ترك الشر قط لعدم إيمانه بالبعث. ﴿بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ .

فَلَا أَقْسِمُ بِاللَّشْفِقِ ﴿١٦﴾ : أي بالحمرة في الأفق بعد غروب الشمس.

وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ : أي دخل عليه من الدواب وغيره.

وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾ : اجتمع وتم نوره وذلك في الليالي البيض.

لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾: أي حالًا بعد حال، الموت، ثم الحياة، ثم ما بعدها من أحوال القيامة.

فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾: أي أيُّ مانع لهم من الإيمان بالله ورسوله ولقاء ربهم، والحجج كثيرة تتلى عليهم.

وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ: أي تلى عليهم وسمعوه.

لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾: أي لا يخضعون فيؤمنوا ويسلموا. ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾﴾  
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾: أي يجمعون في صحتهم من الكفر والتكذيب. ﴿فَلْيَشْرَهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾﴾

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾: أي غير مقطوع.



## ٨٥ - سُورَةُ الْبُرُوجِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ : أي منازل الشمس والقمر الاثني عشر برجًا.
- وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ : أي يوم القيامة إذ وعد الله تعالى عباده أن يجمعهم فيه لفصل القضاء.
- وَشَاهِدٍ : أي يوم الجمعة.
- وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ : أي يوم عرفة.
- قِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ﴿٤﴾ : أي لعن أصحاب الأخدود. والأخدود: أي الحفر تحفر في الأرض وهو مفرد وجمعه أخاديد. ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾﴾ .
- إِذْ هُرِّعَتْهَا لِقَوْمٍ ﴿٦﴾ : أي على حافتها وشفيرها. ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾﴾ .
- وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ : أي ما عابوا عليهم أي شيء سوى إيمانهم بالله تعالى. ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَعَنُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾ .
- إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ : أي أخذه إذا أخذ الكافر شديد.
- إِنَّهُ هُوَ بَدِيٌّ وَبَعِيدٌ ﴿١٣﴾ : أي بيدئ الخلق ويعيده بعد فئاته ويبدئ العذاب ويعيده.
- وَهُوَ الْعَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ : أي لذنوب عباده المؤمنين، المتودد لأوليائه.
- ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ : أي صاحب العرش إذ هو خالقه ومالكة، والمجيد المستحق لكمال صفات العلو. ﴿فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ الْجَنَّاتِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾ .
- بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ : أي بما ذكر في سياق الآيات السابقة.
- وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ : أي هم في قبضته وتحت سلطانه وقهره.
- بَلْ هُوَ قَوْرٌ أَنْ يَجِدُ ﴿٢١﴾ : أي كريم عظيم.
- فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ : أي من الشياطين، والمراد به اللوح المحفوظ.



## ٨٦ - سُورَةُ الطَّارِقِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ : أي كل ما يطرق ويأتي ليلاً، وسمي النجم طارقاً لطلوعه ليلاً . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ

﴿٢﴾

النَّجْمِ الثَّاقِبِ ﴿٢﴾ : أي الثريا والثاقب المضيء الذي يثقب الظلام بنوره.

إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٣﴾ : أي إلا عليها حافظ من الملائكة يحفظ عملها. ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ

﴿٤﴾

خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٤﴾ : أي ماء ذي اندفاق وهو بمعنى مدفوق أي مصبوب في الرحم.

يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٥﴾ : الصلب: عظم الظهر من الرجل، والترائب عظام الصدر،

والواحدة تريبة. ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾﴾ (١).

يَوْمَ تَبَى التَّرَائِبُ ﴿٩﴾ : أي تختبر ضمائر القلوب في العقائد والنيات، والسرائر: جمع سريرة كالسر.

﴿فَالَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾﴾ .

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ : أي ذات المطر لرجوعه كل حين، والرجع من أسماء المطر.

وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ : أي التصدع والتشقق بالنبات.

إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴿١٣﴾ : أي يفصل بين الباطل، وفي الخصومات يقطعها بالحكم الجازم.

وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ : أي باللعب والباطل بل هو الجد كل الجد.

إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ : أي يعملون المكائد للنبي ﷺ .

وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ : أي أستدرجهم من حيث لا يعلمون لأوقعهم في المكروه. ﴿فَمَهْلِكُ الْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ .

أَمَهُمْ رُؤُوسًا ﴿١٧﴾ : أي زمتنا قليلاً وقد أخذهم في بدر.



(١) أي على إرجاعه حيًا كما كان وأعظم مما كان، وجائز أن يكون على رجعه ماء في الصلب كما كان قادرًا إلا أن ما في التفسير أولى بقرينة ﴿يَوْمَ تَبَى التَّرَائِبُ﴾ وذلك يوم القيامة الذي هو يوم البعث.

## ٨٧ - سُورَةُ الْأَعْلَى

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَجَّ اسْمَ رَبِّكَ: أي نزه اسم ربك أن يسمى به غيره، وأن يذكر بسخرية أو لعب أي لا يذكر إلا بإجلال وإكبار، ونزه ربك عما لا يليق به من الشرك والصاحبة والولد والشبيه والنظير.

الْأَعْلَى (١): أي فوق كل شيء والقاهر لكل شيء.

الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢): أي الإنسان فسوى أعضائه بأن جعلها متناسبة غير متفاوتة.

وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣): أي قدر ما شاء لمن شاء وهداه إلى إتيان ما قدره له وعليه.

وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤): أي أنبت العشب والكلأ.

فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥): أي بعد الخضرة والنضرة هشيماً يابساً أسود.

سَقَرْتُكَ فَلَا تَنْسَى (٦): أي القرآن فلا تنساه بإذتنا.

إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ: أي إلا ما شئنا أن ننسيكه فإنك تنساه، وذلك إذا أراد الله تعالى نسخ شيء من

القرآن بلفظه فإنه ينسي فيه رسوله ﷺ. ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ (٧).

وَيُنِيرُكَ لِلبَيْتِ (٨): أي للشريعة السهلة وهي الإسلام.

فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (٩): أي من تذكر أو لم تنفع ومعنى ذكر عظم بالقرآن. ﴿سَيَذَكِّرْ مَنْ يَخْشَى﴾

﴿١٠﴾

وَيَنْجَنِيهَا: أي الذكري أي يتركها جانباً فلا يلتفت إليها.

الْأَشْقَى (١١): أي الكافر الذي كتبت شقاوته أزلاً.

الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى (١٢): أي نار الدار الآخرة.

ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (١٣): أي لا يموت فيستريح، ولا يحيا فيها.

قَدْ أَفْلَحَ: أي فاز بأن نجا من النار، ودخل الجنة.

مَنْ تَزَكَّى (١٤): أي تطهر بالإيمان وصالح الأعمال بعد التخلي عن الشرك والمعاصي.

وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ: أي في كل أحاينه عند الأكل وعند الشرب وعند النوم وعند الهبوب منه وفي

الصلاة وخارج الصلاة من تسييح وتحميد وتهليل وتكبير.

فَصَلَّى (١٥): أي الصلوات الخمس والنوافل من روائب وغيرها.

بَلْ تُؤْتِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ : أي تقدمون وتفضلون الدنيا على الآخرة. ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾

﴿١٧﴾

إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ : أي إن هذا وهو قوله: قد أفلح إلى قوله: وأبقى.

صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ : إذ كانت عشر صحف.

وَمُوسَى ﴿١٩﴾ : أي توراته.



## ٨٨ - سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَتْكَ : أي قد جاءك.

حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) : أي القيامة؛ وسميت الغاشية لأنها تغشى الناس بأهوالها.

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ : أي يوم إذ تقوم الساعة.

خَشِيعَةً (٢) : أي ذليلة، أطلق الوجوه وأراد أصحابها.

عَايِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) : أي ذات نصب وتعب بالسلاسل والأغلال وتكليف شاق الأعمال.

تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً (٤) : ترد هذه الوجوه نارا حامية قد اشتدت حرارتها.

تُشَقَّى مِنْ عَيْنٍ آيِنٍ (٥) : أي بلغت أنها من الحرارة يقال: أنى الحميم إذا بلغ متهاه.

لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ (٦) : أي أحبث طعام وأنته. وضريح الدنيا نبت يقال له: الشبرق لا

ترعاه الدواب لخبثه. ﴿لَا يَسْمَعُونَ وَلَا يُعْنَى مِنْ جُوعٍ﴾ (٧).

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) : أي حسنة نظرة.

لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ (٩) : أي لعملها الصالحات في الدنيا راضية في الآخرة لما رأت من ثوابها. ﴿فِي

جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ (١٠).

لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً (١١) : أي كلمة لاغية من اللغو والباطل. ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ (١٢) ﴿فِيهَا سُرُورٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ (١٣).

وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) : أقداح لا عرا لها موضوعة على حافة العين للشرب.

وَمَنَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) : أي ومساند جمع نمرقة، مصفوفة الواحدة إلى جنب الأخرى للاستناد

إليها.

وَرَزَائِقُ مَبْثُوثَةٌ (١٦) : أي بسط وطنافس لها خمل، وما لا خمل لها يسمى سجادة، ومعنى مَبْثُوثَةٌ

مفروشة هنا وهناك مبسوطة.

أَفَلَا يَنْظُرُونَ : أي أينكرون البعث فلا ينظرون نظر اعتبار.

إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) : أي خلقا بديعا معدولا به عن سنن سائر المخلوقات.

وَالسَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) : أي فوق الأرض بلا عمد لا مستند.

وَالِإِلْجَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) : أي على وجه الأرض نصبا ثابتا لا يتزلزل.



وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٦٠﴾: أي بسطت.

فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٦١﴾: أي ذكرهم بنعم الله ودلائل توحيده.

لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٦٢﴾: أي بمسلط. ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ ﴿٦٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٦٤﴾ إِنَّ

إِنَّا إِيَّاهُمْ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٦٦﴾.



## ٨٩- سُورَةُ الْفَجْرِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ (١) : أي فجر كل يوم.

وَلِيَالٍ عَشْرٍ (٢) : أي عشر ذي الحجة.

وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) : أي الزوج والفرد (١).

وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ (٤) : أي مقبلًا أو مدبرًا.

هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ (٥) : أي حجتي وعقلي. ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَرَّبُّكَ إِعْمَادٍ (٦) ﴾ .

إِرمَ : هي عاد الأولى.

ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) : إذ كان طول الرجل منهم اثني عشر ذراعًا. ﴿ أَلَيْسَ لِمَنْ يَخْلُقُ مِثْلَهَا فِي أَلْبَانِ (٨) ﴾ .

وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) : أي قطعوا الصخر جعلوا من الصخور بيوتًا بوادي القرى.

وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) : أي صاحب الأوتاد وهي أربعة أوتاد يشد إليها يدي ورجلي من يعذبه.

الَّذِينَ طَغَوْا فِي أَلْبَانِ (١١) : أي تجبروا فيها وظلموا العباد وأكثروا فيها الفساد.

فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) : أي الشرك والقتل.

فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) : أي نوع عذاب.

إِنَّ رَبَّكَ لِيَا لِعَرَصَاتٍ (١٤) : أي يرصد أعمال العباد ليجزيهم عليها.

فَأَمَّا الْإِنْسَانُ : أي الكافر المشرك.

إِذَا مَا أُنزِلَتْ رُبُّهُ : أي اختبره.

فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ : أي بالمال والجاه ونعمه بالخيرات.

فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) : أي فضلني لما لي من مزايا على غيري.

وَأَمَّا إِذَا مَا أُنزِلَتْ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ : أي ضيقه ولم يوسعه عليه.

فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ (١٦) : أي أذلني بالفقر ولم يشكر الله على ما وهبه من سلامة جوارحه والعافية

(١) لصلوحية الشفع والوتر لأشياء كثيرة ذكر القرطبي منها عددًا كثيرًا فروى عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال: «الشفع والوتر الصلاة منها شفع ومنها وتر»، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الشفع صلاة الصبح والوتر صلاة المغرب. وأولى ما يقال أن الله تعالى أقسم بكافة خلقه إذ كل ما عده تعالى ما بين شفع ووتر، إذ الشفع ما يكون ثانيًا لغيره، والوتر الشيء المفرد.

من جسمه.

كَلَّا : أي ليس الأمر كما يرى هذا الكافر ويعتقد ويقول. ﴿بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ (١٧) وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾.

وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ : أي الميراث.

أَكَلًا لَمًّا ﴿١٩﴾ : أي أكلاً كثيراً ولمًّا شديداً؛ إذ يلمون نصيب النساء والأطفال لما لهم فلا يورثونهم من التركة (لمًّا: أي جمعاً شديداً).

وَتُحِبُّونَ أَمْوَالَ حِبَّاءٍ ﴿٢٠﴾ : أي حباً شديداً كثيراً.

كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ (١) : أي حركت حركة شديدة وزلزلت زلزلاً قوياً فلم يبق

عليها شخص البتة.

وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ : أي والملائكة أي صففاً بعد صف.

وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ : أي تجر بسبعين ألف زمام كل زمام بأيدي سبعين ألف ملك.

يَوْمَئِذٍ يَذَّكَّرُ الَّذِينَ أُنْسُوا : أي الكافر ما قالت له الرسل من وعد الله ووعيده يوم لقائه.

وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ : أي لا تنفعه في هذا اليوم الذكرى.

يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ : أي هذه الإيمان وصالح الأعمال.

فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴿٢٥﴾ : أي لا يعذب مثل عذاب الله أحد أي في قوته وشدته.

وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ : أي ولا يوثق أحد مثل وثاق الله ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ (٢).

يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ : أي المؤمنة الآمنة اليوم من العذاب لما لاح لها من بشارت النجاة.

أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ : أي إلى جواره في دار كرامته أي الجنة. رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ .

فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ : أي في جملة عبادي المؤمنين المتقين.

وَادْخُلِي جَنَّاتٍ ﴿٣٠﴾ : أي دار كرامتي لأوليائي.



(١) الدك الحطم والكسر، ودك الأرض تحطيمها وتفريق أجزائها.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله: قوله تعالى: ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدًا﴾ أي وليس أحد أشد قبضاً ووثقاً من الزبانية لمن كفر بربهم رحمهم الله، وهذا في حق المجرمين من الخلائق والظالمين. اهـ (قل).

## ٩٠- سُورَةُ الْبَلَدِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ① : أي مكة.

وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ② : أي وأنت يا نبي الله محمد حلال بمكة.

وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ③ : أي وآدم وذريته.

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ④ : أي في نصب وشدة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة.

أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ⑤ : أي أيظن وهو أبو الأشدين بن كلدة وكان قويًا شديدًا.

يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبْدًا ⑥ : يقول هذا مفاخرًا بعداوة الرسول وأنه أنفق فيها ما لا كثيرًا.

أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ⑦ : أي أيظن أنه لم يره أحد؟ بل الله رآه وعلم ما أنفقه. ﴿الَّذِي جَعَلَ لَهُ عَيْنَيْنِ

⑧﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ⑨ .

وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ⑩ : أي بينا له طريق الخير وطريق الشر بما فطرناه عليه من ذلك وبما أرسلنا

به رسلنا وأنزلنا به كتبنا.

فَلَا أَقْنَحَمَ ⑪ : أي فهلا تجاوز ①.

الْعَقَبَةَ ⑫ :: أي الطريق الصعب في الجبل، والمراد به النجاة من النار. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ

⑬﴾ (وإنما تفك الرقبة بما يلي):

فَكَرَبَةٍ ⑭ : أي أعتق رقبة في سبيل الله تعالى.

أَوْ إِطْعَمْتُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبٍ ⑮ : أي في يوم ذي مجاعة وشدة مؤونة.

يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ⑯ : أي أطعم يتيمًا من ذوي قرابته ②.

أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبٍ ⑰ : أي أطعم فقيرًا لا صقًا بالتراب ليس له شيء.

(١) ذهب القرطبي إلى أن ﴿فَلَا﴾ هي بمعنى هلا التي هي للتخصيص، وهو ما قررناه في التفسير، وجائز أن يكون استفهامًا إنكاريًا ينكر عليه إنفاق أمواله فيما يضره وعدم إنفاقها فيما ينفعه. اهـ.

وقال ابن كثير رحمته الله: (روى ابن جرير عن ابن عمر في قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْنَحَمَ﴾ أي دخل ﴿الْعَقَبَةَ﴾ قال: جبل في جهنم، وقال كعب الأحبار: هو سبعون درجة في جهنم، وقال الحسن البصري: عقبة في جهنم، وقال قتادة: إنها عقبة محمة شديدة فاتحموها بطاعة الله تعالى، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾.... وقال ابن زيد: ﴿فَلَا أَقْنَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾، أي: أفلا سلك الطريق التي فيها النجاة والخير... (قل).

(٢) اليتيم: الولد الذي ليس له أب لموته وهو دون البلوغ.

تُعْرَفُ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ : أي أوصى بعضهم بعضًا بالصبر على طاعة الله .  
 وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ ⑦ : أي أوصى بعضهم بعضًا برحمة الفقراء والمساكين .  
 أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْيَمِينِ ⑧ : أي أصحاب اليمين وهم المؤمنون المتقون .  
 وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِتَيْنَاهُمُ أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ ⑨ : أي أصحاب الشمال وهم الكفار الفجار .  
 عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ⑩ : أي مطبقة لا نافذة لها ولا كوة فلا يدخلها هواء .



## ٩١ - سُورَةُ الشُّمُسِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ① : أي ونهارها.  
 وَالْقَمَرَ إِذَا نَلَّتْهَا ② : أي تلا الشمس فطلع بعد غروبها مباشرة وذلك ليلة النصف من الشهر.  
 وَالنَّهَارَ إِذَا جَلَّتْهَا ③ : أي إذا أضاءها.  
 وَاللَّيْلَ إِذَا يَغْشَاهَا ④ : أي غشى الشمس حتى تظلم الآفاق.  
 وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَتْهَا ⑤ : أي ومن بناها وهو الله ﷻ حيث جعل <sup>(١)</sup> السماء كالسقف للأرض.  
 وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَّتْهَا ⑥ : أي ومن بسطها وهو الله ﷻ.  
 وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ⑦ : أي ومن سوى خلقها وعدله وهو الله ﷻ.  
 فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ⑧ : أي فبين لها ما ينبغي لها أن تأتيه أو تتركه من الخير والشر.  
 قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ⑨ : أي فاز بالنجاة من النار ودخول الجنة من طهر نفسه من الذنوب والآثام.

وَقَدْحَابٍ ⑩ : أي خسر في الآخرة نفسه وأهله يوم القيامة.  
 مَنْ دَسَّاهَا ⑪ : أي دس نفسه إذ أخفاها وأخملها بالكفر والمعاصي، وأصل دسها: دسها فأبدلت إحدى السينين ياء.  
 كَذَّبَتْ ثَمُودُ ⑫ : أي أصحاب الحجر كذبوا رسولهم صالحاً ﷺ.  
 يَطْعُونَهَا ⑬ : أي بسبب طغيانها في الشرك والمعاصي.  
 إِذْ أُنْبِئَتْ ⑭ : أي انطلق مسرعاً.  
 أَشْقَاهَا ⑮ : أي أشقى القبيلة وهو قُدار بن سالف الذي يضرب به المثل فيقال أشأم من قدار.

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ⑯ : أي صالح ﷺ.  
 نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ⑰ : أي ذروها وشربها في يومها.

(١) جائز أن تكون «وَمَا» في الجمل الثلاثة «وَمَا بَنَتْهَا» «وَمَا طَحَّتْهَا» «وَمَا سَوَّاهَا» مصدرية فيكون الإقسام بالسماء وبنائها والأرض وطحوها والنفس وتسويتها؛ إلا أن ما في التفسير وهو اختيار ابن جرير أولى إذ هو إقسام بالرب تعالى.

فَكَذَّبُوهُ : أي فيما أخبرهم به من شأن الناقة.  
 فَعَقَرُوهَا : أي قتلوها ليخلص لهم ماء شربها في يومها.  
 فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمُ رَبُّهُمْ : أي أطبق عليهم العذاب فأهلكهم.  
 يَذِّبُهُمُ : أي بسبب ذنوبهم التي هي الشرك والتكذيب وقتل الناقة.  
 فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ : أي سوى الدمدم عليهم فلم يفلت منهم أحد.  
 وَلَا يَخَافُ عُقْبَهَا ﴿١٥﴾ : أي ولا يخاف الرب تعالى تبعة إهلاكهم كما يخاف الإنسان عاقبة فعله  
 إذا هو قتل أحدًا أو عذبه.



## ٩٢ - سُورَةُ اللَّيْلِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلُ إِذَا بَغَىٰ ① : أي بظلمته كل ما بين السماء والأرض في الإقليم الذي يكون به .  
وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى ② : أي تكشف وظهر في الإقليم الذي هو به، وإذا هنا وفي التي قبلها ظرفية  
وليست شرطية.  
وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ③ : أي ومن خلق الذكر والأنثى آدم وحواء وكل ذريتهما وهو الله  
تعالى ① .  
إِنْ سَعَيْكُمْ لَسَنَّا ④ : أي إن عملكم أيها الناس لمختلف منه الحسنة المورثة للجنة، ومنه السيئة  
الموجبة للنار.  
فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ⑤ : أي حق الله وأنفق في سبيل الله واتقى ما يسخط الله تعالى من الشرك  
والمعاصي .  
وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ⑥ : أي بالخلف لحديث «اللهم أعط منفقًا خلفًا» ② .  
فَسَنِّيَرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ⑦ : أي فسنيصره للخلة أي الخصلة اليسرى، وهي العمل بما يرضاه الله منه في  
الدنيا ليوجب له به الجنة في الآخرة .  
وَأَمَّا مَنْ يُجْحَلْ وَأَسْتَفَىٰ ⑧ : أي منع حق الله والإنفاق في سبيل الله، واستغنى بماله عن الله فلم  
يسأله من فضله، ولم يعمل عملاً صالحاً يتقرب به إليه .  
وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ⑨ : أي بالخلف وما تثمره الصدقة والإيمان وهو الجنة .  
فَسَنِّيَرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ⑩ : فسنيته للخلة العسرى، وهي العمل بما يكرهه الله ولا يرضاه ليكون  
قائده إلى النار . ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ﴾ .  
إِذَا تَرَدَّىٰ ⑪ : أي في جهنم فسقط فيها .  
إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ⑫ : أي إن علينا لبيان الحق من الباطل والطاعة من المعصية .

① يرى بعضهم أن المقسم به المصدر بناء على أن (ما) مصدرية والصحيح أنها موصولة وأن الإقسام كان بالرب -  
تبارك وتعالى - فإنه أعظم إقسام .

② كلمة الحسنى صالحة لعدة معان وهي مؤنث الأحسن؛ ولذا هي صفة لموصوف محذوف وتنوسي فيها ذلك  
فصارت اسماً لما هو أحسن كالجنة والمثوبة الحسنة والنصر والعاقبة والخلف على المنفق في سبيل الله وهو  
الراجع هنا لاختيار ابن جرير له .



وَأَنَّ لَنَا الْآخِرَةَ وَالْأُولَى (١٣) : أي ملك ما في الدنيا والآخرة، نعطي ونحرم من نشاء لا مالك غيرنا<sup>(١)</sup>.

فَأَنْذَرْتُكُمْ : أي خوفتكم.

نَارًا تَلْقَى (١٤) : أي تتوقد.

لَا يَصْلَهَا : أي لا يدخلها ويحترق بلهبها.

إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) : أي إلا الشقي.

الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٦) : كذب النبي ﷺ فيما جاء به، وتولى أعرض عن الإيمان به، وبما جاء به

من التوحيد والطاعة لله ورسوله.

وَسَيَجْزِيهَا الْآلَتَى (١٧) : أي يبعد عنها التقي.

الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) : أي يتطهر به فلذا يخليه من النظر إلى غير الله، فهو لذلك خالٍ من

الرياء والسمعة.

وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) : أي ليس لأحد من الناس عليه منة فهو يكافئه بذلك.

إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) : لكن يؤتي ماله في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله ﷻ.

وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١) : أي يعطيه الله تعالى من الكرامة ما يرضى به في دار السلام.



(١) المراد بالآخرة الجنة، وإن كان اللفظ يشمل الآخرة بكل ما فيها من نعيم وجحيم، وسعادة وشقاء، وفوز وخسران.

## ٩٣ - سُورَةُ الضُّحَى

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- وَالضُّحَى (١) : أي أول النهار ما بين طلوع الشمس وارتفاعها قيد رمح إلى الزوال.
- وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) : غطى، ظلّامه المعمورة وسكن فسكن الناس وخلدوا إلى الراحة.
- مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ : أي ما تركك ولا تخلى عنك.
- وَمَا قَلَى (٣) : أي أبغضك. وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى (٤) : وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥).
- أَلَمْ يَجِدَكَ يَتِيمًا : أي فاقد الأب إذ مات والده قبل ولادته.
- فَتَأْوَى (٦) : أي فأواك بأن ضمك إلى عمك أبي طالب.
- وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) : أي لا تعرف دينًا ولا هدى.
- وَوَجَدَكَ عَائِلًا : أي فقيرًا.
- فَأَغْنَى (٨) : أي بالقناعة، وبما يسر لك من مال خديجة وأبي بكر الصديق.
- فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) : أي لا تذله ولا تأخذ ماله.
- وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) : أي لا تنهره بزجر ونحوه.
- وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١) : أي اذكر ما أنعم الله تعالى به عليك شكرًا له على ذلك.



## ٩٤- سُورَةُ الشَّرْحِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ: الاستفهام للتقرير أي: إن الله تعالى يقرر رسوله بنعمه عليه.  
 نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾: أي بالنبوة، وبشقه وتطهيره وملكه إيماناً وحكمة.  
 وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ﴿٢﴾: أي حططنا عنك ما سلف من تبعات أيام الجاهلية قبل نبوتك.  
 الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾: أي الذي أثقل ظهرك، حيث كان يشعر ﷺ بثقل السنين التي عاشها قبل النبوة، لم يعبد فيها الله تعالى بفعل محابه وترك مكارهه لعدم علمه بذلك.  
 وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾: أي أعليناه فأصبحت تذكر معي في الأذان والإقامة والتشهد.  
 فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾: أي مع الشدة سهولة. ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾.  
 فَإِذَا فَرَغْتَ: أي من الصلاة.  
 فَأَنْصَبْ ﴿٧﴾: أي اتعب في الدعاء (١).  
 وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾: أي فاضرع إليه راغباً فيما عنده من الخيرات والبركات.



(١) قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ أي: من الجهاد، ﴿فَأَنْصَبْ﴾ أي: في العبادة. اهـ (قل)

## ٩٥- سُورَةُ التِّينِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- وَالَّذِينَ وَالزُّبُرِ ①: هما المعروفان التين فاكهة، والزيتون ما يستخرج منه الزيت.
- وَطُورِ سِينِينَ ②: جبل الطور الذي ناجى الرب تعالى فيه موسى ﷺ.
- وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ③: مكة المكرمة لأنها بلد حرام لا يقاتل فيها، فمن دخلها آمن.
- لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ: جنس الإنسان آدم ﷺ وذريته.
- فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ④: أي في أجمل صورة في اعتدال الخلق وحسن التركيب.
- ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ⑤: أي إلى أرذل العمر حتى يخرف ويصبح لا يعلم بعد أن كان يعلم.
- ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾
- فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ⑥: أي غير منقطع فالشيخ الهرم الحرف المسلم يكتب له ما كان يفعله أيام قدرته على العمل فأجره لا ينقطع إلا بموته. ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ ①﴾ بعد بِالَّذِينَ ⑦﴾
- أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ⑧: بلى.



(١) قال ابن كثير رحمته: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ يا ابن آدم ﴿بعد بِالَّذِينَ﴾ أي بالجزاء في المعاد ولقد علمت البداية وعرفت أن من قدر على البداية فهو قادر على الرجعة بطريق الأولى... اهـ (قل).

## ٩٦- سُورَةُ الْعَلَقِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أقرأ: أي أوجد القراءة؛ وهي جمع الكلمات ذات الحروف باللسان.  
 بِأَسْمِ رَبِّكَ: أي بذكر اسم ربك.  
 الَّذِي خَلَقَ ①: أي خلق آدم من سلالة من طين.  
 خَلَقَ الْإِنْسَانَ: أي الإنسان الذي هو ذرية آدم.  
 مِنْ عَلَقٍ ②: أي جمع علقه وهي النطفة في الطور الثاني حيث تصير علقه أي قطعة من الدم الغليظ.

أقرأ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③: أي الذي لا يوازيه كريم ولا يعادله ولا يساويه.  
 الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④: أي علم العباد الكتابة والخط بالقلم.  
 عَلَّمَ الْإِنْسَانَ: أي جنس الإنسان.  
 مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤: أي ما لم يكن يعلمه من سائر العلوم والمعارف.  
 كَلَّا: أي (ألا) أداة استفتاح وتنبية لكسر (إن) بعدها.  
 إِنَّ الْإِنْسَانَ: أي ابن آدم قبل أن تهذب مشاعره وأخلاقه بالإيمان والآداب الشرعية.  
 لَبِطَعٍ ⑥: أي يتجاوز الحد المفروض له في سلوكه ومعاملاته.  
 أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْتَى ⑦: أي عندما يرى نفسه قد استغنى بماله أو ولده أو سلطانه.  
 إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى ⑧: أي إن إلى ربك أيها الرسول الرجعى: أي الرجوع والمصير.  
 أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ⑨: أي أبو جهل عمرو بن هشام المخزومي لعنه الله. عَبْدًا إِذَا صَلَّى ⑩.  
 أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ⑪: أي هو رسول الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي

العدناني.

أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَىٰ ⑫: أمر غيره بما يتقي به عذاب الدنيا والآخرة.  
 أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ⑬: أي هو أبو جهل. ﴿الرَّبُّ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ ⑭.  
 كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ: أي من أذية رسولنا محمد ﷺ، ومنعه من الصلاة خلف المقام.  
 لَتَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ⑮: أي لناخذن بناصيته ونسحبه إلى نار جهنم. ﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِبَةٍ﴾ ⑯.

فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾: أي رجال مجلسه ومنتداه.

سَدْعُ الزَّبَانِ ﴿١٨﴾: أي خزان جهنم.

كَلًّا: أي ارتدع أيها الكاذب الكافر.

لَا تُطْعَمُ: أي يا رسولنا فيما يطلب منك من ترك الصلاة في المسجد الحرام.

وَأَسْجُدْ وَأَقْرَبْ ﴿١٩﴾: أي منه تعالى وذلك بطاعته.



## ٩٧- سُورَةُ الْقَدْرِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ : أي القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا.  
 فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ① : أي ليلة الحكم والتقدير التي يقضى فيها قضاء السنة كلها<sup>(١)</sup>.  
 وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ② : أي إن شأنها عظيم.  
 لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ③ : أي العمل الصالح فيها من صلاة وتلاوة قرآن ودعاء، خير من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وهي ثلاث وثلاثون سنة وأربعة أشهر. ﴿ نَزَّلَ الْمَلَكُ الْكَلِمَةَ ﴾  
 وَالرُّوحُ فِيهَا : أي جبريل في ليلة القدر.  
 يَا ذُنُوبَكُمْ : أي ينزلون بأمره تعالى لهم بالتنزل فيها.  
 مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ④ : أي من كل أمر قضاه الله تعالى في تلك السنة من رزق وأجل وغير ذلك.  
 سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ⑤ : أي هي سلام من الشر كله من غروب الشمس إلى طلوع الفجر.



(١) وهي في الوتر من العشر الأواخر من رمضان، ورجح أكثر العلماء أنها ليلة السابع والعشرين لقسم أبي بن كعب بذلك كما في صحيح مسلم (قل).

## ٩٨ - سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَكْفُرُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ : أي اليهود والنصارى.

وَالْمُشْرِكِينَ : أي عبدة الأصنام.

مُنْفِكِينَ : أي زائلين عما هم عليه منتهين عنه.

حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ : أي الحجة الواضحة وهي محمد ﷺ وكتابه القرآن الكريم.

رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ : أي محمد ﷺ .

يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾ : أي من الباطل.

فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ : أي في تلك الصحف المطهرة كتب من الله مستقيمة.

وَمَا نَفَرُوا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ : أي الرسول محمد ﷺ وكتابه القرآن الكريم.

وَمَا أُمِرُوا : أي في كتبهم التوراة والإنجيل. ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ .

حُفَاءَ : أي مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام. ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ .

وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ : أي دين الملة القيمة أي المستقيمة.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ : أي بالإسلام ونيبه وكتابه وهم اليهود والنصارى. ﴿وَالْمُشْرِكِينَ

فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ .

أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ : أي شر الخليقة.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ : أي آمنوا بالإسلام ونيبه وكتابه وعملوا الصالحات.

أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ : أي هم خير الخليقة.

جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ : أي بساتين إقامة دائمة. ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ : أي بطاعته<sup>(١)</sup> .

وَرَضُوا عَنْهُ : أي بشوابه. ذَلِكَ لِمَنْ حَسِيَ رَبَّهُ. ﴿٨﴾ .



(١) قول البعض: رضي أعمالهم؛ هروبا من عقيدة السلف وإلا فالآية نص في رضاه تعالى عنهم وإن كانت الأعمال سببا في رضاه؛ إذ الأعمال طهرت نفوسهم وزكت أرواحهم فاستحقوا رضی الله فرضي عنهم، ورضي الله أكبر من نعيم الجنة كقوله تعالى ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ .



## ٩٩ - سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ① : أي حركت لقيام الساعة.  
 وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ② : أي كنوزها وموتاهها فألقتهما وتخلت.  
 وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ③ : أي وقال الكافر ما لها أي شيء جعلها تتحرك هذه الحركة.  
 يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ④ : أي تخبر بما وقع عليها من خير وشر وتشهد به لأهله.  
 يَا أَيُّهَا رَبَّنَا أَخْبِرْنَا بِمَا فَعَلْنَا ⑤ : أي بأن تحدث أخبارها فحدثت.  
 يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا ⑥ : أي من موقف الحساب ① .  
 لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ⑦ : أي جزاء أعمالهم إما إلى الجنة وإما إلى النار.  
 فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⑧ : زنة نملة صغيرة. ﴿خَيْرًا يَرَهُ﴾ ⑦ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ⑧ .



(١) ﴿أَشْتَاتًا﴾: جمع شت بمعنى متفرقين جماعات جماعات أصحاب يمين وأصحاب شمال.

## ١٠٠ - سُورَةُ الْعَنْزَابَاتِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَدِيدَاتِ : أي الخيل تعدو في الغزو.

صَبْحًا ① : أي تضح صباحًا، والضح صوت الخيل إذا عدت أي جرت.

فَالْمُورِبَاتِ قَدْحًا ② : أي الخيل توري النار بحوافرها إذا سارت بالليل.

فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ③ : أي الخيل تغير على العدو صباحًا.

فَأَثَرُنَّ بِهِ نَقْعًا ④ : هيجن به أي بمكان عدوها نقعًا أي غبارًا.

فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ⑤ : أي بالنقع جمع العدو أي حيث تجمعاته ①.

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ⑥ : لكفور يجحد نعمة تعالى عليه.

وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ⑦ : أي يشهد على نفسه بعمله.

وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ : أي المال. لَشَدِيدٌ ⑧.

﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَمًا فِي الْقُبُورِ ⑨ : أي أثير وأخرج ما في القبور.

﴿ وَحِصْلَ مَا فِي الصُّدُورِ ⑩ : بين وأفرز ما في الصدور من الإيمان والكفر. ﴿ إِنَّ رَجْمَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ

لَّخَيْرٌ ⑪ ﴾.



① توسطت الخيل جمع العدو وكتابه لقتال أعداء الله.

## ١٠١ - سُورَةُ الْقَارِعَةِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- الْقَارِعَةُ ① : القيامة وسميت القارعة؛ لأنها تفرع القلوب بأهوالها.
- مَا الْقَارِعَةُ ② : أي أي شيء هي؟ فالاستفهام للتهويل من شأنها.
- وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ③ : زيادة في تهويل أمرها وتعظيمه.
- يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ④ : أي كغوغاء الجراد الممتشر يموج بعضهم في بعض.
- وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ⑤ : أي كالصوف المندوف هذه حالها أولاً، ثم تكون كثيباً مهيلاً ثم تكون هباء منبثاً. فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ⑥ .
- فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ⑦ : أي يرضاها صاحبها في الجنة فهي مرضية له.
- وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ⑧ .
- فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ⑨ : أي مأواه ومسكنه الهاوية التي يهوي فيها على رأسه وهي النار. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ⑩ .﴾
- نَارُ حَامِيَةٍ ⑪ : أي هي نار حامية.



## ١٠٢ - سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَنَكُمْ: أي شغلکم عن طاعة الله تعالى.

التَّكَاثُرُ (١): أي التباهي بكثرة المال.

حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢): أي تشاغلتم بجمع المال والتباهي بكثرتة حتى متم ونقلتم إلى المقابر.

كَلَّا: أي ما هكذا ينبغي أن تفعلوا فارتدعوا عن هذا التكاثر.

سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣): أي إذا دخلتم قبوركم علمتم خطأكم في التكاثر في الأموال والأولاد.

ثُمَّ كَلَّا: أي حقًا. ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤)﴾.

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥): أي علمًا يقينًا عاقبة التكاثر لما تفاخرتم بكثرة أموالكم.

لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦): أي النار. ﴿لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧)﴾ (١).

ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ: أي يوم ترون الجحيم عين اليقين.

عَنِ النَّعِيمِ (٨): أي تنعمتم به وتلذذتم من الصحة والفراغ والأمن والمطاعم والمشارب.



(١) ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾: أي الأمر الذي لا شك فيه.

## ١٠٣ - سُورَةُ الْعَصْرِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾: أي الدهر كله.

إِنَّ الْإِنْسَانَ: أي جنس الإنسان كله.

لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾: أي في نقصان وخسران إذ حياته هي رأس ماله، فإذا مات ولم يؤمن ولم يعمل صالحًا خسر كل الخسران. ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ: أي أوصى بعضهم بعضًا باعتقاد الحق وقوله والعمل به.

وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾: أي أوصى بعضهم بعضًا بالصبر على اعتقاد الحق وقوله والعمل به.



## ١٠٤ - سُورَةُ الْهُمَزَةِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِئْسَ لِكُلِّ هُمْزٍ لَمَزَةٌ ﴿١﴾: كلمة يطلب بها العذاب ووادٍ في جهنم، الهمزة: كثير الهمز،

واللمزة كذلك وهم الطعانون المظهرون العيوب للإفساد<sup>(١)</sup>.

الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ، ﴿٢﴾: أي أحصاه وأعدده لحوادث الدهر.

يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ، ﴿٣﴾: أي يجعله خالدًا في الحياة لا يموت.

كَلَّا: أي ليس الأمر كما يزعم ويظن.

(١) قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قوله تعالى: ﴿وَبِئْسَ لِكُلِّ هُمْزٍ لَمَزَةٌ لَمَزَةٌ﴾ الهماز بالقول، واللماز بالفعل. يعني يزدرى الناس وينتقص بهم قال ابن عباس ﴿هُمَزٌ لَمَزَةٌ﴾: طعان معياب. وقال الربيع بن أنس: الهمزة: يهمز في وجهه، واللمزة من خلفه. وقال قتادة: الهمزة واللمزة لسانه وعينه، ويأكل لحوم الناس ويطعن عليهم، وقال مجاهد: الهمزة باليد والعين، واللمزة باللسان، ثم قال بعضهم: المراد بذلك (الأخنس بن شريق). وقال مجاهد: هي عامة (اهـ) (قل).

لِيُبَدَّنَ : أي ليطرحن في الحطمة.

فِي الْحَطْمَةِ ﴿١﴾ : أي النار التي تحطم كل ما يلقي فيها. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَطْمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾﴾.

الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ : أي تشرف على القلوب فتحرقها.

إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَسَّدَةٌ ﴿٨﴾ : أي مغلقة مطبقة.

فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾ : أي يعذبون في النار بأعمدة ممددة (١).



## ١٠٥ - سُورَةُ الْقَيْنِيقِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِي تَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ : أي ألم يتته إلى علمك فعل ربك بأصحاب الفيل.

بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ : أي محمود وهو أكبرها ومعه اثنا عشر فيلاً وصاحبها أبرهة.

الَّذِي جَعَلَ كَيْدَهُمْ : أي في هدم الكعبة.

فِي تَضَلُّيْلٍ ﴿٢﴾ : أي في خسار وهلاك.

وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ : أي جماعات جماعات.

تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ : أي طين مطبوخ.

فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ : أي كورق زرع أكلته الدواب وداسته بأرجلها.



(١) ﴿فِي عَمَدٍ﴾ : أي موثقين في عمد كما يوثق المسجون المغلظ عليه من رجله في فلقة ذات ثقب يدخل في رجله والعمد اسم جمع عمود، والعمود خشبة والممددة المجعولة طويلة جدًا.

## ١٠٦ - سُورَةُ قُرَيْشٍ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَلْفُ : الإيلاف مصدر آلف الشيء يؤالفه إيلافاً إذا اعتاده وزالت الكلفة عنه والنفرة منه <sup>(١)</sup>.

قُرَيْشٍ <sup>(١)</sup> : هم ولد النضر بن كنانة وهم قبائل شتى.

إِلَيْهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ : أي إلى اليمن.

وَالصَّيْفِ <sup>(٢)</sup> : أي إلى الشام.

فَلْيَعْبُدُوا : أي إن لم يعبدوا الله لسائر نعمه فليعبدوه لتحبيب هاتين الرحلتين إليهم.

رَبِّ هَذَا الْبَيْتِ <sup>(٣)</sup> : أي مالك البيت الحرام ورب كل شيء.

الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ : أي من أجل البيت الحرام.

وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ <sup>(٤)</sup> : أي من أجل البيت الحرام.



(١) قوله تعالى: ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ﴾ <sup>(١)</sup> هذا الجار والمجرور متعلق بكلام قبله وهو فعلت ما فعلت بأصحاب الفيل لإيلاف قريش رحلتهم، أو اعجبوا لإيلاف قريش رحلتهم والرحلتان هما، رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام، وذلك لإنجاز وجلب الأرزاق إلى بلادهم التي هي ليست بذات زرع ولا صناعة، فإيلافهم هاتين الرحلتين كان بتدبير الله تعالى ليعيش سكان الحرم ويلذو في رغد من العيش فهي نعمة من نعم الله تعالى، وعليه ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ <sup>(٢)</sup>.

## ١٠٧ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّمْرِ ① : أي هل عرفته، والدين: ثواب الله وعقابه ① يوم القيامة.  
 فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ② : أي فهو ذلك الذي يدفع اليتيم عن حقه بعنف.  
 وَلَا يُحِضُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ③ : أي لا يحض نفسه ولا غيره على إطعام المساكين.  
 فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ④ : أي العذاب الشديد للمصلين الساهين عن صلاتهم.  
 الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ⑤ : أي يؤخرونها عن أوقاتها.  
 الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ⑥ : أي يراءون بصلاتهم وأعمالهم الناس فلم يخلصوا لله تعالى في ذلك.

وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ⑦ : أي لا يعطون من سألهم ماعونًا، كالإبرة والقدر والمنجل ونحوه مما يتنفع به ويرد بعينه كسائر الأدوات المنزلية.



## ١٠٨ - سُورَةُ الْكُوثرِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثرَ ① : أي إنا رب العزة والجلال وهبناك يا نبينا الكوثر: أي نهرًا في الجنة.

فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ② : أي فاشكر ذلك بصلاتك لربك المنعم عليك وحده وانحر له وحده.  
 إِنَّكَ شَانِئُهُ ③ : أي مبغضك.  
 هُوَ الْأَبْتَرُ ④ : أي الأقل الأذل المنقطع عقبه.



① في الكلام حذف تقديره أرايت الذي يكذب بالدين. أمصيب هو أم مخطئ؟ والجواب قطعًا مخطئ. وخطؤه كفره وشركه وعداوته للإسلام ونبيه وأهله وجزاؤه سيكون جحيمًا وعذابًا أليمًا.



## ١٠٩ - سُورَةُ الْكَافُرِينَ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ: أَي يارسول الله.  
يَتَّابِهَا الْكٰفِرُونَ ﴿١﴾: أَي المشركون وهم الوليد والعاص وابن خلف والأسود بن عبد  
المطلب.

لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾: أَي من الآلهة الباطلة الآن.

وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾: أَي الآن.

وَلَا أَنَا عٰبِدُ مَا عٰبَدْتُمْ ﴿٤﴾: أَي في المستقبل أبدًا.

وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾: أَي في المستقبل أبدًا لعلم الله تعالى بذلك.

لَكُمْ دِينُكُمْ: أَي ما أنتم عليه من الوثنية سوف لا تتركونها أبدًا حتى تهلكوا.

وَلِي دِينِ ﴿٦﴾: أَي الإسلام فلا أتركه أبدًا.



## ١١٠ - سُورَةُ النَّصْرِ

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ: أَي نصر الله نبيه محمدًا ﷺ على أعدائه المشركين.

وَالْفَتْحُ ﴿١﴾: أَي فتح مكة.

وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾: أَي في الإسلام جماعات جماعات.

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ: أَي نزهه عن الشريك متلبسًا بحمده.

وَأَسْتَغْفِرْهُ: أَي اطلب منه المغفرة توبة منك إليه ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ ﴿٣﴾.



## ١١١ - سُورَةُ الْمَسَدِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ : أي خسرت يدا أبي لهب بن عبد المطلب أي خسر عمله.  
 وَتَبَّ (١) : أي خسر هو بذاته إذ هو من أهل النار.  
 مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ : أي أي شيء أغنى عنه ماله لما سخط الله تعالى عليه وعذبه في الدنيا والآخرة!  
 وَمَا كَسَبَ (٢) : أي من المال والولد وغيرهما.  
 سَيَصْلَىٰ نَارًا : أي يدخل نارًا يصطلي بحرهما ولفحها.  
 ذَاتَ لَهَبٍ (٣) : أي توقد واشتعال.  
 وَأَمْرَأَتُهُ : أي أم جميل العوراء.  
 حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) : أي تحمل شوك السعدان وتلقيه في طريق (١) النبي ﷺ أذية له وكرهاً.  
 فِي جِيدِهَا : أي في عنقها.  
 حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥) : أي من ليف.



## ١١٢ - سُورَةُ الْإِخْلَاصِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) : أي قل لمن سألك يا نبينا عن ربك: هو الله أحد.  
 اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) : أي الله الذي لا تنبغي العبادة إلا له، الصمد: السيد الذي يصمد إليه في الحوائج، فهو المقصود في قضاء الحوائج على الدوام.  
 لَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُوًا شَيْءٌ (٣) : أي لا يفنى إذ لا شيء يولد إلا وهو فان بائد لا محالة.  
 وَلَمْ يُولَدْ (٤) : أي ليس بمحدث بأن لم يكن فكأن، فهو كائن أولاً وأبداً.

(١) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي: كانت تمشي بالنميمة بين الناس، ولا منافاة مع ما روي من أنها كانت تحمل حزمة الشوك؛ إذ هي تفعل هذا أو ذاك.

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿١﴾ : أي لم يكن أحد شبيهه له أو مثيل إذ ليس كمثلها شيء.



## ١١٣ - سُورَةُ الْفَلَقِ

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ : أي أستجير وأتحصن.

يَرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ : أي الصبح.

مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ : من حيوان وجماد<sup>(١)</sup>.

وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ : أي الليل إذ أظلم أو القمر إذا غاب.

وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ : أي السواحر اللاتي ينفثن.

فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ : أي في العقد التي يعقدنها.

وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ : أي إذا أظهر حسده وأعمله.



(١) قال ابن كثير رحمته : قوله تعالى: ﴿ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ أي من شر جميع المخلوقات، قال الحسن البصري: جهنم وإبليس وذريته مما خلق (اهـ) قل.

## ١١٤ - سُورَةُ النَّاسِ

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ : أي أتحصن وأستجير.

يَرْبِ النَّاسِ ① : أي خالقهم ومالكهم.

مَلِكِ النَّاسِ ② : أي سيد الناس ومالكهم وحاكمهم.

إِلَهِ النَّاسِ ③ : أي معبود الناس بحق إذ لا معبود سواه.

مِنَ الشَّرِّ الْوَسْوَاسِ : أي من شر الشيطان سمي بالمصدر لكثرة ملابسته له.

الْخَنَاسِ ④ : أي الذي يخنس ويتأخر عن القلب عند ذكر الله تعالى.

الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ : أي في قلوبهم إذا غفلوا عن ذكر الله تعالى.

مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ⑥ : أي من شيطان الجن ومن شيطان الإنس.



الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

## الفهرس

٦.....	مقدمة المؤلف
٨.....	رجاء
٩.....	خير فاتحة في التفسير «مقدمة تفسير ابن كثير»
١٣.....	مقدمة مفيدة تذكر في أول التفسير قبل سورة الفاتحة
١٥.....	طريقة بحث كتاب «كلمات القرآن الكريم من كتاب أيسر التفاسير»
١٦.....	الهدف من وراء هذا الكتاب
١٧.....	بداية الكلام من كتاب أيسر التفاسير
١٨.....	الاستعاذة
١٨.....	البسملة
١٩.....	١- سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

### الباب الأول: سورة البقرة

٢٣.....	٢- سُورَةُ الْبَقَرَةِ
---------	------------------------

### الباب الثاني: من سورة «آل عمران» إلى سورة «التوبة»

٨٥.....	٣- سُورَةُ الْاٰنْجِيْلِ
١١٧.....	٤- سُورَةُ الْمَائِدَةِ
١٥٢.....	٥- سُورَةُ الْمَائِدَةِ
١٧٥.....	٦- سُورَةُ الْاٰنْجِيْلِ
٢٠٠.....	٧- سُورَةُ الْاٰنْجِيْلِ
٢٢٨.....	٨- سُورَةُ الْاٰنْجِيْلِ
٢٣٧.....	٩- سُورَةُ الْاٰنْجِيْلِ

### الباب الثالث: من سورة «يونس» إلى سورة «النحل»

٢٥٩.....	١٠- سُورَةُ يُوْنُسَ
٢٧٣.....	١١- سُورَةُ هُوْدٍ
٢٨٨.....	١٢- سُورَةُ يُوْنُسَ
٣٠٢.....	١٣- سُورَةُ الرَّعْدِ
٣١٠.....	١٤- سُورَةُ اِبْرٰهِيْمَ
٣١٦.....	١٥- سُورَةُ الْحَجَرِ
٣٢١.....	١٦- سُورَةُ الْحَجَرِ

### الباب الرابع: من سورة «سبحان» أي: «الإسراء» حتى سورة «الفرقان»

٣٢٧.....	١٧- سُورَةُ الْاٰنْجِيْلِ
----------	---------------------------

٣٥٠.....	١٨- سُورَةُ الْكَافِرَاتِ
٣٦٣.....	١٩- سُورَةُ مَرْيَمَ
٣٧٢.....	٢٠- سُورَةُ طه
٣٨٤.....	٢١- سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ
٣٩٦.....	٢٢- سُورَةُ الْمَائِدَةِ
٤٠٧.....	٢٣- سُورَةُ الْأَمْوَآنِ
٤١٦.....	٢٤- سُورَةُ النَّازِعَاتِ
٤٢٧.....	٢٥- سُورَةُ الْفُرْقَانِ

### الباب الخامس: من سورة «الشعراء» حتى سورة «يس»

٤٣٩.....	٢٦- سُورَةُ الشُّعَرَاءِ
٤٦٠.....	٢٨- سُورَةُ الْقَصَصِ
٤٧٣.....	٢٩- سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ
٤٨٣.....	٣٠- سُورَةُ الزُّمَرِ
٤٩١.....	٣١- سُورَةُ الْمُؤْتَفَاتِ
٤٩٦.....	٣٢- سُورَةُ التَّجْوِيدِ
٥٠٠.....	٣٣- سُورَةُ الْأَخْرَافِ
٥١٣.....	٣٤- سُورَةُ نَبَأِ
٥٢١.....	٣٥- سُورَةُ قَطَرِ
٥٢٨.....	٣٦- سُورَةُ يَسِ

### الباب السادس: من سورة الطافات حتى سورة الحجرات

٥٣٩.....	٣٧- سُورَةُ الطَّافَاتِ
٥٤٨.....	٣٨- سُورَةُ حُرَّتِ
٥٥٦.....	٣٩- سُورَةُ الرَّسْمِ
٥٦٧.....	٤٠- سُورَةُ نَعْمَانَ
٥٧٨.....	٤١- سُورَةُ مُصَلَّتِ
٥٨٦.....	٤٢- سُورَةُ الشُّورَى
٥٩٥.....	٤٣- سُورَةُ الْخُرُوفِ
٦٠٥.....	٤٤- سُورَةُ الدُّجَانِ
٦١٠.....	٤٥- سُورَةُ الْبَقَائِ
٦١٦.....	٤٦- سُورَةُ الْأَحْقَافِ
٦٢٣.....	٤٧- سُورَةُ مُحَمَّدِ بْنِ الْوَالِدِ
٦٢٩.....	٤٨- سُورَةُ الْبَقَرَةِ

### الباب السابع: حزب المفضل

٦٣٩	.....	سُورَةُ الْحُجُرَاتِ	٤٩-
٦٤٣	.....	سُورَةُ قَاتِلَاتٍ	٥٠-
٦٤٩	.....	سُورَةُ الدَّارِ اَلْاٰتِ	٥١-
٦٥٤	.....	سُورَةُ الطُّوْرِ	٥٢-
٦٥٩	.....	سُورَةُ النَّحْلِ	٥٣-
٦٦٤	.....	سُورَةُ الْقَمَارِ	٥٤-
٦٦٩	.....	سُورَةُ الرَّحْمٰنِ	٥٥-
٦٧٤	.....	سُورَةُ الْاٰرَافِ	٥٦-
٦٨٠	.....	سُورَةُ الْحٰدِثِ	٥٧-
٦٨٧	.....	سُورَةُ الْحٰجَاةِ	٥٨-
٦٩٢	.....	سُورَةُ الْمُنَشِقِ	٥٩-
٦٩٨	.....	سُورَةُ الْمُنَشِقِ	٦٠-
٧٠٢	.....	سُورَةُ الصَّفٰتِ	٦١-
٧٠٥	.....	سُورَةُ الْمُنَشِقِ	٦٢-
٧٠٧	.....	سُورَةُ الْمُنَشِقِ	٦٣-
٧٠٩	.....	سُورَةُ النَّجْمِ	٦٤-
٧١٢	.....	سُورَةُ الطَّلَاقِ	٦٥-
٧١٥	.....	سُورَةُ النَّجْمِ	٦٦-
٧١٧	.....	سُورَةُ الْمَلِكِ	٦٧-
٧٢٠	.....	سُورَةُ الْقَلَمِ	٦٨-
٧٢٤	.....	سُورَةُ الْمُتَفِّلِ	٦٩-
٧٢٧	.....	سُورَةُ الْمَعَارِجِ	٧٠-
٧٣٠	.....	سُورَةُ نُوْحٍ	٧١-
٧٣٢	.....	سُورَةُ الْحٰقِّ	٧٢-
٧٣٥	.....	سُورَةُ الْمُرْسَلِ	٧٣-
٧٣٧	.....	سُورَةُ الْمُرْسَلِ	٧٤-
٧٤٠	.....	سُورَةُ الْاِنشَاقِ	٧٥-
٧٤٣	.....	سُورَةُ الْاِنشَاقِ	٧٦-
٧٤٦	.....	سُورَةُ الْمُرْسَلِ	٧٧-
٧٤٩	.....	سُورَةُ النَّبَاِ	٧٨-
٧٥١	.....	سُورَةُ النَّازِعَاتِ	٧٩-
٧٥٣	.....	سُورَةُ عَبَسَ	٨٠-
٧٥٥	.....	سُورَةُ النَّازِعَاتِ	٨١-
٧٥٧	.....	سُورَةُ الْاِنشَاقِ	٨٢-